تفسير التابعين

قدم له وحققه وعلق حواشيه
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء السادس
[سورة النحل، الآية: ٨٠]- [سورة النور، الآية:١٨]

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠)} [النحل : ٨٠]

التفسير:

والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم راحة واستقرارًا مع أهلكم، وأنتم مقيمون في الحضر، وجعل لكم في سفركم خيامًا وقبابًا من جلود الأنعام، يَخِفُّ عليكم حِمْلها وقت تَرْحالكم، ويخف عليكم نَصْبها وقت إقامتكم بعد التَّرْحال، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثاثًا لكم من أكسية وألبسة وأغطية وفرش وزينة، تتمتعون بها إلى أجل مسمًّى ووقت معلوم.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} [النحل : ٨٠]، أي:" والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم راحة واستقرارًا مع أهلكم وأنتم مقيمون في الحضر"[١].

قال مجاهد:" تسكنون فيها"[٢].

قال السدي:" تسكنون وتقرون فيها"[٣].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا} [النحل : ٨٠]، أي:" وجعل لكم في سفركم خيامًا وقبابًا من جلود الأنعام"[٤].

قال السدي:" وهي خيام الأعراب"[٥].

قوله تعالى:{تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ} [النحل : ٨٠]، أي:" تستخفون حملها ونقلها في أسفاركم، وهي خفيفةٌ عليكم في أوقات السفر والحضَر"[٦].

عن السدي:{ تَسْتَخِفُّونَهَا}" يقول في الحمل"[٧].

قوله تعالى:{وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا} [النحل : ٨٠]، أي:" وجعل لكم من صوف الغنم، ووبر الإبل، وشعر المعز ما تلبسون وتفرشون به بيوتكم"[٨].

قال الحسن:" الأثاث: المتاع"[٩].

قال مجاهد: "الأثاث: الغناء"[١٠].

قال الأعمش: "الأثاث: المال"[١١].

قوله تعالى:{وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [النحل : ٨٠]، أي:" تتمتعون بها إلى أجل مسمًّى ووقت معلوم"[١٢].

عن السدي: "{وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}، قال: إلى الموت"[١٣].

القرآن

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)} [النحل : ٨١]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦١٣):ص٢٢٩٤/٧.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦١٤):ص٢٢٩٤/٧.
(٤) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦١٤):ص٢٢٩٤/٧.
(٦) صفوة التفاسير:١٢٧/٢.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦١٤):ص٢٢٩٤/٧.
(٨) صفوة التفاسير:١٢٧/٢.
(٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩/١.
(١٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩/١.
(١١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩/١.
(١٢) التفسير الميسر:٢٧٦.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦١٤):ص٢٢٩٤/٧.

والله جعل لكم ما تستظلُّون به من الأشجار وغيرها، وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجؤون إليها عند الحاجة، وجعل لكم ثيابًا من القطن والصوف وغيرهما، تحفظكم من الحر والبرد، وجعل لكم من الحديد ما يردُّ عنكم الطعن والأذى في حروبكم، كما أنعم الله عليكم بهذه النعم يتمُّ نعمته عليكم ببيان الدين الحق; لتستسلموا لأمر الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا في عبادته.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا} [النحل : ٨١]، أي:" والله جعل لكم ما تستظلُّون به من الأشجار وغيرها"(١٤).

قال قتادة: " إي والله، من الشجر ومن غيرها"(١٥).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} [النحل : ٨١]، أي:" وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجؤون إليها عند الحاجة"(١٦).

قال قتادة:" يقول: غيرانا من الجبال يسكن فيها"(١٧).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} [النحل : ٨١]، أي:" وجعل لكم ثيابًا من القطن والصوف وغيرهما، تحفظكم من الحر والبرد"(١٨).

عن قتادة :"{سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}، قال: القطن والكتان"(١٩).

قوله تعالى:{وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ} [النحل : ٨١]، أي:" وجعل لكم من الحديد ما يردُّ عنكم الطعن والأذى في حروبكم"(٢٠).

عن قتادة :"{وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}، قال: هي سرابيل من حديد"(٢١).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} [النحل : ٨١]، أي:" كما أنعم الله عليكم بهذه النعم يتمُّ نعمته عليكم ببيان الدين الحق; لتستسلموا لأمر الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا في عبادته"(٢٢).

عن الأعمش وأبي بكر وعاصم:" أنهم قرءوا {لعلكم تسلمون}، برفع التاء من: أسلمت"(٢٣).

قال قتادة: "وكانت هذه السورة تسمى سورة النعم"(٢٤).

القرآن

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢)} [النحل : ٨٢]

التفسير:

فإن أعرضوا عنك -أيها الرسول- بعدما رأوا من الآيات فلا تحزن، فما عليك إلا البلاغ الواضح لما أُرْسِلْتَ به، وأما الهداية فإلينا.

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا} [النحل : ٨٢]، أي:" فإن أعرضوا عنك -أيها الرسول- بعدما رأوا من الآيات"(٢٥).

عن محمد بن إسحاق: قوله: "{وإن يتولوا}، قال: على كفرهم"(٢٦).

القرآن

{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣)} [النحل : ٨٣]

---

(١٤) التفسير الميسر:٢٧٦.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٦٩/١٧.
(١٦) التفسير الميسر:٢٧٦.
(١٧) أخرجه الطبري:٢٧٠/١٧.
(١٨) التفسير الميسر:٢٧٦.
(١٩) أخرجه الطبري:٢٧٠/١٧.
(٢٠) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٢١) أخرجه الطبري:٢٧٠/١٧.
(٢٢) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦١٨):ص٢٢٩٥/٧.
(٢٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠/١.
(٢٥) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٠٤):ص١٨٤٦/٦.

التفسير:
يعرف هؤلاء المشركون نعمة الله عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم يجحدون نبوته، وأكثر قومه الجاحدون لنبوته، لا المقرون بها.
سبب النزول:
عن مجاهد :"أن أعرابيًا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا } قال الأعرابي : نعم. قال : { وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ } قال الأعرابي : نعم. ثم قرأ عليه ، كل ذلك يقول الأعرابي : نعم ، حتى بلغ : { كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } فولى الأعرابي ، فأنزل الله : { يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ }"[٢٧].[مرسل]
قوله تعالى:{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} [النحل : ٨٣]، أي:" يعرف هؤلاء المشركون نعمة الله عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم يجحدون نبوته"[٢٨].
وفي قوله تعالى:{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} [النحل : ٨٣]، وجوه:
أحدها : أنه عنى النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه ، قاله السدي[٢٩]، ومجاهد[٣٠].
الثاني : أنهم يعرفون منا عدد الله تعالى عليهم في هذه السورة من النعم وأنها من عند الله وينكرونها بقولهم أنهم ورثوا ذلك عن آبائهم ، قاله مجاهد –أيضا-[٣١].
الثالث : أن انكارها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلانٌ ما أصبت كذا ، قاله عون بن عبد الله[٣٢].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ} النعمة عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم داعيًا إلى ما بعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنى يدلّ على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبل هذه الآية قوله :{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} وما بعده {وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} وهو رسولها[٣٣].
قال الكلبي : "هذه السورة تسمى سورة النعم ، لما ذكر الله فيها من كثرة نعمه على خلقه"[٣٤].
قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل : ٨٣]، أي:" وأكثر قومه الجاحدون لنبوته، لا المقرون بها"[٣٥].
قال الحسن: "وجميعهم كفار، فذكر الأكثر، والمراد به الجميع"[٣٦].

القرآن
{وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤)} [النحل : ٨٤]
التفسير:

---

(٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم وهو مرسل.
(٢٨) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٢٩) انظر: تفسير الطبري:٢٧٢/١٧-٢٧٣، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٠٧/٣، وابن الجوزي في زاد المسير:٥٧٧/٢
(٣٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٧٧/٢.
(٣١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٢١):ص٢٢٩٦/٧، وتفسير الطبري:٢٧٣/١٧.
(٣٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٢٢):ص٢٢٩٦/٧، وتفسير الطبري:٢٧٣/١٧.
(٣٣) تفسير الطبري:٢٧٣/١٧-٢٧٤.
(٣٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٠٧/٣.
(٣٥) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٣٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٧٧/٢.

واذكر لهم -أيها الرسول- ما يكون يوم القيامة، حين نبعث من كل أمة رسولها شاهدًا على إيمان من آمن منها، وكُفْر مَن كَفَر، ثم لا يُؤذن للذين كفروا بالاعتذار عما وقع منهم، ولا يُطْلب منهم إرضاءُ ربهم بالتوبة والعمل الصالح، فقد مضى أوان ذلك.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} [النحل : ٨٤]، أي:" واذكر لهم -أيها الرسول- ما يكون يوم القيامة، حين نبعث من كل أمة رسولها شاهدًا على إيمان من آمن منها، وكُفْر مَن كَفَر"[٣٧].

قال قتادة:" وشاهدها نبيها، على أنه قد بلغ رسالات ربه، قال الله تعالى :{وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ}"[٣٨].

القرآن

{وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٥)} [النحل : ٨٥]

التفسير:

وإذا شاهد الذين كفروا عذاب الله في الآخرة فلا يخفف عنهم منه شيء، ولا يُمْهلون، ولا يؤخر عذابهم.

عن أبي العالية في قوله: "{وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون}، قال: هذا، كقوله: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ}[٣٩]"[٤٠].

القرآن

{وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦)} [النحل : ٨٦]

التفسير:

وإذا أبصر المشركون يوم القيامة آلهتهم التي عبدوها مع الله، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم مِن دونك، فنطقَتِ الآلهة بتكذيب مَن عبدوها، وقالت: إنكم -أيها المشركون- لكاذبون، حين جعلتمونا شركاء لله وعبدتمونا معه، فلم نأمركم بذلك، ولا زعمنا أننا مستحقون للألوهية، فاللوم عليكم.

قوله تعالى:{وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ} [النحل : ٨٦]، أي:" وإذا أبصر المشركون يوم القيامة آلهتهم التي عبدوها مع الله"[٤١].

قوله تعالى:{فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} [النحل : ٨٦]، أي:" فنطقَتِ الآلهة بتكذيب مَن عبدوها، وقالت: إنكم -أيها المشركون- لكاذبون، حين جعلتمونا شركاء لله وعبدتمونا معه، فلم نأمركم بذلك، ولا زعمنا أننا مستحقون للألوهية، فاللوم عليكم"[٤٢].

عن مجاهد :{فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ}، قال: حدّثوهم"[٤٣].

القرآن

{وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)} [النحل : ٨٧]

التفسير:

وأظهر المشركون الاستسلام والخضوع لله يوم القيامة، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الأكاذيب، وأن آلهتهم تشفع لهم.

قوله تعالى:{وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ} [النحل : ٨٧]، أي:" وأظهر المشركون الاستسلام والخضوع لله يوم القيامة"[٤٤].

---

(٣٧) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٣٨) أخرجه الطبري:٢٧٤/١٧.
(٣٩)[المرسلات :٣٥-٣٦].
(٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٢٤):ص٢٢٩٦/٧.
(٤١) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٤٢) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٤٣) أخرجه الطبري:٢٧٥/١٧.
(٤٤) التفسير الميسر:٢٧٦.

قال قتادة:" يقول: ذلوا واستسلموا يومئذ"[٤٥].

القرآن

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨)} [النحل : ٨٨]

التفسير:

الذين جحدوا وحدانية الله ونبوتك -أيها الرسول- وكذَّبوك، ومنعوا غيرهم عن الإيمان بالله ورسوله، زدناهم عذابا على كفرهم وعذابًا على صدِّهم الناس عن اتباع الحق; وهذا بسبب تعمُّدهم الإفساد وإضلال العباد بالكفر والمعصية.[٤٦].

قوله تعالى:{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ} [النحل : ٨٨]، أي:" الذين جحدوا وحدانية الله ونبوتك -أيها الرسول- وكذَّبوك، ومنعوا غيرهم عن الإيمان بالله ورسوله، زدناهم عذابا على كفرهم وعذابًا على صدِّهم الناس عن اتباع الحق"[٤٧].

عن عبيد بن عمير، قال: "إن لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البخت[٤٨] وعقارب أمثال البغال الدهم، يستغيث أهل النار إلى تلك الجباب أو الساحل، فتثب إليهم فتأخذ بشِفاههم وشفارهم إلى أقدامهم، فيستغيثون منها إلى النار، فيقولون: النارَ النارَ، فتتبعهم حتى تجد حرّها فترجع، قال: وهي في أسراب"[٤٩].

عن مالك بن الحارث، قال: "إذا طرح الرجل في النار هوى فيها، فإذا انتهى إلى بعض أبوابها، قيل: مكانك حتى تتحف، فيسقى كأسا من سم الأساود والعقارب، فيتميز الجلد على حدة والشعر على حدة والعصب على حدة والعروق على حدة"[٥٠].

القرآن

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)} [النحل : ٨٩]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- حين نبعث يوم القيامة في كل أمة من الأمم شهيدًا عليهم، هو الرسول الذي بعثه الله إليهم من أنفسهم وبلسانهم، وجئنا بك -أيها الرسول- شهيدًا على أمتك، وقد نَزَّلنا عليك القرآن توضيحًا لكل أمر يحتاج إلى بيان، كأحكام الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وغير ذلك، وليكون هداية من الضلال، ورحمة لمن صدَّق وعمل به، وبشارة طيبة للمؤمنين بحسن مصيرهم.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ} [النحل : ٨٩]، أي:" واذكر -أيها الرسول- حين نبعث يوم القيامة في كل أمة من الأمم شهيدًا عليهم، هو الرسول الذي بعثه الله إليهم من أنفسهم وبلسانهم، وجئنا بك -أيها الرسول- شهيدًا على أمتك"[٥١].

قال ابن جريج:" {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتَى عليها فاضت عيناه"[٥٢].

عن عكرمة:" في قوله :{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ}[سورة البروج : ٣] ، قال : الشاهد محمد ، والمشهود يوم الجمعة. فذلك قوله : " {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}"[٥٣].

قال السدي:" إن النبيين يأتون يوم القيامة ، منهم من أسلم معه من قومه الواحدُ والاثنان والعَشَرة ، وأقلُّ وأكثر من ذلك ، حتى يُؤتى بقوم لوط صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمن معه إلا ابنتاه ، فيقال لهم : هل

---

(٤٥) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٧.
(٤٦) التفسير الميسر:٢٧٧.
(٤٧) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٤٨)البخت: هي الإبل الخراسانية، وهي جمال طوال الأعناق، الواحد حتى (اللسان).
(٤٩) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٧.
(٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٣٠):ص٢٢٩٧/٧.
(٥١) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٥٢) أخرجه الطبري(٩٥١٦):ص٣٦٩/٨.
(٥٣) أخرجه الطبري(٩٥١٧):ص٣٦٩/٨.

بلَّغتم ما أرسلتُمْ به ؟ فيقولون : نعم. فيقال : من يشهد ، فيقولون : أمة محمد صلى الله عليه وسلم! فيقال لهم : اشهدوا ، إنّ الرسل أودعوا عندكم شهادة، فبم تشهدون ؟ فيقولون : ربنا نَشهد أنهم قد بلغوا كما شهدوا في الدنيا بالتبليغ. فيقال : من يشهد على ذلك ؟ فيقولون : محمد صلى الله عليه وسلم. فيدعى محمد عليه السلام ، فيشهدُ أن أمته قد صدَّقوا ، وأنّ الرسل قد بلَّغوا ، فذلك قوله : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[سورة البقرة : ١٤٣]"[٥٤].

قوله تعالى:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل : ٨٩]، أي:" وقد نَزَّلنا عليك القرآن توضيحًا لكل أمر يحتاج إلى بيان، كأحكام الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وغير ذلك، وليكون هداية من الضلال، ورحمة لمن صدَّق وعمل به، وبشارة طيبة للمؤمنين بحسن مصيرهم"[٥٥].

عن سعيد بن جبير:"{هدى}، يعني: تبيانا"[٥٦].

عن السدي :"{هدى}، قال: نور"[٥٧].

عن الشعبي:"{هدى}، قال: هدى من الضلالة"[٥٨].

عن عباد بن منصور، قال:" سألت الحسن عن قوله: {وهدى}، قال: هو القرآن"[٥٩].

عن أبي العالية، قوله: "{ورحمة}، قال: رحمة القرآن"[٦٠].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)} [النحل : ٩٠]

التفسير:

إن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه، ويأمر بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع، وإلى الخلق في الأقوال والأفعال، ويأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرُّهم، وينهى عن كل ما قَبُحَ قولا أو عملا وعما ينكره الشرع ولا يرضاه من الكفر والمعاصي، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم، والله -بهذا الأمر وهذا النهي- يَعِظكم ويذكّركم العواقب; لكي تتذكروا أوامر الله وتنتفعوا بها.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} [النحل : ٩٠]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه"[٦١].

قال محمد بن كعب القرظي: "دعاني عمر بن عبد العزيز، فقال: صف لي العدل، فقلت: بخ ... سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا، وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسادهم، ولا تضربن بغضبك سوطا واحدا متعديا فتكون من العادين"[٦٢].

قوله تعالى:{وَالْإِحْسَانِ} [النحل : ٩٠]، أي:" ويأمر عباده بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع، وإلى الخلق في الأقوال والأفعال"[٦٣].

عن الشعبي، قال: "قال عيسى ابن مريم: إنما الإحسان إن تحسن إلى من أساء إليك. والله أعلم"[٦٤].

قوله تعالى:{وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} [النحل : ٩٠]، أي:" ويأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرُّهم"[٦٥].

---

(٥٤) أخرجه الطبري(٩٥١٥):ص٣٦٩/٨.
(٥٥) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٥٦)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٢):ص١٩٥٨/٦ .
(٥٧)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢١):ص١٩٥٨/٦ .
(٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤١٩):ص١٩٥٧/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!
(٥٩)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٠):ص١٩٥٧/٦ .
(٦٠)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٢٣):ص١٩٥٨/٦ .
(٦١) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٣٦):ص٢٢٩٩/٧.
(٦٣) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٣٧):ص٢٢٩٩/٧.

عن قتادة، قوله :"{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} ... الآية، إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خُلق سيِّئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه. وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومَذامِّها"(٦٦).

القرآن

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)} [النحل : ٩١]

التفسير:

والتزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم بينكم وبين الله -تعالى- أو بينكم وبين الناس فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا ترجعوا في الأيمان بعد أن أكَّدْتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وضامنًا حين عاهدتموه. إن الله يعلم ما تفعلونه، وسيجزيكم عليه.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: عن أبي ليلى، عن بريدة ، "قوله {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} قال: أنزلت هذه الآية في بيعة النبيّ صلى الله عليه وسلم، كان من أسلم بايع على الإسلام، فقالوا: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} هذه البَيعة التي بايعتم على الإسلام {وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} البيعة، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وإن كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة"(٦٧).

الثاني: أنها نزلت في الحِلف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية، فأمرهم الله عزّ وجلّ في الإسلام أن يوفّوا به ولا ينقضوه. وهذا قول مجاهد(٦٨)، وقتادة(٦٩)، وابن زيد(٧٠).

قوله تعالى:{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} [النحل : ٩١]، أي:" والتزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم بينكم وبين الله -تعالى- أو بينكم وبين الناس فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا ترجعوا في الأيمان بعد أن أكَّدْتموها"(٧١).

قوله تعالى:{وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} [النحل : ٩١]، أي:" ولا ترجعوا في الأيمان بعد أن أكَّدْتموها"(٧٢).

عن مجاهد: {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}، قال:" تغليظها في الحلف"(٧٣).

قال سعيد بن جبير:" يعني: بعد تغليظها وتشديدها"(٧٤).

وقال قتادة:" بعد تشديدها وتغليظها"(٧٥).

قوله تعالى:{وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} [النحل : ٩١]، أي:" وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وضامنًا حين عاهدتموه"(٧٦).

قال مجاهد:" وكيلا"(٧٧).

قال سعيد بن جبير:" يعني: في العهد شهيدا"(٧٨).

---

(٦٥) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٦٦)اخرجه الطبري:٢٨٠/١٧-٢٨١ .
(٦٧) أخرجه الطبري:٢٨١/١٧.
(٦٨) انظر: تفسير الطبري:٢٨٢/١٧.
(٦٩) انظر: تفسير الطبري:٢٨٢/١٧.
(٧٠) انظر: تفسير الطبري:٢٨٢/١٧.
(٧١) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٧٢) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٣٩):ص٢٢٩٩/٧.
(٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٠٠):ص١٤٢١/٥.
(٧٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٤/١.
(٧٦) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٣٩):ص٢٢٩٩/٧.
(٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٠):ص٢٢٩٩/٧.

قال الحسن: "عهد الأنبياء"[٧٩].

عن نافع قال : "لما خلع الناس يزيد بن معاوية ، جمع ابن عمر بنيه وأهله ، ثم تشهد ، ثم قال : أما بعد ، فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة ، فيقال هذه غَدْرة فلان وإن من أعظم الغَدْر - إلا أن يكون الإشراك بالله - أن يبايع رجل رجلا على بيعة الله ورسوله ، ثم ينكث بيعته ، فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون صَيْلم بيني وبينه"[٨٠].

القرآن

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)} [النحل : ٩٢]

التفسير:

ولا ترجعوا في عهودكم، فيكون مَثَلكم مثل امرأة غزلت غَزْلا وأحكمته، ثم نقضته، تجعلون أيمانكم التي حلفتموها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه، وتنقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالا ومنفعة من الذين عاهدتموهم، إنما يختبركم الله بما أمركم به من الوفاء بالعهود وما نهاكم عنه مِن نقضها، ولَيُبيِّنَنَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا من الإيمان بالله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا} [النحل : ٩٢]، أي:" ولا ترجعوا في عهودكم، فيكون مَثَلكم مثل امرأة غزلت غَزْلا وأحكمته، ثم نقضته"[٨١].

قال مجاهد:" غزلها: حبلها تنقضه بعد إبرامها إياه ولا تنتفع به بعد"[٨٢].

عبد الله بن كثير :"{كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ}، قال: خرقاء كانت بمكة تنقضه بعد ما تُبْرِمه"[٨٣].

قال السدي:" هي خَرْقَاءُ بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته"[٨٤].

وروي عن قتادة، قوله :"{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا}، فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده"[٨٥].

قوله تعالى:{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ} [النحل : ٩٢]، أي:" تجعلون أيمانكم التي حلفتموها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه"[٨٦].

عن قتادة :"{دَخَلا بَيْنَكُمْ}، قال: خيانة بينكم"[٨٧].

قوله تعالى:{أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} [النحل : ٩٢]، أي:" وتنقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالا ومنفعة من الذين عاهدتموهم"[٨٨].

قال قتادة:" أن يكون قوم أعزّ وأكثر من قوم"[٨٩].

عن الضحاك:"{ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ}، يقول: أكثر، يقول: فعليكم بوفاء العهد"[٩٠].

قال مجاهد:" كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حِلْف هؤلاء، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم، فنهوا عن ذلك"[٩١].

---

(٧٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٤/٢.
(٨٠)المسند (٢/ ٤٨).
(٨١) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٨٢) أخرجه الطبري:٢٨٣/١٧-٢٨٤.
(٨٣) أخرجه الطبري:٢٨٣/١٧-٢٨٤.
(٨٤) أخرجه الطبري:٢٨٤/١٧.
(٨٥) أخرجه الطبري:٢٨٤/١٧.
(٨٦) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٨٧) اخرجه الطبري:٢٨٦/١٧.
(٨٨) التفسير الميسر:٢٧٦.
(٨٩) اخرجه الطبري:٢٨٦/١٧.
(٩٠) اخرجه الطبري:٢٨٧/١٧.
(٩١) اخرجه الطبري:٢٨٦/١٧.

القرآن

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣)} [النحل : ٩٣]

التفسير:

ولو شاء الله لوفَّقكم كلكم، فجعلكم على ملة واحدة، وهي الإسلام والإيمان، وألزمكم به، ولكنه سبحانه يُضلُّ مَن يشاء ممن علم منه إيثار الضلال، فلا يهديه عدلا منه، ويهدي مَن يشاء مِمَّن علم منه إيثار الحق، فيوفقه فضلا منه، وليسألَنَّكم الله جميعًا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم به، ونهاكم عنه، وسيجازيكم على ذلك.

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [النحل : ٩٣]، أي:" ولو شاء الله لوفَّقكم كلكم، فجعلكم على ملة واحدة، وهي الإسلام والإيمان، وألزمكم به"[٩٢].

قال السدي:" على الإيمان"[٩٣].

قال سعيد بن جبير:" يعني: المسلمة والمشركة أمة واحدة يعني ملة الإسلام وحدها"[٩٤].

قال الضحاك:" أهل دين واحد، أهل ضلالة أو أهل هدى"[٩٥].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [النحل : ٩٣]، أي:" ولكنه سبحانه يُضلُّ مَن يشاء ممن علم منه إيثار الضلال، فلا يهديه عدلا منه، ويهدي مَن يشاء مِمَّن علم منه إيثار الحق، فيوفقه فضلا منه"[٩٦].

عن سعيد بن جبير:" {ولكن يضل من يشاء}، يعني: عن دينه، وهم المشركون، {ويهدي من يشاء}، يعني: المسلمين"[٩٧].

القرآن

{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)} [النحل : ٩٤]

التفسير:

ولا تجعلوا من الأيمان التي تحلفونها خديعة لمن حلفتم لهم، فتهلكوا بعد أن كنتم آمنين، كمن زلقت قدمه بعد ثبوتها، وتذوقوا ما يسوؤكم من العذاب في الدنيا; بما تسببتم فيه مِن مَنْع غيركم عن هذا الدين لما رأوه منكم من الغدر، ولكم في الآخرة عذاب عظيم.

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ} [النحل : ٩٤]، أي:" ولا تجعلوا من الأيمان التي تحلفونها خديعة لمن حلفتم لهم"[٩٨].

قال سعيد بن جبير:" ثم ضرب مثلا آخر للناقض العهد فقال: {ولا تتخذوا أيمانكم}، يعني: العهد {دخلا بينكم}"[٩٩].

قال الحسن:" لا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك"[١٠٠].

عن قتادة في قوله:{تتخذون أيمانكم دخلا بينكم}، قال: "لو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه..! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده، وفي قوله: {تتخذون أيمانكم دخلا بينكم}، قال: خيانة وغدرا"[١٠١].

---

(٩٢) التفسير الميسر:٢٧٦.

(٩٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٦/١.

(٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٢٣٠٠/٧.

(٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٤٨٩):ص١١٥٢/٤.

(٩٦) التفسير الميسر:٢٧٦.

(٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٢٣٠٠/٧-٢٣٠١.

(٩٨) التفسير الميسر:٢٧٨.

(٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٢٣٠٠/٧-٢٣٠١.

(١٠٠) حكاه عنه ابن ابي زمنين في تفسيره:٤١٧/٢.

قوله تعالى:{فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} [النحل : ٩٤]، أي:" فتهلكوا بعد أن كنتم آمنين، كمن زلقت قدمه بعد ثبوتها"(١٠٢).

قال سعيد بن جبير:" يقول: إن ناقض العهد يزل في دينه كما يزل قدم الرجل بعد الاستقامة"(١٠٣).

عن الشعبي قال: قال ابن مسعود: "إياكم وأرأيت أرأيت، فإنما أهلك من كان قبلكم أرأيت، ولا تقيسوا شيئا بشيء {فتزل قدم بعد ثبوتها}، وإذا سئل أحدكم عما لا يدري، فليقل: لا أعلم، فإنه ثلث العلم"(١٠٤).

وجاء في ذم الكلام: عن معاوية بن سلمة البصري عن ابن مسعود قال: "لا تمكن صاحب هوى من أذنيك فيقذف فيهما داء لا شفاء له. قال: وقال مصعب بن سعد: إما يمرض قلبك لتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه"(١٠٥).

قوله تعالى:{وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [النحل : ٩٤]، أي:" وتذوقوا ما يسوؤكم من العذاب في الدنيا; بما تسببتم فيه مِن مَنْع غيركم عن هذا الدين لما رأوه منكم من الغدر"(١٠٦).

قال سعيد بن جبير:" يعني: العقوبة"(١٠٧).

القرآن

{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥)} [النحل : ٩٥]

التفسير:

ولا تنقضوا عهد الله; لتستبدلوا مكانه عرضًا قليلا من متاع الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء أفضل لكم من هذا الثمن القليل، إن كنتم من أهل العلم، فتدبَّروا الفرق بين خيْرَي الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [النحل : ٩٥]، أي:" ولا تنقضوا عهد الله; لتستبدلوا مكانه عرضًا قليلا من متاع الدنيا"(١٠٨).

قال سعيد بن جبير:" يعني: عرضا من الدنيا يسيرا"(١٠٩).

قوله تعالى:{إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [النحل : ٩٥]، أي:" إن ما عند الله من الثواب على الوفاء أفضل لكم من هذا الثمن القليل، إن كنتم من أهل العلم، فتدبَّروا الفرق بين خيْرَي الدنيا والآخرة"(١١٠).

قال سعيد بن جبير:" {إنما عند الله}، يعني: الثواب، {هو خير لكم}، يعني: أفضل لكم من العاجل"(١١١).

القرآن

{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)} [النحل : ٩٦]

التفسير:

ما عندكم من حطام الدنيا يذهب، وما عند الله لكم من الرزق والثواب لا يزول. ولنُثِيبنَّ الذين تحمَّلوا مشاق التكاليف -ومنها الوفاء بالعهد- ثوابهم بأحسن أعمالهم، فنعطيهم على أدناها، كما نعطيهم على أعلاها تفضُّلا.

قوله تعالى:{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ} [النحل : ٩٦]، أي:" ما عندكم من حطام الدنيا يذهب"(١١٢).

---

(١٠١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٦٤٤):ص٧/٢٣٠٠.
(١٠٢) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٧/٢٣٠٠-٢٣٠١.
(١٠٤)الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٩/٨٥٥٠) وذم الكلام (ص.٨٨) وهو في إعلام الموقعين (١/ ٥٧).
(١٠٥)ذم الكلام :٤/ ٢٤ - ٢٥ طبعة الأنصاري.
(١٠٦) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٧/٢٣٠٠-٢٣٠١.
(١٠٨) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٧/٢٣٠٠-٢٣٠١.
(١١٠) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٧/٢٣٠٠-٢٣٠١.
(١١٢) التفسير الميسر:٢٧٨.

قال سعيد بن جبير:" يعني: ما عندكم من الأموال يفنى"[١١٣].
قوله تعالى:{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النحل : ٩٦]، أي:" وما عند الله لكم من الرزق والثواب لا يزول"[١١٤].
قال سعيد بن جبير:" يعني: وما عند الله في الآخرة من الثواب دائم لا يزول عن أهله"[١١٥].
قوله تعالى:{وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل : ٩٦]، أي:" ولنُثِيبنَّ الذين تحمَّلوا مشاق التكاليف -ومنها الوفاء بالعهد- ثوابهم بأحسن أعمالهم، فنعطيهم على أدناها، كما نعطيهم على أعلاها تفضُّلا"[١١٦].
عن سعيد بن جبير:" {وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} في الدنيا ويعفو عن سيئاتهم"[١١٧].
عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى"[١١٨].

القرآن
{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)} [النحل : ٩٧]
التفسير:
مَن عمل عملا صالحًا ذكرًا كان أم أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله، فلنحيينه في الدنيا حياة سعيدة مطمئنة، ولو كان قليل المال، ولنجزينَّهم في الآخرة ثوابهم بأحسن ما عملوا في الدنيا.
سبب النزول:
عن أبي صالح، قال: "جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنجيل، فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل، فأنزل الله تعالى :"{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"[١١٩].
قوله تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [النحل : ٩٧]، أي:" مَن عمل عملا صالحًا ذكرًا كان أم أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله"[١٢٠].
قال الربيع:" الإيمان: الإخلاص لله وحده، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له"[١٢١].
قوله تعالى:{فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل : ٩٧]، أي:" فلنحيينه في الدنيا حياة سعيدة مطمئنة، ولو كان قليل المال"[١٢٢].
وفي قوله تعالى:{فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل : ٩٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنها الرزق الحلال ، وهو معنى قول الضحاك[١٢٣].
قال الضحاك:" يأكل حلالا ويلبس حلالا"[١٢٤].

---

(١١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٧/٢٣٠٠-٢٣٠١.
(١١٤) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٧/٢٣٠٠-٢٣٠١.
(١١٦) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٤٧):ص٧/٢٣٠٠-٢٣٠١.
(١١٨)أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤ / ٣٠٨، وصححه على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاعا. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤ / ١٧٥،٤١٢، والبيهقي في السنن: ٣ / ٣٧٠، وعزاه صاحب المشكاة له في "شعب الإيمان". قال الهيثمي: "رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجالهم ثقات". انظر: مجمع الزوائد: ١٠ / ٢٤٩، مشكاة المصابيح رقم (٥١٧٩) ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: ١ / ٤٩١. وأخرجه البغوي في شرح السنة: ١٤ / ٢٣٩.
(١١٩) أخرجه الطبري:٢٩٣/١٧.
(١٢٠) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١٢١) أخرجه الطبري:٢٩١/١٧.
(١٢٢) التفسير الميسر:٢٧٨.
(١٢٣) أخرجه الطبري:٢٩٠/١٧.
(١٢٤) أخرجه الطبري:٢٩٠/١٧.

الثاني : أنها القناعة، قاله الحسن البصري[١٢٥].
الثالث : أن يكون مؤمناً بالله عاملاً بطاعته ، قاله الضحاك-أيضا-[١٢٦].
قال الضحاك:" من عمل عملا صالحًا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة، فحياته طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحًا، عيشته ضنكة لا خير فيها"[١٢٧].
الرابع : أنها الجنة ، قاله الحسن-أيضا-[١٢٨]، ومجاهد[١٢٩]، وقتادة[١٣٠].
قال الحسن:" ما تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة"[١٣١].
قال مجاهد:" يحييهم حياة طيبة في الآخرة"[١٣٢].
وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نَصَبه ولم يتكدّر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها، وإنما قلت ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فقال تعالى :{وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}، فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، فهذا لهم في الآخرة. ثم أتبع ذلك لمَن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى: ما عندكم في الدنيا ينفد، وما عند الله باق، فالذي هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فَعَلَ تعالى ذكره، وأما القول الذي رُوي عن ابن عباس أنه الرزق الحلال، فهو مُحْتَمَل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال، وإن قلّ فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله. لا أنه يرزقه الكثير من الحلال، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رُزِقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة[١٣٣].
عن عبد الله بن عَمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قد أفلح من أسلم ورُزق كفافا ، وقَنَّعه الله بما آتاه"[١٣٤].
عن فضالة بن عُبَيد ؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قد أفلح من هُدي إلى الإسلام ، وكان عيشه كفافا ، وقنع به"[١٣٥].

القرآن
{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)} [النحل : ٩٨]
التفسير:
فإذا أردت -أيها المؤمن- أن تقرأ شيئًا من القرآن، فاستعذ بالله مِن شرِّ الشيطان المطرود من رحمة الله قائلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
قوله تعالى:{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل : ٩٨]، أي:" فإذا أردت -أيها المؤمن- تلاوة القرآن، فاستعذ بالله مِن شرِّ الشيطان المطرود من رحمة الله قائلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[١٣٦].

---

(١٢٥) انظر: تفسير الطبري:٢٩٠/١٧.
(١٢٦) انظر: تفسير الطبري:٢٩٠/١٧-٢٩١.
(١٢٧) أخرجه الطبري:٢٩٠/١٧-٢٩١.
(١٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٥٢):ص٢٣٠١/٧.
(١٢٩) انظر: تفسير الطبري:٢٩١/١٧.
(١٣٠) انظر: تفسير الطبري:٢٩١/١٧.
(١٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٥٢):ص٢٣٠١/٧.
(١٣٢) أخرجه الطبري:٢٩١/١٧.
(١٣٣) تفسير الطبري:٢٩٢/١٧.
(١٣٤)المسند (٢/ ١٦٨) وصحيح مسلم برقم (١٠٥٤).
(١٣٥)سنن الترمذي برقم (٢٣٤٩)، وقال" هذا حديث صحيح".
(١٣٦) التفسير الميسر:٢٧٨.

قال الحسن: "فنزلت في الصلاة ثم صارت سنة في غير الصلاة إذا أراد أن يقرأ، وليس بمفروض"[١٣٧].

القرآن

{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)} [النحل : ٩٩]

التفسير:

إن الشيطان ليس له تسلُّطٌ على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربهم وحده يعتمدون.

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا} [النحل : ٩٩]، أي:" إن الشيطان ليس له تسلُّطٌ على المؤمنين بالله ورسوله"[١٣٨].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[١٣٩].

قوله تعالى:{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل : ٩٩]، أي:" وعلى ربهم وحده يعتمدون فيما نابهم من شدائد"[١٤٠].

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[١٤١].

وفي تفسير قوله تعالى:{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل : ٩٩]، وجهان:

أحدهما : ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي ، قاله مجاهد[١٤٢].

الثاني : أنه ليس له عليهم سلطان بحال لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله إبليس : {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)} [الحجر : ٣٩ - ٤٠] فقال الله تعالى : {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الحجر : ٤٢]. وهذا قول الربيع[١٤٣].

القرآن

{إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)} [النحل : ١٠٠]

التفسير:

إنما تسلُّطه على الذين جعلوه مُعينًا لهم وأطاعوه، والذين هم -بسبب طاعته- مشركون بالله تعالى.

قوله تعالى: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} [النحل : ١٠٠]، أي:" إنما تسلُّطه على الذين جعلوه مُعينًا لهم وأطاعوه"[١٤٤].

عن مجاهد:"{يَتَوَلَّوْنَهُ}، قال: يطيعونه"[١٤٥].

قال قتادة:" يقول: الذين يطيعونه ويعبدونه"[١٤٦].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل : ١٠٠]، أي:" والذين هم -بسبب طاعته- مشركون بالله تعالى"[١٤٧].

وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل : ١٠٠]، ثلاثة وجوه:

أحدها : والذين يعدلون بربّ العالمين، قاله مجاهد[١٤٨]، والضحاك[١٤٩].

---

(١٣٧) تفسير يحيى بن سلام:٨٨/١.

(١٣٨) التفسير الميسر:٢٧٨.

(١٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.

(١٤٠) التفسير الميسر: ٢٧٨، وصفوة التفاسير:١٣٢/٢.

(١٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(١٤٢) انظر: تفسير الطبري:٢٩٤/١٧.

(١٤٣) انظر: انظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/١٧.

(١٤٤) التفسير الميسر:٢٧٨.

(١٤٥) أخرجه الطبري:١٧/ ٢٩٤.

(١٤٦) أخرجه الطبري:٢٩٥/١٧.

(١٤٧) التفسير الميسر:٢٧٨.

(١٤٨) انظر: تفسير الطبري:٢٩٥/١٧-٢٩٦.

الثاني : والذين أشركوا الشيطان في أعمالهم ، قاله الربيع بن أنس[١٥٠].

والقول الأوّل، أعني قول مجاهد، أولى القولين في ذلك بالصواب، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم، لا أنهم يشركون بالشيطان. ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع، لكان التنزيل: الذين هم مشركوه، ولم يكن في الكلام به، فكان يكون لو كان التنزيل كذلك، والذين هم مشركوه في أعمالهم، إلا أن يوجه موجه معنى الكلام، إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان، ويشركون الله به في عبادتهم إياه، فيصحّ حينئذ معنى الكلام، ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله، ما لم ينزل به عليهم سلطانا، وقال في كلّ موضع تقدّم إليهم بالزجر عن ذلك، لا تشركوا بالله شيئا، ولم نجد في شيء من التنزيل: لا تشركوا الله بشيء، ولا في شيء من القرآن. خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء فيجوز لنا توجيه معنى قوله: {وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} إلى والذين هم بالشيطان مشركو الله. فبين إذًا إذ كان ذلك كذلك، أن «الهاء» في قوله {وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ} عائدة على الربّ في قوله {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[١٥١].

القرآن

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)} [النحل : ١٠١]

التفسير:

وإذا بدَّلنا آية بآية أخرى، والله الخالق أعلم بمصلحة خَلْقه بما ينزله من الأحكام في الأوقات المختلفة، قال الكفار: إنما أنت -يا محمد- كاذب مختَلِق على الله ما لم يَقُلْه. ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كما يزعمون. بل أكثرهم لا عِلْم لهم بربهم ولا بشرعه وأحكامه.

سبب نزول الآيتين[١٠١-١٠٢]:

قال الواحدي:" نزلت حين قال المشركون: إن محمدا يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه. فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها"[١٥٢].[بدون إسناد]

قوله تعالى:{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} [النحل : ١٠١]، أي:" وإذا أنزلنا آيةٌ مكان آية وجعلناها بدلاً منها بأن ننسخ تلاوتها أو حكمها"[١٥٣].

قال مجاهد:" نسخناها، بدّلناها، رفعناها، وأثبتنا غيرها"[١٥٤].

قال قتادة:" هو كقوله :{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا}"[١٥٥].

قال السدي:" هذا في الناسخ والمنسوخ. قال: إذا نسخنا آية وجئنا بغيرها. قالوا ما بالك؟ قلت: كذا وكذا، ثم نقضته أنت تفتري. قال الله :{والله أعلم بما ينزل}"[١٥٦].

القرآن

{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)} [النحل : ١٠٢]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: ليس القرآن مختلقًا مِن عندي، بل نَزَّله جبريل مِن ربك بالصدق والعدل; تثبيتًا للمؤمنين، وهداية من الضلال، وبشارة طيبة لمن أسلموا وخضعوا لله رب العالمين.

---

(١٤٩) انظر: تفسير الطبري:٢٩٦/١٧.
(١٥٠) انظر: تفسير الطبري:٢٩٦/١٧.
(١٥١) تفسير الطبري:٢٩٦/١٧.
(١٥٢) أسباب النزول:٢٨٨.
(١٥٣) صفوة التفاسير:١٣٢/٢.
(١٥٤) أخرجه الطبري:٢٩٧/١٧.
(١٥٥) أخرجه الطبري:٢٩٧/١٧.
(١٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٥٩):ص٢٣٠٢/٧.

قوله تعالى:{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل : ١٠٢]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: ليس القرآن مختلقًا مِن عندي، بل نَزَّله جبريل مِن ربك بالصدق والعدل"(١٥٧).

قال محمد بن كعب: "روح القُدُس: جبرئيل"(١٥٨). وروي عن السدي مثله(١٥٩).

القرآن

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)}

[النحل : ١٠٣]

التفسير:

ولقد نعلم أن المشركين يقولون: إن النبي يتلقى القرآن مِن بشر مِن بني آدم. كذبوا; فإن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أعجمي لا يُفصح، والقرآن عربي غاية في الوضوح والبيان.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال ابن عباس:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّم قينا بمكة، وكان أعجميّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلّمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره :{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}"(١٦٠).

الثاني: قال عبد الله بن مسلم، " كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما، فقال المشركون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى ما كذّبهم به، فقال: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}"(١٦١).

فأنزل الله تعالى فأكذبهم: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل : ١٠٣]، أي:" ولقد نعلم أن المشركين يقولون: إن النبي يتلقى القرآن مِن بشر مِن بني آدم"(١٦٢).

واختلف في اسم من أراده المشركون فيما ذكروه من تعليم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أقوال:

أحدها : أنه بلعام وكان قيناً بمكة ، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدخل عليه يعلمه ، فاتهمته قريش أنه كان يتعلم منه ، قاله مجاهد(١٦٣).

الثاني : أنه كان غلاما بني المغيرة وكان اسمه: «يعيش». قاله عكرمة(١٦٤).

وقال قتادة:" قالت قريش: إنما يعلمه بشر، عبد لبني الحَضْرميّ يقال له: يعيش"(١٦٥).

قال مجاهد:" قول كفار قريش: إنما يعلّم محمدا عبدُ ابن الحضرميّ، وهو صاحب كتاب"(١٦٦).

الثالث: أنه غلام نصراني يقال له «جَبْر»، عبد لبني بياضة الحَضْرَمِيّ، فكانوا يقولون: والله ما يعلّم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جَبْرٌ النصرانيُّ غلام الحضرميّ. قاله ابن إسحاق(١٦٧).

وقال ابن جريج:" قال عبد الله بن كثير: كانوا يقولون: إنما يعلمه نصرانيّ على المَرْوة، ويعلم محمدا رُوميّ يقولون اسمه جَبْر وكان صاحب كُتُب عبد لابن الحضرميّ"(١٦٨).

---

(١٥٧) التفسير الميسر:٢٧٨.

(١٥٨) أخرجه الطبري:٢٩٨/١٧.

(١٥٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٠/١.

(١٦٠) أخرجه الطبري:٢٨/١٧-٢٩٩.

(١٦١) أخرجه الطبري:٢٠٠/١٧، والواحدي في أسباب النزول:٢٨٨، وذكره الحافظ في الإصابة (٢/ ٤٤٧) في ترجمة عبيد الله بن مسلم الحضرمي، وذكره السيوطي في لباب النقول (ص ١٦٣) ومدار هذا الأثر على حصين بن عبد الرحمن: قال الحافظ في التقريب: ثقة تغير حفظه في الآخر.

(١٦٢) التفسير الميسر: ٢٧٩.

(١٦٣) انظر: النكت والعيون:٣/ ٢١٥.

(١٦٤) انظر: تفسير الطبري:٢٩٩/١٧.

(١٦٥) أخرجه الطبري:٢٩٩/١٧.

(١٦٦) أخرجه الطبري:٣٠٠/١٧.

(١٦٧) انظر: تفسير الطبري:٢٩٩/١٧.

الرابع : أنهما غلامان لبني الحضرمي ، وكانا من أهل عين التمر صيقلين يعملان السيوف اسم أحدها يسار ، والآخر جبر ، وكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله ربما جلس إليهما ، قاله عبد الله بن مسلم الحضرمي[١٦٩].
الخامس : أنه سلمان الفارسي ، قاله الضحاك[١٧٠].
السادس: إن الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عن الإسلام. وهذا قول سعيد بن المسيب[١٧١].

قال سعيد بن المسيب: "أن الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر، إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سميع عليم» أو «عزيز حكيم» وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: أعزيز حكيم، أو سميع عليم، أو عزيز عليم؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ ذلك كتبت فهو كذلك، ففتنه ذلك، فقال: إن محمدا يكل ذلك إليّ، فأكتب ما شئت"[١٧٢].

قوله تعالى:{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ} [النحل : ١٠٣]، أي:" لسان الذي يزعمون أنه علّمه وينسبون إليه التعليم أعجمي"[١٧٣].

عن مجاهد:" {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ}، أي: يتكلم بالرومية"[١٧٤].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)} [النحل : ١٠٤]

التفسير:

إن الكفار الذين لا يصدقون بالقرآن لا يوفقهم الله لإصابة الحق، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل : ١٠٤]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع"[١٧٥].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[١٧٦]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[١٧٧].

القرآن

{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)} [النحل : ١٠٦]

التفسير:

إنما يفتري الكذب مَن نطق بكلمة الكفر وارتدَّ بعد إيمانه، فعليهم غضب من الله، إلا مَن أُرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفًا من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه، لكن من نطق بالكفر واطمأن قلبه إليه، فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أنها نزلت في عمار بن ياسر، قاله ابن عباس[١٧٨]، وقتادة[١٧٩]، وابو مالك[١٨٠].

---

(١٦٨) أخرجه الطبري:٢٩٩/١٧.
(١٦٩) انظر: تفسير الطبري:٣٠٠/١٧.
(١٧٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٦٣):ص٢٣٠٣/٧، وتفسير الطبري:٣٠٠/١٧.
(١٧١) انظر: تفسير الطبري:٣٠١/١٧.
(١٧٢) أخرجه الطبري:٣٠١/١٧.
(١٧٣) صفوة التفاسير:١٣٢/٢.
(١٧٤) تفسير مجاهد:٤٢٦.
(١٧٥) التفسير الميسر: ٢٧٩.
(١٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٧٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٧٨) انظر: تفسير الطبري:٣٠٤/١٧.
(١٧٩) انظر: تفسير الطبري:٣٠٤/١٧.
(١٨٠) انظر: تفسير الطبري:٣٠٤/١٧.

عن ابن عباس، قوله :"{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} ... إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذّبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدّثه بالذي لقي من قريش، والذي قال: فأنزل الله تعالى ذكره عذره :{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} ... إلى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}"[١٨١].

وأخرج ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عباس، قال:"لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يهاجر إلى المدينة، قال لأصحابه: تفرقوا عني، فمن كانت به قوة فليتأخر إلى آخر الليل، ومن لم تكن به قوة فليذهب في أول الليل، فإذا سمعتم بن قد استقرت بي الأرض، فالحقوا بي. فأصبح بلال المؤذن وخباب وعمار وجارية من قريش كانت أسلمت، فأصبحوا بمكة فأخذهم المشركون وأبو جهل، فعرضوا على بلال إن يكفر فأبى، فجعلوا يضعون درعا من حديد في الشمس ثم يلبسونها إياه، فإذا ألبسوها إياه قال: أحد.. أحد.. وأما خباب، فجعلوا يجرونه في الشوك، وأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، وأما الجارية، فوتد لها أبو جهل أربعة أوتاد ثم مدها فأدخل الحربة في قبلها حتى قتلها، ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذي كان من أمرهم، واشتد على عمار الذي كان تكلم به. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف كان قلبك حين قلت الذي قلت: أكان منشرحا بالذي قلت أم لا؟ قال: لا قال: وأنزل الله إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان"[١٨٢].

عن قتادة :"{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}، قال: ذُكِر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا: اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأنزل لله تعالى ذكره (إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} : أي: من أتى الكفر على اختيار واستحباب، {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}"[١٨٣].

عن أبي مالك، في قوله :"{إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}، قال: نزلت في عمار بن ياسر"[١٨٤].

الثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسُمية وبلال وصهيب وخبّاب، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان. حكاه الماوردي عن الكلبي[١٨٥].

الثالث: قال ابن سيرين:"نزلت هذه الآية : {إلا مَنْ أُكْرِهَ} في عياش بن أبي ربيعة. قاله ابن سيرين[١٨٦].

الرابع: عن مجاهد: "نزلت هذه الآية في أناس من اهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة: إن هاجروا فإنا لا نرى أنكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم، فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية" [١٨٧].[مرسل]

قوله تعالى:{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل : ١٠٦]، أي:" إنما يفتري الكذب مَن نطق بكلمة الكفر وارتدَّ بعد إيمانه، إلا مَن أُرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفًا من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه"[١٨٨].

عن السدي:"{وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}، قال:" راض بالتوحيد"[١٨٩].

أبي عبيدة بن محمد بن عمار، عن أبيه، قال: "أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم. بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال: إن عادوا فعد. {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}"[١٩٠].

---

(١٨١) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.
(١٨٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٦٦):ص٢٣٠٤/٧.
(١٨٣) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.
(١٨٤) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.
(١٨٥) انظر: النكت والعيون:٢١٧/٣.
(١٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٦٨):ص٢٣٠٤/٧.
(١٨٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٦٦٩):ص١٣٠٤/٧، وحكاه الواحدي في أسباب النزول:٢٨٩. دون إسناد.
(١٨٨) التفسير الميسر: ٢٧٩.
(١٨٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩١/١.
(١٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٦٧):ص٢٣٠٤/٧.

قوله تعالى:{وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل : ١٠٦]، أي:" لكن من نطق بالكفر واطمأن قلبه إليه، فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم"(١٩١).

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(١٩٢)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(١٩٣).

القرآن

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠)}

[النحل : ١١٠]

التفسير:

ثم إن ربك للمستضعفين في «مكة» الذين عذَّبهم المشركون، حتى وافقوهم على ما هم عليه ظاهرًا، ففتنوهم بالتلفظ بما يرضيهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ولمَّا أمكنهم الخلاص هاجروا إلى «المدينة» ، ثم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على مشاق التكاليف، إن ربك -من بعد توبتهم- لغفور لهم، رحيم بهم.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال ابن عباس:" كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقُتِل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت :{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} ... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} ... إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثم نزلت فيهم :{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتِل من قُتِل"(١٩٤).

عن مجاهد :"{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}، قال: ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة، أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية"(١٩٥).

قال قتادة:" ذكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يُقبل منهم إسلام حتى يهاجروا، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة؛ فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون، من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله، فخرجوا فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، فمنهم من قُتِل، ومنهم من نجا، فأنزل الله تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} ... الآية"(١٩٦).

الثاني: قال ابن إسحاق:" نزلت هذه الآية في عمَّار ابن ياسر وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد :{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا}"(١٩٧).

الثالث: قال البغوي:"نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا"(١٩٨).

الرابع: أنها نزلت في شأن ابن أبي سرح. قاله الحسن(١٩٩)، وعكرمة(٢٠٠).

---

(١٩١) التفسير الميسر: ٢٧٩.

(١٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(١٩٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(١٩٤) أخرجه الطبري:٣٠٧/١٧-٣٠٨.

(١٩٥) أخرجه الطبري:٣٠٦/١٧-٣٠٧.

(١٩٦) أخرجه الطبري:٣٠٧/١٧.

(١٩٧) أخرجه الطبري:٣٠٨/١٧.

(١٩٨) تفسير البغوي:٤٧/٥، وانظر: تفسير الخازن: ٤ / ٩٧.

(١٩٩) انظر: تفسير الطبري:٣٠٨/١٧.

عن عكرمة والحسن البصري، "قالا في سورة النحل {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، ثم نسخ واستثنى من ذلك، فقال {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأزلّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يُقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبيّ صلى الله عليه وسلم"(٢٠١).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠]، أي:" ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا في سبيل الله بعد ما فتنهم المشركون الطغاة عن دينهم بالعذاب"(٢٠٢).

قال السدي:" يعني: من بعد ما عذبوا في الدنيا"(٢٠٣).

قوله تعالى:{ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا} [النحل : ١١٠]، أي:" ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا على مشاقّ الجهاد"(٢٠٤).

عن الحسن: "أنهم قوم كانوا بمكة، فعرضت لهم فتنة، فارتدوا عن الإسلام، وشكوا في نبي الله صلى الله عليه وسلم. ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول الله عليه السلام بالمدينة، ثم جاهدوا معه وصبروا، فنزلت هذه الآية"(٢٠٥).

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٠]، أي:" إن ربك بعد تلك الهجرة والجهاد والصبر سيغفر لهم ويرحمهم"(٢٠٦).

قال ابن إسحاق:" أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"(٢٠٧).

القرآن

{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١)} [النحل : ١١١]

التفسير:

وذكرهم -أيها الرسول- بيوم القيامة حين تأتي كل نفس تخاصم عن ذاتها، وتعتذر بكل المعاذير، ويوفي الله كل نفس جزاء ما عَمِلَتْه من غير ظلم لها، فلا يزيدهم في العقاب، ولا ينقصهم من الثواب.

قال الحسن: "إن كل نفس توقف بين يدي الله للحساب ليس يسألها عن عملها إلا الله"(٢٠٨).

عن جعفر بن سليمان:" في قوله تعالى: {يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها} [النحل: ١١١]، قال: سمعت علي بن زيد بن جدعان يحدث عن مطرف بن عبد الله بن الشخير , قال: نا كعب أن عمر، قال له: حدثنا يا كعب خوفنا، قال: " قلت: يا أمير المؤمنين أليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكمة؟ , قال: بلى ولكن خوفنا , قال: قلت: يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى , قال: فأطرق عمر مليا ثم أفاق، ثم قال: زدنا يا كعب، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لو فتح قدر منخر ثور من جهنم بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من شدة حرها , قال: فأطرق عمر مليا ثم أفاق , فقال: زدنا يا كعب، قال: يا أمير المؤمنين إن جهنم تزفر يوم القيامة زفرة ما يبقى ملك مقرب , ولا نبي مصطفى إلا خر جاثيا لركبتيه , حتى إن إبراهيم خليل الله ليخر جاثيا لركبتيه، يقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي فأطرق عمر مليا ثم أفاق , قال: قلت:

---

(٢٠٠) انظر: تفسير الطبري:٣٠٨/١٧.
(٢٠١) أخرجه الطبري:٣٠٨/١٧.
(٢٠٢) صفوة التفاسير:١٣٣/٢.
(٢٠٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٣/١.
(٢٠٤) صفوة التفاسير:١٣٣/٢.
(٢٠٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٣/١.
(٢٠٦) صفوة التفاسير:١٣٣/٢.
(٢٠٧) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.
(٢٠٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٤/١.

يا أمير المؤمنين أليس هذا في كتاب الله؟ قال: كيف؟ قال: قلت: {يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها} [النحل: ١١١]"[٢٠٩].

القرآن

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)} [النحل : ١١٢]

التفسير:

وضرب الله مثلا بلدة «مكة» كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان مِن ضيق العيش، يأتيها رزقها هنيئًا سهلا من كل جهة، فجحد أهلُها نِعَمَ الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له، فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوشه، التي كانت تخيفهم; وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل.

قوله تعالى:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} [النحل : ١١٢]، أي:" وضرب الله مثلا بلدة «مكة» كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان مِن ضيق العيش، يأتيها رزقها هنيئًا سهلا من كل جهة، فجحد أهلُها نِعَمَ الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له"[٢١٠].

وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً، قولان :

أحدهما : أنها «مكة»، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون كالبوادي، {فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوْف}، وسماه لباساً، لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس ، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم ، والقِد أديم يؤكل ، قاله مجاهد[٢١١]، وقتادة[٢١٢]، وعطية[٢١٣].

قال قتادة:" ذكر لنا أنها مكة"[٢١٤].

عن عطية: {وضرب الله مثلا قرية}، قال: "هي مكة، ألا ترى أنه قال: {ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه}"[٢١٥].

الثاني : أنها «المدينة»، آمنت برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها من الفتن ، به قال ابن شهاب[٢١٦].

قوله تعالى:{فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل : ١١٢]، أي:" فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوشه، التي كانت تخيفهم، وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل"[٢١٧].

قال قتادة: "فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل"[٢١٨].

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)} [النحل : ١١٣]

التفسير:

ولقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولا منهم، هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فلم يقبلوا ما جاءهم به، ولم يصدقوه، فأخذهم العذاب من الشدائد والجوع والخوف، وقَتْل عظمائهم في «بدر» وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك بالله، والصدِّ عن سبيله.

---

(٢٠٩) تفسير عبدالرزاق(١٥٢٥):ص٢/٢٨٠، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٧١):ص٧/٢٣٠٥.
(٢١٠) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢١١) انظر: تفسير الطبري:١٧/٣١٠.
(٢١٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/٣١٠.
(٢١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٧٢):ص٧/٢٣٠٥.
(٢١٤) أخره الطبري: ١٧/٣١٠.
(٢١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٧٢):ص٧/٢٣٠٥.
(٢١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٧٥):ص٧/٢٣٠٥.
(٢١٧) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٧٣):ص٧/٢٣٠٥.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ} [النحل : ١١٣]، أي:" ولقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولا منهم، هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فلم يقبلوا ما جاءهم به، ولم يصدقوه"(٢١٩).

عن قتادة :{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ}، إي والله، يعرفون نسبه وأمره"(٢٢٠).

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [النحل : ١١٣]، أي:" فأصابتهم الشدائد والنكبات وهم ظالمون بارتكاب المعاصي والآثام"(٢٢١).

قال قتادة : فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل"(٢٢٢).

القرآن

{فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)} [النحل : ١١٤]

التفسير:

فكلوا -أيها المؤمنون- مما رزقكم الله، وجعله لكم حلالا مستطابًا، واشكروا نعمة الله عليكم بالاعتراف بها وصَرْفها في طاعة الله، إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا} [النحل : ١١٤]، أي:" فكلوا -أيها المؤمنون- مما رزقكم الله، وجعله لكم حلالا مستطابًا"(٢٢٣).

قال الحسن:" أما إنه لم يذكر أحمركم وأصفركم ولكنه قال: تنتهون إلى حلاله"(٢٢٤).

قوله تعالى:{وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل : ١١٤]، أي:" واشكروا نعمة الله عليكم بالاعتراف بها وصَرْفها في طاعة الله، إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له"(٢٢٥).

قال قتادة:" كرامة أكرمكم الله بها فاشكروا لله نعمته"(٢٢٦).

القرآن

{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)} [النحل : ١١٥]

التفسير:

إنما حرَّم الله عليكم الميتة من الحيوان، والدم المسفوح من الذبيح عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، لكن مَن ألجأته ضرورة الخوف من الموت إلى أكْل شيء مِن هذه المحرمات وهو غير ظالم، ولا متجاوزٍ حدَّ الضرورة، فإن الله غفور له، رحيم به، لا يعاقبه على ما فعل.

قوله تعالى:{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} [النحل : ١١٥]، أي:" إنما حرَّم الله عليكم الميتة من الحيوان، والدم المسفوح من الذبيح عند ذبحه، ولحم الخنزير"(٢٢٧).

قال الحسن:" نعم، حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير"(٢٢٨).

قوله تعالى:{وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [النحل : ١١٥]، أي:" وما ذبح لغير الله"(٢٢٩).

وفي تفسير قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [النحل : ١١٥]، وجهان:

أحدهما: أنه يعني: ما ذبح لغير الله. وهذا قول قتادة(٢٣٠)، ومجاهد(٢٣١)، والضحاك(٢٣٢)، وعطاء(٢٣٣).

---

(٢١٩) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٢٠) أخرجه الطبري:٣١٢/١٧.
(٢٢١) صفوة التفاسير:١٣٥/٢.
(٢٢٢) أخرجه الطبري:٣١٢/١٧.
(٢٢٣) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥١٥):ص٢٨٢/١.
(٢٢٥) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥١٦):ص٢٨٢/١.
(٢٢٧) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥١٧): ص٢٨٢/١-٢٨٣.
(٢٢٩) التفسير الميسر:٢٨٠.

والثاني: معناه: ما ذكر عليه غير اسم الله. وهذا قول الربيع بن أنس[٢٣٤]، وعقبة بن مسلم التُّجيبي[٢٣٥]، وقيس بن رافع الأشجعي[٢٣٦].

قوله تعالى:{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٥]، أي:" لكن مَن ألجأته ضرورة الخوف من الموت إلى أكْل شيء مِن هذه المحرمات وهو غير ظالم، ولا متجاوزٍ حدَّ الضرورة، فإن الله غفور له، رحيم به، لا يعاقبه على ما فعل"[٢٣٧].

عن مجاهد: "{فمن اضطر غير باغ ولا عاد}: قاطعا للسبيل أو مفارقا للأئمة، أو خارجا في معصية الله، فله الرخصة. ومن خرج باغيا أو عاديا أو في معصية الله، فلا رخصة له وإن اضطر إليه"[٢٣٨].

قال مجاهد:" الباغ: الباغي على الأئمة"[٢٣٩].

قال مجاهد:" العاد: المخيف للسبيل"[٢٤٠]. وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك[٢٤١].

عن سعيد بن جبير: {غير باغ}، يعني: غير مستحل"[٢٤٢].

عن سعيد بن جبير:" {فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد}، قال: الذي يقطع الطريق، فلا رخصة له إذا جاع، أن يأكل الميتة وإذا عطش أن يشرب خمرا"[٢٤٣].

قال السدي:" أما باغ: فيبغي فيه بشهوته"[٢٤٤]، "أما العاد: فيعتدي في أكله، فيأكل حتى يشبع، ولكن يأكل قوتا ما يمسك به نفسه حتى يبلغ حاجته"[٢٤٥].

عن عطاء:" {فمن اضطر غير باغ}، قال: لا يشوي من الميتة ليشتهيه، ولا يطبخه ولا يأكل إلا العلقة، ويحمل معه ما يبلغه الحلال فإذا بلغه ألقاه"[٢٤٦].

عن قتادة: "{فمن اضطر غير باغ ولا عاد} في أكله أن يتعدى حلالا إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة"[٢٤٧].

عن سعيد بن جبير: "{فلا إثم عليه} في أكله حين اضطر إليه"[٢٤٨].

قال قتادة:" وإن الإسلام دين يطهره الله من كلّ سوء، وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة إذا اضطررت إلى شيء من ذلك. قوله {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ}، غير باغ في أكله ولا عاد أن يتعدّى حلالا إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة"[٢٤٩].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن الله غفور}، يعني: أكل من الحرام،{رحيم}، يعني: رحيما به، إذ أحل له الحرام في الاضطرار"[٢٥٠].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٢٥١]، "{رحيما}، بعباده"[٢٥٢].

---

(٢٣٠) انظر: تفسير الطبري(٢٤٦٨):ص٣/٣٢٠.
(٢٣١) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٠):ص٣/٣٢٠.
(٢٣٢) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٢):ص٣/٣٢٠.
(٢٣٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٤):ص٣/٣٢٠.
(٢٣٤) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٥):ص٣/٣٢١.
(٢٣٥) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣/٣٢١.
(٢٣٦) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣/٣٢١.
(٢٣٧) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٣):ص١/٢٨٣.
(٢٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٢):ص١/٢٨٣.
(٢٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٨):ص١/٢٨٤.
(٢٤١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١/٢٨٤.
(٢٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٥):ص١/٢٨٤.
(٢٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٤):ص١/٢٨٤.
(٢٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦):ص١/٢٨٤.
(٢٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٩):ص١/٢٨٤.
(٢٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٧):ص١/٢٨٤.
(٢٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٠):ص١/٢٨٤-٢٨٥.
(٢٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣١):ص١/٢٨٥.
(٢٤٩) أخرجه الطبري:١٧/٣١٣.
(٢٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٢):ص١/٢٨٥.

عن عطاء بن دينار، قوله: "{غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"[٢٥٣].

القرآن

{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)} [النحل : ١١٦]

التفسير:

ولا تقولوا -أيها المشركون- للكذب الذي تصفه ألسنتكم: هذا حلال لِما حرَّمه الله، وهذا حرام لِما أحَلَّه الله; لتختلقوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه، إن الذين يختلقون على الله الكذب لا يفوزون بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} [النحل : ١١٦]، أي:" ولا تقولوا -أيها المشركون- للكذب الذي تصفه ألسنتكم: هذا حلال لِما حرَّمه الله، وهذا حرام لِما أحَلَّه الله، لتختلقوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه "[٢٥٤].

قال مجاهد:" هي البحيرة والسائبة"[٢٥٥].

عن أبي نضرة قال: "قرأت هذه الآية في "سورة النحل": {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام} ... إلى آخر الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا"[٢٥٦].

القرآن

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)} [النحل : ١١٧]

التفسير:

متاعهم في الدنيا متاع زائل ضئيل، ولهم في الآخرة عذاب موجع.

قوله تعالى:{مَتَاعٌ قَلِيلٌ} [النحل : ١١٧]، أي:" متاعهم في الدنيا متاع زائل ضئيل"[٢٥٧].

عن الأعمش:" {فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل}، قال: كزاد الراعي"[٢٥٨].

عن قتادة: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله"[٢٥٩].

عن هشام بن حسان، قال: سمعت الحسن يقول: "متاع الدنيا قليل، قال: رحم الله عبدا صاحبها على ذلك"[٢٦٠].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل : ١١٧]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب موجع"[٢٦١].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢٦٢]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢٦٣].

القرآن

---

(٢٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.
(٢٥٢)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(٢٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.
(٢٥٤) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٧٧):ص٢٣٠٦/٧
(٢٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٧٨):ص٢٣٠٦/٧
(٢٥٧) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣١):ص١٧٩٨/٦.
(٢٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٩٤٠/٦.
(٢٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٧٧):ص١٩٦٨/٦.
(٢٦١) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٦٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)} [النحل : ١١٨]

التفسير:

وعلى اليهود حَرَّمنا ما أخبرناك به -أيها الرسول- مِن قبل، وهو كل ذي ظُفُر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حَمَلَتْه ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطًا بعظم، وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم.

قوله تعالى:{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} [النحل : ١١٨]، أي:" وعلى اليهود حَرَّمنا ما أخبرناك به -أيها الرسول- مِن قبل، وهو كل ذي ظُفُر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حَمَلَتْه ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطًا بعظم"[٢٦٤].

قال قتادة:" ما قص الله ذكره في سورة الأنعام، حيث يقول: {وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر} ... إلى قوله: {وإنا لصادقون}"[٢٦٥].

عن الحسن، في قوله: "{وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل}، قال: في سورة الأنعام"[٢٦٦]. وروي عن عكرمة مثله[٢٦٧].

قوله تعالى:{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل : ١١٨]، أي:" وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم"[٢٦٨].

عن الحسن: {كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، قال: "ينقصون"[٢٦٩].

عن الحسن قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما أحد أحب إليه المدح من الله، ولا أكثر معاذير من الله عذب قوما بذنوبهم اعتذر إلى المؤمنين، قال: {وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}"[٢٧٠].

القرآن

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩)} [النحل : ١١٩]

التفسير:

ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالمًا بالتحريم-، ثم رجعوا إلى الله عمَّا كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك -مِن بعد توبتهم وإصلاحهم- لَغفور لهم، رحيم بهم.

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} [النحل : ١١٩]، أي:" ثم إن ربك يا محمد للذين ارتكبوا تلك القبائح بجهلٍ وسفه"[٢٧١].

قال السدي:" يعني: الشرك"[٢٧٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا} [النحل : ١١٩]، أي:" ثم رجعوا إلى ربهم وأنابوا وأصلحوا العمل بعد ذلك الزلل"[٢٧٣].

قال قتادة:" أصلحوا ما بينهم وبين الله ورسوله"[٢٧٤].

قال سعيد بن جبير:" وأصلح، يعني: وأصلح العمل"[٢٧٥].

---

(٢٦٤) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٧٩):ص٢٣٠٦/٧.
(٢٦٦) أخرجه الطبري: ٣١٥/١٧.
(٢٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٣١٥/١٧.
(٢٦٨) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢٦٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢/١.
(٢٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٠٥):ص١٥٩٣/٥.
(٢٧١) صفوة التفاسير:١٣٦/٢.
(٢٧٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٧/١.
(٢٧٣) صفوة التفاسير:١٣٦/٢.
(٢٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦١٦٠):ص١٠٩٩/٤.
(٢٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦١٥٩):ص١٠٩٩/٤.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٩]، أي:" إن ربك -مِن بعد توبتهم وإصلاحهم- لغفور لهم، رحيم بهم"[٢٧٦].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٢٧٧]، "{رحيما}، بعباده"[٢٧٨].

عن عطاء بن دينار، قوله: "{غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"[٢٧٩].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"[٢٨٠].

القرآن

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)} [النحل : ١٢٠]

التفسير:

إن إبراهيم كان إمامًا في الخير، وكان طائعا خاضعًا لله، لا يميل عن دين الإسلام موحِّدًا لله غير مشرك به.

قوله تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل : ١٢٠]، أي:" إن إبراهيم كان إمامًا في الخير"[٢٨١].

عن مجاهد :"{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}، على حدة"[٢٨٢].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل : ١٢٠]، وجهان:

أحدهما : يُعلِّم الناس الخير، قاله إبراهيم النخعي[٢٨٣]، قال كعب بن زهير[٢٨٤]:

وَأَكْرَمَهُ الأَكْفَاءُ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ ... كِرَامٍ، فَإِنْ كَذَّبْتَنِي، فَاسْأَلِ الأُمَمْ

يعني: العلماء.

الثاني : أمة يقتدى به، قاله الضحاك[٢٨٥]. وسمي «أمة»، لقيام الأمة به[٢٨٦].

قال السدي: "يعني: كان إماما يقتدى به في الخير"[٢٨٧].

وقال مجاهد:" كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا"[٢٨٨].

قوله تعالى:{قَانِتًا لِلَّهِ} [النحل : ١٢٠]، أي:" وكان طائعا خاضعًا لله"[٢٨٩].

وفي قوله تعالى:{قَانِتًا لِلَّهِ} [النحل : ١٢٠]، أقوال:

عن سعيد بن جبير[٢٩٠]، ومجاهد[٢٩١]، وقتادة[٢٩٢]، والشعبي[٢٩٣]، في قوله: {قَانِتًا لِلَّهِ}: قالوا: مطيعا".

---

(٢٧٦) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٢٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(٢٧٨)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٢٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.

(٢٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.

(٢٨١) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٢٨٢) أخرجه الطبري:٣١٨/١٧.

(٢٨٣) انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.

(٢٨٤)ديوانه: ٦٤، قصيدة جيدة، يرد فيها ما قاله فيه مزرد، أخو الشماخ، حين ذكر كعب الحطيئة في شعره وقدمه وقدم نفسه، فغضب مزرد وهجاه، فقال يفخر بأبيه ثم بنفسه، بعد البيت السالف في الجزء الأول في التفسير: فَإِنْ تَسْأَلِ الأَقْوَامَ عَنِّي، فَإِنَّنِي ... أَنَا ابْنُ أَبِي سُلْمَى عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

أَنَا ابنُ الَّذِي قَدْ عَاشَ تِسْعِينَ حِجَّةً ... فَلَمْ يَخْزَ يَوْمًا فِي مَعَدٍّ وَلَمْ يُلَمْ

وَأَكْرَمَهُ الأَكْفَاءُ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ ... كِرَامٍ، فَإِنْ كَذَّبْتَنِي، فَاسْأَلِ الأُمَمْ

أَتَى العُجْمَ. . . . .

(٢٨٥) انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.

(٢٨٦) انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.

(٢٨٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٧/١.

(٢٨٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٧/١.

(٢٨٩) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٢٩٠) انظر: تفسير الطبري:٣١٨/١٧.

(٢٩١) انظر: تفسير الطبري:٣١٨/١٧.

(٢٩٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٥١٢):ص٢٧٧/٢.

(٢٩٣) انظر: تفسير الطبري:٣١٦/١٧.

وقال قتادة:" مطيعًا تُتَّبع سُنَّته ومِلَّته"[٢٩٤].
قال مجاهد:" مطيعا لله في الدنيا"[٢٩٥].
قوله تعالى:{حَنِيفًا} [النحل : ١٢٠]، أي:" مائلاً عن كل دين باطل إلى دين الحق، دين الإسلام"[٢٩٦].
وفي قوله تعالى:{حَنِيفًا} [النحل : ١٢٠]، على أقوال:
واختلف أهل التفسير في «الحنيف»، على أقوال:
أحدها: معناه: حاجا، والحنيفية حج البيت. وهذا قول الحسن[٢٩٧]، ومجاهد[٢٩٨]، وعطية[٢٩٩]، وكثير بن زياد[٣٠٠]، وعبدالله بن قاسم[٣٠١]، والضحاك[٣٠٢]، والسدي[٣٠٣].
الثاني: متبعا، أي: اتباع الحق، قاله مجاهد[٣٠٤]، والربيع بن أنس[٣٠٥].
الثالث: مخلصا. قاله عطاء[٣٠٦]. و«الحنيف» على قولهم : المخلص دينه لله وحده[٣٠٧]، قاله السدي[٣٠٨]، وخصيف[٣٠٩].
الرابع : مستقيما. قاله محمد بن كعب[٣١٠]، وروي عن عيسى بن جارية[٣١١] مثله.
الخامس: مؤمنا بالرسل ككلهم من أولهم إلى آخرهم. قاله أبو قلابة[٣١٢].
السادس: أن الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات، والعمات، وما حرم الله عز وجل، والختان. وكانت حنيفة في الشرك: كانوا أهل الشرك، وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت، وينسكون المناسك. قاله قتادة[٣١٣].
وبالجملة فـ«الحنيف»: لقب لمن دان بالإسلام كسائر ألقاب الديانات، وأصله من إبراهيم عليه السلام[٣١٤].
قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل : ١٢٠]، أي:" موحِّدًا لله غير مشرك به"[٣١٥].
قال شَهْر بن حَوْشَب: "لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض وتخرج بركتها، إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده"[٣١٦].

القرآن
{شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)} [النحل : ١٢١]
التفسير:

---

(٢٩٤) أخرجه الطبري:٣١٨/١٧.
(٢٩٥) انظر: تفسير الطبري:٣١٨/١٧.
(٢٩٦) صفوة التفاسير:١٣٦/٢.
(٢٩٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢، وتفسير الطبري(٢٠٩١):ص١٠٤/٣.
(٢٩٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٤):ص١٠٦/٣.
(٢٩٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٢)، و(٢٠٩٣):ص١٠٤/٣-١٠٥.
(٣٠٠) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٥):ص١٠٦/٣.
(٣٠١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٨):ص١٠٦/٣.
(٣٠٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.
(٣٠٣)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.
(٣٠٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٩):ص١٠٦/٣، وابن أبي حاتم(١٢٩٢):ص٢٤١/١.
(٣٠٥)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩٢):ص٢٤١/١.
(٣٠٦) انظر: النكت والعيون:٤٥٤/٢.
(٣٠٧) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٣.
(٣٠٨) انظر: تفسير الطبري(٢١٠٠):ص١٠٧/٣.
(٣٠٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٥):ص٢٤٢/١.
(٣١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٣):ص٢٤٢/١.
(٣١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٤٢/١.
(٣١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤):ص٢٤٢/١.
(٣١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧):ص٢٤٢/١.
(٣١٤) مفاتيح الغيب: ٧١/٤.
(٣١٥) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣١٦) أخرجه الطبري:٣١٨/١٧.

وكان شاكرًا لنعم الله عليه، اختاره الله لرسالته، وأرشده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام.
قوله تعالى:{شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ} [النحل : ١٢١]، أي:" وكان شاكرًا لنعم الله عليه"[٣١٧].
قال الطبري:" يقول: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش"[٣١٨].
قال السعدي:" أي: آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها"[٣١٩].
قوله تعالى:{اجْتَبَاهُ} [النحل : ١٢١]، أي:" اختاره الله لرسالته"[٣٢٠].
عن مجاهد: {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ} [الأنعام : ٨٧]، قال: " أخلصناهم"[٣٢١].
قوله تعالى:{وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل : ١٢١]، أي:" وأرشده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام"[٣٢٢].
قال مجاهد:" يعني: الإسلام: الدين الحق"[٣٢٣].

القرآن

{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)} [النحل : ١٢٢]

التفسير:

وآتيناه في الدنيا نعمة حسنة من الثناء عليه في الآخِرين والقدوة به، والولد الصالح، وإنه عند الله في الآخرة لمن الصالحين أصحاب المنازل العالية.

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل : ١٢٢]، أي:" وآتيناه في الدنيا نعمة حسنة من الثناء عليه في الآخِرين والقدوة به، والولد الصالح"[٣٢٤].
وفي قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل : ١٢٢]، وجوه:
أحدها : أن «الحسنة»: النبوة ، قاله الحسن[٣٢٥].
الثاني : لسان صدق ، قاله مجاهد[٣٢٦].
الثالث : أن جميع أهل الأديان يتولونه ويرضونه، قاله قتادة[٣٢٧].
وكل ذلك أعطاه الله[٣٢٨].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [النحل : ١٢٢]، أي:" وإنه عند الله في الآخرة لمن الصالحين أصحاب المنازل العالية"[٣٢٩].
قال السدي:" في المنزلة عند الله"[٣٣٠].
وقال ابن مجاهد، عن أبيه: "لسان صدق"[٣٣١].

القرآن

---

(٣١٧) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣١٨) تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
(٣١٩) تفسير السعدي:٤٥١.
(٣٢٠) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣٢١) اخرجه الطبري(١٣٥١٦):ص٥١٣/١١.
(٣٢٢) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣٢٣) تفسير مجاهد: ٣٣٣.
(٣٢٤) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣٢٥) انظر: النكت والعيون: ٢١٩/٣.
(٣٢٦) انظر: تفسير الطبري:٣١٩/١٧.
(٣٢٧) انظر: تفسير الطبري:٣١٩/١٧.
(٣٢٨) تفسير القرطبي:١٩٨/١٠.
(٣٢٩) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣٣٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٨/١.
(٣٣١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٨/١.

{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)} [النحل : ١٢٤]

التفسير:

إنما جعل الله تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذي أُمِروا بتعظيمه. وإن ربك -أيها الرسول- ليحكم بين المختلفين يوم القيامة فيما اختلفوا فيه على نبيهم، ويجازي كلا بما يستحقه.

قوله تعالى:{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ} [النحل : ١٢٤]، أي:" إنما جعل الله تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذي أُمِروا بتعظيمه"(٣٣٢).

قال قتادة:" استحله بعضهم، وحرّمه بعضهم"(٣٣٣).

قال السدي:" إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا: يا موسى، إنه لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعل لنا السبت، فلما جعل عليهم السبت استحلوا فيه ما حرم عليهم"(٣٣٤).

قال مجاهد:" أراد الجمعة فأخذوا السبت مكانه"(٣٣٥). وفي لفظ:" اتبعوه وتركوا الجمعة"(٣٣٦).

قال قتادة:" أرادوا الجمعة فأخطئوا، فأخذوا السبت مكانه"(٣٣٧).

عن أبي مالك وسعيد بن جُبير :"{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ}، قال: باستحلالهم يوم السبت"(٣٣٨).

عن أبي مالك، وسعيد بن جبير، في قوله: {إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه}، قال: باستحلالهم إياه، رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل حطبا يوم السبت فضرب عنقه"(٣٣٩).

القرآن

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)} [النحل : ١٢٥]

التفسير:

ادعُ -أيها الرسول- أنت ومَن اتبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم، بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخاطِب الناس بالأسلوب المناسب لهم، وانصح لهم نصحًا حسنًا، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر، وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين. فما عليك إلا البلاغ، وقد بلَّغْتَ، أما هدايتهم فعلى الله وحده، فهو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين.

سبب النزول:

قال مجاهد:" لما انصرف المشركون عن قتلى أحد، انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه، ورأى حمزة: قد شق بطنه، واصطلم أنفه، وجدعت أذناه. فقال: لولا أن تحزن النساء أو تكون سنة بعدي، لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطير، لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم. ثم دعا ببردة فغطى بها وجهه فخرجت رجلاه، فجعل على رجليه شيئا من الإذخر، ثم قدمه وكبر عليه عشرا، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتلى سبعين. فلما دفنوا وفرغ منهم، نزلت هذه الآية: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} إلى قوله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ}(٣٤٠)، فصبر ولم يمثل بأحد"(٣٤١).[ضعيف]

---

(٣٣٢) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٣٣٣) أخرجه الطبري:٣٢٠/١٧.

(٣٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٨٦):ص٢٣٠٧/٧.

(٣٣٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٨٥):ص٢٣٠٧/٧، وتفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

(٣٣٦) انظر: تفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

(٣٣٧) انظر: تفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

(٣٣٨) أخرجه الطبري:٣٢٠/١٧.

(٣٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٨٧):ص٢٣٠٧/٧.

(٣٤٠)[النحل : ١٢٧].

قوله تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل : ١٢٥]، أي:" ادعُ -أيها الرسول- أنت ومَن اتبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم، بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخاطِب الناس بالأسلوب المناسب لهم، وانصح لهم نصحًا حسنًا، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر"[٣٤٢].

عن السدي: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ}، يعني: "إلى دين ربك"[٣٤٣].

قوله تعالى:{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل : ١٢٥]، أي:" وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين"[٣٤٤].

قال مجاهد:" أعرض عن أذاهم إياك"[٣٤٥].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل : ١٢٥]، أي:" إن ربك يا محمد هو العالم بحال الضالين وحال المهتدين"[٣٤٦].

القرآن

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)} [النحل : ١٢٦]

التفسير:

وإن أردتم -أيها المؤمنون- القصاص ممن اعتدوا عليكم، فلا تزيدوا عما فعلوه بكم، ولئن صبرتم لهو خير لكم في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالأجر العظيم.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، قال: "أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة فرآه صريعا، فلم ير شيئا كان أوجع لقلبه منه، وقال: والله لأقتلن بك سبعين منهم. فنزلت: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نصبر يا رب"[٣٤٧].[ضعيف]

عن ابن عباس، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل حمزة ومثل به: لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم، فأنزل الله عز وجل: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نصبر يا رب"[٣٤٨].[منقطع]

قال عطاء بن يسار: "نزلت سورة النحل كلها بمكة، وهي مكية، إلا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أُحد، حيث قُتِل حمزة ومُثِّل به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَئِنْ ظَهَرْنا عَلَيْهِمْ لَنُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلا مِنْهُمْ»، فلما سمع المسلمون بذلك، قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلنّ بهم مُثْلة لم يمثّلها أحد من

---

(٣٤١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٢٩٠، ضعيف: إسماعيل بن عياش إذا حدث عن الشاميين حديثه مستقيم وإذا حدث عن الحجازيين والعراقيين خلط ما شئت، وفي هذا الحديث يروي عن عبد الملك وهو من أصبهان فتكون الرواية ضعيفة، وهناك علة ثانية في هذا الحديث وهي: الحكم بن عتيبة: قال الحافظ في التقريب (١/ ١٩٢) ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس.
والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٧) وابن سعد (٣/ ١/ ٧) من طريق مقسم عن ابن عباس وليس عندهما سبب النزول، وأخرجه الدارقطني (٤/ ١١٦) وابن سعد (٣/ ١/ ٨) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٣٦٩) من حديث أنس وليس عندهم سبب النزول..

(٣٤٢) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٣٤٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٩٩/١.

(٣٤٤) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٣٤٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٨٨):ص٢٣٠٧/٧.

(٣٤٦) صفوة التفاسير:١٣٧/٢.

(٣٤٧) اخرجه الواحدي في اسباب النزول: ٢٩٠-٢٩١، الحديث في إسناده صالح بن بشير المري قال الحافظ في التقريب: ضعيف [تقريب ١/ ٣٥٨] .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧) وسكت عليه وقال الذهبي: صالح واه.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١١٩) وقال: رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المزني وهو ضعيف.
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ١٣٥) لابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣٤٨) اخرجه الواحدي في أسباب النزول:٢٩١. في إسناده ثلاثة علل: منقطع: الحكم لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث وعدها يحيى القطان وهذا ليس فيها [تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٣] الحماني متهم بسرقة الحديث [تقريب ٢/ ٣٥٢] .
قيس بن الربيع: صدق تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.
وعزاه في الدر (٤/ ١٣٥) لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

العرب بأحد قطُّ فأنزل الله :{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ... إلى آخر السورة""[٣٤٩].

قال عامر:"أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد: لئن ظهرنا عليهم لنفعلنّ ولنفعلنّ، فأنزل الله تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، قالوا: بل نصبر"[٣٥٠].

ووفي رواية أخرى قال عامر:" لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد، من تبقير البطون، وقطع المذاكير، والمُثلة السيئة، قالوا: لئن أظفرنا الله بهم، لنفعلنّ ولنفعلنّ، فأنزل الله فيهم {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ}"[٣٥١].

وقال ابن زيد:" كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين فأسلم رجال ذو منعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب. فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد"[٣٥٢].

قوله تعالى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل : ١٢٦]، أي:" وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم فعاملوه بالمثل ولا تزيدوا"[٣٥٣].

قال مجاهد:" لا تعتدوا"[٣٥٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل : ١٢٦]، وجهان:

أحدهما : أنها نزلت في قتلى أحُد حين مثلت بهم قريش. قاله عامر[٣٥٥]، وقتادة[٣٥٦]، وعطاء بن يسار[٣٥٧]، وابن جريج[٣٥٨].

الثاني : أنها نزلت في كل مظلوم ان يقتص من ظالمه ، قاله إبراهيم[٣٥٩]، وابن سيرين[٣٦٠]، ومجاهد[٣٦١].

قال ابن سيرين:" إن أخذ منك رجل شيئا فخذ منه مثله"[٣٦٢].

قوله تعالى:{وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل : ١٢٦]، أي:" ولئن عفوتم وتركتم القصاص فهو خير لكم وأفضل"[٣٦٣].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بل نصبر"[٣٦٤].

وللمفسرين في حكم هذه الآية، قولان:

أحدهما: أنها نزلت قبل «براءة»، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد. قاله الضحاك[٣٦٥].

الثاني: أنها محكمة، وأنها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظلم منه. قاله عامر الشعبي[٣٦٦]، وإبراهيم النخعي[٣٦٧]، وابن سيرين[٣٦٨].

---

(٣٤٩) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٥٠) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٥١) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٩٠):ص٢٣٠٧/٧.
(٣٥٣) صفوة التفاسير:١٣٧/٢.
(٣٥٤) أخرجه الطبري:٣٢٥/١٧.
(٣٥٥) انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٥٦) انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٥٧) انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٥٨) انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٥٩) انظر: تفسير الطبري::٣٢٤/١٧.
(٣٦٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩٢):ص٢٣٠٨/٧.
(٣٦١) انظر: تفسير الطبري:٣٢٥/١٧.
(٣٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩٢):ص٢٣٠٨/٧.
(٣٦٣) صفوة التفاسير:١٣٧/٢.
(٣٦٤)أخرجه الطبري: ٣٢٧/١٧ .
(٣٦٥) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٩٦/٢ .
(٣٦٦) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.
(٣٦٧) انظر: تفسير الطبري::٣٢٤/١٧.
(٣٦٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩٢):ص٢٣٠٨/٧.

وروي عن مجاهد، "{وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم} يقول: لا تعتدوا يعني: محمدا وأصحابه"[٣٦٩].

وعلى هذا القول يكون المعنى: ولئن صبرتم على المثلة لا عن القتال. وهذا أصح من القول الأول[٣٧٠].

القرآن

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)} [النحل : ١٢٧]

التفسير:

واصبر -أيها الرسول- على ما أصابك مِن أذى في الله حتى يأتيك الفرج، وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك، ولا تحزن على مَن خالفك ولم يستجب لدعوتك، ولا تغتم مِن مكرهم وكيدهم; فإن ذلك عائد عليهم بالشر والوبال.

قوله تعالى:{وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل : ١٢٧]، أي:" ولا يضقْ صدرك بما يقولون من السَّفه والجهل، ولا بما يدبرون من المكر والكيد"[٣٧١].

عن السدي: "{ولا تكن في ضيق مما يمكرون}، يقول: في شك"[٣٧٢].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)} [النحل : ١٢٨]

التفسير:

إن الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره مع الذين اتقوه بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى، ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا} [النحل : ١٢٨]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره مع الذين اتقوه بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى"[٣٧٣].

قال الحسن:" اتقوا فيما حرم الله عليهم"[٣٧٤].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل : ١٢٨]، أي:" ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته"[٣٧٥].

قال الحسن:"وأحسنوا فيما افترض عليهم"[٣٧٦].

قال محمد بن حاطب: "كان عثمان -رضي الله عنه- من الذين آمنوا، والذين اتقوا، والذين هم محسنون"[٣٧٧].

قال قتادة:" ذكر لنا أن هَرِم بن حَيان العَبْدِي لما حضره الموت، قيل له: أوص، قال: ما أدري ما أُوصي، ولكن بيعوا درعي، فاقضوا عني ديني، فإن لم تف، فبيعوا فرسي، فإن لم يف فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل :{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بَلْ نَصْبِرُ"[٣٧٨].

«آخر تفسير سورة (النحل)، والحمد لله وحده»

---

(٣٦٩) نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٩٧/٢.
(٣٧٠) نواسخ القرآن:٤٩٧/٢.
(٣٧١) صفوة التفاسير:١٣٧/٢.
(٣٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٧):ص٢٩١٧/٩.
(٣٧٣) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣٧٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩١):ص٢٣٠٨/٧.
(٣٧٥) التفسير الميسر: ٢٨١.
(٣٧٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩١):ص٢٣٠٨/٧.
(٣٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٨٩):ص٢٣٠٧/٧.
(٣٧٨) .أخرجه الطبري: ٣٢٧/١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « الإسراء»

سورة «الإسراء»: هي السورة «السابعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «القصص»[٣٧٩]، وعدد آياتها: (١١١) مائة وإحدى عشرة، وقيل: (١١٠) مائة وعشرة، وكلماتها: (١٥٦٣) ألف وخمسمائة وثلاث وستون، وحروفها: (٦٤٦٠) ستة آلاف وأربعمائة وستون[٣٨٠].

والمختلف فيها آية واحدة: {لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧].

وفواصل آياتها «ألف» إلا الآية الأولى[٣٨١]، فإنها «راء»[٣٨٢].

▪مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٣٨٣]، وبه قال يحيى بن سلام[٣٨٤]، والماتريدي[٣٨٥]، وأبو الليث السمرقندي[٣٨٦]، وابن أبي زمنين[٣٨٧]، والثعلبي[٣٨٨]، ومكي بن ابي طالب[٣٨٩]، والواحدي[٣٩٠]، والبغوي[٣٩١]، وابن كثير[٣٩٢]، والسيوطي[٣٩٣].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية باتفاق"[٣٩٤].

قال ابن الجوزي: "هي مكية في قول الجماعة"[٣٩٥].

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ} [الإسراء: ٧٦]، نزلت حين جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ثقيف وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء، وقوله: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ} [الإسراء: ٨٠]، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]. قاله ابن عطية[٣٩٦]، والقرطبي[٣٩٧].

الثالث: أنها مكية إلا خمس آيات نزلت بالمدينة: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي} [الإسراء: ٣٣]، {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء: ٣٢]، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} [الإسراء: ٥٧]، {أَقِمِ الصَّلَاةَ} [الإسراء: ٧٨]، {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى} [الإسراء: ٢٦]. قاله الحسن[٣٩٨].

الرابع: أنها مكية إلا ثمان آيات: من قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء : ٧٣]، إلى قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠]. قاله ابن عباس أيضا[٣٩٩]، وقتادة[٤٠٠].

---

(٣٧٩) انظر: الكشاف: ٦٤٦/٢، ومفاتيح الغيب:٢٩١/٢٠

(٣٨٠)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٨٨.

(٣٨١) وهي قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١].

(٣٨٢) انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.

(٣٨٣) أورده السيوطي في الدر المنثرو:١٨١/٥، وعزاه للنحاس وابن مردويه.

(٣٨٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٠١/١.

(٣٨٥) انظر: تأويلات أهل السنة:٣/٧.

(٣٨٦) انظر: بحر العلوم:٢٩٩/٢.

(٣٨٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٥/٣.

(٣٨٨) انظر: الكشف والبيان:٥٤/٦.

(٣٨٩) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤١٢١/٦.

(٣٩٠) انظر: التفسير الوسيط:٩٣/٣.

(٣٩١) انظر: تفسير البغوي:٥٥/٥.

(٣٩٢) انظر: تفسير ابن كثير:٦١٧/٤.

(٣٩٣) انظر: الدر المنثور:١٨١/٥.

(٣٩٤) البصائر:٢٨٨/١.

(٣٩٥) زاد المسير:٧/٣.

(٣٩٦) انظر: المحرر الوجيز:٤٣٤/٣.

(٣٩٧) انظر: تفسير القرطبي:٢٠٣/١٠.

(٣٩٨) حكاه عنه عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر:٣،١٠٨٥، والألوسي في روح المعاني: ٢/١٥.

(٣٩٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧/٣.

الخامس: أنها مكية كلها إلا تسع آيات فمدنيات، وهن:«٦٠[٤٠١]، ٧١[٤٠٢]، ٧٣[٤٠٣]، ٧٤[٤٠٤]، ٧٥[٤٠٥]، ٨٠[٤٠٦]، ١٠٧[٤٠٧]، ١٠٨[٤٠٨]، ١٠٩[٤٠٩]». قاله مقاتل[٤١٠].
السادس: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، فمدنيات، وهن: «٢٦[٤١١]، ٣٢[٤١٢]، ٣٣[٤١٣]، ٥٧[٤١٤]، ومن آية (٧٣) إلى غاية آية (٨٠)[٤١٥]». قاله الزمخشري[٤١٦]، والفخر الرازي[٤١٧]، وابن جزي الكلبي[٤١٨].

---

(٤٠٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧/٣.
(٤٠١){وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠].
(٤٠٢){وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٦].
(٤٠٣){وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣)} [الإسراء : ٧٣].
(٤٠٤){وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)} [الإسراء : ٧٤].
(٤٠٥){إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)} [الإسراء : ٧٥].
(٤٠٦){وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٨٠].
(٤٠٧){قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)} [الإسراء : ١٠٧].
(٤٠٨){وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)} [الإسراء : ١٠٨].
(٤٠٩){وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)} [الإسراء : ١٠٩].
(٤١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥١٢/٢.
(٤١١){وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)} [الإسراء : ٢٦].
(٤١٢){وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} [الإسراء : ٣٢].
(٤١٣){وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)} [الإسراء : ٣٣].
(٤١٤){أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)} [الإسراء : ٥٧].
(٤١٥){وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٧٣ - ٨٠].
(٤١٦) انظر: الكشاف:٦٤٦/٢.
(٤١٧) انظر: مفاتيح الغيب:٢٩١/٢٠.
(٤١٨) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٤٤٠/١.

القرآن

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)} [الإسراء : ١]

التفسير:

يمجِّد الله نفسه ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فهو الذي أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم زمنًا من الليل بجسده وروحه، يقظة لا منامًا، من المسجد الحرام بـ «مكة» إلى المسجد الأقصى بـ «بيت المقدس» الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلا لكثير من الأنبياء؛ ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته. إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصَر، فيعطي كُلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} [الإسراء : ١]، أي:" تنزَّه وتقدَّس عما لا يليق بجلاله، اللهُ العليُّ الشأن، الذي انتقل بعبده ونبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جزءٍ من الليل"(٤١٩).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٤٢٠).

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"(٤٢١).

قوله تعالى:{مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الإسراء : ١]، أي:" من مكة المكرمة إلى بيت المقدس"(٤٢٢).

عن سعيد بن جبير(٤٢٣)، ومجاهد(٤٢٤)، قالا:" الحرم كله مسجد"(٤٢٥)..

ثم اختلفوا في كيفية اسرائه على قولين :

أحدهما : أنه أسريَ بجسمه وروحه، روى ذلك ابن المسيب(٤٢٦)، وأبو سلمة بن عبد الرحمن(٤٢٧).

عن ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسري به على البراق، وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام، يقع حافرها موضع طرفها، قال: فمرت بعير من عيرات قريش بواد من تلك الأودية، فنفرت العير، وفيها بعير عليه غرارتان: سوداء، وزرقاء، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيلياء فأتى بقدحين: قدح خمر، وقدح لبن، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن، فقال له جبرائيل: هديت إلى الفطرة، لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك. قال ابن شهاب: فأخبرني ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي هناك إبراهيم موسى وعيسى، فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "فأما موسى فضرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، وأما عيسى فرجل أحمر كأنما خرج من ديماس، فأشبه من رأيت به عروة بن مسعود الثقفي؛ وأما إبراهيم فأنا أشبه ولده به؛ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدث قريشا أنه أسري به. قال عبد الله: فارتد ناس كثير بعد ما أسلموا، قال أبو سلمة: فأتى أبو بكر الصديق، فقيل له: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة، قال أبو بكر: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أفتشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة؟ قال: إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لما كذبتني قريش قمت فمثل الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه""(٤٢٨).

---

(٤١٩) صفوة التفاسير:١٤٠/٢.

(٤٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٤٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(٤٢٢) صفوة التفاسير:١٤٠/٢.

(٤٢٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠١٦):ص١٧٧٦/٦.

(٤٢٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٧٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد

(٤٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠١٥):ص١٧٧٦/٦.

(٤٢٦) انظر: تفسير الطبري:٣٣٥/١٧.

(٤٢٧) انظر: تفسير الطبري:٣٣٥/١٧.

(٤٢٨) أخرجه الطبري: ٣٣٥/١٧-٣٣٦.

عن قتادة، في قوله: "{سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}، أسري بنبي الله عشاء من مكة إلى بيت المقدس، فصلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فيه، فأراه الله من آياته وأمره بما شاء ليلة أسري به، ثم أصبح بمكة. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: حملت على دابة يقال لها البراق، فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فحدث نبي الله بذلك أهل مكة، فكذب به المشركون وأنكروه وقالوا: يا محمد تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، وأقبلت من ليلتك، ثم أصبحت عندنا بمكة، فما كنت تجيئنا به، وتأتي به قبل هذا اليوم مع هذا، فصدقه أبو بكر، فسمي أبو بكر الصديق من أجل ذلك"(٤٢٩).

عن عبد الله بن شداد، قال: "لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بدابة يقال لها البراق، دون البغل وفوق الحمار، تضع حافرها عند منتهى ظفرها؛ فلما أتى بيت المقدس أتي بإناءين: إناء من لبن، وإناء من خمر، فشرب اللبن. قال: فقال له جبرائيل: هديت وهديت أمتك"(٤٣٠).

القول الثاني : أن النبي صلى الله عليه السلام أسري بروحه ولم يسر بجسمه.

عن محمد بن إسحاق، قال: "ثني بعض آل أبي بكر، أن عائشة كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أسرى بروحه"(٤٣١)..

قال ابن إسحاق: "فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} ولقول الله في الخبر عن إبراهيم، إذ قال لابنه {يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى} ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحي يأتي بالأنبياء من الله أيقاظا ونياما، وكان رسول صلى الله عليه وسلم يقول: "تنام عيني وقلبي يقظان" فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله ما عاين على أي حالاته كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق"(٤٣٢).

قال الماوردي:" وكان الحسن يتأول قوله تعالى :{وما جَعَلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس} [الإسراء : ٦٠] أنها في المعراج ، لأن المشركين كذبوا ذلك وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه فوصفه لهم ، ثم ذكر لهم أنه رأى في طريقه قعباً مغطى مملوءاً ماء ، فشرب الماء ثم غطاه كما كان ، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعاً ، وأنها تقدُم يوم كذا مع طلوع الشمس ، يقدمها جمل أورق ؛ فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت ولم تأت ، وقال آخر : هذه والله العير يقدُمها جمل أورق كما قال محمد . وفي هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسرى بجسمه وروحه"(٤٣٣).

قوله تعالى:{الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء : ١]، أي:" الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلا لكثير من الأنبياء"(٤٣٤).

قال السدي:" أنبتنا حوله الشجر"(٤٣٥).

قوله تعالى:{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} [الإسراء : ١]، أي:" ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته"(٤٣٦).

عن قتادة، قوله :"{لنريه من آياتنا}، ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس"(٤٣٧).

وقرأ الحسن: «ليريه» بالياء، ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل: {أسرى} ثم {باركنا} ثم «ليريه»، على قراءة الحسن، ثم {من آياتنا}، ثم {إنه هو}، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة(٤٣٨).

---

(٤٢٩) أخرجه الطبري: ٣٤٨/١٧.
(٤٣٠) أخرجه الطبري: ٣٤٨/١٧.
(٤٣١) أخرجه الطبري:٣٥٠/١٧.
(٤٣٢) أخرجه الطبري:٣٥٠/١٧.
(٤٣٣) النكت والعيون:٢٢٦/٣.
(٤٣٤) التفسير الميسر:٢٨٢.
(٤٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٧٨):ص٢٣٠٩/٧.
(٤٣٦) التفسير الميسر:٢٨٢.
(٤٣٧) أخرجه الطبري:٣٥٢/١٧.
(٤٣٨) انظر: الكشاف:٦٤٨/٢.

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصَر، فيعطي كُلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة"(٤٣٩).

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون"(٤٤٠).

القرآن

{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢)} [الإسراء : ٢]

التفسير:

وكما كرَّم الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالإسراء، كَرَّم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بيانًا للحق وإرشادًا لبني إسرائيل، متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى وليًا أو معبودًا يفوضون إليه أمورهم.

قوله تعالى:{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الإسراء : ٢]، أي:" وكما كرَّم الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالإسراء، كَرَّم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، هداية لبني إسرائيل يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان"(٤٤١).

قال قتادة:" جعله الله لهم هدى، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله رحمة لهم"(٤٤٢).

قوله تعالى:{أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا} [الإسراء : ٢]، أي:" متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى وليًا أو معبودًا يفوضون إليه أمورهم"(٤٤٣).

قال مجاهد: "شريكا"(٤٤٤).

القرآن

{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)} [الإسراء : ٣]

التفسير:

يا سلالة الذين أنجيناهم وحَمَلْناهم مع نوح في السفينة لا تشركوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمه، مقتدين بنوح عليه السلام؛ إنه كان عبدًا شكورًا لله بقلبه ولسانه وجوارحه.

قوله تعالى:{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} [الإسراء : ٣]، أي:" يا سلالة الذين أنجيناهم وحَمَلْناهم مع نوح في السفينة لا تشركوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمه، مقتدين بنوح عليه السلام"(٤٤٥).

قال قتادة:" والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة، وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث؛ فأما سام: فأبو العرب؛ وأما حام: فأبو الحبش؛ وأما يافث: فأبو الروم"(٤٤٦).

عن مجاهد :"{ذرية من حملنا مع نوح}، من بني إسرائيل وغيرهم"(٤٤٧).

وقال مجاهد: "بنوه ونساؤهم ونوح، ولم تكن امرأته"(٤٤٨).

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]، أي:" إنه كان عبدًا شكورًا لله بقلبه ولسانه وجوارحه"(٤٤٩).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أنا سيد الناس يوم القيامة - بطوله ، وفيه - : فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدًا شكورًا ، اشفع لنا إلى ربك"(٤٥٠). وذكر الحديث بكماله.

---

(٤٣٩) التفسير الميسر:٢٨٢.
(٤٤٠) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.
(٤٤١) التفسير الميسر:٢٨٢.
(٤٤٢) أخرجه الطبري:٣٥٣/١٧.
(٤٤٣) التفسير الميسر:٢٨٢.
(٤٤٤) انظر: تفسير مجاهد:٤٢٨، وتفسير الطبري:٣٥٣/١٧.
(٤٤٥) التفسير الميسر:٢٨٢.
(٤٤٦) أخرجه الطبري:٣٥٣/١٧.
(٤٤٧) أخرجه الطبري:٣٥٤/١٧.
(٤٤٨) أخرجه الطبري:٣٥٣/١٧.
(٤٤٩) التفسير الميسر:٢٨٢.

قال مجاهد :" إنه لم يجدد ثوبا قط إلا حمد الله، ولم يبل ثوبا قط إلا حمد الله، وإذا شرب شربة حمد الله، قال: الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة، -قال الراوي-:وليس في تفسيرها، وإذا شرب شربة قال هذا، ولكن بلغني ذا"[٤٥١].

وقال قتادة:" كان إذا لبس ثوبا قال: الحمد لله، وإذا أخلقه قال: الحمد لله"[٤٥٢].

وقال قتادة:" وكان يأمر إذا استجد الرجل ثوبا أن يقول: الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به، وأواري به عورتي"[٤٥٣].

عن عمران بن سليم، قال: "إنما سمي نوح عبدا شكورا أنه كان إذا أكل الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أظمأني، وإذا لبس ثوبا قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني، وإذا لبس نعلا قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجة قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه، ولو شاء حبسه"[٤٥٤].

القرآن

{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤)} [الإسراء : ٤]

التفسير:

وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة التي أُنزلت عليهم بأنه لا بد أن يقع منهم إفساد مرتين في «بيت المقدس» وما والاه بالظلم، وقَتْل الأنبياء والتكبر والطغيان والعدوان.

قوله تعالى:{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} [الإسراء : ٤]، أي:" وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة التي أُنزلت عليهم"[٤٥٥].

وفي قوله تعالى:{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ}، وجوه:

أحدها: معناه: أنه قضاء مضى عليهم. قاله قتادة[٤٥٦].

قال قتادة:" قضاء قضاه على القوم كما تسمعون"[٤٥٧].

الثاني: معناه: اخبرناهم. قاله مجاهد[٤٥٨].

وقال الحسن: أعلمناه"[٤٥٩].

الثالث: معناه: حكمنا ، قاله قتادة[٤٦٠].

الرابع: معناه: كتبنا. قاله مجاهد-أيضا-[٤٦١].

قوله تعالى:{لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ} [الإسراء : ٤]، أي:" ليحصلنَّ منكم الإفساد في أرض فلسطين وما حولها مرتين"[٤٦٢].

قال السدي:" يعني: لتهلكن في الأرض مرتين"[٤٦٣].

قال عطية العوفي:" أفسدوا المرة الأولى فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم، وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام، فبعث الله عليهم بختنصر"[٤٦٤].

---

(٤٥٠)صحيح البخاري برقم (٤٧١٢).
(٤٥١) أخرجه الطبري:٣٥٤/١٧.
(٤٥٢) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٧.
(٤٥٣) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٧.
(٤٥٤) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٧.
(٤٥٥) التفسير الميسر:٢٨٢.
(٤٥٦) انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.
(٤٥٧) أخرجه الطبري:٣٥٦/١٧.
(٤٥٨) انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.
(٤٥٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١١٥/١.
(٤٦٠) انظر: النكت والعيون:٢٢٨/٣.
(٤٦١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١١٥/١.
(٤٦٢) صفوة التفاسير:١٤٠/٢.
(٤٦٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١١٥/١.
(٤٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٨٩):ص٢٣١٧/٧-٢٣١٨.

عن قتادة، في قوله تعالى: {لتفسدن في الأرض مرتين}، قال: " أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت حتى بعث طالوت، ومعه داود فقتله داود، ثم ردت الكرة لبني إسرائيل , ثم جاء وعد الآخرة من المرتين {ليسوءوا وجوهكم}، قال: " ليقبحوا وجوهكم {وليتبروا ما علوا تتبيرا} [الإسراء: ٧]، قال: «ليدمروا ما علوا تدميرا» , قال: «هو بختنصر بعث عليهم في المرة الآخرة» ثم قال: {عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا} [الإسراء: ٨]، «فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون»[٤٦٥].

قال ابن إسحاق: "كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل، وفي أحداثهم ما هم فاعلون بعده، فقال {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا} .... إلى قوله {وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا} فكانت بنو إسرائيل، وفيهم الأحداث والذنوب، وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم، متعطفا عليهم محسنا إليهم، فكان مما أنزل بهم في ذنوبهم ما كان قدم إليهم في الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم في ذنوبهم، فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع، أن ملكا منهم كان يدعى صديقة، وكان الله إذا ملك الملك عليهم، بعث نبيا يسدده ويرشده، ويكون فيما بينه وبين الله، ويحدث إليه في أمرهم، لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها، وينهونهم عن المعصية، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة؛ فلما ملك ذلك الملك، بعث الله معه شعياء بن أمصيا[٤٦٦] وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء الذي بشر بعيسى ومحمد، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زمانا؛ فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث، وشعياء معه، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل، ومعه ست مئة ألف راية، فأقبل سائرا حتى نزل نحو بيت المقدس، والملك مريض في ساقه قرحة، فجاء النبي شعياء، فقال له: يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل، قد نزل بك هو وجنوده ست مئة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده، فقال له النبي عليه السلام: لم يأتني وحي أحدث إلي في شأنك، فبيناهم على ذلك، أوحى الله إلى شعياء النبي: أن ائت ملك بني إسرائيل، فمره أن يوصي وصيته، ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته. فأتى النبي شيعاء ملك بني إسرائيل صديقة، فقال له: إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك، فإنك ميت؛ فلما قال ذلك شعياء لصديقة، أقبل على القبلة، فصلى وسبح ودعا وبكى، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص وتوكل وصبر وصدق وظن صادق، اللهم رب الأرباب، وإله الآلهة، قدوس المتقدسين، يا رحمن يا رحيم، المترحم الرءوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك، فأنت أعلم به من نفسي؛ سري وعلانيتي لك، وإن الرحمن استجاب له وكان عبدا صالحا، فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه، وقد رأى بكاءه، وقد أخر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأتى شعياء النبي إلى ذلك الملك فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع، وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدا وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت، أنت الذي تعطي الملك من تشاء، وتنزعه ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، أنت الذي أحببت دعوتي ورحمت تضرعي؛ فلما رفع رأسه، أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده بالتينة، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، ويصبح وقد برأ، ففعل ذلك فشفي، وقال الملك لشعياء النبي: سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا، قال: فقال الله لشعياء النبي: قل له: إني قد كفيتك عدوك، وأنجيتك منه، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه؛ فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم، فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا؛ فلما خرج الملك التمس سنحاريب، فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه، أحدهم بختنصر، فجعلوهم في الجوامع، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل؛ فلما رآهم خر ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل

---

(٤٦٥) تفسير عبدالرزاق(١٥٣٨):ص٢/٢٩٠.

(٤٦٦)اسمه في الكتاب المقدس: إشعياء بن آموص. وانظر خبر النبي شعياء في تاريخ الطبري (٢ قسم أول ٦٣٩) طبعة أوربة.

ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب له: قد أتاني خبر ربكم، ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشدا، ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي، فقال ملك بني إسرائيل: الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء، إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شر لك، لتزدادوا شقوة في الدنيا، وعذابا في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا، ولتنذروا من بعدكم، ولولا ذلك ما أبقاكم، فلدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته، ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه، فقذف في رقابهم الجوامع، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا، وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما يفعل بنا، فافعل ما أمرت، فنقل بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعياء النبي أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم؛ فبلغ النبي شعياء الملك ذلك، ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم، ووحي الله إلى نبيهم، فلم تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات"[٤٦٧].

وفيمن قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان :

قوله تعالى:{وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء : ٤]، أي:" تطغون في الأرض المقدسة طغياناً كبيراً بالظلمِ والعدوان وانتهاك محارم الله"[٤٦٨].

قال مجاهد:" ولتعلن الناس علوا كبيرا"[٤٦٩].

القرآن

{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥)} [الإسراء : ٥]

التفسير:

فإذا وقع منهم الإفساد الأول سَلَّطنا عليهم عبادًا لنا ذوي شجاعة وقوة شديدة، يغلبونكم ويقتلونكم ويشردونكم، فطافوا بين ديارهم مفسدين، وكان ذلك وعدًا لا بدَّ مِن وقوعه؛ لوجود سببه منهم.

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} [الإسراء : ٥]، أي:" فإذا وقع منهم الإفساد الأول سَلَّطنا عليهم عبادًا لنا ذوي شجاعة وقوة شديدة"[٤٧٠].

عن الحسن:" {بَعَثْنَا}، قال:" خلينا بينكم وبينهم خذلاناً لكم بظلمكم"[٤٧١].

وفي المبعوث عليهم في هذه المرة الأولى خمسة أقوال :

أحدها : جالوت وكان ملكهم طالوت إلى أن قتله داود عليه السلام ، قاله قتادة[٤٧٢].

قال قتادة:" فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري، فسبى وقتل، وجاسوا خلال الديار كما قال الله، ثم رجع القوم على دخن فيهم"[٤٧٣].

وقال قتادة:" أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت، حتى بعث طالوت ومعه داود، فقتله داود"[٤٧٤].

الثاني : أنه بختنصر ، وهو قول سعيد بن المسيب[٤٧٥].

---

(٤٦٧) أخرجه الطبري:٣٥٨/١٧-٣٥٩.
(٤٦٨) صفوة التفاسير:١٤٠/٢-١٤١.
(٤٦٩) أخرجه الطبري:٣٦٥/١٧.
(٤٧٠) التفسير الميسر:١٤١/٢.
(٤٧١) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣.
(٤٧٢) انظر: تفسير الطبري:٣٦٦/١٧-٣٦٧.
(٤٧٣) اخرجه الطبري:٣٦٧/١٧.
(٤٧٤) اخرجه الطبري:٣٦٧/١٧.
(٤٧٥) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣.

الثالث : أنه سنحاريب ، قاله سعيد بن جبير[٤٧٦].

قال سعيد بن جبير:" بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرة الأولى سنحاريب من أهل أثور ونينوى، فسألت سعيدا عنها، فزعم أنها الموصل"[٤٧٧].

وقال سعيد بن جبير:" كان رجل من بني إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ {بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد}، بكى وفاضت عيناه، وطبق المصحف، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم قال: أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه، فأري في المنام مسكينا ببابل، يقال له بختنصر، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلا موسرا، فقيل له أين تريد؟ قال: أريد التجارة حتى نزل دارا ببابل، فاستكراها ليس فيها أحد غيره، فحمل يدعو المساكين ويلطف[٤٧٨] بهم حتى لم يبق أحد، فقال: هل بقي مسكين غيركم؟ قالوا: نعم، مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر، فقال لغلمته: انطلقوا، حتى أتاه، فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر، فقال لغلمته: احتملوه، فنقله إليه ومرضه حتى برأ، فكساه وأعطاه نفقة، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت، ولا أجد شيئا أجزيك، قال: بلى شيئا يسيرا، إن ملكت أطعتني، فجعل الآخر يتبعه ويقول: تستهزئ بي، ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله، إلا أنه يرى أنه يستهزئ به، فبكى الإسرائيلي وقال: ولقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك، إلا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه وكتب في كتابه وضرب الدهر من ضربه؛ فقال يوما صيحون، وهو ملك فارس ببابل: لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام؟ قالوا: وما ضرك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، فبعث رجلا وأعطاه مئة ألف، وخرج بختنصر في مطبخه، لم يخرج إلا ليأكل في مطبخه؛ فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا، فكسر ذلك في ذرعه، فلم يسأل[٤٧٩] قال: فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل، فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء، قالوا: لا نحسن القتال، قال: فلو أنكم غزوتم، قالوا: إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان؛ فرفع ذلك إليه، فدعاه فأخبره الخبر وقال: إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا، كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء، وإني لم أدع مجلسا بالشام إلا جالست أهله، فقلت لهم كذا وكذا، وقالوا لي كذا وكذا، الذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم، قال الطليعة لبختنصر: إنك فضحتني[٤٨٠] لك مئة ألف وتنزع عما قلت، قال: لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعت، ضرب الدهر من ضربه؛ فقال الملك: لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساغا ساغوا، وإلا انثنوا ما قدروا عليه، قالوا: ما ضرك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، قال: بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني، فدعا بختنصر وأرسله، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا، ومات صيحون الملك[٤٨١] قالوا: استخلفوا رجلا قالوا: على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم، لن ينقضوا عليكم شيئا، أمهلوا؛ فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه، فقسمه في الناس، فقالوا: ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا، فملكوه"[٤٨٢].
فملكوه"[٤٨٢].

الرابع : أنهم العمالقة وكانوا كفاراً ، قاله الحسن[٤٨٣].

الخامس : أنهم كانوا قوماً من أهل فارس يتجسسون أخبارهم ، وهو قول مجاهد[٤٨٤].

قال مجاهد:" من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال، ونصرت عليهم بنو إسرائيل، فهذا وعد الأولى"[٤٨٥].

---

(٤٧٦) انظر: تفسير الطبري:٣٦٧/١٧.
(٤٧٧) أخرجه الطبري:٣٦٧/١٧.
(٤٧٨)في عرائس المجالس للثعلبي: ويتلطف بهم، حتى لا يأتيه أحد مسكين إلا أعطاه.
(٤٧٩)في عرائس المجالس للثعلبي: فلم يسألهم عن شيء.
(٤٨٠)كذا في تاريخ الطبري طبع أوربة. وفي الأصل: إن صحبتني. تحريف.
(٤٨١)كذا في عرائس المجالس للثعلبي ص ٣٣٦ طبعة الحلبي، وفي الأصل: ورمى في جنازة صحورا.
(٤٨٢) أخرجه الطبري:٣٦٧/١٧-٣٦٨.
(٤٨٣) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣.
(٤٨٤) انظر: تفسير الطبري:٣٦٨/١٧.

قوله تعالى:{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ} [الإسراء : ٥]، أي:" فطافوا بين ديارهم مفسدين"[٤٨٦].
قال مجاهد:" يتجسَّسون أخبارهم ولم يكن قتال"[٤٨٧].
قوله تعالى:{وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا} [الإسراء : ٥]، أي:" كان ذلك التسليط والانتقام قضاءً جزماً حتماً لا يقبل النقض والتبديل"[٤٨٨].
قال قتادة: "قضاء الله على القوم كما تسمعون"[٤٨٩].

القرآن

{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)} [الإسراء : ٦]

التفسير:

ثم رَدَدْنا لكم -يا بني إسرائيل- الغلبة والظهور على أعدائكم الذين سُلِّطوا عليكم، وأكثرنا أرزاقكم وأولادكم، وقَوَّيناكم وجعلناكم أكثر عددًا من عدوكم؛ وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله.

قوله تعالى:{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ} [الإسراء : ٦]، أي:" ثم رَدَدْنا لكم -يا بني إسرائيل- الغلبة والظهور على أعدائكم الذين سُلِّطوا عليكم"[٤٩٠].
قال قتادة:" ثم رددت الكرة لبني إسرائيل"[٤٩١].
عن السدي:" أن بني إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم منهم"[٤٩٢].
قوله تعالى:{وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} [الإسراء : ٦]، أي:" وأكثرنا أرزاقكم وأولادكم، وقَوَّيناكم"[٤٩٣].
عن السدي:" {وَأَمْدَدْنَاكُمْ}: وأعطيناكم"[٤٩٤].
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا} [الإسراء : ٦]، أي:" وجعلناكم أكثر عددًا من عدوكم"[٤٩٥].
عن السدي :"{وجعلناكم أكثر نفيرا}، يقول: عددا"[٤٩٦].
قال قتادة:" أي: عددا، وذلك في زمن داود"[٤٩٧].

القرآن

{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧)} [الإسراء : ٧]

التفسير:

إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم فقد أحسنتم لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك عائد إليكم، وإن أسأتم فعقاب ذلك عائد عليكم، فإذا حان موعد الإفساد الثاني سَلَّطْنا عليكم أعداءكم مرة أخرى؛ ليذلوكم ويغلبوكم، فتظهر آثار الإهانة والمذلة على وجوهكم، وليدخلوا عليكم «بيت المقدس» فيخرِّبوه، كما خرَّبوه أول مرة، وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميرًا كاملا.

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ} [الإسراء : ٧]، أي:" فإذا حان موعد الإفساد الثاني"[٤٩٨].

---

(٤٨٥) أخرجه الطبري:٣٦٨/١٧.
(٤٨٦) التفسير الميسر:١٤١/٢.
(٤٨٧) ذكره ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١/٣.
(٤٨٨) صفوة التفاسير:١٤١/٢.
(٤٨٩) ذكره الواحدي في "الوسيط": ٩٧/٣.
(٤٩٠) التفسير الميسر: ٢٨٢.
(٤٩١) أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.
(٤٩٢) ذكره الطبري في "التفسير": ٣٧٠/١٧.
(٤٩٣) التفسير الميسر: ٢٨٢.
(٤٩٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١١٦/١.
(٤٩٥) التفسير الميسر: ٢٨٢.
(٤٩٦) أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.
(٤٩٧) أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.
(٤٩٨) التفسير الميسر: ٢٨٢.

قال قتادة: "آخر العقوبتين"[٤٩٩].

وقال السدي:" يعني: الموت الأخير من العذاب الذي وعدهم"[٥٠٠].

قوله تعالى:{لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ} [الإسراء : ٧]، أي:" سَلَّطْنا عليكم أعداءكم مرة أخرى؛ ليذلوكم ويغلبوكم، فتظهر آثار الإهانة والمذلة على وجوهكم"[٥٠١].

قال مجاهد:" بعث الله ملك فارس ببابل جيشا، وأمر عليهم بختنصر، فأتوا بني إسرائيل، فدمروهم، فكانت هذه الآخرة ووعدها"[٥٠٢].

قال قتادة:" فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي، أبغض خلق الله إليه، فسبا وقتل وخرب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب"[٥٠٣].

قال سعيد بن جبير:" بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب، قال: فرد الله لهم الكرة عليهم، كما قال؛ قال: ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، وأخذ ما وجد من الأموال، ودخلوا بيت المقدس، كما قال الله عز وجل :{وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا} دخلوه فتبروه وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر، فقال الله: {عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا} فرحمهم فرد إليهم ملكهم وخلص من كان في أيديهم من ذرية بني إسرائيل، وقال لهم: إن عدتم عدنا، فقال أبو المعلى، ولا أعلم ذلك؛ إلا من هذا الحديث، ولم يعدهم الرجعة إلى ملكهم"[٥٠٤].

وقال ابن إسحاق: "فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا (وبعض الناس يقول: وقتلوا زكريا) ، ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس، فسار إليه بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رءوس جنده يدعى نبور زاذان صاحب القتل، فقال له: إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أن لا أجد أحدا أقتله، فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زادان، فدخل بيت المقدس، فقال في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دما يغلي، فسألهم فقال: يا بني إسرائيل، ما شأن هذا الدم الذي يغلي، أخبروني خبره ولا تكتموني شيئا من أمره؟ فقالوا: هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يتقبل منا، فلذلك هو يغلي كما تراه، ولقد قربنا منذ ثمان مئة سنة القربان فتقبل منا إلا هذا القربان، قال: ما صدقتموني الخبر قالوا له: لو كان كأول زماننا لقبل منا، ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي، فلذلك لم يتقبل منا، فذبح منهم نبور زادان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين روحا من رءوسهم، فلم يهدأ، فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم، فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ؛ فلما رأى نبور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم: ويلكم يا بني إسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض، تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار، لا أنثى ولا ذكرا إلا قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر، فقالوا له: إن هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه، فقتلناه، فهذا دمه، فقال لهم نبور زاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، قال: الآن صدقتموني، بمثل هذا ينتقم ربكم منكم؛ فلما رأى نبور زاذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله: غلقوا الأبواب، أبواب المدينة، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس وخلا في بني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكريا، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، وما قتل منهم من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي من قومك أحدا، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله، ورفع نبور زاذان عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وصدقت وأيقنت أنه لا رب غيره، ولو كان معه آخر لم يصلح، ولو كان له شريك لم تستمسك السماوات والأرض، ولو كان له ولد لم يصلح فتبارك وتقدس، وتسبح وتكبر وتعظم، ملك الملوك الذي له ملك السماوات السبع والأرض وما فيهن، وما بينهما، وهو على كل شيء قدير، فله الحلم والعلم والعزة والجبروت، وهو الذي بسط الأرض وألقى فيها رواسي لئلا تزول،

---

(٤٩٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١١٧/١.

(٥٠٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١١٧/١.

(٥٠١) التفسير الميسر: ٢٨٢.

(٥٠٢) أخرجه الطبري:٣٧٦/١٧.

(٥٠٣) أخرجه الطبري:٣٧٧/١٧.

(٥٠٤) أخرجه الطبري:٣٧٣/١٧-٣٧٤.

فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون ملكه. فأوحى الله إلى رأس من رءوس بقية الأنبياء أن نبور زاذان حبور صدوق، والحبور بالعبرانية: حديث الإيمان، وإن نبور زاذان قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل، إن عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لست أستطيع أن أعصيه، قالوا له: افعل ما أمرت به. فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل، فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك، فطرحوا على ما قتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل، فلما بلغ الدم عسكره، أرسل إلى نبور زاذان أن ارفع عنهم، فقد بلغتني دماؤهم، وقد انتقمت منهم بما فعلوا، ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الوقعة الآخرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، يقول الله عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وعسى من الله حق، فكانت الوقعة الأولى: بختنصر وجنوده، ثم رد الله لكم الكرة عليهم، وكانت الوقعة الآخرة خردوس وجنوده، وهي كانت أعظم الوقعتين، فيها كان خراب بلادهم، وقتل رجالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، يقول الله تبارك وتعالى: {وليتبروا ما علوا تتبيرا} ثم عاد الله عليهم فأكثر عددهم، ونشرهم في بلادهم، ثم بدلوا وأحدثوا الأحداث، واستبدلوا بكتابهم غيره، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود"[٥٠٥].

وقال ابن إسحاق:" فيما بلغني، استخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك، يعني بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له: ناشة بن آموص، فبعث الله الخضر نبيا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول: "إنما سمي الخضر خضرا، لأنه جلس على فروة بيضاء، فقام عنها وهي تهتز خضراء" قال: واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل: أرميا بن حلفيا، وكان من سبط هارون بن عمران"[٥٠٦].

قوله تعالى:{وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الإسراء : ٧]، أي:" وليدخلوا عليكم «بيت المقدس» فيخرِّبوه، كما خرَّبوه أول مرة"[٥٠٧].

قال قتادة:" أي: كما دخله عدوهم قبل ذلك"[٥٠٨].

قوله تعالى:{وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء : ٧]، أي:" وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميرًا كاملا"[٥٠٩].

قال قتادة:" يدمروا ما علوا تدميرا"[٥١٠].

القرآن

{عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)} [الإسراء : ٨]

التفسير:

عسى ربكم -يا بني إسرائيل- أن يرحمكم بعد انتقامه إن تبتم وأصلحتم، وإن عدتم إلى الإفساد والظلم عُدْنا إلى عقابكم ومذلّتكم. وجعلنا جهنم لكم وللكافرين عامة سجنًا لا خروج منه أبدا.

قوله تعالى:{عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ} [الإسراء : ٨]، أي:" عسى ربكم -يا بني إسرائيل- أن يرحمكم بعد انتقامه إن تبتم وأصلحتم"[٥١١].

قال قتادة:" فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته"[٥١٢].

---

(٥٠٥)أخرجه الطبري:١٧/٣٨٤-٣٨٥ .

(٥٠٦) أخرجه الطبري:١٧/٣٧٧.

(٥٠٧) التفسير الميسر: ٢٨٢.

(٥٠٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١/١١٧.

(٥٠٩) التفسير الميسر: ٢٨٢.

(٥١٠) أخرجه الطبري:١٧/٣٧٧.

(٥١١) التفسير الميسر:٢٨٣.

قوله تعالى:{وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا} [الإسراء : ٨]، أي:" وإن عدتم إلى الإفساد والظلم عُدْنا إلى عقابكم ومذلّتكم"(٥١٣).

قال قتادة:" فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون"(٥١٤).

وقال قتادة:" عاد القوم بشر ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته، ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة؛ قال الله عز وجل في آية أخرى :{وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة} .... الآية، فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب"(٥١٥).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [الإسراء : ٨]، أي:" وجعلنا جهنم لكم وللكافرين عامة سجنًا لا خروج منه أبدا"(٥١٦).

قال مجاهد:" يحصرون فيها"(٥١٧).

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [الإسراء : ٨]، وجهان(٥١٨):

أحدهما : يعني: فراشاً ومهاداً(٥١٩)، قاله الحسن (٥٢٠).

الثاني : سجنا يسجنون فيها، قاله قتادة(٥٢١)، مأخوذ من الحصر وهو الحبس. والعرب تسمي الملك حصيراً لأنه بالحجاب محصور ، قال لبيد(٥٢٢):

وَمَقَامةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأنهم ... جِنٌّ لدى طرَفِ الحَصِيرِ قِيامُ

والصواب معنى ذلك {وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا} فراشا ومهادا لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس(٥٢٣).

القرآن

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)} [الإسراء : ٩]

التفسير:

إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأن لهم ثوابًا عظيمًا.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء : ٩]، أي:" إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام"(٥٢٤).

قال قتادة:" إن هذا القرآن يدلكم علي دائكم ودوائكم، فإما داؤكم فالذنوب والخطايا، وإما دواؤكم فالاستغفار"(٥٢٥).

---

(٥١٢) اخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
(٥١٣) التفسير الميسر:٢٨٣.
(٥١٤) أخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
(٥١٥) اخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
(٥١٦) التفسير الميسر:٢٨٣.
(٥١٧) اخرجه الطبري:٣٩٠/١٧.
(٥١٨) انظر: النكت والعيون:٢٣١/٣.
(٥١٩)مأخوذ من الحصير المفترش.[النكت والعيون:٣٣١/٣]
(٥٢٠) انظر: تفسير الطبري:٣٩٠/١٧.
(٥٢١) انظر: تفسير الطبري:٣٩٠/١٧.
(٥٢٢) ديوانه: ١٦٠، ومجاز القرآن:٣٧١/١، وفيه: باب الحصير"، والسمط :٩٥٥، وتفسير الطبري:٣٩١/١٧، وتفسير القرطبي: ١٠/ ٢٢٤ والصحاح واللسان والتاج (حصر).
(٥٢٣) تفسير الطبري:٣٩٢/١٧.
(٥٢٤) التفسير الميسر:٢٨٣.
(٥٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٠٠):ص٢٣١٩/٧.

قوله تعالى:{وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء : ٩]، أي:" ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأن لهم ثوابًا عظيمًا"(٥٢٦).

عن ابن جريج :"{أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} قال: الجنة، وكلّ شيء في القرآن :«أجر كبير»، «أجر كريم»، و«رزق كريم»: فهو الجنة"(٥٢٧).

القرآن

{وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)} [الإسراء : ١٠]

التفسير:

وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء أعددنا لهم عذابًا موجعًا في النار.

قوله تعالى:{وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الإسراء : ١٠]، أي:" وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء"(٥٢٨).

قال السدي:" يعني: بالبعث يوم القيامة"(٥٢٩).

قوله تعالى:{أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإسراء : ١٠]، أي:" أعددنا لهم عذابًا موجعًا في النار"(٥٣٠).

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(٥٣١)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(٥٣٢).

القرآن

{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)} [الإسراء : ١١]

التفسير:

ويدعو الإنسان أحيانًا على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، وذلك عند الغضب، مثل ما يدعو بالخير، وهذا من جهل الإنسان وعجلته، ومن رحمة الله به أنه يستجيب له في دعائه بالخير دون الشر؛ لأنه يعلم منه عدم القصد إلى إرادة ذلك، وكان الإنسان بطبعه عجولا.

قوله تعالى:{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ} [الإسراء : ١١]، أي:" ويدعو الإنسان أحيانًا على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، وذلك عند الغضب، مثل ما يدعو بالخير"(٥٣٣).

قال قتادة:" يدعو على ماله، فيلعن ماله وولده، ولو استجاب الله له لأهلكه"(٥٣٤).

قال قتادة:" يدعو على نفسه بما لو استجيب له هلك، وعلى خادمه، أو على ماله"(٥٣٥).

قال مجاهد:" ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته، فيعجل: فيدعو عليه، ولا يحب أن يصيبه"(٥٣٦).

عن حميد بن هلال، قال: "ألا تعجب من الناس كيف يغبنون عن جلال الله؟ يقول أحدهم لدابته أو لشاته: غضب الله عليك"(٥٣٧).

قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء : ١١]، أي:" وكان الإنسان بطبعه عجولا"(٥٣٨).

وفي قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء : ١١]، وجهان:

---

(٥٢٦) التفسير الميسر:٢٨٣.
(٥٢٧) أخرجه الطبري:٣٩٣/١٧.
(٥٢٨) التفسير الميسر:٢٨٣.
(٥٢٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٤١٢/١.
(٥٣٠) التفسير الميسر:٢٨٣.
(٥٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٥٣٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٥٣٣) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٣٤) أخرجه الطبري:٣٩٤/١٧.
(٥٣٥) أخرجه الطبري:٣٩٤/١٧.
(٥٣٦) أخرجه الطبري:٣٩٤/١٧.
(٥٣٧) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٠/١.
(٥٣٨) التفسير الميسر:٢٨٣/١.

أحدهما : عجولاً في الدعاء على نفسه وولده وما يخصه، وهذا قول مجاهد[٥٣٩]، وقتادة[٥٤٠].
الثاني : أنه عنى آدم حين نفخ فيه الروح، حتى بلغت إلى سُرّته فأراد أن ينهض عجلاً ، وهذا قول إبراهيم[٥٤١]، والضحاك[٥٤٢].

القرآن
{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)} [الإسراء : ١٢]
التفسير:
وجعلنا الليل والنهار علامتين دالَّتين على وحدانيتنا وقدرتنا، فمَحَوْنا علامة الليل -وهي القمر- وجعلنا علامة النهار -وهي الشمس- مضيئة؛ ليبصر الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في الليل إلى السكن والراحة، وليعلم الناس -من تعاقب الليل والنهار- عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم. وكل شيء بيَّناه تبيينًا كافيًا.
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ} [الإسراء : ١٢]، أي:" وجعلنا الليل والنهار علامتين دالَّتين على وحدانيتنا وقدرتنا"[٥٤٣].
قال مجاهد:" آيتين ليلا ونهارا كذلك خلقهما ال"[٥٤٤].
قوله تعالى:{فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ} [الإسراء : ١٢]، أي:" فمَحَوْنا علامة الليل -وهي القمر-"[٥٤٥].
عن محمد بن كعب القرظي، في الآية، قال: "كانت شمس بالليل وشمس بالنهار فمحا الله شمس الليل فهو المحو الذي في القمر"[٥٤٦].
عن مجاهد -رضي الله عنه-قوله: "{فمحونا آية الليل}، قال: ظلمة الليل"[٥٤٧].
عن مجاهد-رضي الله عنه- :{ فمحونا آية الليل}، قال: "السواد الذي في القمر، وكذلك خلقه الله"[٥٤٨].
قال السدي:" جعل الشمس ضياء والقمر نورا فلم يجعل كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار وهو قوله: {فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة..}"[٥٤٩].
عن علي بن ربيعة، قال ابن الكواء[٥٥٠] لعلي: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك أما تقرأ القرآن {فمحونا آية الليل}، فهذه محوه"[٥٥١].
وفي رواية عن رفيع بن أبي كثير، قال: "قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: سلوا عما شئتم، فقام ابن الكواء فقال: ما السواد الذي في القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ قال: ذلك محو الليل"[٥٥٢].
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} [الإسراء : ١٢]، أي:" وجعلنا علامة النهار -وهي الشمس- مضيئة"[٥٥٣].

---

(٥٣٩) انظر: تفسير الطبري:٣٩٤/١٧.
(٥٤٠) انظر: تفسير الطبري:٣٩٤/١٧.
(٥٤١) انظر: النكت والعيون:٢٣٢/٣.
(٥٤٢) انظر: النكت والعيون:٢٣٢/٣.
(٥٤٣) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٤٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٠/١.
(٥٤٥) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٤):ص٢٣٢٠/٧.
(٥٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٥):ص٢٣٢٠/٧.
(٥٤٨)أخرجه الطبري:٣٩٦/١٧ .
(٥٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٢٨):ص١٩٢٧/٦.
(٥٥٠)ابن الكواء: هو عبد الله بن الكواء الخارجي، أحد الذين كانوا مع علي في صفين، ثم فارقوه بعد التحكيم. فكان من زعماء الخوارج.
(٥٥١) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٧.
(٥٥٢) أخرجه الطبري:٣٩٦/١٧.
(٥٥٣) التفسير الميسر:٢٨٣/١.

قال قتادة: أي: منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم"[٥٥٤].
عن مجاهد، قوله: "{وجعلنا آية النهار مبصرة}، قال:وسدف النهار"[٥٥٥].
قوله تعالى:{لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [الإسراء : ١٢]، أي:" لتطلبوا في النهار أسباب معايشكم"[٥٥٦].
عن مجاهد -رضي الله عنه-قوله: "{ لتبتغوا فضلا من ربكم}، قال: جعل لكم سبحا طويلا"[٥٥٧].
قوله تعالى:{وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} [الإسراء : ١٢]، أي:" وليعلم الناس -من تعاقب الليل والنهار- عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم"[٥٥٨].
قال السدي:" قال السدي: يعني: عدد الأيام والشهور والسنين"[٥٥٩].
عن السدي:" {وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب}: في اختلافهما"[٥٦٠].
قوله تعالى:{وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا} [الإسراء : ١٢]، أي:" وكل شيء بيَّناه تبيينًا كافيًا"[٥٦١].
قال السدي:" بيناه تبيينا"[٥٦٢].

القرآن

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣)} [الإسراء : ١٣]

التفسير:

وكل إنسان يجعل الله ما عمله مِن خير أو شر ملازمًا له، فلا يحاسَب بعمل غيره، ولا يحاسَب غيره بعمله، ويخرج الله له يوم القيامة كتابًا قد سُجِّلت فيه أعماله يراه مفتوحًا.

قوله تعالى:{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} [الإسراء : ١٣]، أي:" وكل إنسان يجعل الله ما عمله مِن خير أو شر ملازمًا له، فلا يحاسَب بعمل غيره، ولا يحاسَب غيره بعمله"[٥٦٣].
قال قتادة:" طائره: عمله"[٥٦٤]، وقال:" إي والله بسعادته وشقائه بعمله"[٥٦٥].
عن مجاهد :{ طائره في عنقه}، قال: "عمله وما كتب الله له"[٥٦٦].
عن الحكم، قال مجاهد:" ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. قال: وسمعته يقول: {أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ}[٥٦٧]، قال: هو ما سبق"[٥٦٨].
قوله تعالى:{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء : ١٣]، أي:" ويخرج الله له يوم القيامة كتابًا قد سُجِّلت فيه أعماله يراه مفتوحًا"[٥٦٩].
قال قتادة:" نخرج ذلك العمل {كتابا يلقاه منشورا}"[٥٧٠].
قال معمر: " تلا الحسن: {عن اليمين وعن الشمال قعيد} [ق: ١٧]، فقال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما، عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك

---

(٥٥٤) أخرجه الطبري:٣٩٦/١٧.
(٥٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٥):ص٢٣٢٠/٧.
(٥٥٦) صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
(٥٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٥):ص٢٣٢٠/٧.
(٥٥٨) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٥٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٠/١.
(٥٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٢٨):ص١٩٢٧/٦.
(٥٦١) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٦٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٠/١.
(٥٦٣) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٦٤) أخرجه الطبري:٣٩٧/١٧-٣٩٨.
(٥٦٥) أخرجه الطبري:٣٩٧/١٧-٣٩٨.
(٥٦٦) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٧.
(٥٦٧)[الأعراف : ٣٧].
(٥٦٨) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٧.
(٥٦٩) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٧٠) اخرجه الطبري:٤٠٠/١٧.

, وأما عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاملل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه} [الإسراء: ١٣]، حتى بلغ {حسيبا} [النساء: ٦] : «عدل والله لك من جعلك حسيب نفسك»"[٥٧١].

عن مجاهد أنه قرأها :"«ويخرج له يوم القيامة كتابا»، قال: يزيد: يعني يخرج الطائر كتابا"[٥٧٢].

القرآن

{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)} [الإسراء : ١٤]

التفسير:

يقال له: اقرأ كتاب أعمالك، فيقرأ، وإن لم يكن يعرف القراءة في الدنيا، تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء.

قوله تعالى:{اقْرَأْ كِتَابَكَ} [الإسراء : ١٤]، أي:" يقال له: اقرأ كتاب أعمالك"[٥٧٣].

قال قتادة:" سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا"[٥٧٤].

قال السدي:" الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أحاسب نفسي. فيقال له: {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}"[٥٧٥].

قوله تعالى:{كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء : ١٤]، أي:" تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء"[٥٧٦].

قال الحسن:" قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك"[٥٧٧].

القرآن

{مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)} [الإسراء : ١٥]

التفسير:

من اهتدى فاتبع طريق الحق فإنما يعود ثواب ذلك عليه وحده، ومن حاد واتبع طريق الباطل فإنما يعود عقاب ذلك عليه وحده، ولا تحمل نفس مذنبة إثم نفس مذنبة أخرى. ولا يعذب الله أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

قوله تعالى:{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء : ١٥]، أي:" ولا تحمل نفس مذنبة إثم نفس مذنبة أخرى"[٥٧٨].

قال قتادة:" والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله"[٥٧٩].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : ١٥]، أي:" ولا يعذب الله أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب"[٥٨٠].

قال قتادة:" إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذبا أحدا إلا بذنبه"[٥٨١].

القرآن

---

(٥٧١) تفسير عبدالرزاق(٢٩٥٣):ص٢٢٩/٣، وتفسير الطبري:٤٠٠/١٧.
(٥٧٢) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٧.
(٥٧٣) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٧٤) أخرجه الطبري:٤٠١/١٧.
(٥٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢١١):ص٢٣٢١/٧.
(٥٧٦) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٧٧) أخرجه الطبري: ٤٠٠/١٧.
(٥٧٨) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٧٩) أخرجه الطبري:٤٠٢/١٧.
(٥٨٠) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٥٨١) أخرجه الطبري:٤٠٢/١٧.

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)} [الإسراء : ١٦]

التفسير:

وإذا أردنا إهلاك أهل قرية لظلمهم أمَرْنا مترفيهم بطاعة الله وتوحيده وتصديق رسله، وغيرهم تبع لهم، فعصَوا أمر ربهم وكذَّبوا رسله، فحقَّ عليهم القول بالعذاب الذي لا مردَّ له، فاستأصلناهم بالهلاك التام.

قوله تعالى:{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا} [الإسراء : ١٦]، أي:" وإذا أردنا هلاك قوم من الأقوام أمرنا المتنعمِّين فيها والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا فعصوا أمرنا وخرجوا عن طاعتنا وفسقوا وفجروا"(٥٨٢).

عن مجاهد:" {أمرنا مترفيها}، قال: بعثنا"(٥٨٣).

وفي قوله تعالى:{أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} [الإسراء : ١٦]، وجوه من القراءات:

القراءة الأولى: «أمرنا» مخففة، على وزن «فعلنا»، قرأ بها الأعمش(٥٨٤)، ورواه الفراء عن حميد الأعرج عن مجاهد(٥٨٥)، وهي قراءة الاكثرين(٥٨٦).

وفيها، قولان:

أحدهما: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا، هذا مذهب سعيد بن جبير(٥٨٧).

قال سعيد بن جبير:" أمرنا بالطاعة فعصوا"(٥٨٨).

الثاني: كثرنا، يقال: أمرت الشيء وآمرته، أي: كثرته، ومنه الحديث: «مهرة مأمورة»(٥٨٩)، أي: كثيرة النتاج، يقال: أمر بنو فلان يأمرون أمرا: إذا كثروا.

قال الأعمش: "أكثرنا"(٥٩٠).

روي عن عكرمة قوله :"{آمرنا مترفيها}، قال: أكثرناهم"(٥٩١).

عن الحسن، في قوله :"{أمرنا مترفيها} قال: أكثرناهم"(٥٩٢). وروي عن قتادة مثله(٥٩٣).

وقال الحسن:" جبابرة المشركين فاتبعهم السفلة"(٥٩٤).

وقال الضحاك:" أكثرنا مترفيها: أي: كبراءها"(٥٩٥).

وعن قتادة، قال:" يقول: أكثرنا مترفيها: أي: جبابرتها، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله {فدمرناها تدميرا}، وكان يقال: إذا أراد الله بقوم صلاحا، بعث عليهم مصلحا، وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها"(٥٩٦).

---

(٥٨٢) صفوة التفاسير:١٤٢/٢.

(٥٨٣) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.

(٥٨٤) معاني القرآن:١١٩/٢.

(٥٨٥) معاني القرآن:١١٩/٢.

(٥٨٦) انظر: زاد المسير:١٦/٣.

(٥٨٧) انظر: تفسير الطبري:٤٠٣/١٧.

(٥٨٨) أخرجه الطبري:٤٠٣/١٧.

(٥٨٩)روي عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة» .

رواه أحمد (٣/ ٤٦٨) والبيهقي (١٠/ ٦٤) والطبراني (٧/ ١٠٧) واللئالئ (٢/ ١٧) وشرح السنة (١٠/ ٣٨٧) وكشاف (٩٨) والكنز (٩٣٤٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٣٨) وابن كثير (٢/ ١٧، ٥/ ٥٨) .

قوله: «المأمورة: كثيرة النسل. و «السكة» : الطريقة المصطفة من النخل. و «المأبورة: من التأبير.

(٥٩٠) تفسير سفيان الثوري(٥٠٤: ٦: ١٥):ص١٦٩.

(٥٩١) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.

(٥٩٢) أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.

(٥٩٣) انظر: تفسير الطبري:٤٠٥/١٧.

(٥٩٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٣/١.

(٥٩٥) أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.

(٥٩٦) أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.

القراءة الثانية: «آمرنا» ممدودة، مثل «آمنا»، وروى خارجة عن نافع[٥٩٧]، وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير[٥٩٨]، وهي قراءة أبي رزين[٥٩٩]، والحسن[٦٠٠]، والضحاك[٦٠١]، ويعقوب[٦٠٢].

عن الحسن البصري:" أنه قرأ ذلك «آمرنا»، بمد الألف من أمرنا، بمعنى: أكثرنا فسقتها"[٦٠٣].

القراءة الثالثة: «أمرنا» مشددة الميم، هي رواية أبان عن عاصم[٦٠٤]، وهي قراءة أبي العالية[٦٠٥]، والنخعي[٦٠٦]، والجحدري[٦٠٧]، وأبي عثمان النهدي[٦٠٨].

عن أبي العالية، قال: "«أمرنا» مثقلة: جعلنا عليها مترفيها: مستكبريها"[٦٠٩].

وقال ابو العالية:" أمرنا عليهم أمراء"[٦١٠].

وروي عن الربيع بن أنس:" أنه قرأها :«أمرنا» وقال: سلطنا"[٦١١].

القراءة الرابعة: «أمرنا» بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة، قرأ بها أبو المتوكل[٦١٢]، وأبو الجوزاء[٦١٣]، وابن يعمر[٦١٤].

قوله تعالى:{فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء : ١٦]، أي:" فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان، فأهلكناهم إهلاكاً مُريعاً"[٦١٥].

قوله تعالى:{فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء : ١٦]، أي:" فأهلكناهم إهلاكاً مُريعاً"[٦١٦].

عن الزهري، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق بين إبهامه والتي تليها، قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"[٦١٧].

القرآن

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)} [الإسراء : ١٧]

التفسير:

وكثيرا أهلكنا من الأمم المكذبة رسلها مِن بعد نبي الله نوح. وكفى بربك -أيها الرسول- أنه عالم بجميع أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية.

قوله تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ} [الإسراء : ١٧]، أي:" وكثيرا أهلكنا من الأمم المكذبة رسلها مِن بعد نبي الله نوح"[٦١٨].

---

(٥٩٧) انظر: السبعة في القراءات: ٣٧٩، وزاد المسير:١٦/٣.
(٥٩٨) انظر: السبعة في القراءات: ٣٧٩، وزاد المسير:١٦/٣.
(٥٩٩) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦٠٠) انظر: تفسير الطبري:٤٠٤/١٧، ومعاني القرآن للفراء:١١٩/٢.
(٦٠١) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦٠٢) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦٠٣) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
(٦٠٤) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦٠٥) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
(٦٠٦) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦٠٧) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦٠٨) انظر: الطبري:٤٠٤/١٧.
(٦٠٩) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
(٦١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢١٦):ص٢٣٢٢/٧.
(٦١١) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
(٦١٢) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦١٣) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦١٤) انظر: زاد المسير:١٦/٣.
(٦١٥) صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
(٦١٦) صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
(٦١٧) أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.
(٦١٨) التفسير الميسر:٢٨٣/١.

واختلف في مدة«القرن»، على أقوال:
أحدها: أن القرن: عشرون ومئة سنة. قاله أبو محمد بن عبد الله بن أبي أوفى[٦١٩].
وقال أبو محمد:" بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن كان، وآخرهم يزيد بن معاوية"[٦٢٠].
الثاني: أن القرن: مئة سنة.
عن محمد بن القاسم، عن عبد الله بن بسر المازني، قال: "وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرنا» قلت: كم القرن؟ قال: «مئة سنة»"[٦٢١].
قال محمد بن القاسم:" ما زلنا نعد له حتى تمت مئة سنة ثم مات، قال أبو الصلت: أخبرني سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله بن بسر"[٦٢٢].
الثالث: ما رواه ابن سيرين، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "القرن أربعون سنة"[٦٢٣].
قوله تعالى:{وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]، أي:" وكفى بربك -أيها الرسول- أنه عالم بجميع أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية"[٦٢٤].
عن قتادة: "{خبيرا}، قال: خبير بخلقه"[٦٢٥].

القرآن
{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨)} [الإسراء : ١٨]
التفسير:
من كان طلبه الدنيا العاجلة، وسعى لها وحدها، ولم يصدِّق بالآخرة، ولم يعمل لها، عجَّل الله له فيها ما يشاؤه الله ويريده مما كتبه له في اللوح المحفوظ، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم، يدخلها ملومًا مطرودًا من رحمته عز وجل؛ وذلك بسبب إرادته الدنيا وسعيه لها دون الآخرة.
قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ} [الإسراء : ١٨]، أي:" من كان طلبه الدنيا العاجلة، وسعى لها وحدها، ولم يصدِّق بالآخرة، ولم يعمل لها"[٦٢٦].
قال قتادة:" يقول: من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته"[٦٢٧].
قال الضحاك:" من كانت الدنيا همه ورغبته وطلبته ونيته"[٦٢٨].
قوله تعالى:{عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء : ١٨]، أي:" عجَّل الله له فيها ما يشاؤه الله ويريده مما كتبه له في اللوح المحفوظ،"[٦٢٩].
قال قتادة:" عجل الله له فيها ما يشاء"[٦٣٠]. وروي عن الضحاك مثله[٦٣١].
روي عن أبي إسحاق الفزاري، يقول:"{عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد}، قال: لمن نريد هلكته"[٦٣٢].
عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له"[٦٣٣].

---

(٦١٩) انظر: تفسير الطبري:٤٠٧/١٧.
(٦٢٠) أخرجه الطبري:٤٠٧:١٧.
(٦٢١) أخرجه الطبري:٤٠٧:١٧.
(٦٢٢) أخرجه الطبري:٤٠٧/١٧-٤٠٨.
(٦٢٣) أخرجه الطبري:٤٠٨/١٧.
(٦٢٤) التفسير الميسر:٢٨٣/١.
(٦٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.
(٦٢٦) التفسير الميسر:١٨٤.
(٦٢٧) اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
(٦٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢١٩):ص٢٣٢٢/٧.
(٦٢٩) التفسير الميسر:١٨٤.
(٦٣٠) اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
(٦٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢١٩):ص٢٣٢٢/٧.
(٦٣٢) اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ} [الإسراء : ١٨]، أي:" ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم"[٦٣٤].
قال قتادة:" ثم اضطره إلى جهنم"[٦٣٥]. وروي عن الضحاك مثله[٦٣٦].
قوله تعالى:{يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء : ١٨]، أي:" يدخلها ملومًا مطرودًا من رحمته عز وجل"[٦٣٧].
قال قتادة:" مذموما في نعمة الله مدحورا في نقمة الله"[٦٣٨].
قال الضحاك:" مذموما في نقمة الله مدحورا عذاب الله"[٦٣٩].

القرآن

{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)} [الإسراء : ١٩]

التفسير:

ومَن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية، وسعى لها بطاعة الله تعالى، وهو مؤمن بالله وثوابه وعظيم جزائه، فأولئك كان عملهم مقبولا مُدَّخرًا لهم عند ربهم، وسيثابون عليه.

قوله تعالى:{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الإسراء : ١٩]، أي:" ومَن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية، وسعى لها بطاعة الله تعالى، وهو مؤمن بالله وثوابه وعظيم جزائه"[٦٤٠].
قال زيد بن أسلم:" السعي: العمل، إن الله يقول: {إن سعيكم لشتى}، وقال: {من أراد الآخرة وسعى لها سعيها}"[٦٤١].
قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء : ١٩]، أي:" فأولئك كان عملهم مقبولا مُدَّخرًا لهم عند ربهم، وسيثابون عليه"[٦٤٢].
قال قتادة:" شكر الله لهم حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم"[٦٤٣].
قال الضحاك:" شكر الله له اليسير، وتجاوز عنه الكثير"[٦٤٤].

القرآن

{كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)} [الإسراء : ٢٠]

التفسير:

كل فريق من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية نزيده مِن رزقنا، فنرزق المؤمنين والكافرين في الدنيا؛ فإن الرزق مِن عطاء ربك تفضلا منه، وما كان عطاء ربك ممنوعا من أحد مؤمنًا كان أم كافرًا.

قوله تعالى:{كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ} [الإسراء : ٢٠]، أي:" كل فريق من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية نزيده مِن رزقنا، فنرزق المؤمنين والكافرين في الدنيا"[٦٤٥].
قال الحسن:" كلا نعطي من الدنيا، البر والفاجر"[٦٤٦].
قال قتادة:"إن الله عز وجل قسم الدنيا بين البر والفاجر، والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين"[٦٤٧].

---

(٦٣٣)المسند (٧١/٦) وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٨/١٠) : "رجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة".
(٦٣٤) التفسير الميسر:١٨٤.
(٦٣٥) اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
(٦٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢١٩):ص٢٣٢٢/٧.
(٦٣٧) التفسير الميسر:١٨٤.
(٦٣٨) اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
(٦٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢١٩):ص٢٣٢٢/٧.
(٦٤٠) التفسير الميسر:١٨٤.
(٦٤١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٥٥):ص٦٩/١.
(٦٤٢) التفسير الميسر:١٨٤.
(٦٤٣) أخرجه الطبري:٤١٠/١٧.
(٦٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢١٩):ص٢٣٢٢/٧.
(٦٤٥) التفسير الميسر:٢٨٣.
(٦٤٦) أخرجه الطبري:٤١١/١٧.
(٦٤٧) أخرجه الطبري:٤١١/١٧.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء : ٢٠]، أي:" وما كان عطاء ربك ممنوعا من أحد مؤمنًا كان أم كافرًا"(٦٤٨).

قال الحسن وابن جريج:" ممنوعا"(٦٤٩).

قال قتادة:" أي: منقوصا"(٦٥٠).

القرآن

{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)} [الإسراء : ٢١]

التفسير:

تأمل -أيها الرسول- في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل، وللآخرة أكبرُ درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلا.

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [الإسراء : ٢١]، أي:" تأمل -أيها الرسول- في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل"(٦٥١).

قال قتادة:" أي: في الدنيا"(٦٥٢).

قوله تعالى:{وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} [الإسراء : ٢١]، أي:" وللآخرة أكبرُ درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلا"(٦٥٣).

قال قتادة:" وإن للمؤمنين في الجنة منازل وإن لهم فضائل بأعمالهم"(٦٥٤).

أخرج يحيى بن سلام بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحتبس أهل الجنة كلهم دون الجنة حتى يؤخذ لبعضهم من بعض، ويفاضل ما بينهم، مثل كوكب بالمشرق وكوكب بالمغرب»(٦٥٥).

وعن أبي المتوكل الناجي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد أن يختلف بصره، فيفزع لذلك، فيقول: ما هذا؟ فيقال له: هذا نور أخيك فلان، فيقول: أخي فلان، كنا في الدنيا نعمل جميعا وقد فضل علي هكذا، فيقال له: إنه كان أحسن منك عملا». قال: ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى"(٦٥٦).

القرآن

{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)} [الإسراء : ٢٢]

التفسير:

لا تجعل -أيها الإنسان- مع الله شريكًا له في عبادته، فتبوء بالمذمة والخِذْلان.

قوله تعالى:{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الإسراء : ٢٢]، أي:" لا تجعل -أيها الإنسان- مع الله شريكًا له في عبادته"(٦٥٧).

عن أبي مجلز قال: "كنت جالسا، عند عبد الله بن عمر، فسأله رجل، عن الشرك؟ قال: أن تجعل مع الله إلها آخر"(٦٥٨).

قوله تعالى:{فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} [الإسراء : ٢٢]، أي:" ، فتبوء بالمذمة والخِذْلان"(٦٥٩).

---

(٦٤٨) التفسير الميسر:٢٨٣.

(٦٤٩) أخرجه الطبري:٤١١/١٧. عن ابن جريج وابن زيد، وحكاه ابن كثير في تفسيره:٦٣/٥ عن الحسن.

(٦٥٠) أخرجه الطبري:٤١١/١٧.

(٦٥١) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٦٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٢٥):ص٢٣٢٣/٧.

(٦٥٣) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٦٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٢٥):ص٢٣٢٣/٧.

(٦٥٥) تفسير يحيى بن سلام:١٢٥/١.

(٦٥٦) أخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٢٥/١.

(٦٥٧) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٦٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠١٠):ص٢٨٢٥/٩.

(٦٥٩) التفسير الميسر:٢٨٤.

قال قتادة:" في نقمة الله مخذولا في عذاب الله"[٦٦٠].

عن ابن مسعود - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى، إما أجَلٌ عاجل وإما غنى عاجل"[٦٦١].

القرآن

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)} [الإسراء : ٢٣]

التفسير:

وأمَر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم، وبخاصة حالةُ الشيخوخة، فلا تضجر ولا تستثقل شيئًا تراه من أحدهما أو منهما، ولا تسمعهما قولا سيئًا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولكن ارفق بهما، وقل لهما -دائما- قولا ليِّنًا لطيفًا.

سبب نزول الآيتين: [٢٣-٢٤]:

قال ابن عباس : "نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في سعد بن أبي وقاص "[٦٦٢].

قوله تعالى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء : ٢٣]، أي:" وأمَر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم"[٦٦٣].

عن الحسن: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}: " يقول: برا"[٦٦٤]. وروي عن السدي مثله[٦٦٥].

قوله تعالى:{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الإسراء : ٢٣]، أي:" قد أوصيناك بهما وبخاصة إذا كبرا أو كبر أحدهما، فلا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ككلمة أفٍّ ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف "[٦٦٦].

عن السدي: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}، قال:" أف فما سواه"[٦٦٧].

قال الحسن:" أي: ولا تؤذهما"[٦٦٨].

قال مجاهد:" وقال مجاهد: لا تغلظ لهما"[٦٦٩].

عن مجاهد:" {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف}، فيما تميط عنها من الأذى الخلاء والبول، كما كانا لا يقولانه، فيما كان يميطان عنك من الخلاء والبول"[٦٧٠].

قوله تعالى:{وَلَا تَنْهَرْهُمَا} [الإسراء : ٢٣]، أي:" ولا تزجرهما بإغلاظٍ فيما لا يعجبك منهما"[٦٧١].

قل مقاتل:" عند المعالجة، يعني: تغلظ لهما القول"[٦٧٢].

قال الحسن:" يعني: الانتهار"[٦٧٣].

قوله تعالى:{وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء : ٢٣]، أي:" قل لهما قولاً حسناً ليناً طيباً بأدب ووقار وتعظيم"[٦٧٤].

---

(٦٦٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٢٨):ص٢٣٢٣/٧.

(٦٦١)سنن أبي داود برقم (١٦٤٥) وسنن الترمذي برقم (٢٣٢٦). قال الترمذي : "حسن صحيح غريب".

(٦٦٢) النكت والعيون:٢٣٨/٣.

(٦٦٣) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٦٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٣٠):ص٢٣٢٣/٧.

(٦٦٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٦/١.

(٦٦٦) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.

(٦٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٢):ص٢٣٢٤/٧.

(٦٦٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٦/١.

(٦٦٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٧/١.

(٦٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٣١):ص٢٣٢٣/٧.

(٦٧١) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.

(٦٧٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٧/٢.

(٦٧٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٦/١.

(٦٧٤) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.

قال قتادة:" قولا لينا سهلا"[٦٧٥].

عن أبي المداج التجيبي قال: "قلت لسعيد بن المسيب -رضي الله عنه-: كل ما ذكر في القرآن من بر الوالدين فقد عرفته إلا قوله: {وقل لهما قولا كريما}، ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ"[٦٧٦].

القرآن

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)} [الإسراء : ٢٤]

التفسير:

وكُنْ لأمك وأبيك ذليلا متواضعًا رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا، كما صبرا على تربيتك طفلا ضعيف الحول والقوة.

قوله تعالى:{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء : ٢٤]، أي:" ألنْ جانبك وتواضعْ لهما بتذلّل وخضوع من فرط رحمتك وعطفك عليهما"[٦٧٧].

قال سعيد بن جبير:" يقول: اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ"[٦٧٨].

قال عطاء بن رباح:" لا ترفع يديك عليهما إذا كلمتهما"[٦٧٩].

قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء : ٢٤]، أي:" واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا، كما صبرا على تربيتك طفلا ضعيف الحول والقوة"[٦٨٠].

قال قتادة: ثم نسخ منها حرف واحد لا ينبغي لأحد أن يستغفر لوالديه وهما مشركان ولا يقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولكن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة ويصاحبهما في الدنيا معروفا وقال عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى}، هذه الآية نسخت ذلك الحرف"[٦٨١]. وروي عن الحسن[٦٨٢]، عكرمة[٦٨٣]، نحو ذلك.

وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عاما في كل الآباء بغير معنى النسخ، بأن يكون تأويلها على الخصوص، فيكون معنى الكلام: وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين، كما ربياني صغيرا، فتكون مرادا بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء[٦٨٤].

القرآن

{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)} [الإسراء : ٢٥]

التفسير:

ربكم -أيها الناس- أعلم بما في ضمائركم من خير وشر. إن تكن إرادتكم ومقاصدكم مرضاة الله وما يقربكم إليه، فإنه كان -سبحانه- للراجعين إليه في جميع الأوقات غفورًا، فمَن عَلِمَ الله أنه ليس في قلبه إلا الإنابة إليه ومحبته، فإنه يعفو عنه، ويغفر له ما يعرض من صغائر الذنوب، مما هو من مقتضى الطبائع البشرية.

قوله تعالى:{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ} [الإسراء : ٢٥]، أي: إن" ربكم أيها الناس أعلم بما في نفوسكم من إرادة البر أو العقوق"[٦٨٥].

عن سعيد بن جبير :"{ربكم أعلم بما في نفوسكم}، قال: البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير، فقال :{ربكم أعلم بما في نفوسكم}"[٦٨٦] .

---

(٦٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٤):ص٢٣٢٤/٧.
(٦٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٥):ص٢٣٢٤/٧.
(٦٧٧) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
(٦٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٧):ص٢٣٢٤/٧.
(٦٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٨):ص٢٣٢٤/٧.
(٦٨٠) التفسير الميسر:٢٨٤.
(٦٨١) الناسخ والمنسوخ لقتادة:٤٤.
(٦٨٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٥٠٠/٢، وزاد المسير:٢٦/٥.
(٦٨٣) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٥٠٠/٢، وزاد المسير:٢٦/٥.
(٦٨٤) تفسير الطبري:٤٢١/١٧.
(٦٨٥) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.

قوله تعالى:{إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} [الإسراء : ٢٥]، أي:" إن تكونوا قاصدين للبرّ والصلاح دون العقوق والفساد فإنه جلَّ وعلا يتجاوز عن سيئاتكم ويغفر للأوابين وهم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين"[٦٨٧].

عن حبيب بن أبي ثابت، في قوله :"{فإنه كان للأوابين غفورا}، قال: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به"[٦٨٨].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{ربكم أعلم بما في نفوسكم}، قال: تكون البادر من الولد إلى الوالد، فقال الله: {إن تكونوا صالحين}، أي: تكون النية صادقة ببرهما {فإنه كان للأوابين غفورا}، للبادرة التي بدرت منه"[٦٨٩].

واختلف أهل التفسير في معنى: «الأوابين»، على أقوال:

أجدها: أنهم المطيعون، وأهل الصلاة. قاله قتادة[٦٩٠].

الثاني: أنهم المحسنون. قاله سعيد بن جبير[٦٩١]، وقتادة[٦٩٢].

وقال عمرو بن شرحبيل: "الأواب: المسبح"[٦٩٣].

الثالث : أنهم الذين يصلّون بين المغرب والعشاء ، وهذا قول ابن المنكدر يرفعه[٦٩٤].

الرابع: هم الذين يصلون الضحى ، وهذا قول عون العقيلي[٦٩٥].

الخامس : أنه الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها. وهذا قول مجاهد[٦٩٦]، وعبيد بن عمير[٦٩٧].

وقال سعيد بن جبير:" الراجعين إلى الخير"[٦٩٨].

وقال عبيد بن عمير في رواية:" كنا نعد «الأواب»: الحفيظ، أن يقول: اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا"[٦٩٩].

السادس : أنه الذي يتوب مرة بعد مرة، وكلما أذنب بادر بالتوبة. وهذا قول سعيد بن المسيب[٧٠٠].

قال سعيد بن المسيب:" الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب"[٧٠١].

وقال سعيد بن مسيب في رواية أخرى:" الأواب: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب"[٧٠٢].

وقال الضحاك:" الرجاعين من الذنب إلى التوبة، ومن السيئات إلى الحسنات"[٧٠٣].

وقال عطاء بن يسار:" يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب الله عليه؛ ثم يذنب فيتوب، فيتوب الله عليه؛ ثم يذنب الثالثة، فإن تاب، تاب الله عليه توبة لا تمحى"[٧٠٤].

---

(٦٨٦) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٧.
(٦٨٧) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
(٦٨٨) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٧.
(٦٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤١):ص٢٣٢٥/٧.
(٦٩٠) انظر: تفسير الطبري:٤٢٢/١٧.
(٦٩١) انظر: تفسير الطبري:٤٢٢/١٧.
(٦٩٢) انظر: النكت والعيون:٢٣٨/٣.
(٦٩٣) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٧.
(٦٩٤) انظر: تفسير الطبري:٤٢٣/١٧.
(٦٩٥) انظر: تفسير الطبري:٤٢٣/١٧.
(٦٩٦) انظر: تفسير الطبري:٤٢٤/١٧.
(٦٩٧) انظر: تفسير الطبري:٤٢٤/١٧.
(٦٩٨) أخرجه الطبري:٤٢٤/١٧.
(٦٩٩) أخرجه الطبري:٤٢٥/١٧.
(٧٠٠) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٧-٤٢٤.
(٧٠١) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٧.
(٧٠٢) أخرجه الطبري:٤٢٤/١٧.
(٧٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤٢):ص٢٣٢٥/٧.
(٧٠٤) أخرجه الطبري:٤٢٥/١٧.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: «الأواب»: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن «الأواب» إنما هو فعال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عبيد بن الأبرص[٧٠٥]:

وكل ذي غيبة يئوب ... وغائب الموت لا يئوب

فهو يئوب أوبا، وهو رجل آئب من سفره، وأواب من ذنوبه"[٧٠٦].

قال سهل بن عبدالله:" حكي عن ضمرة بن حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه»[٧٠٧]، يعني: فليعتبر وقته ولا يؤخر"[٧٠٨].

القرآن

{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)} [الإسراء : ٢٦]

التفسير:

وأحسِنْ إلى كل مَن له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير.

قوله تعالى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى} [الإسراء : ٢٦]، أي:" وأحسِنْ إلى كل مَن له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر"[٧٠٩].

وفي قوله تعالى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} [الإسراء : ٢٦]، وجوه:

احدها: أنه قرابة الميت من قبل أبيه وأمه. أمر الله جل ثناؤه عباده بصلتها. وهذا قول الحسن[٧١٠]، وعكرمة[٧١١].

قال عكرمة:" صلته التي تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله إليه"[٧١٢].

عن حبيب المعلم، قال: "سأل رجل الحسن، قال: أعطي قرابتي زكاة مالي؟ فقال: إن لهم في ذلك لحقا سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية :{وآت ذا القربى حقه}"[٧١٣].

الثاني: أنه عنى به قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا قول علي بن الحسين-رضي الله عنه-[٧١٤].

عن أبي الديلم، قال: "قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل: {وآت ذا القربى حقه}؟ قال: وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه، قال: نعم"[٧١٥].

روي عن السدي، قال:" كان ناس من بني عبد المطلب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه، فإذا صادفوا عنده شيئا أعطاهم، وإن لم يصادفوا عنده شيئا سكت، لم يقل لهم: نعم، ولا، ولا. و{القربى}: قربى بن عبد المطلب"[٧١٦].

---

(٧٠٥)البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي (ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣) من قصيدته التي مطلعها: "أقفر من أهله ملحوب". يقول: كل غائب تنتظر أوبته، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا. والبيت شاهد على أن الأواب الرجاع، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من آب يئوب إذا رجع (انظر اللسان: أوب) . وفيه أيضا: قال أبو بكر في قولهم: رجل أواب، سبعة أقوال: الراحم، والتائب، والمسبح، والذي يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب، والمطيع، والذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه. أهـ. وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى اللغوي، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره.

(٧٠٦) تفسير الطبري:١٧/٤٢٥-٤٢٦.

(٧٠٧)مسند الشهاب ١/ ٢٦٨.

(٧٠٨) تفسير التستري:٩٥.

(٧٠٩) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٧١٠) انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٦.

(٧١١) انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٦.

(٧١٢) أخرجه الطبري:١٧/٤٢٦.

(٧١٣) أخرجه الطبري:١٧/٤٢٦.

(٧١٤) أخرجه الطبري:١٧/٤٢٦.

(٧١٥) أخرجه الطبري:١٧/٤٢٦.

(٧١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٤٧):ص٧/٢٣٢٥.

وأولى التأويلين بالصواب، تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عز وجل عقب ذلك عقيب حضه عباده على بر الآباء والأمهات، فالواجب أن يكون ذلك حضا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر، وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه، وبرك به، والعطف عليه، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبي الله صلى الله عليه وسلم، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله، يدل على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جل ثناؤه (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما) فوجه الخطاب بقوله {وقضى ربك} إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال {ألا تعبدوا إلا إياه} فرجع بالخطاب به إلى الجميع، ثم صرف الخطاب بقوله {إما يبلغن عندك} إلى إفراده به. والمعني بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل، أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، أو عم به هو وجميع أمته"[٧١٧].

قوله تعالى:{وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} [الإسراء : ٢٦]، أي:" وأعط المسكين الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير"[٧١٨].

عن السدي:" {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}، يقول: لا تعط مالك كله"[٧١٩].

قال وهب بن منبه:" من السرف إن يكتسي الإنسان ويأكل ويشرب مما ليس عنده، وما جاوز الكفاف فهو التبذير"[٧٢٠].

وقال مجاهد: "لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا، ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا"[٧٢١].

قال قتادة:" التبذير: النفقة في معصية الله، وفي غير الحق وفي الفساد"[٧٢٢].

وروي أن "أبا العبيدين كان ضرير البصر، سأل ابن مسعود فقال: ما التبذير؟ فقال: إنفاق المال في غير حقه"[٧٢٣].

القرآن

{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)} [الإسراء : ٢٧]

التفسير:

إن المسرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية، وكان الشيطان كثير الكفران شديدَ الجحود لنعمة ربه.

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} [الإسراء : ٢٧]، أي:" إن المسرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية"[٧٢٤].

فال السدي:" يعني: في الدين والولاية"[٧٢٥].

قال مجاهد:" المبذرون: المنفقون في غير حق"[٧٢٦].

القرآن

{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨)} [الإسراء : ٢٨]

---

(٧١٧) تفسير الطبري:٤٢٧/١٧.

(٧١٨) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٧١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤٩):ص٢٣٢٦/٧.

(٧٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٠):ص٢٣٢٦/٧.

(٧٢١) أخرجه الطبري:٤٢٩/١٧.

(٧٢٢) أخرجه الطبري:٤٢٩/١٧.

(٧٢٣) أخرجه الطبري:٤٢٨/١٧.

(٧٢٤) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٧٢٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٩/١.

(٧٢٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٢٠/١.

التفسير:
وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أُمِرْت بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيهم منه طلبًا لرزق تنتظره من عند ربك، فقل لهم قولا ليِّنًا لطيفًا، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعِدْهم بأن الله إذا أيسر من فضله رزقًا أنك تعطيهم منه.

قوله تعالى:{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا} [الإسراء : ٢٨]، أي:" وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أُمِرْت بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيهم منه طلبًا لرزق تنتظره من عند ربك"(٧٢٧).

قال مجاهد:" انتظار رزق الله"(٧٢٨).

قوله تعالى:{فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا} [الإسراء : ٢٨]، أي:" فقل لهم قولا ليِّنًا لطيفًا، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعِدْهم بأن الله إذا أيسر من فضله رزقًا أنك تعطيهم منه"(٧٢٩).

قال الحسن:" لينا سهلا، سيكون إن شاء الله تعالى فافعل، سنصيب إن شاء الله فافعل"(٧٣٠).

قال السدي:" يقول: قل لهم: نعم وكرامة، وليس عندنا اليوم وأن يأتينا شيء نعرف حقه"(٧٣١).

قال السدي في هذه الآية:" كان ناس من بني عبد المطلب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه فإذا صادفوا عنده شيئا أعطاهم، وإن لم يصادفوا عنده شيئا سكت، لم يقل لهم: نعم، ولا، ولا. والقربى، قربى بن عبد المطلب"(٧٣٢).

القرآن

{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩)} [الإسراء : ٢٩]

التفسير:
ولا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيِّقًا على نفسك وأهلك والمحتاجين، ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك، فتقعد ملومًا يلومك الناس ويذمونك، نادمًا على تبذيرك وضياع مالك.

سبب النزول:

عن المنهال بن عمر قال: "بعثت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بابنها فقالت: قل له: اكسني ثوبا فقال: ما عندي شيء فقالت: ارجع إليه فقل له: اكسني قميصك، فرجع إليه فنزع قميصه فأعطاه إياه. فنزلت : {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً}، الآية"(٧٣٣).

قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} [الإسراء : ٢٩]، أي:" ولا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيِّقًا على نفسك وأهلك والمحتاجين"(٧٣٤).

قال السدي: "هذا مثل ضربه الله في أمر النفقة"(٧٣٥).

عن مجاهد: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}: " لا تنفق شيئا"(٧٣٦).

قال ابن شهاب:" لا تمنعه من حق"(٧٣٧).

قال قتادة:" لا تمسكها عن طاعة الله، ولا عن حقه"(٧٣٨).

وقال قتادة:" في النفقة، يقول: لا تمسك عن النفقة"(٧٣٩).

---

(٧٢٧) التفسير الميسر:١٨٥.
(٧٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥١):ص٢٣٢٦/٧.
(٧٢٩) التفسير الميسر:١٨٥.
(٧٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٢):ص٢٣٢٦/٧.
(٧٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٣):ص٢٣٢٦/٧.
(٧٣٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤٧):ص٢٣٢٥/٧.
(٧٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٦):ص٢٣٢٧/٧.
(٧٣٤) التفسير الميسر:١٨٥.
(٧٣٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٢/١.
(٧٣٦) تفسير سفيان الثوري(٥١٥: ١٧: ١٨):ص١٧٢.
(٧٣٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٢٢):ص٥٥/١.
(٧٣٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣١/١.
(٧٣٩) تفسير عبدالرزاق(١٥٦٠):ص٢٩٧/٢.

قال الحسن: "أي: لا تدع النفقة في حق الله، فيكون مثلك مثل الذي غلت يده إلى عنقه فلا يستطيع أن يبسطها"[٧٤٠].

قوله تعالى:{وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} [الإسراء : ٢٩]، أي:" ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك"[٧٤١].

قال مجاهد:" لا تسرف"[٧٤٢].

قال قتادة:" أي: لا تنفقها في معصية الله وفيما لا يصلح، وهو الإسراف"[٧٤٣].

وقال قتادة:" لا تبذر تبذيرا[٧٤٤].

قال ابن شهاب:" ولا تنفعه في باطل"[٧٤٥].

قوله تعالى:{فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء : ٢٩]، أي:" فتقعد ملومًا يلومك الناس ويذمونك، نادمًا على تبذيرك وضياع مالك"[٧٤٦].

قال مجاهد:" {ملوما} فيما بينك وبين ربك، {محسورا} في مالك"[٧٤٧].

قال قتادة:" نادما على ما فرط منك"[٧٤٨].

قال الحسن في هذه الآية:" نهاه عن السرف والبخل"[٧٤٩].

عن عبد الله بن مسعود، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما عال من اقتصد"[٧٥٠].

القرآن

{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)} [الإسراء : ٣٠]

التفسير:

إن ربك يوسِّع الرزق على بعض الناس، ويضيِّقه على بعضهم، وَفْق علمه وحكمته سبحانه وتعالى. إنه هو المطَّلِع على خفايا عباده، لا يغيب عن علمه شيء من أحوالهم.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الإسراء : ٣٠]، أي:" إن ربك يوسِّع الرزق على بعض الناس، ويضيِّقه على بعضهم، وَفْق علمه وحكمته سبحانه وتعالى"[٧٥١].

قال الحسن:" ينظر له، فإن كان الغنى خيرا له أغناه وان كان الفقر خير له أفقره"[٧٥٢].

وقال الحسن:" يبسط لهذا مكرا به ويقدر لهذا نظرا له"[٧٥٣].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ٣٠]، أي:" إنه هو المطَّلِع على خفايا عباده، لا يغيب عن علمه شيء من أحوالهم"[٧٥٤].

قال قتادة :" خبير بخلقه"[٧٥٥].

القرآن

---

(٧٤٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣١/١.

(٧٤١) التفسير الميسر:١٨٥.

(٧٤٢) تفسير سفيان الثوري(٥١٥: ١٧: ١٨):ص١٧٢.

(٧٤٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٢/١.

(٧٤٤) تفسير عبدالرزاق(١٥٦٠):ص٢٩٧/٢.

(٧٤٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٢٢):ص٥٥/١.

(٧٤٦) التفسير الميسر:١٨٥.

(٧٤٧) تفسير سفيان الثوري(٥١٥: ١٧: ١٨):ص١٧٢.

(٧٤٨) تفسير عبدالرزاق(١٥٦٠):ص٢٩٧/٢.

(٧٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٥٩):ص٢٣٢٧/٧.

(٧٥٠)المسند (٤٤٧/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) : "فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف".

(٧٥١) التفسير الميسر:١٨٥.

(٧٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٦١):ص٢٣٢٧/٧.

(٧٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٦٢):ص٢٣٢٨/٧.

(٧٥٤) التفسير الميسر:١٨٥.

(٧٥٥) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١)} [الإسراء : ٣١]

التفسير:

وإذا علمتم أن الرزق بيد الله سبحانه فلا تقتلوا -أيها الناس- أولادكم خوفًا من الفقر؛ فإنه -سبحانه- هو الرزاق لعباده، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء، إنَّ قَتْلَ الأولاد ذنب عظيم.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} [الإسراء : ٣١]، أي:" فلا تقتلوا -أيها الناس- أولادكم خوفًا من الفقر"(٧٥٦).

قال قتادة:" أي: خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة"(٧٥٧).

قال قتادة:" كانوا يقتلون البنات"(٧٥٨).

عن مجاهد:"{خشية إملاق}، قال: الفاقة والفقر"(٧٥٩).

قال السدي:" الإملاق: الفقر"(٧٦٠).

قال الضحاك:" يعني: من خشية فقر"(٧٦١).

قال ابن جريج:" شياطينهم، يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة"(٧٦٢).

قوله تعالى:{نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} [الإسراء : ٣١]، أي:" نحن نرزقهم ونرزقكم فلا تخافوا الفقر بسببهم"(٧٦٣).

قال قتادة:" فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال {نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا}"(٧٦٤).

قوله تعالى:{إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء : ٣١]، أي:" إنَّ قَتْلَ الأولاد ذنب عظيم"(٧٦٥).

عن مجاهد: "{إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}، قال: أي: خطيئة"(٧٦٦).

قال الحسن: ذنبا كبيرا"(٧٦٧).

قال قتادة: إثما كبيرا"(٧٦٨).

القرآن

{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} [الإسراء : ٣٢]

التفسير:

ولا تقربوا الزنى ودواعيه؛ كي لا تقعوا فيه، إنه كان فعلا بالغ القبح، وبئس الطريق طريقه.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} [الإسراء : ٣٢]، أي:" ولا تقربوا الزنى ودواعيه؛ كي لا تقعوا فيه، إن الزنى كان فعلا بالغ القبح"(٧٦٩).

قال السدي:" أما "الفاحشة": فالزنا"(٧٧٠).

قوله تعالى:{وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء : ٣٢]، أي:" وبئس الطريق طريقه"(٧٧١).

---

(٧٥٦) التفسير الميسر:٢٨٥.
(٧٥٧) أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
(٧٥٨) أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
(٧٥٩) أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
(٧٦٠) تفسير الطبري(١٤١٣٧):ص٢١٧/١٢.
(٧٦١) تفسير الطبري(١٤١٣٩):ص٢١٨/١٢.
(٧٦٢) تفسير الطبري(١٤١٣٨):ص٢١٧/١٢-٢١٨.
(٧٦٣) صفوة التفاسير:١٤٦/٢.
(٧٦٤) أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
(٧٦٥) التفسير الميسر:٢٨٥.
(٧٦٦) أخرجه الطبري: ٤٣٨/١٧.
(٧٦٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٢/١.
(٧٦٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٢/١.
(٧٦٩) التفسير الميسر:٢٨٥.
(٧٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٤١٧٢):ص٨٦٤/٣.
(٧٧١) التفسير الميسر:٢٨٥.

عن السدي: "{وساء سبيلا}، يعني: المسلك"[٧٧٢].

عن عطاء بن أبي رباح: "{وساء سبيلا}، قال: طريقا لمن عمل به"[٧٧٣].

قال قتادة: "عن الحسن -رضي الله عنه-:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ولا ينتهب حين ينتهب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يغل حين يغل وهو مؤمن قيل: يا رسول الله والله إن كنا لنرى أنه يأتي ذلك وهو مؤمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا فعل شيئا من ذلك نزع الإيمان من قلبه فإن تاب تاب الله عليه"[٧٧٤].

عن الهيثم بن مالك الطائي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له"[٧٧٥].

القرآن

{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)} [الإسراء : ٣٣]

التفسير:

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قَتْلها إلا بالحق الشرعي كالقصاص أو رجم الزاني المحصن أو قتل المرتد. ومن قُتِل بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره مِن وارث أو حاكم حجة في طلب قَتْل قاتله أو الدية، ولا يصح لولي أمر المقتول أن يجاوز حدَّ الله في القصاص كأن يقتل بالواحد اثنين أو جماعة، أو يُمَثِّل بالقاتل، إن الله معين وليَّ المقتول على القاتل حتى يتمكن مِن قَتْله قصاصًا.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الإسراء : ٣٣]، أي:" ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قَتْلها إلا بالحق الشرعي"[٧٧٦].

قال قتادة:" وإنا والله ما نعلم بحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، إلا رجلا قتل متعمدا، فعليه القود، أو زنى بعد إحصانه فعليه الرجم؛ أو كفر بعد إسلامه فعليه القتل"[٧٧٧].

في الصحيحين ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة"[٧٧٨].

وفي السنن : "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق"[٧٧٩].

وفي رواية:« لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم يسفك بغير حق»[٧٨٠].

وفي رواية:« لزوال الدنيا وما فيها أهون على الله من قتل مسلم بغير حق»[٧٨١].

وفي رواية:« لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[٧٨٢].

---

(٧٧٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٢/١.

(٧٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٨٠):ص٩١٠/٣.

(٧٧٤) الدر المنثور: ٢٨٠/٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٧٧٥)الورع لابن أبي الدنيا برقم (١٣٧) وفيه ثلاث علل : الأولى : تدليس بقية. الثانية : ابن أبي مريم ضعيف. الثالثة : الإرسال. أ. هـ مستفادا من حاشية الأستاذ محمد الحمود ، وسيأتي الحديث عند تفسير الآية : ٦٨ من سورة الفرقان.

(٧٧٦) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٧٧٧) أخرجه الطبري:٤٣٩/١٧.

(٧٧٨)صحيح البخاري برقم (٦٨٧٨) وصحيح مسلم برقم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود ، رضي الله عنه.

(٧٧٩)أخرجه ابن ماجه (٨٧٤/٢، رقم ٢٦١٩) ، قال البوصيرى (١٢٢/٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٥/٤، رقم ٥٣٤٣).

(٧٨٠)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٥/٤، رقم ٥٣٤٣).

(٧٨١)أخرجه ابن عساكر (١٩٣/٦٥).

(٧٨٢)أخرجه الترمذى (١٦/٤، رقم ١٣٩٥) ، وقال: روى سفيان الثورى عن يعلى بن عطاء موقوفا وهذا أصح من الحديث المرفوع. والنسائى (٨٢/٧، رقم ٣٩٨٧) ، والبيهقى (٢٢/٨، رقم ١٥٦٤٨) وقال: ورواه غندر وغيره عن شعبة موقوفا والموقوف أصح.

.

قوله تعالى:{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا} [الإسراء : ٣٣]، أي:" ومن قُتِل بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره مِن وارث أو حاكم حجة في طلب قَتْل قاتله أو الدية"[٧٨٣].

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا} [الإسراء : ٣٣]، وجهان:

أحدهما : أنه القود[٧٨٤] الذي جعله الله تعالى، قاله قتادة[٧٨٥].

الثاني : أنه الخيار بين القود أو الدية أو العفو ، وهذا قول الضحاك[٧٨٦].

والصواب"أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله الضحاك، من أن لولي القتيل القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء العفو، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة: "ألا ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين بين أن يقتل أو يأخذ الدية"[٧٨٧].

قوله تعالى:{فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ} [الإسراء : ٣٣]، أي:" فلا يتجاوز الحدَّ المشروع"[٧٨٨].

قال طليث بن حبيب:" لا يقتل غير قاتله، ولا يمثل به"[٧٨٩].

قال سعيد بن جبير:" لا يقتل اثنين بواحد"[٧٩٠].

قال مجاهد:" لا يقتل غير قاتله"[٧٩١].

قال قتادة:" من قتل بحديدة قتل بحديدة، ومن قتل بخشبة، قتل بخشبه ومن قتل بحجر قتل بحجر، ولا يقتل غير قاتله"[٧٩٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} [الإسراء : ٣٣]، أي:" إن الله معين وليَّ المقتول على القاتل حتى يتمكن مِن قَتْله قصاصًا"[٧٩٣].

قال مجاهد: "إن المقتول كان منصورا"[٧٩٤].

القرآن

{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)} [الإسراء : ٣٤]

التفسير:

ولا تتصرَّفوا في أموال الأطفال الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمير والتنمية، حتى يبلغ الطفل اليتيم سنَّ البلوغ، وحسن التصرف في المال، وأتموا الوفاء بكل عهد التزمتم به. إن العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أتمه ووفَّاه، ويعاقبه إذا خان فيه.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء : ٣٤]، أي:" ولا تتصرَّفوا في أموال الأطفال الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمير والتنمية"[٧٩٥].

قال زيد بن أسلم:" الأكل بالمعروف، أن تأكل معه إذا احتجت إليه"[٧٩٦].

---

(٧٨٣) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٧٨٤) أي: القتل.

(٧٨٥) انظر: تفسير الطبري:٤٤٠/١٧.

(٧٨٦) انظر: تفسير الطبري:٤٤٠/١٧.

(٧٨٧) تفسير الطبري:٤٤٠/١٧.

(٧٨٨) صفوة التفاسير:١٤٦/٢.

(٧٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٠):ص٢٣٢٩/٧.

(٧٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧١):ص٢٣٢٩/٧.

(٧٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٢):ص٢٣٢٩/٧.

(٧٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٣):ص٢٣٢٩/٧.

(٧٩٣) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٧٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٥):ص٢٣٢٩/٧.

(٧٩٥) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٧٩٦) انظر: تفسير الطبري:٤٤٤/١٧.

قال قتادة:" كانوا لا يخالطونهم في مال ولا مأكل ولا مركب، حتى نزلت : {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُم}[٧٩٧]"[٧٩٨].

وقال قتادة:" لما نزلت هذه الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره، فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}[٧٩٩]، فكانت هذه لهم فيها رخصة "[٨٠٠].

وقد جاء في صحيح مسلم ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : "يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفًا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي : لا تَأَمَّرَن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم »[٨٠١] "[٨٠٢].

قوله تعالى:{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الإسراء : ٣٤]، أي:" حتى يبلغ الطفل اليتيم سنَّ البلوغ وحسن التصرف في المال"[٨٠٣].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الإسراء : ٣٤]، وجوه:

أحدها : أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات ، قاله ربيعة[٨٠٤]، وزيد بن أسلم[٨٠٥]، ومالك[٨٠٦]، وعامر[٨٠٧].

الثاني :أنه خمس عشرة سنة. وهذا قول محمد بن قيس[٨٠٨].

الثالث:أنه ثماني عشرة سنة ، وهذا قول سعيد بن جبير[٨٠٩].

الرابع: أنه خمس وعشرون سنة. قاله عكرمة[٨١٠]، وهو اختيار أبي حنيفة[٨١١].

الخامس: أن الأشُد: ثلاثون سنة ، قاله السدي[٨١٢].

السادس:أن الأشد: ثلاث وثلاثون سنة. وهذا مروي عن مجاهد[٨١٣]، وقتادة[٨١٤].

السابع: أنه أربعون سنة. وهذا قول الحسن[٨١٥].

وإذا كان استناد الإمام الحسن-رحمه الله- على قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف : ١٥]، فإن " أشد اليتيم غير أشد الرجل في قول الله عز وجل: {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة}، وإن كان اللفظان واحدا؛ لأن أشد الرجل: الاكتهال والحنكة وأن يشتد رأيه وعقله. وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة. وأشد الغلام: أن يشتد خلقه، ويتناهى ثباته"[٨١٦].

---

(٧٩٧)[البقرة : ٢٢٠].
(٧٩٨) أخرجه الطبري:١٧/٤٤٤.
(٧٩٩)[البقرة : ٢٢٠].
(٨٠٠) أخرجه الطبري:١٧/٤٤٤.
(٨٠١)صحيح مسلم برقم (١٨٢٦).
(٨٠٢) تفسير ابن كثير:٥/٧٤.
(٨٠٣) التفسير الميسر:٢٨٥.
(٨٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥١):ص١٢/٢٢٣.
(٨٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص١٢/٢٢٣.
(٨٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص١٢/٢٢٣.
(٨٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٣):ص١٢/٢٢٣.
(٨٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٢):ص٥/١٤٢٠.
(٨٠٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٩):ص٥/١٤١٩-١٤٢٠.
(٨١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩١):ص٥/١٤٢٠.
(٨١١) انظر: تفسير القرطبي:٧/١٣٥.
قال ابن العربي: "وعجبا من أبي حنيفة، فإنه يرى أن المقدرات لا تثبت قياسا ولا نظرا وإنما تثبت نقلا، وهو يثبتها بالأحاديث الضعيفة، ولكنه سكن دار الضرب فكثر عنده المدلس، ولو سكن المعدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه إلا إبريز الدين".[أحكام القرآن:٢/٧٦١]
(٨١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٤):ص١٢/٢٢٣-٢٢٣.
(٨١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٥/١٤١٩. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٨١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٥/١٤١٩. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٨١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٧):ص٥/١٤١٩.
(٨١٦) غريب القرآن لابن قتيبة:٢٥٤.

الثامن: أنه حتى يعقل وتجتمع قوته. قاله أبو العالية[٨١٧].

والظاهر أن قوله:{ حتى يبلغ أشده}، يعني: قوته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين، فإن الأشد وقعت هنا مطلقة، وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة" النساء" مقيدة، فقال:{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا } [النساء : ٦]، فجمع بين قوة البدن وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة وهو إيناس الرشد، فلو مكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوة لأذهبه في شهوته وبقي صعلوكا لا مال له. وخص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس عنه وافتقاد الآباء لأبنائهم فكان الاهتبال[٨١٨] بفقيد الأب أولى. وليس بلوغ الأشد مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن، الأحسن، لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة. وخص اليتيم بالذكر لأن خصمه الله. والمعنى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده. وفي الكلام حذف، فإذا بلغ أشده وأونس منه الرشد فادفعوا إليه ماله[٨١٩].

قوله تعالى:{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء : ٣٤]، أي:" وأتموا الوفاء بكل عهد التزمتم به، إن العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أتمه ووفَّاه، ويعاقبه إذا خان فيه"[٨٢٠].

قال سعيد بن جبير:" يسأل الله ناقض العهد عن نقضه"[٨٢١].

قال ميمون بن مهران:" ثلاث تؤدي إلى البر والفاجر، العهد يوفى إلى البر والفاجر، وقرأ :{وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا}"[٨٢٢].

قال كعب الأحبار:" من نكث بيعه، كانت سترا بينه وبين الجنة قال: وإنما تهلك هذه الأمة بنكثها عهودها"[٨٢٣].

قال السدي:" يوم أنزلت هذه كان إنما يسأل عنه ثم يدخل الجنة، فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ}[٨٢٤]"[٨٢٥].

القرآن

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)} [الإسراء : ٣٥]

التفسير:

وأتموا الكيل، ولا تنقصوه إذا كِلتم لغيركم، وزنوا بالميزان السوي، إن العدل في الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة.

قوله تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ} [الإسراء : ٣٥]، أي:" وأتموا الكيل، ولا تنقصوه إذا كِلتم لغيركم"[٨٢٦].

قال سعيد بن جبير:" يعني: لغيركم"[٨٢٧].

قوله تعالى:{وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} [الإسراء : ٣٥]، أي:" وزنوا بالميزان السوي"[٨٢٨].

قال سعيد بن جبير:" يعني: الميزان، وبلغة الروم الميزان القسطاسي"[٨٢٩].

عن مجاهد، قال: "{بالقسطاس}، العدل بالرومية"[٨٣٠].

---

(٨١٧) تفسير البغوي:٣/٢٠٤.

(٨١٨)الاهتبال: اغتنام الفرصة وابتغاءها وتكسبها: أي الاشتغال بشأن اليتيم أولى.

(٨١٩) تفسير القرطبي:٧/١٣٤-١٣٥.

(٨٢٠) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٨٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٧):ص٧/٢٣٣٠.

(٨٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٨):ص٧/٢٣٣٠.

(٨٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٩):ص٧/٢٣٣٠.

(٨٢٤)[آل عمران : ٧٧].

(٨٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٦):ص٧/٢٣٣٠.

(٨٢٦) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٨٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٠):ص٧/٢٣٣٠.

(٨٢٨) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٨٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٠):ص٧/٢٣٣٠.

(٨٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٢):ص٧/٢٣٣١.

عن قتادة :"{ وزنوا بالقسطاس}، قال: القبان"[٨٣١].
عن الحسن :{وزنوا بالقسطاس}، قال: بالحديد"[٨٣٢].
قوله تعالى:{ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [الإسراء : ٣٥]، أي:" إن العدل في الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة"[٨٣٣].
قال مجاهد:" يعني" أحسن جزاء"[٨٣٤].
قال السدي:" يعني: عاقبة في الآخرة"[٨٣٥].
قال سعيد بن جبير:" يعني" وفاء الكيل والميزان خير من النقصان {وأحسن تأويلا}: عاقبة"[٨٣٦].
قال قتادة:" أي: خير ثوابا وعاقبة، وأخبرنا إن ابن العباس رضي الله عنهما كان يقول: يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين: بهما هلك الناس قبلكم، هذا المكيال، وهذا الميزان قال: وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله، إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك»"[٨٣٧].
عن أبي قتادة وأبي الدهماء عن رجل من أهل البادية ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال : "إنك لا تدع شيئا اتقاء الله ، عز وجل ، إلا أعطاك الله خيرا منه"[٨٣٨].

القرآن
{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)} [الإسراء : ٣٦]
التفسير:
ولا تتبع -أيها الإنسان- ما لا تعلم، بل تأكَّد وتثبَّت. إن الإنسان مسؤول عما استعمَل فيه سمعه وبصره وفؤاده، فإذا استعمَلها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب.
قوله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء : ٣٦]، أي:" لا تتَّبعْ ما لا تعلم ولا يَعْنيك بل تثبَّتْ من كل خبر"[٨٣٩].
وفي قوله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء : ٣٦]، وجهان:
أحدهما : معناه: لا تقل سمعت، ولم تسمع، ولا تقل: رأيت، ولم تر، فإن الله سائلك عن ذلك كله. وهذا قول قتادة[٨٤٠].
وروي عن ابن حنيفية:" {ولا تقف ما ليس لك به علم}، قال: شهادة الزور"[٨٤١].
قال السدي:" هذا في الفرية يوم نزلت الآية لم يكن فيها حد، إنما كان يسأل عنه يوم القيامة، ثم يغفر له حتى نزلت هذه آية الفرية جلد ثمانين"[٨٤٢].
الثاني : معناه: ولا ترم أحد بما ليس لك به علم ، وهذا قول مجاهد[٨٤٣].
وهذان التفسيران متقاربا المعنى، لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، وادعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره[٨٤٤].

---

(٨٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٣):ص٢٣٣١/٧.
(٨٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٤):ص٢٣٣١/٧.
(٨٣٣) التفسير الميسر:٢٨٥.
(٨٣٤) تفسير مجاهد: ٢٨٥، وتفسير ابن أبي حاتم(٥٥٤٥):ص٩٩٠/٣.
(٨٣٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٥/١.
(٨٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٠):ص٢٣٣٠/٧.
(٨٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٨١):ص٢٣٣٠/٧.
(٨٣٨)مسند أحمد (٧٨/٥).
(٨٣٩) صفوة التفاسير:١٤٧/٢.
(٨٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٨٨):ص٢٣٣١/٧.
(٨٤١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٨٦):ص٢٣٣١/٧.
(٨٤٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٨٧):ص٢٣٣١/٧.
(٨٤٣) انظر: تفسير الطبري:٤٤٧/١٧.
(٨٤٤) تفسير الطبري:٤٤٧/١٧.

قوله تعالى:{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء : ٣٦]، أي:" إن الإنسان يُسأل يوم القيامة عن حواسه: عن سمعه، وبصره، وقلبه وعما اكتسبته جوارحه"(٨٤٥).

قال عكرمة:" يقول: سمعه وبصره يشهد عليه"(٨٤٦).

قال عمرو بن قبيس:" يقال للأذن يوم القيامة هل سمعت؟ ويقال للعين: هل رأيت؟ ويقال للفؤاد: مثل ذلك"(٨٤٧).

القرآن

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧)} [الإسراء : ٣٧]

التفسير:

ولا تمش في الأرض مختالا متكبرا؛ فإنك لن تَخْرق الأرض بمشيك عليها بهذه الصفة، ولن تبلغ الجبال طولا بخيلائك وفخرك وكبرك.

قوله تعالى:{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} [الإسراء : ٣٧]، أي:" ولا تمش في الأرض مختالا متكبرا"(٨٤٨).

قال قتادة:" لا تمش في الأرض فخرا وكبرا"(٨٤٩).

قال ابن جريج:" لا تفخر"(٨٥٠).

قوله تعالى:{إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ} [الإسراء : ٣٧]، أي:" فإنك لن تَخْرق الأرض بمشيك عليها بهذه الصفة"(٨٥١).

قال قتادة:" ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك"(٨٥٢).

قوله تعالى:{وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء : ٣٧]، أي:" ولن تبلغ الجبال طولا بخيلائك وفخرك وكبرك"(٨٥٣).

قال قتادة: يعني" بكبرك ومرحك"(٨٥٤). وفي رواية:" بكبرك وفخرك"(٨٥٥).

عن حجاج بن محمد ، بن أبي بكر الهذلي، قال : "بينما نحن مع الحسن ، إذ مَر عليه ابن الأهتم - يريد المنصور - وعليه جِبَابُ خَزّ قد نُضّد بعضها فوق بعض على ساقه ، وانفرج عنها قباؤه ، وهو يمشي ويتبختر ، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثان عطفه ، مصعر خده ، ينظر في عطفيه ، أيّ حُمَيْق ينظر في عطفه في نِعَم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدّى حقّ الله منها! والله إن يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون ، في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة ، فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه ، فقال : لا تعتذر إلي ، وتب إلى ربك ، أما سمعت قول الله تعالى : {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا }"(٨٥٦).

وروي أنه :"رأى البختريّ العابدُ رجلا من آل علي يمشي وهو يخطِر في مشيته ، فقال له : يا هذا ، إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته! قال : فتركها الرجل بعد"(٨٥٧).

وروي أنه "رأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته ، فقال : إن للشياطين إخوانًا"(٨٥٨).

---

(٨٤٥) صفوة التفاسير:١٤٧/٢.

(٨٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٩):ص٢٣٣١/٧.

(٨٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٩٠):ص٢٣٣١/٧.

(٨٤٨) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٨٤٩) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

(٨٥٠) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

(٨٥١) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٨٥٢) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

(٨٥٣) التفسير الميسر:٢٨٥.

(٨٥٤) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

(٨٥٥) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

(٨٥٦) أخرجه ابن أبي دنيا في الخمول والتواضع برقم (٢٣٧).

(٨٥٧) ذكره ابن كثير في تفسيره:٧٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في "الخمول والتواضع".

(٨٥٨) ذكره ابن كثير في تفسيره:٧٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في "الخمول والتواضع".

وقال : خالد بن مَعْدان : "إياكم والخَطْر ، فإن الرّجل يَدُه من سائر جسده"[٨٥٩].
عن سعيد، عن يُحَنَّس، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا مشت أمتي المطيطاء ، وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض"[٨٦٠].

القرآن
{كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)} [الإسراء : ٣٨]
التفسير:
جميع ما تقدَّم ذِكْرُه من أوامر ونواهٍ، يكره الله سيِّئَه، ولا يرضاه لعباده.
عن عبد الله بن كثير: :أنه كان يقرأ «كل سيئة عند ربك مكروها» على واحد يقول: هذه الأشياء التي نهيت عنها، كل سيئه"[٨٦١].

القرآن
{ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩)} [الإسراء : ٣٩]
التفسير:
ذلك الذي بيَّناه ووضَّحناه من هذه الأحكام الجليلة، من الأمر بمحاسن الأعمال، والنهي عن أراذل الأخلاق مما أوحيناه إليك أيها النبي. ولا تجعل -أيها الإنسان- مع الله تعالى شريكًا له في عبادته، فتُقْذف في نار جهنم تلومك نفسك والناس، وتكون مطرودًا مبعدًا من كل خير.[٨٦٢].
قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء : ٣٩]، أي:" لا تشرك مع الله غيره من وثنٍ أو بشر فتلقى في جهنم ملوماً تلوم نفسك ويلومك اللهُ والخلق مطروداً مبعداً من كل خير"[٨٦٣].
قال قتادة:" ملوما في عبادة الله، مدحورا في النار"[٨٦٤].

القرآن
{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)} [الإسراء : ٤٠]
التفسير:
أفخصَّكم ربكم -أيها المشركون- بإعطائكم البنين، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ إن قولكم هذا بالغ القبح والبشاعة، لا يليق بالله سبحانه وتعالى.
قوله تعالى:{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا} [الإسراء : ٤٠]، أي:" أفخصَّكم ربكم -أيها المشركون- بإعطائكم البنين، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟"[٨٦٥].
عن قتادة :"{واتخذ من الملائكة إناثا}، قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله"[٨٦٦].

القرآن
{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢)} [الإسراء : ٤٢]

---

(٨٥٩) ذكره ابن كثير في تفسيره:٧٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في "الخمول والتواضع".
(٨٦٠)الخمول والتواضع برقم (٢٤٩) وهو مرسل ، وجاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، رواه الترمذي في السنن برقم (٢٢٦١) من طريق زيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عنه ، ولفظ آخره "سلط الله شرارها على خيارها" وقال الترمذي : "هذا حديث غريب".
(٨٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٩٢):ص٢٣٣٢/٧.
(٨٦٢) التفسير الميسر:٢٨٦.
(٨٦٣) صفوة التفاسير:٢/!٤٧.
(٨٦٤) أخرجه الطبري:٤٥٢/١٧.
(٨٦٥) التفسير الميسر:٢٨٥.
(٨٦٦) أخرجه الطبري:٤٥٣/١٧.

التفسير:
قل -أيها الرسول- للمشركين: لو أن مع الله آلهة أخرى، إذًا لطلبَتْ تلك الآلهة طريقًا إلى مغالبة الله ذي العرش العظيم.

قوله تعالى:{إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٢]، أي:" إذًا لطلبَتْ تلك الآلهة طريقًا إلى مغالبة الله ذي العرش العظيم"[٨٦٧].

قال قتادة:" لابتغوا القرب إليه، مع أنه ليس كما يقولون"[٨٦٨]. وفي لفظ:" وقال قتادة: إذا لعرفوا له فضله عليهم، ولابتغوا إليه ما يقربهم إليه"[٨٦٩].

وفي قوله تعالى:{إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٢]، وجهان:

أحدهما : لطلبوا إليه طريقاً يتصلون به لأنهم شركاء؛ وهو معنى قول سعيد بن جبير[٨٧٠].

قال سعيد بن جبير:" على أن ينزلوا ملكه"[٨٧١].

الثاني : ليتقربوا إليه لأنهم دونه، قاله قتادة[٨٧٢].

قال قتادة:" يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقربهم إليه"[٨٧٣].

القرآن

{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)} [الإسراء : ٤٣]

التفسير:

تنزَّه الله وتقدَّس عَمَّا يقوله المشركون وتعالى علوًا كبيرًا.

قال قتادة:" يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان"[٨٧٤].

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٨٧٥].

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[٨٧٦].

القرآن

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)} [الإسراء : ٤٤]

التفسير:

تُسَبِّح له -سبحانه- السموات السبع والأرضون، ومَن فيهن مِن جميع المخلوقات، وكل شيء في هذا الوجود ينزه الله تعالى تنزيهًا مقرونًا بالثناء والحمد له سبحانه، ولكن لا تدركون -أيها الناس- ذلك. إنه سبحانه كان حليمًا بعباده لا يعاجل مَن عصاه بالعقوبة، غفورًا لهم.

قوله تعالى:{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [الإسراء : ٤٤]، أي:" تُسَبِّح له -سبحانه- السموات السبع والأرضون، ومَن فيهن مِن جميع المخلوقات"[٨٧٧].

كان الحسن يقول: "إن الجبل يسبح، فإذا قطع منه شيء لم يسبح المقطوع ويسبح الأصل، وكذلك الشجرة ما قطع منها لم يسبح وتسبح هي"[٨٧٨].

---

(٨٦٧) التفسير الميسر:٢٨٦.
(٨٦٨) أخرجه الطبري:٤٥٤/١٧.
(٨٦٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٣٧/١.
(٨٧٠) انظر: النكت والعيون: ٢٤٥/٣.
(٨٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٩٥):ص٢٣٣٢/٧.
(٨٧٢) انظر: تفسير الطبري:٤٥٤/١٧.
(٨٧٣) أخرجه الطبري:٤٥٤/١٧.
(٨٧٤) غريب القرآن:٢٥٥.
(٨٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.
(٨٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.
(٨٧٧) التفسير الميسر:٢٨٦.
(٨٧٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٨!/١.

قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء : ٤٤]، أي:" وكل شيء في هذا الوجود ينزه الله تعالى تنزيهًا مقرونًا بالثناء والحمد له سبحانه، ولكنْ لا تفهمون تسبيح هذه الأشياء لأنها ليست بلغاتكم"[٨٧٩].

قال عكرمة:" لا يعيبن أحدكم دابته ولا ثوبه، فإن كل شيء يسبح بحمده"[٨٨٠].

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : وإن من شيء فيه الروح من الحيوان والنبات الا يسبح بحمده، فأما ما ليس بحي فلا ، قاله الحسن[٨٨١]، وقتادة[٨٨٢]، والضحاك[٨٨٣].

قال قتادة:" كل شيء فيه الروح يسبح، من شجر أو شيء فيه الروح"[٨٨٤].

عن الضحاك والحسن :"أنهما قالا في قوله :{وإن من شيء إلا يسبح بحمده}، قالا كل شيء فيه الروح"[٨٨٥].

الثاني : إن جميع المخلوقات تسبح له من حي وغير حي حتى صرير الباب ، قاله إبراهيم النخعي[٨٨٦].

قال إبراهيم:" الطعام يسبح"[٨٨٧].

الثالث : أنه كل ذي روح، وكل نام من شجر أو نبات. وهذا قول عكرمة[٨٨٨].

قال عكرمة:" الشجرة تسبح، والأسطوانة تسبح"[٨٨٩].

والظاهر أن هذا عام في الحيوانات والنبات والجماد ، وهذا أشهر القولين ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن ابن مسعود أنه قال : "كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل"[٨٩٠]"[٨٩١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء : ٤٤]، أي:" إنه سبحانه كان حليمًا بعباده لا يعاجل مَن عصاه بالعقوبة، غفورًا لهم"[٨٩٢].

عن قتادة :"{إنه كان حليما} عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض، {غفورا} لهم إذا تابوا"[٨٩٣].

القرآن

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥)} [الإسراء : ٤٥]

التفسير:

وإذا قرأت القرآن فسمعه هؤلاء المشركون، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا ساترًا يحجب عقولهم عن فَهْم القرآن؛ عقابًا لهم على كفرهم وإنكارهم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أبي لهب وامرأته، وأبى البختري، وزمعة اسمه عمرو بن الأسود، وسهيل، وحويطب، كلهم من قريش"[٨٩٤].

---

(٨٧٩) التفسير الميسر:٢٨٦.

(٨٨٠) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧.

(٨٨١) انظر: تفسير الطبري:٤٥٦/١٧، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٣.

(٨٨٢) انظر: تفسير الطبري:٤٥٦/١٧، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٣.

(٨٨٣) انظر: تفسير الطبري:٤٥٦/١٧، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٣.

(٨٨٤) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.

(٨٨٥) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.

(٨٨٦) انظر: النكت والعيون:٢٤٥/٣، وزاد المسير:٢٦/٣.

(٨٨٧) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.

(٨٨٨) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧.

(٨٨٩) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧. والأسطوانة : السارية

(٨٩٠) تفسير ابن كثير:٧٩/٥.

(٨٩١) تفسير ابن كثير:٧٩/٥.

(٨٩٢) التفسير الميسر:٢٨٦.

(٨٩٣) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.

(٨٩٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٣/٢.

قال قتادة:" الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم"[٨٩٥].

قال ابن زيد:" قال أبي: لا يفقهونه، وقرأ {قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر}، لا يخلص ذلك إليهم"[٨٩٦].

عن الحسن:" أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاباً في عدم رؤيتك"[٨٩٧].

القرآن

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)} [الإسراء : ٤٦]

التفسير:

وجعلنا على قلوب المشركين أغطية؛ لئلا يفهموا القرآن، وجعلنا في آذانهم صممًا؛ لئلا يسمعوه، وإذا ذَكَرْتَ ربك في القرآن داعيًا لتوحيده ناهيًا عن الشرك به رجعوا على أعقابهم نافرين من قولك؛ استكبارًا واستعظامًا من أن يوحِّدوا الله تعالى في عبادته.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الإسراء : ٤٦]، أي:" وجعلنا على قلوب المشركين أغطية؛ لئلا يفهموا القرآن، وجعلنا في آذانهم صممًا؛ لئلا يسمعوه"[٨٩٨].

قال السدي:" أما أكنة فالغطاء أكن قلوبهم"[٨٩٩]. وروي عن مجاهد، وعطية، والضحاك، نحو ذلك[٩٠٠].

عن السدي قوله: "{أن يفقهوه}: لا يفقهون الحق"[٩٠١]. قوله: "{في آذانهم وقرا}، قال: صمم"[٩٠٢].

قال قتادة:" يسمعونه بآذانهم، ولا يعون منه شيئا كمثل البهيمة التي تسمع القول، ولا تدري ما يقال لها"[٩٠٣].

قوله تعالى:{وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} [الإسراء : ٤٦]، أي:" وإذا ذَكَرْتَ ربك في القرآن داعيًا لتوحيده ناهيًا عن الشرك به، رجعوا على أعقابهم نافرين من قولك؛ استكبارًا واستعظامًا من أن يوحِّدوا الله تعالى في عبادته"[٩٠٤].

عن قتادة، قال: "إن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون، وكبرت عليهم، وضاقها إبليس وجنوده"[٩٠٥].

القرآن

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧)} [الإسراء : ٤٧]

التفسير:

نحن أعلم بالذي يستمعه رؤساء قريش، إذ يستمعون إليك، ومقاصدهم سيئة، فليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقَبول الحق، ونعلم تَناجيهم حين يقولون: ما تتبعون إلا رجلا أصابه السحر فاختلط عقله.

---

(٨٩٥) أخرجه الطبري:١٧/٤٥٧.
(٨٩٦) أخرجه الطبري:١٧/٤٥٧.
(٨٩٧) انظر: النكت والعيون:٣/٢٤٦.
(٨٩٨) التفسير الميسر:٢٨٦.
(٨٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٩٠):ص١٢٧٥/٤.
(٩٠٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧٥/٤.
(٩٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٩١):ص١٢٧٥/٤.
(٩٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٩٣):ص١٢٧٥/٤.
(٩٠٣) تفسير عبدالرزاق(٨٠٥):ص٥٠/٢.
(٩٠٤) التفسير الميسر:٢٨٦.
(٩٠٥) رواه يحيى بن سلام في "التفسير: ٣٩/١.

قوله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} [الإسراء : ٤٧]، أي:" نحن أعلم بالغاية التي يستمعون من أجلها للقرآن وهي الاستهزاء والسخرية، حين يستمعون إلى قراءتك يا محمد ثم يتناجون ويتحدثون بينهم سرا"(٩٠٦).

قال مجاهد:" هي في مثل قول الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة"(٩٠٧).

قال قتادة:" نجواهم أن زعموا أنه مجنون، وأنه ساحر، وقالوا {أساطيرُ الأوَّلِينَ}"(٩٠٨).

قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} [الإسراء : ٤٧]، أي:" حين يقول أولئك الفجرة ما تتبعون إلا رجلاً سُحر فجُنَّ فاختلط كلامه"(٩٠٩).

عن مجاهد: "{رَجُلًا مَسْحُورًا}: مخدوعا"(٩١٠).

(٩٠٦) صفوة التفاسير:١٤٨/٢.

(٩٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٠):ص٢٣٣٣/٧، وانظر: تفسير مجاهد: ٤٣٦.

(٩٠٨) أخرجه الطبري:٤٦٠/١٧.

(٩٠٩) صفوة التفاسير:١٤٨/٢.

(٩١٠) ذكره البغوي في "التفسير": ٩٧/٥-٩٨.

القرآن

{انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)} [الإسراء : ٤٨]

التفسير:

تفكر -أيها الرسول- متعجبًا من قولهم: إن محمدًا ساحر شاعر مجنون!! فجاروا وانحرفوا، ولم يهتدوا إلى طريق الحق والصواب.

قوله تعالى:{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٨]، أي:" ولا يجدون طريقاً إلى الهدى والحق المبين"(٩١١).

قال مجاهد:" مخرجا يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك، الوليد بن المغيرة، وأصحابه"(٩١٢).

القرآن

{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)} [الإسراء : ٤٩]

التفسير:

وقال المشركون منكرين أن يُخْلقوا خَلْقًا جديدًا بعد أن تبلى عظامهم، وتصير فُتاتًا: أئِنا لمبعوثون يوم القيامة بعثًا جديدًا؟

قوله تعالى:{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا} [الإسراء : ٤٩]، أي:" وقال المشركون منكرين أن يُخْلقوا خَلْقًا جديدًا بعد أن تبلى عظامهم، وتصير فُتاتًا"(٩١٣).

عن مجاهد: "{ورفاتا}، قال: ترابا"(٩١٤).

القرآن

{قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠)} [الإسراء : ٥٠]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول- على جهة التعجيز: كونوا حجارة أو حديدًا في الشدة والقوة، إن قَدَرْتم على ذلك.

قال مجاهد:" ما شئتم فكونوا، فسيعيدكم الله كما كنتم"(٩١٥).

القرآن

{أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)} [الإسراء : ٥١]

التفسير:

أو كونوا خلقًا يَعْظُم ويُسْتَبْعَد في عقولكم قبوله فسيقولون -منكرين-: مَن يردُّنا إلى الحياة بعد الموت؟ قل لهم: يعيدكم ويرجعكم الله الذي أنشأكم من العدم أول مرة، وعند سماعهم هذا الرد فسيَهُزُّون رؤوسهم ساخرين متعجبين ويقولون -مستبعدين-: متى يقع هذا البعث؟ قل: وما يدريكم أن هذا البعث الذي تنكرونه وتستبعدونه ربما كان قريب الوقوع.

قوله تعالى:{أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} [الإسراء : ٥١]، أي:" أو كونوا خلقًا يَعْظُم ويُسْتَبْعَد في عقولكم قبوله"(٩١٦).

وفي قوله تعالى:{أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} [الإسراء : ٥١]، وجوه:

أحدها : أنه عنى بذلك السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس ، قاله مجاهد-في إحدى الروايات-(٩١٧)، وقتادة-في أحدى الروايات-(٩١٨).

---

(٩١١) صفوة التفاسير:١٤٩/٢.

(٩١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٠):ص٢٣٣٣/٧.

(٩١٣) التفسير الميسر:٢٨٦.

(٩١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٢):ص٢٢٣٣/٧.

(٩١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٢):ص٢٢٣٣/٧.

(٩١٦) التفسير الميسر:٢٨٧.

(٩١٧) انظر: النكت والعيون:٢٤٨/٣.

الثاني : أنه أراد الموت، لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه. وقد قال أمية ابن أبي الصلت[٩١٩]:
نادوا إلههمُ ليسرع خلقهم ... وللموت خلق للنفوس فظيعُ
وهذا قول الحسن[٩٢٠]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[٩٢١]، وسعيد بن جبير[٩٢٢]، والضحاك[٩٢٣]، وأبي صالح[٩٢٤].

قال سعيد بن جبير:" كونوا الموت إن استطعتم، فإن الموت سيموت؛ قال: وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت"[٩٢٥].

قال الضحاك:" يعني الموت، يقول: لو كنتم الموت لأمتكم"[٩٢٦].

الثالث: أراد: كونوا ما شئتم، فسيعيدكم الله كما كنتم. قاله مجاهد[٩٢٧].

وقال قتادة:" من خلق الله، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقا جديدا"[٩٢٨].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال {أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} ، وجائز أن يكون عنى به الموت، لأنه عظيم في صدور بني آدم؛ وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض؛ وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جلّ ثناؤه، وهو كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنه لم يخصص منه شيئا دون شيء[٩٢٩].

قوله تعالى:{فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الإسراء : ٥١]، أي:" فسيقولون -منكرين-: مَن يردُّنا إلى الحياة بعد الموت؟ قل لهم: يعيدكم ويرجعكم الله الذي أنشأكم من العدم أول مرة"[٩٣٠].

عن قتادة:"{ فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}:" أي: خلقكم"[٩٣١].

قوله تعالى:{فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ} [الإسراء : ٥١]، أي:" فسيَهُزُّون رؤوسهم ساخرين متعجبين"[٩٣٢].

قال عطاء، ومجاهد:" يحركون رءوسهم مستهزئين"[٩٣٣].

قال قتادة:" أي: فسيحركون رؤوسهم تكذيبا واستهزاء"[٩٣٤].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء : ٥١]، أي: ويقولون -مستبعدين-: متى يقع هذا البعث؟ قل: وما يدريكم أن هذا البعث الذي تنكرونه وتستبعدونه ربما كان قريب الوقوع"[٩٣٥].

قال ابن إسحاق:" {عسى}: من الله حق"[٩٣٦].

القرآن

{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)} [الإسراء : ٥٢]

التفسير:

---

(٩١٨) انظر: تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
(٩١٩) انظر: النكت والعيون:٢٤٨/٣.
(٩٢٠) انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
(٩٢١) انظر: تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
(٩٢٢) انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
(٩٢٣) انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
(٩٢٤) انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
(٩٢٥) أخرجه الطبري:٤٦٤/١٧.
(٩٢٦) أخرجه الطبري:٤٦٤/١٧.
(٩٢٧) انظر: تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
(٩٢٨) أخرجه الطبري:٤٦٥/١٧.
(٩٢٩) تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
(٩٣٠) التفسير الميسر:٢٨٧.
(٩٣١) قول قتادة أخرجه الطبري:٤٦٦/١٧، وانظر: قول أبي عبيدة في مجاز القرآن:٣٨٢/١
(٩٣٢) التفسير الميسر:٢٨٧.
(٩٣٣) تفسير مجاهد: ٤٣٧.
(٩٣٤) تفسير عبدالرزاق(١٥٧٦):ص٤٠١/٢، وتفسير الطبري: ٤٦٧/١٧، ورواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٤١/١.
(٩٣٥) صفوة التفاسير:١٥١/٢.
(٩٣٦) أخرجه الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.

يوم يناديكم خالقكم للخروج من قبوركم، فتستجيبون لأمر الله، وتنقادون له، وله الحمد على كل حال، وتظنون -لهول يوم القيامة- أنكم ما أقمتم في الدنيا إلا زمنًا قليلا؛ لطول لبثكم في الآخرة.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} [الإسراء : ٥٢]، أي:" سيكون بعثكم يوم الحشر الأكبر يوم يدعوكم الرب جل وعلا للاجتماع في المحشر فتجيبون لأمره"(٩٣٧).

عن السدي: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ}، قال: "يوم يناديكم إسرافيل"(٩٣٨).

عن الحسن وقتادة:" {فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ}: بمعرفته"(٩٣٩).

قال قتادة:" أي: بمعرفته وطاعته"(٩٤٠).

قال سعيد بن جبير:" يخرجون من قبورهم وهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك"(٩٤١).

قوله تعالى:{وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٥٢]، أي:" وتظنون لهوْل ما ترون أنكم ما أقمتم في الدنيا إلا زمناً قليل"(٩٤٢).

قال قتادة:" أي: في الدنيا، تحاقرت الأعمار في أنفسهم وقلّتْ، حين عاينوا يوم القيامة"(٩٤٣).

القرآن

{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣)} [الإسراء : ٥٣]

التفسير:

وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام. إن الشيطان كان للإنسان عدوًا ظاهر العداوة.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي:" نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن رجلا من العرب شتمه، فأمره الله تعالى بالعفو"(٩٤٤).[بدون إسناد]

الثاني: قال الكلبي: "كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٩٤٥).[ضعيف]

قوله تعالى:{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء : ٥٣]، أي:" وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب"(٩٤٦).

وفي قوله تعالى:{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء : ٥٣]، ثلاثة وجوه:

أحدهما : أنه امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه ، قاله الحسن(٩٤٧).

الثاني: أن «التي هي أحسن»: أن لا يقول له مثل قوله، يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك. قاله الحسن-أيضا-(٩٤٨).

الثالث: أنه : لا الله إلا الله. قاله ابن سيرين(٩٤٩).

قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ} [الإسراء : ٥٣]، أي:" إن الشيطان يُفسد ويُهيج بين الناس الشرَّ ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يُفلت بها اللسان"(٩٥٠).

---

(٩٣٧) صفوة التفاسير:١٥١/٢.

(٩٣٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٤١/١.

(٩٣٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٤١/١.

(٩٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٨):ص٢٣٣٤/٧.

(٩٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٧):ص٢٣٣٣/٧.

(٩٤٢) صفوة التفاسير:١٥١/٢.

(٩٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٨):ص٢٣٣٤/٧.

(٩٤٤) أسباب النزول:٢٩٥.

(٩٤٥) أسباب النزول للواحدي:٢٩٥.

(٩٤٦) التفسير الميسر:٢٨٧.

(٩٤٧) انظر: النكت والعيون:٢٤٩/٣.

(٩٤٨) انظر: الطبري:٤٦٩/١٧.

(٩٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣١٠):ص٢٣٣٤/٧.

قال قتادة:" نزغ الشيطان: تحريشه"[٩٥١].
قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء : ٥٣]، أي:" الشيطان كان للإنسان عدوًا ظاهر العداوة"[٩٥٢].
قال قتادة:" عادوه فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن تعاديه بطاعة الله"[٩٥٣].

القرآن
{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤)} [الإسراء : ٥٤]
التفسير:
ربكم أعلم بكم -أيها الناس- إن يشأ يرحمكم، فيوفقكم للإيمان، أو إن يشأ يمتكم على الكفر، فيعذبكم، وما أرسلناك -أيها الرسول- عليهم وكيلا تدبِّر أمرهم وتجازيهم على أفعالهم، وإنما مهمتك تبليغ ما أُرْسلتَ به، وبيان الصراط المستقيم.
قوله تعالى:{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، أي:" ربكم أعلم بكم -أيها الناس-"[٩٥٤].
قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، أي:" إن يشأ يرحمكم، فيوفقكم للإيمان، أو إن يشأ يمتكم على الكفر، فيعذبكم"[٩٥٥].
وفي قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، ثلاثة وجوه:
أحدها : إن يشأ يرحمكم بالهداية والتوبة فتؤمنوا، أو يعذبكم بالإضلال فتموتوا على الشرك[٩٥٦]، قاله ابن جريج[٩٥٧].
الثاني : إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو يعذبكم بالإقامة ، قاله الحسن[٩٥٨].

القرآن
{وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥)} [الإسراء : ٥٥]
التفسير:
وربك -أيها الرسول- أعلم بمَن في السموات والأرض. ولقد فَضَّلْنا بعض النبيين على بعض بالفضائل وكثرة الأتباع وإنزال الكتب، وأعطينا داود عليه السلام الزبور.
قوله تعالى:{وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الإسراء : ٥٥]، أي:" وربك -أيها الرسول- أعلم بمَن في السموات والأرض"[٩٥٩].
عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٩٦٠].
قوله تعالى:{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [الإسراء : ٥٥]، أي:" ولقد فَضَّلْنا بعض النبيين على بعض بالفضائل وكثرة الأتباع وإنزال الكتب، وأعطينا داود عليه السلام الزبور"[٩٦١].

---

(٩٥٠) صفوة التفاسير:١٥١/٢.
(٩٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣١١):ص٢٣٣٤/٧.
(٩٥٢) التفسير الميسر:٢٨٧.
(٩٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣١٢):ص٢٣٣٤/٧.
(٩٥٤) التفسير الميسر:٢٨٧.
(٩٥٥) التفسير الميسر:٢٨٧.
(٩٥٦) انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٣.
(٩٥٧) انظر: تفسير الطبري:٤٦٩/١٧-٤٧٠.
(٩٥٨) انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٣.
(٩٥٩) التفسير الميسر:٢٨٧.
(٩٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
(٩٦١) التفسير الميسر:٢٨٧.

عن ابن جريج: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ}، قال:"كلم الله موسى، وأرسل محمدا إلى الناس كافَّة"(٩٦٢).

قال قتادة:" اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلَّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا، كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر"(٩٦٣).

قال الربيع بن انس:" «الزبور»: ثناء على الله ودعاء وتسبيح"(٩٦٤).

القرآن

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)} [الإسراء : ٥٦ - ٥٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إن هذه المعبودات التي تنادونها لكشف الضرِّ عنكم لا تملك ذلك، ولا تقدر على تحويله عنكم إلى غيركم، ولا تقدر على تحويله من حال إلى حال، فالقادر على ذلك هو الله وحده، أولئك الذين يدعوهم المشركون من الأنبياء والصالحين والملائكة مع الله، يتنافسون في القرب من ربهم بما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة، ويأمُلون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يحذره العباد، ويخافوا منه.

في سبب نزول الآيتين: [٥٦-٥٧]، قولان:

أحدهما: عن أبي معمر، قال: "كان أناس يعبدون الجن فأسلم أولئك وبقي هؤلاء على عبادتهم، فنزلت: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٥٦]"(٩٦٥).

وفي رواية قال ابن مسعود:" كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن وتمسك الإنسيون بعبادتهم، فأنزل الله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [الإسراء: ٥٧]"(٩٦٦).

الثاني: وعن عبد الله بن مسعود-أيضا-، قال: "كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجنّ، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزّ وجلّ {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} معشر العرب {يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ}"(٩٦٧).

وقال المفسرون: "ابتلى الله قريشًا وأهلَ مكة بالقحط سنين، فشكوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ}"(٩٦٨).

قوله تعالى:{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء : ٥٦]، أي:" قل –أيها الرسول- لهؤلاء المشركين أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه تعالى، فلا يستطيعون رفع البلاء عنكم ولا تحويله إلى غيركم"(٩٦٩).

قال قتادة:" الخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك"(٩٧٠).

---

(٩٦٢) أخرجه الطبري:٤٧٠/١٧.

(٩٦٣) أخرجه الطبري:٤٧٠/١٧.

(٩٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣١٦):ص٢٣٣٥/٧.

(٩٦٥) تفسير سفيان الثوري(٥٢٣: ٢٥: ٥):ص١٧٤.

(٩٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣١٧):ص٢٣٣٥/٧.

(٩٦٧) أخرجه الطبري:٤٧٣/١٧.

(٩٦٨) انظر: "التفسير البسيط" للواحدي: ٣٥٨/١٣، و "تفسير السمعاني" ٣/ ٢٥٠, و"البغوي" ٥/ ١٠٠، و"ابن الجوزي" ٥/ ٤٨، و"القرطبي" ١٠/ ٢٧٩، ولا يُعدّ هذا سببًا في النزول -وإن عبر عنها بالصيغة الصريحة- لعدم تحقق شروطه.

(٩٦٩) صفوة التفاسير:١٥٢/٢.

(٩٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٣٧):ص٢٢٨٦/٧.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء : ٥٧]، أي:" أولئك الآلهة الذين يدعونهم من دون الله هم أنفسهم يبتغون القرب إلى الله، ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة، فكيف تعبدونهم معه؟"(٩٧١).

قال قتادة: «الوسيلة»: القربة"(٩٧٢).

وفي قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء : ٥٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنها نزلت في ناس من الإنس يعبدون قوما من الجنّ، فأسلم الجنّ وبقي الإنس على كفرهم، فأنزل الله تعالى :{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}، يعني: الجنّ؛ قاله قتادة(٩٧٣).

قال قتادة:" كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجنّ؛ فلما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا، فكانوا يبتغون أيهم أقرب"(٩٧٤).

الثاني : أنهم: عيسى وعزير والملائكة . قاله مجاهد(٩٧٥).

قال مجاهد:"يقول: إن هؤلاء يبتغون إلى ربهم الوسيلة"(٩٧٦).

وأولى القولين تفسير هذه الآية: أن الله تعالى أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ ومعلوم أن عُزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام، فيبتغي إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رُفع، وإنما يبتغي إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله، ويتقرّب إليه بالصالح من الأعمال(٩٧٧).

القرآن

{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨)} [الإسراء : ٥٨]

التفسير:

ويتوعَّد الله الكفار بأنه ما من قريةٍ كافرة مكذبة للرسل إلا وسينزل بها عقابه بالهلاك في الدنيا قبل يوم القيامة أو بالعذاب الشديد لأهلها، كتاب كتبه الله وقضاء أبرمه لا بد مِن وقوعه، وهو مسطور في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا} [الإسراء : ٥٨]، أي:" ما من قريةٍ من القرى الكافرة التي عصتْ أمر الله وكذَّبتْ رسله إلا وسيهلكها الله إما بالاستئصال الكلي أو بالعذاب الشديد لأهلها"(٩٧٨).

عن مجاهد: قوله" {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ}: فمبيدوها، {أَوْ مُعَذِّبُوهَا}: بالقتل والبلاء، قال: كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا"(٩٧٩). وفي رواية:" سيصيبها هذا أو بعضه"(٩٨٠).

قال قتادة:" قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بدّ، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره، وكذّبوا رسله"(٩٨١).

قال عبد الرحمن بن عبد الله: "إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها"(٩٨٢).

قوله تعالى:{كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الإسراء : ٥٨]، أي:" كان ذلك حكماً مسطراً في اللوح المحفوظ لا يتغيَّر"(٩٨٣).

---

(٩٧١) صفوة التفاسير:١٥٢/٢.
(٩٧٢) أخرجه عنهما الطبري:٤٧٤/١٧-٤٧٥.
(٩٧٣) انظر: تفسير الطبري:٤٧٢/١٧.
(٩٧٤) أخرجه الطبري:٤٧٣/١٧.
(٩٧٥) انظر: تفسير مجاهد:٤٣٧، وتفسير الطبري:٤٧٤/١٧.
(٩٧٦) تفسير مجاهد:٤٣٧.
(٩٧٧) تفسير الطبري:٤٧٤/١٧.
(٩٧٨) صفوة التفاسير:١٥٢/٢.
(٩٧٩) أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.
(٩٨٠) أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.
(٩٨١) أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.
(٩٨٢) أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.

عن قتادة: "{ مَسْطُورًا}، قال: مكتوبا"[٩٨٤].

القرآن

{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)} [الإسراء : ٥٩]

التفسير:

وما منعَنا من إنزال المعجزات التي سألها المشركون إلا تكذيب مَن سبقهم من الأمم، فقد أجابهم الله إلى ما طلبوا فكذَّبوا وهلكوا. وأعطينا ثمود -وهم قوم صالح- معجزة واضحة وهي الناقة، فكفروا بها فأهلكناهم. وما إرسالنا الرسل بالآيات والعبر والمعجزات التي جعلناها على أيديهم إلا تخويف للعباد؛ ليعتبروا ويتذكروا.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم: أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينجي عنهم الجبال فيزرعون. فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: لا، بل أستأني بهم. فأنزل الله عز وجل: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} ... الآية"[٩٨٥].

وقال الزبير بن العوام:" قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: تزعم أنك نبي يوحى إليك، وأن سليمان سخرت له الريح [والجبال] ، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال، ويفجر لنا الأرض أنهارا فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم. فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة [ولا يؤمن مؤمنكم] ، فاخترت باب الرحمة [وأن يؤمن مؤمنكم] وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم، أنه يعذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين. فنزلت: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها [حتى قرأ ثلاث آيات] ، ونزلت: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى الآية"[٩٨٦].[ضعيف]

قال قتادة:" قال أهل مكة لنبي الله صلى الله عليه وسلم: إن كان ما تقول حقا. ويسرك أن نؤمن، فحول لنا الصفا ذهبا، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، قال: بل أستأني بقومي. فأنزل الله: {وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها}، وأنزل الله عز وجل: {ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون}"[٩٨٧].

قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} [الإسراء : ٥٩]، أي:" وما منعَنا من إنزال المعجزات التي سألها المشركون إلا تكذيب مَن سبقهم من الأمم"[٩٨٨].

---

(٩٨٣) صفوة التفاسير:١٥٢/٢.

(٩٨٤) ذكره القرطبي في "التفسير": ١٢٦/١٤.

(٩٨٥) أخرجه الواحدي في اسباب النزول:٢٩٥-٢٩٦، وأخرجه النسائي في التفسير (٣١٠) وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٥٨) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٢) وصححه ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن جرير (١٥/ ٧٤) ، وذكره السيوطي في لباب النقول ص ١٦٧.

وزاد نسبته في الدر (٤/ ١٩٠) للبزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والضياء في المختار.

وهو عند البزار (٢٢٢٥- كشف) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٩٨٦) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٢٧٩-٢٨٠، وإسناده ضعيف: عبد الجبار بن عمر الأيلي ضعيف: [تقريب ١/ ٤٦٦] و (مجروحين ٢/ ١٥٨) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٥) وقال: رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم وكلاهما وثق وقد ضعفهما الجمهور.

(٩٨٧) أخرجه الطبري: ٤٧٧/١٧.

(٩٨٨) التفسير الميسر:٢٨٨.

قال الحسن:" رحمة لكم أيتها الأمة، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم"[٩٨٩].

قال سعيد بن جبير:" قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء، فمنهم من سخرت له الريح. ومنهم من كان يحيي الموتى، فإن سرك أن نؤمن بك ونصدقك، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا. فأوحى الله إليه: إني قد سمعت الذي قالوا، فإن شئت أن نفعل الذي قالوا، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة، وإن شئت أن تستأني قومك استأنيت بها، قال: يا رب أستأني"[٩٩٠].

عن ابن جريج:" أنهم سألوا أن يحول الصفا ذهبا، قال الله: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون}، قال ابن جريج: لم يأت قرية بآية فيكذبوا بها إلا عذبوا، فلو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا عذبوا "[٩٩١].

قوله تعالى:{وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا} [الإسراء : ٥٩]، أي:" وأعطينا ثمود -وهم قوم صالح- معجزة واضحة وهي الناقة، فكفروا بها فأهلكناهم"[٩٩٢].

عن قتادة :"{وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}، أي: بيِّنة"[٩٩٣].

عن مجاهد:"{ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}، قال: آية"[٩٩٤].

قوله تعالى:{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء : ٥٩]، أي:" وما إرسالنا الرسل بالآيات والعبر والمعجزات التي جعلناها على أيديهم إلا تخويف للعباد؛ ليعتبروا ويتذكروا"[٩٩٥].

عن الحسن: :{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}، قال: " الموت الذريع"[٩٩٦].

قال قتادة:" وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذكَّرون، أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه"[٩٩٧].

---

(٩٨٩) أخرجه الطبري: ٤٧٧/١٧.
(٩٩٠) أخرجه الطبري: ٤٧٧/١٧.
(٩٩١) أخرجه الطبري: ٤٧٧/١٧.
(٩٩٢) التفسير الميسر:٢٨٨.
(٩٩٣) أخرجه الطبري:٤٧٨/١٧.
(٩٩٤) أخرجه الطبري:٤٧٨/١٧.
(٩٩٥) التفسير الميسر:٢٨٨.
(٩٩٦)أخرجه الطبري:٤٧٨/١٧ .
(٩٩٧) أخرجه الطبري:٤٧٨/١٧.

القرآن

{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)} [الإسراء : ٦٠]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علمًا وقدرة. وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عِيانًا ليلة الإسراء والمعراج من عجائب المخلوقات إلا اختبارًا للناس؛ ليتميز كافرهم من مؤمنهم، وما جعلنا شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا ابتلاء للناس. ونخوِّف المشركين بأنواع العذاب والآيات، ولا يزيدهم التخويف إلا تماديًا في الكفر والضلال.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" لما ذكر الله تعالى الزقوم في القرآن خوف به هذا الحي من قريش، فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما والله لئن أمكننا منه لنتزقمنه تزقما! فأنزل الله تبارك وتعالى:{ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}، يقول: المذمومة، { وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا}"[٩٩٨].[ضعيف]

قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" واذكر -أيها الرسول- حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علمًا وقدرة"[٩٩٩].

وفي قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، أربعة أقوال:

أحدها : معناه: أحاطت بالناس قدرته فهم في قبضته، قاله مجاهد[١٠٠٠]، وابن أبي نجيح[١٠٠١].

الثاني : أنه عصمك من الناس أن يقتلوك حتى تبلغ رسالة ربك ، قاله الحسن[١٠٠٢]، وقتادة[١٠٠٣].

قال الحسن:" يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف أنه لا يُقتل"[١٠٠٤].

قال قتادة:" أي: منعك من الناس حتى تبلِّغ رسالة ربك"[١٠٠٥].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عِيانًا ليلة الإسراء والمعراج من عجائب المخلوقات إلا اختبارًا للناس؛ ليتميز كافرهم من مؤمنهم"[١٠٠٦].

وفي قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، قولان:

أحدهما : أنها رؤيا عين ليلة الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس ، قاله الحسن[١٠٠٧]، ومجاهد[١٠٠٨]، وقتادة[١٠٠٩]، وسعيد بن جبير[١٠١٠]، وأبو مالك[١٠١١]، ومسروق[١٠١٢]، والضحاك[١٠١٣]، وإبراهيم[١٠١٤]، وابن جريج[١٠١٥].

---

(٩٩٨) أخره الواحدي في اسباب النزول:٢٩٦. في إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه..
وعزاه في الدر (٤/ ١٩١) لابن إسحاق وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وذكره في لباب النقول ص ١٦٧.
(٩٩٩) التفسير الميسر:٢٨٨.
(١٠٠٠) انظر: تفسير الطبري:٤٧٩/١٧.
(١٠٠١) انظر: النكت والعيون:٢٥٣/٣.
(١٠٠٢) انظر: تفسير الطبري:٤٧٩/١٧.
(١٠٠٣) انظر: تفسير الطبري:٤٧٩/١٧-٤٨٠.
(١٠٠٤) أخرجه الطبري:٤٧٩/١٧.
(١٠٠٥) أخرجه الطبري:٤٨٠/١٧.
(١٠٠٦) التفسير الميسر:٢٨٨.
(١٠٠٧) انظر: الطبري:٤٨٠/١٧.
(١٠٠٨) انظر: تفسير الطبري:٤٨٢/١٧-٤٨٣.
(١٠٠٩) انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
(١٠١٠) انظر: الطبري:٤٨٠/١٧.
(١٠١١) انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
(١٠١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
(١٠١٣) انظر: تفسير الطبري:٤٨٢/١٧.
(١٠١٤) انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
(١٠١٥) انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧-٤٨٢.

قال سعيد بن جبير:" كان ذلك ليلة أُسري به إلى بيت المقدس، فرأى ما رأى فكذّبه المشركون حين أخبرهم"[١٠١٦].

قال الحسن:" أُسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، وأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس، فقالوا له: يا محمد ما شأنك، أمسيت فيه، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، فعجبوا من ذلك حتى ارتدّ بعضهم عن الإسلام"[١٠١٧].

وقال الحسن:" قال كفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة"[١٠١٨].

قال قتادة:" الله أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس. ذُكر لنا أن ناسا ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيره، أنكروا ذلك وكذّبوا له، وعجبوا منه، وقالوا: تحدّثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة"[١٠١٩].

قال ابن جريج:" أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أُسري به، نزلت فريضة الصلاة ليلة أُسري به قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين من العشر التي مكثها بمكة، ثم رجع من ليلته، فقالت قريش: تعشى فينا وأصبح فينا، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلة ثم رجع، وايم الله إن الحدأة لتجيئها شهرين: شهرا مقبلة، وشهرا مُدبرة"[١٠٢٠].

الثاني: أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: «إنما هي دنيا أعطوها» فقرت عينه وهي قوله: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس}، يعني: بلاء للناس. وهذا قول سعيد بن المسيب[١٠٢١].[ضعيف]

وأخرج ابن ابي حاتم، عن يعلي بن مرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أريت بني أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء»، واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك: فأنزل الله :{وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس}"[١٠٢٢]. [ضعيف]

وقد حكم ابن حجر على هاتين الروايتين وأمثالها بأن أسانيد الكل ضعيفة[١٠٢٣].

والصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أُسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أوّل هذه السورة، وإنما قُلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عّز وجلّ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس: يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمَّا أُخبروا بالرؤيا التي رآها، عليه

(١٠١٦) أخرجه الطبري:١٧/٤٨٠.

(١٠١٧) أخرجه الطبري:١٧/٤٨٠.

(١٠١٨) أخرجه الطبري:١٧/٤٨١.

(١٠١٩) أخرجه الطبري:١٧/٤٨١.

(١٠٢٠) أخرجه الطبري:١٧/٤٨١-٤٨٢.

(١٠٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٢٤):ص٧/٢٢٣٦. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٠ ولفظه: "قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه "إنما هي دنيا أعطوها"، فقرت عينه، وهي قوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} يعني بلاء للناس". ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

هذا وقد أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٥٠٩ من طريق سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب - نحوه. ولفظه "على منبره".

قلت: علي بن زيد بن جدعان ضعيف، ثم إنه مرسل. قال ابن حجر: عقبه: وأسانيد الكل ضعيفة.

أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٥٠٩ من طريق سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب - نحوه. ولفظه "على منبره".

فيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف، ثم إنه مرسل. قال ابن حجر: عقبه: وأسانيد الكل ضعيفة. [فتح الباري: ٨/٣٩٨]

(١٠٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٢٣):ص٧/٢٣٣٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور:٥/٣٠٩، وقال:" أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة عن علي رضي الله عنه.." ثم ذكر الحديث.

(١٠٢٣) انظر: فتح الباري ٨/٣٩٨.

الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم[١٠٢٤].

قوله تعالى:{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" وما جعلنا شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا ابتلاء للناس"[١٠٢٥].

وفي قوله تعالى:{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} [الإسراء : ٦٠]، قولان:

أحدهما : أنها شجرة الزقوم طعام الأثيم ، قاله الحسن[١٠٢٦]، ومجاهد [١٠٢٧]، وقتادة[١٠٢٨]، والضحاك[١٠٢٩]، وسعيد بن جبير[١٠٣٠]، وعكرمة[١٠٣١]، وأبو مالك[١٠٣٢]، وإبراهيم[١٠٣٣]، ومسروق[١٠٣٤]، وطاووس[١٠٣٥].

قال الحسن:" فإن قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد، ويقولون: تزقموا هذا الزقوم. قال أبو رجاء: فحدثني عبد القدّوس، عن الحسن، قال: فوصفها الله لهم في الصافات"[١٠٣٦].

قال الحسن:" قال أبو جهل وكفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كَبشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} قال: هي شجرة الزَّقوم[١٠٣٧].

الثاني : أن النبي رأى في منامه قوماً يصعدون المنابر ، فشق عليه ، فأنزل الله تعالى: {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}. قاله سعيد بن المسيب[١٠٣٨].

والصواب عندنا قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ونصبت الشجرة الملعونة عطفا بها على الرؤيا. والمعنى: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتدّ، وتمادِي أهل الشرك في شركهم، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسري به، وكانت فتنتهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها؟[١٠٣٩].

قوله تعالى:{وَنُخَوِّفُهُمْ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" ونخوِّف المشركين بأنواع العذاب والآيات"[١٠٤٠].

عن مجاهد:"{ونخوفهم}، قال: أبو جهل لشجرة الزقوم"[١٠٤١].

قوله تعالى:{فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء : ٦٠]، أي:" ولا يزيدهم التخويف إلا تماديًا في الكفر والضلال"[١٠٤٢].

قال: مجاهد: "ما يزيد أبا جهل إلا طغيانا كبيرا"[١٠٤٣].

(١٠٢٤) تفسير الطبري:٤٨٣/١٧-٤٨٤.
(١٠٢٥) التفسير الميسر:٢٨٨.
(١٠٢٦) انظر: تفسير الطبري:٤٨٤/١٧-٤٨٥.
(١٠٢٧) انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.
(١٠٢٨) انظر: تفسير الطبري:٤٨٦/١٧.
(١٠٢٩) انظر: تفسير الطبري:٤٨٦/١٧.
(١٠٣٠) انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.
(١٠٣١) انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.
(١٠٣٢) انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.
(١٠٣٣) انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.
(١٠٣٤) انظر: تفسير الطبري:٤٨٤/١٧.
(١٠٣٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٣/٣.
(١٠٣٦) أخرجه الطبري:٤٨٤/١٧-٤٨٥.
(١٠٣٧) أخرجه الطبري:٤٨٥/١٧.
(١٠٣٨) انظر: النكت والعيون:٢٥٤/٣.
(١٠٣٩) تفسير الطبري:٤٨٧/١٧.
(١٠٤٠) التفسير الميسر:٢٨٨.
(١٠٤١) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٢٦):ص٢٣٣٦/٧.
(١٠٤٢) التفسير الميسر:٢٨٨.
(١٠٤٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٢٦):ص٢٣٣٦/٧.

قال ابن جريج :"{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ}، قال: طلعها كأنه رءوس الشياطين، والشياطين ملعونون. قال {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} لما ذكرها زادهم افتتانا وطغيانا، قال الله تبارك وتعالى، {وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا}"[١٠٤٤].

القرآن

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١)} [الإسراء : ٦١]

التفسير:

واذكر قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية وتكريمًا، فسجدوا جميعًا إلا إبليس، استكبر وامتنع عن السجود قائلا على سبيل الإنكار والاستكبار: أأسجد لهذا الضعيف، المخلوق من الطين؟

قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [الإسراء : ٦١]، أي:" واذكر قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية وتكريمًا"[١٠٤٥].

قال قتادة: "فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[١٠٤٦].

قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} [الإسراء : ٦١]، أي:" فسجدوا جميعًا إلا إبليس، استكبر وامتنع عن السجود"[١٠٤٧].

قال السدي" : كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"[١٠٤٨].

القرآن

{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢)} [الإسراء : ٦٢]

التفسير:

وقال إبليس جراءة على الله وكفرًا به: أرأيت هذا المخلوق الذي ميزته عليَّ؟ لئن أبقيتني حيًا إلى يوم القيامة لأستولينَّ على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان، وهم قليل.

قوله تعالى:{لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٦٢]، أي:" لئن أبقيتني حيًا إلى يوم القيامة لأستولينَّ على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان، وهم قليل"[١٠٤٩].

عن مجاهد: "{لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا}، قال: لأحتوينهم"[١٠٥٠].

عن سلام بن مسكين، قال: "سألنا الحسن، عن قوله: {لأحتنكن ذريته إلا قليلا}، قال: «ذاك حين راز آدم فصرعه تلك الصرعة»"[١٠٥١].

(١٠٤٤) أخرجه الطبري:٤٨٧/١٧.

(١٠٤٥) التفسير الميسر:٢٨٨.

(١٠٤٦) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.

(١٠٤٧) التفسير الميسر:٢٨٨.

(١٠٤٨)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١

(١٠٤٩) التفسير الميسر:٢٨٨.

(١٠٥٠) انظر: الطبري:٤٨٩/١٧، مختصرا، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٧٨/٢.

(١٠٥١) تفسير مجاهد: ٤٣٨.

القرآن

{قَالَ ادْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣)} [الإسراء : ٦٣]

التفسير:

قال الله تعالى مهددًا إبليس وأتباعه: اذهب فمَن تبعك مِن ذرية آدم، فأطاعك، فإن عقابك وعقابهم وافر في نار جهنم.

قوله تعالى:{قَالَ ادْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ} [الإسراء : ٦٣]، أي:" اذهب فقد أخرتك، فمَن تبعك مِن ذرية آدم، فأطاعك، فإن عقابك وعقابهم جهنم"(١٠٥٢).

قال قتادة:" عذاب جهنم جزاؤهم، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء"(١٠٥٣).

قوله تعالى:{جَزَاءً مَوْفُورًا} [الإسراء : ٦٣]، أي:"

عن مجاهد:"{مَوْفُورًا}، قال: وافرا"(١٠٥٤).

(١٠٥٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٠.

(١٠٥٣) أخرجه الطبري:١٧/٤٩٠.

(١٠٥٤) أخرجه الطبري:١٧/٤٩٠.

القرآن

{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)} [الإسراء : ٦٤]

التفسير:

واستَخْفِف كل مَن تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي، واجمع عليهم كل ما تقدر عليه مِن جنودك من كل راكب وراجل، واجعل لنفسك شِرْكة في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام، وشِرْكة في الأولاد بتزيين الزنى والمعاصي، ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد، وعِدْ أتباعك مِن ذرية آدم الوعود الكاذبة، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.

قوله تعالى:{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ} [الإسراء : ٦٤]، أي:" واستَخْفِف كل مَن تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي"(١٠٥٥).

قال مجاهد:" استنزل من استطعت منهم"(١٠٥٦).

وعن مجاهد، قال: "استذل"(١٠٥٧).

وفي قوله تعالى:{ بِصَوْتِكَ} [الإسراء : ٦٤]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أنه صوت الغناء واللعب واللهو والباطل ، قاله مجاهد(١٠٥٨).

الثاني : أنه صوت المزمار ، قاله الضحاك(١٠٥٩).

الثالث : بدعائك إلى معصية الله تعالى وطاعتك ، قاله قتادة(١٠٦٠).

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ}(١٠٦١).

قوله تعالى:{وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ} [الإسراء : ٦٤]، أي:" واجمع عليهم كل ما تقدر عليه مِن جنودك من كل راكب وراجل"(١٠٦٢).

قال مجاهد:" كلّ راكب وماش في معاصي الله تعالى"(١٠٦٣).

وقال مجاهد:" ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس"(١٠٦٤).

قال قتادة:" إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس، وهم الذين يطيعونه"(١٠٦٥).

وقال قتادة:" الرجال: المشاة"(١٠٦٦).

قوله تعالى:{وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء : ٦٤]، أي:" واجعل لنفسك شِرْكة في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام، وشِرْكة في الأولاد بتزيين الزنى والمعاصي، ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد"(١٠٦٧).

وفي قوله تعالى:{وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء : ٦٤]، وجوه:

أحدها : أنها الأموال التي أصابوها من غير حلها ، قاله مجاهد(١٠٦٨).

(١٠٥٥) التفسير الميسر:٢٨٨.

(١٠٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٣٥):ص٢٣٣٧/٧.

(١٠٥٧) انظر: النكت والعيون:٢٥٥/٣.

(١٠٥٨) انظر: تفسير الطبري:٤٩٠/١٧-٤٩١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٣٥):ص٢٣٣٧/٧

(١٠٥٩) انظر: النكت والعيون:٢٥٥/٣.

(١٠٦٠) انظر: تفسير الطبري:٤٩١/١٧.

(١٠٦١) تفسير الطبري:٤٩١/١٧.

(١٠٦٢) التفسير الميسر:٢٨٨.

(١٠٦٣) أخرجه الطبري:٤٩١/١٧.

(١٠٦٤) أخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.

(١٠٦٥) أخرجه الطبري:٤٩١/١٧.

(١٠٦٦) أخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.

(١٠٦٧) التفسير الميسر:٢٨٨.

قال مجاهد:" ما أكل من مال بغير طاعة الله"[١٠٦٩].
وقال مجاهد:" كلّ ما أنفقوا في غير حقه"[١٠٧٠].
وقال عطاء بن أبي رَباح: "الشرك في أموال الربا"[١٠٧١].
الثاني : أنها الأموال التي أنفقوها في معاصي الله تعالى، قاله الحسن[١٠٧٢]، وقتادة[١٠٧٣].
قال الحسن:" قد والله شاركهم في أموالهم، وأعطاهم الله أموالا فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حقّ الله تبارك اسمه"[١٠٧٤].
وقال الحسن:" مرهم أن يكسبوها من خبيث، وينفقوها في حرام"[١٠٧٥].
الثالث : ما كانوا يحرّمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قاله قتادة-أيضا-[١٠٧٦].
الرابع : ما كانوا يذبحون لآلهتهم ، قاله الضحاك[١٠٧٧].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كلّ مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه، وذلك أن الله قال {وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ} فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض[١٠٧٨].
وأما مشاركتهم في الأولاد، ففيها وجهان :
أحدهما : أنهم أولاد الزنى ، قاله مجاهد[١٠٧٩]، والضحاك[١٠٨٠].
الثاني : أنه صبغة أولادهم في الكفر حتى هوّدوهم ونصّروهم ، قاله الحسن[١٠٨١]، و قتادة[١٠٨٢].
قال الحسن:" قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجسوا وهوّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان"[١٠٨٣].
والصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يخصص بقوله {وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأولادِ} معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه[١٠٨٤].

(١٠٦٨) انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/١٧.
(١٠٦٩) اخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
(١٠٧٠) أخرجه الطبري:٤٩٣/١٧.
(١٠٧١) اخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
(١٠٧٢) انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/١٧.
(١٠٧٣) انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/١٧.
(١٠٧٤) اخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
(١٠٧٥) اخرجه الطبري:٤٩٣/١٧.
(١٠٧٦) انظر: تفسير الطبري:٤٩٣/١٧.
(١٠٧٧) انظر: تفسير الطبري:٤٩٣/١٧.
(١٠٧٨) تفسير الطبري:٤٩٤/١٧.
(١٠٧٩) انظر: تفسير الطبري:٤٩٤/١٧.
(١٠٨٠) انظر: تفسير الطبري:٤٩٤/١٧.
(١٠٨١) انظر: تفسير الطبري:٤٩٥/١٧.
(١٠٨٢) انظر: تفسير الطبري:٤٩٥/١٧.
(١٠٨٣) أخرجه الطبري:٤٩٥/١٧.
(١٠٨٤) تفسير الطبري:٤٩٥/١٧.

القرآن

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)} [الإسراء : ٦٥]

التفسير:

إن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك قدرة على إغوائهم، وكفى بربك -أيها النبي- عاصمًا وحافظًا للمؤمنين مِن كيد الشيطان وغروره.

قوله تعالى:{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الإسراء : ٦٥]، أي:" إن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك قدرة على إغوائهم"[١٠٨٥].

قال قتادة:" وعباده: المؤمنون"[١٠٨٦].

قال مجاهد:" عبادي الذين قضيت لهم الجنة ليس لك عليهم إن يذنبوا ذنبا إلا أغفره لهم"[١٠٨٧].

القرآن

{رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦)} [الإسراء : ٦٦]

التفسير:

ربكم -أيها الناس- هو الذي يُسَيِّر لكم السفن في البحر؛ لتطلبوا رزق الله في أسفاركم وتجاراتكم. إن الله سبحانه كان رحيمًا بعباده.

قوله تعالى:{رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [الإسراء : ٦٦]، أي:" ربكم - أيها الناس- هو الذي يُسَيِّر لكم السفن في البحر، لتطلبوا رزق الله في أسفاركم وتجاراتكم"[١٠٨٨].

عن قتادة:" {رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ}، قال: يسيرها في البحر"[١٠٨٩]. وروي عن السدي نحوه[١٠٩٠].

قال عطاء الخراساني:" «الفلك»: السفن"[١٠٩١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [الإسراء : ٦٦]، أي:" تعالى رحيم بالعباد ولهذا سهَّل لهم أسباب ذلك"[١٠٩٢].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"[١٠٩٣].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[١٠٩٤]. وفي لفظ:" يعني: رحيما بالمؤمنين"[١٠٩٥].

القرآن

{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧)} [الإسراء : ٦٧]

التفسير:

وإذا أصابتكم شدة في البحر حتى أشرفتم على الغرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكَّرتم الله القدير وحده؛ ليغيثكم وينقذكم، فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة، فأغاثكم ونجَّاكم، فلمَّا نجاكم إلى البر أعرضتم عن الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، وهذا من جهل الإنسان وكفره. وكان الإنسان جحودًا لنعم الله عزَّ وجل.

(١٠٨٥) التفسير الميسر:٢٨٨.

(١٠٨٦) أخرجه الطبري:٤٩٦/١٧.

(١٠٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٨٨):ص٢٢٦٤/٧-٢٢٦٥.

(١٠٨٨) التفسير الميسر:٢٨٨.

(١٠٨٩) اخرجه الطبري:٤٩٧/١٧.

(١٠٩٠) ذكره الواحدي في "البسيط": ٣٩٧/١٣.

(١٠٩١) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٣٩):ص٢٣٣٨/٧.

(١٠٩٢) صفوة التفاسير:١٥٤/٢.

(١٠٩٣)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(١٠٩٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(١٠٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : ٦٧]، أي:" وإذا أصابتكم شدة في البحر حتى أشرفتم على الغرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكَّرتم الله القدير وحده؛ ليغيثكم وينقذكم، فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة"[١٠٩٦].

عن قتادة قال: "إذا مسهم الضر: خلصوا لله الدعاء"[١٠٩٧].

القرآن

{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨)} [الإسراء : ٦٨]

التفسير:

أغَفَلْتم -أيها الناس- عن عذاب الله، فأمنتم أن تنهار بكم الأرض خسفًا، أو يُمْطركم الله بحجارة من السماء فتقتلكم، ثم لا تجدوا أحدًا يحفظكم مِن عذابه؟

قوله تعالى:{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الإسراء : ٦٨]، أي:" أغَفَلْتم -أيها الناس- عن عذاب الله، فأمنتم أن تنهار بكم الأرض خسفًا، أو يُمْطركم الله بحجارة من السماء فتقتلكم"[١٠٩٨].

عن قتادة: {أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا}، قال:" حجارة من السماء"[١٠٩٩].

قال ابن جريج:" مطر الحجارة، إذا خرجتم من البحر"[١١٠٠].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا} [الإسراء : ٦٨]، أي:" ثم لا تجدوا أحدًا يحفظكم مِن عذابه؟"[١١٠١].

قال قتادة:" أي: منعة ولا ناصرا"[١١٠٢].

القرآن

{أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)} [الإسراء : ٦٩]

التفسير:

أم أمنتم -أيها الناس- ربكم، وقد كفرتم به أن يعيدكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم ريحًا شديدة، تكسِّر كل ما أتت عليه، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا أي تبعة ومطالبة؛ فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة؟

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} [الإسراء : ٦٩]، أي:" ثم لا تجدوا لكم علينا أي تبعة ومطالبة؛ فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة"[١١٠٣].

عن مجاهد:{تَبِيعًا}، قال: " ثائرا نصيرا "[١١٠٤].

قال قتادة:" أي: لا نخاف أن نتبع بشيء من ذلك"[١١٠٥].

القرآن

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)} [الإسراء : ٧٠]

(١٠٩٦) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١٠٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٦١):ص١٩٣٣/٦، في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ } [يونس : ١٢].

(١٠٩٨) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١٠٩٩) أخرجه الطبري: ٤٩٨/١٧.

(١١٠٠) أخرجه الطبري:٤٩٨/١٧.

(١١٠١) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١١٠٢) أخرجه الطبري:٤٩٨/١٧.

(١١٠٣) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١١٠٤) تفسير مجاهد: ٤٣٩، وتفسير الطبري:٥٠٠/١٧.

(١١٠٥) أخرجه الطبري:٥٠٠/١٧.

التفسير:
ولقد كرَّمنا ذرية آدم بالعقل وإرسال الرسل، وسَخَّرنا لهم جميع ما في الكون، وسَخَّرنا لهم الدواب في البر والسفن في البحر لحملهم، ورزقناهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضَّلناهم على كثير من المخلوقات تفضيلا عظيمًا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} [الإسراء : ٧٠]، أي:" لقد شرفنا ذرية آدم على جميع المخلوقات بالعقل، والعلم، والنطق، وتسخير جميع ما في الكون لهم"(١١٠٦).

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} [الإسراء : ٧٠]، وجوه(١١٠٧):

أحدها : بأن جعلناهم يأكلون بأيديهم وسائر الخلق يأكلون بأفواههم. قاله ابن جريج(١١٠٨).

قال ابن جريج:" في اليدين يأكل بهما، ويعمل بهما، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك"(١١٠٩).

وقال الحسن: "فضل بنو آدم على البهائم والسباع والهوام"(١١١٠).

الثاني : كرمناهم بالنطق وثم التمييز. قاله الضحاك(١١١١).

الثالث: بتعديل العامة وامتدادها. قاله عطاء(١١١٢).

الرابع: بحسن الصورة. قاله يمان(١١١٣).

الخامس عشر: بأن جعل محمد--صلى الله عليه وسلم- منهم. قاله محمد بن كعب(١١١٤).

والظاهر أن تكريمه إياهم ، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كما قال : { لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [التين : ٤] أي : يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه ، ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه - وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا ، يفقه بذلك كله وينتفع به ، ويفرق بين الأشياء ، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية(١١١٥).

عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: "{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم} [الإسراء: ٧٠]، قال: قالت الملائكة: ربنا إنك آتيت بني آدم الدنيا يأكلون منها وينعمون، فلم تعطنا ذلك فأعطنا في الآخرة، فقال: وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان "(١١١٦).

القرآن

{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١)} [الإسراء : ٧١]

التفسير:

اذكر -أيها الرسول- يوم البعث مبشرًا ومخوفًا، حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا، فمن كان منهم صالحًا، وأُعطي كتاب أعماله بيمينه، فهؤلاء يقرؤون كتاب حسناتهم فرحين مستبشرين، ولا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم الصالحة شيئًا، وإن كان مقدارَ الخيط الذي يكون في شَقِّ النواة.

قوله تعالى:{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الإسراء : ٧١]، أي:" اذكر -أيها الرسول- يوم البعث مبشرًا ومخوفًا، حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا"(١١١٧).

(١١٠٦) صفوة التفاسير:١٥٦/٢.
(١١٠٧) انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
(١١٠٨) انظر: تفسير الطبري:٥٠١/١٧.
(١١٠٩) أخرجه الطبري:٥٠١/١٧.
(١١١٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٥٠/١.
(١١١١) انظر: الكشف والبيان:١١٤/٦.
(١١١٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١١٥/٦.
(١١١٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١١٥/٦.
(١١١٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١١٥/٦.
(١١١٥) تفسير ابن كثير:٩٧/٥.
(١١١٦) تفسير عبدالرزاق(١٥٩٢):ص٣٠٤/٢.
(١١١٧) التفسير الميسر:٢٨٩.

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الإسراء : ٧١]، أقوال:
أحدها : بنبيِّهم ، قاله مجاهد[١١١٨]، وقتادة[١١١٩].
الثاني : بكتابهم الذي أنزل عليهم، فيه أوامر الله ونواهيه ، قاله مجاهد[١١٢٠].
الثالث : بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر ، قاله الحسن[١١٢١]، والضحاك[١١٢٢]، وأبو العالية[١١٢٣].

قال الحسن:" بكتابهم الذي فيه أعمالهم"[١١٢٤].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله:"{يوم ندعوا كل أناس بإمامهم}، قال: يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاجا من نور يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول: أبشروا، لكل رجل منكم مثل هذا. وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا من نار فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال: فيأتيهم فيقولون: ربنا أخره فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا»"[١١٢٥].

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمُّون به في الدنيا، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتمّ واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها[١١٢٦].

قوله تعالى:{فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [الإسراء : ٧١]، أي:" فمن كان منهم صالحًا، وأُعطي كتاب أعماله بيمينه، فهؤلاء يقرؤون كتاب حسناتهم فرحين مستبشرين، ولا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم الصالحة شيئًا، وإن كان مقدارَ الخيط الذي يكون في شَقِّ النواة"[١١٢٧].

وفي معنى «الفتيل»، قولان:
أحدهما : أي: الفتيل الذي شق النواة ، وهو قول عطاء[١١٢٨]، وقتادة[١١٢٩]، ومجاهد[١١٣٠]، والضحاك[١١٣١]، وعطية العوفي[١١٣٢]، وخصيف[١١٣٣]، والحسن[١١٣٤]، ومنه قول نابغة الذبياني[١١٣٥]:
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ... ثمّ لا يرزأ العدوّ فتيلا
الثاني : أنه ما انفتل بين الأصابع من الوسخ ، وهذا قول السدي[١١٣٦]، وأبي مالك[١١٣٧].

(١١١٨) انظر: تفسير الطبري:٥٠٢/١٧.
(١١١٩) انظر: تفسير الطبري:٥٠٢/١٧.
(١١٢٠) انظر: تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
(١١٢١) انظر: تفسير الطبري:٥٠٢/١٧.
(١١٢٢) انظر: تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
(١١٢٣) انظر: تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
(١١٢٤) أخرجه الطبري:٥٠٢/١٧.
(١١٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٤٧):ص٢٣٣٩/٧.
(١١٢٦) تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
(١١٢٧) التفسير الميسر:٢٨٩.
(١١٢٨) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٣):ص٤٥٨/٨.
(١١٢٩) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٦):ص٤٥٩/٨.
(١١٣٠) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٥)، و(٩٧٥٦):ص٤٥٨/٨.
(١١٣١) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٨):ص٤٥٩/٨.
(١١٣٢) انظر: تفسير الطبري(٩٧٦٢):ص٤٥٩/٨.
(١١٣٣) انظر: تفسير الطبري(٩٧٦٢):ص٤٥٩/٨.
(١١٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٤٣٦):ص٩٧٣/٣.
(١١٣٥) ديوانه:٩٩.
(١١٣٦) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٠):ص٤٥٨/٨.
(١١٣٧) انظر: تفسير الطبري(٩٧٤٩):ص٤٥٧/٨-٤٥٨.

القرآن

{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)} [الإسراء : ٧٢]

التفسير:

ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن دلائل قدرة الله فلم يؤمن بما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو في يوم القيامة أشدُّ عمى عن سلوك طريق الجنة، وأضل طريقًا عن الهداية والرشاد.

قوله تعالى:{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى} [الإسراء : ٧٢]، أي:" ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن دلائل قدرة الله فلم يؤمن بما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فهو في يوم القيامة أشدُّ عمى عن سلوك طريق الجنة"(١١٣٨).

عن مجاهد :"{فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى} قال: أعمى عن حجته في الآخرة"(١١٣٩).

وفي المشار إليه في قوله تعالى:{هَذِهِ} [الإسراء : ٧٢]، قولان:

القول الأول: أنها «الدنيا»، قاله مجاهد(١١٤٠). ثم في معنى قولان:

أحدهما: من كان في الدنيا أعمى بالكفر، فهو في الآخرة أعمى، لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل، قاله الحسن(١١٤١).

وعن الحسن، قال:" من كان في هذه الدنيا أعمى، الكافر عمي عن الهدى، فهو في الآخرة أعمى في الحجة، أي: ليست له حجة، كقوله: {قال رب لم حشرتني أعمى} [طه: ١٢٥] عن حجتي"(١١٤٢).

الثاني: من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه، {فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا} فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى. قاله قتادة(١١٤٣).

وعن الحسن، قال:" من كان في هذه الدنيا أعمى، الكافر عمي عن الهدى، فهو في الآخرة أعمى في الحجة، أي: ليست له حجة، كقوله: {قال رب لم حشرتني أعمى} [طه: ١٢٥] عن حجتي"(١١٤٤).

وقال محمد بن أبي موسى:" من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيل"(١١٤٥).

القول الثاني: أنها «النعم». والمعنى: من كان أعمى عن معرفة حق الله في هذه النعم المذكورة في قوله تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم} ولم يؤد شكرها، فهو فيما بينه وبين الله مما يتقرب به إليه أعمى وأضل سبيلا، قاله السدي(١١٤٦).

وحكي عن السدي، قال:" أعمى القلب، فلا تعرف ربها فتوحده، فهو عن ما في الآخرة، يعني: فهو عن ما ذكر الله من أمر الآخرة أعمى وأضل سبيل"(١١٤٧).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلا يقول: وأضلّ طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها.

وإنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ} الدنيا {أَعْمَى} عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم، وحمله إياهم في البرّ والبحر، وما عدد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم، بل عمّ بالخبر عن عماه في الدنيا، فهم كما عمّ تعالى ذكره"(١١٤٨).

(١١٣٨) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١١٣٩) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٧.

(١١٤٠) انظر: تفسير الطبري:٥٠٤/١٧.

(١١٤١) انظر: زاد المسير:٤١/٣.

(١١٤٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٥١/١!.

(١١٤٣) أخرجه الطبري:٥٠٤/١٧.

(١١٤٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٥١/١!.

(١١٤٥) أخرجه الطبري:٥٠٤/١٧.

(١١٤٦) انظر: زاد المسير:٤١/٣.

(١١٤٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٥١/١.

(١١٤٨) تفسير الطبري:٥٠٥/١٧:.

القرآن

{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣)} [الإسراء : ٧٣]

التفسير:

ولقد قارب المشركون أن يصرفوك -أيها الرسول- عن القرآن الذي أنزله الله إليك؛ لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، ولو فعلت ما أرادوه لاتخذوك حبيبًا خالصًا.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال سعيد بن جبير:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندعه حتى يلم بآلهتنا، فحدث نفسه، وقال: ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر، والله يعلم أني لها كاره، فأبى الله، فأنزل الله :{ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَه} الآية"[١١٤٩].

وعن ابن شهاب، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طاف يقول له المشركون: استلم، استلم آلهتنا كي لا تضرك فكاد يفعل، فأنزل الله: {وإن كادوا ليفتنونك} الآية"[١١٥٠].

الثاني: قال عطاء عن ابن عباس: "نزلت في وفد ثقيف، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألوا شططا وقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكة: شحرها وطيرها ووحشها. وأكثروا في المسألة، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجبهم. فأقبلوا يكررون مسألتهم، وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول، وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا- فقل: الله أمرني بذلك. فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم، عنهم، وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر: أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون به؟ وقد هم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يعطيهم ذلك. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١١٥١].

الثالث: وقال قتادة: "ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ذات ليلة إلى الصبح، يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، فقالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا. وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله تعالى عن ذلك. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١١٥٢].

الرابع: وقال جبير بن نفير:" إن قريشا أتو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى الله إليه وإن كادوا ليفتنونك الآية"[١١٥٣].

الخامس: وقال محمد بن كعب القرظي:" أنزل الله: {والنجم إذا هوى}، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {أفرأيتم اللات والعزى}، فألقى عليه الشيطان كلمتين: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى"، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ما بقى من السورة وسجد، فأنزل الله: {وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك}، الآية، فما زال مغموما مهموما حتى أنزل الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِي}[١١٥٤]، الآية"[١١٥٥].

قوله تعالى:{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ} [الإسراء : ٧٣]، أي:" ولقد قارب المشركون أن يصرفوك -أيها الرسول- عن القرآن الذي أنزله الله إليك"[١١٥٦].

عن السدي: {وَإِنْ كَادُوا}، يعني: قد كادوا"[١١٥٧].

قال قتادة:" أطافوا به ليلة، فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا فأرادوه على بعض ما يريدون، فهم النبي عليه الصلاة والسلام أن يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله "[١١٥٨].

(١١٤٩) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٧، وعزاه في الدر (٤/ ١٩٤) لابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره في لباب النقول ص ١٦٨

(١١٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٥٢):ص٢٣٤٠/٧.

(١١٥١) أسباب النزول للواحدي:٢٩٥.[بدون إسناد]

(١١٥٢) أسباب النزول للواحدي:٢٩٥.[مرسل]

(١١٥٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٥٣):ص٢٣٤٠/٧.

(١١٥٤)[الحج : ٥٢].

(١١٥٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٥٤):ص٢٣٤٠/٧.

(١١٥٦) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١١٥٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٥١/١.

القرآن

{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)} [الإسراء : ٧٤]

التفسير:

ولولا أن ثبَّتناك على الحق، وعصمناك عن موافقتهم، لقاربْتَ أن تميل إليهم شيئا من الميل فيما اقترحوه عليك، لقوة خداعهم وشدة احتيالهم، ولرغبتك في هدايتهم.

قوله تعالى:{لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٤]، أي:" لقاربْتَ أن تميل إليهم شيئا من الميل فيما اقترحوه عليك، لقوة خداعهم وشدة احتيالهم، ولرغبتك في هدايتهم"(١١٥٩).

عن قتادة: "{لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا} للذي أرادوا فهم أن يقاربهم فيه"(١١٦٠).

قال قتادة: "لما وقع هذا كان رسول الله يقول بعد ذلك: «اللهم، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»"(١١٦١).

القرآن

{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)} [الإسراء : ٧٥]

التفسير:

ولو ركَنت -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين ركونًا قليلا فيما سألوك، إذًا لأذقناك مِثْلي عذاب الحياة في الدنيا ومثْلي عذاب الممات في الآخرة؛ وذلك لتمام نعمة الله عليك وكمال معرفتك بربك، ثم لا تجد أحدًا ينصرك ويدفع عنك عذابنا.

قوله تعالى:{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} [الإسراء : ٧٥]، أي:" ولو ركَنت -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين ركونًا قليلا فيما سألوك، إذًا لأذقناك مِثْلي عذاب الحياة في الدنيا ومثْلي عذاب الممات في الآخرة، وذلك لتمام نعمة الله عليك وكمال معرفتك بربك"(١١٦٢).

عن مجاهد :"{ضِعْفَ الْحَيَاةِ}، قال: عذابها، {وَضِعْفَ الْمَمَاتِ}، قال: عذاب الآخرة"(١١٦٣).

قال قتادة والضحاك:" أي: عذاب الدنيا والآخرة"(١١٦٤).

القرآن

{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦)} [الإسراء : ٧٦]

التفسير:

ولقد قارب الكفار أن يخرجوك من «مكة» بإزعاجهم إيَّاك، ولو أخرجوك منها لم يمكثوا فيها بعدك إلا زمنًا قليلا حتى تحل بهم العقوبة العاجلة.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: "حسدت اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فإن كنت نبيا فالحق بها، فإنك إن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك. فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(١١٦٥).

قال ابن كثير:" وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسكنى المدينة بعد ذلك"(١١٦٦).

الثاني: وقيل : إنها نزلت بتبوك"(١١٦٧).. قال ابن كثير:"في صحته نظر"(١١٦٨).

(١١٥٨) تفسير عبدالرزاق(١٥٩٧):ص٣٠٧/٢.

(١١٥٩) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١١٦٠) تفسير عبدالرزاق(١٥٩٧):ص٣٠٧/٢.

(١١٦١)أخرجه الطبري:٥٠٨/١٧، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلا، انظر: الكشف والبيان:١١٨/٦.

(١١٦٢) التفسير الميسر:٢٨٩.

(١١٦٣) اخرجه الطبري:٥٠٩/١٧.

(١١٦٤) اخرجه الطبري:٥٠٩/١٧.

(١١٦٥) أسباب النزول للواحدي:٢٩٧-٢٩٨. [بدون إسناد]

(١١٦٦) تفسير ابن كثير:١٠٠/٥.

عن عبد الرحمن بن غَنْم :"أن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقًا أنك نبي ، فالحق بالشام ؛ فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء. فصدق ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك ، لا يريد إلا الشام. فلما بلغ تبوك ، أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة : { وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا } إلى قوله : { تَحْوِيلا } فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ، ومنها تبعث"[١١٦٩].

الثالث: وقال مجاهد وقتادة والحسن: "هم أهل مكة بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فأمره الله تعالى بالخروج. وأنزل هذه الآية إخبارا عما هموا به"[١١٧٠].

قال ابن كثير:"وفي هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس بصحيح ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود ، إنما غزاها امتثالا لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } [التوبة : ١٢٣] ، وقوله تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [التوبة : ٢٩]. وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة ، من أصحابه ، والله أعلم"[١١٧١].

الثالث: وقيل : نزلت في كفار قريش ، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرًا. وكذلك وقع ؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم ، بعد ما اشتد أذاهم له ، إلا سنة ونصف. حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم وسبى سراتهم[١١٧٢].

قوله تعالى:{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا} [الإسراء : ٧٦]، أي:" ولقد قارب الكفار أن يخرجوك من «مكة» بإزعاجهم إيَّاك"[١١٧٣].

عن الحسن:"{لَيَسْتَفِزُّونَكَ}، قال: يقتلونك"[١١٧٤].

وفي قوله تعالى:{لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا} [الإسراء : ٧٦]، أقوال:

أحدها : أنهم اليهود أرادوا أن يخرجوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المدينة ، فقالوا : إن أرض الأنبياء هي الشام وإن هذه ليست بأرض الأنبياء ، قاله سليمان التيمي[١١٧٥].

الثاني : أنهم قريش هموا بإخراج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة قبل الهجرة ، قاله مجاهد[١١٧٦]، وقتادة[١١٧٧].

قال قتادة:" همّ أهل مكة بإخراج النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر"[١١٧٨].

وقال قتادة:" قد فعلوا بعد ذلك فأهلكهم الله يوم بدر فلم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى أهلكهم الله يوم بدر، كذلك كانت سنة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك"[١١٧٩].

الثالث : أنهم أرادوا قتله ليخرجوه من الأرض كلها ، قاله الحسن[١١٨٠].

(١١٦٧) انظر: تفسير ابن كثير:١٠٠/٥.
(١١٦٨) تفسير ابن كثير:١٠٠/٥.
(١١٦٩) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٥٤/٥)، وذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٩٨. [بدون إسناد].
(١١٧٠) أسباب النزول للواحدي: ٢٩٨. [بدون إسناد]
(١١٧١) تفسير ابن كثير:١٠١/٥.
(١١٧٢) انظر: تفسير ابن كثير:١٠١/٥.
(١١٧٣) التفسير الميسر:٢٩٠.
(١١٧٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١٥٢/١، والنكت والعيون:٢٦١/٣.
(١١٧٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٧.
(١١٧٦) انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٧.
(١١٧٧) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٧.
(١١٧٨) أخرجه الطبري:٥١٠/١٧.
(١١٧٩) تفسير عبدالرزاق(١٦٠١):٣٠٧/٢.
(١١٨٠) انظر: النكت والعيون:٢٦١/٣.

والصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ} في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر، فيوجه قوله {وَإِنْ كَادُوا} إلى أنه خبر عنهم، فهو بأن يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره[١١٨١].

قوله تعالى:{وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٦]، أي:" ولو أخرجوك منها لم يمكثوا فيها بعدك إلا زمنًا قليلا حتى تحل بهم العقوبة العاجلة"[١١٨٢].

قال مجاهد:" لو أخرجت قريش محمدا لعذّبوا بذلك"[١١٨٣].

قال الضحاك:" كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبيّ من بين أظهرهم إلى بدر، فأخذهم بالعذاب يوم بدر"[١١٨٤].

قال قتادة:" فأهلكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى أهلكهم الله يوم بدر"[١١٨٥].

القرآن

{سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)} [الإسراء : ٧٧]

التفسير:

تلك سنة الله تعالى في إهلاك الأمة التي تُخرج رسولها من بينها، ولن تجد -أيها الرسول- لسنتنا تغييرًا، فلا خلف في وعدنا.

قوله تعالى:{سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الإسراء : ٧٧]، أي:" تلك سنة الله تعالى في إهلاك الأمة التي تُخرج رسولها من بينها"[١١٨٦].

قال قتادة:" أي: سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم، لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه"[١١٨٧].

(١١٨١)تفسير الطبري:٥١١/١٧ .
(١١٨٢) التفسير الميسر:٢٩٠.
(١١٨٣) أخرجه الطبري:٥١١/١٧.
(١١٨٤)أخرجه الطبري:٥١١/١٧ .
(١١٨٥) اخرجه الطبري:٥١٠/١٧.
(١١٨٦) التفسير الميسر:٢٩٠.
(١١٨٧) أخرجه الطبري:٥١٢/١٧.

القرآن

{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)} [الإسراء : ٧٨]

التفسير:

أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر، وأطِل القراءة فيها؛ إن صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

قوله تعالى:{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} [الإسراء : ٧٨]، أي:" أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء"(١١٨٨).

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"(١١٨٩).

وفي معنى « دلوك الشمس»، قولان:

أحدهما : أنه غروبها، وأن الصلاة المأمور بها صلاة « المغرب»، وهو مذهب أبي حنيفة(١١٩٠). ومنه قول ذي الرمة(١١٩١):

مَصَابيحُ لَيْسَتْ باللَّوَاتي تَقُودُها ... نُجُومٌ ولا بالآفلاتِ الدَّوَالكِ

الثاني : أن «دلوك الشمس»: زوالها، والصلاة المأمور بها صلاة «الظهر»، وهذا قول أبي برزة الأسلمي(١١٩٢)، والحسن(١١٩٣)، وقتادة(١١٩٤)، ومجاهد(١١٩٥)، والضحاك(١١٩٦)، وهو مذهب الشافعي(١١٩٧)، ومالك(١١٩٨).

وقد روي عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبرائيل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر»(١١٩٩).

وعن عمر، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: فى قوله تعالى {أقم الصلاة لدلوك الشمس} قال لزوال الشمس"(١٢٠٠).

قال أبو برزة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا :{أقم الصلاة لدلوك الشمس}"(١٢٠١).

عن جابر بن عبد الله، قال: دعوت نبي الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اخرج يا أبا بكر قد دلكت الشمس"(١٢٠٢).

عن ابن عمر قال: " دلوك الشمس :ميلها بعد نصف النهار "(١٢٠٣).

(١١٨٨) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١١٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س٣/١٠٠٤.

(١١٩٠) انظر/ النكت والعيون:٣/٢٦٢.

(١١٩١)ديوانه: ٤٢٥.

(١١٩٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٥.

(١١٩٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٥.

(١١٩٤) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٦.

(١١٩٥) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٦.

(١١٩٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٥.

(١١٩٧) قال البيهقيفي السنن الكبرى:١/٥٣٦:" قال الله جل ثناؤه {أقم الصلاة لدلوك الشمس} [الإسراء: ٧٨] قال الشافعي رضي الله عنه: دلوك الشمس زوالها".

(١١٩٨) انظر: النكت والعيون:٣/٢٦٢.

(١١٩٩) أخرجه الطبري:١٧/٥١٧.

(١٢٠٠) أخرجه (ابن مردويه)، [كنز العمال ٣١٧٤١]، وجامع الأحاديث(٣٠٤٠٧):ص٢٧/٤٣٠.

(١٢٠١) أخرجه الطبري:١٧/٥١٨.

(١٢٠٢) أخرجه الطبري:١٧/٥١٨.

(١٢٠٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(١٧٠٤):ص١/٥٣٦.

والصواب قول من قال: عنى بقوله {أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}: صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: دلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه، ومنه الخبر الذي رُوي عن الحسن أن رجلا قال له: أيُدالك الرجل امرأته؟ يعني بذلك: أيميل بها إلى المماطلة بحقها. ومنه قول الراجز[١٢٠٤]:

هَذَا مَقَامُ قَدَمَيْ رَبَاحِ ... غُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بِرَاحِ"[١٢٠٥].

وأما «غسق الليل»، ففيه وجهان من التفسير:

أحدهما : أنه ظلام الليل، قاله الضحاك[١٢٠٦].

الثاني : أنه دنوّ الليل وإقباله، وهو قول قتادة[١٢٠٧]، وعكرمة[١٢٠٨].

قال قتادة:" بدو الليل لصلاة المغرب"[١٢٠٩].

وقال مجاهد:" غسق الليل: غروب الشمس"[١٢١٠].

وفي الصلاة المأمور بها، قولان:

أحدهما : أنها صلاة المغرب، وهو قول مجاهد[١٢١١]، وقتادة[١٢١٢]، والضحاك[١٢١٣].

الثاني : انها صلاة العصر. قاله أبو جعفر[١٢١٤].

الصواب قول من قال: الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل[١٢١٥].

قوله تعالى:{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} [الإسراء : ٧٨]، أي:" وأقم صلاة الفجر، وأطِلِ القراءة فيها"[١٢١٦].

عن مجاهد: "{وقرآن الفجر}، قال: صلاة الصبح"[١٢١٧].

قال الضحاك:" يعني صلاة الغداة"[١٢١٨].

قال قتادة:"{وقرآن الفجر}: صلاة الصبح، كنا نحدث أن عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله حرس الليل وحرس النهار"[١٢١٩].

قال كعب:" والذي نفس كعب بيده، إن هذه الآية {وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا}، إنها لصلاة الفجر إنها لمشهودة"[١٢٢٠].

قوله تعالى:{إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء : ٧٨]، أي:" إن صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار"[١٢٢١].

قال مجاهد:" تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار"[١٢٢٢].

(١٢٠٤) الرجز من شواهد الفراء في معاني القرآن: وروايته فيه: "ذبب" في موضع "غدوة" وهي كرواية (اللسان: برح).

(١٢٠٥) تفسير الطبري:١٧/٥١٦-٥١٧.

(١٢٠٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢٠٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢٠٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢٠٩) اخرجه الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢١٠) اخرجه الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢١١) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢١٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢١٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢١٤) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥١٩.

(١٢١٥) تفسير الطبري:١٧/٥٢٠.

(١٢١٦) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢١٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٢٢.

(١٢١٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٢٢.

(١٢١٩) أخرجه الطبري:١٧/٥٢١.

(١٢٢٠) أخرجه الطبري:١٧/٥٢٢.

(١٢٢١) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢٢٢) أخرجه الطبري:١٧/٥٢٢.

قال إبراهيم:" كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعا، ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء"[١٢٢٣].

عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل: في الساعة الأولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحوا ما يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي داره التي لم ترها عين، ولا تخطر على قلب بشر، وهي مسكنه، ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول: طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض، فيقول: قومي بعوني، ثم يطلع إلى عباده، فيقول: من يستغفرني أغفر له، من يسألني أعطه، من يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، فذلك حين يقول :{وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا}، قال موسى في حديثه: شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وقال ابن عسكر في حديثه: فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار "[١٢٢٤].

القرآن

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)} [الإسراء : ٧٩]

التفسير:

وقم -أيها النبي- من نومك بعض الليل، فاقرأ القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات، عسى أن يبعثك الله شافعًا للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم الله مما يكونون فيه، وتقوم مقامًا يحمدك فيه الأولون والآخرون.

قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} [الإسراء : ٧٩]، أي:" وقم -أيها النبي- من نومك بعض الليل، فاقرأ القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات"[١٢٢٥].

عن علقمة والأسود:" أنهما قالا: التهجد، بعد نومة"[١٢٢٦].

وقال الحسن:" التهجد: ما كان بعد العشاء الآخرة"[١٢٢٧].

عن قتادة: " {نَافِلَةً لَكَ}: أي: نفلا وغنيمة لك"[١٢٢٨].

قال مجاهد:" النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة، فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها، فليست للناس نوافل"[١٢٢٩].

قال الحسن: "لم يقم النبي أقل من ثلث الليل"[١٢٣٠].

قوله تعالى:{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء : ٧٩]، أي:" عسى أن يبعثك الله شافعًا للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم الله مما يكونون فيه، وتقوم مقامًا يحمدك فيه الأولون والآخرون"[١٢٣١].

قال ابن إسحاق:" {عسى}: من الله حق"[١٢٣٢].

وفي قوله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء : ٧٩]، وجهان:

أحدهما : أن المقام المحمود مقام الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله الحسن[١٢٣٣]، ومجاهد-في أحد قوليه-[١٢٣٤]، وقتادة[١٢٣٥].

(١٢٢٣) أخرجه الطبري:٥٢١/١٧.

(١٢٢٤) أخرجه الطبري:٥٢٠/١٧-٥٢١.

(١٢٢٥) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢٢٦) انظر: تفسير الطبري:٥٢٤/١٧.

(١٢٢٧) اخرجه الطبري:٥٢٤/١٧.

(١٢٢٨) أخرجه الطبري:٥٢٥/١٧.

(١٢٢٩) أخرجه الطبري:٥٢٥/١٧.

(١٢٣٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٥٥/١.

(١٢٣١) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢٣٢) أخرجه الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.

(١٢٣٣) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.

(١٢٣٤) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.

(١٢٣٥) انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.

قال قتادة:" وقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا عبدا، أو ملكا نبيا، فأومأ إليه جبرائيل عليه السلام: أن تواضع، فاختار نبي الله أن يكون عبدا نبيا، فأعطي به نبي الله ثنتين: إنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع. وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تبارك وتعالى {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، شفاعة يوم القيامة"(١٢٣٦).

الثاني : أنه إجلاسه على عرشه يوم القيامة ، رواه ليث عن مجاهد(١٢٣٧).

والصواب-والله أعلم- هو القول الاول، وذلك لما صح من الاخبار الواردة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:

عن أبي هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، في قوله :{عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، قال: "هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي"(١٢٣٨).

عن كعب بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يحشر الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود"(١٢٣٩).

عن ابن عمر ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:" إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام، فيقول لست صاحب ذلك ثم بموسى عليه السلام، فيقول كذلك، ثم بمحمد فيشفع بين الخلق حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا"(١٢٤٠).

عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأقوم المقام المحمود" فقال رجل: يا رسول الله، وما ذلك المقام المحمود؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك إذا جيء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، فيؤتى بريطتين بيضاوين، فيلبسهما، ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتي فألبسها، فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه غيري يغبطني فيه الأولون والآخرون، ثم يفتح نهر من الكوثر إلى الحوض"(١٢٤١).

عن علي بن الحسين، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأكون أول من يدعى وجبرائيل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: أي رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي، فيقول الله عز وجل: صدق، ثم أشفع، قال: فهو المقام المحمود"(١٢٤٢).

القرآن

{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٨٠]

التفسير:

وقل: ربِّ أدخلني فيما هو خير لي مدخل صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق، واجعل لي مِن لدنك حجة ثابتة، تنصرني بها على جميع مَن خالفني.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه، {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}"(١٢٤٣).

قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} [الإسراء : ٨٠]، أي:" وقل: ربِّ أدخلني فيما هو خير لي مدخل صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق "(١٢٤٤).

(١٢٣٦) أخرجه الطبري:٥٢٨/١٧.
(١٢٣٧) انظر: تفسير الطبري:٥٢٩/١٧.
(١٢٣٨) أخرجه الطبري:٥٢٩/١٧.
(١٢٣٩) أخرجه الطبري:٥٢٩/١٧.
(١٢٤٠) أخرجه الطبري:٥٢٩/١٧.
(١٢٤١) أخرجه الطبري:٥٣٠/١٧.
(١٢٤٢) أخرجه الطبري:٥٣٠/١٧.
(١٢٤٣) اخرجه البري:٥٣٣/١٧.
(١٢٤٤) التفسير الميسر:٢٩٠.

وفي قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} [الإسراء : ٨٠]، وجوه:
أحدها : أن مدخل الصدق دخوله إلى المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق بخروجه من مكة حين هاجر منها ، قاله الحسن[١٢٤٥]، قتادة[١٢٤٦].

قال الحسن:" كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، أو يطردوه، أو يُوثِقوه، وأراد الله قتال أهل مكة، فأمره أن يخرج إلى المدينة، فهو الذي قال الله :{أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ}"[١٢٤٧].

الثاني : أدخلني مدخل صدق إلى الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة ، قاله الحسن-أيضا-[١٢٤٨].

الثالث : أدخلني مدخل صدق فيما أرسلتني به من النبوة ، وأخرجني منه بتبليغ الرسالة مخرج صدق ، وهذا قول مجاهد[١٢٤٩].

الرابع : أدخلني في الإسلام مدخل صدق ، وأخرجني من الدنيا مخرج صدق ، قاله أبو صالح[١٢٥٠].

الخامس : أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق آمناً ، قاله الضحاك[١٢٥١].

وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخْرج صدق، لأن ذلك عقيب قوله :{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا}، وقد دللنا فيما مضى، على أنه عَنَى بذلك أهل مكة؛ فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليخرجوه عن مكة، كان بيَّنا، إذ كان الله قد أخرجه منها، أن قوله {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي هم المشركون بإخراجه منها مُخْرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مُدْخل صدق"[١٢٥٢].

قوله تعالى:{وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠]، أي:" واجعل لي مِن لدنك حجة ثابتة، تنصرني بها على جميع مَن خالفني"[١٢٥٣].

وفي قوله تعالى:{وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن السلطة على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود قاله الحسن[١٢٥٤].
الثاني : حجة بيّنة ، قاله مجاهد[١٢٥٥].
الثالث : يعني: مُلكاً عزيزاً أقهر به العصاة ، قاله قتادة[١٢٥٦].

قال قتادة:" وإن نبيّ الله علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عزّ وجلّ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم"[١٢٥٧].

والقول الأخير هو الأرجح: لأنه لا بد من الحق من قهر ممن عاداه، وناوأه ... وفي الحديث: إن الله لَيَزَع بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن" أي : ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ، ما لا يمتنع كثيرٌ من الناس بالقرآن ، وما فيه من الوعيد الأكيد ، والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع"[١٢٥٨].

(١٢٤٥) انظر: تفسير الطبري:٥٣٣/١٧.
(١٢٤٦) انظر: تفسير الطبري:٥٣٣/١٧-٥٣٤
(١٢٤٧) اخرجه الطبري:٥٣٣/١٧.
(١٢٤٨) انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٧.
(١٢٤٩) انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.
(١٢٥٠) انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.
(١٢٥١) انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.
(١٢٥٢) تفسير الطبري:٥٣٥/١٧.
(١٢٥٣) التفسير الميسر:٢٩٠.
(١٢٥٤) انظر: النكت والعيون:٢٦٧/٣.
(١٢٥٥) انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٧.
(١٢٥٦) انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٧.
(١٢٥٧) أخرجه الطبري:٥٣٦/١٧.
(١٢٥٨) تفسير ابن كثير:١١١/٥.

ولهذا قال الإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى"[١٢٥٩].

وقال الفضيل بن عياض: "لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا للسلطان، قيل له: يا أبا علي فَسِّر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعْدُني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين"[١٢٦٠].

وهكذا أيضاً تكون النصيحة والدعاء للعلماء إذا حصل منهم قصور أو نسيان؛ لأنهم بشر وغير معصومين، وهم من أعظم ولاة أمر المسلمين، فلا يجوز سبهم، ولا التشهير بهم، ولا تتبع عثراتهم ونشرها بين الناس؛ لأن في ذلك فساداً كبيراً[١٢٦١].

ولهذا قال ابن عساكر رحمه الله تعالى: "اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلني وإياك ممن يتقيه حق تقاته - أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أسرار منتقصهم معلومة، وأن من أطال لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب، {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النور:٦٣]، والله المستعان، وعليه التكلان"[١٢٦٢].

القرآن

{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)} [الإسراء : ٨١]

التفسير:

وقل -أيها الرسول- للمشركين: جاء الإسلام وذهب الشرك، إن الباطل لا بقاء له ولا ثبات، والحق هو الثابت الباقي الذي لا يزول.

قوله تعالى:{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء : ٨١]، أي:" وقل -أيها الرسول- للمشركين: جاء الإسلام وذهب الشرك"[١٢٦٣].

وفي قوله تعالى:{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء : ٨١]، وجهان:

أحدهما : أن الحق هو القرآن، والباطل هو الشيطان، قاله قتادة[١٢٦٤].

الثاني : أن الحق الجهاد ، والباطل الشرك، قاله ابن جريج[١٢٦٥].

والصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء، وهو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة، وأن الباطل قد زهق: يقول: وذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وذلك أن الحق هو كل ما خالف طاعة إبليس، وأن الباطل: هو كل ما وافق طاعته، ولم يخصص الله عز ذكره بالخبر عن بعض طاعاته، ولا ذهاب بعض معاصيه، بل عم الخير عن مجيء جميع الحق، وذهاب جميع الباطل، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحق، وإبطال جميع الباطل"[١٢٦٦].

القرآن

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)} [الإسراء : ٨٢]

التفسير:

(١٢٥٩)كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله تعالى، ص٥١.

(١٢٦٠)كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن علي بن خلف البربهاري المتوفى ٣٢٩هـ بتحقيق خالد بن قاسم الردادي، ص١١٦،مكتبة الغرباء. وانظر: طبقات الحنابلة،٢/ ٣٦،وحلية الأولياء،٨/ ٩١.

(١٢٦١) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة:٧٩٢/٢.

(١٢٦٢)انظر: رسالة لحوم العلماء مسمومة:١٤.

(١٢٦٣) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢٦٤) انظر: تفسير الطبري:٥٣٧/١٧.

(١٢٦٥) انظر: تفسير الطبري:٥٣٧/١٧.

(١٢٦٦) تفسير الطبري:٥٣٨/١٧.

وننزل من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب مِنَ الأمراض، كالشك والنفاق والجهالة، وما يشفي الأبدان برُقْيتها به، وما يكون سببًا للفوز برحمة الله بما فيه من الإيمان، ولا يزيد هذا القرآن الكفار عند سماعه إلا كفرًا وضلالا؛ لتكذيبهم به وعدم إيمانهم.

قال قتادة:" إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، {ولا يزيد الظالمين} به {إلا خسارا}، أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين"(١٢٦٧).

قال الحسن: "والله ما جالس القرآن أحدٌ، إلا قام من عنده بزيادة، أو نقصان. دليله قوله: {وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظالمين إِلاَّ خَسَاراً} [الإسراء: ٨٢]"(١٢٦٨).

عن أويس القرني، قال: "لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضاء من الله الذي قضى {شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا} [الإسراء: ٨٢]"(١٢٦٩).

القرآن

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣)} [الإسراء : ٨٣]

التفسير:

وإذا أنعمنا على الإنسان من حيث هو بمال وعافية ونحوهما، تولَّى وتباعد عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة مِن فقر أو مرض كان قنوطًا؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرَّائه وضرَّائه.

قوله تعالى:{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} [الإسراء : ٨٣]، أي:" وإذا أنعمنا على الإنسان من حيث هو بمال وعافية ونحوهما تولَّى وتباعد عن طاعة ربه"(١٢٧٠).

عن مجاهد:" {أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ}، يقول: «تباعد منا»(١٢٧١).

القرآن

{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)} [الإسراء : ٨٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للناس: كل واحد منكم يعمل على ما يليق به من الأحوال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقًا إلى الحق.

قوله تعالى:{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} [الإسراء : ٨٤]، أي:" قل -أيها الرسول- للناس: كل واحد منكم يعمل على ما يليق به من الأحوال"(١٢٧٢).

وفي قوله تعالى:{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} [الإسراء : ٨٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : على طبيعته على حِدَته. قاله مجاهد(١٢٧٣).

الثاني:على ناحيته. قاله سعيد بن جبير(١٢٧٤)، ومجاهد(١٢٧٥)، وقتادة(١٢٧٦)، والضحاك(١٢٧٧).

قال قتادة:" على ناحيته وعلى ما ينوي"(١٢٧٨).

الثالث: على نيته. قاله الحسن(١٢٧٩).

(١٢٦٧) أخرجه الطبري:٥٣٩/١٧.

(١٢٦٨) حكاته عنه مكي بن ابي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه:٣٦٦٩/٥.

(١٢٦٩) أخرجه الواحدي في "الوسيط": ١٢٣/٣.

(١٢٧٠) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢٧١) تفسير مجاهد:٤٤١.

(١٢٧٢) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢٧٣) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:١٨٨/٤.

(١٢٧٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٠/٣.

(١٢٧٥) انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٧.

(١٢٧٦) انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٧.

(١٢٧٧) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:١٨٨/٤.

(١٢٧٨) أخرجه الطبري:٥٤١/١٧.

(١٢٧٩) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:١٨٨/٤.

قلت: مؤدى هذه الأقوال واحد.

القرآن

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)} [الإسراء : ٨٥]

التفسير:

ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتًا، فأجبهم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها، وما أُعطيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئًا قليلا.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بناس من اليهود، فقالوا: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه، فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم: ما تقول في الروح؟ فسكت، ونزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود(١٢٨٠).[صحيح]

والثاني: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمدا عن ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي سلوه عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها، ففسر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس(١٢٨١).[ضعيف]

قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء : ٨٥]، أي:" ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتًا"(١٢٨٢).

قال مجاهد:" يهود تسأله"(١٢٨٣).

وفي قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء : ٨٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه جبريل عليه السلام ، قاله الحسن(١٢٨٤)، وقتادة(١٢٨٥). كما قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء : ١٩٣].

وقال قتادة: «وكان ابن عباس يكتمه»(١٢٨٦).

الثاني : ملك من الملائكة في السماء السابعة. قاله السدي(١٢٨٧).

قال السدي:" الروح ملك من الملائكة في السماء السابعة، ووجهه على صورة الإنسان وجسده على صورة الملائكة، وذلك قوله في عم يتساءلون: {يوم يقوم الروح} [النبأ: ٣٨] ، يعني ذلك الملك، وهو أعظم من كل مخلوق، وتحت العرش، وهو حافظ على الملائكة يقوم على يمين العرش صفا واحدا والملائكة صف، فذلك قوله: {ويسألونك عن الروح} [الإسراء: ٨٥] ، يعني ذلك الملك"(١٢٨٨).

الثالث : أنه القرآن، قاله الحسن(١٢٨٩)، كما قال تعالى : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى : ٥٢]، فيكون معناه: أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل عليّ وليس هو مني.

(١٢٨٠)صحيح. أخرجه البخاري ١٢٥ و ٤٧٢١ و ٧٢٩٧ و ٧٤٥٦ و ٧٤٦٢ ومسلم ٤/ ٢١٥٢ والترمذي ٣١٤١ والنسائي في «التفسير» ٣١٩ وأبو يعلى ٢٥٠١ والطبري ٢٢٦٧٥ و ٢٢٦٧٦ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٢٤ من حديث ابن مسعود.

(١٢٨١)ضعيف. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩- ٢٧١ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مطولا، وفيه راو لم يسم. وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٥٩٠ نقلا عن المفسرين بنحوه. وفي «الوسيط» ٣/ ١٢٥ عن ابن عباس بدون إسناد. وهو بهذا اللفظ ضعيف. أما السؤال عن الروح فقد صح من حديث ابن مسعود الحديث المتقدم.

(١٢٨٢) التفسير الميسر:٢٩٠.

(١٢٨٣) أخرجه الطبري:٥٤٣/١٧.

(١٢٨٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٦١٥):ص٣١٣/٢.

(١٢٨٥) انظر: تفسير الطبري:٥٤٤/١٧.

(١٢٨٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٦١٥):ص٣١٣/٢.

(١٢٨٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٦٠/١.

(١٢٨٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٦٠/١.

(١٢٨٩) انظر: النكت والعيون:٢٦٩/٣.

الرابع: أن الروح خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل. حكاه يحيى بن سلام عن الأعمش عن بعض أصحابه التابعين[١٢٩٠].

قال قتادة :"سأله عنها قوم من اليهود وقيل في كتابهم أنه إن أجاب عن الروح فليس بنبيّ فقال الله تعالى :{قل الروح من أمر ربي}، فلم يجبهم عنها"[١٢٩١].

قوله تعالى:{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٨٥]، أي:" فأجبهم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها، وما أُعطيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئًا قليلا"[١٢٩٢].

قال عطاء بن يسار:" نزلت بمكة: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} أفعنيتنا أم قومك؟ قال: كلا قد عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، فأنزل الله {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام} .... إلى قوله {إن الله سميع بصير}"[١٢٩٣].

وفيمن أُريد بقوله تعالى :{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٨٥]، ، قولان :

أحدهما : أنهم اليهود خاصة ، قاله قتادة[١٢٩٤].

الثاني : النبي -صلى الله عليه وسلم-وسائر الخلق . قاله ابن جريج[١٢٩٥].

والصواب أن يقال: خرج الكلام خطابا لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كل أحد سوى الله، وإن كثر في علم الله قليل، وإنما معنى الكلام: وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير مما يعلم الله[١٢٩٦].

القرآن

{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)} [الإسراء : ٨٦]

التفسير:

ولئن شئنا مَحْوَ القرآن من قلبك لَقدَرْنا على ذلك، ثم لا تجد لنفسك ناصرًا يمنعنا من فعل ذلك، أو يرد عليك القرآن.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} [الإسراء : ٨٦]، أي: ولئن شئنا" لمحونا هذا القرآن الذي هو مِنَّةُ الرحمن من صدرك يا محمد، فإن ذلك في قدرتنا"[١٢٩٧].

عن شمر بن عطية، قال: "يسرى على القران في ليلة فيقوم المتهجدون في ساعاتهم فلا يقدرون على شيء فيفزعون إلى مصاحفهم فلا يقدرون عليها فيخرج بعضهم إلى بعض فيلتقون فيخبر بعضهم بعضا بما قد لقوا"[١٢٩٨].

القرآن

{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء : ٨٨]

التفسير:

(١٢٩٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٦١/١.
(١٢٩١) انظر: النكت والعيون:٢٧٠/٣.
(١٢٩٢) التفسير الميسر:٢٩٠.
(١٢٩٣) أخرجه الطبري:٥٤٥/١٧.
(١٢٩٤) انظر: تفسير الطبري:٥٤٥/١٧.
(١٢٩٥) انظر: تفسير الطبري:٥٤٥/١٧.
(١٢٩٦) تفسير الطبري:٥٤٥/١٧.
(١٢٩٧) صفوة التفاسير:١٥٩/٢.
(١٢٩٨) الدر المنثور: ٣٣٥/٥، وعزاه إلى أبي داود، وابن أبي حاتم.

قل: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز لا يستطيعون الإتيان به، ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان وعمر بن أضا[١٢٩٩]، وبحري وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مِشْكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإنا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما وَالله إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله تَجِدُونَهُ مَكْتُوبا عِنْدَكُمْ، وَلَو اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ما جاءُوا بِهِ»، فقال عند ذلك، وهم جميعا: فِنْحاص، وعبد الله بن صُوريا، وكِنانة بن أبي الحُقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وسموءَل بن زيد، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلّمك هذا إنس ولا جان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أما وَالله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله تَجِدُونَهُ مَكْتُوبا عِنْدكمْ في التَّوْرَاةِ والإنجِيل»، فقالوا: يا محمد، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابا تقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم وفيما قالوا :{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}"[١٣٠٠].

قال البغوي:" نزلت حين قال الكفار: {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} [الأنفال : ٣١]، فكذبهم الله تعالى"[١٣٠١].

قوله تعالى:{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} [الإسراء : ٨٨]، أي:" قل: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز، لا يستطيعون الإتيان به"[١٣٠٢].

قال ابن جريج:" يقول: لو برزت الجنّ وأعانهم الإنس، فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن"[١٣٠٣].

قوله تعالى:{وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]، أي:" ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك"[١٣٠٤].

عن ابن جريج:" {ظَهِيرًا}، قال: معينا"[١٣٠٥].

قال السدي: "لا يأتون بمثله لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله"[١٣٠٦].

قال عمرو بن دينار: «أدركت أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن دونهم منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج وإليه يعود»[١٣٠٧].

عن معاوية بن عمار قال: قيل لجعفر بن محمد: " القرآن خالق أو مخلوق؟ قال: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله»[١٣٠٨].

عن علي بن مضاء مولى خالد القسري، قال:: سمعت ابن المبارك بالمصيصة سأله رجال عن القرآن؟ فقال: «هو كلام الله، غير مخلوق»[١٣٠٩].

(١٢٩٩)قد بين ابن إسحاق في السيرة أسماء الأعداء من يهود، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أصان الذي جاء في الأصل، ولعله نعمان ابن أضا، من بني قينقاع (انظر السيرة طبعة الحلبي ٢: ١٦١. أفاده المحقق.

(١٣٠٠) أخرجه الطبري:١٧/٥٤٧.

(١٣٠١) تفسير البغوي:٥/١٢٧.

(١٣٠٢) التفسير الميسر:٢٩١.

(١٣٠٣) أخرجه الطبري:١٧/٥٤٧.

(١٣٠٤) التفسير الميسر:٢٩١.

(١٣٠٥) أخرجه الطبري:١٧/٥٤٧.

(١٣٠٦) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦/١٣٢.

(١٣٠٧)صحيح، أخرجه البيهقي في السنن (١٠/ ٢٠٥)، من طريق المصنف، به، وأخرجه الخلال في السنة (١٨٦٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ١٨٦) كلاهما من طريق ابن راهويه، به، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣٨١)، من طريق الحكم بن محمد الآملي، عن سفيان بن عيينة، به.

(١٣٠٨)حسن، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٩٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٣٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٤٣)، من طريق معبد بن راشد، به، وإسناده حسن، ومعبد بن راشد؛ قال الحافظ مقبول يعني حيث يتابع، وقد توبع، تابعه سويد بن سعيد كما عند البيهقي في الأسماء والصفات (٥٤٢)، ويحيى بن عبد الحميد الحماني كما عند اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٠٢).

قال علي بن المضاء: سمعت بقية بن الوليد يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق»[١٣١٠].
قال علي بن المضاء: سمعت عيسى بن يونس يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق»[١٣١١].
قال علي بن المضاء :«القرآن كلام غير مخلوق»[١٣١٢].
روي الدارمي عن محمد بن منصور، حدثنا علي بن المضاء، حدثنا هشام بن بهرام قال: سمعت المعافى بن عمران يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق» قال هشام: وأنا أقول كما قال المعافى، قال علي: وأنا أقول كما قال هشام، قال محمد بن منصور: وأنا كما قالوا، خمسين مرة»[١٣١٣].
قال أبو سعيد الدارمي: وأنا أقول كما قالوا سبعين مرة، قال القرشي [١٣١٤]: وأنا أقول كما قالوا.
قال الأزدي [١٣١٥]: وأنا أقول كما قالوا عدد أيام الدهر من أوله إلى آخره، وبه ألقى الله - عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.
قال أبو روح[١٣١٦]: وأنا أقول بعدد من يبصر ومن لا يبصر.
وقال شيخنا أبو عبد الله [١٣١٧]: وأنا أقول بعدد جميع الخلائق"[١٣١٨].
قال الدارمي: سمعت محمد بن منصور: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام- حدثان ما استخلف جعفر-[١٣١٩] فقلت له: إن ناسا يقولون: القرآن مخلوق، فقال بوجهه هكذا، كأنه أعرض، فقلت: أليس كلام الله غير مخلوق؟ قال: نعم، ثم قلت له مرة أخرى، فقال: نعم"[١٣٢٠].
عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «القرآن أحب إلى الله من السماوات والأرض وما فيهن»"[١٣٢١].
قال الدارمي:" فهذا ينبئك أنه نفس كلام الله، وأنه غير مخلوق؛ لأن الله - عز وجل - لم يخلق كلاما إلا على لسان مخلوق، فلو كان القرآن مخلوقا -كما يزعم هؤلاء المعطلون- كان إذا من كلام المخلوقين، وكل هذه الروايات والحكايات والشواهد والدلائل، قد جاءت وأكثر منها؛ في أنه غير مخلوق، ثم إحاطة علم العلماء وعقول العقلاء بأن كلام الخالق لا يكون مخلوقا أبدا، إذا كان في دعواهم قبل أن يخلق الكلام منقوصا مضطرا إلى الكلام، حتى خلقه، وكملت ربوبيته وتمت وحدانيته بمخلوق -في دعواهم-**!!!**"[١٣٢٢].

(١٣٠٩)إسناده صحيح إلى ابن المبارك، إن كان علي بن مضاء؛ هو علي بن محمد بن علي بن أبي المضاء المصيصي، وإلا فلم أقف له على ترجمة، والمذكور وثقه النسائي، ثم إني لم أجد من أخرج هذا القول بهذا الإسناد، وإلا فهو صحيح عن ابن المبارك من أوجه أخر، وينظر الأسماء والصفات للبيهقي (٥٤٩)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٤٢٦)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤).
(١٣١٠)إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سوى الدارمي في الرد على الجهمية: ١٧٢.
(١٣١١)إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سوى الدارمي في الرد على الجهمية: ١٧٢.
(١٣١٢)إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سوى الدارمي في الرد على الجهمية: ١٧٢.
(١٣١٣) الرد على الجهمية(١٨٤):ص١٧٣، إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سواه.
(١٣١٤)القرشي: هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم، راوي كتاب "الرد على الجهمية" عن أبي سعيد الدارمي.
(١٣١٥)الأزدي: هو أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل، الراوي عن القرشي.
(١٣١٦)أبو روح: هو ثابت بن أبي محمد الأزدي، والراوي عنه.
(١٣١٧)عبد الله: هو محمد بن عبد الله بن محمد المذكر الهروي، الراوي عن أبي روح.
(١٣١٨) الرد على الجهمية:١٧٣.
(١٣١٩)جعفر: هو ابن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، المتوكل على الله، الخليفة العباسي الذي أنهى الله على يديه محنة خلق القرآن، توفي سنة ٢٤٧ هـ..
(١٣٢٠) الرد على الجهمية(١٨٥):ص١٧٣-١٧٤، وروى هذه الحكاية عن الطوسي؛ عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٥١٣).
(١٣٢١)أخرجه الدارمي في سننه (٣٣٥٨)، عن عبد الله بن صالح المصري، به.
قلت: عبد الله بن صالح المصري كاتب الليث، ضعيف، وأيضا إبهام الراوي عن عبد الله بن عمرو، وقد أخرجه أبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (ص ٩) من طريق يحيى بن أيوب الغافقي، عن واهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو، به، إلا أن إسناده ضعيف جدا، فيه أبو الهيثم المدائني خالد بن القاسم، قال البخاري: «متروك تركه علي والناس».
(١٣٢٢) الرد على الجهمية:١٧٤.

القرآن
{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠)} [الإسراء : ٩٠]
التفسير:
ولما أعجز القرآن المشركين وغلبهم أخذوا يطلبون معجزات وَفْق أهوائهم فقالوا: لن نصدقك -أيها الرسول- ونعمل بما تقول حتى تفجر لنا من أرض «مكة» عينًا جارية.
سبب نزول الآيات:[٩٠-٩٣]:
أخرج الطبري بسنده محمد بن إسحاق، قال: "حدثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأميَّة بن خلف، والعاص بن وائل، ونُبَيها ومُنَبها ابني الحجاج السَّهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعْذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا، وهو يظنّ أنه بدا لهم في أمره بَدَاء، وكان عليهم حريصا، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عَنَتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعْذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعِبْت الدين، وسفَّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا،وإن كنت تريد به مُلكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجنّ: الرئي، فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطّب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بِي ما تَقُولُونَ، ما جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أطْلُبُ أمْوالَكُمْ، ولا الشَّرَفَ فِيكُمْ وَلا المُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ الله بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولا وَأنزلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأمَرَنِي أنْ أكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ الله حتى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا، ولا أقل مالا ولا أشدّ عيشا منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيِّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، وليفجِّر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كلاب، فإنه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول، حقّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك، وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحقّ رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بِهذَا بُعِثتُ، إنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ الله بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فقد بَلَّغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إليكم، فإنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ الله حتى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بِفاعِلٍ، ما أنا بالَّذِي يَسْألُ رَبَّهُ هذا، وَما بُعِثتُ إلَيْكُمْ بِهذا، وَلَكِنَّ الله بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فإنْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ الله حتى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلكَ إلى اللهِ إنْ شاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذلكَ، فقالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك، ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبدا، أعذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهنّ بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا، ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا

أومن لك أبدا، حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألا أصدّقك، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسيفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه..[فأنزل الله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}(١٣٢٣) ... الآيات]"(١٣٢٤)(١٣٢٥).

عن سعيد بن جبير- قال: " قلت له في قوله تعالى :{لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا}، قال: قلت له: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، قال: قد زعموا ذلك "(١٣٢٦).

قال قتادة:" أي: حتى تفْجُر لنا من الأرض عيونا: أي ببلدنا هذا"(١٣٢٧).

عن مجاهد :{يَنْبُوعًا}، قال: عيونا"(١٣٢٨).

(١٣٢٣)[الإسراء : ٩٠].

(١٣٢٤) زيادة في اسباب النزول للواحدي:٣٠١-٣٠٢.

(١٣٢٥) تفسير الطبري:٥٥٥/١٧-٥٥٨. وفيه بعد قوله "مباعدتهم حزينا: فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسنّ له غدا بحجر قدر ما أطيق حَمْله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به". وليس فيه« فأنزل الله تعالى: وقالوا».
وانظر هذا الحديث في سيرة ابن هشام (طبعة الحلبي ١: ٣١٥) وفيه اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي تفسير القرطبي (١٠: ٣٢٨-٣٣٠).

(١٣٢٦)أخرجه الطبري :٥٨٨/١٧، وعزاه في الدر (٤/ ٢٠٣) لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٣٢٧) أخرجه الطبري:٥٤٨/١٧-٥٤٩.

(١٣٢٨) أخرجه الطبري:٥٤٩/١٧.

القرآن

{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)} [الإسراء : ٩٢]

التفسير:

أو تسقط السماء علينا قطعًا كما زَعَمْتَ، أو تأتي لنا بالله وملائكته، فنشاهدهم مقابلة وعِيانًا.

قوله تعالى:{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا} [الإسراء : ٩٢]، أي:" أو تسقط السماء علينا قطعًا كما زَعَمْتَ"(١٣٢٩).

قال مجاهد: يعني: "السماء جميعا"(١٣٣٠).

قال ابن جريج: "قال عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله: {كما زعمت علينا كسفا}، قال: مرة واحدة، والتي في الروم: {ويجعله كسفا}، قال: قطعا. قال ابن جريج: كسفا لقول الله: {إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء}"(١٣٣١).

عن قتادة :"{أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا}، قال: أي: قطعا"(١٣٣٢).

قوله تعالى:{أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} [الإسراء : ٩٢]، أي:" أو تأتي لنا بالله وملائكته، فنشاهدهم مقابلة وعِيانًا"(١٣٣٣).

وفي قوله تعالى:{أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} [الإسراء : ٩٢]، وجوه:

أحدها : يعني: كل قبيلة على حدتها ، قاله الحسن(١٣٣٤)، ومجاهد(١٣٣٥).

الثاني : يعني: مقابلة، نعاينهم ونراهم، وهو من قول العرب: لقيت فلانا قبلا وقبلا، أي: معاينة، قاله قتادة(١٣٣٦)، وابن جريج(١٣٣٧)، ومنه قول الأعشى(١٣٣٨):

"نصالحكم حتى تبوؤا بمثلها ... كصرخة حبلى بشّرتها قبيلها

الثالث : ضامنا، يقال: قبلت به، أي: كفلت به، قاله الضحاك(١٣٣٩).

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى: المعاينة، من قولهم: قابلت فلانا مقابلة، وفلان قبيل فلان، بمعنى قبالته"(١٣٤٠).

(١٣٢٩) التفسير الميسر:٢٩١.

(١٣٣٠)تفسير مجاهد:٤٤٢، وتفسير الطبري:٥٥٠/١٧-٥٥١.

(١٣٣١) أخرجه الطبري: ٥٥١/١٧.

(١٣٣٢) أخرجه الطبري: ٥٥١/١٧، وعبدالرزاق في "التفسير"(١٦٢٤):ص٣١٥/٢

(١٣٣٣) التفسير الميسر:٢٩١.

(١٣٣٤) انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٣.

(١٣٣٥) انظر: تفسير مجاهد:٤٤٢، وتفسير الطبري:٥٥١/١٧.

(١٣٣٦) انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٧، وتفسير عبدالرزاق(١٦٢٥):ص٣١٥/٢، ووحكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٥/٦.

(١٣٣٧)انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٧.

(١٣٣٨)البيت فى ملحق ديوان الأعشى ص ٢٥٦ برواية شرح شواهد الكشاف ٢٤٧، وهو فى الطبري ١٥/ ١٠١ واللسان (قيل) وعجزه فى الإصلاح ١٦٠ وفتح الباري ٨/ ٢٩٧.

وهو من قصيدة عدتها ١٨ بيتا. والشاهد هو ال ١٧فيها. وقبله: فإني ورب الساجدينعشية ... وما صك ناقوس النصارى أبيلها

والقصيدة قالها في الحرب التي كانت بينه وبين الحرقتين، يعاتب بني مرثد وبني جحدر، وفي رواية الشاهد: "أصالحكم" بالهمزة بدل النون. يقول: لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة في المخاض. "وقبولها" في موضع: قبيلها. والأبيل الراهب. وتبوءا. ويسرتها: سهلت ولادتها وأعانتها فيها. والقبول: المرأة التي تستقبل الولد عند الولادة.

(١٣٣٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٥/٦.

(١٣٤٠) تفسير الطبري:٥٥٢/١٧.

القرآن

{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)} [الإسراء : ٩٣]

التفسير:

أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد في درج إلى السماء، ولن نصدِّقك في صعودك حتى تعود، ومعك كتاب من الله منشور نقرأ فيه أنك رسول الله حقا. قل -أيها الرسول- متعجبًا مِن تعنُّت هؤلاء الكفار: سبحان ربي!! هل أنا إلا عبد من عباده مبلِّغ رسالته؟ فكيف أقدر على فعل ما تطلبون؟

قوله تعالى:{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ} [الإسراء : ٩٣]، أي:" أو يكون لك بيت من ذهب"(١٣٤١).

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ} [الإسراء : ٩٣]، وجهان:

أحدهما : أن الزخرف النقوش ، وهذا قول الحسن(١٣٤٢).

الثاني : أنه الذهب ، وهذا قول مجاهد(١٣٤٣)، وقتادة(١٣٤٤).

قال مجاهد : "كنا لا ندري ما «الزخرف»، حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود: «أو يكون لك بيت من ذهب»"(١٣٤٥).

قوله تعالى:{وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ} [الإسراء : ٩٣]، أي:" ولن نصدِّقك في صعودك حتى تعود، ومعك كتاب من الله منشور نقرأ فيه أنك رسول الله حقا"(١٣٤٦).

عن مجاهد:قوله "{كتابا نقرؤه}، قال: من رب العالمين إلى فلان، عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها"(١٣٤٧).

وفي رواية عن مجاهد، قوله :"{كتابا نقرؤه}، قال: من رب العالمين إلى فلان، عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها"(١٣٤٨).

قال قتادة:" أي: كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك"(١٣٤٩).

قوله تعالى:{قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء : ٩٣]، أي:" قل -أيها الرسول- متعجبًا مِن تعنُّت هؤلاء الكفار: سبحان ربي!! هل أنا إلا عبد من عباده مبلِّغ رسالته؟ فكيف أقدر على فعل ما تطلبون؟"(١٣٥٠).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(١٣٥١).

القرآن

{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥)} [الإسراء : ٩٥]

التفسير:

قل -أيها الرسول- ردًّا على المشركين إنكارهم أن يكون الرسول من البشر: لو كان في الأرض ملائكة يمشون عليها مطمئنين، لأرسلنا إليهم رسولا من جنسهم، ولكنَّ أهل الأرض بشر، فالرسول إليهم ينبغي أن يكون من جنسهم؛ ليمكنهم مخاطبته وفَهْم كلامه.

سبب النزول:

(١٣٤١) التفسير الميسر:٢٩١.

(١٣٤٢) انظر: النكت والعيون:٢٧٣/٣.

(١٣٤٣) انظر: تفسير مجاهد:٤٤٢، وتفسير الطبري:٥٥٣/١٧.

(١٣٤٤) انظر: تفيير عبدالرزاق(١٦٢٨):ص٣١٧/٢، وتفسير الطبري:٥٥٣/١٧

(١٣٤٥) أخرجه الطبري:٥٥٣/١٧.

(١٣٤٦) التفسير الميسر:٢٩١.

(١٣٤٧) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٧.

(١٣٤٨) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٧.

(١٣٤٩) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٧.

(١٣٥٠) التفسير الميسر:٢٩١.

(١٣٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

قال مقاتل:" نزلت في المستهزئين والمطعمين ببدر، فأنزل- تبارك وتعالى-:{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ}.."[١٣٥٢].

قوله تعالى:{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ} [الإسراء : ٩٥]، أي:" قل -أيها الرسول- لو كان أهل الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الناس ساكنين في الأرض مستقرين فيها"[١٣٥٣].

عن الحسن: {مطمئنين}، قال: "قانطين"[١٣٥٤].

القرآن

{قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)} [الإسراء : ٩٦]

التفسير:

قل لهم: كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم على صِدْقي وحقيقة نبوَّتي. إنه سبحانه خبير بأحوال عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ٩٦] أي:" . إنه سبحانه خبير بأحوال عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها"[١٣٥٥].

قال قتادة :"خبير بخلقه»[١٣٥٦].

(١٣٥٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥١/٢.
(١٣٥٣) صفوة التفاسير:١٦٢/٢.
(١٣٥٤) التفسير الوسيط للواحدي:١٢٩/٣.
(١٣٥٥) التفسير الميسر:٢٩١.
(١٣٥٦) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

القرآن

{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)} [الإسراء : ٩٧]

التفسير:

ومن يهده الله فهو المهتدي إلى الحق، ومن يضلله فيخذله ويَكِلْه إلى نفسه فلا هادي له من دون الله، وهؤلاء الضُّلال يبعثهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون، مصيرهم إلى نار جهنم الملتهبة، كلما سكن لهيبها، وخمدت نارها، زدناهم نارًا ملتهبة متأججة.

قوله تعالى:{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء : ٩٧]، أي:" وهؤلاء الضُّلال يبعثهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون"[١٣٥٧].

عن قتادة، قوله :"{وبكما}، قال: الخرس :{وصما}، وهو جمع «أصم»"[١٣٥٨].

حكي الماوردي عن الحسن:" أن حواسهم على ما كانت عليه، ومعناه: عمي عما يسرّهم ، بكم عن التكلم بما ينفعهم ، صم عما يمتعهم [١٣٥٩].

قوله تعالى:{مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء : ٩٧]، أي:" مصيرهم إلى نار جهنم الملتهبة، كلما سكن لهيبها، وخمدت نارها، زدناهم نارًا ملتهبة متأججة"[١٣٦٠].

قال مجاهد: {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}، " يقول: كلما أطفئت أوقدت"[١٣٦١].

قال قتادة:" يقول: كلما احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها، ليذوقوا العذاب"[١٣٦٢].

وقال قتادة:" كلما لان منها شيء"[١٣٦٣].

عن الضحاك :"{كلما خبت}، قال: سكنت"[١٣٦٤].

(١٣٥٧) التفسير الميسر:٢٩٢.

(١٣٥٨) أخرجه الطبري:٥٥٩/١٧.

(١٣٥٩) انظر: النكت والعيون:٢٧٥/٣.

(١٣٦٠) التفسير الميسر:٢٩٢.

(١٣٦١) تفسير مجاهد:٤٤٢.

(١٣٦٢) أخرجه الطبري:٥٦١/١٧.

(١٣٦٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٦٣٠):ص٣١٧/٢.

(١٣٦٤) أخرجه الطبري:٥٦٢/١٧.

القرآن

{ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)} [الإسراء : ٩٨]

التفسير:

هذا الذي وُصِف من العذاب عقاب للمشركين؛ بسبب كفرهم بآيات الله وحججه، وتكذيبهم رسله الذين دَعَوْهم إلى عبادته، وقولهم استنكارًا - إذا أُمروا بالتصديق بالبعث -: أإذا متنا وصِرْنا عظامًا بالية وأجزاءً متفتتة نُبعث بعد ذلك خَلْقًا جديدًا؟

قوله تعالى:{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} [الإسراء : ٩٨]، أي:" وبسبب قولهم استنكارًا - إذا أُمروا بالتصديق بالبعث -: أإذا متنا وصِرْنا عظامًا بالية وأجزاءً متفتتة نُبعث بعد ذلك خَلْقًا جديدًا؟"[١٣٦٥].

قال مجاهد:" الرفات: التراب"[١٣٦٦].

(١٣٦٥) التفسير الميسر:٢٩٢.

(١٣٦٦) تفسير مجاهد: ٤٣٧.

القرآن

{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)} [الإسراء : ١٠٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تبيد إذًا لبخلتم بها، فلم تعطوا منها غيركم خوفًا مِن نفادها فتصبحوا فقراء. ومن شأن الإنسان أنه بخيل بما في يده إلا مَن عصم الله بالإيمان.

قوله تعالى:{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ} [الإسراء : ١٠٠]، أي: قل -أيها الرسول- "لهؤلاء المعاندين المكابرين، المقترحين للخوارق والمعجزات: لو كنتم تملكون خزائن رزق الله ونِعَمه التي أفاضها على العباد، إذاً لبخلتم به وامتنعتم عن الإنفاق خوفاً من نفادها"[١٣٦٧].

عن قتادة :"{خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ}، أي: خشية الفاقة"[١٣٦٨].

قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا} [الإسراء : ١٠٠]، أي:" وكان الإنسان شحيحاً مبالغاً في البخل"[١٣٦٩].

قال قتادة: "بخيلا ممسكا"[١٣٧٠].

(١٣٦٧) صفوة التفاسير:١٦٢/٢.
(١٣٦٨) أخرجه الطبري:٥٦٣/١٧.
(١٣٦٩) صفوة التفاسير:١٦٢/٢.
(١٣٧٠) أخرجه الطبري:٥٦٣/١٧.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١)} [الإسراء : ١٠١]

التفسير:

ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شاهدات على صِدْق نبوته وهي: العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل -أيها الرسول- اليهود سؤال تقرير حين جاء موسى أسلافهم بمعجزاته الواضحات، فقال فرعون لموسى: إني لأظنك -يا موسى- ساحرا، مخدوعًا مغلوبًا على عقلك بما تأتيه من غرائب الأفعال.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الإسراء : ١٠١]، أي:" ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شاهدات على صِدْق نبوته وهي: العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم"[١٣٧١].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الإسراء : ١٠١]، وجوه:

أحدها : التسع الآيات البينات: "إلقاء العصا مرتين عند فرعون، ونزع يده، والعقدة التي كانت بلسانه، وخمس آيات في الأعراف: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم". قاله الضحاك[١٣٧٢].

الثاني : أنها نحو من ذلك إلا آيتين منهن إحداهما الطمس، والأخرى الحجر، قاله محمد بن كعب القرظي[١٣٧٣].

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "سألني عمر بن عبد العزيز، عن قوله :{ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات}، فقلت له: هي الطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والبحر، وعصاه، والطمسة، والحجر، فقال: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمن هارون، فقال: قد أجيبت دعوتكما، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا. فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر"[١٣٧٤].

الثالث : أنها نحو من ذلك ، وزيادة السنين ونقص من الثمرات ، وهو قول مجاهد[١٣٧٥]، عكرمة[١٣٧٦] ومطر الوراق[١٣٧٧]، والشعبي[١٣٧٨]، وحكاه الماوردي عن الحسن[١٣٧٩].

وقال ابن جريج:" ويقولون: التاسعتان: السنين، وذهاب عجمة لسان موسى"[١٣٨٠].

عن الحسن، قوله :"{ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات}، قال: هذه آية واحدة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ويد موسى، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون"[١٣٨١].

قوله تعالى:{فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ} [الإسراء : ١٠١]، أي:" فاسأل -أيها الرسول- اليهود سؤال تقرير حين جاء موسى أسلافهم بمعجزاته الواضحات"[١٣٨٢].

قال الحسن:" سؤالك إياهم: نظرك في القرآن"[١٣٨٣].

القرآن

(١٣٧١) التفسير الميسر:٢٩٢.
(١٣٧٢) أخرجه الطبري:٥٦٤/١٧.
(١٣٧٣) انظر: تفسير الطبري:٥٦٤/١٧-٥٦٥.
(١٣٧٤) أخرجه الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٣٧٥) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٣٧٦) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٣٧٧) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٣٧٨) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٣٧٩) انظر: النكت والعيون:٢٧٧/٣.
(١٣٨٠) أخرجه الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٣٨١) أخرجه الطبري:٥٦٦/١٧.
(١٣٨٢) التفسير الميسر:٢٩٢.
(١٣٨٣) أخرجه الطبري:٥٦٨/١٧.

{قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢)} [الإسراء : ١٠٢]

التفسير:

فردَّ عليه موسى: لقد تيقَّنتَ -يا فرعون- أنه ما أنزل تلك المعجزات التسع الشاهدة على صدق نبوتي إلا رب السموات والأرض؛ لتكون دلالات يَستدِل بها أولو البصائر على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وإني لعلى يقين أنك -يا فرعون- هالك ملعون مغلوب.

قوله تعالى:{وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء : ١٠٢]، أي:" وإني لأعتقدك يا فرعون هالكاً خاسرا"[١٣٨٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء : ١٠٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : هالكا، وهو قول مجاهد[١٣٨٥]، وقتادة[١٣٨٦]، ومنه قول ابن الزّبعرى[١٣٨٧]:

إِذْ أُجارِي الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَيّ ... وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

الثاني: «محسورا»، أي: يدعو بالحسرة والثبور في النار. رواه يحيى بن سلام عن مجاهد[١٣٨٨].

الثالث : مبدّلا مغيرا، قاله عطية[١٣٨٩].

(١٣٨٤) صفوة التفاسير:١٦٤/٢.

(١٣٨٥) انظر: تفسير الطبري:٥٧١/١٧، وتفسير مجاهد:٤٤٢. وفيه«مهلكا».

(١٣٨٦) انظر: تفسير الطبري:٥٧١/١٧، وتفسير عبدالرزاق(١٦٣٤):ص٣١٨/٢، وفيه«مهلكا».

(١٣٨٧)البيت لعبد الله بن الزبعرى من مقطوعة أربعة أبيات، قالها حين جاء إلى النبي مسلما معتذرا عما فرط منه من هجائه، بتحريض قريش على ذلك (انظر سيرة ابن هشام طبعة مصطفى الحلبي وأولاده، بتحقيق مصطفى السقا والإبياري وشلبي، الطبعة الثانية القسم الثاني ص ٤١٩، وانظر: والروض الأنف ٢/ ٢٨٩ والسمط ٨٣٣ وتفسير الطبري: ٥٧٠/١٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٨، ١٣/ ١١ وشواهد المغني ١٨٨.

(١٣٨٨) تفسير يحيى بن سلام: ١٦٦/١.

(١٣٨٩) انظر: تفسير الطبري:٥٧١/١٧.

القرآن

{فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣)} [الإسراء : ١٠٣]

التفسير:

فأراد فرعون أن يزعج موسى ويخرجه مع بني إسرائيل مِن أرض «مصر» ، فأغرقناه ومَن معه مِن جندٍ في البحر عقابًا لهم.

قوله تعالى:{فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [الإسراء : ١٠٣]، أي:" فأراد فرعون أن يزعج موسى ويخرجه مع بني إسرائيل مِن أرض «مصر»"(١٣٩٠).

عن الحسن:" يقتلهم، يخرجهم منها بالقتل"(١٣٩١).

(١٣٩٠) التفسير الميسر:٢٩٢.

(١٣٩١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٦٦/١.

القرآن

{وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)} [الإسراء : ١٠٤]

التفسير:

وقلنا من بعد هلاك فرعون وجنده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض «الشام» ، فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم جميعًا مِن قبوركم إلى موقف الحساب.

قوله تعالى:{وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ} [الإسراء : ١٠٤]، أي:" وقلنا من بعد هلاك فرعون وجنده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض «الشام»"[١٣٩٢].

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء : ١٠٤]، أي:" فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم جميعًا مِن قبوركم إلى موقف الحساب"[١٣٩٣].

عن قتادة: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ}، قال:" نزول عيسى عليه السلام من السماء"[١٣٩٤].

وفي قوله تعالى:{جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء : ١٠٤]، وجهان:

أحدهما : مختلطين لا تتعارفون ، قاله رزين[١٣٩٥].

قال أبو رزين:" من كل قوم"[١٣٩٦].

الثاني : جئنا بكم جميعاً من جهات شتى، قاله ابن عباس[١٣٩٧]، ومجاهد[١٣٩٨]، وقتادة[١٣٩٩]، والضحاك[١٤٠٠]، مأخوذ من: لفيف الناس.

قال قتادة:" أي: جميعا، أولكم وآخركم"[١٤٠١].

(١٣٩٢) التفسير الميسر:٢٩٢.

(١٣٩٣) التفسير الميسر:٢٩٢.

(١٣٩٤) انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.

(١٣٩٥) انظر: تفسير الطبري:٥٧٢/١٧.

(١٣٩٦) أخرجه الطبري: ٥٧٢/١٧.

(١٣٩٧) انظر: تفسير الطبري:٥٧٢/١٧.

(١٣٩٨) انظر: تفسير مجاهد:٤٤٣، وتفسير الطبري:٥٧٢/١٧.

(١٣٩٩) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٦٣٥):ص٣١٩/٢، وتفسير الطبري:٥٧٣/١٧.

(١٤٠٠) انظر: تفسير الطبري:٥٧٣/١٧.

(١٤٠١) أخرجه الطبري:٥٧٣/١٧.

القرآن

{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)} [الإسراء : ١٠٦]

التفسير:

وأنزلنا إليك -أيها الرسول- قرآنًا بيَّناه وأحكمناه وفَصَّلناه فارقًا بين الهدى والضلال والحق والباطل؛ لتقرأه على الناس في تؤدة وتمهُّل، ونَزَّلناه مفرَّقًا، شيئًا بعد شيء، على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال.

قوله تعالى:{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ} [الإسراء : ١٠٦]، أي:" وأنزلنا إليك -أيها الرسول- قرآنًا بيَّناه وأحكمناه وفَصَّلناه فارقًا بين الهدى والضلال والحق والباطل"(١٤٠٢).

وفي قوله تعالى:{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ} [الإسراء : ١٠٦]، وجهان:

أحدهما : فرقنا فيه بين الحق والباطل ، قاله الحسن(١٤٠٣).

عن الحسن: "أنه قرأ: {وقرآنا فرقناه}، خففها: فرق الله بين الحق والباطل"(١٤٠٤).

الثاني : أي: نزل مفرّقاً آية آية. به قال قتادة(١٤٠٥).

قال قتادة:" لم ينزل جميعا، وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة"(١٤٠٦).

وهي معنى قراءة ابن عباس: «فرّقناه» بالتشديد(١٤٠٧) ،وهي كذلك في مصحف ابن مسعود وأُبيٍّ بن كعب : «فرقناه عليك»(١٤٠٨).

قوله تعالى:{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} [الإسراء : ١٠٦]، أي:" لتقرأه على الناس في تؤدة وتمهُّل"(١٤٠٩).

وفي قوله تعالى:{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} [الإسراء : ١٠٦]، وجهان:

أحدهما : يعني: على تثبت وترسّل ، وهو قول مجاهد(١٤١٠).

عن عبيد المكْتِب قال: "قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران، وآخر قرأ البقرة، وركوعهما وسجودهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، وقرأ {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}"(١٤١١).

الثاني: على ترتيل. قاله ابن جريج(١٤١٢).

قوله تعالى:{وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦]، أي:" ونَزَّلناه مفرَّقًا، شيئًا بعد شيء، على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال"(١٤١٣).

قال مجاهد:" بعضه على إثر بعض"(١٤١٤).

قال قتادة:" لم ينزل في ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك"(١٤١٥).

وروي عن قتادة، قال:" عشرا بمكة، وعشرا بالمدينة"(١٤١٦).

قال الحسن:" أنزل على نبيّ الله القرآن ثماني سنين، وعشرا بعد ما هاجر"(١٤١٧).

(١٤٠٢) التفسير الميسر:٢٩٣.
(١٤٠٣) انظر: تفسير الطبري:٥٧٤/١٧.
(١٤٠٤) انظر: تفسير الطبري:٥٧٤/١٧.
(١٤٠٥) أخرجه الطبري:٥٧٥/١٧.
(١٤٠٦) أخرجه الطبري:٥٧٥/١٧.
(١٤٠٧) انظر: تفسير الطبري:٥٧٤/١٧.
(١٤٠٨) انظر: الكشف والبيان:١٤٠/٦.
(١٤٠٩) التفسير الميسر:٢٩٣.
(١٤١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٧٥/١٧.
(١٤١١) أخرجه الطبري:٥٧٥/١٧.
(١٤١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٧٦/١٧.
(١٤١٣) التفسير الميسر:٢٩٣.
(١٤١٤) اخرجه عبدالرزاق(١٦٣٨):ص٣١٩/٢.
(١٤١٥) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٧.
(١٤١٦) أخرجه الطبري:٥٧٧/١٧.
(١٤١٧) أخرجه الطبري:٥٧٧/١٧.

عن أبي رجاء؛ قال: "تلا الحسن: {وَقُرآنا فَرَّقْناهُ لِتَقْرأهُ عَلى النَّاسِ على مُكْثٍ وَنزلْنَاهُ تَنزيلا}، قال: كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثماني عشرة سنة، قال: فسألته يوما على سخطة، فقلت: يا أبا سعيد "وقرآنا فرقناه" فثقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس فرّقناه، ولكن فَرقناه، فقرأ الحسن مخففة، قلت: من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد، قال: فمن يحدّثنيه، قال: أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين"(١٤١٨).

القرآن

{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)} [الإسراء : ١٠٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: آمِنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا؛ فإن إيمانكم لا يزيده كمالا وتكذيبكم لا يُلحِق به نقصًا. إن العلماء الذين أوتوا الكتب السابقة مِن قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، إذا قرئ عليهم القرآن يخشعون، فيسجدون على وجوههم تعظيما لله تعالى، وشكرا له.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ} [الإسراء : ١٠٧]، أي:" إن العلماء الذين أوتوا الكتب السابقة مِن قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي"(١٤١٩).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ} [الإسراء : ١٠٧]، وجهان:

أحدهما : أنهم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-. قاله الحسن(١٤٢٠).

الثاني : أنهم أناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد قالوا :{سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا}. قاله مجاهد(١٤٢١).

قوله تعالى:{إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧]، أي:" إذا قرئ عليهم القرآن يخشعون، فيسجدون على وجوههم تعظيما لله تعالى، وشكرا له"(١٤٢٢).

وفي قوله تعالى:{يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧]، قولان:

أحدهما : أنها -ها هنا-: الوجوه ، قاله ابن عباس(١٤٢٣)، وقتادة(١٤٢٤)، ومقاتل(١٤٢٥).

الثاني : أنها اللحى ، قاله الحسن(١٤٢٦).

القرآن

{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)} [الإسراء : ١٠٨ - ١٠٩]

التفسير:

ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم عند سماع القرآن: تنزيهًا لربنا وتبرئة له مما يصفه المشركون به، ما كان وعد الله تعالى من ثواب وعقاب إلا واقعًا حقًا، ويقع هؤلاء ساجدين على وجوههم، يبكون تأثرًا بمواعظ القرآن، ويزيدهم سماع القرآن ومواعظه خضوعًا لأمر الله وعظيم قدرته.

(١٤١٨) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٧.
(١٤١٩) التفسير الميسر:٢٩٣.
(١٤٢٠) انظر: النكت والعيون:٢٨٠/٣.
(١٤٢١) انظر: تفسير الطبري:٥٧٨/١٧.
(١٤٢٢) التفسير الميسر:٢٩٣.
(١٤٢٣) انظر: تفسير الطبري:٥٧٧/١٧.
(١٤٢٤) انظر: تفسير الطبري:٥٧٧/١٧.
(١٤٢٥) انظر تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٥/٢.
(١٤٢٦) انظر: تفسير الطبري:٥٧٨/١٧.

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء : ١٠٨]، أي:" ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم عند سماع القرآن: تنزيهًا لربنا وتبرئة له مما يصفه المشركون به، ما كان وعد الله تعالى من ثواب وعقاب إلا واقعًا حقًا "[١٤٢٧].

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[١٤٢٨].

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[١٤٢٩].

عن قتادة: "أنه كان يقول إذا قرأ السجدة: {سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا}: سبحان الله وبحمده ثلاثا"[١٤٣٠].

قوله تعالى: {وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الإسراء : ١٠٩]، أي:" ويقع هؤلاء ساجدين على وجوههم، يبكون تأثرًا بمواعظ القرآن، ويزيدهم سماع القرآن ومواعظه خضوعًا لأمر الله وعظيم قدرته"[١٤٣١].

التفسير:

عن عبد الأعلى التيميّ، "أن من أوتي من العلم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال :{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ} .... الآيتين"[١٤٣٢].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا"[١٤٣٣].

القرآن

{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠)} [الإسراء : ١١٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: يا أله يا رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، فبأي أسمائه دعوتموه فإنكم تدعون ربًا واحدًا؛ لأن أسماءه كلها حسنى. ولا تجهر بالقراءة في صلاتك، فيسمعك المشركون، ولا تُسِرَّ بها فلا يسمعك أصحابك، وكن وسطًا بين الجهر والهمس.

نزلت الآية على سببين:

أولا:- نزل أولها إلى قوله تعالى: {الْحُسْنَى}، على سبب، وفيه ثلاثة أقوال

أحدها : قال الكلبي :" أن ذكر الرحمن كان في القرآن قليلاً وهو في التوراة كثير ، فلما أسلم ناس من اليهود منهم ابن سلام وأصحابه ساءَهم قلة ذكر الرحمن في القرآن ، وأحبوا أن يكون كثيراً فنزلت"[١٤٣٤].[ضعيف]

وقال الضحاك: "قال أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لتقل ذكر الرحمن، وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم! فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١٤٣٥].

الثاني: قال ابن عباس:"كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو: يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}.... الآية"[١٤٣٦].[ضعيف]

(١٤٢٧) التفسير الميسر:٢٩٣.

(١٤٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(١٤٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(١٤٣٠) الدر المنثور: ٦٤٠/٣، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(١٤٣١) التفسير الميسر:٢٩٣.

(١٤٣٢) أخرجه الطبري:٥٧٩/١٧.

(١٤٣٣)أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله: ٥ / ٢٦٠-٢٦١، وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وأخرجه النسائي في الجهاد باب فضل من عمل في سبيل الله: ٦ / ١٢، وصححه الحاكم: ٤ / ٢٦٠، وابن حبان برقم (١٥٩٨) ص (٣٨٥) من موارد الظمآن. والإمام أحمد في المسند: ٢ / ٥٠٥، والبغوي التفسير:١٣٧/٥، وفي شرح السنة: ١٤ / ٣٦٤.

(١٤٣٤) النكت والعيون:٢٨٠/٣.

(١٤٣٥) اسباب النزول للواحدي:٣٠٣. ذكره بدون إسناد.

(١٤٣٦) اخرجه الطبري:٥٨٠/١٧. في اسناده الحسين وهو الحسين بن داود ولقبه سنيد وهو ضعيف (له ترجمة في التقريب

عن مكحول:" أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يتهجد بمكة ذات ليلة، يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم، فسمعه رجل من المشركين، فلما أصبح قال لأصحابه: انظروا ما قال ابن أبي كبشة، يدعو الليلة الرحمن الذي باليمامة، وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن: فنزلت: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}"[١٤٣٧].

الثالث: قال ميمون بن مهران: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في أول ما أوحي إليه: «باسمك اللهم» حتى نزلت هذه الآية: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» . فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١٤٣٨].[مرسل]

ثانيا:- ونزل قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}، على سبب، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عن ابن عباس، في قوله تعالى: "{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}، قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة: فكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به. فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ}،أي: بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} عن أصحابك فلا يسمعوا، {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}"[١٤٣٩].

قال سعيد بن جبير:" كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه، وإذا سمع ذلك المشركون سبُّوه، فنزلت هذه الآية"[١٤٤٠].

الثاني: وقالت عائشة رضي الله عنها: "نزلت هذه الآية في التشهد، كان الأعرابي يجهر فيقول: التحيات لله والصلوات والطيبات، يرفع بها صوته، فنزلت هذه الآية"[١٤٤١].

الثالث: وقال عبد الله بن شداد: "كان أعراب إذا سلم النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا: اللهم ارزقنا إبلا وولدا، قال: فنزلت هذه الآية: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}"[١٤٤٢].

وروي عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: "{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}، قالت: إنها أنزلت في الدعاء"[١٤٤٣].

قوله تعالى:{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء : ١١٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: يا ألله يا رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، بأي هذين الاسمين ناديتموه فهو حسن لأن أسماءه جميعها حسنى وهذان منها"[١٤٤٤].

عن مجاهد، قوله: "{أيا ما تدعوا}: بشيء من أسمائه"[١٤٤٥].

١/ ٣٣٥) وعلى ذلك فالإسناد ضعيف

(١٤٣٧) أخرجه الطبري: ٥٨٠/١٧.

(١٤٣٨) أسباب النزول للواحدي:٣٠٢-٣٠٣. [مرسل]

(١٤٣٩) أخرجه الواحدي في اسباب النزول:٣٠٣، واللفظ له، وأخرجه البخاري في التفسير (٤٧٢٢) وفي التوحيد (٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧) .

وأخرجه مسلم في الصلاة (١٤٥/ ٤٤٦) ص ٣٢٩.

والترمذي في التفسير (٣١٤٦) وقال: حسن صحيح.

والنسائي في التفسير (٣٢٠) .

والنسائي في المجتبى (٢/ ١٧٨) .

وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٣، ٢١٥) والطبراني في الكبير (١٢/ ٥٥) .

وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٢٣) والبيهقي في السنن (٢/ ١٨٤) .

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٢٠٦) لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه.

(١٤٤٠) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٧.

(١٤٤١) أسباب النزول للواحدي:٣٠٤. ذكره بدون إسناد.

(١٤٤٢) أخرجه الطبري:٥٨٣/١٧.

(١٤٤٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٠٤، واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة (١٤٦/ ٤٤٧) ص ٣٢٩.

والنسائي في التفسير (٣٢١) والبيهقي في السنن (٢/ ١٨٣) .

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٢٠٧) للبخاري وأبي داود في الناسخ والبزار وسعيد بن منصور وابن نصر وابن مردويه.

وأخرجه ابن جرير (١٥/ ١٢٢).

(١٤٤٤) التفسير الميسر:٢٩٣.

(١٤٤٥) أخرجه الطبري: ٥٨١/١٧.

قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء : ١١٠]، أي:" ولا تجهر يا محمد بقراءتك في الصلاة فيسمعك المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله ولا تُسرَّ بقراءتك بحيث لا تسمع من خلفك، واقصد طريقاً وسطاً بين الجهر والمخافتة "[١٤٤٦].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}} [الإسراء : ١١٠]، قولان:

أحدهما : أنه عنى بـ«الصلاة»: الدعاء ، ومعنى ذلك: ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به ، وهذا قول عبدالله بن شداد[١٤٤٧]،مكحول[١٤٤٨]، وأبي عياض[١٤٤٩]، وسعيد بن جبير-في احد قوليه-[١٤٥٠]، ومجاهد[١٤٥١]، وعطاء[١٤٥٢].

عن مجاهد، قوله: "{ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها}، نزلت في الدعاء والمسألة"[١٤٥٣].

قال عطاء:" نزلت في الدعاء"[١٤٥٤]. وروي عن سعيد بن جبير مثله[١٤٥٥].

قال مكحول:" ذلك في الدعاء"[١٤٥٦].

قال إبراهيم : "لينتهين أقوام يشخصون بأبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم"[١٤٥٧].

الثاني : أنه عنى بذلك الصلاة المشروعة، واختلف قائلو ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على أقوال:

أحدها : أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً ، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه ، فنهاه الله تعالى عن شدة الجهر ، وأن لا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه ، ويبتغي بين ذلك سبيلاً ، قاله سعيد بن جبير[١٤٥٨]، وقتادة[١٤٥٩]، والضحاك[١٤٦٠].

قال سعيد:" كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام، فقالت قريش: لا تجهر بالقراءة فتؤذي آلهتنا، فنهجو ربك، فأنزل الله :{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} .... الآية"[١٤٦١].

الثاني : أنه نهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة، قاله ابن سيرين[١٤٦٢].

الثالث : أنه نهي عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته، بمكة فتؤذيه قريش، فخافت بها واستسر، فأمره الله ألاّ يجهر بها كما كان ، ولا يخافت بها كما صار ، ويبتغي بين ذلك سبيلاً ، وهذا المعنى مروي عن عكرمة[١٤٦٣]، والحسن البصري[١٤٦٤].

عن عكرمة والحسن البصري قالا:" قال في بني إسرائيل {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته، فآذى ذلك المشركين بمكة، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه، فلذلك قال {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا} وقال

(١٤٤٦) صفوة التفاسير:١٦٥/٢.
(١٤٤٧) انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٧.
(١٤٤٨) انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٧.
(١٤٤٩) انظر: تفسير الطبري:٥٨٢/١٧.
(١٤٥٠) انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٧.
(١٤٥١) انظر: تفسير الطبري:٥٨٢/١٧.
(١٤٥٢) انظر: تفسير الطبري:٥٨٢/١٧.
(١٤٥٣) أخرجه الطبري: ٥٨٢/١٧.
(١٤٥٤) أخرجه الطبري: ٥٨٢/١٧.
(١٤٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٣/١٧.
(١٤٥٦) أخرجه الطبري: ٥٨٢/١٧.
(١٤٥٧) النكت والعيون:٢٨١/٣.
(١٤٥٨) انظر: تفسير الطبري:٥٨٥/١٧-٥٨٦.
(١٤٥٩) انظر: تفسير الطبري:٥٨٦/١٧.
(١٤٦٠) انظر: تفسير الطبري:٥٨٤/١٧.
(١٤٦١) أخرجه الطبري:٥٨٥/١٧.
(١٤٦٢) انظر: تفسير الطبري:٥٨٧/١٧.
(١٤٦٣) انظر: تفسير الطبري:٥٨٧/١٧، وحكاه الماوردي :٢٨١/٣ عن عكرمة.
(١٤٦٤) انظر: تفسير الطبري:٥٨٧/١٧، وحكاه الماوردي :٢٨١/٣ عن عكرمة.

في الأعراف {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}"[١٤٦٥].

الرابع : ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية، ولا تخافت بها: تسيئها في السريرة. وهذا القول مروي عن الحسن[١٤٦٦].

قال الحسن:" تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها"[١٤٦٧].

وقال الحسن : "لا تراء بها في العلانية، ولا تخفها في السريرة"[١٤٦٨].

والقول الأول أظهر. والله أعلم.

عن محمد بن سيرين، قال: "نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته، قال: فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ فقال: أناجي ربي، وقد علم حاجتي، قيل: أحسنت، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل: أحسنت، فلما نزلت {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا}، قيل لأبي بكر: ارفع شيئا، وقيل لعمر: اخفض شيئا"[١٤٦٩].

القرآن

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)} [الإسراء : ١١١]

التفسير:

وقل -أيها الرسول-: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزَّه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ مِن خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

سبب النزول:

روي عن القُرَظي، أنه كان يقول في هذه الآية :{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} .... الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا، وقالت العرب: لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلّ الله، فأنزل الله {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ} أنت يا محمد على ما يقولون {تَكْبِيرًا}"[١٤٧٠].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ} [الإسراء : ١١١]، أي:" ليس بذليل فيحتاج إلى الوليّ والنصير"[١٤٧١].

قال مجاهد:" لم يحالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد"[١٤٧٢]. وفي رواية:" لم يكن له حليف ولا ناصر من خلقه"[١٤٧٣].

قال السدي: "يعني: ولم يكن له صاحب يتعزز به من ذل"[١٤٧٤].

قوله تعالى:{وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء : ١١١]، أي:" وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له"[١٤٧٥].

عن القرظي:" {وكبره} أنت، يا محمد، عما يقولون، {تكبيرا}"[١٤٧٦].

(١٤٦٥) أخرجه الطبري:٥٨٧/١٧.

(١٤٦٦) انظر: الطبري:٥٨٧/١٧.

(١٤٦٧) أخرجه الطبري:٥٨٨/١٧.

(١٤٦٨) أخرجه الطبري:٥٨٧/١٧.

(١٤٦٩) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٧.

(١٤٧٠) أخرجه الطبري:٥٩٠/١٧.

(١٤٧١) صفوة التفاسير:١٦٥/٢.

(١٤٧٢) انظر: تفسير مجاهد:٤٤٤، وتفسير الطبري:٥٩٠/١٧.

(١٤٧٣) تفسير سفيان الثوري(٥٣٥: ٣٣ ٣٧):ص١٧٦.

(١٤٧٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٦٩/١.

(١٤٧٥) التفسير الميسر:١٦٥/٢.

(١٤٧٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٤٧):ص٧٦/٢.

عن قتادة :"أن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده"[١٤٧٧].

عن كعب، قال: "فتحت التوراة بـ: {الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون} [الأنعام: ١] ، وختمت بـ: {الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا} [الإسراء: ١١١]"[١٤٧٨].

قال قتادة: "ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يعلّم أهله هذه الآية :{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} الصغير من أهله والكبير"[١٤٧٩].

«آخر تفسير سورة (الإسراء)، والحمد لله وحده»

(١٤٧٧)أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١٠ / ٤٢٤، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان كما في المشكاة: ٢ / ٧١٤، والبغوي في التفسير:٥/١٣٩، و شرح السنة: ٥ / ٥٠. ورواه الخطابي في غريب الحديث والديلمي في الفردوس بسند رجاله ثقات وهو منقطع بين قتادة وابن عمرو. انظر: فيض القدير للمناوي: ٣ / ٤١٨.

(١٤٧٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١/١٧٠.

(١٤٧٩) أخرجه الطبري:١٧/٥٩٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « الكهف»

سورة «الكهف»: هي السورة «الثامنة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الغاشية»[١٤٨٠]، وعدد آياتها: (١١٠) مائة وعشرة عند الكوفيين، و(١٠٦) مائة وست عند الشاميين، و(١٠٥) مائة وخمس عند الحجازيين، و(١١١) مائة وإحدى عشرة عند البصريين. وكلماتها: (١٥٧٩) ألف وخمسمائة وتسع وسبعون، وحروفها: (٦٣٠٦) ستة آلاف وثلثمائة وست[١٤٨١].

والمختلف فيها إحدى عشرة آية: {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف : ١٣]، {إِلَّا قَلِيلٌ} [الكهف : ٢٢]، {ذَلِكَ غَدًا} [الكهف : ٢٣]، {زَرْعًا} [الكهف : ٣٢]، {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، {هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف : ٣٥]، {عِنْدَهَا قَوْمًا } [الكهف : ٨٦]، {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف : ٨٥]، «ذريته» فى موضع {الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} [الكهف : ١٠٣][١٤٨٢].

وفواصل آياتها على :«الألف»[١٤٨٣].

▪مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[١٤٨٤]، وابن الزبير[١٤٨٥]، والحسن[١٤٨٦]، ومجاهد[١٤٨٧]، وقتادة[١٤٨٨]، وبه قال يحيى بن سلام[١٤٨٩]، والماتريدي[١٤٩٠]، وأبو الليث السمرقندي[١٤٩١]، وابن أبي زمنين[١٤٩٢]، والثعلبي[١٤٩٣]، والواحدي[١٤٩٤]، وعبدالقاهر الجرجاني[١٤٩٥]، والبغوي[١٤٩٦]، والسيوطي[١٤٩٧]، وابن كثير[١٤٩٨].

قال ابن الجوزي:" وهذا إجماع المفسرين"[١٤٩٩].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[١٥٠٠].

قال المراغي:" هى مكية كلها فى المشهور واختاره جمع من العلماء"[١٥٠١].

الثاني: أنها مكية، إلا قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، فإنها مدنية. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٥٠٢]، وقتادة أيضا[١٥٠٣].

(١٤٨٠) انظر: الكشاف: ٧٠٢/٢.

(١٤٨١)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

(١٤٨٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

(١٤٨٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

(١٤٨٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٥٤/٥، وعزاه إلى النحاس في ناسخه وابن مردويه.
ورواه أبو صالح عن ابن عباس، كما في زاد المسير:٦٣/٣.

(١٤٨٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٥٤/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤٨٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

(١٤٨٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

(١٤٨٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

(١٤٨٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٧١/١.

(١٤٩٠) انظر: تأويلات أهل السنة:١٣٢/٧.

(١٤٩١) انظر: بحر العلوم:٣٣٤/٢.

(١٤٩٢) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٤٧/٣.

(١٤٩٣) انظر: الكشف والبيان:١٤٤/٦.

(١٤٩٤) انظر: التفسير الوسيط:١٣٥/٣.

(١٤٩٥) اظر: درج الدرر:١١٣٥/٣.

(١٤٩٦) انظر: تفسير البغوي:١٤١/٥.

(١٤٩٧) انظر: الدر المنثور:٣٥٤/٥.

(١٤٩٨) انظر: تفسير ابن كثير:١٣٢/٥.

(١٤٩٩) زاد المسير:٧/٣.

(١٥٠٠) البصائر:٢٩٧/١.

(١٥٠١) تفسير المراغي:١١٣/١٥.

الثالث: أنها مكية، إلا آيتين نزلتا في المدينة، وهما: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، وقوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا} [الكهف: ٢٨]. وهذا مروي عن الحسن[١٥٠٤].
الرابع: أنها مكية جميعها. إلا سبع آيات: من أول السورة إلى غاية الآية السابعة[١٥٠٥]. قاله مقاتل[١٥٠٦].
الخامس: أنها مكية إلا آية :(٣٨)، ومن آية (٨٣) إلى غاية آية (١٠١) فمدنية. قاله الزمخشري[١٥٠٧].

(١٥٠٢) حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر:١١٣٥/٣، وابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣، وذكره أبو السعود في تفسيره (٥/ ٢٠٢)، وأسباب نزولها تؤيد ذلك كما سيأتى.
(١٥٠٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.
(١٥٠٤) حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر:١١٣٥/٣، ولم نجده عن الحسن، وولكن أسباب النزول تؤيد ذلك كما سيأتى.
(١٥٠٥) وهي الآيات:« {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)} [الكهف : ١ - ٧]».
(١٥٠٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧١/٢.
(١٥٠٧) انظر: الكشاف:٧٠٢/٢.

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١)} [الكهف : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي تفضَّل فأنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم القرآن، ولم يجعل فيه شيئًا من الميل عن الحق.

قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف : ١]، :أي:" الثناء الكامل مع التعظيم والإجلال لله الذي أنزل على رسوله محمد القرآن نعمةً عليه وعلى سائر الخلق، ولم يجعل فيه شيئًا من الميل عن الحق"(١٥٠٨).

قال قتادة:" أنزل الكتاب، ولم يجعل له عوجا، قيما"(١٥٠٩).

قال مجاهد:" أنزله قيما لا عوج فيه ولا اختلاف"(١٥١٠).

القرآن

{قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)} [الكهف : ٢]

التفسير:

جعله الله كتابًا مستقيمًا، لا اختلاف فيه ولا تناقض؛ لينذر الكافرين من عذاب شديد من عنده، ويبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الأعمال الصالحات، بأن لهم ثوابًا جزيلا هو الجنة.

قوله تعالى:{قَيِّمًا} [الكهف : ٢]، أي:" جعله الله كتابًا مستقيمًا، لا اختلاف فيه ولا تناقض"(١٥١١).

قال الضحاك: "مستقيما"(١٥١٢).

قال ابن إسحاق:" أي: معتدلا لا اختلاف فيه"(١٥١٣).

عن قتادة، قوله: "{ولم يجعل له عوجا قيما}, «أنزل الكتاب، ولم يجعل له عوجا، قيما»(١٥١٤).

قال مجاهد:" هذا من التقديم والتأخير، أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا"(١٥١٥).

قوله تعالى:{لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ} [الكهف : ٢]، أي:" لينذر الكافرين من عذاب شديد من عنده"(١٥١٦).

عن محمد بن إسحاق: "{لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا}، عاجل عقوبة في الدنيا، وعذابا في الآخرة. {مِنْ لَدُنْه}: أي من عند ربك الذي بعثك رسولا"(١٥١٧).

عن السدي قوله: "{لينذر بأسا شديدا}، قال: عذابا شديدا"(١٥١٨).

عن قتادة، قوله: "{مِنْ لَدُنْهُ} : أي: من عنده"(١٥١٩).

قوله تعالى:{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} [الكهف : ٢]، أي:" ويبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الأعمال الصالحات"(١٥٢٠).

قال ابن إسحاق:" الذين صدقوك بما جئت به عن الله، وعملوا بما أمرتهم"(١٥٢١).

(١٥٠٨) التفسير الميسر:٢٩٣.

(١٥٠٩) تفسير عبدالرزاق(١٦٥٠):ص٣٤٢/٢.

(١٥١٠) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٧١/١.

(١٥١١) التفسير الميسر:٢٩٣.

(١٥١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٩١/١٧.

(١٥١٣) أخرجه الطبري:٥٩١/١٧.

(١٥١٤) تفسير عبدالرزاق(١٦٥٠):ص٣٢٤/٢.

(١٥١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٩٤):ص٢٣٤٤/٧.

(١٥١٦) التفسير الميسر:٢٩٣.

(١٥١٧) أخرجه الطبري:٥٩٣/١٧.

(١٥١٨) أخرجه الطبري(١٢٦٩٥):ص٢٣٤٤/٧

(١٥١٩) أخرجه الطبري:٥٩٣/١٧.

(١٥٢٠) التفسير الميسر:٢٩٣.

قوله تعالى:{أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} [الكهف : ٢]، أي:" بأن لهم ثوابًا جزيلا هو الجنة"[١٥٢٢].
قال السدي : "يعني: الجنة"[١٥٢٣].

القرآن
{مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)} [الكهف : ٣]
التفسير:
يقيمون في هذا النعيم لا يفارقونه أبدًا.
قال ابن إسحاق:" أي: في دار خلد لا يموتون فيها"[١٥٢٤].

القرآن
{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)} [الكهف : ٤]
التفسير:
وينذر به المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولدا.
قال السدي : " هم اليهود والنصارى"[١٥٢٥].

القرآن
{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)} [الكهف : ٥]
التفسير:
ليس عند هؤلاء المشركين شيء من العلم على ما يَدَّعونه لله من اتخاذ الولد، كما لم يكن عند أسلافهم الذين قلَّدوهم، عَظُمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولا كاذبًا.
قوله تعالى:{كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف : ٥]، أي:" عَظُمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولا كاذبًا "[١٥٢٦].
قال ابن إسحاق:" قولهم: إن الملائكة بنات الله"[١٥٢٧].

القرآن
{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)} [الكهف : ٦]
التفسير:
فلعلك -أيها الرسول- مُهْلِك نفسك غمًّا وحزنًا على أثر تولِّي قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدِّقوا بهذا القرآن ويعملوا به.
قوله تعالى:{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف : ٦]، أي:" فلعلك -أيها الرسول- مُهْلِك نفسك غمًّا وحزنًا على أثر تولِّي قومك وإعراضهم عنك"[١٥٢٨].
عن قتادة: "{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}، يقول: قاتل نفسك"[١٥٢٩].
قال الضحاك:" قاتل نفسك عليهم حرصا"[١٥٣٠].

(١٥٢١) أخرجه الطبري:٥٩٥/١٧.
(١٥٢٢) التفسير الميسر:٢٩٣.
(١٥٢٣) أخرجه الطبري(١٢٦٩٧):ص٢٣٤٤/٧
(١٥٢٤) أخرجه الطبري:٥٩٥/١٧.
(١٥٢٥) أخرجه الطبري(١٢٦٩٧):ص٢٣٤٤/٧
(١٥٢٦) التفسير الميسر:٢٩٤/١.
(١٥٢٧) أخرجه الطبري: ٥٩٦/١٧.
(١٥٢٨) التفسير الميسر:٢٩٤/١.
(١٥٢٩) أخرجه الطبري:٥٩٧/١٧.
(١٥٣٠) حكاه عنه السجستاني في غريب القرآن:١٢٤.

قوله تعالى:{إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف : ٦]، أي:" إن لم يصدِّقوا بهذا القرآن ويعملوا به"[١٥٣١].

قال ابن إسحاق:" يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم: أي: لا تفعل"[١٥٣٢].

قال ابن كثير:" يقول : لا تهلك نفسك أسفًا"[١٥٣٣].

وفي قوله تعالى:{إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: غضباً ، قاله قتادة[١٥٣٤].

الثاني : جزعاً ، قاله مجاهد[١٥٣٥].

الثالث : أنه غمّاً ، قاله السدي[١٥٣٦].

الرابع : حزناً ، قاله الحسن[١٥٣٧]، وقتادة ايضا[١٥٣٨].

و«الأسَف»: المبالغة في الحزن أو الغَضَبِ. يقَال: قد أسِفَ الرجل فهو أسيفٌ وآسِفٌ. قال الشاعر[١٥٣٩]:

أرَى رَجُلاً منهم أسِيفاً كأنَّمَا ... يَضمُّ إلى كَشْحَيْه كَفًّا مُخَضَّبا[١٥٤٠].

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقلت: إنه رجل أسيف .."[١٥٤١]. الحديث

الخامس: أي: ندما وتلهّفا، وأسى. قاله أبو عبيدة[١٥٤٢].

وهذه معاتبة من الله عزّ ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيما[١٥٤٣].

القرآن

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)} [الكهف : ٧]

التفسير:

إنَّا جعلنا ما على وجه الأرض من المخلوقات جَمالا لها، ومنفعة لأهلها؛ لنختبرهم: أيُّهم أحسن عملا بطاعتنا، وأيهم أسوأ عملا بالمعاصي، ونجزي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا} [الكهف : ٧]، أي:" إنَّا جعلنا ما على وجه الأرض من المخلوقات جَمالا لها، ومنفعة لأهلها"[١٥٤٤].

عن مجاهد :{مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا}، قال: ما عليها من شيء"[١٥٤٥].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إِنَّ الدُّنْيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفَكُمْ فِيها، فَناظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الدُّنْيا، واتَّقُوا النِّساء»"[١٥٤٦].

(١٥٣١) التفسير الميسر:٢٩٤/١.

(١٥٣٢)أخرجه الطبري:٥٩٨/١٧ .

(١٥٣٣) تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.

(١٥٣٤) انظر: تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.

(١٥٣٥) انظر: تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.

(١٥٣٦) انظر: النكت والعيون:٢٨٥/٣.

(١٥٣٧) انظر: النكت والعيون:٢٨٥/٣.

(١٥٣٨) انظر: تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.

(١٥٣٩) البيت للأعشى في ديوانه" ص ٨٠، و"مجالس ثعلب" ص ٣٨، و"تهذيب اللغة" ١/ ١٦١، و"مقاييس اللغة" ١/ ١٠٣، و"اللسان" ١/ ٧٩، و"الدر المصون" ٥/ ٤٦٦، وفي "الديوان" (رجلاً منكم) بدل (منهم).

(١٥٤٠) معاني القرآن:٢٦٩/٣.

(١٥٤١)أخرجه مسلم رقم (٤١٨) كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها رقم (٣٣٨٤).

(١٥٤٢) انظر: مجاز القرآن:٣٩٣/١.

(١٥٤٣) تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.

(١٥٤٤) التفسير الميسر:٢٩٤/١.

(١٥٤٥) أخرجه الطبري:٥٩٨/١٧.

(١٥٤٦) أخرجه الطبري:٥٩٩/١٧.

قوله تعالى:{لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف : ٧]، أي:" لنختبرهم: أيُّهم أحسن عملا بطاعتنا، وأيهم أسوأ عملا بالمعاصي، ونجزي كلا بما يستحق"(١٥٤٧).

وفي قوله تعالى:{لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف : ٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أيهم أحسن إعراضاً عنها وتركاً لها ، قاله ابن عطاء(١٥٤٨).

وري عن أبي أصم العسقلاني:" أترك لها"(١٥٤٩).

وقال الحسن:" أشدهم للدنيا تركا"(١٥٥٠).

الثاني : اختبارا لهم أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي. قاله ابن إسحاق(١٥٥١).

الثالث : أيهم أتم عقلا . قاله قتادة(١٥٥٢).

القرآن

{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)} [الكهف : ٨]

التفسير:

وإنَّا لجاعلون ما على الأرض من تلك الزينة عند انقضاء الدنيا ترابًا، لا نبات فيه.

قال ابن إسحاق:"يعني: الأرض، إن ما عليها لفان وبائد، وإن المرجع لإليّ، فلا تأس، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها"(١٥٥٣).

وفي تفسير«الصعيد»، قولان:

أحدهما : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات. قاله قتادة(١٥٥٤).

الثاني : أنه التراب ، قاله قتادة-أيضا-(١٥٥٥)، وأبان بن تغلب(١٥٥٦).

وفي تفسير «الجُرُز»، أقوال:

أحدها : بلقعاً ، قاله مجاهد(١٥٥٧).

الثاني : يعني بالـ«جرز»: الخراب. قاله سعيد بن جبير(١٥٥٨)، وحكاه يحيى بن سلام عن الحسن(١٥٥٩).

والحديث:« أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى منهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا ألا إن الغضب جمرة توقد فى جوف ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض ألا إن خير الرجال من كان بطىء الغضب سريع الرضا وشر الرجال من كان سريع الغضب بطىء الرضا فإذا كان الرجل بطىء الغضب بطىء الفىء وسريع الغضب سريع الفىء فإنها بها ألا إن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب وشر التجار من كان سيئ القضاء سيئ الطلب فإذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فإنها بها ألا إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ألا وأكبر الغدر غدر أمير عامة ألا لا يمنعن رجل مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ألا إن مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه».

أخرجه الطيالسى (ص ٢٨٦، رقم ٢١٥٦) ، وأحمد (١٩/٣، رقم ١١١٥٩) ، وعبد بن حميد (ص ٢٧٣، رقم ٨٦٤) والترمذى (٤٨٣/٤، رقم ٢١٩١) وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٣٥٢/٢، رقم ١١٠١) ، والحاكم (٥٥١/٤، رقم ٨٥٤٣) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٠٩/٦، رقم ٨٢٨٩) .

ومن غريب الحديث: "شتى": متفرقة. "أوداجه": مفردها: ودج، وهو عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة. "الفىء": الرجوع. "جائر": ظالم.

(١٥٤٧) التفسير الميسر:٢٩٤/١.

(١٥٤٨) انظر: النكت والعيون:٢٨٥.

(١٥٤٩) أخرجه الطبري:٥٩٩/١٧.

(١٥٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٠٦):ص٢٣٤٥/٧.

(١٥٥١) انظر: تفسير الطبري:٥٩٩/١٧.

(١٥٥٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٧٠٥):ص٢٣٤٥/٧.

(١٥٥٣) أخرجه الطبري:٦٠٠/١٧.

(١٥٥٤) انظر: تفسير الطبري:٦٠٠/١٧.

(١٥٥٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٠٨):ص٢٣٤٥/٧.

(١٥٥٦) انظر: النكت والعيون:٢٨٦.

(١٥٥٧) انظر: تفسير الطبري:٥٩٩/١٧.

الثالث: أنها اليابسة التي لا نبات بها ولا زرع. وهذا قول قتادة[١٥٦٠]،

القرآن
{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩)} [الكهف : ٩]
التفسير:
لا تظن -أيها الرسول- أن قصة أصحاب الكهف واللوح الذي كُتِبت فيه أسماؤهم من آياتنا عجيبة وغريبة؛ فإن خلق السموات والأرض وما فيهما أعجب من ذلك.
قال قتادة:" يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك"[١٥٦١].
وقال قتادة:" ليسوا بأعجب آياتنا، كانوا من أبناء الملوك"[١٥٦٢].
قال مجاهد:" كانوا يقولون هم عجب"[١٥٦٣].
قال ابن إسحاق:" أي: وما قدروا من قَدْر فيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك"[١٥٦٤].
وفي تفسير «الرقيم»، أقوال:
أحدها : أنه اسم القرية التي كانوا منها ، قاله كعب[١٥٦٥].
الثاني : أنه اسم جبل أصحاب الكهف، قاله الحسن[١٥٦٦].
روي عن شعيب الجَبئي[١٥٦٧] : "أن اسم جبل الكهف: بناجلوس. واسم الكهف: حيزم. والكلب: حُمران"[١٥٦٨].
الثالث : أنه اسم الوادي ، قاله قتادة[١٥٦٩]، والضحاك[١٥٧٠]، وعطية[١٥٧١].
قال الضحاك:" الكهف: فهو غار الوادي، والرقيم: اسم الوادي"[١٥٧٢].
الرابع : أنه اسم كلبهم . قاله سعيد بن جبير[١٥٧٣].
الخامس : أن الرقيم الكتاب الذي كتب فيه شأنهم ، قاله سعيد بن جبير[١٥٧٤]، ومجاهد[١٥٧٥].
قال سعيد بن جبير:" الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف"[١٥٧٦].
السادس : «الرقيم»: الدواة بالرومية ، قاله أبو صالح[١٥٧٧].

(١٥٥٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٠٩):ص٢٣٤٦/٧.
(١٥٥٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٧٢/١.
(١٥٦٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٠٨):ص٢٣٤٥/٧.
(١٥٦١) اخرجه الطبري:٦٠١/١٧.
(١٥٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧١٨):ص٢٣٤٧/٧.
(١٥٦٣) اخرجه الطبري:٦٠١/١٧.
(١٥٦٤) اخرجه الطبري:٦٠١/١٧.
(١٥٦٥) انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧، وتفسير سفيان الثوري(٥٣٦: ١: ٦):ص١٧٧
(١٥٦٦) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٣.
(١٥٦٧)شعيب الجبئي: هو شعيب بن الأسود الجبئي المحدث من أقران طاووس، أخذ العلم عنه محمد بن إسحاق وسلمة بن وهران. وهو منسوب إلى الجبأ، بالهمز والقصر، كما قال الهمداني في صفة جزيرة العرب في مواضع، وهو كورة المعافر، بالقرب من الجند (انظر معجم ما استعجم للبكري، طبعة القاهرة، في رسم الجبأ ص ٣٦٠).
(١٥٦٨) أخرجه الطبري:٦٠٣/١٧.
(١٥٦٩) انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧.
(١٥٧٠) انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧-٦٠٣.
(١٥٧١) انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧.
(١٥٧٢) أخرجه الطبري:٦٠٢/١٧-٦٠٣.
(١٥٧٣) انظر: النكت والعيون:٢٨٧/٣.
(١٥٧٤) انظر: تفسير الطبري:٦٠٣/١٧.
(١٥٧٥) انظر: النكت والعيون: ٢٨٧/٣.
(١٥٧٦) أخرجه الطبري:٦٠٣/١٧.
(١٥٧٧) انظر: النكت والعيون:٢٨٧/٣.

السابع : أن «الرقيم»: قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل حال أصحاب الكهف ، قاله سعيد بن جبير[١٥٧٨].

وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيا به: لوح، أو حجر، أو شيء كُتب فيه كتاب، وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلى الكهف. ثم قال بعضهم: رُفع ذلك اللوح في خزانة الملك، وقال بعضهم: بل جُعل على باب كهفهم، وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم، وإنما الرقيم: فعيل، أصله: مرقوم، ثم صُرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخطّ الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحيَّة: أرقم، لما فيه من الآثار، والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة: بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبة. والضفتان: جانبا الوادي، وأحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي، ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي[١٥٧٩].

القرآن

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)} [الكهف : ١٠]

التفسير:

اذكر -أيها الرسول- حين لجأ الشبَّان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية من فتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام، فقالوا: ربنا أعطنا مِن عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من الشر، ويسِّر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحب، فنكون راشدين غير ضالين.

قوله تعالى:{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ} [الكهف : ١٠]، أي:" اذكر -أيها الرسول- حين لجأ الشبَّان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية من فتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام"[١٥٨٠].

واختلف في سبب إيوائهم إلى «الكهف» على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن أصحاب الكهف كانوا "أبناء عظماء مدينتهم، وأهل شرفهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئا ما أظنُّ أن أحدا يجده، قالوا: ماذا تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي ربّ السماوات والأرض، وقالوا: نحن نجد، فقاموا جميعا، فقالوا: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقينوس، فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا رقدا. قاله مجاهد[١٥٨١]، وعبد الله بن عبيد بن عمير[١٥٨٢].

قال عبد الله بن عبيد بن عمير: "كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مُطوّقين مُسَوّرين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زيّ وموكب، وأخرجوا معهم آلهتم التي يعبدون، وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان فآمنوا، وأخفى كلّ واحد منهم الإيمان عن صاحبه، فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظلّ شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده، فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه، فجاء حتى جلس إليه، ثم خرج الآخرون، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فاجتمعوا، فقال بعضهم: ما جمعكم؟ وقال آخر: بل ما جمعكم؟ وكل يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج منكم فَتَيان، فيخْلُوَا، فيتواثقا أن لا يفشيَ واحد منهما على صاحبه، ثم يفشي كل واحد منهما لصاحبه أمره، فإنا نرجو أن نكون على أمر واحد، فخرج فتيان منهم فتواثقا، ثم تكلما، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشرَين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد، فإذا هم جميعا على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: ائتوا إلى الكهف {يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا} فدخلوا الكهف، ومعهم كلب صيدهم فناموا، فجعله الله عليهم رقدة واحدة، فناموا ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا، قال: وفقدهم قومُهم فطلبوهم وبعثوا البرد، فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم، فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان أبناء ملوكنا، فَقَدناهم في عيد كذا وكذا في شهر

(١٥٧٨) انظر: النكت والعيون:٢٨٧/٣.
(١٥٧٩) تفسير الطبري:٦٠٤/١٧.
(١٥٨٠) التفسير الميسر:٢٩٤/١.
(١٥٨١) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٧.
(١٥٨٢) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٧.

كذا وكذا في سنة كذا وكذا، في مملكة فلان ابن فلان، ورفعوا اللوح في الخزانة، فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين، وجاء قرن بعد قرن، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا"[١٥٨٣].

الثاني: أنه كان مصيرهم إلى الكهف هربا من طلب سلطان كان طلبهم بسبب دَعوى جناية ادّعى على صاحب لهم أنه جناها. وهذا قول وهب بن منبه[١٥٨٤].

قال وهب:" جاء حواريّ عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حَمَّاما، فكان فيه قريبا من تلك المدينة، فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام، ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عليه الرزق، فجعل يعرض عليه الإسلام، وجعل يسترسل إليه، وعلقه فتية من أهل المدينة، وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة، حتى آمنوا به وصدّقوه، وكانوا على مثل حاله في حُسْن الهيئة، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لي لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فعيره الحواريّ، فقال: أنت ابن الملك، وتدخل معك هذه النكداء، فاستحيا، فذهب فرجع مرّة أخرى، فقال له مثل ذلك، فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة، فماتا في الحمام جميعا، فأتي الملك، فقيل له: قتل صاحب الحمام ابنك، فالتُمس، فلم يقدر عليه هَربا، قال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية، فالتمسوا، فخرجوا من المدينة، فمروا بصاحب لهم في زرع له، وهو على مثل أمرهم، فذكروا أنهم التُمسوا، فانطلق معهم الكلب، حتى أواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه، فقالوا: نبيت ههنا الليلة، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل أرعب، فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف، ودعهم فيه يموتوا عطشا وجوعا، ففعل"[١٥٨٥].

الثالث : أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وَثَن، دعاهم إلى عبادة الأصنام، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف، قاله الحسن[١٥٨٦]، وعمرو[١٥٨٧]، وابن إسحاق[١٥٨٨].

أخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق:" مَرج أمر أهل الإنجيل وعظُمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم، متمسكون بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم، ملك من الروم يقال له: دَقْيَنوس، كان قد عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين عيسى ابن مريم، كان ينزل في قرى الروم، فلا يترك في قرية ينزلها أحدا ممن يدين بدين عيسى ابن مريم إلا قتله، حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، حتى نزل دقينوس مدينة الفِتية أصحاب الكهف، فلما نزلها دقينوس كبر ذلك على أهل الإيمان، فاستخْفَوا منه وهربوا في كلّ وجه. وكان دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان فيُجمعوا له، واتخذ شُرَطا من الكفَّار من أهلها، فجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها، فيستخرجونهم إلى دقينوس، فقدمهم إلى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة ويُقْطَع بالقتل فيَفتِتن. ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الإيمان بالله، جعلوا يُسْلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ثم يربط ما قطع من أجسادهم، فيعلَّق على سور المدينة من نواحيها كلها، وعلى كلّ باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان، فمنهم من كفر فتُرك، ومنهم من صُلب على دينه فقُتل، فلما رأى ذلك الفِتية أصحاب الكهف، حزنوا حزنا شديدا، حتى تغيرت ألوانهم، ونَحِلت أجسامهم، واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة، والتحميد، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، والبكاء، والتضرّع إلى الله، وكانوا فتية أحداثا أحرارا من أبناء أشراف الروم"[١٥٨٩].

(١٥٨٣) أخرجه الطبري:١٧/٦١١-٦١٢.
(١٥٨٤) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦١٢-٦١٣.
(١٥٨٥) أخرجه الطبري:١٧/٦١٢-٦١٣.
(١٥٨٦) انظر: النكت والعيون:٣/٢٨٧.
(١٥٨٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٠٥-٦٠٦.
(١٥٨٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٠٦-٦٠٧.
(١٥٨٩) أخرجه الطبري: ١٧/٦٠٦-٦٠٧.

قال عمرو:" كانت الفتية على دين عيسى على الإسلام، وكان ملكهم كافرا، وقد أخرج لهم صنما، فأبوا، وقالوا: {ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا} قال: فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله، فقال أحدهم: إنه كان لأبي كهف يأوي فيه غنمه، فانطلقوا بنا نكن فيه، فدخلوه، وفقدوا في ذلك الزمان فطلبوا، فقيل: دخلوا هذا الكهف، فقال قومهم: لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف، فبنوه عليهم ثم ردموه، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم، فقال بعضهم لبعض: {كم لبثتم} ؟ فـ {قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ... } حتى بلغ {فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة}، وكان ورق ذلك الزمان كبارا، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب، فلما ذهب ليخرج، رأى على باب الكهف شيئا أنكره، فأراد أن يرجع، ثم مضى حتى دخل المدينة، فأنكر ما رأى، ثم أخرج درهما، فنظروا إليه فأنكروه، وأنكروا الدرهم، وقالوا: من أين لك هذا، هذا من ورق غير هذا الزمان، واجتمعوا عليه يسألونه، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم ، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون، فنظروا في ذلك اللوح، وسأله الملك، فأخبره بأمره، ونظروا في الكتاب متى فقد، فاستبشروا به وبأصحابه، وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك، فانطلق وانطلقوا معه، ليريهم، فدخل قبل القوم، فضرب على آذانهم، فقال الذين غلبوا على أمرهم: {لنتخذن عليهم مسجدا}"[١٥٩٠].

قوله تعالى:{فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} [الكهف : ١٠]، أي:" ربنا أعطنا مِن عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من الشر، ويسِّر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحب، فنكون راشدين غير ضالين"[١٥٩١].

عن السدي:{آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً}، يعني: "رزقا"[١٥٩٢].

القرآن

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)} [الكهف : ١١]

التفسير:

فألقينا عليهم النوم العميق، فبقوا في الكهف سنين كثيرة.

قال عكرمة:" كان أصحاب الكهف أبناء ملوك، رزقهم الله الإسلام فتعوذوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على صماخاتهم فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلما، واختلفوا في الروح والجسد فقال قائل: يبعث الروح والجسد جميعا. وقال قائل: يبعث الروح وأما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئا، فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد، ثم دعا الله فقال: أي رب، قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم ليشتري لهم طعاما فدخل السوق، فلما نظر جعل ينكر الوجوه ويعرف الطرق، ورأى الإيمان ظاهرا بالمدينة. فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها. حسبت أنه قال كأنها أخفاف الربيع- يعني الإبل الصغار- فقال الفتى: أليس ملككم فلان؟ قال الرجل: بل ملكنا فلان. فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فنادى في الناس فجمعهم فقال: إنكم اختلفتم في الروح والجسد وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا الرجل من قوم فلان- يعني ملكهم الذي قبله- فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي. فركب الملك وركب معه الناس حتى انتهى إلى الكهف، فقال الفتى: دعوني أدخل إلى أصحابي. فلما أبصروه وأبصرهم ضرب على آذانهم، فلما استبطئوه دخل الملك ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا يبلى منها شيء غير أنها لا أرواح فيها. فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم، فغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بالكهف فإذا فيه عظام، فقال رجل: هذه عظام أهل الكهف. فقال ابن عباس: ذهبت عظامهم أكثر من ثلاثمائة سنة"[١٥٩٣].

القرآن

{ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)} [الكهف : ١٢]

(١٥٩٠) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٠٥-٦٠٦.

(١٥٩١) التفسير الميسر: ٢٩٤.

(١٥٩٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٧٣/١.

(١٥٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٢١):ص٧/٢٣٤٩-٢٣٥٠.

التفسير:
ثم أيقظناهم مِن نومهم؛ لنُظهر للناس ما علمناه في الأزل؛ فتتميَّز أي الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم أضبط في الإحصاء، وهل لبثوا يومًا أو بعض يوم، أو مدة طويلة؟

عن مجاهد: "{أي الحزبين}، من قوم الفتية"، "{أمدا}، قال: عددا"[١٥٩٤].

قال قتادة:" ما كان لواحد من الفريقين علم، لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم"[١٥٩٥].

القرآن

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)} [الكهف : ١٣]

التفسير:

نحن نقصُّ عليك -أيها الرسول- خبرهم بالصدق. إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتثلوا أمره، وزدْناهم هدى وثباتًا على الحق.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ} [الكهف : ١٣]، أي:" إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتثلوا أمره"[١٥٩٦].

قال مجاهد : "بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة"[١٥٩٧]، يعني : "الحَلَق، فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم"[١٥٩٨].

قوله تعالى:{وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف : ١٣]، أي:" وزدْناهم هدى وثباتًا على الحق"[١٥٩٩].

قال الربيع:" إخلاصا"[١٦٠٠].

القرآن

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤)} [الكهف : ١٤]

التفسير:

وقوَّينا قلوبهم بالإيمان، وشددنا عزيمتهم به، حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على تَرْكِ عبادة الأصنام فقالوا له: ربنا الذي نعبده هو رب السموات والأرض، لن نعبد غيره من الآلهة، لو قلنا غير هذا لكُنَّا قد قلنا قولا جائرًا بعيدًا عن الحق.

قوله تعالى:{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} [الكهف : ١٤]، أي:" وقوَّينا قلوبهم بالإيمان، وشددنا عزيمتهم به"[١٦٠١].

عن قتادة :"{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ}، يقول: بالإيمان"[١٦٠٢].

قوله تعالى:{إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} [الكهف : ١٤]، أي:" حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على تَرْكِ عبادة الأصنام فقالوا له: ربنا الذي نعبده هو رب السموات والأرض، لن نعبد غيره من الآلهة، لو قلنا غير هذا لكُنَّا قد قلنا قولا جائرًا بعيدًا عن الحق"[١٦٠٣].

وفي قوله تعالى:{شَطَطًا} [الكهف : ١٤]، وجهان:

(١٥٩٤) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦١٣-٦١٤.
(١٥٩٥) أخرجه الطبري:١٧/٦١٤.
(١٥٩٦) التفسير الميسر:١/٢٩٤.
(١٥٩٧) حكاه عنه ابن كثير في تفسيره:٥/١٤٠.
القرطة - بوزن عتبة - جمع: قرط؛ وهوحلية الأذن؛ والفتحة بالسكون وبفتحتين: الحاتم؛ وجمعها: فتح بفتحتين.
(١٥٩٨) تفسير ابن كثير:٥/١٤٠.
(١٥٩٩) التفسير الميسر:١/٢٩٤.
(١٦٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٢٥):ص٧/٢٣٥١.
(١٦٠١) التفسير الميسر:١/٢٩٤.
(١٦٠٢) أخرجه الطبري:١٧/٦١٥.
(١٦٠٣) التفسير الميسر:١/٢٩٤.

أحدهما : كذباً، قاله قتادة[١٦٠٤].
الثاني : جوراً، قاله الضحاك[١٦٠٥]، والسدي[١٦٠٦]، ومن ذلك قوله تعالى: {فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} [ص : ٢٢]، وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا} [الجن : ٤].

القرآن

{هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥)} [الكهف : ١٥]

التفسير:

ثم قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا اتخذوا لهم آلهة غير الله، فهلا أَتَوْا على عبادتهم لها بدليل واضح، فلا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب بنسبة الشريك إليه في عبادته.

قوله تعالى:{هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ} [الكهف : ١٥]، أي:" هؤلاء أهل بلدنا عبدوا الأصنام تقليداً من غير حجة، هلا يأتون على عبادتهم لها ببرهان ظاهر"[١٦٠٧].

عن قتادة، قوله :"{لولا يأتون عليهم بسلطان بين}، يقول: بعذر بين"[١٦٠٨].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[١٦٠٩].

القرآن

{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)} [الكهف : ١٦]

التفسير:

وحين فارقتم قومكم بدينكم، وتركتم ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله، فالجؤوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده، يَبْسطْ لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش.

قوله تعالى:{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} [الكهف : ١٦]، أي:" وإذْ اعتزلتم أيها الفتية قومكم وما يعبدون من الأوثان غير الله تعالى"[١٦١٠].

قال عطاء الخراساني:" كان قوم الفتية يعبدون الله ويعبدون معه آلهة شتى، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزل عبادة الله"[١٦١١].

قال قتادة:" هي في مصحف عبد الله: «ومَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله» هذا تفسيرها"[١٦١٢].

قوله تعالى:{فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ} [الكهف : ١٦]، أي:" فالجؤوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده "[١٦١٣].

قال مجاهد:" كان كهفهم بين جبلين"[١٦١٤].

قوله تعالى:{يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا} [الكهف : ١٦]، أي:" يَبْسطْ لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش"[١٦١٥].

(١٦٠٤) انظر: تفسير الطبري:٦١٦/١٧.
(١٦٠٥) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٨٨/٣.
(١٦٠٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٢٧):ص٢٣٥١/٧.
(١٦٠٧) صفوة التفاسير:١٧٠/٢.
(١٦٠٨) أخرجه الطبري: ٦١٧/١٧.
(١٦٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.
(١٦١٠) صفوة التفاسير:١٧٠/٢.
(١٦١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٢٩):ص٢٣٥١/٧.
(١٦١٢) أخرجه الطبري:٦١٧/١٧.
(١٦١٣) التفسير: الميسر:٢٩٥.
(١٦١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣١):ص٢٣٥١/٧.

عن السدي قوله: "{وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا}، يقول: غذاء"[١٦١٦].

القرآن

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)} [الكهف : ١٧]

التفسير:

فلما فعلوا ذلك ألقى الله عليهم النوم وحَفِظهم. وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار، وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء، ذلك الذي فعلناه بهؤلاء الفتية من دلائل قدرة الله. من يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق؛ لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله وحده.

قوله تعالى:{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف : ١٧]، أي:" وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار"[١٦١٧].

قال سعيد بن جبير ومجاهد:"تتركهم ذات الشمال"[١٦١٨].

قال قتادة:" تدعهم ذات الشمال"[١٦١٩].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف : ١٧]، وجوه:

قوله تعالى:{وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٧]، أي:" وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء"[١٦٢٠].

وفي قوله تعالى:{وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: في فضاء من الكهف ، قاله قتادة[١٦٢١].

الثاني : داخل منه ، قاله سعيد بن جبير[١٦٢٢].

وروي عن مجاهد :"{وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ}، قال: المكان الذاهب"[١٦٢٣].

وقال سعيد بن جبير:"يعني بالفجوة: الخلوة من الأرض. ويعني بالخلوة: الناحية من الأرض"[١٦٢٤].

القرآن

{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)} [الكهف : ١٨]

التفسير:

وتظن -أيها الناظر- أهل الكهف أيقاظًا، وهم في الواقع نيام، ونتعهدهم بالرعاية، فنُقَلِّبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض، وكلبهم الذي صاحَبهم مادٌّ ذراعيه بفناء الكهف، لو عاينتهم لأدبرت عنهم هاربًا، ولَمُلِئَتْ نفسك منهم فزعًا.

قوله تعالى:{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} [الكهف : ١٨]، أي:" وتظن -أيها الناظر- أهل الكهف أيقاظًا، وهم في الواقع نيام"[١٦٢٥].

(١٦١٥) التفسير: الميسر:٢٩٥.

(١٦١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣٢):ص٢٣٥١/٧.

(١٦١٧) التفسير: الميسر:٢٩٥.

(١٦١٨)انظر: قول سعيد بن جبير في تفسير الطبري:٦٢٢/١٧، وقول مجاهد في تفسير مجاهد:٤٤٦

(١٦١٩) اخرجه عبدالرزاق في تفسيره(١٦٦١):ص٣٢٨/٢.

(١٦٢٠) التفسير: الميسر:٢٩٥.

(١٦٢١)انظر: تفسير الطبري:٦٢٢/١٧.

(١٦٢٢)انظر: تفسير الطبري:٦٢٢/١٧.

(١٦٢٣)انظر: تفسير الطبري:٦٢٢/١٧.

(١٦٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣٤):ص٢٣٥٢/٧.

(١٦٢٥) التفسير: الميسر:٢٩٥.

عن قتادة :"{وتحسبهم} يا محمد {أيقاظا وهم رقود}"[١٦٢٦].

قوله تعالى:{وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف : ١٨]، أي:" ونُقَلِّبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض"[١٦٢٧].

عن مجاهد: "{ونقلبهم}، قال: في التسع سنين ليس فيما سواه"[١٦٢٨].

قال قتادة: ذاك في رقدتهم الأولى قبل أن يموتوا"[١٦٢٩].

وقال أبو عياض: "لهم في كل عام تقليبتان"[١٦٣٠].

قوله تعالى:{وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} [الكهف : ١٨]، أي:" وكلبهم الذي صاحَبهم مادٌّ ذراعيه بفناء الكهف"[١٦٣١].

قال عبد الله بن حميد المكي:" جعل رزقه في لحس ذراعيه"[١٦٣٢].

قال مجاهد:" اسم كلبهم قطمور"[١٦٣٣].

قال الحسن:" اسم كلب أصحاب الكهف، قطمير"[١٦٣٤].

قال ابن جريج:" قلت لرجل من اهل العلم: زعموا إن كلبهم كان أسدا، قال: لعمر الله ما كان أسدا، ولكنه كان كلبا أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له، قطمور"[١٦٣٥].

وفي «الوصيد»، قولان:

أحدها : أنه الفناء. قاله ابن عباس[١٦٣٦]، وسعيد بن جبير[١٦٣٧]، ومجاهد[١٦٣٨]، وقتادة[١٦٣٩]، والضحاك[١٦٤٠]، والضحاك[١٦٤٠]، وبه قال الفراء[١٦٤١].

قال ابن جريج:" يمسك باب الكهف"[١٦٤٢].

وقال عطية:" بفناء باب الكهف"[١٦٤٣].

الثاني : أن «الوصيد»: الصعيد التراب ، قاله سعيد بن جبير[١٦٤٤]، وعمرو[١٦٤٥].

والصواب أن الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يُوصَد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة وذُكِر عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إنها لغة أهل اليمن، وذلك نظير قولهم: ورّخت الكتاب وأرخته، ووكدت الأمر وأكدته، فمن قال الوصيد، قال: أوصدت الباب فأنا أُوصِده، وهو مُوصَد، ومن قال الأصيد، قال: آصدت الباب فهو مُؤْصَد، فكان معنى الكلام: وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب، يحفظ عليهم بابه[١٦٤٦].

(١٦٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣٥):ص٢٣٥٢/٧.

(١٦٢٧) التفسير: الميسر:٢٩٥.

(١٦٢٨) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٠):ص٢٣٥٢/٧.

(١٦٢٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٧٥/١.

(١٦٣٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٧٥/١.

(١٦٣١) التفسير: الميسر:٢٩٥.

(١٦٣٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٤٤):ص٢٣٥٣/٧.

(١٦٣٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤١):ص٢٣٥٢/٧.

(١٦٣٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٢):ص٢٣٥٢/٧.

(١٦٣٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٣):ص٢٣٥٢/٧.

(١٦٣٦) انظر: تفسير الطبري:٦٢٤/١٧.

(١٦٣٧) انظر: تفسير الطبري:٦٢٤/١٧.

(١٦٣٨) انظر: تفسير مجاهد:٤٤٦.

(١٦٣٩) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.

(١٦٤٠) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.

(١٦٤١) انظر: معاني القرآن:١٣٧/٢.

(١٦٤٢) أخرجه الطبري:٦٢٥/١٧.

(١٦٤٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٧٤٦):ص٢٣٥٣/٧.

(١٦٤٤) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.

(١٦٤٥) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.

(١٦٤٦) تفسير الطبري:٦٢٥/١٧-٦٢٦.

قوله تعالى:{لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} [الكهف : ١٨]، أي:" لو عاينتهم لأدبرت عنهم هاربًا، ولَمُلِئَتْ نفسك منهم فزعًا"(١٦٤٧).

قال شهر بن حوشب:" كان لي صاحب شديد النفس، فمر بجانب كهفهم، فقال: لا أنتهي حتى أنظر إليهم، فقيل له: لا تفعل ... أما تقرأ: {لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا}، فأبى إلا إن ينظر، فأشرف عليهم فابيضت عيناه وتغير شعره، وكان يخبر الناس بعد، يقول: عدتهم سبعة"(١٦٤٨).

القرآن

{وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)} [الكهف : ١٩]

التفسير:

وكما أنمناهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة أيقظناهم مِن نومهم على هيئتهم دون تغيُّر؛ لكي يسأل بعضهم بعضًا: كم من الوقت مكثنا نائمين هنا؟ فقال بعضهم: مكثنا يوما أو بعض يوم، وقال آخرون التبس عليهم الأمر: فَوِّضوا عِلْم ذلك لله، فربكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه، فأرسِلوا أحدكم بنقودكم الفضية هذه إلى مدينتنا فلينظر: أيَّ أهل المدينة أحلُّ وأطيب طعامًا؟ فليأتكم بقوت منه، وليتلطف في شرائه مع البائع حتى لا ننكشف، ويظهر أمرنا، ولا يُعْلِمَنَّ بكم أحدًا من الناس.

قوله تعالى:{فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٩]، أي:" فأرسلوا واحداً منكم إلى المدينة بهذه النقود الفضية، فلينظر: أيَّ أهل المدينة أحلُّ وأطيب طعامًا؟ فليأتكم بقوت منه"(١٦٤٩).

وفي قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} [الكهف : ١٩]، وجوه:

أحدها : أيها أكثر طعاماً ، وهذا قول عكرمة(١٦٥٠)، ومنه قول الشاعر(١٦٥١):

قَبائِلُنا سَبْعٌ وأنْتُمْ ثَلاثَة... وَلِلسَّبْعُ أزْكَى مِن ثَلاثٍ وأكثر

الثاني : أيها أحل طعاماً، وهذا قول سعيد بن جبير(١٦٥٢).

الثالث : خير طعاما. قاله قتادة(١٦٥٣).

وأولى الأقوال بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أحلّ وأطهر، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما، كان خليقا أن يكون الأفضل منه عنده أوجد، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل، فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا، وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر، لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر"(١٦٥٤).

قوله تعالى:{فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٩]، أي:" فليأتكم بقوت منه"(١٦٥٥).

عن عبد الله بن عبيد بن عمير :"{فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ}، قال: بطعام"(١٦٥٦).

قوله تعالى:{وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} [الكهف : ١٩]، أي:" وليتلطف في دخول المدينة وشراء الطعام حتى لا يشعر بأمرنا أحد "(١٦٥٧).

قال عبد الله بن عبيد بن عمير: "بعثهم الله - يعني الفتية أصحاب الكهف - وقد سلط عليهم ملك مسلم، يعني على أهل مدينتهم، وسلّط الله على الفتية الجوع، فقال قائل منهم: {كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}

(١٦٤٧) التفسير: الميسر:٢٩٥.

(١٦٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٤٨):ص٢٣٥٣/٧.

(١٦٤٩) التفسير الميسر:٢٩٥.

(١٦٥٠) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٧.

(١٦٥١)البيت للقتال الكلابي حسبما أنشده سيبويه ٢/ ١٨١ وهو فى الشنتمرى ٢/ ١٧٥ وفى فتح الباري ٦/ ٢٦٦.

(١٦٥٢) انظر: تفسير سفيان الثوري(٥٣٧: ٢: ١):ص١٧٧، وتفسير يحيى بن سلام:١٧٥/١.

(١٦٥٣) انظر: تفسير الطبري:٦٣٨/١٧.

(١٦٥٤) تفسير الطبري:٦٣٨/١٧.

(١٦٥٥) التفسير الميسر:٢٩٥.

(١٦٥٦) أخرجه الطبري:٦٣٩/١٧.

(١٦٥٧) صفوة التفاسير:١٧١/٢.

قال: فردّوا علم ذلك إلى الله، {قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ} وإذا معهم ورق من ضرب الملك الذي كانوا في زمانه {فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} : أي بطعام {وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}. فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى إلى المدينة، فاستقبله الناس لا يعرف منهم أحدا، فخرج ولا يعرفونه، حتى انتهى إلى صاحب الطعام، فسامه بطعامه، فقال صاحب الطعام: هات ورقك، فأخرج إليه الورق، فقال: من أين لك هذا الورق؟ قال: هذه ورقُنا وورق أهل بلادنا، فقال: هيهات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنين، أنت أصبت كنزا، ولست بتاركك حتى أرفعك إلى الملك، فرفعه إلى الملك، وإذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون، ففرح واستبشر، وأظهر لهم أمره، وأخبرهم خبر أصحابه، فبعثوا إلى اللوح في الخزانة، فأتوا به، فوافق ما وصف من أمرهم، فقال المشركون: نحن أحقّ بهم هؤلاء أبناء آبائنا، وقال المسلمون: نحن أحقّ بهم، هم مسلمون منا، فانطلقوا معه إلى الكهف، فلما أتوا باب الكهف قال: دعوني حتى أدخل على أصحابي حتى أبشرهم، فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله أرواحهم، قال: وعمى الله عليهم مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بُنيانا، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيه، وقال المسلمون: نحن أحق بهم، هم منا، نبني عليهم مسجدا نصلي فيه، ونعبد الله فيه"[١٦٥٨].

قال وهب بن منبه:" إنهم غبروا، يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بني عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه، وردّ إليهم أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاما، فلما أتى باب مدينتهم، رأى شيئا يُنكره، حتى دخل على رجل فقال: بعني بهذه الدراهم طعاما، فقال: ومن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، فآوانا الليل، ثم أصبحوا، فأرسلوني، فقال: هذه الدراهم كانت على عهد مُلك فلان، فأتَى لك بها، فرفعه إلى الملك، وكان ملكا صالحا، فقال: من أين لك هذه الورق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا، ثم أمروني أن أشتريَ لهم طعاما، قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف، قال: فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف، فقال: دعوني أدخل على أصحابي قبلكم، فلما رأوه، ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم، فجعلوا كلما دخل رجل أرعب، فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم، فبنوا عندهم كنيسة، اتخذوها مسجدا يصلون فيه"[١٦٥٩].

قال عكرمة:" كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتعوّذوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على سمعهم، فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلما، فاختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يبعث الروح والجسد جميعا، وقال قائل: يُبعث الروح، فأما الجسد فتأكله الأرض، فلا يكون شيئا، فشقّ على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المُسُوح، وجلس على الرَّماد، ثم دعا الله تعالى فقال: أي ربّ، قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما، فدخل السوق، فجعل يُنكر الوجوه، ويعرف الطرق، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما، فلما نظر الرجل إلى الوَرِق أنكرها، قال: حسبت أنه قال: كأنها أخفاف الرُّبَع، يعني الإبل الصغار، فقال له الفتى: أليس ملككم فلانا؟ قال: بل ملكنا فلان، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فسأله، فأخبره الفتى خبر أصحابه، فبعث الملك في الناس، فجمعهم، فقال: إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا رجل من قوم فلان، يعني ملكهم الذي مضى، فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي، فركب الملك، وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف، فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي، فلما أبصرهم ضُرب على أذنه وعلى آذانهم، فلما استبطئوه دخل الملك، ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم، قال قتادة: وعن ابن عباس، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة، فمرّوا بالكهف، فإذا فيه عظام، فقال رجل: هذه عظام أصحاب الكهف، فقال ابن عباس، لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة"[١٦٦٠].

أخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف، قال: "ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيذوسيس، فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة، فتحزّب الناس في مُلكه، فكانوا

(١٦٥٨) أخرجه الطبري:١٧/٦٣٦-٦٣٧.
(١٦٥٩) أخرجه الطبري:١٧/٦٢٧-٦٢٨.
(١٦٦٠) أخرجه الطبري:١٧/٦٢٨-٦٢٩.

أحزابا، فمنهم من يؤمن بالله، ويعلم أنّ الساعة حقّ، ومنهم من يكذّب، فكبر ذلك على الملك الصالح تيذوسيس، وبكى إلى الله وتضرّع إليه، وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تُبعث النفوس، ولا تُبعث الأجساد، ونسُوا ما في الكتاب، فجعل تيذوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيرا، وأنهم أئمة في الحق، فجعلوا يكذّبون بالساعة، حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحق وملةِ الحَواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح تيذوسيس، دخل بيته فأغلقه عليه، ولبس مِسْحا وجعل تحته رمادا، ثم جلس عليه، فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرّع إلى الله، ويبكي إليه مما يرى فيه الناس، ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يَظْهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح تيذوسيس، ويتمّ نعمته عليه، فلا ينزع منه مُلكه، ولا الإيمان الذي أعطاه، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا، وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين، فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، وكان الجبل بنجلوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل، وكان اسم ذلك الرجل أولياس، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف، فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين، فجعلا ينزعان تلك الحجارة، ويبنيان بها تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف، حتى فتحا عنهم باب الكهف، وحجبهم الله من الناس بالرعب، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف، ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف نائما، فلما نزعا الحجارة، وفتحا عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مُسْفِرة وجوههم طيِّبة أنفُسهم، فسلَّم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها، ثم قاموا إلى الصلاة فصلّوا، كالذي كانوا يفعلون، لا يَرون، ولا يُرَى في وجوههم، ولا أبشارهم، ولا ألوانهم شيء يُنكرونه كهيئتهم حين رقدوا بعشيّ أمس، وهم يرون أن ملكهم دقينوس الجبار في طلبهم والتماسهم فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون، قالوا ليمليخا، وكان هو صاحب نفقتهم، الذي كان يبتاع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة، وجاءهم بالخبر أن دقينوس يلتمسهم، ويسأل عنهم: أنبئنا يا أخي ما الذي قال الناس في شأننا عشيّ أمس عند هذا الجبار، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد خُيِّل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها، حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض: {كَمْ لَبِثْتُمْ} نياما؟ {قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} وكل ذلك في أنفسهم يسير. فقال لهم يمليخا: افتُقِدتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يُؤْتَى بكم اليوم، فتَذْبحُون للطواغيت، أو يقتُلكم، فما شاء الله بعد ذلك، فقال لهم مكسلمينا: يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقَوْن، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدوّ الله، ولا تُنكروا الحياة التي لا تبيد بعد إيمانكم بالله، والحياة من بعد الموت، ثم قالوا ليمليخا: انطلق إلى المدينة فتسمَّع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي نُذكر به عند دقينوس، وتلطَّف، ولا يشعرَنّ بنا أحد، وابتع لنا طعاما فأتنا به، فإنه قد آن لك، وزدنا على الطعام الذي قد جئتنا به، فإنه قد كان قليلا فقد أصبحنا جياعا، ففعل يمليخا كما كان يفعل، ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ وَرِقا من نفقتهم التي كانت معهم، التي ضُربت بطابع دقينوس الملك، فانطلق يمليخا خارجا، فلما مرّ بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف. فعجب منها، ثم مرّ فلم يبال بها، حتى أتى المدينة مستخفيا يصدّ عن الطريق تخوّفا أن يراه أحد من أهلها، فيعرفه، فيذهب به إلى دقينوس، ولا يشعر العبد الصالح أن دقينوس وأهل زمانه قد هَلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنين، أو ما شاء الله من ذلك، إذ كان ما بين أن ناموا إلى أن استيقظوا ثلاث مئة وتسع سنين، فلما رأى يمليخا باب المدينة رفع بصره، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، إذا كان ظاهرا فيها، فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفيا إليها، فنظر يمينا وشمالا فتعجب بينه وبين نفسه، ثم ترك ذلك الباب، فتحوّل إلى باب آخر من أبوابها، فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها، ورأى على كلّ باب مثل ذلك، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالمدينة التي كان يعرف، ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري، أما هذه عشية أمس، فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة لعلّي حالم، ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه، ثم دخل المدينة، فجعل يمشي بين ظهراني سوقها، فيسمع أناسا كثيرا يحلفون باسم عيسى ابن مريم، فزاده فرقا، ورأى أنه حيران، فقام مسندا ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا! أما عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قُتل، وأما الغداة فأسمعهم، وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف، ثم قال في نفسه: لعلّ هذه ليست بالمدينة

التي أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران لا يتوجه وجها، ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال: اسمها أفسوس، فقال في نفسه: لعلّ بي مسا، أو بي أمر أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرّ فأهلك، هذا الذي يحدّث به يمليخا أصحابه حين تبين لهم ما به، ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي، فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورق التي كانت معه، فأعطاها رجلا منهم، فقال: بعني بهذه الورق يا عبد الله طعاما، فأخذها الرجل، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل، ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا، وجعل يرتعد ويظنّ أنهم قد فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقينوس يسلمونه إليه، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: أفضلوا عليّ، فقد أخذتم ورقي فأمسكوا، وأما طعامكم فلا حاجة لي به، قالوا له: من أنت يا فتى، وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأوّلين، فأنت تريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه، نخف عليك ما وجدت، فإنك إن لا تفعل نأت بك السلطان، فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم، عجب في نفسه فقال: قد وقعت في كلّ شيء كنت أحذر منه، ثم قالوا: يا فتى إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت، ولا تظنّ في نفسك أنه سيخفى حالك، فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم، وما يرجع إليهم، وفَرق حتى ما يحير إليهم جوابا، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة ملببا، حتى سمع به من فيها، فقيل: أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قطّ، وما نعرفه، فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم، مع ما يسمع منهم، فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فرق، فسكت فلم يتكلم، ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدّق، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا، فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأته بعض أهله، أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، كان اسم أحدهما أريوس، واسم الآخر أسطيوس، فلما انطلق به إليهما، ظنّ يمليخا أنه ينطلق به إلى دقينوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه، فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه، كما يسخر من المجنون والحيران، فجعل يمليخا يبكي، ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله، ثم قال: اللهمّ إله السماوات والأرض، أولج معي روحا منك اليوم تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأني يُذهب بي إلى دقينوس الجبار، فلو أنهم يعلمون، فيأتون، فنقوم جميعا بين يدي دقينوس، فإنا كنا تواثقنا لنكوننّ معا، لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئا، ولا نعبد الطواغيت من دون الله، فرق بيني وبينهم، فلن يروني ولن أراهم أبدا، وقد كنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبدا، يا ليت شعري ما هو فاعل بي؟ أقاتلي هو أم لا؟ ذلك الذي يحدّث به يمليخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم.

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس، فلما رأى يمليخا أنه لم يُذهب به إلى دقينوس، أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى، هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا، فقال لهما يمليخا: ما وجدت كنزا ولكن هذه الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، وما أدري ما أقول لكم، فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال له يمليخا: ما أدري، فكنت أرى أني من أهل هذه القرية، قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحقّ، فلم يدر يمليخا ما يقول لهم، غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال له بعض من حوله: هذا رجل مجنون، فقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم، فقال له أحدهما، ونظر إليه نظرا شديدا: أتظنّ أنك إذ تتجانن نرسلك ونصدّقك بأن هذا مال أبيك، وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة؟ وإنما أنت غلام شاب تظنّ أنك تأفكنا، ونحن شمط كما ترى، وحولك سُراة أهل المدينة، وولاة أمرها، إني لأظنني سآمر بك فتعذّب عذابا شديدا، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت، فلما قال ذلك، قال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم عما عندي، أرأيتم دقينوس الملك الذي كان في هذه

المدينة عشية أمس ما فعل، فقال له الرجل: ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقينوس، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال له يمليخا: فوالله إني إذا لحيران، وما هو بمصدّق أحد من الناس بما أقول، والله لقد علمت، لقد فررنا من الجبار دقينوس، وإني قد رأيته عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس، ولكن لا أدري أمدينة أفسوس هذه أم لا؟ فانطلقا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا قال: يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه، كما قال: فانطلق معه أريوس وأسطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يمليخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به، ظنوا أنه قد أُخِذ فذُهب به إلى ملكهم دَقْيانوس الذي هربوا منه، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رُسل الجبار دقينوس بعث إليهم ليُؤْتي بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة، وسلَّم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم بعضا، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا يمليخا، فإنه الآن بين يدي الجبار دقينوس ينتظر متى نأته، فبينما هم يقولون ذلك، وهم جلوس بين ظهراني الكهف، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف، وسبقهم يمليخا، فدخل عليهم وهو يبكي، فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره وقصّ عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقا للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على إثر يمليخا أريوس، فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف، ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوبا فيهما كتاب، فقرأهما فوجد فيهما[١٦٦١] أن مكسلمينا، ومحسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وكسطونس، وييورس، ويكرونس، ويطبيونس، وقالوش، كانوا فتية هربوا من ملكهم دقينوس الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة، وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرءوه، عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجودهم جلوسا بين ظهرانيه، مُشرقة وجوههم، لم تبل ثيابهم، فخرّ أريوس وأصحابه سجودا، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضا، وأنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقينوس ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيذوسيس، أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله، جعلها الله على ملكك، وجعلها آية للعالمين، لتكون لهم نورا وضياء، وتصديقا بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة، فلما أتى الملك تيذوسيس الخبر، قام من المَسْندة التي كان عليها، ورجع إليه رأيه وعقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله عزّ وجلّ، فقال: أحمدك اللهمّ ربّ السماوات والأرض، أعبدك، وأحمدك، وأسبح لك، تطوّلت عليّ، ورحمتني برحمتك، فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي، وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه، وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهل المدينة، وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه، فلما رأى الفتية تيذوسيس، فرحوا به، وخرّوا سجودا على وجوههم، وقام تيذوسيس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ويقول: والله ما أشبه بكم إلا الحواريون حين رأوا المسيح، وقال: فرج الله عنكم، كأنكم الذي تُدْعَون فتحْشَرون من القبور، فقال الفتية لتيذوسيس: إنا نودّعك السلام، والسلام عليكم ورحمة الله، حفظك الله، وحفظ لك ملكك بالسلام، ونعيذك بالله من شرّ الجنّ والإنس، فأمر بعيش من خُلَّر ونشيل إن أسوأ ما سلك في بطن الإنسان أن لا يعلم شيئا إلا كرامة إن أكرم بها، ولا هوان إن أهين به[١٦٦٢]. فبينما الملك قائم، إذ رجعوا إلى مضاجعهم، فناموا، وتوفى الله أنفسهم بأمره، وقام الملك إليهم، فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعل لكلّ رجل منهم تابوت من ذهب، فلما أمْسَوا ونام، أتوه في المنام، فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكنا خُلقنا من تراب وإلى التراب نصير، فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج، فجعلوهم فيه، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على

(١٦٦١)في عدد هذه الأسماء، وضبطها، اختلاف كثير بين ناقليها.

(١٦٦٢)العبارة من أول قوله: فأمر بعيش من خلر ونشيل ... إلى هنا: ساقطة من هذا الخبر في عرائس المجالس للثعلبي المفسر ص ٤٢٧: والخلر: حب يقتات به، قيل هو الجلبان، والنشيل: اللبن ساعة يحلب، والعبارة فيما يظهر من بقية كلام أصحاب الكهف.

أن يدخل عليهم، وأمر الملك فجعل كهفهم مسجدا يُصلَّى فيه، وجعل لهم عيدا عظيما، وأمر أن يؤتى كلّ سنة، فهذا حديث أصحاب الكهف"[١٦٦٣].

القرآن

{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)} [الكهف : ٢٠]

التفسير:

إن قومكم إن يطَّلعوا عليكم يرجموكم بالحجارة، فيقتلوكم، أو يردوكم إلى دينهم، فتصيروا كفارًا، ولن تفوزوا بمطلبكم مِن دخول الجنة -إن فعلتم ذلك- أبدًا.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ} [الكهف : ٢٠]، أي:" إن قومكم إن يطَّلعوا عليكم يرجموكم بالحجارة، فيقتلوكم"[١٦٦٤].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ} [الكهف : ٢٠]، وجهان:

أحدهما : يرجموكم بأيديهم استنكاراً لكم ، قاله الحسن[١٦٦٥].

الثاني : يشتموكم بالقول، يؤذوكم، قاله ابن جريج[١٦٦٦].

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١)} [الكهف : ٢١]

التفسير:

وكما أنمناهم سنين كثيرة، وأيقظناهم بعدها، أطْلعنا عليهم أهل ذلك الزمان، بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم؛ ليعلم الناس أنَّ وَعْدَ الله بالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، إذ يتنازع المطَّلِعون على أصحاب الكهف في أمر القيامة: فمِن مُثْبِتٍ لها ومِن مُنْكِر، فجعل الله إطْلاعهم على أصحاب الكهف حجة للمؤمنين على الكافرين. وبعد أن انكشف أمرهم، وماتوا قال فريق من المطَّلِعين عليهم: ابنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم، واتركوهم وشأنهم، ربهم أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم: لنتخذنَّ على مكانهم مسجدًا للعبادة.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الكهف : ٢١]، أي:" وكما بعثناهم من نومهم كذلك أطلعنا الناس عليهم ليستدلوا بذلك على صحة البعث ويوقنوا أن القيامة لا شك فيها"[١٦٦٧].

قال قتادة:" يقول: أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث، أن وعد الله حقّ، وأن الساعة لا ريب فيها"[١٦٦٨].

قال السدي:" دعا الملك شيوخا من قومه فسألهم عن أمرهم فقالوا: كان ملك يدعى دقيوس، وأن فتية فقدوا في زمانه، وأنه كتب أسماءهم في الصخرة التي كانت على باب بالمدينة. فدعا بالصخرة فقرأها فإذا فيها أسماؤهم، ففرح الملك فرحا شديدا وقال: هؤلاء قوم كانوا قد ماتوا فبعثوا، ففشا فيهم إن الله يبعث الموتى فذلك قوله: {وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها}"[١٦٦٩].

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف : ٢١]، أي:" قال الفريق الآخر وهم الأكثرية الغالبة: لنتخذنَّ على باب الكهف مسجداً نصلي فيه ونعبد الله فيه"[١٦٧٠].

روي عن السدي:" قوله: {قال الذين غلبوا على أمرهم} قال: هم الأمراء، أو قال: السلاطين"[١٦٧١].

(١٦٦٣) تفسير الطبري:١٧/٦٢٩-٦٣٥.

(١٦٦٤) التفسير الميسر: ٢٩٥.

(١٦٦٥) انظر: النكت والعيون:٣/٢٩٥.

(١٦٦٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٣٩.

(١٦٦٧) صفوة التفاسير:٢/١٧١.

(١٦٦٨) أخرجه الطبري:١٧/٦٤٠.

(١٦٦٩) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٥١):ص٧/٢٣٥٣-٢٣٥٤.

(١٦٧٠) صفوة التفاسير:٢/١٧١.

قال السدي:" فقال الملك: لأتخذن عند هؤلاء القوم الصالحين مسجدا، فلأعبدن الله فيه حتى أموت. فذلك قوله: {قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا}"[١٦٧٢].

قال عبدالله بن عبيد بن عمير :" فقال المشركون: نبني عليهم بنيانا، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيه، وقال المسلمون: نحن أحق بهم، هم منا، نبني عليهم مسجدا نصلي فيه، ونعبد الله فيه"[١٦٧٣].

القرآن

{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)}

[الكهف : ٢٢]

التفسير:

سيقول بعض الخائضين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ، رابعهم كلبهم، ويقول فريق آخر: هم خمسة، سادسهم كلبهم، وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل، وتقول جماعة ثالثة: هم سبعة، وثامنهم كلبهم، قل -أيها الرسول-: ربي هو الأعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه. فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالا ظاهرًا لا عمق فيه، بأن تَقُصَّ عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب، ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم؛ فإنهم لا يعلمون ذلك.

قوله تعالى:{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف : ٢٢]، أي:" سيقول بعض الخائضين في شأنهم من أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ، رابعهم كلبهم"[١٦٧٤].

عن السدي قوله: "{سيقولون ثلاثة}، قال: اليهود"[١٦٧٥].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف : ٢٢]، أي:" ويقول فريق آخر: هم خمسة، سادسهم كلبهم"[١٦٧٦].

عن السدي قوله: "{ويقولون خمسة}، قال: النصارى"[١٦٧٧].

قوله تعالى:{رَجْمًا بِالْغَيْبِ} [الكهف : ٢٢]، أي:" وكلام الفريقين قول بالظن من غير دليل"[١٦٧٨].

عن قتادة:"{رَجْمًا بِالْغَيْبِ} : أي: قذفا بالظنّ"[١٦٧٩].

قال السدي:" رميا بقول الظن"[١٦٨٠].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف : ٢٢]، أي:" وتقول جماعة ثالثة: هم سبعة، وثامنهم كلبهم"[١٦٨١].

قال ابن جريج ومحمد بن إسحاق : "كانوا ثمانية"[١٦٨٢]. وجعلا قوله تعالى : {وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} [الكهف : ٢٢]، أي: صاحب كلبهم.

قوله تعالى:{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} [الكهف : ٢٢]، أي:" قل -أيها الرسول-: ربي هو الأعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقه"[١٦٨٣].

قال قتادة:" يقول: قليل من الناس"[١٦٨٤].

(١٦٧١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٥١):ص٧/٢٣٥٣-٢٣٥٤.
(١٦٧٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٥١):ص٧/٢٣٥٣-٢٣٥٤.
(١٦٧٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٠.
(١٦٧٤) التفسير الميسر:٢٩٦.
(١٦٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٥٢):ص٧/٢٣٥٤.
(١٦٧٦) التفسير الميسر:٢٩٦.
(١٦٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٥٢):ص٧/٢٣٥٤.
(١٦٧٨) التفسير الميسر:٢٩٦.
(١٦٧٩) اخرجه الطبري:١٧/٦٤١.
(١٦٨٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١/١٧٨.
(١٦٨١) التفسير الميسر:٢٩٦.
(١٦٨٢) انظر: النكت والعيون:٣/٢٩٧.
(١٦٨٣) التفسير الميسر:٢٩٦.

قال قتادة:" كان ابن عباس , يقول: «أنا من القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم»"[١٦٨٥].

قوله تعالى:{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} [الكهف : ٢٢]، أي:" فلا تجادل أهل الكتاب في عددهم إلا جدالا ظاهرًا لا عمق فيه، بأن تَقُصَّ عليهم ما أخبرك به الوحي فحسب"[١٦٨٦].

وفي قوله تعالى:{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} [الكهف : ٢٢]، وجهان:

أحدهما : إلا ما قد أظهرنا لك من أمرهم ، قاله مجاهد[١٦٨٧].

الثاني : أي: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم. قاله قتادة[١٦٨٨]، والضحاك[١٦٨٩].

قوله تعالى:{وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف : ٢٢]، أي:" ولا تسألهم عن عددهم وأحوالهم؛ فإنهم لا يعلمون ذلك"[١٦٩٠].

قال مجاهد:" ولا تسأل يهودَ عن أمر أصحاب الكهف، إلا ما قد أخبرتك من أمرهم"[١٦٩١].

عن قتادة :"{وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا}: من أهل الكتاب. كنا نحدّث أنهم كانوا بني الركنا[١٦٩٢] والركنا: ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتفرّدوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على أصمختهم، فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمَّتهم وجاءت أمَّة مسلمة بعدهم، وكان ملكهم مسلما"[١٦٩٣].

عن عطاء بن خالد، قال: "يحج عيسى إذا نزل في سبعين ألفا، فيهم أصحاب الكهف فإنهم لم يموتوا ولم يحجوا"[١٦٩٤].

القرآن

{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)} [الكهف : ٢٣ - ٢٤]

التفسير:

ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك الشيء غدًا إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله. واذكر ربك عند النسيان بقول: إن شاء الله، وكلما نسيت فاذكر الله; فإن ذِكْرَ الله يُذهِب النسيان، وقل: عسى أن يهديني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد.

قوله تعالى:{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف : ٢٣ - ٢٤]، أي:" ولا تقولنَّ لشيء تعزم على فعله: إني فاعل ذلك الشيء غدًا إلا أن تُعَلِّق قولك بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله"[١٦٩٥].

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}[الكهف : ٢٤]، أي:" واذكر مشيئة ربك إذا فرط منك نسيان ثم تذكرت ذلك"[١٦٩٦].

وفي قوله تعالى:{وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}[الكهف : ٢٤]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : واذكر ربك إذا غضبت. قاله عكرمة[١٦٩٧].

(١٦٨٤) أخرجه الطبري:٦٤٢/١٧.

(١٦٨٥) تفسير عبدالرزاق(١٦٦٥):ص٣٢٩/٢.

(١٦٨٦) التفسير الميسر:٢٩٦.

(١٦٨٧) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.

(١٦٨٨) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.

(١٦٨٩) انظر: تفسير الطبري:٦٤٣/١٧.

(١٦٩٠) التفسير الميسر:٢٩٦.

(١٦٩١) أخرجه الطبري:٦٤٤/١٧.

(١٦٩٢)الركنا: كذا بالقصر، ولعله أصله الركنا بالمد، جمع ركين، وهو من الرجال: الوقور الرزين أو القوي بعشيرته وكثرتها.

(١٦٩٣) أخرجه الطبري:٦٤٤/١٧.

(١٦٩٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٧/٢.

(١٦٩٥) التفسير الميسر:٢٩٦.

(١٦٩٦) تفسير المراغي:١٣٧/١٥.

(١٦٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٦٣):ص١٣٥٥/٧.

الثاني واذكر ربك إذا عصيت، قاله عكرمة-أيضا-[١٦٩٨]، ليزول عنك الغضب عند ذكره[١٦٩٩].
الثالث : معناه: استثن في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين. وهذا قول الحسن[١٧٠٠]، وأبي العالية[١٧٠١].

عن أبي العالية:"{واذكر ربك إذا نسيت}، الاستثناء، ثم ذكرت فاستثن"[١٧٠٢].

والصواب قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك[١٧٠٣].

قوله تعالى:{وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا} [الكهف : ٢٤]، أي:" وقل: عسى أن يهديني ربي لأقرب الطرق الموصلة إلى الهدى والرشاد"[١٧٠٤].

عن المعتمر، عن أبيه، عن محمد:" رجل من أهل الكوفة، كان يفسر القرآن، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد، قال: {ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا}، قال فقال: وإذا نسي الإنسان أن يقول: إن شاء الله، قال: فتوبته من ذلك، أو كفارة ذلك أن يقول: {عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا}"[١٧٠٥].

قال الحسن:" من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير، وليكفر يمينه، الإطلاق أو عتاق"[١٧٠٦].

قال إبراهيم:" ليس الاستثناء بشيء حتى تجهر به كما تجهر باليمين"[١٧٠٧].

القرآن

{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)} [الكهف : ٢٥]

التفسير:

ومكث الشُّبَّان نيامًا في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمريَّة.

سبب النزول:

قال الضحاك بن مزاحم: "نزلت هذه الآية : {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ}[١٧٠٨]، فقالوا: أياما أو أشهرا أشهرا أو سنين؟ فأنزل الله: {ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا}[١٧٠٩]"[١٧١٠].

وفي الآية، قولان :

أحدهما : أن هذا قول اليهود، وقيل بل نصارى نجران أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، فرد الله تعالى عليهم قولهم وقال لنبيه :{قل الله أعلم بما لبثوا}، ولو كانوا لبثوا ذلك لما قال: {قل الله أعلم بما لبثوا}. وهذا قول قتادة[١٧١١]، ومطر الوراق[١٧١٢].

عن قتادة قوله :"{ولبثوا في كهفهم}، قال: في حرف ابن مسعود: «وقالوا: ولبثوا»، يعني: أنه قال الناس، ألا ترى أنه قال: {قل الله أعلم بما لبثوا}"[١٧١٣].

(١٦٩٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٥-٦٤٦.
(١٦٩٩) انظر: النكت ولعيون:٣/٢٩٩.
(١٧٠٠) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٥.
(١٧٠١) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٥.
(١٧٠٢) أخرجه الطبري:١٧/٦٤٥.
(١٧٠٣) تفسير الطبري:١٧/٦٤٦.
(١٧٠٤) التفسير الميسر:٢٩٦.
(١٧٠٥) أخرجه الطبري: ١٧/٦٤٦-٦٤٧.
(١٧٠٦) اخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١/١٨٠.
(١٧٠٧) اخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١/١٧٩-١٨٠.
(١٧٠٨)[الكهف : ٢٥].
(١٧٠٩)[الكهف : ٢٥].
(١٧١٠) أخرجه الطبري:١٧/٦٤٨، وانظر: تفسير القرطبي ١٠/٣٨٧ والدر المنثور ٤/٢١٨.
(١٧١١) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٧.
(١٧١٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٧-٦٤٨.
(١٧١٣) أخرجه الطبري:١٧/٦٤٧.

قال مطر الوراق:" إنما هو شيء قالته اليهود، فرده الله عليهم وقال: {قل الله أعلم بما لبثوا}"[١٧١٤].
القول الثاني : أن هذا إخبار من الله تعالى بهذا العدد عن مدة بقائهم في الكهف من حين دخلوه إلى ما ماتوا فيه. قاله عبيد بن عمير[١٧١٥]، ومجاهد[١٧١٦]، والضحاك[١٧١٧].
عن مجاهد:" {ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا}، يقول: عدد ما لبثوا"[١٧١٨].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره: ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقودا إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر، ثلاث مئة سنين وتسع سنين، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه، وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ «وقالوا: ولبثوا في كهفهم »، وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب، وقد رد الله ذلك عليهم، فإن معناه في ذلك: إن شاء الله كان أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاث مئة سنين وتسع سنين، فرد الله ذلك عليهم، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن أووا إليه أن بعثهم ليتساءلوا بينهم، ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك.
فإن قال قائل: وما يدل على أن ذلك كذلك؟ قيل: الدال على ذلك أنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداء، فقال: {ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا} ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان، لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره، وإذا جاز ذلك في أخباره جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره، وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده.
فإن ظن ظان أن قوله: {قل الله أعلم بما لبثوا} دليل على أن قوله: {ولبثوا في كهفهم} خبر منه عن قوم قالوه، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره، فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه: قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة، وما أشبه ذلك من المعاني فغير واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله: {ولبثوا في كهفهم} خبر من الله عن قوم قالوه، وإذا لم يكن دليلا على ذلك، ولم يأت خبر بأن قوله: {ولبثوا في كهفهم} خبر من الله عن قوم قالوه، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها، صح ما قلنا، وفسد ما خالفه"[١٧١٩].

القرآن
{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)} [الكهف : ٢٦]
التفسير:
وإذا سُئلت -أيها الرسول- عن مدة لبثهم في الكهف، وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله، فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل: الله أعلم بمدة لبثهم، له غيب السموات والأرض، أَبْصِرْ به وأسمع، أي: تعجب من كمال بصره وسمعه وإحاطته بكل شيء. ليس للخلق أحد غيره يتولى أمورهم، وليس له شريك في حكمه وقضائه وتشريعه، سبحانه وتعالى.
قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الكهف : ٢٦]، أي: قل: " الله أعلم بمدة لبثهم في الكهف على وجه اليقين، ولله علم ما غاب في السماوات والأرض، وخفى من أحوال أهلهما، لا يعزب عنه علم شيء منه"[١٧٢٠].
قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[١٧٢١].

(١٧١٤) أخرجه الطبري:١٧/٦٤٧-٦٤٨.
(١٧١٥)انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٨ .
(١٧١٦)انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٨ .
(١٧١٧)انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٤٨ .
(١٧١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٦٨):ص٧/٢٣٥٦.
(١٧١٩) تفسير الطبري:١٧/٦٤٨-٦٤٩.
(١٧٢٠) صفوة التفاسير:٢/١٧٢.
(١٧٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص٦/١٨٦٤-١٨٦٥.

قوله تعالى:{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ} [الكهف : ٢٦]، أي:" تعجب من كمال بصره وسمعه وإحاطته بكل شيء"[١٧٢٢].

قال قتادة:" فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، تبارك وتعالى!"[١٧٢٣].

القرآن

{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)} [الكهف : ٢٧]

التفسير:

واتل -أيها الرسول- ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدِّل لكلماته لصدقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معادًا تعوذ به.

قوله تعالى:{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الكهف : ٢٧]، أي:" ولن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معادًا تعوذ به"[١٧٢٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الكهف : ٢٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : ملجأ ، قاله مجاهد[١٧٢٥]، ومنه قول الشاعر[١٧٢٦]:

لا تحفيا يا أخانا من مودّتنا ... فما لنا عنك في الأقوام مُلتحد

الثاني : ولياً ، قاله قتادة[١٧٢٧].

الثالث: ملجأ ولا موئلا. قاله قتادة أيضا[١٧٢٨].

القرآن

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)} [الكهف : ٢٨]

التفسير:

واصبر نفسك -أيها النبي- مع أصحابك مِن فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعونه في الصباح والمساء، يريدون بذلك وجهه، واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا، ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا، وآثَرَ هواه على طاعة مولاه، وصار أمره في جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن سلمان الفارسي، قال: "جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم- يعنون سلمان، وأبا ذر، وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك! فأنزل الله تعالى: {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...} حتى بلغ: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا} [الكهف : ٢٩]، يتهددهم بالنار، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات"[١٧٢٩].[ضعيف]

(١٧٢٢) التفسير الميسر:٢٩٦.

(١٧٢٣) أخرجه الطبري:٦٥٠/١٧.

(١٧٢٤) التفسير الميسر:٢٩٦.

(١٧٢٥) انظر: تفسير الطبري:٦٥١/١٧.

(١٧٢٦) انظر: النكت والعيون:٣٠١/٣.

(١٧٢٧) حكاه عنه الماوردي في :النكت والعيون:٣٠١/٣.

(١٧٢٨) انظر: تفسير الطبري:٦٥١/١٧.

(١٧٢٩) أخرجه الطبري:٧/١٨-٨، والواحدي في اسباب النزول:٣٠٥-٣٠٦، وإسناده ضعيف: سليمان بن عطاء: قال البخاري: منكر الحديث وقال ابن حبان: شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي أشياء موضوعة فلست أدري التخليط منه أم من مسلمة بن عبد الله [المجروحين ١/ ٣٢٥] .
وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٢١٩) لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال: "دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم حار وعنده سلمان عليه جبة من صوف، فثار منه ريح العرق في الصوف، فقال عيينة: يا محمد، إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وضرباءه من عندك لا يؤذونا فإذا خرجنا فأنت وهم أعلم. فأنزل الله: {ولا تطع من أغفلنا قلبه} الآية"[١٧٣٠].

عن الربيع قال: "حدثنا إن النبي صلى الله عليه وسلم تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال له، فأنزل الله :{ولا تطع من أغفلنا قلبه} الآية، فرجع إلى أصحابه وخلى عن أمية، فوجد سلمان يذكرهم فقال: «الحمد لله الذي لم أفارق الدنيا حتى أراني أقواما من أمتي ممن أمرني إن أصبر نفسي معهم"[١٧٣١].

وقال مقاتل:" نزلت فى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاري وذلك أنه دخل على النبي- صلى الله عليه وسلم- وعنده الموالي وفقراء العرب منهم بلال بن رباح المؤذن، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وخباب ابن الأرت، وعامر بن فهيرة، ومهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، - وهو أول شهيد قتل يوم بدر- رضي الله عنهم-، وأيمن بن أم أيمن. ومن العرب أبو هريرة الدوسي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وغيرهم وكان على بعضهم شملة قد عرق فيها فقال عيينة بن حصن للنبي- صلى الله عليه وسلم: إن لنا شرفا وحسبا، فإذا دخلنا عليك فاعرف لنا ذلك، فأخرج هذا وضرباءه عنا فو الله إنه ليؤذينا ريحه يعني جبته آنفا، فإذا خرجنا من عندك فأذن لهم إن بدا لك أن يدخلوا عليك، «فاجعل لنا مجلسا ولهم مجلس»، فأنزل الله- عز وجل-: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا}، يعني: القرآن، {واتبع هواه}، يعني: وآثر هواه"[١٧٣٢].

الثاني: عن جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا} [الكهف : ٢٨]، قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه: من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا}، يعني: من ختمنا على قلبه عن التوحيد، {وَاتَّبَعَ هَوَاه}، يعني: الشرك"[١٧٣٣].[ضعيف جدا]

قوله تعالى:{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف : ٢٨]، أي:" واصبر نفسك -أيها النبي- مع أصحابك مِن فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده، ويدعونه في الصباح والمساء"[١٧٣٤].

وفي معنى «الدعاء» في قوله تعالى:{ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف : ٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها: أنه الصلاة المكتوبة، قاله الحسن[١٧٣٥]، ومجاهد[١٧٣٦]، وقتادة[١٧٣٧]، وسعيد بن المسيب[١٧٣٨]، وعبدالرحمن بن أبي عمرة[١٧٣٩]، وعامر[١٧٤٠].

وفي رواية عن مجاهد[١٧٤١]، وقتادة[١٧٤٢]، قالا: يعني "صلاة الصبح والعصر".

ونقل ابن أبي زمنين عن الحسن:" يعني: صلاة مكة؛ حين كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشية، قبل أن تفترض الصلوات الخمس"[١٧٤٣].

(١٧٣٠) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٥):ص٢٣٥٧/٧.
(١٧٣١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٦):ص٢٣٥٧/٧.
(١٧٣٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٢/٢-٥٨٣.
(١٧٣٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٠٦، إسناده ضعيف جدا: جويبر بن سعيد قال الحافظ في التقريب: ضعيف جدا، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.
وعزاه في الدر (٤/ ٢٢٠) لابن مردويه.
(١٧٣٤) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٧٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٠):ص٣٨٢/١١.
(١٧٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧١):ص٣٨٢/١١.
(١٧٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٣):ص٣٨٢/١١-٣٨٣، و(١٣٢٨١):ص٣٨٤/١١.
(١٧٣٨) انظر: تفسير ابن كثير:٢٥٩/٣.
(١٧٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٨):ص٣٨٤/١١.
(١٧٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٩):ص٣٨٤/١١.
(١٧٤١) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٩):ص٣٨٢/١١.
(١٧٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٣):ص٣٨٢/١١-٣٨٣.

الثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي[١٧٤٤]، وعنه كالقول الأول[١٧٤٥].
الثالث: أنه عبادة الله، قاله الضحاك[١٧٤٦]، وعنه كالقول الاول[١٧٤٧].
الرابع: أنه تعلم القرآن غدوة وعشية، قاله أبو جعفر[١٧٤٨].
قال أبو جعفر:" أمر إن يصبر نفسه مع أصحابه يعلمهم القرآن"[١٧٤٩].
وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عدى بن الخيار، قال: "هم الذين يقرءون القرآن"[١٧٥٠].
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يطرُد قومًا كانوا يدعون ربّهم بالغداة والعشي ، و الدعاء لله، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلامًا وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التي كان عليهم فرضُها ، وغيرُها من النوافل التي ترضي عن العامل له عابدَه بما هو عامل له[١٧٥١].
قوله تعالى:{وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} [الكهف : ٢٨]، أي:" واجلس معهم وخالطهم، ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار"[١٧٥٢].
عن ابن جريج:" أخبرت أن عيينة بن حصن قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلسا منك لا يجامعوننا فيه، واجعل لهم مجلسا لا نجامعهم فيه، فنزلت الآية"[١٧٥٣].
قوله تعالى:{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف : ٢٨]، أي:" ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا، وآثرَ هواه على طاعة مولاه، وصار أمره في جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا"[١٧٥٤].
وفي قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف : ٢٨]، وجهان من التفسير:
أحدهما : يعني: ضياعا ، وهو قول مجاهد[١٧٥٥]، والسدي[١٧٥٦].
الثاني : ندماً. قاله داود[١٧٥٧].
والصواب معناه: ضياعا وهلاكا، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطا: إذا أسرف فيه وتجاوز قدره، وكذلك قوله {وكان أمره فرطا}، معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر، واحتقار أهل الإيمان، سرفا قد تجاوز حده، فضيع بذلك الحق وهلك"[١٧٥٨].
قال قتادة:" لما نزلت {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي} [الكهف: ٢٨]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معه»"[١٧٥٩].

(١٧٤٣) تفسير ابن ابي زمنين:٧٠/٢.
(١٧٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٤):ص٣٨٥/١١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٧):ص٢٣٥٧/٧
(١٧٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٧):ص٣٨١/١١.
(١٧٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٨):ص٣٨٦/١١.
(١٧٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٢):ص٣٨٢/١١.
(١٧٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٧):ص٣٨٦/١١.
(١٧٤٩) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٨):ص٢٣٥٧/٧.
(١٧٥٠) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٤):ص٢٣٥٧/٧.
(١٧٥١) تفسير الطبري:٣٨٧/١١-٣٨٨.
(١٧٥٢) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٧٥٣) أخرجه الطبري:٧/١٨.
(١٧٥٤) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٧٥٥) انظر: تفسير الطبري:٨/١٨.
(١٧٥٦) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١٨٢/١.
(١٧٥٧) انظر: تفسير الطبري:٩/١٨.
(١٧٥٨) تفسير الطبري:٩/١٨.
(١٧٥٩) أخرجه الطبري:٧/١٨، وعبدالرزاق في تفسيره(١٦٧٠):ص٣٣٠/٢.
وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: "جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ، فسلم ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا: كنا نستمع إلى كتاب الله، فقال: الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر

عن أبي هاشم في الآية، قال: "كانوا يتفاضلون في الحلال والحرام"[١٧٦٠].

القرآن

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)} [الكهف : ٢٩]

التفسير:

وقل لهؤلاء الغافلين: ما جئتكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجحد فليفعل، فما ظلّم إلا نفسه. إنا أعتدنا للكافرين نارًا شديدة أحاط بهم سورها، وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء مِن شدة العطش، يُؤتَ لهم بماء كالزيت العَكِر شديد الحرارة يشوي وجوههم. قَبُح هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده، وقَبُحَتْ النار منزلا لهم ومقامًا.

قوله تعالى:{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف : ٢٩]، أي:" وقل لهؤلاء الغافلين: ما جئتكم به هو الحق من ربكم، فمن أراد منكم أن يصدق ويعمل به، فليفعل فهو خير له، ومن أراد أن يجحد فليفعل، فما ظلّم إلا نفسه"[١٧٦١].

عن قتادة:" :{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ}، قال: الحق هو القرآن"[١٧٦٢].

قال مجاهد:" وعيد من الله، فليس بمعجزي"[١٧٦٣].

قوله تعالى:{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف : ٢٩]، أي:" إنا أعتدنا للكافرين نارًا شديدة أحاط بهم سورها"[١٧٦٤].

قال قتادة:" السرادق: دخان النار، فأحاط بهم سرادقها"[١٧٦٥].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ} [الكهف : ٢٩]، أي:" وإن يستغث هؤلاء الكفار في النار بطلب الماء مِن شدة العطش، يُؤتَ لهم بماء كالزيت العَكِر شديد الحرارة يشوي وجوههم"[١٧٦٦].

قال هارون: "إذا جاع أهل النار، وقال جعفر: إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارا مار بهم يعرفهم، لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود"[١٧٦٧].

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} [الكهف : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه القيح والدم ، قاله مجاهد[١٧٦٨].

الثاني : أنه كل شيء أذيب حتى انماع .

قال قتادة:" ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخدود فخد في الأرض، ثم قذف فيه من جزل حطب، ثم قذف فيه تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضرنا

نفسي معهم. قال: فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا، فتحلقوا وبرزت وجوههم له فقال: أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمسمائة سنة".

أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٦٣، ٩٦. وأبو داود في السنن ٤/ ٧٢ - ٧٣، كتاب العلم (١٩)، باب في القصص (١٣)، الحديث (٣٦٦٦). قوله: "فقام علينا" أي وقف على رؤوسنا أي كنا غافلين عن مجيئه فنظرنا فإذا هو قائم فوق رؤوسنا يستمع إلى كتاب الله. وقوله "ثم قال بيده" أي أشار بيده. و"صعاليك المهاجرين" أي جماعة الفقراء من المهاجرين جمع صعلوك.

(١٧٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٨٠):ص٢٣٥٨/٧.

(١٧٦١) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٧٦٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٨٢):ص٢٣٥٨/٧.

(١٧٦٣) أخرجه الطبري:١٠/١٨.

(١٧٦٤) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٧٦٥) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٤.

(١٧٦٦) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٧٦٧) أخرجه الطبري:١٤/١٨-١٥.

(١٧٦٨) انظر: تفسير الطبري:١٣/١٨.

من أهل الكوفة، فدعا رهطا، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة، حين أزبد وانماع"[١٧٦٩].

الثالث : هو الذي قد انتهى حره ، قاله سعيد بن جبير[١٧٧٠]، ومنه قول الشاعر[١٧٧١]:

شاب بالماء منه مهلاً كريهاً ... ثم علّ المتون بعد النهال

وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعنى، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضا حره.

وقد روي عن معمر بن المثنى، أنه قال: "سمعت المنتجع بن نبهان يقول: والله لفلان أبغض إلي من الطلياء[١٧٧٢] والمهل، قال: فقلنا له: وما هما؟ فقال: الجرباء، والملة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار، كأنها سهلة[١٧٧٣] حمراء مدققة، فهي أحمره، فالمهل إذا هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره، أو لم يكن مائعا، فانماع بالوقود عليه، وبلغ أقصى الغاية في شدة الحر"[١٧٧٤].

قال الضحاك:" ماء جهنم أسود، وهي سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود"[١٧٧٥].

قوله تعالى:{بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف : ٢٩]، أي:" قَبُح هذا الشراب الذي لا يروي ظمأهم بل يزيده، وقَبُحَتْ النار منزلا لهم ومقامًا "[١٧٧٦].

وفي قوله تعالى:{وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف : ٢٩]، وجوه:

أحدها : معناه: ساءت مجتمعاً ، قاله مجاهد[١٧٧٧].

الثاني : ساءت منزلاً. قاله قتادة[١٧٧٨]، مأخوذ من الارتفاق.

الثالث : أنه من المتكأ، وهذا قول السدي[١٧٧٩].

قال السدي:" عليها مرتفقون على الحميم حين يشربون، والارتفاق هو المتكأ"[١٧٨٠].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)} [الكهف : ٣٠]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات لهم أعظم المثوبة، إنا لا نضيع أجورهم، ولا ننقصها على ما أحسنوه من العمل.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الكهف : ٣٠]، أي:" إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات"[١٧٨١].

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"[١٧٨٢].

قوله تعالى:{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف : ٣٠]، أي:" إنا لا نضيع أجورهم، ولا ننقصها على ما أحسنوه من العمل"[١٧٨٣].

(١٧٦٩) أخرجه الطبري:١٢/١٨-١٣.

(١٧٧٠) انظر: تفسير الطبري:١٣/١٨.

(١٧٧١) انظر: النكت والعيون:٣٠٣/٣.

(١٧٧٢)يريد بالطلياء الناقة الجرباء المطلية بالقطران أو الخضخاض. ويريد بالمهل: الملة إذا حميت جدا ورأيتها تموج.

(١٧٧٣)السهلة، بالكسر، تراب كالرمل أحمر يجيء به الماء (اللسان).

(١٧٧٤) تفسير الطبري:١٣/١٨-١٤.

(١٧٧٥) اخرجه الطبري:١٣/١٨.

(١٧٧٦) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٧٧٧) انظر: تفسير الطبري:١٥/١٨.

(١٧٧٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٩٣):ص٢٣٥٩/٧.

(١٧٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٤):ص٢٣٥٩/٧.

(١٧٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٤):ص٢٣٥٩/٧.

(١٧٨١) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٧٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(١٧٨٣) التفسير الميسر:٢٩٧.

عن المقبري[١٧٨٤] قال: "بلغني إن عيسى بن مريم كان يقول: يا ابن آدم، إذا عملت الحسنة فاله عنها، فإنها عند من لا يضيعها. ثم تلا: {إنا لا نضيع أجر من احسن عملا}، وإذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك"[١٧٨٥].

القرآن

{أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)} [الكهف : ٣١]

التفسير:

أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائمًا، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة، يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب، ويَلْبَسون ثيابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليظه، يتكئون فيها على الأسِرَّة المزدانة بالستائر الجميلة، نِعْمَ الثواب ثوابهم، وحَسُنتِ الجنة منزلا ومكانًا لهم.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ} [الكهف : ٣١]، أي:" أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائمًا"[١٧٨٦].

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، وجوه:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن[١٧٨٧].

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك[١٧٨٨].

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء[١٧٨٩].

الرابع: أن جنة «عدن» في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين[١٧٩٠]. ذكره الماوردي وقال:"رواه معاذ بن جبل مرفوعاً"[١٧٩١].

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"[١٧٩٢].

قال أبو الليث السمرقندي:" «العدن»: الإقامة، ويقال: العدن بطنان الجنة، وهي وسطها"[١٧٩٣].

قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} [الكهف : ٣١]، أي:" تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة"[١٧٩٤].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[١٧٩٥].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[١٧٩٦].

قوله تعالى:{يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} [الكهف : ٣١]، أي:" يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب"[١٧٩٧].

عن الحسن: "الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء"[١٧٩٨].

(١٧٨٤) هو سعيد بن أبي سعيد.

(١٧٨٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٩٥):ص٢٣٥٩/٧.

(١٧٨٦) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٧٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(١٧٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.

(١٧٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.

(١٧٩٠)قال ابن القيم:" والصحيح أنه[أي: جنة المأوى] اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال في النار {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}". حادي الأرواح:٩٧.

(١٧٩١) انظر: النكت والعيون:٣٨٢/٢. ولم أهتد إلي الحديث.

(١٧٩٢) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(١٧٩٣) بحر العلوم:٣٤٥/٢.

(١٧٩٤) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٧٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.

(١٧٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(١٧٩٧) التفسير الميسر:٢٩٧.

عن أبي حازم، قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ، وهو يمد الوضوء إلى إبطه، فقلت: يا أبا هريرة، ما هذا الوضوء؟ قال: يا بني فروخ، أنتم هاهنا لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، إني سمعت خليلي يقول: « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»"[١٧٩٩].

قوله تعالى:{وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الكهف : ٣١]، أي:" ويَلْبَسون ثيابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغليظه"[١٨٠٠].

قال قتادة:" {وإسْتَبْرَق}:الديباج الغليظ"[١٨٠١].

قال الضحاك:" الإستبرق: الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم استبره"[١٨٠٢].

قال عبد الرحمن بن سابط: "يبعث الله إلى العبد من اهل الجنة بالكسوة فتعجبه، فيقول: لقد رأيت الجنان فما رأيت مثل هذه الكسوة قط! فيقول الرسول الذي جاء بالكسوة: إن ربك يأمر أن تهيئ لهذا العبد مثل هذه الكسوة ما شاء"[١٨٠٣].

قال كعب:" لو إن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم"[١٨٠٤].

قال سليم بن عامر: "إن الرجل من أهل الجنة يلبس الحلة من حلل اهل الجنة فيضعها بين أصبعيه، فما يرى منها شيء، وإنه يلبسها فيتعفر حتى تغطي قدميه، يكسى في الساعة الواحدة سبعين ثوبا ... إن أدناها مثل شقيق النعمان، وأنه يلبس سبعين ثوبا يكاد إن يتوارى، وما يستطيع أحد في الدنيا يلبس سبعة أثواب ما يسعه عنقه"[١٨٠٥].

قال ثابت: "بلغنا إن الرجل يتكئ في الجنة سبعين سنة، عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة، فإذا أزواج له لم يكن يراهن من قبل ذلك فيقلن: قد إن لك إن تجعل لنا منك نصيبا"[١٨٠٦].

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ} [الكهف : ٣١]، أي:" يتكئون فيها على الأسِرَّة المزدانة بالستائر الجميلة"[١٨٠٧].

عن معمر، عن قتادة، في قوله: {على الأرائك}، قال: "هي الحجال. قال معمر، وقال غيره: السرر في الحجال"[١٨٠٨].

قال قتادة:" الأرائك: الحجال فيها السرر"[١٨٠٩].

(١٧٩٨) انظر: توضيح المقاصد،شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم:٥٤٠/٢.

(١٧٩٩) أخرجه أحمد(٨٨٤٠):ص٤٣٥/١٤-٤٣٦.

إسناده قوي، خلف بن خليفة -وإن كان من رجال مسلم- فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

حسين بن محمد: هو ابن بهرام المروذي، وأبو مالك الأشجعي: هو سعد بن طارق، وأبو حازم: هو سلمان الأشجعي.

وأخرجه أبو عوانة ٢٤٤/١ من طريق حسين بن محمد، بهذا الإسناد.

وأخرجه مسلم (٢٥٠) ، والنسائي في "المجتبى" ٩٣/١، والبيهقي ٥٦/١-٥٧، والبغوي (٢١٩) من طريق قتيبة بن سعيد، والخطيب في "تاريخ بغداد" ١٨١/٥ من طريق يحيى بن زحمويه، كلاهما عن خلف بن خليفة، به.

وأخرجه أبو عوانة ٢٤٤/١، وأبو يعلى (٦٢٠٢) ، وابن خزيمة (٧) من طريق عبد الله بن إدريس، وأبو يعلى (٦٢٠٢) ، وعنه ابن حبان (١٠٤٥) من طريق علي بن مسهر، كلاهما عن أبي مالك الأشجعي سعد بن طارق، به.

وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ٥٥/١ من طريق أبي زرعة، عن أبي هريرة

(١٨٠٠) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٨٠١) تفسير عبدالرزاق(٣١١١):ص٢٧٣/٣.

(١٨٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٦):ص٢٣٥٩/٧.

(١٨٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٧):ص٢٣٥٩/٧.

(١٨٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٨):ص٢٣٦٠/٧.

(١٨٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٩٩):ص٢٣٦٠/٧.

(١٨٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨٠١):ص٢٣٦٠/٧.

(١٨٠٧) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٨٠٨) أخرجه الطبري:١٨/١٨.

(١٨٠٩) **الدر المنثور: ٣٨٩/٥، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.**

القرآن

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢)} [الكهف : ٣٢]

التفسير:

واضرب -أيها الرسول- لكفار قومك مثلا رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب، وأحطناهما بنخل كثير، وأنبتنا وسطهما زروعًا مختلفة نافعة.

قوله تعالى:{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ} [الكهف : ٣٢]، أي:" واضرب -أيها الرسول- لكفار قومك مثلا رجلين من الأمم السابقة: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد جعلنا للكافر حديقتين من أعناب"(١٨١٠).

قال السدي:" إن الجنة هي البستان، فكان له بستان واحد وجدار واحد، وكان بينهما نهر ولذلك كان جنتين، فلذلك سماه جنة من قبل الجدار الذي يليها"(١٨١١).

القرآن

{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)} [الكهف : ٣٣]

التفسير:

وقد أثمرت كل واحدة من الحديقتين ثمرها، ولم تُنْقِص منه شيئًا، وشققنا بينهما نهرًا لسقيهما بسهولة ويسر.

قوله تعالى:{وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا} [الكهف : ٣٣]، أي:" وشققنا بينهما نهرًا لسقيهما بسهولة ويسر"(١٨١٢).

عن السدي: قوله:"{وفجرنا خلالهما نهرا}، يقول: وسطهما"(١٨١٣).

القرآن

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)} [الكهف : ٣٤]

التفسير:

وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن، وهو يحاوره في الحديث -والغرور يملؤه-: أنا أكثر منك مالا وأعز أنصارًا وأعوانًا.

قوله تعالى:{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} [الكهف : ٣٤]، أي:" وكان لصاحب الحديقتين ثمر وأموال أخرى"(١٨١٤).

وفي قوله تعالى:{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} [الكهف : ٣٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه الذهب والفضة، لأنها أموال مثمرة. قاله مجاهد(١٨١٥).

الثاني : أنه المال الكثير من صنوف الأموال، لأن تثميره أكثر. قاله قتادة(١٨١٦).

قال قتادة:" «الثُّمُر»: المال كله، قال: وكلّ مال إذا اجتمع فهو ثُمُر إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله"(١٨١٧).

الثالث: أن «الثمر»، المال والولدان والرقيق، و«الثمر»: الفاكهة. وهذا قول بشير بن عبيد(١٨١٨).

وقال مجاهد:" ما كان في القرآن من {ثمر} بالضم فهو مال، وما كان من «ثمر» مفتوح فهو من الثمار"(١٨١٩).

(١٨١٠) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٨١١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٠٣):ص٧/٢٣٦٠.

(١٨١٢) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٨١٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٠٥):ص٧/٢٣٦١ .

(١٨١٤) التفسير الميسر:٢٩٧.

(١٨١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٠.

(١٨١٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢١.

(١٨١٧) أخرجه الطبري:١٨/٢١.

(١٨١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٠٩):ص٧/٢٣٦١.

(١٨١٩) أخرجهخ الفراء في معاني القرآن:٢/١٤٤.

قوله تعالى:{فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف : ٣٤]، أي:" فقال لصاحبه المؤمن، وهو يحاوره في الحديث -والغرور يملؤه-: أنا أكثر منك مالا وأعز أنصارًا وأعوانًا"[١٨٢٠].

قال قتادة:" وتلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال، وعزة النفر"[١٨٢١].

القرآن

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)} [الكهف : ٣٥ - ٣٦]

التفسير:

ودخل حديقته، وهو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، وشكه في قيام الساعة، فأعجبته ثمارها وقال: ما أعتقد أن تَهْلِك هذه الحديقة مدى الحياة، وما أعتقد أن القيامة واقعة، وإن فُرِضَ وقوعها -كما تزعم أيها المؤمن- ورُجعتُ إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعًا ومردًا؛ لكرامتي ومنزلتي عنده.[١٨٢٢].

قوله تعالى:{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} [الكهف : ٣٥]، أي:" ودخل حديقته، وهو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، وشكه في قيام الساعة"[١٨٢٣].

قال قتادة:" يقول: كفور لنعمة ربه"[١٨٢٤].

قوله تعالى:{قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف : ٣٥]، أي:" وقال: ما أعتقد أن تَهْلِك هذه الحديقة مدى الحياة"[١٨٢٥].

عن السدي:"{ما أظن إن تبيد هذه أبدا}، يقول: تهلك"[١٨٢٦].

قوله تعالى:{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف : ٣٦]، أي:" وقال: وما أعتقد أن القيامة واقعة، وإن فُرِضَ وقوعها -كما تزعم أيها المؤمن- ورُجعتُ إلى ربي لأجدنَّ عنده أفضل من هذه الحديقة مرجعًا ومردًا؛ لكرامتي ومنزلتي عنده"[١٨٢٧].

قال السدي:" ولئن كانت قائمة ثم رددت إلى ربي :{لأجدن خيرا منها منقلبا}"[١٨٢٨].

القرآن

{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)} [الكهف : ٣٩ - ٤١]

التفسير:

وهلا حين دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك حَمِدت الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله. إن كنت تراني أقل منك مالا وأولادًا، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويسلبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذابا من السماء، فتصبح أرضًا ملساء جرداء لا تثبت عليها قدم، ولا ينبت فيها نبات، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائرًا في الأرض، فلا تقدر على إخراجه.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف : ٣٩]، أي:" وهلا حين دخَلْتَ حديقتك فأعجبتك حَمِدت الله، وقلت: هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله"[١٨٢٩].

(١٨٢٠) التفسير الميسر:٢٩٧.
(١٨٢١) أخرجه الطبري: ٢٢/١٨.
(١٨٢٢) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٨٢٣) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٨٢٤) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨١١):ص٢٣٦٢/٧.
(١٨٢٥) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٨٢٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨١٢):ص٢٣٦٢/٧.
(١٨٢٧) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٨٢٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨١٢):ص٢٣٦٢/٧.
(١٨٢٩) التفسير الميسر:٢٩٨.

عن زياد بن سعد قال: "كان ابن شهاب إذا دخل أمواله، قال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»، ويتأول قوله: {ولولا إذ دخلت جنتك}، الآية"[١٨٣٠].

عن مطرف قال: كان مالك إذا دخل بيته، قال: «ما شاء الله»، قلت لمالك لم: تقول هذا؟ قال: ألا تسمع الله يقول: {ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله}"[١٨٣١].

عن حفص بن ميسرة قال: "رأيت على باب وهب بن منبه مكتوبا :«ما شاء الله»، وذلك قول الله: {ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله}"[١٨٣٢].

قال عمر بن مرة: "إن من أفضل الدعاء قول الرجل :«ما شاء الله»"[١٨٣٣].

قال إبراهيم بن أدهم: "ما سأل رجل مسألة أنجح من ان يقول: «ما شاء الله»"[١٨٣٤].

قال: أبو عامر الباجي: "من أكثر من قول :«ما شاء الله» لم يصبه شيء إلا رضي به"[١٨٣٥].

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله"[١٨٣٦].

عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : "ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله"[١٨٣٧].

وعن عَمْرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة :« قال لي نبي الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا هريرة ، أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟". قال : قلت : نعم ، فداك أبي وأمي. قال : "أن تقول لا قوة إلا بالله"، قال أبو بَلْج : وأحسب أنه قال : "فإن الله يقول : أسلم عبدي واستسلم". قال : فقلت لعمرو - قال أبو بَلْج : قال عَمْرو : قلت لأبي هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : لا إنها في سورة الكهف : { وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }»[١٨٣٨].

قوله تعالى:{إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا} [الكهف : ٣٩]، أي:" قال المؤمن للكافر: إن كنت ترى أنني أفقر منك وتعتزعليَّ بكثرة مالك وأولادك"[١٨٣٩].

قوله تعالى:{فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ} [الكهف : ٤٠]، أي:" إني أتوقع من صنع الله تعالى وإحسانه أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني جنةً خيراً من جنتك لإيماني به، ويسلب عنك نعمته لكفرك به ويخرّب بستانك، ويرسل عليها آفةً تجتاحها أو صواعق من السماء تدمّرها"[١٨٤٠].

وفي قوله تعالى:{وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ} [الكهف : ٤٠]، وجهان:

أحدهما : يعني: عذاباً من السماء، قاله قتادة[١٨٤١]، والسدي[١٨٤٢]، وابن زيد[١٨٤٣].

الثاني : ناراً من السماء. قاله الضحاك[١٨٤٤]، والسدي-أيضا-[١٨٤٥].

والظاهر أنه مطر عظيم مزعج، يقلع زرعها وأشجارها[١٨٤٦].

(١٨٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٤):ص٢٣٦٣/٧.
(١٨٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٥):ص٢٣٦٣/٧.
(١٨٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٦):ص٢٣٦٣/٧.
(١٨٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٧):ص٢٣٦٣/٧.
(١٨٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨١٨):ص٢٣٦٣/٧.
(١٨٣٥) حكاه عنه مكي بن ابي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٨٣/٦
(١٨٣٦)المسند (٤٦٩/٢).
(١٨٣٧)صحيح البخاري برقم (٦٦١٠) وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).
(١٨٣٨)المسند (٣٣٥/٢).
(١٨٣٩) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(١٨٤٠) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(١٨٤١) انظر: تفسير الطبري:٢٥/١٨.
(١٨٤٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٧/١.
(١٨٤٣) انظر: تفسير الطبري:٢٥/١٨.
(١٨٤٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٢٠):ص٢٣٦٣/٧.
(١٨٤٥) ذكره ابن أبي زمنين في "التفسير: ٦٣/٣.
(١٨٤٦) تفسير ابن كثير:١٥٩/٥.

قوله تعالى:{فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} [الكهف : ٤٠]، أي:" تصبح الحديقة أرضاً ملساء لا تثبت عليها قدم، جرداء لا نبات فيها ولا شجر"[١٨٤٧].

قال قتادة:" أي: قد حصد ما فيها فلم يترك فيها شيء"[١٨٤٨].

قال الحسن:" «الزلق»: التراب الذي لا نبات فيه"[١٨٤٩].

قال السدي:" الصعيد الأملس، والزلق: التي ليس فيها نبات"[١٨٥٠].

قوله تعالى:{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} [الكهف : ٤١]، أي:" يغور ماؤها في الأرض فيتلف كل ما فيها من الزرع والشجر، وحينئذٍ لا تستطيع طلبه فضلاً عن إعادته وردّه"[١٨٥١].

عن قتادة :"{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا}، أي: ذاهبا قد غار في الأرض"[١٨٥٢].

القرآن

{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢)} [الكهف : ٤٢]

التفسير:

وتحَقَّقَ ما قاله المؤمن، ووقع الدمار بالحديقة، فهلك كل ما فيها، فصار الكافر يُقَلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض، ويقول: يا ليتني عرفت نِعَمَ الله وقدرته فلم أشرك به أحدًا.

قوله تعالى:{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} [الكهف : ٤٢]، أي:" هلكت جنته بالكلية واستولى عليها الخراب والدمار في الزروع والثمار"[١٨٥٣].

قال السدي:" بثمر الجنتين فأهلكت"[١٨٥٤].

قال مجاهد: يعني: «ذهبا وفضة أيضا»[١٨٥٥].

قال قتادة:" الثمر من المال كله، يعني: الثمر، وغيره من المال كله"[١٨٥٦].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا} [الكهف : ٤٢]، أي:" فصار الكافر يُقَلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها"[١٨٥٧].

قال قتادة:" يصفق على ما أنفق فيها متلهفا على ما فاته"[١٨٥٨].

قال السدي:" ندامة عليها"[١٨٥٩].

قوله تعالى:{وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الكهف : ٤٢]، أي:" وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض"[١٨٦٠].

قال السدي:" قلب أسفلها أعلاها"[١٨٦١].

القرآن

(١٨٤٧) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.

(١٨٤٨) أخرجه الطبر]:٢٦/١٨.

(١٨٤٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٧/١.

(١٨٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٢):ص٢٣٦٣/٧.

(١٨٥١) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.

(١٨٥٢) أخرجه الطبري:٢٧/١٨.

(١٨٥٣) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.

(١٨٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٢):ص٢٣٦٣/٧.

(١٨٥٥) تفسير مجاهد: ٤٤٧.

(١٨٥٦) تفسير عبدالرزاق(١٦٨٥):ص٣٣٥/٢.

(١٨٥٧) التفسير الميسر:٢٩٨.

(١٨٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢١):ص٢٣٦٣/٧.

(١٨٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٢):ص٢٣٦٣/٧.

(١٨٦٠) التفسير الميسر:٢٩٨.

(١٨٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٢):ص٢٣٦٣/٧.

{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣)} [الكهف : ٤٣]

التفسير:

ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم يمنعونه مِن عقاب الله النازل به، وما كان ممتنعًا بنفسه وقوته.

قوله تعالى:{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الكهف : ٤٣]، أي:" ولم تكن له جماعة ممن افتخر بهم يمنعونه مِن عقاب الله النازل به"(١٨٦٢).

عن مجاهد:"{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، قال: عشيرته"(١٨٦٣).

قال قتادة:" {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ}، قال: عشيرة"(١٨٦٤). وروي عن مجاهد مثله(١٨٦٥).

قال قتادة:" أي: جند ينصرونه"(١٨٦٦).

وقال قتادة:" أي: جند يعينونه(١٨٦٧).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا} [الكهف : ٤٣]، أي:" وما كان ممتنعًا بنفسه وقوته"(١٨٦٨).

قال قتادة:" يعني: ممتنعا"(١٨٦٩).

القرآن

{هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)} [الكهف : ٤٤]

التفسير:

في مثل هذه الشدائد تكون الولاية والنصرة لله الحق، هو خير جزاءً، وخير عاقبة لمن تولاهم من عباده المؤمنين.

قوله تعالى:{هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ} [الكهف : ٤٤]، أي:" في مثل هذه الشدائد تكون الولاية والنصرة لله الحق"(١٨٧٠).

عن مبشر بن عبيد، قال: "الولاية لدين والولاية ما أتولى"(١٨٧١).

القرآن

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥)} [الكهف : ٤٥]

التفسير:

واضرب أيها الرسول للناس -وبخاصة ذوو الكِبْر منهم - صفة الدنيا التي اغترُّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كماء أنزله الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُخْضرًّا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا تنسفه الرياح إلى كل جهة. وكان الله على كل شيء مقتدرًا، أي: ذا قدرة عظيمة على كل شيء.

قوله تعالى:{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ} [الكهف : ٤٥]، أي:" واضرب أيها الرسول للناس مثل هذه الحياة في زوالها وفنائها وانقضائها بماءٍ نزل من السماء"(١٨٧٢).

قال عكرمة:" ينزل الله الماء من السماء السابعة فتسع القطرة منه على السحابة مثل البعير"(١٨٧٣).

(١٨٦٢) التفسير الميسر:٢٩٨.

(١٨٦٣) أخرجه الطبري:٢٨/١٨.

(١٨٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٤):ص٢٣٦٣/٧.

(١٨٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٣):ص٢٣٦٣/٧.

(١٨٦٦) أخرجه الطبري:٢٨/١٨.

(١٨٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٥):ص٢٣٦٤/٧.

(١٨٦٨) التفسير الميسر:٢٩٨.

(١٨٦٩) أخرجه الطبري:٢٨/١٨، ابن أبي حاتم(١٢٨٢٥):ص٢٣٦٤/٧.

(١٨٧٠) التفسير الميسر:٢٩٨.

(١٨٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٦):ص٢٣٦٣/٧.

(١٨٧٢) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.

(١٨٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٣):ص١٩٤١/٦.

قوله تعالى:{فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ} [الكهف : ٤٥]، أي:" فخرج به النبات وافياً غزيراً وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه"[١٨٧٤].

قال عطاء:" أما اختلط به نبات الأرض: فاختلط فنبت بالماء من كل لون"[١٨٧٥].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ} [الكهف : ٤٥]، أي:" حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا، تنسفه الرياح إلى كل جهة"[١٨٧٦].

قال الضحاك:" الهشيم: يابس الشجر الذي فيه شوك، ذلك الهشيم"[١٨٧٧].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الكهف : ٤٥]، أي:" ذا قدرة عظيمة على كل شيء"[١٨٧٨].

(١٨٧٤) صفوة التفاسير:١٧٧/٢.
(١٨٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣١٤):ص١٩٤١/٦.
(١٨٧٦) التفسير الميسر:٢٩٨.
(١٨٧٧) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٢.
(١٨٧٨) التفسير الميسر:٢٩٨.

وقال الحسن:" أي: كان مقتدرا عليه قبل كونه"[١٨٧٩].

القرآن

{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦)} [الكهف : ٤٦]

التفسير:

الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة -وبخاصة التسبيحُ والتحميد والتكبير والتهليل- أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين، وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا.

قوله تعالى:{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف : ٤٦]، أي:" الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية"[١٨٨٠].

عن عياض بن عقبة:" أنه مات له ابن يقال له: يحيي، فلما نزل في قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه. فقال: وما يمنعني إن أحتسبه؟ وكان أمس من زينة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات"[١٨٨١].

قوله تعالى:{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} [الكهف : ٤٦]، أي:" الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة -وبخاصة التسبيحُ والتحميد والتكبير والتهليل- أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين"[١٨٨٢].

عن سعيد بن جبير، قوله:"{خير عند ربك ثوابا}، قال: خير جزاء من جزاء المشركين"[١٨٨٣].

وفي قوله تعالى:{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} [الكهف : ٤٦]، وجوه:

أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله سعيد بن جبير[١٨٨٤]، وإبراهيم[١٨٨٥]، عمرو بن شُرَحبيل[١٨٨٦]، وأبو ميسرة[١٨٨٧].

الثاني : هي الكلام الطيب . قاله عطية العوفي[١٨٨٨].

الثالث : كل ما أريد به وجه الله. قاله قتادة[١٨٨٩].

الرابع: أنهنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك. قاله الحسن[١٨٩٠]، ومجاهد[١٨٩١]، وقتادة[١٨٩٢]، وعطاء بن ابي رباح[١٨٩٣]، وسعيد بن المسيب[١٨٩٤].

(١٨٧٩) حكاه عنه الزجاج في معاني القرآن:٣/٢٩١.

ثم قال الزجاج:" وقال بعضهم: " كان " من الله بمنزلة كائن ويكون.

وقول الحسن في هذا حسن جميل ومذهب سيبويه والخليل مذهب النحويين الحذاق كما وصفنا، لأنهم يقولون: إنما خوطبت العرب بلغتها ونزل القرآن بما يعقلونه ويتخاطبون به، والعرب لا تعرف كان في معنى يكون، إلا أن يدخل على الحرف آلة تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا يعرف الماضي في معنى الحال.

فهذا شرح ما في القرآن من هذا الباب نحو قوله: {وكان الله غفورا رحيما}، {وكان الله بكل شيء عليما}، وقد فسرناه قبل هذا الموضع".

(١٨٨٠) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٨٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٢٨):ص٧/٢٣٦٤.

(١٨٨٢) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٨٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٣٥):ص٧/٢٣٦٥.

(١٨٨٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.

(١٨٨٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.

(١٨٨٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.

(١٨٨٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢.

(١٨٨٨) انظر: النكت والعيون:٣/٣١٠.

(١٨٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٣٤):ص٧/٢٣٦٥.

(١٨٩٠) انظر تفسير الطبري:١٨/٣٤.

(١٨٩١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.

(١٨٩٢) انظر تفسير الطبري:١٨/٣٤.

(١٨٩٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.

(١٨٩٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٣.

عن الحسن، ومجاهد، وقتادة: أنهنّ: « سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[١٨٩٥]. دون قول«ولا حول ولا قوّة إلا بالله».

وروي عن ابي سعيد، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال:« استكثر من الباقيات الصالحات: التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١٨٩٦].

وعن ابن وهب، قال: "حدثني أبو صخر: أن عبد الله بن عبد الرحمن، مولى سالم بن عبد الله، حدثه قال: أرسلني سالم بن محمد بن كعب القُرَظي، فقال: قل له القَنِي عند زاوية القبر، فإن لي إليك حاجة، قال: فالتقيا، فسلم أحدهما على الآخر، ثم قال سالم: ما تعدّ الباقيات الصالحات؟ فقال: لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فقال له سالم: متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال: ما زلت أجعلها، قال: فراجعه مرّتين أو ثلاثا فلم ينزع، قال: فأثبت، قال سالم: أجل، فأثبت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «عُرِجَ بِي إلى السَّماءِ فَأُرِيتُ إبْرَاهِيمَ، فقالَ: يا جبْرِيلُ مَنْ هَذا مَعَكَ؟ فقالَ: مُحَمَّد، فَرَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ، ثُمَّ قالَ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْتُكْثِرْ مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ، فإنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وأرْضُها وَاسِعَةٌ، فَقُلْتُ: وَما غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ»"[١٨٩٧].

وفي روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:« لما أسرى بى مررت بإبراهيم فقال لجبريل: من هذا؟ قال: محمد، فرحب بى وسلم علي، وقال: مر أمتك يكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قلت: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا وقوة إلا بالله»[١٨٩٨].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازى ويُثاب، وإن الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} بعضا دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ظنّ ظانّ أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رواه أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنّ من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحات، ولا كلّ الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البرّ أيضا باقيات صالحات"[١٨٩٩].

قوله تعالى:{وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف : ٤٦]، أي:" وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه، فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا"[١٩٠٠].

قال قتادة:" إن لكل عامل أملا يؤمله، وأن المؤمن من خير الناس أملا"[١٩٠١].

القرآن

{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧)} [الكهف : ٤٧]

التفسير:

واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها، وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات، وجمعنا الأولين والآخِرين لموقف الحساب، فلم نترك منهم أحدًا.

قوله تعالى:{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف : ٤٧]، أي:" وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات"[١٩٠٢].

(١٨٩٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢-٣٣.

(١٨٩٦)أخرجه أحمد (٣/٧٥، رقم ١١٧٣١) ، وأبو يعلى (٢/٥٢٤، رقم ١٣٨٤) . قال الهيثمى (١٠/٨٧) : إسنادهما حسن وابن حبان (٣/١٢١، رقم ٨٤٠) ، والحاكم (١/٦٩٤، رقم ١٨٨٩) والبيهقى فى شعب الإيمان (١/٤٢٥ رقم ٦٠٥) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الدعاء (٣/١٥٦٧، رقم ١٦٩٦).

(١٨٩٧) اخرجه الطبري:١٨/٣٤.

(١٨٩٨)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١/٤٤٣، رقم ٦٥٧).

(١٨٩٩) تفسير الطبري:١٨/٣٥-٣٦.

(١٩٠٠) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٩٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٣٦):ص٧/٢٣٦٥.

(١٩٠٢) التفسير الميسر:٢٩٩.

وفي قوله تعالى:{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف : ٤٧]، وجهان:
قال مجاهد:" لا خَمْرَ فيها ولا غيابة ولا بناء، ولا حجر فيها"[١٩٠٣].
وقال مجاهد:" لا عمران فيها ولا علامة"[١٩٠٤].
وقال مجاهد:" لا حجر عليها ولا غياية"[١٩٠٥].
قال قتادة:" ليس عليها بناء ولا شجر"[١٩٠٦].

القرآن

{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨)} [الكهف : ٤٨]

التفسير:

وعُرِضوا جميعًا على ربك مصطفِّين لا يُحجب منهم أحد، لقد بعثناكم، وجئتم إلينا فرادى لا مال معكم ولا ولد، كما خلقناكم أول مرة، بل ظننتم أن لن نجعل لكم موعدًا نبعثكم فيه، ونجازيكم على أعمالكم.

قوله تعالى:{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا} [الكهف : ٤٨]، أي:" وعُرِضوا جميعًا على ربك مصطفِّين لا يُحجب منهم أحد"[١٩٠٧].

وقال السدي: "{صفا}، يعني: جميعا"[١٩٠٨].

وفي الحديث: «أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا»[١٩٠٩].

وفي رواية: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»[١٩١٠].

قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف : ٤٨]، أي:" لقد بعثناكم، وجئتم إلينا فرادى لا مال معكم ولا ولد، كما خلقناكم أول مرة"[١٩١١].

قال سعيد بن جبير:" كيوم ولد يرد عليه كل شيء نقص منه من يوم ولد"[١٩١٢].

وفي حديث عائشة-رضي الله عنها:« يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، قالت عائشة: فكيف بالعورات؟، قال: {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}[١٩١٣]»[١٩١٤].

(١٩٠٣) أخرجه الطبري:٣٦/١٨.
(١٩٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٣٧):ص٢٣٦٥/٧.
(١٩٠٥) تفسير مجاهد: ٤٤٨.
(١٩٠٦) أخرجه الطبري:٣٦/١٨.
(١٩٠٧) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩٠٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٨٩/١.
(١٩٠٩)حديث ابن مسعود: أخرجه الحاكم (١٥٥/١، رقم ٢٧٥) ، والطبرانى (١٨٤/١٠، رقم ١٠٣٩٨) . وأخرجه أيضا: أحمد (٤٥٣/١، رقم ٤٣٢٨) ، وأبو يعلى (٢٤١/٩، رقم ٥٣٥٨) قال الهيثمى (٤٠٣/١٠) : رجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق.
حديث أبى موسى: أخرجه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد (٤٠٣/١٠) . وأخرجه أيضا: فى الأوسط (٧٧/٢، رقم ١٣٠١) قال الهيثمى (٤٠٣/١٠) : فيه سويد بن عبد العزيز، وهو ضعيف جدا.
(١٩١٠)حديث بريدة: أخرجه أحمد (٣٤٧/٥، رقم ٢٢٩٩٠) ، والترمذى (٦٨٣/٤، رقم ٢٥٤٦) وقال: حسن. وابن ماجه (١٤٣٤/٢، رقم ٤٢٨٩) ، والدارمى (٤٣٤/٢، رقم ٢٨٣٥) ، وابن حبان (٤٩٨/١٦، رقم ٧٤٥٩) ، والحاكم (١٥٥/١، رقم ٢٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم.
حديث ابن عباس: أخرجه الطبرانى (٢٨٧/١٠ رقم ١٠٦٨٢) قال الهيثمى (٤٠٣/١٠) : فيه خالد بن يزيد الدمشقى، وهو ضعيف، وقد وثق.
حديث أبى موسى: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٧٠/١٠) قال الهيثمى: فيه عبد الأعلى بن أبى المساور، وهو متروك.
(١٩١١) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٦٤٠):ص١٣٤٩/٤.
(١٩١٣)[عبس: ٣٧].
(١٩١٤)أخرجه الحاكم (٦٠٨/٤، رقم ٨٦٨٤) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضا: أحمد (٨٩/٦، رقم ٢٤٦٣٢) ، والنسائى (١١٤/٤، رقم ٢٠٨٣).

وفي الحديث: «يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود»[١٩١٥].

القرآن

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)} [الكهف : ٤٩]

التفسير:

ووُضِع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله، فتبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم، ويقولون حين يعاينونه: يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة مِن أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتها؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا. ولا يظلم ربك أحدًا مثقال ذرة، فلا يُنقَص طائع من ثوابه، ولا يُزاد عاص في عقابه.

قوله تعالى:{وُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} [الكهف : ٤٩]، أي:" ووُضِع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله، فتبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم"[١٩١٦].

عن قتادة:" {وُضِعَ الْكِتَابُ}، قال: كتب أعمالهم"[١٩١٧].

وقال السدي:" الحساب"[١٩١٨].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [الكهف : ٤٩]، أي:" ويقولون حين يعاينونه: يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة مِن أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتها؟!"[١٩١٩].

قال قتادة :" اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحد ظلما، فإياكم والمحقَّرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه"[١٩٢٠].

ونظير هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل: أيحاسب الإنسان على ما يتكلم به؟ فقال- صلى الله عليه وسلم-:« وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم»[١٩٢١].

وفي معنى«الصغيرة» ها هنا وجهان :

أحدها : أنه الضحك ، قاله أبو محمد بن عبدالرحمن[١٩٢٢].

الثاني : أنها المسيس. قاله سعيد بن جبير[١٩٢٣].

عن سعيد بن جبير: {وَلَا كَبِيرَةً}، قال: الزنا"[١٩٢٤].

قوله تعالى:{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} [الكهف : ٤٩]، أي:" ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا"[١٩٢٥].

(١٩١٥)أخرجه أحمد (٤٥٦/٣ رقم ١٥٨٢١) قال الهيثمى (٥١/٧) : رجاله رجال الصحيح. والطبرانى (٧٢/١٩، رقم ١٤٢) والحاكم (٣٩٥/٢، رقم ٣٣٨٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(١٩١٦) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٩١٧) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.

(١٩١٨) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.

(١٩١٩) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٩٢٠) أخرجه الطبري:٣٨/١٨.

(١٩٢١)أخرجه الطيالسى (ص ٧٦، رقم ٥٦٠) ، وأحمد (٢٣١/٥، رقم ٢٢٠٦٩) ، والترمذى (١١/٥، رقم ٢٦١٦) ، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٣١٤/٢، رقم ٣٩٧٣) ، والحاكم (٤٤٧/٢، رقم ٣٥٤٨) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (١٣/٤، رقم ٤٢٢٥) ، والطبرانى (١٤٣/٢٠، رقم ٢٩٢).

(١٩٢٢) انظر تفسير الطبري:٣٨/١٨-٣٩.

(١٩٢٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:٧٢٦/٢.

(١٩٢٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:٧٢٦/٢.

(١٩٢٥) التفسير الميسر:٢٩٩.

قوله تعالى:{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف : ٤٩]، أي:" ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا، ولا يظلم ربك أحدًا مثقال ذرة، فلا يُنقَص طائع من ثوابه، ولا يُزاد عاص في عقابه"(١٩٢٦).

قال الضحاك:" لا نأخذ أحدًا بجرم لم يعمله"(١٩٢٧).

القرآن

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)} [الكهف : ٥٠]

التفسير:

واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بما أُمِروا به، فسجد الملائكة جميعًا، لكن إبليس الذي كان من الجن خرج عن طاعة ربه، ولم يسجد كِبرًا وحسدًا. أفتجعلونه -أيها الناس- وذريته أعوانًا لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟ قَبُحَتْ طاعة الظالمين للشيطان بدلا عن طاعة الرحمن.

قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [الكهف : ٥٠]، أي:" واذكر حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم، تحية له لا عبادة، وأمرنا إبليس بما أُمِروا به"(١٩٢٨).

عن قتادة ، قوله : {وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم}[البقرة:٣٣]، قال: "فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"(١٩٢٩).

عن السُّدّيّ ، قال : كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"(١٩٣٠).

قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف : ٥٠]، أي:" فسجد جميع الملائكة لكن إبليس الذي هو من الجن خرج عن طاعة ربه"(١٩٣١).

عن مجاهد:"{ ففسق عن أمر ربه}، قال: في السجود لآدم"(١٩٣٢).

قال مجاهد:" عصى في السجود لآدم"(١٩٣٣).

وفي قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف : ٥٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه كان من الجن على ما ذكره الله تعالى. قاله الحسن البصري(١٩٣٤)، وشَهر بن حَوْشب(١٩٣٥).

قال شهر بن حوشب:" كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة، فذهب به إلى السماء"(١٩٣٦).

قال الحسن:" ما كان إبليسُ من الملائكة طرفة عين قطّ، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم أصل الإنس"(١٩٣٧).

قال قتادة :"كان الحسن يقول في قوله:"{إلا إبليس كانَ من الجن}، ألجأه إلى نسبه"(١٩٣٨).

القول الثاني : أنه كان من الملائكة، فلما عصى الله تعالى أخرجه من صف الملائكة. وهذا قول قتادة(١٩٣٩)، ومحمد بن إسحاق(١٩٤٠).

(١٩٢٦) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٩٢٧) ذكره الواحدي في "البسيط": ٤٤/١٤، وانظر: معالم التنزيل" ٥/ ١٧٨، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٠/ ٤١٩.

(١٩٢٨) التفسير الميسر:٢٩٩.

(١٩٢٩) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.

(١٩٣٠)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١

(١٩٣١) صفوة التفاسير:١٧٨/٢.

(١٩٣٢) أخرجه الطبري: ٤٣/١٨.

(١٩٣٣) أخرجه الطبري: ٤٣/١٨.

(١٩٣٤)أنظر: تفسير الطبري(٦٩٦)، و(٦٩٧):ص٥٠٦/١.

(١٩٣٥) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٨):ص٥٠٦/١-٥٠٧.

(١٩٣٦) أخرجه الطبري: ٤٢/١٨.

(١٩٣٧) أخرجه الطبري(٦٩٦):ص٥٠٦/١.

(١٩٣٨) أخرجه الطبري(٦٩٧):ص٥٠٦/١.

(١٩٣٩) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٣):ص٥٠٤/١.

ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى: {كَانَ مِنَ الْجِنِ} [الكهف : ٥٠]، على قولين:
أحدهما : أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم «الجن». قاله قتادة[١٩٤١].
الثاني : أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدبر أمر السماء الدنيا فلذلك قيل :{من الجن} لخزانة الجنة ، كما يقال مكي وبصري. وهذا مروي سعيد بن جبير[١٩٤٢]، وسعيد بن المسيب[١٩٤٣].

قال سعيد بن المسيب:" كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا"[١٩٤٤].

عن سعيد بن جبير:" {كَانَ مِنَ الْجِنِّ}، قال: من الجنانين الذين يعملون في الجنان"[١٩٤٥].

وقال سعيد بن جبير:" كان إبليس من خزنة الجنة"[١٩٤٦].

قاله الحسن : "خلق إبليس من نار وإلى النار يعود"[١٩٤٧].

والراجح-والله أعلم- : أن إبليس لم يكن من الملائكة، وهو الصحيح، لقوة أدلته. وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم.

قوله تعالى:{أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف : ٥٠]، أي:" أفتجعلونه -أيها الناس- وذريته أعوانًا لكم تطيعونهم وتتركون طاعتي، وهم ألد أعدائكم؟"[١٩٤٨].

قال مجاهد:" ذريته: هم الشياطين، وكان يعدهم "زلنبور " صاحب الأسواق ويضع رايته في كل سوق ما بين السماء والأرض، و "ثبر" صاحب المصائب، و "الأعور" صاحب الزنا و"مسوط" صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلا و"داسم" الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه"[١٩٤٩].

قال مجاهد:" هم أربعة ثبر، وداسم، وزلنبور، والأعور، ومسوط: أحدها"[١٩٥٠].

قال ألأعمش:" إذا دخلت البيت ولم أسلم، رأيت مطهرة، فقلت: ارفعوا ارفعوا، وخاصمتهم، ثم أذكر فأقول: داسم داسم"[١٩٥١].

عن قتادة:"{فتتخذونه وذريته أولياء من دوني}، وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم، وهم لكم عدو"[١٩٥٢].

قوله تعالى:{بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، أي:" قَبُحَتْ طاعة الظالمين للشيطان بدلا عن طاعة الرحمن"[١٩٥٣].

قال قتادة :"بئسما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس"[١٩٥٤].

القرآن

{مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)} [الكهف : ٥١]

التفسير:

(١٩٤٠) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٥):ص٥٠٥/١.
(١٩٤١) انظر: تفسير الطبري(٦٩٣)، (٦٩٤):ص٥٠٤/١-٥٠٥.
(١٩٤٢) انظر: تفسير الطبري:٤٢/١٨.
(١٩٤٣) انظر: تفسير الطبري:٤٠/١٨.
(١٩٤٤) اخرجه الطبري:٤٠/١٨.
(١٩٤٥)أخرجه الطبري:٤٢/١٨.
(١٩٤٦) أخرجه الطبري: ٤٢/١٨.
(١٩٤٧)حكاه عنه الماوردي في النكت العيون:٣١٤/٣.
(١٩٤٨) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩٤٩) أخرجه الطبري: ٤٣/١٨-٤٤.
(١٩٥٠) أخرجه الطبري: ٤٤/١٨.
(١٩٥١) أخرجه الطبري: ٤٤/١٨.
(١٩٥٢) أخرجه الطبري: ٤٤/١٨.
(١٩٥٣) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩٥٤) أخرجه الطبري: ٤٤/١٨.

ما أحضرتُ إبليس وذريته -الذين أطعتموهم- خَلْقَ السموات والأرض، فأستعين بهم على خلقهما، ولا أشهدتُ بعضهم على خَلْق بعض، بل تفردتُ بخلق جميع ذلك، بغير معين ولا ظهير، وما كنت متخذ المضلّين من الشياطين وغيرهم أعوانًا. فكيف تصرفون إليهم حقي، وتتخذونهم أولياء من دوني، وأنا خالق كل شيء؟

قوله تعالى:{مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ} [الكهف : ٥١]، أي:" ما أحضرتُ إبليس وذريته -الذين أطعتموهم- خَلْقَ السموات والأرض، فأستعين بهم على خلقهما، ولا أشهدت بعضهم خلق بعض فهم عبيد أمثالكم لا يملكون شيئ"[١٩٥٥].

عن السدي:" يقول: ما أشهدت الشياطين الذين اتخذتم معي هذا"[١٩٥٦].

قوله تعالى:{وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ} [الكهف : ٥١]، أي:" ولا أشهدت بعضهم خلق بعض فهم عبيد أمثالكم لا يملكون شيئاً"[١٩٥٧].

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا} [الكهف : ٥١]، أي:" وما كنت متخذ المضلّين من الشياطين وغيرهم أعوانًا. فكيف تصرفون إليهم حقي، وتتخذونهم أولياء من دوني، وأنا خالق كل شيء؟"[١٩٥٨].

عن السدي:"{وما كنت متخذ المضلين}، قال: الشياطين، {عضدا}، قال: ولا اتخذتهم عضدا على شيء عضدوني عليه فأعانوني"[١٩٥٩].

عن قتادة قوله: "{وما كنت متخذ المضلين عضدا}، قال: أعوانا"[١٩٦٠].

القرآن

{وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢)} [الكهف : ٥٢]

التفسير:

واذكر لهم إذ يقول الله للمشركين يوم القيامة: نادوا شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي في العبادة؛ لينصروكم اليوم مني، فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم، وجعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكًا في جهنم يهلكون فيه جميعًا.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا} [الكهف : ٥٢]، أي:" وجعلنا بين العابدين والمعبودين مهلكًا في جهنم يهلكون فيه جميعًا"[١٩٦١].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا} [الكهف : ٥٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : مجلساً ، قاله الربيع[١٩٦٢].

الثاني : مهلكاً، قاله قتادة[١٩٦٣]، وعرفجة[١٩٦٤]، ومنه قول الشاعر[١٩٦٥]:

استغفر الله أعمالي التي سلفت ... من عثرةٍ إن تؤاخذني بها أبق

أي: أهلك ، ومثله قول زهير[١٩٦٦] :

ومن يشتري حسن الثناء بماله ... يصن عرضَه من كل شنعاء موبق

الثالث : عداوة ، والمعنى: جعل بينهم عداوة يوم القيامة. قاله الحسن[١٩٦٧].

(١٩٥٥) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩٥٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٣):ص٢٣٦٧/٧.
(١٩٥٧) صفوة التفاسير:١٧٨/٢.
(١٩٥٨) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩٥٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٣):ص٢٣٦٧/٧.
(١٩٦٠) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٤):ص٢٣٦٧/٧.
(١٩٦١) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩٦٢) انظر: النكت والعيون:٣١٦/٣.
(١٩٦٣) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(١٩٦٤) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(١٩٦٥) انظر: النكت والعيون:٣١٦/٣.
(١٩٦٦) انظر: النكت والعيون:٣١٦/٣، وتفسير القرطبي:٣/١١.
(١٩٦٧) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.

الرابع : أنه واد في جهنم، قاله عمرو البكالي[١٩٦٨]، ومجاهد[١٩٦٩].
قال عمرو البكالي:" واد عميق فصل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، وأهل الجنة، وأهل النار"[١٩٧٠].
وفي رواية ابن أبي حاتم عن عمرو البكالي قال: "«الموبق» الذي ذكر الله، واد في النار بعيد القعر يفرق به يوم القيامة بين أهل الإسلام، وبين من سواهم من الناس"[١٩٧١].
الخامس : أنه نهر في النار يسيل نارا، على حافتيه حيات أمثال البغال الدهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم، استغاثوا بالاقتحام في النار منها. قاله عكرمة[١٩٧٢].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن "الموبق": المهلك، وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلانا: إذا أهلكته، ومنه قول الله عز وجل: {أو يوبقهن بما كسبوا}، بمعنى: يهلكهن[١٩٧٣].

القرآن
{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)} [الكهف : ٥٣]
التفسير:
وشاهد المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة، ولم يجدوا عنها معدلا للانصراف عنها إلى غيرها.
قوله تعالى:{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} [الكهف : ٥٣]، أي:" وشاهد المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون فيها لا محالة"[١٩٧٤].
عن قتادة قوله: "{فظنوا أنهم مواقعوها}، قال: علموا"[١٩٧٥].
عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن الكافر يرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة"[١٩٧٦].

القرآن
{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)} [الكهف : ٥٤]
التفسير:
ولقد وضَّحنا ونوَّعنا في هذا القرآن للناس أنواعًا كثيرة من الأمثال؛ ليتعظوا بها ويؤمنوا. وكان الإنسان أكثر المخلوقات خصومة وجدلا.
قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف : ٥٤]، أي:" وكان الإنسان أكثر المخلوقات خصومة وجدلا"[١٩٧٧].
عن الحسن، قال: "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل نائم في المسجد فضربه برجله وقال: «قم صله» . فرفع رأسه وقال: إنما نصلي هكذا على ما قدر لي. فمضى نبي الله وهو يقول: " {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} [الكهف: ٥٤]"[١٩٧٨].
عن علي بن حسين , قال: "دخل النبي صلى الله عليه وسلم على علي وفاطمة وهما نائمان، فقال: «ألا تصلون؟»، فقال علي: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف عنهم وهو يقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} [الكهف: ٥٤]"[١٩٧٩].

(١٩٦٨) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨.
(١٩٦٩) انظر: تفسير الطبري:٤٦/١٨-٤٧.
(١٩٧٠) أخرجه الطبري:٤٦/١٨.
(١٩٧١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٥٨):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٧٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٥٩):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٧٣) تفسير الطبري:٤٧/١٨.
(١٩٧٤) التفسير الميسر:٢٩٩.
(١٩٧٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٠):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٧٦) أخرجه الطبري:٤٨/١٨.
(١٩٧٧) التفسير الميسر:٣٠٠.
(١٩٧٨) أخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٩٣/١.

وفي رواية عن على رضي الله عنه: "إن النبي صلى الله عليه وسلم- طرقه وفاطمة ليلا فقال: «ألا تصليان» فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله إن شاء إن يبعثنا بعثنا. وانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}"[١٩٨٠].

القرآن

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥)} [الكهف : ٥٥]

التفسير:

وما منع الناس من الإيمان -حين جاءهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومعه القرآن-، واستغفار ربهم طالبين عفوه عنهم، إلا تحدِّيهم للرسول، وطلبهم أن تصيبهم سنة الله في إهلاك السابقين عليهم، أو يصيبهم عذاب الله عِيانًا.

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} [الكهف : ٥٥]، أي:" إلا انتظارهم أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك"[١٩٨١].

قال قتادة:" عقوبة الأولين"[١٩٨٢].

قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا} [الكهف : ٥٥]، أي:" يأتيهم عذاب الله عياناً ومقابلة"[١٩٨٣].

عن مجاهد:قوله:{أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا}، قال:"فجأة"[١٩٨٤].

وقال قتادة:أي:"عيانا"[١٩٨٥].

وقال الأعمش:" جهارا"[١٩٨٦].

وقال السدي:" مقابلهم فينظرون إليه"[١٩٨٧].

وروي عن مجاهد :"أنه قرأ: {أو يأتيهم العذاب قبلا}، قال: قبائل"[١٩٨٨].

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)} [الكهف : ٥٧]

التفسير:

ولا أحد أشد ظلمًا ممن وُعِظ بآيات ربه الواضحة، فانصرف عنها إلى باطله، ونسي ما قدَّمته يداه من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها، إنَّا جعلنا على قلوبهم أغطية، فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير، وجعلنا في آذانهم ما يشبه الصمم، فلم يسمعوه ولم ينتفعوا به، وإن تَدْعُهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لك، ولن يهتدوا إليه أبدًا.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في المطعمين والمستهزئين"[١٩٨٩].

قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} [الكهف : ٥٧]، أي:" ولا أحد أشد ظلمًا ممن وُعِظ بآيات ربه الواضحة، فانصرف عنها إلى باطله، ونسي ما قدَّمته يداه من الأفعال القبيحة فلم يرجع عنها"[١٩٩٠].

(١٩٧٩) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره(١٦٩١):ص٣٣٦/٢.
(١٩٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨٦١):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٨١) صفوة التفاسير:١٨٠/٢.
(١٩٨٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٣):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٨٣) صفوة التفاسير:١٨٠/٢.
(١٩٨٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٥):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٨٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٦):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٨٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٧):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٨٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٨):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٨٨) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٤):ص٢٣٦٨/٧.
(١٩٨٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩١/٢.

عن قتادة:" {وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}، أي: نسي ما سلف من الذنوب الكثيرة"[١٩٩١].

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} [الكهف : ٥٧]، أي:" إنَّا جعلنا على قلوبهم أغطية، فلم يفهموا القرآن، ولم يدركوا ما فيه من الخير"[١٩٩٢].

قوله تعالى:{وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الكهف : ٥٧]، أي:" وجعلنا في آذانهم ما يشبه الصمم، فلم يسمعوه ولم ينتفعوا به"[١٩٩٣].

قال السدي:" أما {أكنة}: فالغطاء أكن قلوبهم"[١٩٩٤]. وروي عن مجاهد، وعطية، والضحاك، نحو ذلك[١٩٩٥].

عن السدي قوله: "{أن يفقهوه}: لا يفقهون الحق"[١٩٩٦]. قوله: "{في آذانهم وقرا}، قال: صمم"[١٩٩٧].

قال قتادة:" يسمعونه بآذانهم، ولا يعون منه شيئا كمثل البهيمة التي تسمع القول، ولا تدري ما يقال لها"[١٩٩٨].

القرآن

{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨)} [الكهف : ٥٨]

التفسير:

وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجَّل لهم العذاب، ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، لا مندوحة لهم عنه ولا محيد.

قوله تعالى:{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} [الكهف : ٥٨]، أي:" وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم"[١٩٩٩].

عن قتادة:"{غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٢٠٠٠]، "{رحيما}، بعباده"[٢٠٠١].

عن عطاء بن دينار: "{غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"[٢٠٠٢].

قوله تعالى:{بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا} [الكهف : ٥٨]، أي:" ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، لا مندوحة لهم عن ذلك الموعد ولا محيد"[٢٠٠٣].

عن مجاهد قوله: "{لن يجدوا من دونه موئلا}، قال: مجوزا"[٢٠٠٤].

قال قتادة:" أي: لن يجدوا من دونه وليا ولا ملجأ"[٢٠٠٥].

قال السدي:" الموعد يوم القيامة"[٢٠٠٦].

(١٩٩٠) التفسير الميسر:٣٠٠.

(١٩٩١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٦٩):ص٢٣٦٩/٧.

(١٩٩٢) التفسير الميسر:٣٠٠.

(١٩٩٣) التفسير الميسر:٣٠٠.

(١٩٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٩٠):ص١٢٧٥/٤.

(١٩٩٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧٥/٤.

(١٩٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٩١):ص١٢٧٥/٤.

(١٩٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٩٣):ص١٢٧٥/٤.

(١٩٩٨) تفسير عبدالرزاق(٨٠٥):ص٥٠/٢.

(١٩٩٩) التفسير الميسر:٣٠٠.

(٢٠٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(٢٠٠١)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٢٠٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.

(٢٠٠٣) التفسير الميسر:٣٠٠.

(٢٠٠٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٣):ص٢٣٦٩/٧.

(٢٠٠٥) أخرجه الطبري:٥٣/١٨.

(٢٠٠٦) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧١):ص٢٣٦٩/٧.

القرآن

{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩)} [الكهف : ٥٩]

التفسير:

وتلك القرى القريبة منكم -كقرى قوم هود وصالح ولوط وشعيب- أهلكناها حين ظلم أهلها بالكفر، وجعلنا لهلاكهم ميقاتًا وأجلا حين بلغوه جاءهم العذاب فأهلكهم الله به.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} [الكهف : ٥٩]، أي:" وجعلنا لهلاكهم ميقاتًا وأجلا حين بلغوه جاءهم العذاب فأهلكهم الله به"(٢٠٠٧).

عن مجاهد:" {وجعلنا لمهلكهم موعدا}، قال: أجلا"(٢٠٠٨).

القرآن

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)} [الكهف : ٦٠]

التفسير:

واذكر حين قال موسى لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمنًا طويلا حتى أصل إلى العبد الصالح؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} [الكهف : ٦٠]، أي:" واذكر حين قال موسى لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين"(٢٠٠٩).

قال سعيد بن جبير: "قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم إن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل: قال ابن عباس: كذب عدو الله! ... حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب، كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا تجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم..."(٢٠١٠).

وفي :{مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} [الكهف : ٦٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مجمع النهرين: « الكُرّ والرَّسّ»(٢٠١١)، حيث يصبان في البحر. قاله السدي(٢٠١٢).

الثاني: أن المراد بـ«مجمع البحرين»: الخضرُ وإلياس ، وهما بحران في العلم ، حكاه الماوردي عن السدي(٢٠١٣).

قلت: وهذا القول ضعيف، لا يقتضيه اللفظ -والله أعلم-.

الثالث: يعني: بحر الروم وبحر فارس أحدهما قبل المشرق، والآخر قبل المغرب. قاله مجاهد(٢٠١٤)، وقتادة(٢٠١٥).

قال قتادة:" بحر فارس والروم، هما بحر المشرق والمغرب"(٢٠١٦).

عن محمد بن كعب القرظي: "{مجمع البحرين}، قال: طنجة"(٢٠١٧).

قوله تعالى:{أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} [الكهف : ٦٠]، أي:" أو أسير زماناً إلى أن أبلغ ذلك المكان"(٢٠١٨).

وفي قوله تعالى:{أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} [الكهف : ٦٠]، وجهان:

(٢٠٠٧) التفسير الميسر:٣٠٠.

(٢٠٠٨)تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٧٣):ص٢٣٦٩/٧ .

(٢٠٠٩) التفسير الميسر:٣٠٠.

(٢٠١٠) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٥):ص٢٣٧٠/٧-٢٣٧١، وانظر: المصدر نفسه(١٢٨٧٦)، (١٢٨٧٧):ص٢٣٧١/٧-٢٣٧٣. وانظر: الدر المنثور: ٥/ ٤١٠- ٤١٢- ٤١٣.

(٢٠١١)كذا في «فتح الباري» ٨: ٤١٠، و «معجم البلدان» ٣: ٤٤ .

(٢٠١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٨٧):ص٢٣٧٦/٧.

(٢٠١٣) انظر: النكت والعيون:٣٢٢/٣.

(٢٠١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٨.

(٢٠١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٨.

(٢٠١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٨٥):ص٢٣٧٥/٧.

(٢٠١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٨٧):ص٢٣٧٦/٧، وتفسير الطبري:٥٦/١٨.

(٢٠١٨) صفوة التفاسير:١٨١/٢.

أحدهما : أنه سبعين خريف، قاله مجاهد[٢٠١٩].
الثاني : أن «الحقب» الزمان، قاله قتادة[٢٠٢٠].
وقرأ أبو رزين، والحسن، وأبو مجلز، وقتادة، والجحدري، وابن يعمر: «حقبا» بإسكان الكاف[٢٠٢١].

القرآن
{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)} [الكهف : ٦١]
التفسير:
وجَدَّا في السَّيْر، فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسيا حوتهما الذي أُمر موسى بأخذه معه قوتًا لهما، وحمله يوشع في مِكْتَل، فإذا الحوت يصبح حيًّا وينحدر في البحر، ويتخذ له فيه طريقًا مفتوحًا.
قوله تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا} [الكهف : ٦١]، أي:" فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسيا حوتهما الذي أُمر موسى بأخذه معه قوتًا لهما"[٢٠٢٢].
عن مجاهد : قوله "{مجمع بينهما}، قال: بين البحرين، {نسيا حوتهما}، قال: أضلاه في البحر"[٢٠٢٣].
قوله تعالى:{فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} [الكهف : ٦١]، أي:" فاتخذ الحوت سبيله في البحر مسلكاً"[٢٠٢٤].
عن مجاهد :"{فاتخذ سبيله في البحر سربا}، قال: الحوت اتخذ"[٢٠٢٥].
قال سعيد بن جبير:" أثره يابس في البحر كأنه في حجر"[٢٠٢٦].
قال قتادة:" سرب من الجر[٢٠٢٧] حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك، فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا"[٢٠٢٨].

القرآن
{فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢)} [الكهف : ٦٢]
التفسير:
فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لخادمه: أحضر إلينا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا.
قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا} [الكهف : ٦٢]، أي:" فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لخادمه: أحضر إلينا غداءنا"[٢٠٢٩].
قال سعيد بن جبير:" كان مملوحا[أي: الحوت] مشقوق البطن"[٢٠٣٠].

القرآن
{قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)} [الكهف : ٦٣]
التفسير:

(٢٠١٩) انظر: تفسير الطبري:٥٦/١٨.
(٢٠٢٠) انظر: تفسير الطبري:٥٧/١٨.
(٢٠٢١) انظر: زاد المسير:٩٦/٣.
(٢٠٢٢) التفسير الميسر:٣٠٠.
(٢٠٢٣) أخرجه الطبري:٥٧/١٨، وابن أبي حاتم(١٢٨٨٩):ص٢٣٧٦/٧.
(٢٠٢٤) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٢٠٢٥) أخرجه الطبري:٥٨/١٨.
(٢٠٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨٩٠):ص٢٣٧٦/٧.
(٢٠٢٧)لعل المراد بالجر هنا: الوهدة من الأرض، كما في (اللسان: جر).
(٢٠٢٨) أخرجه البري:٥٩/١٨.
(٢٠٢٩) التفسير الميسر:٣٠١.
(٢٠٣٠) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٠):ص٢٣٧٦/٧.

قال له خادمه: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان، فإن الحوت الميت دبَّتْ فيه الحياة، وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقًا، وكان أمره مما يُعْجَبُ منه.

قوله تعالى:{وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} [الكهف : ٦٣]، أي:" واتخذ الحوتُ طريقة في البحر وكان أمره عجباً"[٢٠٣١].

عن مجاهد، قوله: "{في البحر عجبا}، قال: موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها، فوجد عندها خضرا"[٢٠٣٢].

قال قتادة:" أتي الحوت على عين في البحر يقال لها: عين الحياة، فلما أصاب تلك العين رد الله إليه روحه"[٢٠٣٣].

القرآن

{قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)} [الكهف : ٦٤]

التفسير:

قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح، فرجعا يقصان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى الصخرة.

قوله تعالى:{قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ} [الكهف : ٦٤]، أي:" قال موسى: ما حصل هو ما كنا نطلبه، فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح"[٢٠٣٤].

قال مجاهد:" قال موسى: فذلك حين أخبرت أني واجد خضرا حيث يفوتني الحوت"[٢٠٣٥]. وفي لفظ:" حيث يفارقني الحوت"[٢٠٣٦].

قوله تعالى:{فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} [الكهف : ٦٤]، أي:" فرجعا يقصان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى الصخرة"[٢٠٣٧].

عن قتادة:" {فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}، قال: عودهما على بدئهما"[٢٠٣٨].

قال مجاهد:" اتبع موسى وفتاه أثر الحوت، فشقا البحر راجعين"[٢٠٣٩].

قال مجاهد:" اتباع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر، وموسى وفتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الحوت في البحر، ودوراته التي غاب فيها"[٢٠٤٠].

القرآن

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)} [الكهف : ٦٥]

التفسير:

فوجدا هناك عبدًا صالحًا من عبادنا هو الخَضِر -عليه السلام - ، آتيناه رحمة من عندنا، وعَلَّمْناه مِن لدنَّا علمًا عظيمًا.

قوله تعالى:{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا} [الكهف : ٦٥]، أي:" فوجدا هناك عبدًا صالحًا من عبادنا هو الخَضِر -عليه السلام -"[٢٠٤١].

قال قتادة:" لقيا رجلا عالما يقال له: خضر"[٢٠٤٢].

(٢٠٣١) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٢٠٣٢) اخجره الطبري:٦٠/١٨.
(٢٠٣٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٧):ص٢٣٧٧/٧
(٢٠٣٤) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٢٠٣٥) أخرجه الطبري: ٦١/١٨.
(٢٠٣٦) أخرجه الطبري: ٦٢/١٨.
(٢٠٣٧) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.
(٢٠٣٨) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٨):ص٢٣٧٧/٧
(٢٠٣٩) أخرجه الطبري: ٦٢/٢٨.
(٢٠٤٠) أخرجه الطبري: ٦٢/٢٨.
(٢٠٤١) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.

قال قتادة:" فلقيا رجلا عالما يقال له الخضر، فذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما سمي الخضر خضرا لأنه قعد على فروة بيضاء، فاهتزت به خضراء"[٢٠٤٣].

قال عكرمة:" إنما سمي :«الخضر»، لأنه كان إذا جلس في مكان أخضر ما حوله، وكانت ثيابه خضرا"[٢٠٤٤].

قال السدي:" إنما سمي :«الخضر»، لأنه إذا قام في مكان نبت العشب تحت رجليه حتى يغطي قدميه"[٢٠٤٥].

قوله تعالى:{وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف : ٦٥]، أي:" وعَلَّمْناه مِن لدنَّا علمًا عظيمًا"[٢٠٤٦].

قال قتادة:" أي: من عندنا علما"[٢٠٤٧].

عن سعيد بن جبير، قال: "جلست فأسند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب، فقال بعضهم: يا أبا العباس، إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب، أن موسى النبي الذي طلب العالم، إنما هو موسى بن ميشا، قال سعيد، قال ابن عباس: أنوف يقول هذا؟ قال سعيد: فقلت له نعم، أنا سمعت نوفا يقول ذلك، قال: أنت سمعته يا سعيد؟ قال: قلت: نعم، قال: كذب نوف، ثم قال ابن عباس: حدثني أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن موسى هو نبي بني إسرائيل سأل ربه فقال: أي رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فادللني عليه، فقال له: نعم في عبادي من هو أعلم منك، ثم نعت له مكانه، وأذن له في لقيه، فخرج موسى معه فتاه ومعه، حوت مليح، وقد قيل له: إذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك، فخرج موسى ومعه فتاه، ومعه ذلك الحوت يحملانه، فسار حتى جهده السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء، ماء الحياة، من شرب منه خلد. ولا يقاربه شيء ميت إلا حيي، فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي، فاتخذ سبيله في البحر سربا، فانطلقا، فلما جاوزا منقلبه قال موسى: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال الفتى وذكر: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا" قال ابن عباس: فظهر موسى على الصخرة حين انتهيا إليها، فإذا رجل متلفف في كساء له، فسلم موسى، فرد عليه العالم، ثم قال له: وما جاء بك؟ إن كان لك في قومك لشغل؟ قال له موسى: جئتك لتعلمني مما علمت رشدا، {قال إنك لن تستطيع معي صبرا} ، وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك، فقال موسى: بلى قال: {وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا}: أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم {قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا}، وإن رأيت ما يخالفني، قال :{فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء}، وإن أنكرته، {حتى أحدث لك منه ذكرا}، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، يتعرضان الناس، يلتمسان من يحملهما، حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها، فسألا أهلها أن يحملوهما، فحملوهما، فلما اطمأنا فيها، ولجت بهما مع أهلها، أخرج منقارا له ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحا فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها. قال له موسى ورأى أمرا فظع به: {أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت}: أي ما تركت من عهدك {ولا ترهقني من أمري عسرا}، ثم خرجا من السفينة، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها، فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه، ولا أثرى ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجرا، قال: فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله، قال: فرأى موسى أمرا فظيعا لا صبر عليه، صبي صغير لا ذنب له {قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس}، أي: صغيرة بغير نفس {لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا} : أي: قد أعذرت في شأني {فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض} فهدمه، ثم قعد يبنيه، فضجر موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر، فقال: {لو شئت لاتخذت عليه أجرا}، أي: قد

(٢٠٤٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٩٦):ص٢٣٧٧/٧.

(٢٠٤٣) أخرجه الطبري:٧٩/١٨-٨٠. وفي "عرائس المجالس" للثعلبي المفسر ص ٢٢٠ طبعة الحلبي: "فإذا هي تهتز تحته خضراء".

(٢٠٤٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٨٩٩):ص٢٣٧٧/٧.

(٢٠٤٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٠):ص٢٣٧٧/٧.

(٢٠٤٦) صفوة التفاسير:١٨٢/٢.

(٢٠٤٧) أخرجه الطبري:٦٢/١٨.

استطعمناهم فلم يطعمونا، وضفناهم فلم يضيفونا، ثم قعدت في غير صنيعة، ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله {قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا}، وفي قراءة أبي بن كعب: كل سفينة صالحة، وإنما عبتها لأرده عنها، فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها. {وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري} : أي ما فعلته عن نفسي {ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا}، فكان ابن عباس يقول: ما كان الكنز إلا علما"[٢٠٤٨].

القرآن

{قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦)} [الكهف : ٦٦]

التفسير:

فسلَّم عليه موسى، وقال له: أتأذن لي أن أتبعك؛ لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع؟

قال قتادة: "لو كان أحد مكتفيًا من العلم لاكتفى موسى نبي الله حيث قال: {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ}"[٢٠٤٩].

القرآن

{قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)} [الكهف : ٦٧]

التفسير:

قال له الخَضِر: إنك -يا موسى- لن تطيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي.

القرآن

{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)} [الكهف : ٧١]

التفسير:

فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم، فلما ركبا قَلَعَ الخَضِر لوحًا من السفينة فخرقها، فقال له موسى: أَخَرَقْتَ السفينة؛ لتُغرق أهلها، وقد حملونا بغير أجر؟ لقد فعلت أمرًا منكرًا.

قوله تعالى:{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا} [الكهف : ٧١]، أي:" فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم، فلما ركبا قَلَعَ الخَضِر لوحًا من السفينة فخرقها"[٢٠٥٠].

قال السدي:" إنما كانت معبرا في ماء «الكر» فرسخ في فرسخ"[٢٠٥١].

قوله تعالى:{قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} [الكهف : ٧١]، أي:" فقال له موسى: أخرقت السفينة لتغرق الركاب؟ لقد فعلت أمرًا منكرًا"[٢٠٥٢].

وفي قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} [الكهف : ٧١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: منكراً ، قاله مجاهد[٢٠٥٣].

الثاني : نكرا. قاله قتادة [٢٠٥٤].

(٢٠٤٨) أخرجه الطبري:١٨/٦٦-٦٧.

(٢٠٤٩) ذكره الواحدي في "البسيط": ١٤/٨٣، وانظر: روح البيان" ١٥/ ٢٧٤، "مجمع البيان" ٦/ ٤٤٦.

(٢٠٥٠) التفسير الميسر:٣٠١.

(٢٠٥١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠١):ص٢٣٧٨/٧.

(٢٠٥٢) صفوة التفاسير:١٨٣/٢.

(٢٠٥٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٢).:ص٢٣٧٨/٧

(٢٠٥٤) أخرجه الطبري: ٧٢/١٨.

الثالث: عجباً ، قاله قتادة–أيضا- [٢٠٥٥].

قال قتادة:" أي عجبا، إن قوما لججوا سفينتهم فخرقتها، كأحوج ما نكون إليها، ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبي الله موسى ذلك من علم الله الذي آتاه، وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام: {فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا}"[٢٠٥٦].

الرابع: عظيما. قاله أبو الصخر[٢٠٥٧].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية ومن طريق حماد بن زيد، عن شيب بن الحجاب قالا: "كان الخضر عبدا لا تراه الأعين، إلا من أراد الله إن يريه إياه فلم يره من القوم إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة وبين قتل الغلام. قال حماد: وكانوا يرون إن موت الفجأة من ذلك"[٢٠٥٨].

القرآن

{قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)} [الكهف : ٧٣]

التفسير:

قال موسى معتذرًا: لا تؤاخذني بنسياني شرطك عليَّ، ولا تكلفني مشقةً في تعلُّمي منك، وعاملني بيسر ورفق.

قوله تعالى:{وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} [الكهف : ٧٣]، أي:" ولا تكلفني مشقةً في تعلُّمي منك، وعاملني بيسر ورفق"[٢٠٥٩].

عن الضحاك:" لا تعنفني على ما تركت من وصيتك"[٢٠٦٠].

القرآن

{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)} [الكهف : ٧٤]

التفسير:

فقبل الخَضِر عذره، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرا غلامًا يلعب مع الغلمان، فقتله الخَضِر، فأنكر موسى عليه وقال: كيف قتلت نفسًا طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف، ولم تقتل نفسًا، حتى تستحق القتل بها؟ لقد فَعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا.

قوله تعالى:{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ} [الكهف : ٧٤]، أي:" فقبل الخَضِر عذره، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرا غلامًا يلعب مع الغلمان، فقتله الخَضِر"[٢٠٦١].

قال سعيد بن عبد العزيز :" كان غلاما ابن عشرين سنة "[٢٠٦٢].

وقال مجاهد: "لم يبلغ الحلم"[٢٠٦٣].

قال سعيد بن جبير:" وجد خضر غلمانا يلعبون، فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين"[٢٠٦٤].

قال شعيب الجبئي: "اسم الغلام الذي قتله الخضر: جيسور"[٢٠٦٥].

(٢٠٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/١٨، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٢).:ص٢٣٧٨/٧. وعزاه الماوردي إلى مقاتل، ولم أجده في تفسيره.

(٢٠٥٦) أخرجه الطبري: ٧٢/١٨.

(٢٠٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٢).:ص٢٣٧٨/٧

(٢٠٥٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٥):ص٢٣٧٨/٧.

(٢٠٥٩) التفسير الميسر:٣٠١.

(٢٠٦٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٢٨/٣.

(٢٠٦١) التفسير الميسر:٣٠١.

(٢٠٦٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٦):ص٣٣٧٨/٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٤٢٥/٥.

(٢٠٦٣) ذكره الواحدي في "البسيط": ٩١/١٤، وانظر: معالم التنزيل" ٥/ ١٩١، و"الكشف والبيان" ٣/ ٣٩١ ب، و"زاد المسير" ٥/ ١٧٢

(٢٠٦٤) أخرجه الطبري:٧٥/١٨.

(٢٠٦٥) أخرجه الطبري:٧٥/١٨.

قال أبو العالية: "كان الخضر عبدًا لا تراه الأعين، ورآه موسى، ولو رآه الناس يقتله ما تركوه"[٢٠٦٦].

قوله تعالى:{قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} [الكهف : ٧٤]، أي:" قال موسى: أقتلت نفساً طاهرةً لم ترتكب جرماً ولم تقتل نفساً حتى تقتل به"[٢٠٦٧].

واختلف في قوله تعالى:{قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً} [الكهف : ٧٤]، على وجوه:

أحدها : أن «الزاكية»: التائبة، قاله الحسن[٢٠٦٨]، وقتادة[٢٠٦٩]، والضحاك[٢٠٧٠]، وعطية[٢٠٧١].

الثاني : أن «الزاكية»، أي: المسلمة، لأن الغلام المقتول رجل. وهذا قول سعيد بن جبير[٢٠٧٢].

الثالث : أن «الزاكية»: التي لم يحل دمها ، قاله أبو عمرو بن العلاء[٢٠٧٣] .

الرابع : أنها التي لم تبلغ الخطايا ، قاله سعيد بن جبير-أيضا-[٢٠٧٤].

وروي عن ابن أبي مليكة قال:" سئل ابن عباس عن الولدان في الجنة، قال: حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر"[٢٠٧٥].

الخاميس: أن «الزاكية» التي لم تذنب ، و«الزكية»: التي أذنبت ثم تابت فغفر لها، قاله أبو عمرو بن العلاء-أيضا- [٢٠٧٦].

قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف : ٧٤]، أي:" لقد فَعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا"[٢٠٧٧].

وفي قوله تعالى:{لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف : ٧٤]، وجهان:

أحدهما : أن «النكر» أشد من «الإمْر»، قاله قتادة[٢٠٧٨].

الثاني: أن «النكر» أنكر من «العجب». قاله قتادة أيضا [٢٠٧٩].

القرآن

{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)} [الكهف : ٧٧]

التفسير:

فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية، فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، فوجدا فيها حائطًا مائلا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا، قال له موسى: لو شئت لأخذت على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يضيفونا.

(٢٠٦٦) ذكره الواحدي في "البسيط": ٩٠/١٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٢٠، "فتح القدير" ٣/ ٤٣٦ وقال رحمه الله: وأقول ينبغي أن ينظر من أين له هذا؟ فإن لم يكن مستندًا إلاّ قوله: ولو رآه القوم .. الخ , فليس ذلك بموجب لما ذكره، أما أولاً: فإن من الجائز أن يفعل ذلك من غير أن يراه أهل السفينة وأهل الغلام، لا لكونه لا تراه الأعين بل لكونه فعل ذلك من غير إطلاعهم. وأما ثانيًا: فيمكن أن أهل السفينة وأهل الغلام قد عرفوه وعرفوا أنه لا يفعل ذلك إلا بأمر من الله كما يفعل الأنبياء، فسلموا لأمر الله.

وانظر: "أضواء البيان" للشنقيطي ٤/ ١٧٣.

(٢٠٦٧) صفوة التفاسير:١٨٣/٢.

(٢٠٦٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ٧٥، والدر المنثور:٤٢٦/٥.

(٢٠٦٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ٧٥، والدر المنثور:٤٢٦/٥.

(٢٠٧٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ٧٥، والدر المنثور:٤٢٦/٥.

(٢٠٧١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٩):ص٢٣٧٨/٧.

(٢٠٧٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٧):ص٢٣٧٨/٧.

(٢٠٧٣) انظر: النكت والعيون:٣٢٩/٣.

(٢٠٧٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٠٧):ص٢٣٧٨/٧.

(٢٠٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١١):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٧٦) انظر: النكت والعيون:٣٣٠/٣.

(٢٠٧٧) التفسير الميسر:٣٠١.

(٢٠٧٨) انظر: تفسير الطبري:٧٦/١٨.

(٢٠٧٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٩١٠):ص٢٣٧٨/٧.

قوله تعالى:{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا} [الكهف : ٧٧]، أي:" فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية، فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما"(٢٠٨٠).

وفي الحديث : "حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما"(٢٠٨١)، قال ابن كثير:" أي : بخلاء"(٢٠٨٢).

قال أيوب بن موسى: "بلغني إن المسألة للمحتاج حسنة، ألا تسمع إن موسى وصاحبه استطعما أهلها؟"(٢٠٨٣).

قال قتادة:" شر القرى التي لا تضيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه"(٢٠٨٤).

وفي هذه القرية، أقوال:

أحدها : أنها «أنطاكية». ذكره قتادة(٢٠٨٥).

قال قتادة: وحدثني رجل أنها إنطاكية"(٢٠٨٦).

الثاني : أنها الأيلة، قاله محمد بن سيرين(٢٠٨٧).

قال محمد بن سيرين:" انتابوا الأيلة، فإنه قل من يأتيها فيرجع منها خائبا، وهي الأرض التي أبوا أن يضيفوهما، وهي أبعد أرض الله من السماء"(٢٠٨٨).

الثالث: أنها «باجروان» بإرمينية ، قاله السدي(٢٠٨٩).

قال السدي:" كان أهلها لئاما"(٢٠٩٠).

قوله تعالى:{فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ} [الكهف : ٧٧]، أي:" فوجدا فيها حائطًا مائلا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْله حتى صار مستويًا"(٢٠٩١).

عن السدي قوله: {يريد إن ينقض}، قال: يسقط"(٢٠٩٢).

قال سعيد بن جبير:" رفع الجدار بيده فاستقام"(٢٠٩٣).

القرآن

{قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)} [الكهف : ٧٨]

التفسير:

قال الخَضِر لموسى: هذا وقت الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما أنكرت عليَّ من أفعالي التي فعلتها، والتي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

قوله تعالى:{سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف : ٧٨]، أي:" سأخبرك بما أنكرت عليَّ من أفعالي التي فعلتها، والتي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها"(٢٠٩٤).

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "قال عمر بن الخطاب- ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهم بهذا الحديث حتى فرغ من القصة-: «يرحم الله موسى، وددنا لو صبر حتى يقص علينا من حديثهما»(٢٠٩٥).

(٢٠٨٠) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٢٠٨١)رواه أحمد في مسنده (١١٩/٥) من طريق أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، رضي الله عنهما.

(٢٠٨٢) تفسير ابن كثير:١٨٤/٥.

(٢٠٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٥):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٨٤) أخرجه الطبري:٧٨/١٨.

(٢٠٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٤):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٤):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٨٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩١٣):ص٢٣٧٩/٧، وتفسير الطبري:٧٨/١٨. وفيه«الأيلة».

(٢٠٨٨) أخرجه الطبري:٧٨/١٨.

(٢٠٨٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩١٢):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٢):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٩١) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٢٠٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٦):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩١٧):ص٢٣٧٩/٧.

(٢٠٩٤) التفسير الميسر:٣٠٢.

القرآن

{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)} [الكهف : ٧٩]

التفسير:

أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت لأناس محتاجين -لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم- يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق؛ لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها.

قوله تعالى:{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} [الكهف : ٧٩]، أي:" أما السفينة التي خرقتها فإنها كانت لأناس محتاجين -لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم- يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق"(٢٠٩٦).

عن مجاهد:" {فأردت إن أعيبها}، قال: أخرقها"(٢٠٩٧).

قوله تعالى:{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف : ٧٩]، أي:" لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها"(٢٠٩٨).

قال ابن جريج:" فإذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها"(٢٠٩٩).

روي عن شعيب الجَبَئِيّ :"أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا: هُدَدُ بنُ بُدد"(٢١٠٠).

قال سعيد بن جبير: "وكان ابن عباس يقرأ:«وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا»"(٢١٠١).

قال قتادة:" كانت تقرأ في الحرف الأول: «كل سفينة صالحة غصبا»، قال: وكان لا يأخذ إلا خيار السفن"(٢١٠٢).

القرآن

{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠)} [الكهف : ٨٠]

التفسير:

وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن، فخشينا لو بقي الغلام حيًا لحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتهما إياه أو للحاجة إليه.

قوله تعالى:{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} [الكهف : ٨٠]، أي:" وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن"(٢١٠٣).

عن شعيب الجبائي قال: "كان اسم الغلام الذي قتله الخضر: جيسور"(٢١٠٤).

وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس، أنه: " كان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين»"(٢١٠٥).

قوله تعالى:{فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} [الكهف : ٨٠]، أي:" فخشينا لو بقي الغلام حيًا لحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتهما إياه أو للحاجة إليه"(٢١٠٦).

(٢٠٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩١٨):ص٢٣٧٩/٧.
(٢٠٩٦) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢٠٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٠):ص٢٣٧٩/٧.
(٢٠٩٨) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢٠٩٩) أخرجه الطبري:٨٤/١٨.
(٢١٠٠) أخرجه الطبري:٨٤/١٨.
(٢١٠١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٥):ص٢٣٧٠/٧-٢٣٧١.
(٢١٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٢٢):ص٢٣٨٠/٧.
(٢١٠٣) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢١٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٣):ص٢٣٨٠/٧.
(٢١٠٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٨٧٥):ص٢٣٧٠/٧-٢٣٧١.
(٢١٠٦) التفسير الميسر:٣٠٢.

قال سعيد بن جبير:" خشينا إن يحملهما حبه على إن يتابعاه على دينه"[٢١٠٧].
قال مطر:" لو بقي كان فيه بوارهما واستئصالهما"[٢١٠٨].
قال مطرف بن الشخير: "إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما. فرضي رجل بما قسم الله له فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وقضاء الله لك فيما تكره خير من قضائه لك فيما تحب"[٢١٠٩].
وفي الحديث : " عجبت للمؤمن إن الله لم يقض له قضاء إلا كان خيرا له"[٢١١٠].
قال قتادة:" هي في مصحف عبد الله: «فخاف ربك إن يرهقهما طغيانا وكفرا»"[٢١١١].

القرآن

{فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)} [الكهف : ٨١]

التفسير:

فأردنا أن يُبْدِل الله أبويه بمن هو خير منه صلاحًا وديـنًا وبرًا بهما.

قوله تعالى:{فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً} [الكهف : ٨١]، أي:" فأردنا أن يُبْدِل الله أبويه بمن هو خير منه صلاحًا وديـنًا"[٢١١٢].

قال عمرو بن قس:" بلغني أنها جارية"[٢١١٣].

قال سعيد بن جبير ويعقوب بن عاصم:" أُبدِلا مكان الغلام جارية"[٢١١٤].

عن عطية قوله: "{خيرا منه زكاة}، قال: دينا"[٢١١٥].

وروي عن ابن جريج، قوله: {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً}، قال: الإسلام"[٢١١٦].

قال قتادة:" كانت أمه حُبلى يومئذ بغلام مسلم"[٢١١٧].

وقال قتادة:" قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب"[٢١١٨].

قوله تعالى:{وَأَقْرَبَ رُحْمًا} [الكهف : ٨١]، أي:" وأبرّ بوالديه"[٢١١٩].

قال الحسن:" يعني: برا"[٢١٢٠].

قال قتادة:" أي: أقرب خيرا"[٢١٢١].

عن عطية قوله: "{وأقرب رحما}، قال: مودة. فأبدلا جارية ولدت نبيا"[٢١٢٢].

وروي عن ابن جريج :"{وَأَقْرَبَ رُحْمًا}، أرحم به منهما بالذي قتل الخضر"[٢١٢٣].

القرآن

(٢١٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٦):ص٢٣٨٠/٧.
(٢١٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٧):ص٢٣٨٠/٧.
(٢١٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٨):ص٢٣٨٠/٧.
(٢١١٠)أخرجه أحمد (١١٧/٣، رقم ١٢١٨١) قال الهيثمى (٢١٠/٧) : رجاله ثقات. وهناد (٢٣٧/١، رقم ٣٩٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٨٩/٧، رقم ٩٩٥١) ، والضياء (١٩٤/٥، رقم ١٨١٥) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٢٢١/٧، رقم ٤٢١٨).
(٢١١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٢٥):ص٢٣٨٠/٧.
(٢١١٢) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢١١٣) أخرجه الطبري:٨٦/١٨.
(٢١١٤) أخرجه الطبري:٨٦/١٨.
(٢١١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٢٩):ص/٢٣٨٠.
(٢١١٦) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٢١١٧) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٢١١٨) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٢١١٩) أخرجه الطبري عن قتادة:٨٧/١٨.
(٢١٢٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:٢٠٠/١.
(٢١٢١) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.
(٢١٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٢٩):ص/٢٣٨٠.
(٢١٢٣) أخرجه الطبري:٨٧/١٨.

{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)} [الكهف : ٨٢]

التفسير:

وأما الحائط الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار، وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة، وكان أبوهما رجلا صالحًا، فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغا قوتهما، ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك بهما، وما فعلتُ يا موسى جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله، ذلك الذي بَيَّنْتُ لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبرًا على ترك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

قوله تعالى:{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا} [الكهف : ٨٢]، أي:" وأما الحائط الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار، وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة"[٢١٢٤].

وفي هذا «الكنز»، ثلاثة أقوال:

أحدها : صحف فيها علم مدفونة، قاله سعيد بن جبير[٢١٢٥]، ومجاهد[٢١٢٦]،

قال مجاهد:" صحف لغلامين فيها علم"[٢١٢٧].

الثاني : لوح من ذهب مكتوب فيه حِكَم، قاله الحسن[٢١٢٨]، وجعفر بن محمد[٢١٢٩]، وعمر بن عبد الله المدني[٢١٣٠].

قال الحسن:" لوح من ذهب مكتوب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: عجبت لمن يؤمن كيف يحزن، وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها، كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله»"[٢١٣١].

قال عمر مولى غفرة[٢١٣٢]:" إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف {وكان تحته كنز لهما}، قال: كان لوحا من ذهب مصمت، مكتوبا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، عجب من عرف الموت ثم ضحك، عجب من أيقن بالقدر ثم نصب، عجب من أيقن بالموت، ثم أمن، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله»"[٢١٣٣].

عن هنادة ابنة مالك الشيبانية، قالت: "سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عز وجل: {وكان تحته كنز لهما}، قال: سطران ونصف، لم يتم الثالث: «عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب، عجبت للموقن بالحساب كيف يغفل، وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح». وقد قال: {وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}، قالت: وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان نساجا"[٢١٣٤].

الثالث : كنز مال مذخور من ذهب وفضة، قاله عكرمة[٢١٣٥]، وقتادة[٢١٣٦].

(٢١٢٤) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٢١٢٥) انظر: تفسير الطبري:٨٨/١٨.

(٢١٢٦) انظر: تفسير الطبري:٨٨/١٨.

(٢١٢٧) أخرجه الطبري:٨٨/١٨.

(٢١٢٨) انظر: تفسير الطبري:٨٩/١٨.

(٢١٢٩)أانظر: تفسير الطبري:٨٨/١٨-٨٩.

(٢١٣٠) انظر: تفسير الطبري:٨٩/١٨.

(٢١٣١) أخرجه الطبري:٨٩/١٨.

(٢١٣٢)عمر بن عبد الله المدني، مولى غفرة، بضم المعجمة، قيل: هي أخت بلال بن رباح. توفي سنة ١٤٥ هـ (الخزرجي) .

(٢١٣٣) أخره الطبري:٨٩/١٨.

(٢١٣٤)أخرجه الطبري:٨٨/١٨-٨٩.

(٢١٣٥) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٨.

(٢١٣٦) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٨.

قال قتادة:" مال لهما، أحل الكنز لمن كان قبلنا، وحرم علينا، فإن الله يحل من أمره ما يشاء، ويحرم، وهي السنن والفرائض، ويحل لأمة، ويحرم على أخرى، لكن الله لا يقبل من أحد مضى إلا الإخلاص والتوحيد له"[٢١٣٧].

وهذا ظاهر السياق من الآية، والذي ذكره هؤلاء الأئمة [أي: أن الكنز: صحف فيها علم]، وورد به الحديث المتقدم[٢١٣٨] وإن صح، لا ينافي قول عكرمة : أنه كان مالا لأنهم ذكروا أنه كان لوحًا من ذهب ، وفيه مال جزيل ، أكثر ما زادوا أنه كان مودعًا فيه علم، وهو حكم ومواعظ ، والله أعلم[٢١٣٩].

والصواب-والله أعلم- هو القول الثاني، "لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وإن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك"[٢١٤٠].

قوله تعالى:{وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} [الكهف : ٨٢]، أي:" وكان أبوهما رجلا صالحًا"[٢١٤١].

قال سعيد بن جبير:"{وكان أبوهما صالحا}، قال: كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها"[٢١٤٢].

عن جعفر بن محمد: " ذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان نساجا"[٢١٤٣].

قوله تعالى:{فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا} [الكهف : ٨٢]، أي:" فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغا قوتهما، ويستخرجا كنزهما"[٢١٤٤].

وفي تفسير «الأشد» في قوله تعالى:{أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} [الأنعام : ١٥٢] [الكهف : ٨٢]، أقوال:

أحدها : أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات ، قاله ربيعة[٢١٤٥]، وزيد بن أسلم[٢١٤٦]، ومالك[٢١٤٧]، وعامر[٢١٤٨].

الثاني :أنه خمس عشرة سنة. وهذا قول محمد بن قيس[٢١٤٩].

الثالث:أنه ثماني عشرة سنة ، وهذا قول سعيد بن جبير[٢١٥٠].

الرابع: أنه خمس وعشرون سنة. قاله عكرمة[٢١٥١]، وهو اختيار أبي حنيفة[٢١٥٢].

قال ابن العربي: "وعجبا من أبي حنيفة، فإنه يرى أن المقدرات لا تثبت قياسا ولا نظرا وإنما تثبت نقلا، وهو يثبتها بالأحاديث الضعيفة، ولكنه سكن دار الضرب فكثر عنده المدلس، ولو سكن المعدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه إلا إبريز الدين"[٢١٥٣].

(٢١٣٧) أخرجه الطبري:٩٠/١٨.

(٢١٣٨)مسند البزار برقم (٢٢٢٩) "كشف الأستار" وقد روى موقوفا من طرق عن ابن عباس وعلى ، رضي الله عنهما ، لكن أسانيدها ضعيفة.

عن أبي ذر رضي الله عنه ، رفعه قال : "إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه : لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب ؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضَحِك ؟ وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله".

في سنده: بشر بن المنذر هذا يقال له : قاضي المصيصة. قال الحافظ أبو جعفر العقيلي : في حديثه وهم.

ميزان الاعتدال (٣٢٥/٢).

(٢١٣٩) تفسير ابن كثير:١٨٥/٥.

(٢١٤٠) تفسير الطبري:٩٠/١٨.

(٢١٤١) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٢١٤٢) تفسير ابن أبي حاتم:٢٣٧٥/٧. غير مرقم بالمطبوع!

(٢١٤٣) أخرجه الطبري: ٨٨/١٨-٨٩، وذكره الواحدي في "البسيط": ١٢٦/١٤، وانظر: معالم التنزيل" ٥/ ١٩٦، "المحرر الوجيز" ٩/ ٣٨٤، "الكشاف" ٢/ ٤٠٠، "زاد المسير" ٥/ ١٢٧.

(٢١٤٤) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٢١٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥١):ص٢٢٣/١٢.

(٢١٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.

(٢١٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.

(٢١٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٣):ص٢٢٣/١٢.

(٢١٤٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٢):ص١٤٢٠/٥.

(٢١٥٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٩):ص١٤١٩/٥-١٤٢٠.

(٢١٥١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩١):ص١٤٢٠/٥.

(٢١٥٢) انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.

الخامس: أن الأشُد: ثلاثون سنة ، قاله السدي[٢١٥٤].
السادس:أن الأشد: ثلاث وثلاثون سنة. وهذا مروي عن مجاهد[٢١٥٥]، وقتادة[٢١٥٦].
السابع: أنه أربعون سنة. وهذا قول الحسن[٢١٥٧].
الثامن: أنه حتى يعقل وتجتمع قوته. قاله أبو العالية[٢١٥٨].

والظاهر أن «الأشُدّ»: جمع «شَدٍّ»: أي: القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما :شَدُّ النهار، ارتفاعه وامتداده. يقال : أتيته شدَّ النهار ومدَّ النهار، وذلك حين امتداده وارتفاعه; وكان المفضل ينشد بيت عنترة[٢١٥٩] :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا... خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ

ومنه قول الآخر [٢١٦٠]:

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةٌ ... طَوِيلَةُ أَنْقَاءِ اليَدَيْنِ سَحُوقُ [٢١٦١]

قوله تعالى:{رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} [الكهف : ٨٢]، أي:" :" فعلت فعل هذا بالجدار رحمةً من الله بهما لصلاح أبيهما، وما فعلتُ يا موسى جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله"[٢١٦٢].

قال قتادة:" كان عبدا مأمورا، فمضى لأمر الله"[٢١٦٣].

عن ابن إسحاق: "{وما فعلته عن أمري}، ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي"[٢١٦٤].

القرآن

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣)} [الكهف : ٨٣]

التفسير:

ويسألك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون من قومك عن خبر ذي القرنين الملك الصالح، قل لهم: سأقصُّ عليكم منه ذِكْرًا تتذكرونه، وتعتبرون به.

سبب النزول:

قال السدي:" قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين أنك سمعت ذكرهم منا، فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد. قال: ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين. قال: ما بلغني عنه شيء. فخرجوا فرحين وقد غلبوا في أنفسهم، فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا}"[٢١٦٥].

عن عمر مولى غفرة قال: "دخل بعض أهل الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فقالوا: يا أبا القاسم، كيف تقول في رجل كان يسيح في الأرض؟ قال: لا علم لي به. فبينما هم على ذلك إذ

(٢١٥٣) أحكام القرآن:٧٦١/٢.
(٢١٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٤):ص٢٢٣/١٢-٢٢٣.
(٢١٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢١٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢١٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٧):ص١٤١٩/٥.
(٢١٥٨) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
(٢١٥٩)من معلقته المشهورة ، وهذا البيت من أبيات وصف فيها بطلا مثله ، يقول قبله :
لَمَّا رَآنِي قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ
فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ
و"اللبان" الصدر . و"العظلم" ، صبغ أحمر . يصفه قتيلا سال دمه ، فخصب رأسه وأطرافه ، لا حراك به ..
(٢١٦٠) لم أتعرف على قائله، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري:٢٢٢/١٢.
-الظعينة-، يعني زوجته . "الأنقاء" جمع "نقو" -بكسر فسكون-، وهو كل عظم فيه مخ ، كعظام اليدين والساقين ، وامرأة "سحوق": طويلة كأنها نخلة مستوية قد انجرد عنها كربها .
(٢١٦١) انظر: تفسير الطبري:٢٢٢/١٢-٢٢٣.
(٢١٦٢) التفسير الميسر:٣٠٢.
(٢١٦٣) أخرجه الطبري:٩١/١٨.
(٢١٦٤) أخرجه الطبري:٩١/١٨.
(٢١٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٣٥):ص٢٣٨١/٧.

سمعوا نقيضا في السقف، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غمة الوحي، ثم سري عنه فتلا: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ}، الآية. فلما ذكر «السد»، قالوا: أتاك خبره يا أبا القاسم، حسبك"[٢١٦٦].

قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ} [الكهف : ٨٣]، أي:" ويسألك -أيها الرسول- هؤلاء المشركون من قومك عن خبر ذي القرنين الملك الصالح"[٢١٦٧].

روي عن محمد بن إسحاق:" أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني، من ولد يونن بن يافث بن نوح"[٢١٦٨].

واختلف في سبب تسميته بـ«ذي القرنين» على أقوال :

أحدها: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. قاله وهب بن منبه[٢١٦٩].

الثاني: لأنه ملك الروم وفارس. حكاه وهب بن منبه[٢١٧٠].

الثالث: لأنه كان في رأسه شبه القرنين. حكاه وهب بن منبيه أيضا[٢١٧١].

الرابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر، قاله الحسن[٢١٧٢].

قوله تعالى:{قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف : ٨٣]، أي:" قل لهم: سأقصُّ عليكم منه ذِكْرًا تتذكرونه، وتعتبرون به"[٢١٧٣].

واختلفوا هل كان نبيا، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان نبيا، قاله الضحاك بن مزاحم[٢١٧٤].

الثاني: أنه كان ملكا. وهب بن منبه[٢١٧٥]

قال السدي: "كان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين بلغ السدين وكان نذيرا، لم أسمع بحق أنه كان نبيا"[٢١٧٦].

عن الأحوص بن حكيم عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال: "هو ملك مسح الأرض بالإحسان"[٢١٧٧].

وأخرج ابن أبي حاتم عن بكر بن مضر أن هشام بن عبد الملك سأله عن ذي القرنين: أكان نبيا فقال: لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كان فيه: كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد"[٢١٧٨].

وفي زمان كونه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه كان بعد ثمود، قاله الحسن[٢١٧٩].

ويقال: "كان عمره ألفا وستمائة سنة[٢١٨٠].

الثاني: أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، قاله وهب[٢١٨١].

القرآن

(٢١٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٣٦):ص٢٣٨١/٧.

(٢١٦٧) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٢١٦٨) أخرجه الطبري:١٠٤/١٨.

(٢١٦٩) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.

(٢١٧٠) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.

(٢١٧١) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.

(٢١٧٢) انظر: زاد المسير:١٠٥/٣.

(٢١٧٣) التفسير الميسر:٣٠٢.

(٢١٧٤) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.

(٢١٧٥) انظر: تفسير الطبري:٩٣/١٨.

(٢١٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٣٩)..:ص٢٣٨٢/٧

(٢١٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٣٨)..:ص٢٣٨٢/٧

(٢١٧٨) تفسير ابن أبي حاتم:٢٣٨٢/٧. الخبر غير مرقم بالمطبوع!

(٢١٧٩) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.

(٢١٨٠) زاد المسير:١٠٦/٣.

(٢١٨١) انظر: زاد المسير:١٠٦/٣.

{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤)} [الكهف : ٨٤]

التفسير:

إنا مكَّنَّا له في الأرض، وآتيناه من كل شيء أسبابًا وطرقًا، يتوصل بها إلى ما يريد مِن فَتْح المدائن وقهر الأعداء وغير ذلك.

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، أي:" وآتيناه من كل شيء أسبابًا وطرقًا، يتوصل بها إلى ما يريد مِن فَتْح المدائن وقهر الأعداء وغير ذلك"[٢١٨٢].

وفي قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، وجوه:

أحدها : من كل شيء علماً ينتسب به إلى إرادته ، قاله قتادة[٢١٨٣]، والضحاك[٢١٨٤]، وابن جريج[٢١٨٥].

قال ابن جريج:" علم كل شيء"[٢١٨٦].

عن سعيد بن أبي هلال رضي الله عنه، إن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: "تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثنايا؟ قال له كعب رضي الله عنه: إن كنت قلت ذاك فإن الله قال: {وآتيناه من كل شيء سببا}"[٢١٨٧].

الثاني : بلاغا بحاجته. قاله الحسن[٢١٨٨].

الثالث : منازل الأرض وأعلامها. قاله قتادة[٢١٨٩].

وقال مجاهد:" منزلا وطرفا من المشرق إلى المغرب"[٢١٩٠].

القرآن

{فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)} [الكهف : ٨٥]

التفسير:

فأخذ بتلك الأسباب والطرق بجد واجتهاد.

وفي {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف : ٨٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : طرق الأرض ومعالمها. قاله الحسن[٢١٩١].

الثاني: أن «السبب»، المنزل. قاله الضحاك[٢١٩٢].

وقال قتادة: "اتبع منازل الأرض ومعالمها"[٢١٩٣].

الثالث : يعني: طرقاً بين المشرق والمغرب ، قاله مجاهد[٢١٩٤].

القرآن

{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)} [الكهف : ٨٦]

التفسير:

(٢١٨٢) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢١٨٣) انظر: تفسير الطبري:٩٤/١٨.

(٢١٨٤) انظر: تفسير الطبري:٩٤/١٨.

(٢١٨٥) انظر: تفسير الطبري:٩٤/١٨.

(٢١٨٦)أخرجه الطبري:٩٤/١٨ .

(٢١٨٧) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤٣):ص٢٣٨٣/٧.

(٢١٨٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٠١/١.

(٢١٨٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٩٤٤):ص٢٣٨٣/٧.

(٢١٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٤٥):ص٢٣٨٣/٧.

(٢١٩١) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٠١/١.

(٢١٩٢) انظر: تفسير الطبري:٩٤/١٨.

(٢١٩٣) أخرجه الطبري:٩٥/١٨.

(٢١٩٤) انظر: تفسير الطبري:٩٥/١٨.

حتى إذا وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس وجدها في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغربها قومًا. قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذبهم بالقتل أو غيره، إن لم يقروا بتوحيد الله، وإما أن تحسن إليهم، فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف : ٨٦]، أي:" حتى إذا وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس، وجد الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود"[٢١٩٥].

وفي قوله تعالى:{وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف : ٨٦]، وجوه:

أحدها : يعني: طينة سوداء. قاله كعب[٢١٩٦]، ومجاهد[٢١٩٧].

نافع بن أبي نعيم، قال:" سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول: كان ابن عباس يقول :«في عين حمئة» ثم فسرها. ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب، فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء"[٢١٩٨].

عن عثمان بن حاضر، قال: "سمعت عبد الله بن عباس يقول: قرأ معاوية هذه الآية، فقال: «عين حامية»، فقال ابن عباس: إنها عين حمئة، قال: فجعلا كعبا بينهما، قال: فأرسلا إلى كعب الأحبار، فسألاه، فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب في ثأط، فكانت على ما قال ابن عباس، والثأط: الطين"[٢١٩٩].

قال ابن أبي حاضر:" لو أني عندكما أيدتك بكلام وتزداد به بصيرة في حمئة. قال ابن عباس: وما هو؟ قلت: فيما نأثر قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم وإتباعه إياه:

قد كان ذو القرنين عمرو مسلما ... ملكا تدين له الملوك وتحسد

فأتى المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب ملك من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال ابن عباس: ما الخلب؟ قلت: الطين بكلامهم. قال: فما الثاط؟ قلت: الحمأة. قال: فما الحرمد؟ قلت: الأسود. فدعا ابن عباس رضي الله عنهما غلاما فقال له: اكتب ما يقول هذا الرجل"[٢٢٠٠].

الثالث: يعني: تغرب في عين حارة. وهذا مروي عن الحسن[٢٢٠١].

وفي قراءة معاوية، وقرأ عمرو بن العاص وابن الزبير والحسن« فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ»[٢٢٠٢].

قال كعب: "ما سمعت أحدا يقرؤها كما في كتاب الله غير ابن عباس، فإنا نجدها في التوراة «تغرب في حمئة سوداء»" [٢٢٠٣].

قوله تعالى:{وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا} [الكهف : ٨٦]، أي:" ووجد عند مغربها قومًا"[٢٢٠٤].

قال ابن جريج:" مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا أصوات أهلها لسمع الناس دوي الشمس حين تجب"[٢٢٠٥].

قال سعد بن أبي صالح:" لولا لغط أهل الرومية سمع الناس وجبة الشمس حين تقع"[٢٢٠٦].

القرآن

{قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧)} [الكهف : ٨٧]

التفسير:

(٢١٩٥) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢١٩٦) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٨.

(٢١٩٧) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٨.

(٢١٩٨) أخرجه الطبري:٩٦/١٨.

(٢١٩٩) أخرجه الطبري:٩٦/١٨.

(٢٢٠٠)أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٤٨):ص٢٣٨٤/٧ .

(٢٢٠١) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٨.

(٢٢٠٢) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٨.

(٢٢٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٤٩):ص٢٣٨٤/٧.

(٢٢٠٤) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٢):ص٢٣٨٤/٧.

(٢٢٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٣):ص٢٣٨٥/٧.

قال ذو القرنين: أمَّا مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه، فسوف نعذبه في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه، فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم.

قوله تعالى:{قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ} [الكهف : ٨٧]، أي:" قال ذو القرنين: أمَّا مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه، فسوف نعذبه في الدنيا"[٢٢٠٧].

عن الضحاك:" {أما من ظلم}، قال: من اشرك"[٢٢٠٨].

عن قتادة: "{فسوف نعذبه}، قال: القتل"[٢٢٠٩].

قال السدي:" كان عذابه إن يجعلهم في بقر من صفر، ثم توقد تحتهم النار حتى يتقطعوا فيها"[٢٢١٠].

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)} [الكهف : ٨٨]

التفسير:

وأما مَن آمن منهم بربه فصدَّق به ووحَّده وعمل بطاعته فله الجنة ثوابًا من الله، وسنحسن إليه، ونلين له في القول ونيسِّر له المعاملة.

قوله تعالى:{وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} [الكهف : ٨٨]، أي:" وسنحسن إليه، ونلين له في القول ونيسِّر له المعاملة"[٢٢١١].

عن مجاهد:"{وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}، قال: معروفا"[٢٢١٢].

القرآن

{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩)} [الكهف : ٨٩]

التفسير:

ثم رجع ذو القرنين إلى المشرق متبعًا الأسباب التي أعطاه الله إياها.

قال قتادة:" منازل الأرض ومعالمها"[٢٢١٣].

القرآن

{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠)} [الكهف : ٩٠]

التفسير:

حتى إذا وصل إلى مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم، ولا شجر يظلهم من الشمس.

قوله تعالى:{وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا} [الكهف : ٩٠]، أي:" الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم، ولا شجر يظلهم من الشمس"[٢٢١٤].

قال سعيد بن جبير:" تطلع على قوم حمر قصار، ماكنهم الغيران، فيلقى لهم سمك أكثر معيشتهم"[٢٢١٥].

قال ابن جريج:"حدثت عن الحسن عن سمرة بن جندب ... قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: {لم نجعل لهم من دونها سترا}، أنها لم يبن فيها بناء قط، كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس"[٢٢١٦].

(٢٢٠٧) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٥):ص٢٣٨٥/٧.

(٢٢٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٦):ص٢٣٨٥/٧.

(٢٢١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٧):ص٢٣٨٥/٧.

(٢٢١١) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٥٩):ص٢٣٨٦/٧.

(٢٢١٣) أخرجه الطبري: ٩٩/١٨.

(٢٢١٤) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٦٥):ص٢٣٨٧/٧.

(٢٢١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٦٠):ص٢٣٨٦/٧.

قال الحسن:" كانت أرضا لا تحتمل البناء، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغور في الماء، فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم، قال: ثم قال الحسن: هذا حديث سمرة"[٢٢١٧].

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه البناء، وإنما يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت عنهم الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم"[٢٢١٨]. قال قتادة:" يقال: هم الزنج"[٢٢١٩].

قال ابن جريج:" لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل، وجاءهم جيش مرّة، فقال لهم أهلها: لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ها هنا فماتوا، قال: فذهبوا هاربين في الأرض"[٢٢٢٠].

عن سلمة بن كهيل في الآية قال: "ليست لهم أكناف، إذا طلعت الشمس طلعت عليهم، ولأحدهم أذنان يفترش واحدة ويلبس الأخرى"[٢٢٢١].

القرآن

{كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)} [الكهف : ٩١]

التفسير:

كذلك وقد أحاط عِلْمُنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة، حيثما توجَّه وسار.

قوله تعالى:{وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا} [الكهف : ٩١]، أي:" وقد أحاط عِلْمُنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة، حيثما توجَّه وسار"[٢٢٢٢].

عن مجاهد، قوله: "{خُبْرًا}، قال: علما"[٢٢٢٣].

القرآن

{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢)} [الكهف : ٩٢]

التفسير:

ثم سار ذو القرنين آخذًا بالطرق والأسباب التي منحناها إياه.

قال قتادة:" منازل الأرض ومعالمها"[٢٢٢٤].

القرآن

{حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣)} [الكهف : ٩٣]

التفسير:

حتى إذا وصل إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما، وجد من دونهما قومًا، لا يكادون يعرفون كلام غيرهم.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} [الكهف : ٩٣]، أي:" حتى إذا وصل إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما"[٢٢٢٥].

عن قتادة، في قوله :"{بين السدين}، قال: هما جبلان"[٢٢٢٦].

(٢٢١٧) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(٢٢١٨) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(٢٢١٩) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(٢٢٢٠) أخرجه الطبري:١٠٠/١٨.
(٢٢٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٦٣):ص٢٣٨٦/٧.
(٢٢٢٢) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢٢٢٣) أخرجه الطبري:١٠١/١٨.
(٢٢٢٤) أخرجه الطبري: ٩٩/١٨.
(٢٢٢٥) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢٢٢٦) أخرجه الطبري: ١٠٣/١٨.

روي عن عكرمة، قال:"ما كان من صنعة بني آدم فهو «السَّدُّ»، -يعني بالفتح-، وما كان من صنع الله فهو «السدّ»"[٢٢٢٧].

القرآن

{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)} [الكهف : ٩٤]

التفسير:

قالوا يا ذا القرنين: إنَّ يأجوج ومأجوج -وهما أمَّتان عظيمتان من بني آدم- مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يحول بيننا وبينهم؟

قوله تعالى:{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} [الكهف : ٩٤]، أي:" قالوا يا ذا القرنين: إنَّ يأجوج ومأجوج -وهما أمَّتان عظيمتان من بني آدم- مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل"[٢٢٢٨].

عن السدي:{مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}، يعني: " قاتلين الناس في الأرض"[٢٢٢٩].

قال حبيب الأرجاني:" كان فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس"[٢٢٣٠].

قال سعيد بن عبد العزيز:" كانوا يأكلون الناس"[٢٢٣١]،

قال قتادة:" إن الله جزأ الإنس عشرة أجزاء، تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس"[٢٢٣٢].

روي عن سَمُرَة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "وَلَدُ نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك"[٢٢٣٣].

قال بعض العلماء : "هؤلاء من نسل يافث أبي الترك ، قال : إنما سموا هؤلاء تركًا ؛ لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة ، وإلا فهم أقرباء أولئك ، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة"[٢٢٣٤].

أخرج الطبري بسنده محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول، أنه كان يقول: ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر. وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس؛ فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عزّ وجل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله؛ ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج. فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر، فأمة يقال لها: تاويل؛ فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يَقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثني إليها، بأيّ قوة أكابدهم، وبأيّ جمع أكاثرهم، وبأيّ حيلة أكايدهم، وبأيّ صبر أقاسيهم، وبأيّ لسان أناطقهم، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم، وبأيّ سمْع أعي قولهم، وبأيّ بصر أنفذهم، وبأيّ حجة أخاصمهم، وبأيّ قلب أعقل عنهم، وبأيّ حكمة أدبر أمرهم، وبأيّ قسط أعدل بينهم، وبأيّ حلم أصابرهم، وبأيّ معرفة أفصل بينهم، وبأيّ علم أتقن أمورهم، وبأيّ يد أسطو عليهم، وبأيّ رجل أطؤهم، وبأيّ طاقة أخصمهم، وبأيّ جند أقاتلهم، وبأيّ رفق أستألفهم، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم. وأنت الربّ الرحيم. الذي لا يكلّف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها (١) وترحمها.

(٢٢٢٧) أخرجه الطبري:١٠٢/١٨.

(٢٢٢٨) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٢٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٠٤/١.

(٢٢٣٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧١):ص٢٣٨٨/٧.

(٢٢٣١) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٨.

(٢٢٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٦٩):ص٢٣٨٨/٧.

(٢٢٣٣) المسند:٩/٥.

(٢٢٣٤) تفسير ابن كثير:١٩٥/٥.

قال الله عزّ وجلّ: إني سأطوّقك ما حمَّلتك، أشرح لك صدرك، فيسع كلّ شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء، وأبسط لك لسانك، فتنطق بكلّ شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كلّ شيء، وأمدّ لك بصرك، فتنفذ كلّ شيء، وأدبر أمرك فتتقن كلّ شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشدّ لك ظهرك، فلا يهدّك شيء، وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشدّ لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشدّ لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كلّ شيء، وأشدّ لك وطأتك، فتهدّ كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء.

ولما قيل له ذلك، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوبا متفرّقة، فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كلّ مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم قي مكان واحد، ثم أخذ عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صدّ، فعمد إلى الذين تولوا عنه. فأدخل عليهم الظلمة.فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كلّ جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجنَّد من أهل المغرب أمما عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل. وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل عملا أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كلّ إنسان لوحا فلا يكرثه حمله، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنودا، كفعله في الأمتين اللتين قبلها، ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله؛ فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس، ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدوابّ والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكلّ ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدّة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شكّ أنهم سيملئون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمرّ بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) أعدوا إليّ الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم.

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها. وأحناك كأحناك الإبل، قوّة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرّة من الإبل، أو كقضم الفحل المسنّ، أو الفرس القويّ، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تَسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كلّ سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرّت عليهم الإناث، وشَبِقت منهم الرجال الذكور، وإذا

أخطأهم هَزَلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعَون تداعي الحَمام، ويعوُون عُواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقَوا تسافد البهائم.

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصَّدَفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد بُعد ما بينهما مئة فرسخ؛ فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يُصبّ عليه، فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشَرّفه بزُبَر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عِرْقا من نحاس أصفر، فصار كأنه بُرد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحقّ وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبُّون، ولا يقتتلون، ولا يَقْحَطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظّ، ولا غليظ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه! وقال: أخبروني، أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم؛ قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا إلا أمين مؤتمن؛ قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم، قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر؛ قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا؛ قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا؛ قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحّت صدورنا، فنزع بذلك الغلّ والحسد من قلوبنا؛ قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية؛ قال: فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذّل والتواضع؛ قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل؛ قال: فما بالكم لا تُقْحَطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تَحْرَدون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم، قال: حدِّثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويُواسون فقراءهم، ويَعفون عمن ظلمهم، ويُحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلُمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدّون آماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويُوَفُّون بعهودهم، ويصدُقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم"[٢٢٣٥].

قوله تعالى:{فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف : ٩٤]، أي:" فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يحول بيننا وبينهم؟"[٢٢٣٦].

عن قتادة: {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا}: قال: "جعلا"[٢٢٣٧].

القرآن

{قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)} [الكهف : ٩٥]

التفسير:

(٢٢٣٥) تفسير الطبري:١٠٥/١٨-١٠٩.

(٢٢٣٦) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٣٧) ذدره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٠٤/١.

قال ذو القرنين: ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي مِن مالكم، فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًا.

قوله تعالى:{فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} [الكهف : ٩٥]، أي:" فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًا"[٢٢٣٨].

عن مجاهد:" {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ}، قال: برجال"[٢٢٣٩].

قال السدي:" يعني: عددا من الرجال"[٢٢٤٠].

قال قتادة:" ذكر لنا أن رجلا، قال: يا نبي الله قد رأيت سدّ يأجوج ومأجوج؟ قال انْعَتْهُ لي، قال: كأنه البرد المحبَّر، طريقة سوداء، وطريقة حمراء، قالَ قَدْ رأيتَهُ"[٢٢٤١].

القرآن

{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)} [الكهف : ٩٦]

التفسير:

أعطوني قطع الحديد، حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين، قال للعمال: أجِّجوا النار، حتى إذا صار الحديد كله نارًا، قال: أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه.

قوله تعالى:{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} [الكهف : ٩٦]، أي:" أعطوني قطع الحديد"[٢٢٤٢].

وفي قوله تعالى:{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} [الكهف : ٩٦]، وجهان:

أحدهما : أنها قطع الحديد ، قاله مجاهد[٢٢٤٣]، وقتادة-في رواية-[٢٢٤٤]. ومنه قوله: {فتقطعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً}، يعني: "قطعا"[٢٢٤٥].

الثاني : أنه فلق الحديد ، قاله قتادة[٢٢٤٦].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا} [الكهف : ٩٦]، أي:" حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين، قال للعمال: أجِّجوا النار"[٢٢٤٧].

عن مجاهد، قوله: "{الصَّدَفَيْنِ}، رؤوس الجبلين"[٢٢٤٨].

عن الضحاك: قوله :"{بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}، يعني الجبلين، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان"[٢٢٤٩].

عن قتادة :"{حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}، وهما الجبلان"[٢٢٥٠].

عن إبراهيم أنه قرأها :"{ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}، منصوبة الصاد والدال، وقال: بين الجبلين"[٢٢٥١].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} [الكهف : ٩٦]، أي:" حتى إذا صار الحديد كله نارًا، قال: أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه"[٢٢٥٢].

عن الضحاك:" {أفرغ عليه قطرا}، يعني: النحاس"[٢٢٥٣].

(٢٢٣٨) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٣٩) أخرجه الطبري:١١٣/١٨.

(٢٢٤٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٠٤/١.

(٢٢٤١) اخرجه الطبري:١١٣/١٨.

(٢٢٤٢) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٤٣) انظر: تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(٢٢٤٤) انظر: تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(٢٢٤٥) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٤٢.

(٢٢٤٦) انظر: تفسير الطبري:١١٤/١٨.

(٢٢٤٧) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٤٨) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.

(٢٢٤٩) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.

(٢٢٥٠) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.

(٢٢٥١) أخرجه الطبري:١١٥/١٨.

(٢٢٥٢) التفسير الميسر:٣٠٣.

(٢٢٥٣) أخرجه الطبري: ١١٧/١٨.

قال مجاهد:" القطر: النحاس"[٢٢٥٤].
قال قتادة:" أي: النحاس ليلزمه به"[٢٢٥٥].
قال عكرمة:" نحاسا ليلزم بعضه بعضا"[٢٢٥٦].

القرآن
{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)} [الكهف : ٩٧]
التفسير:
فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته.
قوله تعالى:{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ} [الكهف : ٩٧]، أي:" فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته"[٢٢٥٧].
عن قتادة:"{ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ}، قال: ما استطاعوا أن ينزعوه"[٢٢٥٨].
وعن قتادة:" {أَنْ يَظْهَرُوهُ}، قال: أن يرتقوه"[٢٢٥٩].
عن ابن جريج :{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ}، قال: يعلوه"[٢٢٦٠].
قوله تعالى:{وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف : ٩٧]، أي:" وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته"[٢٢٦١].
عن قتادة:"{ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}، أي: من أسفله"[٢٢٦٢].
عن ابن جريج :{وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}، أي: ينقبوه من أسفله"[٢٢٦٣].

القرآن
{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)} [الكهف : ٩٨]
التفسير:
قال ذو القرنين: هذا الذي بنيته حاجزًا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض، وكان وعد ربي حقًّا.
قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ} [الكهف : ٩٨]، أي:" فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض"[٢٢٦٤].
قال عكرمة:" جعله طريقا كما كان"[٢٢٦٥].
روي عن قتادة، قوله :"{فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء}، قال: لا أدري الجبلين يعني به، أو ما بينهما"[٢٢٦٦].
قوله تعالى:{وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف : ٩٨]، أي:" وكان وعده تعالى بخراب السدِّ وقيام الساعة كائناً لا محالة"[٢٢٦٧].

(٢٢٥٤) انظر: تفسير الطبري:١١٦/١٨.
(٢٢٥٥)أخرجه الطبري:١١٧/١٨ .
(٢٢٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٩٨١):ص٢٣٨٩/٧.
(٢٢٥٧) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢٢٥٨) أخرجه الطبري:١١٧/١٨.
(٢٢٥٩) أخرجه الطبري:١١٨/١٨.
(٢٢٦٠) أخرجه الطبري:١١٨/١٨.
(٢٢٦١) التفسير الميسر:٣٠٣.
(٢٢٦٢) أخرجه الطبري:١١٧/١٨.
(٢٢٦٣) أخرجه الطبري:١١٨/١٨.
(٢٢٦٤) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٢٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٨٦):ص٢٣٨٩/٧.
(٢٢٦٦)أخرجه الطبري:١١٩/١٨ .
(٢٢٦٧) صفوة التفاسير:١٨٩/٢.

عن السدي قال: قال علي بن أبي طالب: "إن يأجوج ومأجوج خلف السد، لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف لصلبه، وهم يغدون كل يوم على السد فيلحسونه وقد جعلوه مثل قشر البيض، فيقولون: نرجع غدا ونفتحه، فيصبحون وقد عاد إلى ما كان عليه قبل إن يلحس، فلا يزالون كذلك حتى يولد فيهم مولود مسلم، فإذا غدوا يلحسون قال لهم: قولوا بسم الله، فإذا قالوا بسم الله فأرادوا إن يرجعوا حين يمسون، فيقولون: نرجع غدا فنفتحه. فيصبحون وقد عاد إلى ما كان عليه فيقول: قولوا: إن شاء الله. فيقولون: إن شاء الله. فيصبحون وهو مثل قشر البيض فينقبونه فيخرجون منه على الناس، فيخرج أول من يخرج منهم سبعون ألفا عليهم التيجان، ثم يخرجون من بعد ذلك أفواجا فيأتون على النهر مثل نهركم هذا- يعني الفرات- فيشربونه حتى لا يبقى منه شيء، ثم يجيء الفوج منهم حتى ينتهوا إليه فيقولون: لقد كان هاهنا ماء مرة، وذلك قول الله :«فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء» و«الدك»: التراب، {وكان وعد ربي حقا}"[٢٢٦٨].

قال كعب: "إن يأجوج ومأجوج ينقرون السد بمناقرهم، حتى إذا كادوا إن يخرقوه قالوا: نرجع إليه غدا فنفرغ منه، فيرجعون إليه وقد عاد كما كان، فيرجعون فهم كذلك، وإذا بلغ الأمر ألقي على بعض ألسنتهم يقولون: نأتي إن شاء الله غدا، فنفرغ منه فيأتونه وهو كما هو فيخرقونه فيخرجون، فيأتي أولهم على البحيرة فيشربون ما كان فيها من ماء، ويأتي أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من الطين، ويأتي آخرهم عليها فيقولون: قد كان هاهنا مرة ماء. فيرمون بسهامهم نحو السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون: قهرنا من في الأرض، وظهرنا على من في السماء، فيدعو عليهم عيسى بن مريم فيقول: اللهم لا طاقة لنا بهم ولا يد، فاكفناهم بما شئت. فيبعث الله عليهم دودا يقال له النغف، فيأخذهم في أقفائهم فيقتلهم حتى تنتن الأرض من ريحهم، ثم يبعث الله عليهم طيرا فتنقل أبدانهم إلى البحر، ويرسل الله إليهم السماء أربعين يوما فينبت الأرض، حتي إن الرمانة لتشبع أهل البيت"[٢٢٦٩].

القرآن

{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)} [الكهف : ٩٩]

التفسير:

وتركنا يأجوج ومأجوج -يوم يأتيهم وَعْدُنا- يموج بعضهم في بعض مختلطين؛ لكثرتهم، ونفخ في «القرن» للبعث، فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} [الكهف : ٩٩]، أي:" وتركنا يأجوج ومأجوج - يوم يأتيهم وَعْدُنا- يموج بعضهم في بعض مختلطين؛ لكثرتهم"[٢٢٧٠].

أخرج الطبري عن هارون بن عنترة، عن شيخ من بني فزارة، في قوله :{وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض}، قال: إذا ماج الجن والإنس، قال إبليس: فأنا أعلم لكم علم هذا الأمر، فيظعن إلى المشرق، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يظعن إلى المغرب، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يصعد يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض، فيجد الملائكة قطعوا الأرض، فيقول: ما من محيص، فبينا هو كذلك، إذ عرض له طريق كالشراك، فأخذ عليه هو وذريته، فبينما هم عليه، إذ هجموا على النار، فأخرج الله خازنا من خزان النار، قال: يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك، ألم تكن في الجنان؟ فيقول: ليس هذا يوم عتاب، لو أن الله فرض علي فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه، فيقول: فإن الله قد فرض عليك فريضة، فيقول: ما هي؟ فيقول: يأمرك أن تدخل النار، فيتلكأ عليه، فيقول به وبذريته بجناحيه، فيقذفهم في النار، فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه"[٢٢٧١].

قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} [الكهف : ٩٩]، أي:" ونفخ في «القرن» للبعث، فجمعنا الخلق جميعًا للحساب والجزاء"[٢٢٧٢].

عن قتادة: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"[٢٢٧٣].

(٢٢٦٨) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٩٨٨):ص٢٣٩٠/٧.
(٢٢٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٨٩):ص٢٣٩٠/٧-٢٣٩١.
(٢٢٧٠) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٢٧١) تفسير الطبري:١٢٠/١٨.
(٢٢٧٢) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٢٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.

عن مجاهد :"{ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق"[٢٢٧٤].
عن مجاهد: "{الصور}: البوق"[٢٢٧٥].
قال مجاهد:" هو القرن، صاحبه آخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب"[٢٢٧٦].
قال عكرمة:" الصور مع إسرافيل فيه أرواح كل شيء تكون فيه، ثم ينفخ فيه الصاعقة فإذا نفخ نفخة البعث قال: الله: بعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده وداره ... أعظم من سبع سموات ومن الأرض قال: فخلق الصور على في إسرافيل وهو شاخص بصره متى يؤمر بالنفخ في الصور"[٢٢٧٧].

القرآن
{وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)} [الكهف : ١٠٠ - ١٠١]
التفسير:
وعرضنا جهنم للكافرين، وأبرزناها لهم لنريهم سوء عاقبتهم، الذين كانت أعينهم في الدنيا في غطاء عن ذكري فلا تبصر آياتي، وكانوا لا يطيقون سماع حججي الموصلة إلى الإيمان بي وبرسولي.
قوله تعالى:{وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} [الكهف : ١٠١]، أي:" ، وكانوا لا يطيقون سماع حججي الموصلة إلى الإيمان بي وبرسولي"[٢٢٧٨].
عن مجاهد، قوله :"{لا يستطيعون سمعا}، قال: لا يعقلون"[٢٢٧٩].

القرآن
{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)} [الكهف : ١٠٢]
التفسير:
أفظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري؛ ليكونوا أولياء لهم؟ إنا أعتدنا نار جهنم للكافرين منزلا.
قوله تعالى:{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ} [الكهف : ١٠٢]، أي:" أفظن الذين كفروا بي أن يتخذوا عبادي آلهة من غيري؛ ليكونوا أولياء لهم؟"[٢٢٨٠].
قال ابن جريج:" يعني: من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة، وهم عباد الله، ولم يكونوا للكفار أولياء"[٢٢٨١].
عن عكرمة:" أنه قرأ :{أفحسب الذين كفروا}، يقول: أفحسبهم ذلك"[٢٢٨٢].

القرآن
{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)} [الكهف : ١٠٣ - ١٠٤]
التفسير:

(٢٢٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٣):ص٢٩٢٩/٩.
(٢٢٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٢٢٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٢٢٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٢):ص٢٩٢٨/٩.
(٢٢٧٨) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٢٧٩) اخرجه الطبري:١٢٣٤/١٨.
(٢٢٨٠) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٢٨١) أخرجه الطبري:١٢٤/١٨.
(٢٢٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٩٩٧):ص٢٣٩٢/٧.

قل -أيها الرسول- للناس محذرًا: هل نُخبركم بأخسر الناس أعمالا؟ إنهم الذين ضلَّ عملهم في الحياة الدنيا - وهم مشركو قومك وغيرهم ممن ضلَّ سواء السبيل، فلم يكن على هدى ولا صواب- وهم يظنون أنهم محسنون في أعمالهم.

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا}[الكهف:١٠٣]، أي:" قل -أيها الرسول- للناس محذرًا: هل نُخبركم بأخسر الناس أعمالا؟"(٢٢٨٣).

قال الضحاك:" هم القسيسون والرهبان"(٢٢٨٤).

(٢٢٨٣) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٢٢٨٤) أخرجه الطبري:١٢٦/١٨.

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)} [الكهف : ١٠٥]

التفسير:

أولئك الأخسرون أعمالا هم الذين جحدوا بآيات ربهم وكذَّبوا بها، وأنكروا لقاءه يوم القيامة، فبطلت أعمالهم؛ بسبب كفرهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة قدرًا.

قوله تعالى:{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف : ١٠٥]، أي:" فلا نقيم لهم يوم القيامة قدرًا"[٢٢٨٥].

قال عبيد بن عمير: "يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب، فلا يزن جناح بعوضة"[٢٢٨٦].

قال كعب: "يؤتي يوم القيامة برجل عظيم طويل، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا :{فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا}"[٢٢٨٧].

(٢٢٨٥) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٢٢٨٦) أخرجه الطبري:٣١٠/١٢.

(٢٢٨٧) أخرجه الطبري:٣١٠/١٢.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧)} [الكهف : ١٠٧]

التفسير:

إن الذين آمنوا بي، وصدَّقوا رسلي، وعملوا الصالحات، لهم أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الكهف : ١٠٧]، أي:" إن الذين آمنوا بي، وصدَّقوا رسلي، وعملوا الصالحات"(٢٢٨٨).

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(٢٢٨٩).

قوله تعالى:{كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف : ١٠٧]، أي:" لهم أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً"(٢٢٩٠).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٢٢٩١).

قال شمر:"خلق الله جنة الفردوس بيده، فهو يفتحها في كل يوم خميس، فيقول: ازدادي طيبا لأوليائي، ازدادي حسنا لأوليائي"(٢٢٩٢).

وفي تفسير:«الْفِرْدَوْسِ»، أقوال:

أحدها : أن «الفردوس»: أفضل الجنة وأوسطها، قاله قتادة(٢٢٩٣).

قال قتادة:" الفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها"(٢٢٩٤).

وعن أبي أمامة الباهلي، قال: " الفردوس: هي سرة الجنة "(٢٢٩٥).

الثاني : أن «الفردوس»: ربوة الجنة العليا التي هي أوسطها وأحسنها. رواه سمرة بن جندب مرفوعا(٢٢٩٦).

عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة، والفردوس من فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس"(٢٢٩٧).

عن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى، ومنه تفجر أنهار الجنة"(٢٢٩٨).

عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنه، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس"(٢٢٩٩).

وقال كعب:" ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، وفيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر"(٢٣٠٠).

الثالث : أنه البستان بالرومية ، قاله مجاهد(٢٣٠١).

الرابع : أنه البستان الذي فيه الأعناب ، قاله كعب(٢٣٠٢).

(٢٢٨٨) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٢٢٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(٢٢٩٠) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٢٢٩١) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٢٢٩٢) أخرجه الطبري:١٣٢/١٨.

(٢٢٩٣) انظر: تفسير الطبري:١٣٠/١٨.

(٢٢٩٤) أخرجه الطبري:١٣٠/١٨.

(٢٢٩٥) تفسير مجاهد:٤٥١.

(٢٢٩٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٦):ص٢٣٩٣/٧.

(٢٢٩٧) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.

(٢٢٩٨) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.

(٢٢٩٩) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.

(٢٣٠٠) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.

(٢٣٠١) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.

واختلف في لفظ«الفردوس»، على أقوال:
أحدها : أنه بالرومية ، ومعناه«البستان». قاله مجاهد[٢٣٠٣].
الثاني : انه «الكرم» بالنبطية، وأصله «فرداساً»، قاله السدي[٢٣٠٤].
الثالث : بالسريانية ، قاله أبو صالح[٢٣٠٥].

القرآن
{خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)} [الكهف : ١٠٨]
التفسير:
خالدين فيها أبدًا، لا يريدون عنها تحوُّلا؛ لرغبتهم فيها وحبهم لها.
قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [الكهف : ١٠٨]، أي:" ماكثين فيها أبداً"[٢٣٠٦].
عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٢٣٠٧].
قوله تعالى:{لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف : ١٠٨]، أي:" لا يريدون عنها تحوُّلا؛ لرغبتهم فيها وحبهم لها"[٢٣٠٨].
وفي قوله تعالى:{لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف : ١٠٨]، وجهان:
أحدهما : بدلاً ، قاله الضحاك[٢٣٠٩].
الثاني : متحولا. قاله مجاهد[٢٣١٠].
روي مخلد بن الحسين عن بعض أصحاب أنس، قال: "يقول أولهم دخولا إنما أدخلني الله أولهم، لأنه ليس أحد افضل مني، ويقول آخرهم دخولا إنما أخرني الله، لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل الذي أعطاني"[٢٣١١].

القرآن
{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)} [الكهف : ١٠٩]
التفسير:
قل -أيها الرسول-: لو كان ماء البحر حبرًا للأقلام التي يكتب بها كلام الله من علمه وحكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله، لنفِد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله، ولو جئنا بمثل البحر بحارًا أخرى مددًا له.
سبب النزول:
قال ابن عباس: "قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا: كيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا؟ فنزلت: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} ... الآية"[٢٣١٢].

(٢٣٠٢) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.
(٢٣٠٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٨):ص٢٣٩٤/٧.
(٢٣٠٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٩):ص٢٣٩٤/٧.
(٢٣٠٥) انظر: النكت والعيون:٣٤٨/٣.
(٢٣٠٦) صفوة التفاسير:١٩٠/٢.
(٢٣٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(٢٣٠٨) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٣٠٩) انظر: النكت والعيون:٣٤٩/٣.
(٢٣١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠١٠):ص٢٣٩٤/٧.
(٢٣١١) أخرجه الطبري:١٣٣/١٨.
(٢٣١٢)أخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٩٦/١٨ - ح: ٣٣٢) والترمذي (٣٠٤/٥ - ح: ٣١٤٠) والحاكم (لباب النقول: ١٤٤) وابن أبي حاتم (فتح الباري: ٤٤٥/١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
قال الحافظ ابن حجر: رجاله رجال مسلم (فتح الباري: ٤٠١/٨) .
وذكره الواحدي في أسباب النزول:٣٠٧. واللفظ له.
تنبيه: هذا الحديث تكملة لحديث ابن عباس السابق في السؤال عن الروح: [الإسراء: ٨٥].

قوله تعالى:{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} [الكهف : ١٠٩]، أي:" قل -أيها الرسول-: لو كان ماء البحر حبرًا للأقلام التي يكتب بها كلام الله من علمه وحكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله"[٢٣١٣].

عن مجاهد: قوله: "{قل لو كان البحر مدادا}،قال:«يعني: للقلم»[٢٣١٤].

عن عمرو بن مالك , قال: "سمعت أبا الجوزاء , يقول في قوله تعالى: {قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي} [الكهف: ١٠٩] , قال: «لو كان كل شجرة في الأرض أقلاما , والبحر يمده من بعده سبعة أبحر لو كان مدادا لنفد الماء , وتكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات ربي»[٢٣١٥].

قوله تعالى:{لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} [الكهف : ١٠٩]، أي:" لنفِد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله"[٢٣١٦].

قال قتادة:" ينفد ماء البحر قبل إن ينفد كلام الله وحكمته"[٢٣١٧].

(٢٣١٣) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٣١٤) تفسير مجاهد:٤٥٢.
(٢٣١٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٧٢٧):ص٣٤٧/٢.
(٢٣١٦) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٣١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠١٢):ص٢٣٩٤/٧.

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ من ربي أنما إلهكم إله واحد، فمَن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه، فليعمل عملا صالحًا لربه موافقًا لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحدًا غيره.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: روي طاووس، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "قال رجل: يا رسول الله، إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزلت: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}"[٢٣١٨].[صحيح]

الثاني: قال مجاهد: "جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله سبحانه وتعالى فيذكر ذلك مني وأحمد عليه، فيسرني ذلك، وأعجب به، فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يقل شيئا فأنزل الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}"[٢٣١٩].[مرسل]

الثالث: وقال مجاهد:" كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب إن يرى مكانه فأنزل الله فمن كان يرجوا لقاء ربه الآية"[٢٣٢٠].

وروي عن كثير بن زياد قال: "قلت للحسن قول الله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، قال: في المؤمن نزلت. قلت: أشرك بالله؟ قال: لا، ولكن أشرك بذلك العمل عملا يريد الله به والناس، فذلك يرد عليه"[٢٣٢١].

الرابع: قال ابن عباس: "كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لقالة الناس، فلا يريد به الله، فنزلت الآية" [٢٣٢٢].[ضعيف]

الخامس: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قوله: "{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ}، قال: الآية نزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله إلها غيره، وليست هذه في المؤمنين"[٢٣٢٣].

قوله تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} [الكهف : ١١٠]، أي:" فمَن كان يخاف عذاب ربه ويرجو ثوابه يوم لقائه"[٢٣٢٤].

عن سعيد بن جبير :"{فمن كان يرجوا لقاء ربه}، قال: ثواب ربه"[٢٣٢٥].

قوله تعالى:{فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف : ١١٠]، أي:" فليعمل عملا صالحًا لربه موافقًا لشرعه، ولا يشرك في العبادة معه أحدًا غيره"[٢٣٢٦].

(٢٣١٨) أخرجه الحاكم في المستدرك(٢٥٢٧):ص١٢٢/٢. وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٢٥٢٧ – "على شرط البخاري ومسلم".

وأخرجه ابن جرير ١٣٦/١٨، وابن أبي حاتم (١٣٠١٣):ص٢٣٩٤/٧، وعبدالرزاق(١٧٢٨):ص٣٤٧/٢، بنحوه، وعزاه في الدر (٤/ ٢٥٥) لعبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم عن طاوس (٤/ ٣٢٩) .

وقال السيوطي: أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي موصولا عن طاوس عن ابن عباس.

(٢٣١٩) أسباب النزول للواحدي:٣٠٧، وعزاه في الدر (٤/ ٢٥٥) لهناد في الزهد.

(٢٣٢٠) تفسير ابن ابي حاتم(١٣٠١٥):ص٢٣٩٤/٧.

(٢٣٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠١٨):ص٢٣٩٥/٧.

(٢٣٢٢)أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم في "الصحابة" وابن عساكر (فتح القدير: ٣١٨/٣) من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا إسناد لا يصح عن ابن عباس، أبو صالح ضعيف، وراويته الكلبي، وهو متروك ممن يضع الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في كتابه " أسباب النزول ": أبو صالح ضعيف، والكلبي متهم بالكذب، والسدي الصغير كذاب".

وهذا الإسناد أطلق عليه الحفاظ: "سلسلة الكذب". انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٥٦.

(٢٣٢٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠١٣):ص٣٣٩٤/٧.

(٢٣٢٤) التفسير الميسر:٣٠٤.

(٢٣٢٥) أخرجه الطبري:١٤٥/١٨.

قال سعيد بن جبير:" من كان يخشى البعث في الآخرة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا من خلقه"[٢٣٢٧].

عن عبد الواحد بن زيد، قال: "قلت للحسن: أخبرني عن الرياء، أشرك هو؟ قال: نعم يا بني، وما تقرأ: {فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}؟"[٢٣٢٨].

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه قال: "«أنا خير الشركاء» ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو الذي أشرك»"[٢٣٢٩].

روي عن عمرو بن قيس الكندي، "أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن"[٢٣٣٠].

«آخر تفسير سورة (الكهف)، والحمد لله وحده»

(٢٣٢٦) التفسير الميسر:٣٠٤.
(٢٣٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠١٧):ص٢٣٩٥/٧.
(٢٣٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠١٩):ص٢٣٩٥/٧.
(٢٣٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٢١):ص٢٣٩٥/٧.
(٢٣٣٠) أخرجه الطبري:١٣٦/١٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « مريم»

سورة «مريم»: هي السورة «التاسعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «فاطر»[٢٣٣١]، وعدد آياتها: (٩٩) تسع وتسعون، وكلماتها: (١١٩٢) ألف ومائة واثنتان وتسعون ، وحروفها: (٣٨٠٢) ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان[٢٣٣٢].

والآيات المختلف فيها ستة: (ع ص)، {فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ} [مريم : ٤١]، {الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥][٢٣٣٣].

ومجموع فواصل آياتها «مدن»، الآية الأولى على الدال «صاد»[٢٣٣٤]، وما قبل «ألف» كل آية آخرها على «الألف» حروف «زيد»[٢٣٣٥].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٢٣٣٦]، وابن الزبير[٢٣٣٧]، وعائشة[٢٣٣٨]، وبه قال يحيى بن سلام[٢٣٣٩]، والماتريدي[٢٣٤٠]، وأبو الليث السمرقندي[٢٣٤١]، وابن أبي زمنين[٢٣٤٢]، والثعلبي[٢٣٤٣]، ومكي بن ابي طالب[٢٣٤٤]، والواحدي[٢٣٤٥]، وعبدالقاهر الجرجاني[٢٣٤٦]، والسمعاني[٢٣٤٧]، والبغوي[٢٣٤٨]، والرازي[٢٣٤٩]، وابن كثير[٢٣٥٠]، والسيوطي[٢٣٥١].

قال مكي:" سوره «مريم»: مكية، وكان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة، لأنهم قرأوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة"[٢٣٥٢].

قال ابن كثير:" روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه"[٢٣٥٣].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعا"[٢٣٥٤].

(٢٣٣١) انظر: الكشاف:٣/٣.

(٢٣٣٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٠٥.

(٢٣٣٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢٣٣٤){كهيعص (١)} [مريم : ١].

(٢٣٣٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢٣٣٦) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس:٥٠١/٢.

(٢٣٣٧) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى لنحاس وابن مردويه.

(٢٣٣٨) أورده السيوطي في الدر المنثرو:٤٧٦/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٣٣٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢١٣/١.

(٢٣٤٠) انظر: تأويلات أهل السنة:٢١٨/٧.

(٢٣٤١) انظر: بحر العلوم:٣٦٧/٢.

(٢٣٤٢) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٨٧/٣.

(٢٣٤٣) انظر: الكشف والبيان:٢٠٥/٦.

(٢٣٤٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٤٨٧/٧.

(٢٣٤٥) انظر: التفسير الوسيط:١٧٤/٣.

(٢٣٤٦) انظر: درج الدرر:١١٦٧/٣.

(٢٣٤٧) انظر: تفسير السمعاني:٢٧٦/٣.

(٢٣٤٨) انظر: تفسير البغوي:٢١٥/٥.

(٢٣٤٩) انظر: مفاتيح الغيب:٥٠٥/٢١.

(٢٣٥٠) انظر: تفسير ابن كثير:٢١١/٥.

(٢٣٥١) انظر: الدر المنثور:٤٧٦/٥.

(٢٣٥٢) الهداية غلى بلوغ النهاية:٤٤٨٧/٧.

(٢٣٥٣) تفسير ابن كثير:٢١١/٥.

والحديث رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة (٢٩٠/٥) ومن حديث ابن مسعود (٤٦١/١)

(٢٣٥٤) البصائر:٣٠٥/١.

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه"[٢٣٥٥].

الثاني: أنها مكية إلا آية سجدتها فإنها مدنية، وهي الآية (٥٨) من السورة، وتمامها قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم : ٥٨]. وهذا قول مقاتل[٢٣٥٦].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع إلا السجدة منها، فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية"[٢٣٥٧].

الثالث: أنها مكية إلا آيتي: (٥٨ و ٧١)[٢٣٥٨]، فمدنيتان. قاله الزمخشري[٢٣٥٩]، والمراغي[٢٣٦٠].

الرابع: أنها مكية غير آيتي: (٥٩ و ٦٠)[٢٣٦١]، فمدنيتان . حكاه ابن الجوزي عن هبة الله المفسر[٢٣٦٢].

(٢٣٥٥) زاد المسير:١١٦/٣.

(٢٣٥٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦١٩/٢.

(٢٣٥٧) المحرر الوجيز:٣/٤.

(٢٣٥٨) وهما قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)} [مريم : ٥٨]، {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)} [مريم : ٧١].

(٢٣٥٩) انظر: الكشاف:٣/٣.

(٢٣٦٠) انظر: تفسير المراغي:٣٢/١٦.

(٢٣٦١) وهما قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)} [مريم : ٥٩ - ٦٠].

(٢٣٦٢) زاد المسير:١١٦/٣.

القرآن

{كهيعص (١)} [مريم : ١]

التفسير:

{كهيعص} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

قرأ حمزة: {كهيعص}، بفتح الهاء، وكسر الياء ، وقرأ عاصم بكسرهما، وقرأ السحن بضمهما[٢٣٦٣].

ولأهل التفسير في قوله تعالى: {كهيعص} [مريم : ١]، أقوال:

أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة[٢٣٦٤].

الثاني : أنه استفتاح السورة ، قاله زيد بن أسلم[٢٣٦٥].

الثالث : أنه اسم السورة ، قاله الحسن[٢٣٦٦].

الخامس : أنه من حروف الجُمل تفسير:«لا إله إلا الله»، لأن «الكاف» عشرون، و«الهاء» خمسة، و«الياء» عشرة، و«العين» سبعون، و«الصاد» تسعون . كذلك عدد حروف: «لا إله إلا الله» ، حكاه أبان بن تغلب[٢٣٦٧].

السادس : أنها حروف أسماء الله.

عن أبي العالية، قال: "{كهيعص}، ليس منها حرف إلا وهو اسم"[٢٣٦٨].

وتعددت أقوال المفسرين في ذلك كما يأتي:

أ- فأما «الكاف» فقد اختلفوا فيها من أي اسم هي على ثلاثة أقوال:

أحدها : أن «الكاف» من ذلك حرف من حروفه اسمه الذي هو «كبير»، قاله سعيد بن جبير-في رواية-[٢٣٦٩].

الثاني : أنها حرف من حروفه اسمه الذي هو «كاف». قاله سعيد بن جبير[٢٣٧٠]، والضحاك[٢٣٧١].

الثالث : أنها حرف من حروف اسمه الذي هو «كريم»، وهو مروي عن سعيد بن جبير-أيضا-[٢٣٧٢].

ب- وأما «الهاء»، فإنها من «هادٍ». قاله سعيد بن جبير[٢٣٧٣]، والضحاك[٢٣٧٤].

ت- وأما «الياء»، ففيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها من «يمن»، قاله سعيد بن جبير[٢٣٧٥].

الثاني : من «حكيم». قاله سعيد بن جبير-أيضا-[٢٣٧٦].

الثالث : أنها من «يا» للنداء، «يا من يجير ولا يجار عليه»، قاله الربيع بن أنس[٢٣٧٧].

قال إبراهيم بن الضريس: "سمعت الربيع بن أنس في قوله {كهيعص}، قال: يا من يجير ولا يجار عليه"[٢٣٧٨].

(٢٣٦٣) انظر: الكشاف:٣/٣.

(٢٣٦٤) انظر: تفسير الطبري:١٤١/١٨-١٤٢.

(٢٣٦٥) انظر: النكت والعيون:٣٥٢/٣.

(٢٣٦٦) انظر: النكت والعيون:٣٥٢/٣.

(٢٣٦٧) انظر: النكت والعيون:٣٥٢/٣-٣٥٣.

(٢٣٦٨) أخرجه الطبري:١٤١/١٨.

(٢٣٦٩) انظر تفسير الطبري:١٣٧/١٨.

(٢٣٧٠) انظر تفسير الطبري:١٣٧/١٨.

(٢٣٧١) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.

(٢٣٧٢) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.

(٢٣٧٣) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.

(٢٣٧٤) انظر تفسير الطبري:١٣٨/١٨.

(٢٣٧٥) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.

(٢٣٧٦) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.

(٢٣٧٧) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.

(٢٣٧٨) أخرجه الطبري:١٣٩/١٨.

ث- وأما «العين»، ففيها ثلاثة أقوال:
أحدها : حرف من حروف اسمه الذي هو: «عزيز» ، قاله سعيد بن جبير[٢٣٧٩].
الثاني : أنها من «عالم»، قاله سعيد بن جبير[٢٣٨٠]، ورواه العلاء بن المسيب بن رافع عن أبيه[٢٣٨١].
الثالث : أنها من اسمه «عدل»، قاله الضحاك بن مزاحم[٢٣٨٢].
ج- وأما «الصاد»، فإنها من «صادق». قاله سعيد بن جبير[٢٣٨٣]، والضحاك[٢٣٨٤].
فهذا بيان للقول السادس .
وبعد فإن لكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن، والقول في ذلك نظير القول في : {الم} [البقرة : ١]، وسائر فواتح سور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع[٢٣٨٥].

القرآن
{ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢)} [مريم : ٢]
التفسير:
هذا ذِكْر رحمة ربك عبده زكريا، سنقصه عليك، فإن في ذلك عبرة للمعتبرين.
عن يحيى بن يعمر:" أنه كان يقرأ: ذكر رحمة ربك عبده زكريا بنقل، يقول: لما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. فقال: {ذكر رحمت ربك}"[٢٣٨٦].

القرآن
{إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)} [مريم : ٣]
التفسير:
إذ دعا ربه سرًا; ليكون أكمل وأتم إخلاصًا لله، وأرجى للإجابة.
قال السدي:" رغب زكريا في الولد، فقام فصلى، ثم دعا ربه سرّا، فقال: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} .... إلى {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}"[٢٣٨٧].
قال الحسن:" دعاء لا رياء فيه"[٢٣٨٨].
قال ابن جريج:" لا يريد رياء"[٢٣٨٩].
قال قتادة :" أي: سرّا، وإن الله يعلم القلب النقيّ، ويسمع الصوت الخفي"[٢٣٩٠].
عن عقبة بن عبد الغافر، قال: "دعوة السر أفضل من سبعين في العلانية"[٢٣٩١].

القرآن
{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)} [مريم : ٤]
التفسير:

(٢٣٧٩) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨.
(٢٣٨٠) انظر تفسير الطبري:١٣٩/١٨.
(٢٣٨١) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨.
(٢٣٨٢) انظر تفسير الطبري:١٤٠/١٨.
(٢٣٨٣) انظر تفسير الطبري:١٤١/١٨.
(٢٣٨٤) انظر تفسير الطبري:١٤١/١٨.
(٢٣٨٥) تفسير الطبري:١٤٢/١١٨.
(٢٣٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٢٨):ص٢٣٩٦/٧.
(٢٣٨٧) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٢٣٨٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٣/١.
(٢٣٨٩) انظر: تفسير الطبري:١٤٢/١٨-١٤٣.
(٢٣٩٠) أخرجه الطبري:١٤٢/١٨.
(٢٣٩١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٣/١.

قال: رب إني كَبِرْتُ، وضعف عظمي، وانتشر الشيب في رأسي، ولم أكن من قبل محرومًا من إجابة الدعاء.
قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} [مريم : ٤]، أي:" قال: رب إني كَبِرْتُ، وضعف عظمي"[٢٣٩٢].
قال سعيد بن جبير:" ضعف"[٢٣٩٣]، وروي عن الحسن مثله[٢٣٩٤].
قال قتادة: أي: ضعف العظم مني"[٢٣٩٥].
قال مجاهد:" نحل العظم"[٢٣٩٦]. وفي لفظ:" نحول العظم"[٢٣٩٧].
قوله تعالى:{وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} [مريم : ٤]، أي:" ولم أكن من قبل محرومًا من إجابة الدعاء"[٢٣٩٨].
قال ابن جريج:" يقول: قد كنت تعرّفني الإجابة فيما مضى"[٢٣٩٩].

القرآن
{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥)} [مريم : ٥]
التفسير:
وإني خفت أقاربي وعصبتي مِن بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وكانت زوجتي عاقرًا لا تلد، فارزقني مِن عندك ولدًا وارثًا ومعينًا.
قوله تعالى:{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي} [مريم : ٥]، أي:" وإني خفت أقاربي وعصبتي مِن بعد موتي أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك"[٢٤٠٠].
قال الطبري:" يقول: وإني خفت بني عمي وعصبتي من ورائي: يقول: من بعدى أن يرثوني"[٢٤٠١].
وفي قوله تعالى:{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي} [مريم : ٥]، أقوال:
أحدها : العصبة ، قاله مجاهد[٢٤٠٢]، وقتادة[٢٤٠٣]، والسدي[٢٤٠٤]، وأبو صالح –في رواية-[٢٤٠٥].
الثاني : الكلالة ، قاله أبو صالح[٢٤٠٦].
قال مجاهد:" العصبة من آل يعقوب، وكان من ورائه غلام، وكان زكريا من ذرية يعقوب"، وفي لفظ: "أيوب"[٢٤٠٧].
روى كثير ابن كلثمة، أنه سمع علي بن الحسين -عليهما السلام- يقرأ:«وَإِنِّي خِفْتُ»، بالتشديد بمعنى : قلّت[٢٤٠٨].
قوله تعالى:{وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا} [مريم : ٥]، أي:" وكانت زوجتي عاقرًا لا تلد"[٢٤٠٩].

قوله تعالى:{فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} [مريم : ٥]، أي:" فارزقني مِن عندك ولدًا وارثًا ومعينًا"[٢٤١٠].

(٢٣٩٢) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٢٣٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٣٠):ص٢٣٩٧/٧.
(٢٣٩٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٤/١.
(٢٣٩٥) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٢٣٩٦) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٢٣٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٣١):ص٢٣٩٧/٧.
(٢٣٩٨) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٢٣٩٩) أخرجه الطبري:١٤٣/١٨.
(٢٤٠٠) التفسير الميسر:٣٠٥.
(٢٤٠١) تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(٢٤٠٢) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(٢٤٠٣) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(٢٤٠٤) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(٢٤٠٥) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(٢٤٠٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٨.
(٢٤٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٣٦):ص٢٣٩٧/٧.
(٢٤٠٨) انظر: النكت والعيون:٣٥٥/٣.
(٢٤٠٩) التفسير الميسر:٣٠٥.

القرآن

{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)} [مريم : ٦]

التفسير:

يرث نبوَّتي ونبوة آل يعقوب، واجعل هذا الولد مرضيًا منك ومن عبادك.

قوله تعالى:{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} [مريم : ٦]، أي:" يرث نبوَّتي ونبوة آل يعقوب"[٢٤١١].

قال الطبري:" يقول: يرثني من بعد وفاتي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب"[٢٤١٢].

وفي قوله تعالى:{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} [مريم : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة ، قاله أبو صالح[٢٤١٣].

قال أبو صالح:" يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة"[٢٤١٤].

قال أبو صالح:" يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء"[٢٤١٥].

الثاني : يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة ، قاله الحسن[٢٤١٦].

قال السدي:" يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب"[٢٤١٧].

قال صالح:" النبوة، يكون نبيا كما كان أبوه"[٢٤١٨].

قال مجاهد:" كان وراثته علما، وكان زكريا من ذرية يعقوب"[٢٤١٩].

عن الضحاك قوله: "{ويرث من ال يعقوب}، قال: السنة، والعلم"[٢٤٢٠].

قال الحسن:" نبوته وعلمه"[٢٤٢١].

الثالث : يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الأخلاق ، قاله عطاء[٢٤٢٢].

وروى قتادة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:« يرحم الله زكريا ما كان عليه من ورثة، ويرحم الله لوطا إن كان ليأوي إلى ركن شديد»[٢٤٢٣].

قوله تعالى:{وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [مريم : ٦]، أي:" واجعل هذا الولد مرضيًا منك ومن عبادك"[٢٤٢٤].

عن محمد بن كعب، قال: "قال داود عليه السلام: «يا رب هب لي ابنا» فولد له ابن خرج عليه، فبعث إليه داود جيشا فقال: «إن أخذتموه سليما فابعثوا إلي رجلا أعرف السرور في وجهه، وإن قتلتموه فابعثوا إلي رجلا أعرف الشر في وجهه» فقتلوه فبعثوا إليه رجلا أسود، فلما رآه علم أنه قتل، فقال: رب سألت إن تهب لي ابنا، فخرج علي؟! فقال: إنك لم تستثن. قال محمد بن كعب: لم يقل كما قال زكريا: {واجعله رب رضيا}"[٢٤٢٥].

القرآن

(٢٤١٠) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤١١) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤١٢) تفسير الطبري:١٤٥/١٨.

(٢٤١٣) انظر: تفسير الطبري:١٤٥/١٨-١٤٦.

(٢٤١٤) أخرجه الطبري:١٤٥/١٨.

(٢٤١٥) أخرجه الطبري:١٤٦/١٨.

(٢٤١٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٦/١٨.

(٢٤١٧) أخرجه الطبري:١٤٧/١٨، وابن أبي حاتم(١٣٠٣٨):ص٢٣٩٨/٧.

(٢٤١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٣٩):ص٢٣٩٨/٧.

(٢٤١٩) أخرجه الطبري:١٤٦/١٨.

(٢٤٢٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٤٠):ص٢٣٩٨/٧.

(٢٤٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٣٧):ص٢٣٩٧/٧.

(٢٤٢٢) انظر: النكت والعيون:٣٥٦/٣.

(٢٤٢٣)أخرجه ابن عساكر (١٧٢/٦٤) . وأخرجه أيضا: ابن جرير فى التفسير:١٤٦/١٨.

(٢٤٢٤) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٤١):ص٢٣٩٨/٧.

{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧)} [مريم : ٧]

التفسير:

يا زكريا إنَّا نبشرك بإجابة دعائك، قد وهبنا لك غلامًا اسمه يحيى، لم نُسَمِّ أحدًا قبله بهذا الاسم.

قوله تعالى:{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى} [مريم : ٧]، أي:" يا زكريا إنَّا نبشرك بإجابة دعائك، قد وهبنا لك غلامًا اسمه يحيى"(٢٤٢٦).

قال قتادة: " إن الملائكة شافهته بذلك مشافهة، وبشرته بيحيى"(٢٤٢٧).

عن قتادة، قوله "{يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى}، عبد أحياه الله للإيمان"(٢٤٢٨).

قوله تعالى:{لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} [مريم : ٧]، أي:" لم نُسَمِّ أحدًا قبله بهذا الاسم"(٢٤٢٩).

وفي قوله تعالى:{لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} [مريم : ٧]، ثلاثة أقوال:

أحدهما : مثلا عدلا شبها. رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد(٢٤٣٠).

وقال سعيد بن جبير: "شبيها"(٢٤٣١).

الثاني : أي: لم يسم قبله أحد بهذا الاسم، قاله قتادة(٢٤٣٢)، وابن جريج(٢٤٣٣)، والسدي(٢٤٣٤).

والقول الأخير أشبه بالتفسير، والمعنى: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه، والسمي: فعيل صرف من مفعول إليه(٢٤٣٥).

القرآن

{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨)} [مريم : ٨]

التفسير:

قال زكريا متعجبًا: ربِّ كيف يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ} [مريم : ٨]، أي:" قال زكريا متعجبًا: ربِّ كيف يكون لي غلام"(٢٤٣٦).

قال السدي:" يقول: من أين"(٢٤٣٧).

وقال الربيع بن انس:" كيف يكون لي"(٢٤٣٨).

قال الحسن:" أراد زكريا أن يعلم كيف ذلك "(٢٤٣٩).

قوله تعالى:{وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} [مريم : ٨]، أي:" وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد، وأنا قد بلغت النهاية في الكبر ورقة العظم؟"(٢٤٤٠).

وفي قوله تعالى:{وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} [مريم : ٨]، أقوال:

أحدها : يعني: الكبر في السن، قاله قتادة(٢٤٤١)، والضحاك(٢٤٤٢).

(٢٤٢٦) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٢٧) أخرجه ابن المنذر(٤١٠):ص١٨٦/١.

(٢٤٢٨) أخرجه الطبري:١٤٧/١٨.

(٢٤٢٩) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٣٠) انظر: تفسير سفيان الثوري(٥٥٥: ٥: ١٨):ص١٨٢.

(٢٤٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٤٦):ص٢٣٩٩/٧.

(٢٤٣٢) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.

(٢٤٣٣) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.

(٢٤٣٤) انظر: تفسير الطبري:١٤٨/١٨.

(٢٤٣٥) تفسير الطبري:١٤٩/١٨.

(٢٤٣٦) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧١):٦٤٤/٢.

(٢٤٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٢):٦٤٤/٢.

(٢٤٣٩) تفسير يحيى بن سلام:٢١٥/١.

(٢٤٤٠) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٤١) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.

قال قتادة : يقول: "هرما"[٢٤٤٣]، قال قتادة: "وكان ابن بضع وسبعين سنة"[٢٤٤٤].
الثاني : أنه نحول العظم ، قاله مجاهد[٢٤٤٥].
وكل متناه إلى غايته في كبر أو فساد، أو كفر، فهو عات وعاس[٢٤٤٦].
وقد ذكر أهل العلم في سبب قول زكريا-عليه السلام- :{رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ}[آل عمران:٤٠]، وجوها:
أحدها: أنه راجع ليعلم على أي حال يكون منه الولد ، بأن يُرّدّ هو وامرأته إلى حال الشباب ، أم على حال الكبر ، فقيل له : كذلك الله يفعل ما يشاء ، أي على هذه الحال ، وهذا قول الحسن[٢٤٤٧].
الثاني :لما نادى جبرائيل زكريا :{إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا}، فلما سمع النداء، جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر، فشك وقال :{أنى يكون لي غلام}، يقول: من أين يكون {وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر}. قاله السدي[٢٤٤٨]، وعكرمة[٢٤٤٩].
والظاهر هذا تعجب من زكريا ، عليه السلام ، حين أجيب إلى ما سأل ، وبُشِّر بالولد ، ففرح فرحًا شديدًا ، وسأل عن كيفية ما يولد له ، والوجه الذي يأتيه منه الولد ، مع أن امرأته كانت عاقرًا لم تلد من أول عمرها مع كبرها ، ومع أنه قد كبر وعتا ، أي عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع[٢٤٥٠].

القرآن
{قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩)} [مريم : ٩]
التفسير:
قال المَلَك مجيبًا زكريا عمَّا تعجَّب منه: هكذا الأمر كما تقول مِن كون امرأتك عاقرًا، وبلوغك من الكبر عتيًا، ولكنَّ ربك قال: خَلْقُ يحيى على هذه الكيفية أمر سهل هيِّن عليَّ، ثم ذكر الله سبحانه لزكريا ما هو أعجب مما سأل عنه فقال: وقد خلقتك أنت من قبل يحيى، ولم تكُ شيئًا مذكورًا ولا موجودًا.
عن السدي قال: "فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال له: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله أوحى إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر، فشك مكانه. قال: {أنى يكون لي غلام}، يقول: من أين وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر، قال كذلك الله يفعل ما يشاء، ... {وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا}"[٢٤٥١].

القرآن
{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)} [مريم : ١٠]
التفسير:
قال زكريا زيادة في اطمئنانه: ربِّ اجعل لي علامة على تحقُّق ما بَشَّرَتْني به الملائكة، قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معافى.
قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} [مريم : ١٠]، أي:" قال زكريا زيادة في اطمئنانه: ربِّ اجعل لي علامة على تحقُّق ما بَشَّرَتْني به الملائكة"[٢٤٥٢].
وفي قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} [مريم : ١٠]، وجهان:

(٢٤٤٢) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(٢٤٤٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٤٨٢/٥. وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٢٤٤٤)أخرجه الطبري:١٥٠/١٨ .
(٢٤٤٥) انظر: تفسير الطبري:١٥٠/١٨.
(٢٤٤٦) تفسير الطبري:١٤٩/١٨.
(٢٤٤٧) انظر: النكت والعيون:٣٩٢/١، وتفسير يحيى بن سلام:٢١٥/١.
(٢٤٤٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/ ١٤٩، والمصدر نفسه(٧٠٠١):ص٣٨٢/٦.
(٢٤٤٩)انظر: تفسير الطبري(٧٠٠٢):ص٣٨٢/٦.
(٢٤٥٠) تفسير ابن كثير:٢١٤/٥.
(٢٤٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٣):ص٦٤٤/٢.
(٢٤٥٢) التفسير الميسر:٣٠٥.

قال السدي:" قال زكريا: رب فإن كان هذا الصوت منك فـ{اجعل لي آية}، قال: {آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا}"[٢٤٥٣].

عن الضحاك:" أنه سأل الله آية تدله على البشرى بيحيى منه لا من الشيطان لأن إبليس أوهمه ذلك"[٢٤٥٤].

قوله تعالى:{قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} [مريم : ١٠]، أي:" قال: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس مدة ثلاث ليال وأيامها، وأنت صحيح معافى"[٢٤٥٥].

قال عبدالرحمن السلمي:" اعتقل لسانه من غير مرض"[٢٤٥٦].

قال السدي:" اعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال"[٢٤٥٧].

قال قتادة:" وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة، أخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام إلا أوماً إيماء"[٢٤٥٨].

قال الربيع:" : ذكر لنا ، والله أعلم ، أنه عوقب ، لأن الملائكة شافهته مشافهة ، فبشرته بيحيى ، فسأل الآية بعدُ ، فأخِذَ بلسانه"[٢٤٥٩] .

وفي قوله تعالى:{قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} [مريم : ١٠]، وجهان:

أحدهما : أنه اعتقل لسانه ثلاثاً من غير مرض وكان إذا أراد أن يذكر الله انطلق لسانه وإذا أراد أن يكلم الناس اعتقل ، وكانت هذه الآية. وهو معنى قول وهب[٢٤٦٠].

قال وهب بن منبه:" أخذ الله بلسانه من غير سوء، فجعل لا يطيق الكلام، وإنما كلامه لقومه بالإشارة، حتى مضت الثلاثة الأيام التي جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له"[٢٤٦١].

الثاني : اعتقل من غير خرس ، قاله قتادة[٢٤٦٢]،وعكرمة[٢٤٦٣]، والسدي[٢٤٦٤].

قال السدي:" يقول: من غير خرس إلا رمزا، فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال"[٢٤٦٥].

قال قتادة:" من غير بأس ولا خرس، وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة، أخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام إلا أوماً إيماء"[٢٤٦٦].

عن عكرمة :"{ثلاث ليال سويا}، قال: سويا من غير خرس"[٢٤٦٧].

قال مجاهد:" صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض"[٢٤٦٨].

القرآن

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)} [مريم : ١١]

التفسير:

فخرج زكريا على قومه مِن مصلاه، وهو المكان الذي بُشِّر فيه بالولد، فأشار إليهم: أن سَبِّحوا الله صباحًا ومساءً شكرًا له تعالى.

(٢٤٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٥):ص٦٤٥/٢، والطبري:١٥١/١٨.

(٢٤٥٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٨/٣.

(٢٤٥٥) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٦):ص٦٤٥/٢.

(٢٤٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٧٧):ص٦٤٥/٢.

(٢٤٥٨) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨، والمصدر نفسه: (٧٠٠٥):ص٣٨٦/٦.

(٢٤٥٩) أخرجه الطبري(٧٠٠٧):ص٣٨٦/٦-٣٨٧.

(٢٤٦٠) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦١) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦٢) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦٤) انظر: الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦٥) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦٦) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٨.

(٢٤٦٨) أخرجه الطبري:١٥٢/١٨.

قوله تعالى:{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ} [مريم : ١١]، أي:" فخرج زكريا على قومه مِن مصلاه، وهو المكان الذي بُشِّر فيه بالولد"(٢٤٦٩).

قال ابن جريج:" أشرف على قومه من المحراب"(٢٤٧٠).

قوله تعالى:{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ١١]، أي:" فأشار إلى قومه: أن سَبِّحوا الله صباحًا ومساءً شكرًا له تعالى"(٢٤٧١).

قال محمد بن كعب القرظي:" أشار إليهم أن صلوا بكرة وعشيا"(٢٤٧٢).

عن مجاهد :"{فأوحى}: فأشار زكريا"(٢٤٧٣).

قال وهب بن منبه:" الوحي: الإشارة"(٢٤٧٤).

قال قتادة:" أومى إليهم أن صلوا بكرة وعشيا"(٢٤٧٥).

وروي عن الحكم :"{فأوحى إليهم}، قال: كتب لهم"(٢٤٧٦).

وروي عن مجاهد –أيضا-، قال:" كتب لهم في الأرض"(٢٤٧٧).

قال السدي:" فكتب لهم في كتاب :{أن سبحوا بكرة وعشيا}"(٢٤٧٨).

القرآن

{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢)} [مريم : ١٢]

التفسير:

فلما ولد يحيى، وبلغ مبلغًا يفهم فيه الخطاب، أمره الله أن يأخذ التوراة بجدٍّ واجتهاد بقوله: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والعمل بها، وأعطيناه الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن.

قوله تعالى:{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم : ١٢]، أي:" يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والعمل بها"(٢٤٧٩).

قال مجاهد:" يعني: بجد في طاعة الله عز وجل"(٢٤٨٠).

عن قتادة، قوله :{خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ}، قال: بجد"(٢٤٨١).

وقال سعيد بن جبير:" يقول: اعمل بما فيه من فرائضه"(٢٤٨٢).

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم : ١٢]، أي:" وأعطيناه الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن"(٢٤٨٣).

عبد الله بن المبارك، قال: "أخبرني معمر، ولم يذكره عن أحد في هذه الآية {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}، قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خُلقتُ، فأنزل الله :{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}"(٢٤٨٤).

(٢٤٦٩) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٧٠) أخرجه الطبري:١٥٣/١٨.

(٢٤٧١) التفسير الميسر:٣٠٥.

(٢٤٧٢) تفسير القرآن الجامع لابن وهب(٢٣٣):ص١١٨/٢.

(٢٤٧٣) اخرجه الطبري:١٥٣/١٨.

(٢٤٧٤) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.

(٢٤٧٥) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.

(٢٤٧٦) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.

(٢٤٧٧) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.

(٢٤٧٨) اخرجه الطبري:١٥٤/١٨.

(٢٤٧٩) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٤٨٠) تفسير مجاهد:٤٥٤.

(٢٤٨١) أخرجه الطبري:١٥٥/١٨.

(٢٤٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٦٠):ص٢٤٠٠/٧.

(٢٤٨٣) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٤٨٤) أخرجه الطبري:١٥٥/١٨.

القرآن

{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣)} [مريم : ١٣]

التفسير:

وآتيناه رحمة ومحبة من عندنا وطهارة من الذنوب، وكان خائفًا مطيعًا لله تعالى، مؤديًا فرائضه، مجتنبًا محارمه.

قوله تعالى:{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا} [مريم : ١٣]، أي:" وآتيناه رحمة ومحبة من عندنا"(٢٤٨٥).

وفي قوله تعالى:{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا} [مريم : ١٣]، وجوه:

أحدها: معناه: ورحمة من عندنا. قاله قتادة(٢٤٨٦)، وعكرمة(٢٤٨٧)، والضحاك(٢٤٨٨).

قال الضحاك:" رحمة من عندنا لا يملك عطاءها غيرنا"(٢٤٨٩).

الثاني: معناه: وتعطفا من عندنا عليه، فعلنا ذلك. وهذا قول مجاهد(٢٤٩٠).

الثالث: أن الحنان: المحبة. ومعنى الكلام: ومحبة من عندنا فعلنا ذلك. وهذا قول عكرمة(٢٤٩١).

الثالث: معناه: معناه تعظيما من لدنا. قاله عطاء بن أبي رباح(٢٤٩٢).

قوله تعالى:{وَزَكَاةً} [مريم : ١٣]، أي:" وآتيناه طهارة من الذنوب"(٢٤٩٣).

عن قتادة، قوله: "{وَزَكَاةً}، قال: الزكاة: العمل الصالح"(٢٤٩٤).

قال ابن جريج:" الزكاة: العمل الصالح الزكيّ"(٢٤٩٥).

قال الضحاك:" يعني العمل الصالح الزاكي"(٢٤٩٦).

قوله تعالى:{وَكَانَ تَقِيًّا} [مريم : ١٣]، أي:" وكان خائفًا مطيعًا لله تعالى، مؤديًا فرائضه، مجتنبًا محارمه"(٢٤٩٧).

عن يحيى بن جعدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي لأحد إن يقول: أنا خير من يحيى بن زكريا، ما هم بخطيئة ولا حاكت في صدره امرأة»(٢٤٩٨).

القرآن

{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤)} [مريم : ١٤]

التفسير:

وكان بارًّا بوالديه مطيعًا لهما، ولم يكن متكبرًا عن طاعة ربه، ولا عن طاعة والديه، ولا عاصيًا لربه، ولا لوالديه.

قوله تعالى:{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ} [مريم : ١٤]، أي:" وكان بارًّا بوالديه مطيعًا لهما"(٢٤٩٩).

قال السدي:" يعني: مطيعا لوالديه"(٢٥٠٠).

(٢٤٨٥) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٤٨٦) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.

(٢٤٨٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.

(٢٤٨٨) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.

(٢٤٨٩) أخرجه الطبري:١٥٦/١٨.

(٢٤٩٠) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٨.

(٢٤٩١) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٨.

(٢٤٩٢) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٨.

(٢٤٩٣) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٤٩٤) أخرجه الطبري:١٥٩/١٨.

(٢٤٩٥) أخرجه الطبري:١٥٩/١٨.

(٢٤٩٦) أخرجه الطبري:١٥٩/١٨.

(٢٤٩٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٤٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٦٨):ص٢٤٠١/٧.

(٢٤٩٩) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٠٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٨/١.

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} [مريم : ١٤]، أي:" ولم يكن متكبرًا عن طاعة ربه، ولا عن طاعة والديه، ولا عاصيًا لربه، ولا لوالديه"(٢٥٠١).

قال السدي:" مستكبرا عن عبادة ال"(٢٥٠٢).

القرآن

{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)} [مريم : ١٥]

التفسير:

وسلام من الله على يحيى وأمان له يوم وُلِد، ويوم يموت، ويوم يُبعث مِن قبره حيًا.

قوله تعالى:{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ} [مريم : ١٥]، أي:" وسلام من الله على يحيى وأمان له يوم وُلِد"(٢٥٠٣).

عن السدي:" {وسلام عليه يوم ولد}، يعني: حين ولد. {ويوم يموت}، يعني: وحين يموت، {ويوم يبعث حيا}: يوم القيامة"(٢٥٠٤).

قال قتادة: "ما أذنب، ولا هم بامرأة"(٢٥٠٥).

قال الحسن:" إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سلمت على نفسي، وسلم الله عليك، فعرف والله فضلها"(٢٥٠٦).

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦)} [مريم : ١٦]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر مريم إذ تباعدت عن أهلها، فاتخذت لها مكانًا مما يلي الشرق عنهم.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ} [مريم : ١٦]، أي:" واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر مريم"(٢٥٠٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحق مريم ابنة عمران"(٢٥٠٨).

قال السدي: "يقول: اذكر لأهل مكة أمر مريم"(٢٥٠٩).

قوله تعالى:{إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} [مريم : ١٦]، أي:" إذ تباعدت عن أهلها، فاتخذت لها مكانًا مما يلي الشرق عنهم"(٢٥١٠).

قال قتادة:" أي: انفردت من أهلها"(٢٥١١)، "{مكانا شرقيا}، من قبل المشرق"(٢٥١٢)، " شاسعا متنحيا"(٢٥١٣).

(٢٥٠١) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥٠٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٨/١.
(٢٥٠٣) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥٠٤) ذكره يحيى بن سلام: ٢١٨/١.
(٢٥٠٥) أخرجه الطبري:١٦٠/١٨٨.
(٢٥٠٦) اخرجه الطبري:١٦٠/١٨-١٦١.
(٢٥٠٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥٠٨) تفسير الطبري:١٦١/١٨.
(٢٥٠٩) حكاه عنه يحيى بن سلام، انظر: التفسير:٢١٨/١.
(٢٥١٠) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥١١) أخرجه الطبري:١٦١/١٨.
(٢٥١٢) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨.
(٢٥١٣) أخرجه الطبري:١٦٢/١٨.

قال السدي:" خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها، وهو قوله: {فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا}: في شرقي المحراب"[٢٥١٤].

قال مجاهد:" قالت مريم -عليها السلام-: كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر"[٢٥١٥].

القرآن

{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)} [مريم : ١٧]

التفسير:

فجعلت مِن دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن الناس، فأرسلنا إليها الملَك جبريل، فتمثَّل لها في صورة إنسان تام الخَلْق.

قوله تعالى:{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} [مريم : ١٧]، أي:" فجعلت مِن دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن الناس"[٢٥١٦].

عن السدي :"{فاتخذت من دونهم حجابا}، من الجدران"[٢٥١٧].

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} [مريم : ١٧]، أي:" فأرسلنا إليها الملك جبريل"[٢٥١٨].

قال قتادة:" أرسل إليها فيما ذكر لنا جبريل"[٢٥١٩].

قال السدي:" فلما طهرت، يعني مريم من حيضها، إذا هي برجل معها، وهو قوله {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا}"[٢٥٢٠].

قال سعيد بن جبير:" نفخ جبريل في درعها، فبلغت حيث شاء الله"[٢٥٢١].

قال أبو صالح:" بعث الله إليها ملكا فنفخ في جيبها، فدخل في الفرج"[٢٥٢٢].

قوله تعالى:{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم : ١٧]، أي:" فتمثَّل لها في صورة إنسان تام الخَلْق"[٢٥٢٣].

قال وهب بن منبه:" وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا"[٢٥٢٤].

قال المفسرون: "إنما تمثل لها في صورة الإنسان لتتأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرتْ ولم تقدر على السماع لكلامه"[٢٥٢٥].

القرآن

{قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨)} [مريم : ١٨]

التفسير:

قالت مريم له: إني أستجير بالرحمن منك أن تنالني بسوء إن كنت ممن يتقي الله.

قال ابن جريج:" خشيت أن يكون إنما يريدها على نفسها"[٢٥٢٦].

قال السدي:" فلما رأته فزعت منه"[٢٥٢٧].

(٢٥١٤) أخرجه الطبري:١٦١/١٨-١٦٢.

(٢٥١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٧٤):ص٢٤٠٢/٧.

(٢٥١٦) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥١٧) أخرجه الطبري:١٦٣/١٨.

(٢٥١٨) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥١٩)أخرجه الطبري:١٦٣/١٨ .

(٢٥٢٠)أخرجه الطبري:١٦٣/١٨ .

(٢٥٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٧٨):ص٢٤٠٣/٧.

(٢٥٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٧٦):ص٢٤٠٣/٧.

(٢٥٢٣) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٢٤)أخرجه الطبري:١٦٣/١٨ .

(٢٥٢٥)صفوة التفاسير:١٩٦/٢ .

(٢٥٢٦) أخرجه الطبري:١٦٤/١٨.

(٢٥٢٧) أخرجه الطبري:١٦٤/١٨.

عن عطاء بن يسار: "إن جبريل أتاها في صورة رجل فكشف الحجاب فلما رأته تعوذت منه، فنفخ في جيب درعها فبلغت، فذكر ذلك في المدينة، فهجر زكريا وترك، وكان قبل ذلك يستفتى ويأتيه الناس، حتى إن كان ليسلم على الرجل فما يكلمه"[٢٥٢٨].

عن الحسن:{إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} "أي: إن كنت تقيا له فاجتنبني"[٢٥٢٩].

قال أبو وائل:" لقد علمت مريم إن التقي ذو نهية"[٢٥٣٠].

(٢٥٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٧٩):ص٢٤٠٣/٧.

(٢٥٢٩)حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢١٩/١ .

(٢٥٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٨١):ص٢٤٠٣/٧.

القرآن

{قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)} [مريم : ١٩]

التفسير:

قال لها المَلَك: إنما أنا رسول ربك بعثني إليك؛ لأهب لك غلامًا طاهرًا من الذنوب.

عن قتادة قوله: "{ غلاما زكيا}، قال: صالحا"(٢٥٣١).

وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء :«ليهب لك غلاما زكيا»، بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاما زكيا(٢٥٣٢).

القرآن

{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)} [مريم : ٢٠]

التفسير:

قالت مريم للمَلَك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسسني بشر بنكاح حلال، ولم أكُ زانية؟

قوله تعالى:{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ} [مريم : ٢٠]، أي:" قالت مريم للمَلَك: كيف يكون لي غلام، ولم يمسسني بشر بنكاح حلال"(٢٥٣٣).

قال السدي:" ولم يجامعني زوج"(٢٥٣٤).

قوله تعالى:{وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} [مريم : ٢٠]، أي:" ولم أكُ زانية"(٢٥٣٥).

عن سعيد بن جبير:" {ولم أك بغيا}، قال: زانية"(٢٥٣٦).

القرآن

{قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١)} [مريم : ٢١]

التفسير:

قال لها المَلَك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسسك بشر، ولم تكوني بَغِيًّا، ولكن ربك قال: الأمر عليَّ سهل; وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى، ورحمة منَّا به وبوالدته وبالناس، وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقًا مقدَّرًا، مسطورًا في اللوح المحفوظ، فلا بد مِن نفوذه.

قوله تعالى:{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا} [مريم : ٢١]، أي:" وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى، ورحمة منَّا به وبوالدته وبالناس"(٢٥٣٧).

قال السدي:" لمن قبل عنه دينه"(٢٥٣٨).

قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} [مريم : ٢١]، أي:" وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقًا مقدَّرًا، مسطورًا في اللوح المحفوظ، فلا بد مِن نفوذه"(٢٥٣٩).

قال وهب بن منبه:" أي: أن الله قد عزم على ذلك، فليس منه بد"(٢٥٤٠).

قال السدي:" يعني: كان عيسى أمرا من الله مكتوبا في اللوح المحفوظ أنه يكون"(٢٥٤١).

القرآن

{فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢)} [مريم : ٢٢]

(٢٥٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠٨٢):ص٢٤٠٣/٧.

(٢٥٣٢) حجة القراءات:٤٤٠، وانظر: تفسير الطبري:١٦٤/١٨.

(٢٥٣٣) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٣٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٩/١.

(٢٥٣٥) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٣٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٨٣):ص٢٤٠٣/٧.

(٢٥٣٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٣٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٩/١.

(٢٥٣٩) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٤٠) أخرجه الطبري:١٦٥/١٨.

(٢٥٤١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢١٩/١.

التفسير:
فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جَيْب قميصها، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها، فوقع الحمل بسبب ذلك، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس.

قوله تعالى:{فَحَمَلَتْهُ} [مريم : ٢٢]، أي:" فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جَيْب قميصها، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها، فوقع الحمل بسبب ذلك"(٢٥٤٢).

قال ابن جريج: يقولون: إنه إنما نفخ في جيب درعها وكمها"(٢٥٤٣).

قال وهب:" ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت"(٢٥٤٤).

قال وهب:" لما قال ذلك، يعني لما قال جبريل :{قال كذلك قال ربك هو علي هين} .... الآية استسلمت لأمر الله، فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها"(٢٥٤٥).

قال السدي:" طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها، فأخذ جبريل بكميها، فنفخ في جيب درعها، وكان مشقوقا من قدامها، فدخلت النفخة صدرها، فحملت، فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها; فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا: يا مريم أشعرت أني حبلى، قالت مريم: أشعرت أيضا أني حبلى، قالت امرأة زكريا: إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك قوله :{مصدقا بكلمة من الله}"(٢٥٤٦).

قوله تعالى:{فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا} [مريم : ٢٢]، أي:" فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس"(٢٥٤٧).

عن مجاهد، قوله :"{مَكَانًا قَصِيًّا}، قال: قاصيا"(٢٥٤٨).

قال السدي:" لما بلغ أن تضع مريم، خرجت إلى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه"(٢٥٤٩).

القرآن

{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣)} [مريم : ٢٣]

التفسير:
فألجأها طَلْقُ الحمل إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكَر، ولا يُدْرَى مَن أنا؟

قوله تعالى:{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} [مريم : ٢٣]، أي:" فألجأها طَلْقُ الحمل إلى جذع النخلة"(٢٥٥٠).

قال السدي:" ألجأها المخاض إلى جذع النخلة"(٢٥٥١).

قال قتادة:" اضطرّها إلى جذع النخلة"(٢٥٥٢).

واختلف أهل العلم في المكان الذي انتبذت مريم بعيسى لوضعه، وأجاءَها إليه المخاض، على قولين:

أحدهما: أنه كان ذلك في أدنى أرض مصر، وآخر أرض الشأم، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم. قاله وهب بن منبه(٢٥٥٣).

قال وهب بن منبه:" لما اشتملت مريم على الحمل، كان معها قَرابة لها، يقال له يوسف النَّجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم

(٢٥٤٢) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥٤٣) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.
(٢٥٤٤) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.
(٢٥٤٥) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.
(٢٥٤٦) أخرجه الطبري:١٦٦/١٨.
(٢٥٤٧) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥٤٨) أخرجه الطبري:١٦٧/١٨.
(٢٥٤٩) أخرجه الطبري:١٦٧/١٨.
(٢٥٥٠) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥٥١) أخرجه الطبري:١٦٨/١٨.
(٢٥٥٢) أخرجه الطبري:١٦٨/١٨.
(٢٥٥٣) انظر: تفسير الطبري:١٦٩/١٨.

ويوسف يخدمان في ذلك المسجد، في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهادًا وعبادة منهما، فكان أوّل من أنكر حمل مريم صاحِبُها يوسف; فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظم عليه، وفظع به، فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراءتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ; وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها; فلما اشتدّ عليه ذلك كلمها، فكان أوّل كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته، وقد حَرَصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري، قالت: فقل قولا جميلا قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر; أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك، ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها، وكلف وجهها، ونتوّ بطنها، وضعف قوّتها، ودأب نظرها، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك; فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن أخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيروك، وقتلوا ولدك، فأفضت ذلك إلى أختها، وأختها حينئذ حُبلى، وقد بشرت بيحيى، فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجدا معترفا لعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخما لأرض مصر في منقطع بلاد قومها، أدرك مريم النفاس، ألجأها إلى آريّ حمار، يعنى مذود الحمار، وأصل نخلة، وذلك في زمان أحسبه بردا أو حرّا "الشكّ من أبي جعفر"، فاشتدّ على مريم المخاض; فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفًا محدقين بها"[٢٥٥٤].

وفي رواية أخرى قال وهب بن منبه:" قال: لما حضر ولادُها، يعني مريم، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء، فوضعته عندها"[٢٥٥٥].

الثاني: أنها خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه، فأتت أقصاه فألجأها المخاض إلى جِذْع النخلة، وهذا قول السدي[٢٥٥٦].

قوله تعالى:{قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} [مريم : ٢٣]، أي:" فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم"[٢٥٥٧].

قال السدي:" قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس"[٢٥٥٨].

قوله تعالى:{وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [مريم : ٢٣]، أي: وكنت شيئًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكَر، ولا يُدْرَى مَن أنا؟"[٢٥٥٩].

قال قتادة:" لا أعرف ولا يدرى من أنا"[٢٥٦٠].

قال السدي:" أي: شيئا لا يعرف ولا يذكر"[٢٥٦١].

قال السدي:" يقول: نِسيا: نُسي ذكري، ومنسيا: تقول: نسي أثري، فلا يرى لي أثر ولا عين"[٢٥٦٢].

(٢٥٥٤) أخرجه الطبري:١٨/١٦٩-١٧٠.

(٢٥٥٥) أخرجه الطبري:١٨/١٧٠.

(٢٥٥٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٦١-١٦٢.

(٢٥٥٧) التفسير الميسر:١/٣٠٦.

(٢٥٥٨) أخرجه الطبري:١٨/١٧١.

(٢٥٥٩) التفسير الميسر:١/٣٠٦.

(٢٥٦٠) اخرجه الطبري:١٨/١٧٢.

(٢٥٦١) اخرجه الطبري:١٨/١٧٢.

(٢٥٦٢) اخرجه الطبري:١٨/١٧٢.

عن الربيع بن أنس :"{نَسْيًا مَنْسِيًّا}، قال: هو السقط"[٢٥٦٣].

القرآن

{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)} [مريم : ٢٤]

التفسير:

فناداها جبريل أو عيسى: أن لا تَحزني، قد جعل ربك تحتك جَدْول ماء.

قوله تعالى:{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي} [مريم : ٢٤]، أي:" فناداها جبريل أو عيسى: أن لا تَحزني"[٢٥٦٤].

عن قتادة :"{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا}، أي: من تحت النخلة"[٢٥٦٥].

قال الضحاك:" يعني: جبرائيل كان أسفل منها"[٢٥٦٦].

وفي قوله تعالى:{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي} [مريم : ٢٤]، قولان:

أحدهما : أن المنادي لها من تحتها جبريل، قاله سعيد بن جبير-في رواية-[٢٥٦٧] ،وقتادة[٢٥٦٨]، والضحاك[٢٥٦٩]، والسدي[٢٥٧٠]، وعمرو بن ميمون[٢٥٧١].

قال سعيد بن جبير:" جبريل من أسفل الوادي"[٢٥٧٢].

قال قتادة:" أي: الملك من تحت النخلة"[٢٥٧٣].

الثاني : أنه عيسى ابنها ، قاله سعيد بن جبير[٢٥٧٤]، ومجاهد[٢٥٧٥]، ووهب بن منبه[٢٥٧٦].

وأولى القولين من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه[٢٥٧٧].

قوله تعالى:{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم : ٢٤]، أي:" قد جعل ربك تحتك جَدْول ماء"[٢٥٧٨].

وفي قوله تعالى:{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم : ٢٤]، قولان:

أحدهما : أن السريّ هو ابنها عيسى، لأن «السري»: هو الرفيع الشريف، مأخوذ من قولهم: فلان من سروات قومه، أي: من أشرافهم ، قاله الحسن[٢٥٧٩].

فعلى هذا يكون عيسى هو المنادي من تحتها: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}.

الثاني : أن «السريّ»: هو النهر ، قاله سعيد بن جبير[٢٥٨٠]، ومجاهد[٢٥٨١]، وقتادة، والضحاك[٢٥٨٢]، وإبراهيم[٢٥٨٣]، والسدي[٢٥٨٤]، وابن جريج[٢٥٨٥]، وعمرو بن ميمون الأوْدِيّ[٢٥٨٦].

(٢٥٦٣) اخرجه الطبري:١٧٢/١٨.

(٢٥٦٤) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٦٥) أخرجه الطبري:١٧٣/١٨.

(٢٥٦٦) أخرجه الطبري:١٧٣/١٨.

(٢٥٦٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٠٩٥):ص٢٤٠٤/٧.

(٢٥٦٨) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.

(٢٥٦٩) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.

(٢٥٧٠) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.

(٢٥٧١) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٨.

(٢٥٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٩٥):ص٢٤٠٤/٧.

(٢٥٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٠٩٨):ص٢٤٠٤/٧.

(٢٥٧٤) انظر: تفسير الطبري:١٧٤/١٨.

(٢٥٧٥) انظر: تفسير الطبري:١٧٤/١٨.

(٢٥٧٦) انظر: تفسير الطبري:١٧٤/١٨.

(٢٥٧٧) تفسير الطبري:١٧٤/١٨.

(٢٥٧٨) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٧٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٠٠):ص٢٤٠٥/٧وانظر: النكت والعيون:٣٦٥/٣.

(٢٥٨٠) انظر: تفسير الطبري:١٧٦/١٨.

(٢٥٨١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٠٤):ص٢٤٠٥/٧.

(٢٥٨٢) انظر: تفسير الطبري:١٧٧/١٨.

(٢٥٨٣) انظر: تفسير الطبري:١٧٦/١٨.

وذلك لتكون النخلة لها طعاماً ، والنهر لها شراباً، وعلى هذا يكون جبريل هو المنادي لها: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}.

وروي عن وهب بن منبه، قال:" يعني: ربيع الماء"[٢٥٨٧].

وأولى القولين في ذلك بالصواب من قال: عنى به الجدول-أي النهر الصغير-، وذلك أنه أعلمها ما قد أتاها الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي} من هذا الرطب {وَاشْرَبِي} من هذا الماء {وَقَرِّي عَيْنًا} بولدك، والسريّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير; ومنه قول لبيد[٢٥٨٨]:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُها

ويُروى:فينا مسجورة، ويُروى أيضًا: فغادرا[٢٥٨٩].

وفي قوله تعالى {سَرِيًّا} [مريم : ٢٤]، قولان:

احدهما: أنه لفظ أعجمي.

عن مجاهد: قوله: "{سريا}، قال: نهرا بالسريانية"[٢٥٩٠].

عن الضحاك، قال: "جدول صغير بالسريانية"[٢٥٩١].

وعن سعيد بن جبير قوله: "{سريا}، قال: نهرا بالقبطية"[٢٥٩٢].

الثاني: أنه عربي مشتق من :«السراية»، فَسُمِّيَ: «السريّ»، لأنه يجري فيه، ومنه قول الشاعر[٢٥٩٣]:

سهل الخليقة ماجد ذو نائل ... مثل السريّ تمدّه الأنهار

قال قتادة: "«السريّ»: هو الجدول، تسميه أهل الحجاز"[٢٥٩٤].

القرآن

{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)} [مريم : ٢٥]

التفسير:

وحَرِّكي جذع النخلة تُسَاقِطْ عليك رطبًا غَضًّا جُنِيَ مِن ساعته.

قوله تعالى:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ} [مريم : ٢٥]، أي:" وحَرِّكي جذع النخلة"[٢٥٩٥].

عن مجاهد:"{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ}، قال: النخلة"[٢٥٩٦]، وفي رواية قال:"العجوة؟"[٢٥٩٧].

(٢٥٨٤) انظر: تفسير الطبري:١٧٧/١٨.

(٢٥٨٥) انظر: تفسير الطبري:١٧٦/١٨.

(٢٥٨٦) انظر: تفسير الطبري:١٧٦/١٨.

(٢٥٨٧) أخرجه الطبري:١٧٧/١٨.

(٢٥٨٨)البيت للبيد بن ربيعة العامري، من معلقته المشهورة (انظره في شرح الزوزني على المعلقات السبع، وفي شرح التبريزي على القصائد العشر، وفي جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤) . قال صاحب الجمهرة: توسطا؛: أي دخلا وسطه. وعرض السري: أي ناحية النهر، وأهل الحجاز. يسمون النهر سريا. وصدعا: أي فرقا. ومسجورة: أي عينا مملوءة؛ قال الله تعالى: (والبحر المسجور) وأقلامها، ويروى قلامها، وهو ضرب من الشجر الحمض، والأقلام: قصب اليراع. وقال الزوزني يقول: فتو سط العير والأتان جانب النهر الصغير، وشقا عينا مملوءة ماء، قد تجاوز قلامها، أي قد كثر هذا الضرب من النبت عليها. وتحرير المعنى: أنهما قد ورد عينا ممتلئة ماء، فدخلا فيها من عرض نهرها، وقد تجاور نبتها. والشاهد في قوله " السري " وهو اسم للنهر الصغير.

(٢٥٨٩) .تفسير الطبري:١٧٧/١٨-١٧٨

(٢٥٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٠٤):ص٢٤٠٥/٧.

(٢٥٩١)أخرجه الطبري:١٧٧/١٨ .

(٢٥٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٠٥):ص٢٤٠٥/٧.

(٢٥٩٣) انظر: مسائل نافع بن الأزرق:١١٦، و الإتقان : ١/ ١٢٧، والنكت والعيون:٣٦٦/٣.

الخليقة: السليقة والطبيعة والعادة.

الماجد: الشريف الخيّر، والحسن الخلق السّمح: الجمع: أمجاد وماجدون ومجدة. النائل: ما ينال والجود والعطاء.

(٢٥٩٤) أخرجه الطبري:١٧٧/١٨.

(٢٥٩٥) التفسير الميسر:٣٠٦/١.

(٢٥٩٦) أخرجه الطبري:١٧٩/١٨.

(٢٥٩٧) أخرجه الطبري:١٧٩/١٨.

قوله تعالى:{تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [مريم : ٢٥]، أي:" تُسَاقِطْ عليك رطبًا غَضًّا جُنِيَ مِن ساعته"[٢٥٩٨].

قال وهب:" فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء"[٢٥٩٩].

قال السدي:" وكان جذعا منها مقطوعا فهزّته، فإذا هو نخلة، وأجري لها في المحراب نهر، فتساقطت النخلة رطبًا جنيا فقال لها :{فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا}"[٢٦٠٠].

عن عمرو بن ميمون، أنه تلا هذه الآية:{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}، فقال: "ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب"[٢٦٠١].

(٢٥٩٨) التفسير الميسر:٣٠٦/١.
(٢٥٩٩) أخرجه الطبري:١٧٨/١٨.
(٢٦٠٠) أخرجه الطبري:١٧٨/١٨.
(٢٦٠١) أخرجه الطبري:١٧٨/١٨.

القرآن

{فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)} [مريم : ٢٦]

التفسير:

فكلي من الرطب، واشربي من الماء وطيبي نفسًا بالمولود، فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن أمرك فقولي له: إني أَوْجَبْتُ على نفسي لله سكوتًا، فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس.

قوله تعالى:{فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} [مريم : ٢٦]، أي:" فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن أمرك، فقولي له: إني أَوْجَبْتُ على نفسي لله سكوتًا"(٢٦٠٢).

قال قتادة:" أما قوله :{صَوْما}، فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام"(٢٦٠٣).

قوله تعالى:{فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} [مريم : ٢٦]، أي:" فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس"(٢٦٠٤).

قال الضحاك:" كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام، إلا مِن ذكر الله، فقال لها ذلك، فقالت: إني أصوم من الكلام كما أصوم مِنْ الطعام، إلا من ذكر الله; فلما كلموها أشارت إليه، فقالوا :{كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}، فأجابهم فقال {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ}، حتى بلغ {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ}"(٢٦٠٥).

واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر، على أقوال:

أحدها: أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة، وذلك أنها جاءت وهي أيِّم بولد بالكفّ عن الكلام ليكفيها فأمرت الكلام ولدها. وهذا معنى قول وهب بن منبه(٢٦٠٦).

عن وهب بن منبه :"{فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}، فإني سأكفيك الكلام"(٢٦٠٧).

الثاني: إنما كان ذلك آية لمريم وابنها. وهذا قول قتادة(٢٦٠٨).

عن قتادة، في قوله :"{إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}، قال في بعض الحروف: «صمتا»، وذلك إنك لا تلقى امرأة جاهلة تقول: نذرت كما نذرت مريم، ألا تكلم يومًا إلى الليل، وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها، ولا يحلّ لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل"(٢٦٠٩).

الثالث: كانت صائمة في ذلك اليوم، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس، فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة. وهذا قول السدي(٢٦١٠).

قال السدي:" فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي، فقيل لها: لا تزيدي على هذا"(٢٦١١).

القرآن

{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)} [مريم : ٢٧]

التفسير:

فأتت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد، فلما رأوها كذلك قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى.

قوله تعالى:{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ} [مريم : ٢٧]، أي:" فأتت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد"(٢٦١٢).

(٢٦٠٢) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢٦٠٣) أخرجه الطبري:١٨٣/١٨.
(٢٦٠٤) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢٦٠٥) أخرجه الطبري:١٨٣/١٨.
(٢٦٠٦) انظر: تفسير الطبري:١٨٤/١٨.
(٢٦٠٧) أخرجه الطبري:١٨٤/١٨.
(٢٦٠٨) انظر: تفسير الطبري:١٨٤/١٨.
(٢٦٠٩) أخرجه الطبري:١٨٤/١٨.
(٢٦١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨٤/١٨.
(٢٦١١) أخرجه الطبري:١٨٤/١٨.
(٢٦١٢) التفسير الميسر:٣٠٧.

قال وهب:" أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى، حتى إذا كلّمها، يعني عيسى، وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها"[٢٦١٣].

قال السدي:" لما ولدته ذهب الشيطان، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدّون، فدعوها :{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ}"[٢٦١٤].

قوله تعالى:{قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} [مريم : ٢٧]، أي:" قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى"[٢٦١٥].

عن قتادة والسدي، قوله :"{لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا}: عظيما"[٢٦١٦].

قال وهب:" لما رأوها ورأوه معها، قالوا: يا مريم :{لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا}، أي: الفاحشة غير المقاربة"[٢٦١٧].

قال سعيد بن جبير:" كان في زمان بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان عين، فكانت المرأة إذا قارفت، أتوها بها فشربت منها، فإن كانت بريئة لم تضرها، وإلا ماتت. فلما حملت مريم أتوها بها على بغلة فعثرت بها فدعت الله إن يعقم رحمها، فعقم من يومئذ، فلما أتتها شربت منها فلم تزدد إلا خيرا، ثم دعت الله إن لا يفضح بها امرأة مؤمنة، فغارت العين"[٢٦١٨].

القرآن

{يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)} [مريم : ٢٨]

التفسير:

يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش، وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البغاء.

قوله تعالى:{يَا أُخْتَ هَارُونَ} [مريم : ٢٨]، أي:" يا أخت الرجل الصالح هارون"[٢٦١٩].

وفي في المراد بـ«هارون» هنا، خمسة أقوال:

أحدها: أنه أخ لها من أمها وأبيها. قاله الضحاك[٢٦٢٠].

قال الضحاك: "كان من أبيها وأمها"[٢٦٢١].

الثاني: أنها كانت من بني هارون أخي موسى، وهو كما تقول: يا أخا بني فلان. قاله السدي[٢٦٢٢].

قال علي بن ابي طلحة: "نسبت إلى هارون بن عمران، لأنها كانت من سبطه كقولك يا أخا الأنصار"[٢٦٢٣].

قال السدي:" كانت من سبط هارون، فقيل لها: يا أخت هارون فدعيت إلى سبطه، كالرجل يقول للرجل: يا أخا بني ليث، يا أخا بني فلان"[٢٦٢٤].

الثالث: أنه رجل صالح كان من بني إسرائيل، فشبهوها به في الصلاح، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح. وهذا مروي عن قتادة[٢٦٢٥].

(٢٦١٣) أخرجه الطبري:١٨/١٨٤-١٨٥.

(٢٦١٤) أخرجه الطبري:١٨/١٨٥.

(٢٦١٥) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦١٦) أخرجه الطبري:١٨/١٨٥-١٨٦.

(٢٦١٧) أخرجه الطبري:١٨/١٨٦.

(٢٦١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١١٦):ص٧/٢٤٠٧.

(٢٦١٩) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٢٠) انظر: زاد المسير:٣/١٢٩.

(٢٦٢١) انظر: زاد المسير:٣/١٢٩.

(٢٦٢٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٨٧.

(٢٦٢٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣١١٨):ص٧/٢٤٠٧.

(٢٦٢٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣١١٩):ص٧/٢٤٠٧.

(٢٦٢٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٨٦.

ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرأون؟ «يا أخت هارون»، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم»"[٢٦٢٦].

عن محمد بن سيرين، قال: "نبئت أن كعبا قال: إن قوله {يَاأُخْتَ هَارُونَ}، ليس بهارون أخي موسى، قال: فقالت له عائشة: كذبت، قال: يا أمّ المؤمنين، إن كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ستّ مئة سنة، قال: فسكتت"[٢٦٢٧].

قال قتادة:" كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح، ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحا محببا في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر. قال: ودُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل"[٢٦٢٨].

الرابع: أن قوم هارون كان فيهم فساق وزناة، فنسبوها إليهم، قاله سعيد بن جبير[٢٦٢٩].

الخامس: أنه رجل من فساق بني إسرائيل شبهوها به، قاله وهب بن منبه[٢٦٣٠].

عن أبي بكر بن عيش قال: "في قراءة أبي:« قالوا: يا ذا المهد»"[٢٦٣١].

قوله تعالى:{مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ} [مريم : ٢٨]، أي:" ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش"[٢٦٣٢].

قال السدي:" يعني: ما كان زانيا"[٢٦٣٣].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا} [مريم : ٢٨]، أي:" وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البغاء"[٢٦٣٤].

عن السدي :"{وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}، قال: زانية"[٢٦٣٥].

القرآن

{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)} [مريم : ٢٩]

التفسير:

فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه، فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم مَن لا يزال في مهده طفلا رضيعًا؟

قوله تعالى:{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} [مريم : ٢٩]، أي:" فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه"[٢٦٣٦].

قال وهب:" يقول: أشارت إليه أن كلّموه"[٢٦٣٧].

عن ابن جريج: قوله :"{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ}، أن كَلّموه"[٢٦٣٨].

قال قتادة:" أمرتهم بكلامه"[٢٦٣٩].

(٢٦٢٦)صحيح. أخرجه مسلم ٢١٣٥ والترمذي ٣١٥٥ والنسائي في «التفسير» ٣٣٥ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٨٢ والطبري (١٨٧/١٨) ، وابن أبي حاتم(١٣١١٧):ص٢٤٠٧/٧ [واللفظ له] من طرق عن المغيرة بن شعبة به.

(٢٦٢٧) أخرجه الطبري:١٨٦/١٨-١٨٧.

(٢٦٢٨) أخرجه الطبري:١٨٦/١٨.

(٢٦٢٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٢٠):ص٢٤٠٧/٧.

(٢٦٣٠) انظر: زاد المسير:١٢٩/٣.

(٢٦٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٢١):ص٢٤٠٧/٧.

(٢٦٣٢) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٣٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٢/١.

(٢٦٣٤) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٣٥) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.

(٢٦٣٦) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٣٧) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.

(٢٦٣٨) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.

(٢٦٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٢٢):ص٢٤٠٧/٧.

قال السدي:" قالت لهم ما أمرها الله به، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه، إلى عيسى"[٢٦٤٠].

قوله تعالى:{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} [مريم : ٢٩]، أي:" فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم مَن لا يزال في مهده طفلا رضيعًا؟"[٢٦٤١].

عن قتادة:"{في المهد}، قال: في الحجر"[٢٦٤٢].

قال السدي:" لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبيّ أشدّ علينا من زناها :{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}"[٢٦٤٣].

القرآن

{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)} [مريم : ٣٠]

التفسير:

قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني عبد الله، قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبيًا.

قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} [مريم : ٣٠]، أي:" قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني عبد الله"[٢٦٤٤].

قال وهب:" فأجابهم عيسى عنها فقال لهم :{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} ... الآية"[٢٦٤٥].

قال الضحاك:" لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين :{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}"[٢٦٤٦].

قوله تعالى:{آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مريم : ٣٠]، أي:" قضى بإعطائي الكتاب، وهو الإنجيل، وجعلني نبيًا"[٢٦٤٧].

قال عكرمة:" قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى"[٢٦٤٨].

قال مجاهد:" النبيّ وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل"[٢٦٤٩].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان عيسى بن مريم قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه، فذلك قوله: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا}"[٢٦٥٠].

القرآن

{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)} [مريم : ٣١]

التفسير:

وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حيًا.

قوله تعالى:{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} [مريم : ٣١]، أي:" وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ"[٢٦٥١].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} [مريم : ٣١]، وجوه من التفسير:

أحدها : نفاعا ، قاله مجاهد[٢٦٥٢].

الثاني : آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر.

(٢٦٤٠) أخرجه الطبري:١٨٨/١٨.

(٢٦٤١) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٢٢):ص٢٤٠٧/٧.

(٢٦٤٣) أخرجه الطبري:١٨٩/١٨.

(٢٦٤٤) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٤٥) أخرجه الطبري:١٨٩/١٨-١٩٠.

(٢٦٤٦) أخرجه الطبري:١٨٩/١٨-١٩٠.

(٢٦٤٧) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٤٨) أخرجه الطبري:١٩٠/١٨.

(٢٦٤٩) أخرجه الطبري:١٩٠/١٨.

(٢٦٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٤):ص٢٤٠٨/٧.

(٢٦٥١) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٥٢) انظر: تفسير الطبري:١٩١/١٨.

عن محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي، قال: "سمعت وُهَيْب ابن ابن الورد مولى بني مخزوم، قال: لقي عالم عالما لما هو فوقه في العلم، قال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من علمي، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان"[٢٦٥٣].
الثالث : معلماً للخير ، قاله سفيان[٢٦٥٤]، ومجاهد-في رواية أخرى-[٢٦٥٥].

القرآن
{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)} [مريم : ٣٢]
التفسير:
وجعلني بارًّا بوالدتي، ولم يجعلني متكبرًا ولا شقيًا، عاصيًا لربي.
قوله تعالى:{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي} [مريم : ٣٢]، أي:" وجعلني بارًّا بوالدتي"[٢٦٥٦].
قال السدي:" يعني: مطيعا لأمر مريم"[٢٦٥٧].
عن نوف: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي}، أي: ليس لي أب"[٢٦٥٨].
قوله تعالى:{وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} [مريم : ٣٢]، أي:" ولم يجعلني متكبرًا ولا شقيًا، عاصيًا لربي"[٢٦٥٩].
عن العوام بن حوشب قال :"إنك لا تكاد تجد عاقا، إلا تجده جبارا، ثم قرأ: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}"[٢٦٦٠].
قال قتادة : "ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبى للبطن الذي حملك وللثدي الذي أرضعت به ، فقال نبي الله عيسى ، عليه السلام ، يجيبها : طوبى لمن تلا كلام الله ، فاتبع ما فيه ولم يكن جبارًا شقيًّا"[٢٦٦١].

القرآن
{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)} [مريم : ٣٣]
التفسير:
والسلامة والأمان عليَّ من الله يوم وُلِدْتُ، ويوم أموت، ويوم أُبعث حيًا يوم القيامة.
قوله تعالى:{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم : ٣٣]، أي:" والسلامة والأمان عليَّ من الله يوم وُلِدْتُ ويوم أموت، وفي يوم خروجي حياً من قبري "[٢٦٦٢].
قال الشعبي:"فقرات ابن آدم ثلاث: يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث، وهي التي ذكر عيسى في قوله: {والسلام علي}، الآية"[٢٦٦٣].

القرآن
{ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)} [مريم : ٣٤]
التفسير:

(٢٦٥٣) أخرجه الطبري:١٩١/١٨.
(٢٦٥٤) انظر: تفسير الطبري:١٩١/١٨.
(٢٦٥٥) انظر: تفسير الطبري:١٩١/١٨.
(٢٦٥٦) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢٦٥٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٣/١.
(٢٦٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٦):ص٢٤٠٨/٧.
(٢٦٥٩) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢٦٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٢٩):ص٢٤٠٨/٧.
(٢٦٦١) تفسير ابن كثير:٢٣٠/٥.
(٢٦٦٢) التفسير الميسر:٣٠٧.
(٢٦٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٣٠):ص٢٤٠٨/٧.

ذلك الذي قصصنا عليك - أيها الرسول - صفتَه وخبرَه هو عيسى ابن مريم، مِن غير شك ولا مرية، بل هو قولُ الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى.

قوله تعالى:{قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} [مريم : ٣٤]، أي:" هو قولُ الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى"(٢٦٦٤).

قال الحسن: "والحق هو الله"(٢٦٦٥).

قال مجاهد:" الله عز وجل، الحق"(٢٦٦٦).

القرآن

{مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)} [مريم : ٣٥]

التفسير:

ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ مِن عباده وخَلْقه ولدًا، تنزَّه وتقدَّس عن ذلك، إذا قضى أمرًا من الأمور وأراده، صغيرًا أو كبيرًا، لم يمتنع عليه، وإنما يقول له: «كن» ، فيكون كما شاءه وأراده.

قوله تعالى:{مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ} [مريم : ٣٥]، أي:" ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ مِن عباده وخَلْقه ولدًا، تنزَّه الله عن الولد والشريك"(٢٦٦٧).

قال السدي:" يعني: عيسى كان في علمه أن يكون من غير أب"(٢٦٦٨).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٢٦٦٩).

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"(٢٦٧٠).

القرآن

{وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)} [مريم : ٣٦]

التفسير:

وقال عيسى لقومه: وإن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

قال وهب:" عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه: {إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم}، أي: إني وإياكم عبيد الله، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره"(٢٦٧١).

القرآن

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)} [مريم : ٣٧]

التفسير:

فاختلفت الفِرَق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام، فمنهم غال فيه وهم النصارى، فمنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة - تعالى الله عما يقولون -، ومنهم جافٍ عنه وهم اليهود، قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف النجار، فهلاك للذين كفروا مِن شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى:{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ} [مريم : ٣٧]، أي:" فاختلفت الفِرَق من أهل الكتاب فيما بينهم في أمر عيسى عليه السلام"(٢٦٧٢).

(٢٦٦٤) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٦٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٢٣/١.

(٢٦٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٣١):ص٢٤٠٨/٧

(٢٦٦٧) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٦٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٣/١.

(٢٦٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٢٦٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(٢٦٧١) أخرجه الطبري:١٩٧/١٨.

(٢٦٧٢) التفسير الميسر:٣٠٧.

قال قتادة:" اختلفوا فيه فصاروا أحزابا"[٢٦٧٣].

وفي «الاحزاب»، أقوال:

أحدها: عنى بذلك: الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى، واختلفت فيه. قاله قتادة[٢٦٧٤]، والسدي[٢٦٧٥].

قال قتادة:" اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج من كل قوم عالمهم فتشاوروا في عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيى من احيى وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، فقالت الثلاثة: كذبت. ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه. فقال هو ابن الله، وهم النسطورية. فقال اثنان: كذبت. ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه. قال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وعيسى إله، وأمه إله. وهم الإسرائيلية وهم ملوك النصارى. فقال الرابع: كذبت.. هو عبد الله ورسوله وروحه من كلمته، وهم المسلمون، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتتلوا فظهر على المسلمين. فذلك قوله الله: {وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ}[٢٦٧٦]، قال قتادة: وهم الذين قال الله: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ}[٢٦٧٧]، قال: اختلفوا فيه فصاروا أحزابا، فاختلف القوم، فقال المرء المسلم: أنشدكم ... هل تعلمون إن عيسى كان يطعم الطعام، وأن الله لا يطعم الطعام؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فهل تعلمون إن عيسى كان ينام، وأن الله لا ينام؟ قالوا: اللهم نعم. فخصمهم المسلمون فانسل القوم، فذكر لنا إن اليعقوبية ظهرت يومئذ، وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن: {فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم}"[٢٦٧٨].

الثاني: أنهم اليهود والنصارى. قاله مجاهد[٢٦٧٩]، والسدي[٢٦٨٠].

الثالث: أنهم الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس. قاله الحسن[٢٦٨١].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: فاختلف الفرق المختلفون في عيسى ابن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته، وهم اليهود والنصارى، ومن اختلف فيه من النصارى، لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسلين مختلفي الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه، وقوله لهم: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}[٢٦٨٢].

قوله تعالى:{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [مريم : ٣٧]، أي:" فهلاك للذين كفروا مِن شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة"[٢٦٨٣].

قال قتادة:" شهدوا هولا إذا عظيما"[٢٦٨٤].

القرآن

{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨)} [مريم : ٣٨]

التفسير:

ما أشدَّ سمعَهم وبصرهم يوم القيامة، يوم يَفْدُمون على الله، حين لا ينفعهم ذلك!! لكن الظالمون اليوم في هذه الدنيا في ذهابٍ بيِّنٍ عن الحق.

قوله تعالى:{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا} [مريم : ٣٨]، أي:" ما أشدَّ سمعَهم وبصرهم يوم القيامة، يوم يَفْدُمون على الله، حين لا ينفعهم ذلك!!"[٢٦٨٥].

(٢٦٧٣) أخرجه الطبري:١٩٨/١٨.

(٢٦٧٤) انظر: تفسير الطبري:٦٣٦/١٨.

(٢٦٧٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٢٣/١-٢٢٤.

(٢٦٧٦)[آل عمران: ٢١].

(٢٦٧٧)[مريم: ٣٧].

(٢٦٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٣٢):ص٢٤٠٨/٧، وفي رواية الطبري:١٩٨/١٨:" ذكر لنا أن لما رفع ابن مريم، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم".

(٢٦٧٩) انظر: تفسير الطبري:١٩٧/١٨.

(٢٦٨٠) انظر: تفسير الطبري:٦٣٦/١٨.

(٢٦٨١) انظر: الكشاف:١٧/٣.

(٢٦٨٢) تفسير الطبري:٦٣٦/١٨-٦٣٧.

(٢٦٨٣) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٨٤) أخرجه الطبري:١٩٨/١٨.

قال قتادة:" ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر"[٢٦٨٦].

القرآن

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩)} [مريم : ٣٩]

التفسير:

وأنذر - أيها الرسول - الناس يوم الندامة حين يُقضى الأمر، ويُجَاءُ بالموت كأنَّه كبش أملح، فيُذْبَح، ويُفصل بين الخلق، فيصير أهل الإيمان إلى الجنة، وأهل الكفر إلى النار، وهم اليوم في هذه الدنيا في غفلة عمَّا أُنذروا به، فهم لا يصدقون، ولا يعملون العمل الصالح.

قوله تعالى:{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} [مريم : ٣٩]، أي:" وأنذر - أيها الرسول - الناس يوم الندامة، حين قضي أمرُ الله في الناس"[٢٦٨٧].

قال السدي:" يعني: إذ وجب العذاب فوقع أهل النار"[٢٦٨٨].

القرآن

{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)} [مريم : ٤٠]

التفسير:

إنا نحن الوارثون للأرض ومَن عليها بفنائهم وبقائنا بعدهم وحُكْمنا فيهم، وإلينا مصيرهم وحسابهم، فنجازيهم على أعمالهم.

قال حزم بن أبي حزم القُطعي : "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد ، فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت ، فجعل مصيرهم إليه ، وقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على خلقه : أنه يرث الأرض ومن عليها ، وإليه يرجعون"[٢٦٨٩].

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١)} [مريم : ٤١]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - لقومك في هذا القرآن قصة إبراهيم - عليه السلام - إنه كان عظيم الصدق، ومِن أرفع أنبياء الله تعالى منزلة.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ} [مريم : ٤١]، أي:" واذكر - أيها الرسول - لقومك في هذا القرآن قصة إبراهيم - عليه السلام -"[٢٦٩٠].

حكي يحيى بن سلام عن السدي:" يقول: اذكر لأهل مكة أمر إبراهيم. أي: اقرأه عليهم"[٢٦٩١].

القرآن

{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)} [مريم : ٤٣]

التفسير:

يا أبت، إن الله أعطاني من العلم ما لم يعطك، فاقبل مني، واتبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضلُّ فيه.

(٢٦٨٥) التفسير الميسر:٣٠٧.

(٢٦٨٦) أخرجه الطبري:١٩٩/١٨.

(٢٦٨٧) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٢٦٨٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٥/١.

(٢٦٨٩)رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٣٤/٥.

(٢٦٩٠) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٢٦٩١) تفسير يحيى بن سلام: ٢٢٦/١.

قوله تعالى:{فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} [مريم : ٤٣]، أي:" فاقبل مني، واتبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطريق السوي الذي لا تضلُّ فيه"(٢٦٩٢).

قال السدي:" يعني: دينا عدلا، وهو الإسلام"(٢٦٩٣).

القرآن

{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦)} [مريم : ٤٦]

التفسير:

قال أبو إبراهيم لابنه: أمعرض أنت عن عبادة آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن سَبِّها لأقتلنَّك رميًا بالحجارة، واذهب عني فلا تلقني، ولا تكلمني زمانًا طويلا من الدهر.

قوله تعالى:{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ} [مريم : ٤٦]، أي:" أي لئن لم تترك شتم وعيب آلهتي لأرجمنك بالحجارة"(٢٦٩٤).

عن السدي:"{ لأَرْجُمَنَّكَ}، بالشتيمة والقول"(٢٦٩٥).

عن ابن جريج:"{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ}، قال: بالقول; لأشتمنك"(٢٦٩٦).

قوله تعالى:{وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم : ٤٦]، أي:" واذهب عني فلا تلقني، ولا تكلمني زمانًا طويلا من الدهر"(٢٦٩٧).

وفي قوله تعالى:{وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم : ٤٦]، وجوه:

احدها: معناه: واهجرني حينا طويلا ودهرا. لأن معنى «الملي»: المُلاوة من الزمان، وهو الطويل منه. وهذا قول الحسن(٢٦٩٨)، وسعيد بن جبير(٢٦٩٩)، ومجاهد(٢٧٠٠)، وابن إسحاق(٢٧٠١).

وقال السدي:" أبدا"(٢٧٠٢).

الثاني: معناه: سوياً سليماً من عقوبتي ، قاله قتادة(٢٧٠٣)، والضحاك(٢٧٠٤)، وعطية الجدلي(٢٧٠٥).

قال الضحاك:" اجتنبني سالما لا يصيبك مني معرّة"(٢٧٠٦).

الثالث: حيناً ، قاله عكرمة(٢٧٠٧).

القرآن

{قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)} [مريم : ٤٧]

التفسير:

قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكره، وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة. إن ربي كان رحيمًا رؤوفًا بحالي يجيبني إذا دعوته.

(٢٦٩٢) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢٦٩٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٧/١.
(٢٦٩٤) صفوة التفاسير:٢٠٠/٢.
(٢٦٩٥) أخرجه الطبري:٢٠٥/١٨.
(٢٦٩٦) أخرجه الطبري:٢٠٥/١٨.
(٢٦٩٧) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢٦٩٨) انظر: تفسير الطبري:٢٠٥/١٨.
(٢٦٩٩) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(٢٧٠٠) انظر: تفسير الطبري:٢٠٥/١٨.
(٢٧٠١) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(٢٧٠٢) أخرجه الطبري:٢٠٦/١٨.
(٢٧٠٣) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(٢٧٠٤) انظر: تفسير الطبري:٢٠٧/١٨.
(٢٧٠٥) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٨.
(٢٧٠٦) أخرجه الطبري:٢٠٧/١٨.
(٢٧٠٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٧٤/٣.

قوله تعالى:{قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ} [مريم : ٤٧]، أي:" قال إبراهيم لأبيه: سلام عليك مني فلا ينالك مني ما تكره"[٢٧٠٨].

قال السدي:" عني رد خيرا"[٢٧٠٩].

وقال الحسن: "وهذه كلمة حلم"[٢٧١٠].

قوله تعالى:{سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [مريم : ٤٧]، أي:" وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، إن ربي كان رحيمًا رؤوفًا بحالي يجيبني إذا دعوته"[٢٧١١].

عن الحسن: {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}: بدعائي فلا يرده عليّ"[٢٧١٢].

عن مجاهد: {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}: عوده الإجابة" [٢٧١٣].

القرآن

{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)} [مريم : ٤٨]

التفسير:

وأفارقكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعو ربي مخلصًا، عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، فلا يعطيني ما أسأله.

قوله تعالى:{عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} [مريم : ٤٨]، أي:" عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، فلا يعطيني ما أسأله"[٢٧١٤].

قال أبو مالك: " كل شيء في القران: {عسى}، فهو واجب الا حرفين، حرف في التحريم: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُن}[٢٧١٥]، وفي بني اسرائيل: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم}[٢٧١٦]"[٢٧١٧]. وروي عن الضحاك[٢٧١٨]، والحسن[٢٧١٩]، والسدي[٢٧٢٠]، وابن إسحاق[٢٧٢١]، نحو ذلك.

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١)} [مريم : ٥١]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - في القرآن قصة موسى - عليه السلام - إنه كان مصطفى مختارًا، وكان رسولا نبيًا مِن أولي العزم من الرسل.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى} [مريم : ٥١]، أي:" واذكر - أيها الرسول - في القرآن قصة موسى - عليه السلام -"[٢٧٢٢].

قال السدي:" يقول: اذكر لأهل مكة أمر موسى"[٢٧٢٣].

(٢٧٠٨) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٢٧٠٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٧/١.

(٢٧١٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٨/١.

(٢٧١١) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٢٧١٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٨/١.

(٢٧١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٤٢):ص٢٤١٠/٧.

(٢٧١٤) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٢٧١٥)[التحريم : ٥].

(٢٧١٦)[الإسراء : ٨].

(٢٧١٧)أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠١٧): ص ٢/ ٣٨٣.

(٢٧١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٧١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٧٢٠) انظر: النكت والعيون:٣٤٧/٢-٣٤٨.

(٢٧٢١) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.

(٢٧٢٢) التفسير الميسر:٣٠٨.

(٢٧٢٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٢٨/١.

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم : ٥١]، أي:" إنه كان مصطفى مختارًا، وكان رسولا نبيًا مِن أولي العزم من الرسل"[٢٧٢٤].

قال مجاهد:" النبي وحده الذي تكلم، وينزل عليه ولا يرسل،" -ولفظ ابن أبي حاتم-: الأنبياء الذين ليسوا برسل يوحى إلى أحدهم، ولا يرسل إلى أحدهم، والرسل الأنبياء الذين يوحى إليهم ويرسلون"[٢٧٢٥].

القرآن

{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢)} [مريم : ٥٢]

التفسير:

ونادينا موسى من ناحية جبل طور «سيناء» اليمنى من موسى، وقرَّبناه فشرَّفناه بمناجاتنا له.

قوله تعالى:{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} [مريم : ٥٢]، أي:" ونادينا موسى من ناحية جبل طور «سيناء» اليمنى من موسى"[٢٧٢٦].

عن قتادة، قوله :{مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأيْمَنِ}، قال: جانب الجبل الأيمن"[٢٧٢٧].

قوله تعالى:{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم : ٥٢]، أي:" وقرَّبناه فشرَّفناه بمناجاتنا له"[٢٧٢٨].

قال أبو العالية:" قرّبه منه حتى سمع صريف القلم"[٢٧٢٩].

عن ميسرة :"{وقَرَّبْناهُ نَجِيًّا}، قال: أُدْنِيَ حتى سمع صريف القلم في اللوح، وقال شعبة: أردفه جبرائيل عليه السلام"[٢٧٣٠].

عن ابن أبي نجيح، قال: "أراه عن مجاهد، في قوله :{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}، قال: بين السماء الرابعة، أو قال: السابعة، وبين العرش سبعون ألف حجاب: حجاب نور، وحجاب ظلمة، وحجاب نور، وحجاب ظلمة; فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، وسمع صريف القلم {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}"[٢٧٣١].

قال قتادة:" نجا بصدقه"[٢٧٣٢].

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤)} [مريم : ٥٤]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إسماعيل عليه السلام، إنه كان صادقًا في وعده فلم يَعِد شيئًا إلا وفَّى به، وكان رسولا نبيًا.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ} [مريم : ٥٤]، أي:" واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إسماعيل -عليه السلام-"[٢٧٣٣].

قال السدي:" اذكر لأهل مكة أمر إسماعيل بن إبراهيم"[٢٧٣٤].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} [مريم : ٥٤]، أي:" إنه كان صادقًا في وعده فلم يَعِد شيئًا إلا وفَّى به"[٢٧٣٥].

قال ابن جريج:" لم يعد ربه عِدة إلا أنجزها"[٢٧٣٦].

(٢٧٢٤) التفسير الميسر:٣٠٨.
(٢٧٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٤):ص٢٤١١/٧.
(٢٧٢٦) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٢٧) اخرجه الطبري:٢١٠/١٨.
(٢٧٢٨) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٢٩) أخرجه الطبري:٢١١/١٨.
(٢٧٣٠) أخرجه الطبري:٢١١/١٨.
(٢٧٣١) أخرجه الطبري:٢١٠/١٨.
(٢٧٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٤٥):ص٢٤١١/٧.
(٢٧٣٣) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٣٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٢٩/١.
(٢٧٣٥) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٣٦) أخرجه الطبري:٢١١/١٨.

عن أبان العطار:" أن إسماعيل وعد رجلا موعدا فجاء الموعد فلم يجد الرجل، فأقام في ذلك الموضع حولا ينتظره"[٢٧٣٧].

القرآن

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)} [مريم : ٥٦ - ٥٧]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - في هذا القرآن خبر إدريس عليه السلام، إنه كان عظيم الصدق في قوله وعمله، نبيًا يوحى إليه، ورفَعْنا ذِكْره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة.

القرآن

قوله تعالى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم : ٥٧]، أي:" ورفَعْنا ذِكْره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة"[٢٧٣٨].

قال مجاهد: إدريس رُفع فلم يمت، كما رُفع عيسى"[٢٧٣٩].

عن أبي سعيد الخدريّ :"{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}، قال: في السماء الرابعة"[٢٧٤٠]. وروي عن مجاهد نحوه[٢٧٤١].

عن قتادة، قوله :"{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}، قال: حدثنا أنس بن مالك أن نبيّ الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال: أتيت على إدريس في السماء الرابعة"[٢٧٤٢].

قال كعب: "أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كلّ يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحبّ أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة، فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء; فلما كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدرا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تبارك وتعالى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}"[٢٧٤٣].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)} [مريم : ٥٨]

التفسير:

هؤلاء الذين قصصتُ عليك خبرهم أيها الرسول، هم الذين أنعم الله عليهم بفضله وتوفيقه، فجعلهم أنبياء من ذرية آدم، ومِن ذرية مَن حملنا مع نوح في السفينة، ومن ذرية إبراهيم، ومن ذرية يعقوب، وممَّن هدينا للإيمان واصطفينا للرسالة والنبُوَّة، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن المتضمنة لتوحيده وحججه خرُّوا ساجدين لله خضوعًا، واستكانة، وبكَوْا من خشيته سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{وَاجْتَبَيْنَا} [مريم : ٥٨]، أي:" وممَّن اصطفينا للرسالة والنبُوَّة"[٢٧٤٤].

عن مجاهد:" {وَاجْتَبَيْنا}، قال: خلصنا"[٢٧٤٥].

(٢٧٣٧) تفسير يحيى بن سلام:٢٢٩/١.
(٢٧٣٨) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٣٩) أخرجه الطبري:٢١٣/١٨.
(٢٧٤٠) أخرجه الطبري:٢١٣/١٨.
(٢٧٤١) انظر: تفسير الطبري:٢١٣/١٨.
(٢٧٤٢) تفسير الطبري:٢١٣/١٨.
(٢٧٤٣) أخرجه الطبري:٢١٢/١٨.
(٢٧٤٤) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٥١):ص٢٤١٢/٧.

القرآن

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)} [مريم : ٥٩]

التفسير:

فأتى مِن بعد هؤلاء المنعَم عليهم أتباع سَوْء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها، واتبعوا ما يوافق شهواتهم ويلائمها، فسوف يلقون شرًا وضلالا وخيبة في جهنم.

قوله تعالى:{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ} [مريم : ٥٩]، أي:" فأتى مِن بعد هؤلاء المنعَم عليهم أتباع سَوْء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها"(٢٧٤٦).

قال السدي:" هم اليهود والنصارى"(٢٧٤٧).

واختلف أهل التفسير في صفة إضاعتهم الصلاة، على قولين:

أحدهما: كانت إضاعتهم لها تأخيرهم إياها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها. قاله القاسم بن مخيمرة(٢٧٤٨)، وعمر بن عبد العزيز(٢٧٤٩).

قال القاسم بن مخيمرة :"أخروا الصلاة عن ميقاتها، ولو تركوها كفروا"(٢٧٥٠).

عن إبراهيم بن يزيد:" أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلا إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين، فخرج إلى حرسه، وقد كان تقدم إليهم أن لا يقوموا إذا رأوه، قال: فأوسعوا له، فجلس بينهم فقال: أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا: كلنا نعرفه، قال: فليقم أحدثكم سنا، فليدعه، فأتاه الرسول فقال: لا تعجلني أشدّ عليّ ثيابي، فأتاه فقال: إن اليوم الجمعة، فلا تبرحن حتى تصلي، وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين، فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها، فإنك مصليها لا محالة، ثم قرأ: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}، ثم قال: لم يكن إضاعتهم تركها، ولكن أضاعوا الوقت"(٢٧٥١). وفي رواية:" لم يكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا المواقيت"(٢٧٥٢).

قال مسروق: "لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس، فيكتب من الغافلين، وفي إفراطهنّ الهلكة، وإفراطهنّ: إضاعتهنّ عن وقتهنّ"(٢٧٥٣).

الثاني: أن إضاعتها: تركها. قاله محمد بن كعب(٢٧٥٤).

قال القرظي: "تركوا الصلاة"(٢٧٥٥).

عن مجاهد، قوله :"{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}، قال: عند قيام الساعة، وذهاب صالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة. قال محمد بن عمرو: زنا. وقال الحارث: زناة"(٢٧٥٦).

عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح :"{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} .... الآية، قال: هم أمة محمد"(٢٧٥٧).

قال أبو تميم بن مهاجر "هم في هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق، لا يخافون الله في السماء، ولا يستحيون الناس في الأرض"(٢٧٥٨).

قوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} [مريم : ٥٩]، أي:" واتبعوا ما يوافق شهواتهم ويلائمها"(٢٧٥٩).

(٢٧٤٦) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٣):ص٢٤١٢/٧.
(٢٧٤٨) انظر: تفسير الطبري:٢١٥/١٨.
(٢٧٤٩) انظر: تفسير الطبري:٢١٥/١٨.
(٢٧٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٤):ص٢٤١٢/٧.
(٢٧٥١) أخرجه الطبري:٢١٦/١٨.
(٢٧٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٦):ص٢٤١٢/٧.
(٢٧٥٣) أخرجه الطبري:٢١٦/١٨.
(٢٧٥٤) انظر: تفسير الطبري:٢١٦/١٨، وتفسير ابن ابي حاتم(١٣١٥٤):ص٢٤١٢/٧.
(٢٧٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٤):ص٢٤١٢/٧.
(٢٧٥٦) اخرجه الطبري:٢١٧/١٨.
(٢٧٥٧) اخرجه الطبري:٢١٧/١٨.
(٢٧٥٨) اخرجه الطبري:٢١٧/١٨.
(٢٧٥٩) التفسير الميسر:٣٠٩.

قال ابن الأشعث: "أوحى الله إلى داود عليه السلام: إن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عني محجوبة"[٢٧٦٠].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم : ٥٩]، أي:" فسوف يلقون شرًا وضلالا وخيبة في جهنم"[٢٧٦١].

عن قتادة، قوله: "{يلقون غيا}، قال: سوءا"[٢٧٦٢].

وروي أب عبيدة، عن أبيه، قال: "الغي: نهر جهنم في النار، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات"[٢٧٦٣].

قال كعب:" والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة: شرابين للقهوات، تباعين للشهوات، لعانين للكعبات، رقادين عن العتمات، مفرطين في الغدوات، تراكين للصلوات، تراكين للجمعات، ثم تلا هذه الآية: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات}"[٢٧٦٤].

القرآن

{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)} [مريم : ٦٠]

التفسير:

لكن مَن تاب منهم مِن ذنبه وآمن بربه وعمل صالحًا تصديقًا لتوبته، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويدخلون الجنة مع المؤمنين ولا يُنقَصون شيئًا من أعمالهم الصالحة.

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [مريم : ٦٠]، أي:" إلا من تاب وأناب وأصلح عمله"[٢٧٦٥].

عن قتادة: "{إلا من تاب}، قال من ذنبه، {وآمن}، قال: بربه، {وعمل صالحا}، قال: بينه وبين الله"[٢٧٦٦].

القرآن

{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١)} [مريم : ٦١]

التفسير:

جنات خلد وإقامة دائمة، وهي التي وعد الرحمن بها عباده بالغيب فآمَنوا بها ولم يروها، إن وعد الله لعباده بهذه الجنة آتٍ لا محالة.

قوله تعالى:{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ} [مريم : ٦١]، أي:" جنات خلد وإقامة دائمة، وهي التي وعد الرحمن بها عباده بالغيب فآمَنوا بها ولم يروها"[٢٧٦٧].

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٢٧٦٨].

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، وجوه:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن[٢٧٦٩].

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك[٢٧٧٠].

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء[٢٧٧١].

(٢٧٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٨):ص٢٤١٢/٧.
(٢٧٦١) التفسير الميسر:٣٠٩.
(٢٧٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٣):ص٢٤١٣/٧.
(٢٧٦٣) أخرجه الطبري: ٢١٨/١٨.
(٢٧٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٥٧):ص٢٤١٢/٧.
(٢٧٦٥) صفوة التفاسير:٢٠٢/٢.
(٢٧٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٣):ص٢٤١٣/٧.
(٢٧٦٧) التفسير الميسر:٢٠٩.
(٢٧٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٢٧٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.
(٢٧٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.
(٢٧٧١) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.

الرابع: أن جنة «عدن» في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين[٢٧٧٢]. ذكره الماوردي وقال:"رواه معاذ بن جبل مرفوعاً"[٢٧٧٣].

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"[٢٧٧٤].

القرآن

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)} [مريم : ٦٢]

التفسير:

لا يسمع أهل الجنة فيها كلامًا باطلا لكن يسمعون سلاما تحية لهم، ولهم رزقهم فيها من الطعام والشراب دائمًا، كلما شاؤوا صباحا ومساء، فهو غير محصور ولا محدد.

قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا} [مريم : ٦٢]، أي:" لا يسمع أهل الجنة فيها كلامًا باطلا لكن يسمعون سلاما تحية لهم"[٢٧٧٥].

عن مجاهد قوله: "{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}، قال: لا يستبون"[٢٧٧٦].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ٦٢]، أي:" ولهم رزقهم فيها من الطعام والشراب دائمًا، كلما شاؤوا صباحا ومساء، فهو غير محصور ولا محدد"[٢٧٧٧].

قال مجاهد :" ليس فيها بكرة ولا عشي، يؤتون به على النحو الذي يحبون من البكرة والعشي"[٢٧٧٨].

عن الوليد بن مسلم قال: "سألت زهير بن محمد، عن قوله: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا}، قال: ليس في الجنة ليل ولا شمس ولا قمر، هم في نور أبدا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاد الحجب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب"[٢٧٧٩].

قال الحسن:" كانوا يعدون النعيم، إن يتغدى الرجل، ثم يتعشى قال الله لأهل الجنة: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا}"[٢٧٨٠].

عن عامر بن يساف، عن يحيى، قال: "كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء، فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}: قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم"[٢٧٨١].

قال قتادة:" كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا، قدر ذلك الغداء والعشاء"[٢٧٨٢].

وعن قتادة، قوله :"{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}، فيها ساعتان بكرة وعشيّ، فإن ذلك لهم ليس ثم ليل، إنما هو ضوء ونور"[٢٧٨٣].

القرآن

{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)} [مريم : ٦٣]

التفسير:

(٢٧٧٢)قال ابن القيم:" والصحيح أنه[أي: جنة المأوى] اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال في النار {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}". حادي الأرواح:٩٧.

(٢٧٧٣) انظر: النكت والعيون:٣٨٢/٢. ولم أهتد إلي الحديث.

(٢٧٧٤) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(٢٧٧٥) التفسير الميسر:٢٠٩.

(٢٧٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم :ص٢٤١٣/٧. الخبر بدون ترقيم في المطبوع!

(٢٧٧٧) التفسير الميسر:٢٠٩.

(٢٧٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم :ص٢٤١٣/٧. الخبر بدون ترقيم في المطبوع!

(٢٧٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٦):ص٢٤١٣/٧.

(٢٧٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٧):ص٢٤١٣/٧.

(٢٧٨١) أخرجه الطبري:٢٢١/١٨.

(٢٧٨٢) أخرجه الطبري:٢٢١/١٨.

(٢٧٨٣) أخرجه الطبري:٢٢١/١٨.

تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات، هي التي نورثها ونعطيها عبادنا المتقين لنا، بامتثال أوامرنا واجتناب نواهينا.

قال إبراهيم بن عرفة: "وعد الله بالجنة كل من اتقى، وأرجو أن يكون كل موحد من أهل التقية - إن شاء الله - ولن يهلك مؤمن بين توحيد الله، وشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم"(٢٧٨٤).

عن داود بن أبي هند، قوله: "{مَنْ كَانَ تَقِيًّا}، قال: موحدا"(٢٧٨٥).

قال يحيى بن سلام :"حدثني الخليل بن مرة، أن الله تبارك وتعالى قال: «ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم»"(٢٧٨٦).

قال ابن شوذب: "ليس من أحد إلا وله في الجنة منزل وأزواج، فإذا كان يوم القيامة، ورث الله المؤمن كذا وكذا منزلا من منازل الكفار. فذلك قوله: {من عبادنا}"(٢٧٨٧).

القرآن

{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)} [مريم : ٦٤]

التفسير:

وقل - يا جبريل - لمحمد: وما نتنزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا، له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة، وما خلفنا مما مضى من الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، فله الأمر كله في الزمان والمكان، وما كان ربك ناسيًا لشيء من الأشياء.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما يمنعك إن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، فنزلت الآية"(٢٧٨٨).

عن عكرمة قال: "أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ثم نزل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ما نزلت حتى اشتقت إليك»، فقال له جبريل: «أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور»، فأوحى الله إلى جبريل إن قل له: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}"(٢٧٨٩).[مرسل]

قوله تعالى:{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} [مريم : ٦٤]، أي:" وقل - يا جبريل - لمحمد: وما نتنزل - نحن الملائكة - من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا"(٢٧٩٠).

قال قتادة:" هذا قول جبرائيل، احتبس جبرائيل في بعض الوحي، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "ما جئت حتى اشتقت إليك فقال له جبرائيل: {وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا}"(٢٧٩١).

(٢٧٨٤) حكاه عنه مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٦٥/٧.

(٢٧٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧.

(٢٧٨٦) تفسير يحيى بن سلام:١٣٣/١.

(٢٧٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٦٨):ص٢٤١٣/٧.

(٢٧٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧،واللفظ له، وأخرجه الطبري:٢٢٢/١٨.

وأخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٨) وفي التفسير (٤٧٣١) وفي التوحيد (٧٤٥٥)، وأخرجه الترمذي في التفسير (٣١٥٨) وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه النسائي في التفسير (٣٣٩) .

وأحمد في مسنده (١/ ٢٣١، ٢٣٣، ٣٥٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١١) .

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٢٧٨) لمسلم وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٢٧٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧.

وفي أسباب النزول للواحدي:٣٠٩:" وقال عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عليه السلام [عن النبي صلى الله عليه وسلم] ، حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل عليه السلام بجواب [ما سألوه] فأبطأ عليه، فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مشقة شديدة، فلما نزل جبريل عليه السلام، قال له: أبطأت علي حتى ساء ظني. واشتقت إليك. فقال جبريل عليه السلام: إني كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور: إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، فأنزل الله تعالى: {وما نتنزل إلا بأمر ربك}".

(٢٧٩٠) التفسير الميسر:٣٠٩.

(٢٧٩١) أخرجه الطبري: ٢٢٣/١٨.

قال مجاهد:" أبطأت الرسل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أتاه جبريل فقال: «ما حبسك عني؟» قال: كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم، ولا تنقون براجمكم، ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون وقرأ {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}"[٢٧٩٢].

قال مجاهد:" لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة، ويقولون: قلي، فلما جاءه قال: أي جبرائيل لقد رثت علي حتى لقد ظن المشركون كل ظن فنزلت :{وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}"[٢٧٩٣].

قال الضحاك:" احتبس عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون في ذلك، واشتدّ ذلك على نبيّ الله، فأتاه جبرائيل، فقال: اشتدّ عليك احتباسنا عنك، وتكلم في ذلك المشركون، وإنما أنا عبد الله ورسوله، إذا أمرني بأمر أطعته {وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ}، يقول: بقول ربك"[٢٧٩٤].

قال السدي:" احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حتى حزن واشتد عليه، فشكا ذلك إلى خديجة، فقالت خديجة: لعل ربك قد ودعك أو قلاك، فنزل جبريل بهذه الآية: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[٢٧٩٥]، قال: يا جبريل، احتبست عني حتى ساء ظني، فقال جبريل: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}"[٢٧٩٦].

قوله تعالى:{لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} [مريم : ٦٤]، أي:" له ما بين أيدينا مما يستقبل من أمر الآخرة، وما خلفنا مما مضى من الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، فله الأمر كله في الزمان والمكان"[٢٧٩٧].

وفي قوله تعالى:{لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} [مريم : ٦٤]، وجوه:

أحدها : {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}: من الدنيا، {وَمَا خلْفَنَا}: من الآخرة، {وَمَا بَيْنَ ذلِكَ}، يعني: ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة، قاله الربيع[٢٧٩٨]، وأبو العالية[٢٧٩٩].

الثاني : {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}: الآخرة، {وَمَا خلْفَنَا}: الدنيا، {وَمَا بَيْنَ ذلِكَ}، يعني: ما بين الدنيا والآخرة،قاله الضحاك[٢٨٠٠].

وقال قتادة:" {لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا} مِنَ الآخِرَةِ {وَمَا خَلْفَنَا} مِنَ الدُّنْيَا {وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} ما بين النفختين"[٢٨٠١].

الثالث: {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا}، أي: ما مضى أمامنا من الدنيا ، {وَمَا خلْفَنَا}: ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة . {وَمَا بَيْنَ ذلِكَ}: ما مضى من قبل وما يكون من بعد ، قاله ابن جريج[٢٨٠٢].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة، لأن ذلك لم يجئ وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ، وأنه جاء، فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، فصار خلفهم بتخليفهم إياه، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه، ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة، لأن ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين.

وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلات به، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. فتأمل الكلام إذن: فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك، فإنا لا نتنزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، لله ما هو حادث من أمور الآخرة

(٢٧٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٧٢):ص٢٤١٤/٧.

(٢٧٩٣)مرسل، أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨، وعزاه في الدر (٤/ ٢٧٩) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢٧٩٤) أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨.

(٢٧٩٥)[الضحى : ٣].

(٢٧٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٧١):ص٢٤١٤/٧.

(٢٧٩٧) التفسير الميسر:٣٠٩.

(٢٧٩٨) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨.

(٢٧٩٩) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨.

(٢٨٠٠) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨.

(٢٨٠١) أخرجه الطبري:٢٢٤/١٨.

(٢٨٠٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٨-٢٢٥.

التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة، بيده ذلك كله، وهو مالكه ومصرّفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به"[٢٨٠٣].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم : ٦٤]، أي:" وما كان ربك ناسيًا لشيء من الأشياء"[٢٨٠٤].

قال السدي:" ما كان ربك لينساك يا محمد"[٢٨٠٥].

القرآن

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)} [مريم : ٦٥]

التفسير:

فهو الله رب السموات والأرض وما بينهما، ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره، فاعبده وحده - أيها النبي - واصبر على طاعته أنت ومَن تبعك، ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

قوله تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [مريم : ٦٥]، أي:" فهو الله رب السموات والأرض وما بينهما، ومالك ذلك كله وخالقه ومدبره"[٢٨٠٦].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٢٨٠٧].

قوله تعالى:{فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} [مريم : ٦٥]، أي:" فاعبده وحده - أيها النبي -، واصبر على طاعته أنت ومَن تبعك"[٢٨٠٨].

قال الحسن: "لما فرض عليك"[٢٨٠٩].

قوله تعالى:{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم : ٦٥]، أي:" هل تعلم له شبيهاً ونظيراً؟"[٢٨١٠].

قال قتادة:" هل تعلم له عدلا"[٢٨١١]. قال يحيى: "أي: من قبل المساماة"[٢٨١٢].

قال مجاهد:" هل تعلم له شبيها، هل تعلم له مثلا تبارك وتعالى"[٢٨١٣].

قال مجاهد:" لا سميّ لله ولا عَدل له، كلّ خلقه يقر له، ويعترف أنه خالقه، ويعرف ذلك، تم يقرأ هذه الآية :{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}"[٢٨١٤].

قال ابن جريج:" يقول: لا شريك له ولا مثل"[٢٨١٥].

القرآن

{وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦)} [مريم : ٦٦]

التفسير:

ويقول الإنسان الكافر منكرًا للبعث بعد الموت: أإذا ما مِتُّ وفَنِيتُ لسوف أُخرَج من قبري حيًا؟!

سبب النزول:

قال الكلبي: "نزلت في أبي بن خلف. حين أخذ عظاما بالية يفتها بيده، ويقول: زعم لكم محمد أنا نبعث بعد ما نموت"[٢٨١٦].[ضعيف]

(٢٨٠٣) تفسير الطبري:٢٢٥/١٨.

(٢٨٠٤) التفسير الميسر:٣٠٩.

(٢٨٠٥)أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٧٥):ص٢٤١٤/٧ .

(٢٨٠٦) التفسير الميسر:٣١٠.

(٢٨٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٢٨٠٨) التفسير الميسر:٣١٠.

(٢٨٠٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٣٤/١.

(٢٨١٠) صفوة التفاسير:٢٠٣/٢

(٢٨١١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٣٤/١.

(٢٨١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٢٣٤/١.

(٢٨١٣) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٨.

(٢٨١٤) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٨.

(٢٨١٥) أخرجه الطبري:٢٢٦/١٨.

قال زيد بن أسلم:" وذلك في الذين ينكرون البعث"[٢٨١٧].
قرأ الحسن وأبو حيوة:« أَخْرُجُ»، بالفتح، والجمهور بضم الهمزة[٢٨١٨].

القرآن
{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)} [مريم : ٦٨]
التفسير:
فوربك - أيها الرسول - لنجمعن هؤلاء المنكرين للبعث يوم القيامة مع الشياطين، ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رُكَبهم; لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرون على القيام.
قوله تعالى:{ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا} [مريم : ٦٨]، أي:" ثم لنأتين بهم أجمعين حول جهنم باركين على رُكَبهم; لشدة ما هم فيه من الهول، لا يقدرون على القيام"[٢٨١٩].
وفي تفسير قوله تعالى:{جِثِيًّا} [مريم : ٦٨]، أقوال:
أحدها: جثيّاً على الرُّكَب، قاله الحسن[٢٨٢٠]، ومجاهد[٢٨٢١]، وقتادة[٢٨٢٢]، وعطية[٢٨٢٣].
الثاني : قياماً، قاله أبو مالك[٢٨٢٤].
الثالث: قياماً على رُكَبهم وذلك لضيق المكان بهم، فلا يمكنهم أن يجلسوا ولا أن يقوموا أيضا. وهذا قول السدي[٢٨٢٥].

القرآن
{ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩)} [مريم : ٦٩]
التفسير:
ثم لنأخذنَّ مِن كل طائفة أشدَّهم تمردًا وعصيانًا لله، فنبدأ بعذابهم.
قال مجاهد: "{من كل شيعة}: من كل أمة"[٢٨٢٦].
وقال السدي:" يعني: من كل أهل ملة"[٢٨٢٧].
وفي قوله تعالى:{أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا} [مريم : ٦٩]، وجهان:
أحدهما: أن «عتيا»، معناه: كفرا. وهذا قول مجاهد[٢٨٢٨].
قال مجاهد :" فلنبدأنّ بهم"[٢٨٢٩].
الثاني: شدة في القسوة. حكاه يحيى بن سلام عن الحسن[٢٨٣٠].

القرآن

(٢٨١٦) أسباب النزول للواحدي:٣٠٩. الكلبي متهم بالكذب.
(٢٨١٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٧٦):ص٣٧/١.
(٢٨١٨) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠٧/٦.
(٢٨١٩) التفسير الميسر:٣١٠.
(٢٨٢٠) انظر: زاد المسير: ١٤٢/٣.
(٢٨٢١) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٣٤٦/٤.
(٢٨٢٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٣٥/١، وحكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٣٤٦/٤.
(٢٨٢٣) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٣.
(٢٨٢٤) انظر: زاد المسير: ١٤٢/٣.
(٢٨٢٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي:١٤، ٢٨٧، ومعالم التنزيل" ٥/ ٢٤٥، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٤٦، "زاد المسير" ٥/ ٢٥٣، "الدر المنثور" ٤/ ٥٠٤.
(٢٨٢٦) تفسير مجاهد: ٤٥٧، وانظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٣٥/١، وحكاه عنه مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٥٧١/٧.
(٢٨٢٧) نقلا عن: تفسير يحيى بن سلام: ٢٣٥/١.
(٢٨٢٨) انظر: تفسير الطبري:٢٢٨/١٨.
(٢٨٢٩) أخرجه تفسير الطبري:٢٢٨/١٨.
(٢٨٣٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٣٥/١.

{ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (٧٠)} [مريم : ٧٠]

التفسير:

ثم لنحن أعلم بالذين هم أوْلى بدخول النار ومقاساة حرها.

عن ابن جريج :"{ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا}، قال: أولى بالخلود في جهنم"[٢٨٣١].

القرآن

{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)} [مريم : ٧١]

التفسير:

وما منكم - أيها الناس - أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، كل بحسب عمله، كان ذلك أمرًا محتومًا، قضى الله - سبحانه - وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة.

قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم : ٧١]، أي:" وما منكم - أيها الناس - أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، كل بحسب عمله"[٢٨٣٢].

اختلف أهل التفسير في المراد بـ"الورود" في قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم : ٧١]، على أقوال:

أحدها : أن معنى «الورود» الذي ذكره الله في هذا الموضع، هو الدخول فيها. قاله الحسن[٢٨٣٣]، وابن جريج[٢٨٣٤].

أخرج يحيى بن سلام عن بسنده عن الحسن قال: "{وإن منكم إلا واردها}: إلا داخلها فيجعلها الله على المؤمن بردا وسلاما كما جعلها على إبراهيم"[٢٨٣٥].

قال ابن جريج: يقول: الورود الذي ذكره الله في القرآن: الدخول، ليردنها كل برّ وفاجر في القرآن أربعة أوراد {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} و{حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}، وقوله {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا}"[٢٨٣٦].

عن خالد بن معدان، قال: "قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة[أو قال: جامدة]"[٢٨٣٧].

عن أبي خالد قال: "تكون الأرض يومًا نارًا، فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}"[٢٨٣٨].

عن غنيم بن قيس، قال: "ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة، حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برّهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك، ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكلّ وليّ لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم. قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيره سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة، فيصرع به في النار سبعمائة ألف"[٢٨٣٩].

(٢٨٣١) أخرجه الطبري:٢٢٩/١٨. قال الطبري:" وهذا الذي قاله ابن جريج، قول لا معنى له، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كلّ شيعة من الكفرة أشدّهم كفرا، ولا شكّ أنه لا كافر بالله إلا مخلّد في النار، فلا وجه، وجميعهم مخلدون في جهنم، لأن يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ بالخلود من هؤلاء المخلدين، ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا. والصلي: مصدر صليت تصلي صليا، والصليّ: فعول، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل، فصارت ياء مشدّدة".[تفسير الطبري:٢٢٩/١٨]

(٢٨٣٢) التفسير الميسر:٣١٠.

(٢٨٣٣) اخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٣٨/١.

(٢٨٣٤) انظر: تفسير الطبري:٢٣٠/١٨.

(٢٨٣٥) تفسير يحيى بن سلام:٢٣٨/١.

(٢٨٣٦) أخرجه الطبري:٢٣٠/١٨.

(٢٨٣٧) أخرجه الطبري:٢٣٠/١٨-٢٣١.

(٢٨٣٨) أخرجه الطبري:٢٣١/١٨.

(٢٨٣٩) أخرجه الطبري:٢٣١/١٨.

عن أبي إسحاق، قال: "كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه، قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها"[٢٨٤٠].

الثاني : أن «الورود» معناه: الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين. وهذا قول عكرمة[٢٨٤١].

الثالث: يراد به المرور عليها؛ أي: فوق الصراط. وهذا قول قتادة[٢٨٤٢].

وروي عن ابن مسعود، قال :"الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللهمّ سلم سلم"[٢٨٤٣].

عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة: "لا يَدْخُلُ النَّارَ أحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا والحُدَيْبِيَة، قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول :{وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا} ؟ فقال رسول الله: "فمَهْ {ثُمَّ نُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا}"[٢٨٤٤].

عن أبي سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يوضع الصراط بين ظهري جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم ومجروح به، ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم، ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا، يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا، لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه ولم تغش الوجوه، فيستخرجونهم منها، فيطرحونهم في ماء الحياة؛ قيل: وما ماء الحياة يا رسول الله؟ قال غسل أهل الجنة، فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، فيستخرجونهم منها، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها"[٢٨٤٥].

الرابع: أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمَّى ومرض. وهذا قول مجاهد[٢٨٤٦].

قال مجاهد:" الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا}"[٢٨٤٧].

وعن أبي هريرة قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه، ثم قال: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي المُؤْمِنُ، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ"[٢٨٤٨].

الخامس: أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم. وهو معنى قول الحسن[٢٨٤٩].

عن الحسن، قال: "قال رجل لأخيه: هل أتاك بأنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكا حتى لحق بالله"[٢٨٥٠].

عن عمرو بن الحارث، أن بكيرا حدّثه أنه قال لبسر بن سعيد: "إن فلانا يقول: إن ورود النار القيام عليها. قال بسر: أما أبو هريرة فسمعته يقول: "إذا كان يوم القيامة، يجتمع الناس نادى مناد: ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون، فيقوم هذا إلى الحجر، وهذا إلى الفرس، وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله، فيأتيهم الله، فإذا رأوه قاموا إليه، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط، وفيه عليق، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة،

(٢٨٤٠) أخرجه الطبري:٢٣١/١٨.
(٢٨٤١) انظر: تفسير الطبري:٢٣٢/١٨.
(٢٨٤٢) انظر: تفسير الطبري:٢٣٢/١٨.
(٢٨٤٣)أخرجه الطبري:٢٣٢/١٨ .
(٢٨٤٤) أخرجه الطبري:٢٣٥/١٨.
(٢٨٤٥) أخرجه الطبري:٢٣٥/١٨-٢٣٦.
(٢٨٤٦) انظر: تفسير الطبري:٢٣٣/١٨.
(٢٨٤٧) أخرجه الطبري:٢٣٣/١٨.
(٢٨٤٨) أخرجه الطبري:٢٣٣/١٨.
(٢٨٤٩) أخرجه الطبري:٢٣٤/١٨.
(٢٨٥٠) أخرجه الطبري:٢٣٤/١٨.

فيمرّ الناس، والنبيون يقولون: اللهمّ سلم سلم. قال بكير: فكان ابن عميرة يقول: فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش، ثم ناج"[٢٨٥١].

السادس: أن المراد بالورود هنا هو الإشراف والاطلاع والقرب منها دون الدخول، حيث يكونون وهم في الموقف يشاهدون النار؛ فينجيهم الله مما شاهدوه. وهذا قول الحسن[٢٨٥٢]، وقتادة[٢٨٥٣].

وقد يذكر الورود بمعنى الحضور، قال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} [القصص : ٢٣]، أي: حضر، فهذا ورود مقاربة وإشراف عليه. وكذا قوله تعالى: {فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُم} [يوسف : ١٩].

ونظيره من كلام العرب: وردت بلد كذا وكذا إذا أشرفت عليه، دخلته أو لم تدخله، قال زهير بن أبي سلمى[٢٨٥٤]:

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

المعنى: بلغن إلى الماء، أي أقمن عليه. أفاده الزجاج[٢٨٥٥].

يتضح مما سبق: أن معنى «الورود» الذي ذكره الله يحتمل معاني كثيرة، ولهذا فقد اختلف كلمة العلماء في تعريفه، والمراد منه، إلى الأقوال التي ذكرناها، والواقع أن تلك الأقوال منها ما هو قريب، ومنها ما هو بعيد إلا أنه يقال: إن القول السادس منها - وهو أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم - وهو الراجح؛ لتصريح الآية به :{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا(٧١)ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧١-٧٢]، بالإضافة إلى ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

قوله تعالى:{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} [مريم : ٧١]، أي:" كان ذلك أمرًا محتومًا، قضى الله - سبحانه - وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة"[٢٨٥٦].

وفي قوله تعالى:{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} [مريم : ٧١]، وجهان:

أحدهما : معناه كان على ربك قضاء مقضيا، قاله مجاهد[٢٨٥٧]، وابن جريج[٢٨٥٨].

الثاني : معناه: كان على ربك قسماً واجباً ، قاله قتادة[٢٨٥٩].

القرآن

{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)} [مريم : ٧٢]

التفسير:

ثم ننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته، ونترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار باركين على رُكَبهم.

قوله تعالى:{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا} [مريم : ٧٢]، أي:" ثم ننجي الذين اتقوا ربهم بطاعته والبعد عن معصيته"[٢٨٦٠].

قال مجاهد:" يقول: "هنالك ينجي الله الذين اتقوا"[٢٨٦١].

(٢٨٥١) أخرجه الطبري:١٨/٢٣٤.

(٢٨٥٢) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٣/٣٠٧.

(٢٨٥٣) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٣/٣٠٧.

(٢٨٥٤)انظر: "ديوان زهير" ص ٧٨، "المحرر الوجيز" ١٠/ ٩١، "البحر المحيط" ٦/ ٢٧٩، "شرح القصائد العشر" للتبريزي ص ١٣٣، "شرح المعلقات السبع" للزوزني ص ١٤١، "تهذيب اللغة" (زرق) ٢/ ١٥٢٥، "لسان العرب" (زرق) ٣/ ١٨٠٢٧.

زرقاء: الزرقة: شدة الصفاء، يقال: ما أزرق إذا اشتد صفاؤه.

جِمَامَة: الجمام جمع جم الماء، وجمته وهو: ما اجتمع منه في البئر والحوض وغيرهما. وضع العصي: كناية عن الإقامة. الحاضر المتخيم: الحاضر النازل على الماء والمتخيم المقيم، وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة.

(٢٨٥٥) انظر: معاني القرآن/٣/٣٤٢.

(٢٨٥٦) التفسير الميسر:٣١٠.

(٢٨٥٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٣٧.

(٢٨٥٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٣٧.

(٢٨٥٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٢٣٧.

(٢٨٦٠) التفسير الميسر:٣١٠.

قوله تعالى:{وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم : ٧٢]، أي:" ونترك الظالمين لأنفسهم بالكفر بالله في النار باركين على رُكَبهم"(٢٨٦٢).

عن قتادة :"{وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}، على ركبهم"(٢٨٦٣).

قال قتادة:" إن الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتبسوا بذنوبهم"(٢٨٦٤).

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣)} [مريم : ٧٣]

التفسير:

وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلا وأحسن مجلسًا؟

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم : ٧٣]، أي:" قال الكفار بالله للمؤمنين به: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلا وأحسن مجلسًا؟"(٢٨٦٥).

عن قتادة: {أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا}، قال: "خير مكانا , وأحسن مجلسا"(٢٨٦٦).

قال قتادة:" رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشونة، وفيهم قشافة، فعرّض أهل الشرك بما تسمعون. قوله {وَأَحْسَنُ نَدِيًّا}، يقول: مجلسا"(٢٨٦٧).

القرآن

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (٧٤)} [مريم : ٧٤]

التفسير:

وكثيرًا أهلكنا قبل كفار قومك - أيها الرسول - من الأمم كانوا أحسن متاعًا منهم وأجمل منظرًا.

وفي قوله تعالى:{ أَثَاثًا وَرِئْيًا} [مريم : ٧٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن الأثاث: أحسن المتاع، والرِّئي: المال. قاله الحسن(٢٨٦٨).

الثاني: معناه: أكثر أموالاً وأحسن صوراً. وهذا قول قتادة(٢٨٦٩).

وروي عن قتادة ايضا:" أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا، فأهلك الله أموالهم، وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى"(٢٨٧٠).

الثالث : الأثاث المتاع . والرئي: ما يراه الناس. وهذا قول مجاهد(٢٨٧١).

الرابع : معناه: أكثر أموالاً وأحسن صوراً. قاله قتادة أيضا(٢٨٧٢).

القرآن

{قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥)} [مريم : ٧٥]

(٢٨٦١) تفسير مجاهد:٤٥٨.

(٢٨٦٢) التفسير الميسر:٣١٠.

(٢٨٦٣) أخرجه الطبري:٢٣٨/١٨.

(٢٨٦٤) أخرجه الطبري:٢٣٨/١٨.

(٢٨٦٥) التفسير الميسر:٣١٠.

(٢٨٦٦) تفسير عبدالرزاق(١٧٨١):ص٣٦٠/٢.

(٢٨٦٧) أخرجه الطبري:٢٤٠/١٨.

(٢٨٦٨) انظر: تفسير الطبري:٢٤١/١٨.

(٢٨٦٩) انظر: تفسير الطبري:٢٤١/١٨.

(٢٨٧٠) اخرجه الطبري:٢٤١/١٨.

(٢٨٧١) انظر: تفسير الطبري:٢٤٢/١٨.

(٢٨٧٢) انظر: تفسير الطبري:٢٤١/١٨.

التفسير:
قل - أيها الرسول - لهم: من كان ضالا عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى - يقينا - ما توعَّده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم - حينئذ - مَن هو شر مكانًا ومستقرًا، وأضعف قوة وجندًا.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم : ٧٥]، أي:" قل - أيها الرسول - لهم: من كان ضالا عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله"(٢٨٧٣).

قال مجاهد:" فليَدعْه الله في طغيانه"(٢٨٧٤).

القرآن

{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦)} [مريم : ٧٦]

التفسير:
ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بما يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها. والأعمالُ الباقيات الصالحات خير ثوابًا عند الله في الآخرة، وخير مرجعًا وعاقبة.

قوله تعالى:{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم : ٧٦]، أي:" ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بما يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها"(٢٨٧٥).

قال السدي:" يزيدهم إيمانا"(٢٨٧٦).

قوله تعالى:{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} [مريم : ٧٦]، أي:" والأعمالُ الباقيات الصالحات خير ثوابًا عند الله في الآخرة، وخير مرجعًا وعاقبة"(٢٨٧٧).

عن سعيد بن جبير: "{خير عند ربك ثوابا}، قال: "خير جزاء من جزاء المشركين"(٢٨٧٨).

عن الحسن:" {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}: الفرائض"(٢٨٧٩).

وقتادة:" «لا إله إلا الله , والله أكبر , والحمد لله , وسبحان الله من الباقيات الصالحات»"(٢٨٨٠).

عن قتادة:" أنه سئل، عن {الباقيات الصالحات}، فقال: كل ما أريد به وجه الله"(٢٨٨١).

القرآن

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)} [مريم : ٧٧]

التفسير:
أعَلِمْتَ - أيها الرسول - وعجبت من هذا الكافر «العاص بن وائل» وأمثاله؟ إذ كفر بآيات الله وكذَّب بها وقال: لأعطينَّ في الآخرة أموالا وأولادًا.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق عن خباب بن الأرت قال: كنت رجلا قينا، أي حدادا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت، ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية، إلى قوله عز وجل:
{فردا}"(٢٨٨٢).

(٢٨٧٣) التفسير الميسر:٣١٠.
(٢٨٧٤) أخرجه الطبري:٢٤٣/١٨.
(٢٨٧٥) التفسير الميسر:٣١٠.
(٢٨٧٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٧/٢، وحكاه يحيى بن سلام في تفسيره: ٢٤٠/١، عن السدي.
(٢٨٧٧) التفسير الميسر:٣١٠.
(٢٨٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٣٥):ص٢٣٦٥/٧.
(٢٨٧٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٤٠/١.
(٢٨٨٠) تفسير عبدالرزاق(١٧٨٣):ص٣٦٢/٢.
(٢٨٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٨٣٤):ص٢٣٦٥/٧.
(٢٨٨٢)صحيح. أخرجه البخاري ٢٢٧٥ و ٤٧٣٢ و ٤٧٣٣ ومسلم ٢٧٩٥ ح ٣٦ والترمذي ٣١٦٢ وأحمد ٥/ ١١٠ وابن حبان ٥٠١٠ من طرق عن سفيان عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٢٠٩١ و ٢٤٢٥ و ٤٧٣٤ و ٤٧٣٥ ومسلم ٢٧٩٥

وقال الكلبي ومقاتل: " كان خباب بن الأرت قينا وكان يعمل للعاص بن وائل السهمي وكان العاص يؤخر حقه الشيء بعد الشيء إلى الموسم، فكان حسن الطلب فصاغ له بعض الحلي فأتاه يتقاضاه الأجرة فقال العاص: ما عندي اليوم ما أقضيك، فقال له الخباب: لست مفارقك حتى تقضي، فقال له العاص: يا خباب ما لك؟ ما كنت هكذا وإن كنت حسن الطلب والمخالطة، فقال خباب: ذلك أني كنت على دينك فأما اليوم فأنا على الإسلام مفارق لدينك فلا، قال: أفلستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا؟ قال الخباب: بلى، قال: فأخرني حتى أقضيك في الجنة- استهزاء- فو الله لئن كان ما تقول حقا فإنى لأفضل فيها نصيبا منك، فأنزل الله سبحانه :{أفرأيت الذي كفر بآياتنا}، يعني: العاص "[٢٨٨٣].

الثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروي عن الحسن[٢٨٨٤].

قال ابن الجوزي:" والمفسرون على الأول"[٢٨٨٥].

قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} [مريم : ٧٧]، أي:" أعَلِمْت - أيها الرسول - وعجبت من هذا الكافر «العاص بن وائل» وأمثاله؟ إذ كفر بآيات الله وكذَّب بها وقال: لأعطينَّ في الآخرة أموالا وأولادًا"[٢٨٨٦].

عن مجاهد، قوله :"{لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا}، قال: العاص بن وائل يقوله"[٢٨٨٧].

قال قتادة:" فذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريرا وذهبا؟ قالوا: بلى، قال فميعادكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأوتينّ مالا وولدا، يقول الله {أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا "[٢٨٨٨].

القرآن

{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨)} [مريم : ٧٨]

التفسير:

أطَّلع الغيب، فرأى أن له مالا وولدًا، أم له عند الله عهد بذلك؟

عن قتادة :"{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}، بعمل صالح قدّمه"[٢٨٨٩].

القرآن

{كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩)} [مريم : ٧٩]

التفسير:

ليس الأمر كما يزعم ذلك الكافر، فلا علم له ولا عهد عنده، سنكتب ما يقول مِن كذب وافتراء على الله، ونزيده في الآخرة من أنواع العقوبات، كما ازداد من الغيِّ والضلال.

قوله تعالى:{وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا} [مريم : ٧٩]، أي:" ونزيده في الآخرة من أنواع العقوبات، كما ازداد من الغيِّ والضلال"[٢٨٩٠].

قال السدي:" يعني لا انقطاع له"[٢٨٩١].

القرآن

والنسائي في «التفسير» ٣٤٢ وأحمد ١/ ١١١ وابن حبان ٤٨٨٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٦١٠ و ٦١١ والطبراني ٣٦٥١ و ٣٦٥٢ و ٣٦٥٤.

(٢٨٨٣) الكشف والبيان:٢٢٩/٦، واسباب النزول للواحدي:٣١٠-٣١١، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٧/٢.

(٢٨٨٤) انظر: زاد المسير:١٤٦/٣.

(٢٨٨٥) زاد المسير:١٤٦/٣.

(٢٨٨٦) التفسير الميسر:٣١١.

(٢٨٨٧) أخرجه الطبري:٢٤٦/١٨.

(٢٨٨٨) أخرجه الطبري:٢٤٦/١٨.

(٢٨٨٩) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٨.

(٢٨٩٠) التفسير الميسر:٣١١.

(٢٨٩١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٤٣/١.

{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)} [مريم : ٨٠]

التفسير:

ونرثه ماله وولده، ويأتينا يوم القيامة فردًا وحده، لا مال معه ولا ولد.

قوله تعالى:{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ} [مريم : ٨٠]، أي:" ونرثه ماله وولده"[٢٨٩٢].

عن مجاهد، قوله :"{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ}، ماله وولده، وذلك الذي قال العاص بن وائل"[٢٨٩٣].

قوله تعالى:{وَيَأْتِينَا فَرْدًا} [مريم : ٨٠]، أي:" ويأتينا يوم القيامة فردًا وحده، لا مال معه ولا ولد"[٢٨٩٤].

قال قتادة:" لا مال له ولا ولد"[٢٨٩٥].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)} [مريم : ٨٣]

التفسير:

ألم تر - أيها الرسول - أنَّا سلَّطْنا الشياطين على الكافرين بالله ورسله; لتغويهم، وتدفعهم عن الطاعة إلى المعصية؟

قال قتادة:" تزعجهم إزعاجا في معصية الله"[٢٨٩٦].

وقال مجاهد : تُشليهم إشلاء"[٢٨٩٧].

وقال السدي : تطغيهم طغيانا"[٢٨٩٨].

القرآن

{فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)} [مريم : ٨٤]

التفسير:

فلا تستعجل - أيها الرسول - بطلب العذاب على هؤلاء الكافرين، إنما نحصي أعمارهم وأعمالهم إحصاءً لا تفريط فيه ولا تأخير.

قوله تعالى:{إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} [مريم : ٨٤]، أي:" إنما نحصي أعمارهم وأعمالهم إحصاءً لا تفريط فيه ولا تأخير"[٢٨٩٩].

عن سعيد بن جبير، قال: "كتب في أول الصحيفة، أجله ثم يكتب أسفل من ذلك: ذهب يوم كذا، وذهب يوم كذا حتى يأتي على أجله"[٢٩٠٠].

القرآن

{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)} [مريم : ٨٥ - ٨٦]

التفسير:

يوم نجمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفودًا مكرمين. ونسوق الكافرين بالله سوقًا شديدًا إلى النار مشاة عِطاشًا.

قوله تعالى:{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}[مريم : ٨٥]، أي:" يوم نجمع المتقين إلى ربهم الرحيم بهم وفودًا مكرمين"[٢٩٠١].

(٢٨٩٢) التفسير الميسر:٣١١.

(٢٨٩٣) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٨.

(٢٨٩٤) التفسير الميسر:٣١١.

(٢٨٩٥)أخرجه الطبري:٢٤٩/١٨ .

(٢٨٩٦) أخرجه الطبري:٢٥٢/١٨.

(٢٨٩٧) تفسير ابن كثير:٢٦٢/٥.

(٢٨٩٨) تفسير ابن كثير:٢٦٢/٥.

(٢٨٩٩) التفسير الميسر:٣١١.

(٢٩٠٠) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٤٤/١.

عن ابن جُريج : { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا }، قال: "على النجائب"[٢٩٠٢].
وقال قتادة : "وفدا إلى الجنة"[٢٩٠٣].
عن النعمان بن سعد، قال : "كنا جلوسًا عند عليّ ، رضي الله عنه ، فقرأ هذه الآية : { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا } قال : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة"[٢٩٠٤].
قال عمرو بن قيس الملائي: "إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة، وأطيبها ريحا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم، وتلا: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}"[٢٩٠٥].
قوله تعالى:{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم : ٨٦]، أي:" ونسوق الكافرين بالله سوقًا شديدًا إلى النار مشاة عِطاشًا"[٢٩٠٦].
عن الحسن وسفيان: قوله:"{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}، يقول: عطاشا"[٢٩٠٧].
وقال قتادة:" ظماء إلى النار"[٢٩٠٨].
قال قتادة:" سوقوا إليها وهم ظمء عطاش"[٢٩٠٩].

(٢٩٠١) التفسير الميسر:٣١١.
(٢٩٠٢) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.
(٢٩٠٣) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.
(٢٩٠٤)زوائد المسند (١٥٥/١) وتفسير الطبري:٢٥٤/١٨.
(٢٩٠٥) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.
(٢٩٠٦) التفسير الميسر:٣١١.
(٢٩٠٧) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.
(٢٩٠٨) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.
(٢٩٠٩) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٨.

القرآن

{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧)} [مريم : ٨٧]

التفسير:

لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لأحد، إنما يملكها مَنِ اتخذ عند الرحمن عهدًا بذلك، وهم المؤمنون بالله ورسله.

قال ابن جريج:" المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء {إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}، قال: عملا صالحا"(٢٩١٠).

قال ابن وهب:" وسمعت الليث يقول في هذه الآية: {لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا}، قال: عهده: حفظ كتبه"(٢٩١١).

عن قتادة، قوله :"{لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} : أي بطاعته، وقال في آية أخرى :{لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا}، ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إنَّ في أُمَّتِي رَجُلا لَيُدْخِلَنَّ اللهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بني تَمِيم»، وكنا نحدّث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته"(٢٩١٢).

عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ شَفاعَتِي لِمَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللهِ شَيئًا"(٢٩١٣).

عن الأسود بن يزيد قال : "قرأ عبد الله - يعني ابن مسعود - هذه الآية : { إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } ثم قال : اتخذوا عند الله عهدًا ، فإن الله يقول يوم القيامة : "من كان له عند الله عهد فليقم" قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، فَعلمنا. قال : قولوا : اللهم ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلني إلى عمل تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهدًا تُؤدّيه إلي يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد.

قال المسعودي : فحدثني زكريا ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أخبرنا ابن مسعود : وكان يُلْحِقُ بهن : خائفًا مستجيرًا مستغفرًا ، راهبًا راغبًا إليك"(٢٩١٤).

القرآن

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨)} [مريم : ٨٨]

التفسير:

وقال هؤلاء الكفار: اتخذ الرحمن ولدًا.

قال مقاتل:" من الملائكة، حين قالوا إنهن بنات الله- تعالى-، منهم: النضر ابن الحارث"(٢٩١٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله :{اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا}"(٢٩١٦).

قال القرطبي:" يعني: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله"(٢٩١٧).

قال السعدي:" وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولدا، كقول النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزير ابن الله، والمشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا"(٢٩١٨).

القرآن

(٢٩١٠) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٨.

(٢٩١١) تفسير القرءن من الجامع لابن وهب(٣٦١):ص١٧٠/٢.

(٢٩١٢) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٨.

(٢٩١٣) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٨.

(٢٩١٤) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٦٥/٥، ورواه الحاكم في المستدرك (٣٧٧/٢) من طريق عبد الرحمن بن سعد عن المسعودي عن عون عن الأسود بن يزيد عن ابن مسعود بنحوه ، ولم يذكر أبا فاختة ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢٩١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٣٩/٢.

(٢٩١٦) تفسير الطبري:٢٥٧/١٨.

(٢٩١٧) تفسير القرطبي:١٥٥/١١.

(٢٩١٨) تفسير السعدي:٥٠١.

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)} [مريم : ٨٨ - ٨٩]

التفسير:

وقال هؤلاء الكفار: اتخذ الرحمن ولدًا، لقد جئتم - أيها القائلون - بهذه المقالة شيئا عظيمًا منكرًا.

عن مجاهد وقتادة، قوله :"{شَيْئًا إِدًّا}، قال: عظيما"[٢٩١٩].

القرآن

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١)} [مريم : ٩٠ - ٩١]

التفسير:

تكاد السموات يتشقَّقْنَ مِن فظاعة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله لِنِسْبَتِهم إليه الولد. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال مجاهد:" ذكر لنا أن كعبا كان يقول: غضبت الملائكة، واستعرت جهنم، حين قالوا ما قالوا"[٢٩٢٠].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)} [مريم : ٩٦]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله واتَّبَعوا رسله وعملوا الصالحات وَفْق شرعه، سيجعل لهم الرحمن محبة ومودة في قلوب عباده.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في علي بن ابي طالب-رضي الله عنه-. قاله ابن عباس[٢٩٢١].

الثاني: أنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- وذلك أنه:" لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميه بن خلف، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}"[٢٩٢٢].

قوله تعالى:{سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم : ٩٦]، أي:" سيجعل لهم الرحمن محبة ومودة في قلوب عباده"[٢٩٢٣].

قال مجاهد: قوله :"{سيجعل لهم الرحمن ودا}، قال: محبة في المسلمين في الدنيا"[٢٩٢٤].

قال مجاهد:" يحبهم ويحببهم إلى خلقه"[٢٩٢٥]. وفي رواية:" يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين"[٢٩٢٦].

قال قتادة:" ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه. وزاده من عنده"[٢٩٢٧].

قال قتادة:" ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم"[٢٩٢٨].

قال قتادة: "ذكر لنا أن كعبا كان يقول: إنما تأتي المحبة من السماء"[٢٩٢٩].

القرآن

(٢٩١٩) أخرجه الطبري:١٨/٢٥٧.

(٢٩٢٠)أخرجه الطبري:١٨/٢٥٩ .

(٢٩٢١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣/١٤٨.

(٢٩٢٢) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٣.

(٢٩٢٣) التفسير الميسر:٣١٢.

(٢٩٢٤) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٢.

(٢٩٢٥) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٢.

(٢٩٢٦) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٢.

(٢٩٢٧) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٢.

(٢٩٢٨) أخرجه الطبري:١٨/٢٦٢.

(٢٩٢٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١/٢٤٨.

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)} [مريم : ٩٧]

التفسير:

فإنما يسَّرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول؛ لتبشر به المتقين من أتباعك، وتخوِّف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل.

قوله تعالى:{وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم : ٩٧]، أي:" وتخوِّف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل"(٢٩٣٠).

عن قتادة: {وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}،" أي: جدالا بالباطل، ذوي لدة وخصومة"(٢٩٣١). وقال في رواية:" جدالا بالباطل"(٢٩٣٢).

عن مجاهد، قوله: "{لدا}، قال: لا يستقيمون"(٢٩٣٣)، وقال في رواية:" فجارا"(٢٩٣٤).

عن الحسن: "{وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}، قال: صما عن الحق"(٢٩٣٥).

القرآن

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)} [مريم : ٩٨]

التفسير:

وكثيرًا أهلكنا - أيها الرسول - من الأمم السابقة قبل قومك، ما ترى منهم أحدًا وما تسمع لهم صوتًا، فكذلك الكفار من قومك، نهلكهم كما أهلكنا السابقين من قبلهم. وفي هذا تهديد ووعيد بإهلاك المكذبين المعاندين.

قوله تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} [مريم : ٩٨]، أي:" وكثيرًا أهلكنا - أيها الرسول - من الأمم السابقة قبل قومك، هل ترى منهم أحداً؟"(٢٩٣٦).

عن قتادة:" {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ}: هل ترى عينا"(٢٩٣٧).

قوله تعالى:{أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم : ٩٨]، أي:" أو تسمع صوتاً خفياً؟"(٢٩٣٨).

عن الضحاك، قوله :" {أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}، قال: صوتا"(٢٩٣٩).

قال قتادة:" يقول: هل تسمع من صوت"(٢٩٤٠).

قيل :"كان سلمان إذا مر بخراب قال: يا خرب الخربين أين أهلك الأولون؟"(٢٩٤١).

«آخر تفسير سورة (مريم)، والحمد لله وحده»

(٢٩٣٠) التفسير الميسر:٣١٢.
(٢٩٣١) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(٢٩٣٢) أخرجه الطبري:٢٦٤/١٨.
(٢٩٣٣) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(٢٩٣٤) أخرجه الطبري:٢٦٤/١٨.
(٢٩٣٥) أخرجه الطبري:٢٦٤/١٨.
(٢٩٣٦) التفسير الميسر:٣١٢.
(٢٩٣٧) أخرجه الطبري:٢٦٥/١٨.
(٢٩٣٨) صفوة التفاسير:٢٠٨/٢.
(٢٩٣٩) أخرجه الطبري:٢٦٥/١٨.
(٢٩٤٠) أخرجه الطبري:٢٦٥/١٨.
(٢٩٤١) النكت في القرآن الكريم:٣٤٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « طه»

سورة «طه»: هي السورة «العشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الأولى من المجموعة الثالثة من قسم المئين، نزلت بعد سورة: «مريم»[٢٩٤٢]، وعدد آياتها: (١٤٠) مائة وأربعون عند الشاميين، (١٣٥) ومائة وخمس وثلاثون عند الكوفيين، (١٣٤) ومائة وأربع وثلاثون عند الحجازيين، وكلماتها: (١٣٤١) ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون، وحروفها: (٥٢٤٢) خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا[٢٩٤٣].

والآيات المختلف فيها إحدى وعشرون آية: {طه (١)} [طه : ١]، {مَا غَشِيَهُم} [طه : ٧٨]، {رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} [طه : ٩٢]، درثه[٢٩٤٤] موضع : {نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٣]، {وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٤]، {مَحَبَّةً مِنِّي} [طه : ٣٩]، فتونا، لنفسى {وَلَا تَحْزَنَ} [طه : ٤٠]، {أَهْلِ مَدْيَنَ} [طه : ٤٠]، {مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [طه : ٤٧]، ولقد {أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى} [طه : ٧٧] أسفا {وَإِلَهُ مُوسَى} [طه : ٨٨]، {وَعْدًا حَسَنًا } [طه : ٨٦]، {إِلَيْهِمْ قَوْلًا} [طه : ٨٩] {السَّامِرِيُّ}، فنسى، صفصفا {مِنِّي هُدًى} [طه : ١٢٣]، {زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [طه : ١٣١][٢٩٤٥].

وفواصل آياتها «يوما»، وعلى الميم { مَا غَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، وعلى الواو {ضَلُّوا} [طه : ٩٢][٢٩٤٦].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[٢٩٤٧]، وابن الزبير[٢٩٤٨]، ومقاتل[٢٩٤٩]، ويحيى بن سلام[٢٩٥٠]، وابن قتيبة[٢٩٥١]، وابن ابي زمنين[٢٩٥٢]، ومكي بن ابي طالب[٢٩٥٣]، والواحدي[٢٩٥٤]، والسمعاني[٢٩٥٥]، والبغوي[٢٩٥٦]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها باجماعهم"[٢٩٥٧].

قال العزّ بن عبدالسلام:" سورة طه مكية اتفاقا"[٢٩٥٨].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة إجماعا"[٢٩٥٩].

(٢٩٤٢) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي:١٠٨، الكشاف:٤٩/٣.

قال السيوطي:" روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن طه نزلت بعد سورة مريم".

ونزلت سورة مريم فيما بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء، فيكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضا. أي بعد السنة السابعة من البعثة وقبل السنة الحادية عشرة من البعثة. [انظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور:٢٢١/٥]

(٢٩٤٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٠.

(٢٩٤٤) كذا في البصائر:٣١٠/١. ,هذه الكلمة غير واضحة ، قال المحقق: ويظهر أنها فى الأصل (ترك) أى: ترك موضع لم يعد.

(٢٩٤٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢٩٤٦) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢٩٤٧) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٢٩٤٨) اورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٩٤٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٩/٣.

(٢٩٥٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٥١/١.

(٢٩٥١) انظر: غريب القرآن:٢٧٧.

(٢٩٥٢) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١١٠/٣.

(٢٩٥٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٥/٧.

(٢٩٥٤) انظر: التفسير الوسيط:١٩٩/٣.

(٢٩٥٥) انظر: تفسير السمعاني:٣١٨/٣.

(٢٩٥٦) انظر: تفسيرالبغوي:٢٥٩/٥.

(٢٩٥٧) زاد المسير:١٥٠/٣.

(٢٩٥٨) تفسير العز بن عبدالسلام:٢٩٢/٢.

(٢٩٥٩) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٠.

الثاني: أنها مكية إلا آية {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } [طه : ١٣٠] الآية نزلت بالمدينة. قاله مرعي الكرمي[٢٩٦٠].
الثالث: انها مكّيّة إلّا آيتي :[١٣٠ و ١٣١] [٢٩٦١]، فمدنيتان. قاله الزمخشري[٢٩٦٢]، وابن جزي[٢٩٦٣]، وذكره المراغي[٢٩٦٤].

(٢٩٦٠) انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن:١٣٩.
(٢٩٦١) وهما: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)} [طه : ١٣٠ - ١٣١].
(٢٩٦٢) انظر: الكشاف:٤٩/٣.
(٢٩٦٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٥/٢.
(٢٩٦٤) انظر: تفسير المراغي:٩٣/١٦.

القرآن

{طه (١)} [طه : ١]

التفسير:

«طه» سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

في سبب نزول قوله تعالى: {طه} [طه : ١]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية، قاله علي -رضي الله عنه-(٢٩٦٥).

الثاني: قال الضحاك:" لما نزل القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - قام هو وأصحابه فصلوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله تعالى هذا القرآن على محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا ليشقى به، فأنزل الله تعالى: {طه} يقول: يا رجل {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}"(٢٩٦٦).

وأخرج الطبري عن ابن عباس، قوله :"{طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}، فإن قومه قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله تعالى ذكره {طَهَ}، يعني: يا رجل، {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}(٢٩٦٧).

والثالث: أن أبا جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: إنك لتشقى حين تركت دين آبائك فائتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله، فقال لهم النبي- صلى الله عليه وسلم-، بل بعثت رحمة للعالمين، قالوا: بل أنت شقي، فأنزل الله- عز وجل- في قولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم- «طه». قاله مقاتل(٢٩٦٨).

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {طه (١)} [طه : ١]، على أقوال:

أحدها: أن معناه: يا رجل، به قال الحسن(٢٩٦٩)، وسعيد بن جبير(٢٩٧٠)، ومجاهد(٢٩٧١)، وقتادة(٢٩٧٢)، وعطاء(٢٩٧٣)، وعكرمة-في رواية-(٢٩٧٤)، ومحمد بن كعب(٢٩٧٥)، وعطية العوفي(٢٩٧٦)، والسدي(٢٩٧٧)، وابن أبزى(٢٩٧٨).

واختلف هؤلاء بأيّ لغة هذه الكلمة، على ثلاثة وجوه:

أحدها: بالنبطية، قاله سعيد بن جبير -في رواية-، وعكرمة –في رواية(٢٩٧٩)، والضحاك(٢٩٨٠).

(٢٩٦٥)أخرجه البزار ٢٢٣٢ «كشف» وقال الهيثمي في «المجمع» ١١١٦٥: فيه يزيد بن بلال. قال البخاري: فيه نظر. وكيسان بن عمرو، وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح اه. فالخبر غير قوي، وهو إلى الضعف أقرب. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٩١.

(٢٩٦٦)أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (٦١٤):ص٣١٢ عن الضحاك مرسلا، ومع إرساله مراسيل الضحاك واهية، والراوي عنه جويبر بن سعيد، وهو متروك الحديث، فالخبر لا شيء.

ويشهد له:

* ما أخرجه ابن جرير (٢٦٦/١٨)-كما سيأتي- وابن مردويه (لباب النقول: ١٤٦) من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه, وإسناه ضعيف.

(٢٩٦٧) تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٢٩٦٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠/٣، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (٦١٣):ص٣١٢ عن مقاتل بدون سند، ومقاتل متهم، والمتن باطل.

(٢٩٦٩) انظر: تفسير الطبري:٢٦٨/١٨.

(٢٩٧٠) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٢٩٧١) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٢٩٧٢) انظر: تفسير الطبري:٢٦٨/١٨.

(٢٩٧٣) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.

(٢٩٧٤) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٢٩٧٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٧٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٧٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٧٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٤١٥/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٧٩) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

(٢٩٨٠) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.

الثاني: بالسريانية، قاله عكرمة -في رواية-[٢٩٨١]، وسعيد بن جبير -في رواية-[٢٩٨٢]، وقتادة[٢٩٨٣].
الثالث: بالحبشية، قاله عكرمة -في رواية-[٢٩٨٤].
القول الثاني: معناه: يا إنسان، بالنبطية. قاله عكرمة[٢٩٨٥].
القول الثالث: معناه: يا فلان. قاله عكرمة[٢٩٨٦]، ورواه السدي عن أبي مالك[٢٩٨٧].
القول الرابع: أن «طه» حروف من أسماء. ثم فيها قولان:
أحدهما: أنها من أسماء الله تعالى. ثم فيها قولان:
أحدهما: أن الطاء من «اللطيف»، والهاء: من «الهادي»، قاله أبو العالية[٢٩٨٨].
الثاني: أن الطاء افتتاح اسمه «طاهر» و«طيب» والهاء افتتاح اسمه «هادي» قاله سعيد بن جبير[٢٩٨٩].
والقول الثاني: أنها من غير أسماء الله تعالى، وفيه ثلاثة وجوه:
أحدها: أن «طه»: طهارة أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم، ثم {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب : ٣٣]. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق-رضي الله عنه-[٢٩٩٠].
الثاني: أنه قسم ، إذ "أقسم الله تعالى بطوله وهدايته، وموضع القاسم قوله:{ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}". قاله القرظي[٢٩٩١].
الثالث: أن «طه»: فواتح السورة. قاله مجاهد[٢٩٩٢].
والذي هو أولى بالصواب من الأقوال فيه: قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك ، وأن معناها فيهم: يا رجل، أنشدت لمتمم بن نويرة[٢٩٩٣]:
هَتَفْتُ بِطَهَ فِي القِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أنْ يَكونَ مُوَائِلا
وقال آخر[٢٩٩٤]:
إنَّ السَّفاهَةَ طَهَ مِنْ خَلائِقِكُمْ ... لا بارَكَ اللهُ فِي القَوْمِ المَلاعِينِ
فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكرنا، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين"[٢٩٩٥].

القرآن
{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)} [طه : ٢]
التفسير:
ما أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن; لتشقى بما لا طاقة لك به من العمل.

(٢٩٨١) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(٢٩٨٢) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.
(٢٩٨٣) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(٢٩٨٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٧٨):ص٢٤١٥/٧.
(٢٩٨٥) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٨.
(٢٩٨٦) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦.
(٢٩٨٧) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦.
(٢٩٨٨) انظر: زاد المسير:١٥٠/٣.
(٢٩٨٩) انظر: الكشف والبيان:٢٣٧/٦.
(٢٩٩٠) انظر: الكشف والبيان:٢٣٦/٦.
(٢٩٩١)الكشف والبيان:٢٣٦/٦، وانظر: زاد المسير:١٥١/٣.
(٢٩٩٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٨٠):ص٢٤١٥/٧.
(٢٩٩٣)البيت لمتمم بن نويرة كما قال المؤلف. وفيه (اللسان: طهطه) : الليث في تفسير (طه) مجزومة أنها بالحبشية: يا رجل، قال: ومن قرأ (طه) فحرفان. وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف، حتى قام على أصابع قدميه خوفا، فقال الله عز وجل: (طه) أي اطمئن.
(٢٩٩٤) البيت غير منسوب في تفسير الطبري:٢٦٩/١٨، والكشف والبيان:٢٣٦/٦، والهداية إلى بلوغ النهاية:٤٦٠٩/٧، والمحرر الوجيز:٣٦/٤، والبحر المحيط في التفسير:٣٠٩/٧، وتفسير الثعالبي:٤٣/٤.
وهو ليزيد بن المهلهل في تفسير القرطبي:١٦٦/١١.
(٢٩٩٥) تفسير الطبري:٢٦٨/١٨-٢٦٩.

عن قتادة : "{مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى}: يا رجل، {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}، لا والله ما جعله الله شقيا، ولكن جعله الله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة إلا تذكرة لمن يخشى قال: إن الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمة رحم بها ليذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزله الله فيه حلاله وحرامه"(٢٩٩٦).

وفي قوله تعالى: {مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى}[طه :٢وجهان:

أحدمها : بالتعب والسهر في قيام الليل ، قاله مجاهد(٢٩٩٧).

عن مجاهد قوله: "{مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى}، يقول: في الصلاة هي مثل قوله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْه}(٢٩٩٨)، قال: وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة"(٢٩٩٩).

الثاني : أنه جواب للمشركين لما قالوا : إنه بالقرآن شقى ، قاله الحسن(٣٠٠٠).

القرآن

{إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)} [طه : ٣]

التفسير:

لكن أنزلناه موعظة; ليتذكر به مَن يخاف عقاب الله، فيتقيه بأداء الفرائض واجتناب المحارم.

قال قتادة: وإن الله أنزل كتبه، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال :{تَنزيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلا}"(٣٠٠١).

القرآن

{تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤)} [طه : ٤]

التفسير:

هذا القرآن تنزيل من الله الذي خلق الأرض والسموات العلى.

قال ابن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"(٣٠٠٢).

القرآن

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)} [طه : ٥]

التفسير:

الرحمن على العرش استوى أي: علا وارتفع، استواء يليق بجلاله وعظمته.

عن أبي خالد، قال:" سمعت سعد الطائي، يقول: العرش ياقوتة حمراء"(٣٠٠٣).

قال وهب بن منبه:" إن الله خلق العرش من نوره"(٣٠٠٤).

عن مكحول قال: "صاح دراج عند سليمان بن داود -عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال فإنه يقول: الرحمن على العرش استوى"(٣٠٠٥).

(٢٩٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٨٢):ص٢٤١٥/٧.

(٢٩٩٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٨١):ص٢٤١٥/٧.

(٢٩٩٨)[المزمل : ٢٠].

(٢٩٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٨١):ص٢٤١٥/٧.

(٣٠٠٠) انظر: النكت والعيون:٣٩٣/٣.

(٣٠٠١) أخرجه الطبري:٢٦٩/١٨.

(٣٠٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(٣٠٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.

(٣٠٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.

(٣٠٠٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٩٥/٧.

القرآن

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦)} [طه : ٦]

التفسير:

له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الأرض، خَلْقًا ومُلْكًا وتدبيرًا.

قال قتادة: "و«الثَّرَى»: كلّ شيء مبتلّ"(٣٠٠٦).

عن الضحاك، قوله:"{وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}ـ ما حفر من التراب مبتلا "(٣٠٠٧).

عن محمد بن كعب :"{وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، قال: الثرى: سبع أرضين"(٣٠٠٨).

عن أبي رجاء العطاردي قال: "«الثرى»: الذي تحت الماء، الذي يستقر عليه الماء فهو يعلم ما تحت ذلك الثرى الذي مستقر الماء عليه"(٣٠٠٩).

وقال الأوزاعي : "إن يحيى بن أبي كثير حدثه أن كعبًا سُئِل فقيل له : ما تحت هذه الأرض ؟ فقال : الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض. قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال الماء. قيل : وما تحت الماء ؟ قال : الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : صخرة. قيل : وما تحت الصخرة ؟ قال : ملك. قيل : وما تحت الملك ؟ قال : حوت معلق طرفاه بالعرش ، قيل : وما تحت الحوت ؟ قال : الهواء والظلمة وانقطع العلم"(٣٠١٠).

القرآن

{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)} [طه : ٧]

التفسير:

وإن تجهر - أيها الرسول - بالقول، فتعلنه أو تخفه، فإن الله لا يخفى عليه شيء، يعلم السر وما هو أخفى من السر مما تحدِّث به نفسك.

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه : ٧]، على قولين:

أحدهما : أن «السِّرَّ»ما أضمره العبد في نفسه . وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد في نفسه. قاله قتادة(٣٠١١)، وسعيد بن جبير(٣٠١٢).

قال سعيد بن جبير:" السرّ: ما أسررت في نفسك، وأخفى من ذلك: ما لم تحدّث به نفسك"(٣٠١٣).

قال قتادة:" كنا نحدّث أن السرّ ما حدّثت به نفسك، وأن أخفى من السرّ: ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك"(٣٠١٤).

الثاني : أن «السِّرَّ»ما أسره الناس، «وأخْفَى»: الوسوسة ، قاله مجاهد(٣٠١٥).

وقال عكرمة: {وأخْفَى}، " أخفى حديث نفسك"(٣٠١٦).

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معناه: يعلم السرّ وأخفى من السرّ، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام.. وتفسير الآية: فإنه يعلم السرّ وأخفى منه. فإذا كان ذلك تأويله، فالصواب من القول في معنى أخفى من السرّ أن يقال: هو ما علم الله مما أخفى عن العباد، ولم يعلموه مما هو كائن ولم يكن، لأن ما ظهر

(٣٠٠٦) أخرجه الطبري:٢٧١/١٨.
(٣٠٠٧) أخرجه الطبري:٢٧١/١٨.
(٣٠٠٨) أخرجه الطبري:٢٧١/١٨.
(٣٠٠٩) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٥٣/١.
(٣٠١٠) تفسير ابن كثير:٢٧٣/٣.
(٣٠١١) انظر: تفسير الطبري:٢٧٣/١٨.
(٣٠١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٧٣/١٨.
(٣٠١٣) أخرجه الطبري:٢٧٣/١٨.
(٣٠١٤) أخرجه الطبري:٢٧٣/١٨.
(٣٠١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٧٢/١٨.
(٣٠١٦) أخرجه الطبري:٢٧٣/١٨.

وكان فغير سرّ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء، وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرّ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله، ثم من أعلمه ذلك من عباده"[٣٠١٧].

القرآن

{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)} [طه : ٩ - ١٠]

التفسير:

وهل أتاك - أيها الرسول - خبر موسى بن عمران عليه السلام، وهو قادم من «مدين» إلى «مصر» ؟ حين رأى في الليل نارًا موقدة فقال لأهله: انتظروا لقد أبصرت نارًا، لعلي أجيئكم منها بشعلة تستدفئون بها، وتوقدون بها نارًا أخرى، أو أجد عندها هاديًا يدلنا على الطريق.

قوله تعالى:{إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} [طه : ١٠]، أي:" حين رأى في الليل نارًا موقدة فقال لأهله: انتظروا لقد أبصرت نارًا"[٣٠١٨].

قال وهب بن منبه:" لما قضى موسى الأجل، خرج ومعه غنم له، ومعه زند له، وعصاه في يده يهشّ بها على غنمه نهارا، فإذا أمسى اقتدح بزنده نارا، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه، فتوكأ على عصاه، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتداءه فيها بنبوّته وكلامه، أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقتدح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له نارا، فقدح حتى أعياه، لاحت النار فرآها، {فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}"[٣٠١٩].

قوله تعالى:{لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ} [طه : ١٠]، أي:" لعلي أجيئكم منها بشعلة تستدفئون بها، وتوقدون بها نارًا أخرى"[٣٠٢٠].

عن وهب بن منبه :"{لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ}، قال: بقبس تَصْطَلون"[٣٠٢١].

قوله تعالى:{أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} [طه : ١٠]، أي:" أو أجد عندها هاديًا يدلنا على الطريق"[٣٠٢٢].

قال مجاهد:" هاديا يهديه الطريق"[٣٠٢٣].

قال قتادة:" أي: هداة يهدونه الطريق"[٣٠٢٤].

قال وهب:" هدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبر"[٣٠٢٥].

القرآن

{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)} [طه : ١١ - ١٢]

التفسير:

فلما أتى موسى تلك النار ناداه الله: يا موسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك، إنك الآن بوادي «طوى» الذي باركته، وذلك استعدادًا لمناجاة ربه.

قوله تعالى:{فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه : ١٢]، أي:" فاخلع نعليك، إنك الآن بوادي «طوى» الذي باركته"[٣٠٢٦].

(٣٠١٧) تفسير الطبري:١٨/٢٧٤.
(٣٠١٨) التفسير الميسر:٣١٢.
(٣٠١٩) أخرجه الطبري:١٨/٢٧٦.
(٣٠٢٠) التفسير الميسر:٣١٢.
(٣٠٢١) أخرجه الطبري:١٨/٢٧٦.
(٣٠٢٢) التفسير الميسر:٣١٢.
(٣٠٢٣) أخرجه الطبري:١٨/٢٧٧.
(٣٠٢٤) أخرجه الطبري:١٨/٢٧٧.
(٣٠٢٥) أخرجه الطبري:١٨/٢٧٧.
(٣٠٢٦) التفسير الميسر:٣١٢.

عن عكرمة:" {بالواد المقدس}، قال: الطاهر"[٣٠٢٧].

قال وهب:" خرج موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة; فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى :{يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى}، فخلعها فألفاها"[٣٠٢٨].

واختلف أهل التفسير في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه، على قولين:

أحدهما : ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس، قاله الحسن[٣٠٢٩]، ومجاهد-في رواية-[٣٠٣٠]، وعكرمة[٣٠٣١]، وابن جريج[٣٠٣٢]، وابن ابي نجيح[٣٠٣٣].

قال ابن أبي نجيح:" طأ الأرض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة: الوادي"[٣٠٣٤].

قال ابن أبي نجيح:" يقول: أفض بقدميك إلى بركة الوادي"[٣٠٣٥].

قال عكرمة:" كي تمس راحة قدميك الأرض الطيبة"[٣٠٣٦].

قال الحسن: "كانتا، يعني نعلي موسى من بقر، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قدس مرتين"[٣٠٣٧].

قال ابن جُرَيْج: وقيل لمجاهد: زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة، قال: لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض"[٣٠٣٨].

الثاني : لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت، قاله كعب[٣٠٣٩]، وقتادة[٣٠٤٠]، والزهري[٣٠٤١].

قال الزهري:" كانتا من جلد حمار أهلي"[٣٠٤٢].

وقال مجاهد:" كانت نعلا موسي التي قيل له: اخلعها، من جلد الخنزير"[٣٠٤٣].

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدسا، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: {إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى}، بعقبه دليلا واضحا، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا"[٣٠٤٤].

وفي قوله تعالى:{طُوىً}[طه :١٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه سمي بذلك لأن الوادي قدس مرتين ، قاله الحسن[٣٠٤٥]، ومجاهد[٣٠٤٦]، وقتادة[٣٠٤٧].

قال الحسن:" واد بفلسطين قدس مرتين"[٣٠٤٨].

(٣٠٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٩٥):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٢٨)أخرجه الطبري:٢٧٨/١٨ .
(٣٠٢٩) انظر تفسير الطبري:٢٧٨/١٨-٢٧٩.
(٣٠٣٠)انظر تفسير الطبري:٢٧٩/١٨ .
(٣٠٣١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٩٣):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٣٢)انظر تفسير الطبري:٢٧٩/١٨ .
(٣٠٣٣)انظر تفسير الطبري:٢٧٩/١٨ .
(٣٠٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٨):ص٢٤١٨/٧.
(٣٠٣٥) اخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.
(٣٠٣٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٣):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٣٧) اخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.
(٣٠٣٨) اخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.
(٣٠٣٩) انظر تفسير الطبري:٢٧٨/١٨.
(٣٠٤٠) انظر تفسير الطبري:٢٧٨/١٨.
(٣٠٤١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٩١):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩١):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٢):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٤٤) تفسير الطبري:٢٧٩/٨.
(٣٠٤٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٤٦) انظر: تفسير الطبري:٢٨٠/١٨.
(٣٠٤٧) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.

قال مجاهد: قُدِّس بُورك مرّتين"[٣٠٤٩].
الثاني : أن معنى «طوى» : طِإ الوادي بقدمك ، به قال سعيد بن جبير[٣٠٥٠]، ومجاهد-في رواية-[٣٠٥١]، وعكرمة[٣٠٥٢].
قال سعيد:" طأ الأرض حافيا، كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة الواد"[٣٠٥٣].
الثالث : أنه الاسم للوادي قديماً. وهذا مروي عن مجاهد-في رواية-[٣٠٥٤].

القرآن
{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)} [طه : ١٤]
التفسير:
إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي، فاعبدني وحدي، وأقم الصلاة لتذكرني فيها.
قوله تعالى:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} [طه : ١٤]، أي:" إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا، لا شريك لي"[٣٠٥٥].
عن كعب: "أن موسى- عليه السلام- كلمه ربه مرتين، ورأى محمد- صلى الله عليه وسلم ربه- جل جلاله- مرتين، وعصى آدم- عليه السلام- ربه- تعالى- مرتين"[٣٠٥٦].
قوله تعالى:{فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه : ١٤]، أي:" فاعبدني وحدي وأقم الصلاة لتذكرني فيها"[٣٠٥٧].
وفي قوله تعالى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه : ١٤]، وجهان من التفسير:
أحدهما : معناه: وأقم الصلاة لتذكرني فيها، قاله مجاهد[٣٠٥٨].
الثاني : وأقم الصلاة حين تذكرها، قاله إبراهيم[٣٠٥٩].
وروى سعيد بن المسيب أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «مَنْ نَسِيَ صَلاَةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، قال تعالى {وَأَقِمِ الصَلاَةَ لِذِكري}»[٣٠٦٠].
وفي الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من نام عن صلاة أو نسيها ، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك"[٣٠٦١].
والصواب تفسير من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكركها[٣٠٦٢].

القرآن
{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥)} [طه : ١٥]
التفسير:

(٣٠٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.
(٣٠٤٩) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٨.
(٣٠٥٠) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨-٢٨٢.
(٣٠٥١) انظر: تفسير الطبري:٢٨٢/١٨.
(٣٠٥٢) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(٣٠٥٣) اخرجه الطبري:٢٨٢/١٨.
(٣٠٥٤) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(٣٠٥٥) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣٠٥٦) أخرجه مقاتل بن سليمان في التفسير:٢٣/٣.
(٣٠٥٧) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣٠٥٨) انظر: تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(٣٠٥٩) انظر: تفسير الطبري:٢٨٣/١٨.
(٣٠٦٠) أخرجه الطبري:٢٨٤/١٨.
(٣٠٦١)صحيح البخاري برقم (٥٩٧) وصحيح مسلم برقم (٦٨٤).
(٣٠٦٢) تفسير الطبري:٢٨٤/١٨.

إن الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها أحد من المخلوقين; لكي تُجزى كل نفس بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

قوله تعالى:{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [طه : ١٥]، أي:" إن الساعة التي يُبعث فيها الناس آتية لا بد من وقوعها، أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها أحد من المخلوقين"(٣٠٦٣).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [طه : ١٥]، وجوه من التفسير:

احدها: معناه: أكاد أخفيها من نفسي. وهذا قول سعيد بن جبير(٣٠٦٤)، ومجاهد(٣٠٦٥)، وقتادة(٣٠٦٦)، وابي صالح(٣٠٦٧).

قال أبو صالح:" يخفيها من نفسه"(٣٠٦٨).

قال قتادة:" ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين، ومن الأنبياء المرسلين"(٣٠٦٩).

القرآن

{فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)} [طه : ١٦]

التفسير:

فلا يصرفنَّك - يا موسى - عن الإيمان بها والاستعداد لها مَن لا يصدق بوقوعها ولا يعمل لها، واتبع هوى نفسه، فكذَّب بها، فتهلك.

قال السدي: "{فتردى}، يقول: فتهلك"(٣٠٧٠).

القرآن

{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨)} [طه : ١٧ - ١٨]

التفسير:

وما هذه التي في يمينك يا موسى؟ قال موسى: هي عصاي أعتمد عليها في المشي، وأهزُّ بها الشجر; لترعى غنمي ما يتساقط من ورقه، ولي فيها منافع أخرى.

قوله تعالى:{وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} [طه : ١٨]، أي:" أهزُّ بها الشجر; لترعى غنمي ما يتساقط من ورقه"(٣٠٧١).

قال السدي:" أضرب بها الشجر للغنم، فيقع الورق"(٣٠٧٢).

قال عكرمة:" أضرب بها الشجر، فيسقط من ورقها علي"(٣٠٧٣). وفي لفظ:" أضرب بها الشجر، فيتساقط الورق على غنمي"(٣٠٧٤).

قال الضحاك:" أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمي"(٣٠٧٥).

قال قتادة:" أخبط بها الشجر"(٣٠٧٦).

قال قتادة:" كان نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم يهش على غنمه ورق الشجر"(٣٠٧٧).

(٣٠٦٣) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣٠٦٤) انظر: تفسير الطبري:٢٨٦/١٨.

(٣٠٦٥) انظر: تفسير الطبري:٢٨٥/١٨.

(٣٠٦٦) انظر: تفسير الطبري:٢٨٦/١٨.

(٣٠٦٧) اخرجه الطبري:٢٨٥/١٨-٢٨٦.

(٣٠٦٨) اخرجه الطبري:٢٨٥/١٨-٢٨٦.

(٣٠٦٩) اخرجه الطبري:٢٨٦/١٨.

(٣٠٧٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير: ٢٥٦/١.

(٣٠٧١) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣٠٧٢) أخرجه الطبري: ٢٩٣/١٨.

(٣٠٧٣) أخرجه الطبري: ٢٩٣/١٨.

(٣٠٧٤) أخرجه الطبري: ٢٩٣/١٨.

(٣٠٧٥) أخرجه الطبري: ٢٩٤/١٨.

(٣٠٧٦) تفسير عبدالرزاق(١٨٠٨):ص٣٧١/٢.

قوله تعالى:{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} [طه : ١٨]، أي:" ولي فيها منافع أخرى"[٣٠٧٨].
عن مجاهد :"{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}، قال: حاجات"[٣٠٧٩].
قال قتادة:" حاجات ومنافع أخرى"[٣٠٨٠].
قال ابن ابي نجيح:" حاجات ومنافع"[٣٠٨١].
قال الضحاك:" حاجات أخرى"[٣٠٨٢].
قال ابن وهب:" أي: منافع أخرى"[٣٠٨٣].
قال السدي:" يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء"[٣٠٨٤].
وفي قوله تعالى:{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} [طه : ١٨]، وجوه من التفسير:
أحدهما : أنها كانت تضيء له بالليل ، قاله قتادة[٣٠٨٥].
وقال قتادة:" كانت عصا آدم عليه السلام"[٣٠٨٦].
الثاني: أنه كان يحمل عليها المزود والسقاء. قاله السدي[٣٠٨٧].

القرآن
{قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩)} [طه : ١٩]
التفسير:
قال الله لموسى: ألق عصاك.
عن عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهبا، قال: " فقال له الرب عز وجل: {ألقها يا موسى}، فظن موسى أنه يقول: «ارفضها فألقاها على وجه الرفض»[٣٠٨٨].

القرآن
{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠)} [طه : ٢٠]
التفسير:
فألقاها موسى على الأرض، فانقلبت بإذن الله حية تسعى، فرأى موسى أمرًا عظيمًا وولى هاربًا.
عن وهب:" {قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} تهتزّ، لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون، فرأى أمرا فظيعا، {وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} فناداه ربه: {يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ} {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولى}"[٣٠٨٩].

القرآن
{قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١)} [طه : ٢١]
التفسير:
قال الله لموسى: خذ الحية، ولا تَخَفْ منها، سوف نعيدها عصًا كما كانت في حالتها الأولى.

(٣٠٧٧) أخرجه الطبري: ٢٩٣/١٨.
(٣٠٧٨) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣٠٧٩) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(٣٠٨٠) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(٣٠٨١) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(٣٠٨٢) اخرجه الطبري:٢٩٥/١٨.
(٣٠٨٣) اخرجه الطبري:٢٩٥/١٨.
(٣٠٨٤) اخرجه الطبري:٢٩٤/١٨.
(٣٠٨٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤١٦):ص٢٤٢٠/٧.
(٣٠٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤١٦):ص٢٤٢٠/٧.
(٣٠٨٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤١٥):ص٢٤٢٠/٧.
(٣٠٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٤٠):ص٢٨٤٧/٩.
(٣٠٨٩) اخرجه الطبري:٢٩٥/١٨-٢٩٦.

قوله تعالى:{سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} [طه : ٢١]، أي:" سوف نعيدها عصًا كما كانت في حالتها الأولى"[٣٠٩٠].

عن مجاهد :"{سِيرَتَهَا الأولى}، قال: هيئتها"[٣٠٩١].

قال قتادة:" إلى هيئتها الأولى"[٣٠٩٢].

قال وهب:" أي: سنردّها عصا كما كانت"[٣٠٩٣].

القرآن

{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢)} [طه : ٢٢]

التفسير:

واضمم يدك إلى جنبك تحت العَضُد تخرج بيضاء كالثلج من غير برص; لتكون لك علامة أخرى.

قوله تعالى:{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ} [طه : ٢٢]، أي:" واضمم يدك إلى جنبك تحت العَضُد"[٣٠٩٤].

قال مجاهد:" يعني: كفه تحت عضده"[٣٠٩٥].

قوله تعالى:{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى} [طه : ٢٢]، أي:" تخرج بيضاء كالثلج من غير برص، لتكون لك علامة أخرى"[٣٠٩٦].

عن مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، قوله :"{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}، قال: من غير برص"[٣٠٩٧].

قال الحسن:" أخرجها الله من غير سوء، من غير برص، فعلم موسى أنه لقي ربه"[٣٠٩٨].

القرآن

{لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)} [طه : ٢٣]

التفسير:

فعلنا ذلك; لكي نريك - يا موسى - من أدلتنا الكبرى ما يدلُّ على قدرتنا، وعظيم سلطاننا، وصحة رسالتك.

قال الحسن:" أخرجها كأنها مصباح فعلم موسي أنه قد لقي ربه، ولهذا قال تعالى: {لنريك من آياتنا الكبرى}"[٣٠٩٩].

القرآن

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤)} [طه : ٢٤]

التفسير:

اذهب - يا موسى - إلى فرعون; إنه قد تجاوز قدره وتمرَّد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته.

قال السدي: "إنه عصى الله"[٣١٠٠].

القرآن

(٣٠٩٠) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣٠٩١) أخرجه الطبري:٢٩٦/١٨.

(٣٠٩٢) أخرجه الطبري:٢٩٦/١٨.

(٣٠٩٣) أخرجه الطبري:٢٩٦/١٨.

(٣٠٩٤) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣٠٩٥) تفسير مجاهد: ٤٦١، وتفسير الطبري:٢٩٧/١٨.

(٣٠٩٦) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣٠٩٧) أخرجه عنهم الطبري:٢٩٧/١٨-٢٩٨.

(٣٠٩٨) أخرجه الطبري:٢٩٨/١٨.

(٣٠٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٢١):ص٢٤٢١/٧.

(٣١٠٠) ذكره يحيى بن سلام: ٢٥٧/١.

{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)} [طه : ٢٥ - ٣٥]

التفسير:

قال موسى: رب وسِّع لي صدري، وسَهِّل لي أمري، وأطلق لساني بفصيح المنطق; ليفهموا كلامي. واجعل لي معينا من أهلي، هارون أخي. قَوِّني به وشدَّ به ظهري، وأشركه معي في النبوة وتبليغ الرسالة; كي ننزهك بالتسبيح كثيرًا، ونذكرك كثيرا فنحمدك. إنك كنت بنا بصيرًا، لا يخفى عليك شيء من أفعالنا.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} [طه : ٢٥]، أي:" قال موسى: رب وسِّع لي صدري"(٣١٠١).

قال السدي:" أي: وسع لي صدري"(٣١٠٢).

قال الطبري:" يقول: ربّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون"(٣١٠٣).

قوله تعالى:{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨)} [طه : ٢٧-٢٨] ، أي:" وأطلق لساني بفصيح المنطق ليفهموا كلامي"(٣١٠٤).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي}، قال: عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تردّ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، فقال: هذا عدو لي، فقالت له. إنه لا يعقل"(٣١٠٥).

عن مجاهد، قوله :"{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي}، قال: عجمة الجمرة نار أدخلها في فيه، عن أمر امرأة فرعون تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته"(٣١٠٦).

قال السدي:" لما تحرّك الغلام، يعني موسى، أورته أمه آسية صبيا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: {لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} إنما هو صبيّ لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى منى أنا أضع له حليا من الياقوت، وأضع له جمرا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي}، فزالت عن موسى من أجل ذلك"(٣١٠٧).

عن الحسن البصري : "{ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي }، قال : حل عقدة واحدة ، ولو سأل أكثر من ذلك أعطى"(٣١٠٨).

عن أرطاة بن المنذر، قال:" حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب، عنه قال : أتاه ذو قرابة له فقال له: ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك، فقال القرظي: يا ابن أخي ألست أفهمك إذا حدثتك؟ قال: نعم، قال: فإن موسي عليه السلام إنما سأل ربه إن حل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها"(٣١٠٩).

قوله تعالى:{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي(٣٠)} [طه : ٢٩-٣٠] } [طه : ٣٥]، أي:" واجعل لي معينا من أهلي، هارون أخي"(٣١١٠).

عن السدي:" {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي}، أي: عوينا"(٣١١١).

(٣١٠١) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣١٠٢) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير":٢٥٧/١.

(٣١٠٣) تفسير الطبري:٢٩٩/١٨.

(٣١٠٤) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣١٠٥) أخرجه الطبري:٢٩٩/١٨.

(٣١٠٦) أخرجه الطبري:٢٩٩/١٨.

(٣١٠٧) أخرجه الطبري:٣٠٠/١٨.

(٣١٠٨) حكاه عنه ابن كثير في التفسير:٢٨٢/٥.

(٣١٠٩) رواه ابن ابي حاتم(١٣٤٢٣):ص٢٤٢١/٧، وكما في تفسير ابن كثير:٢٨٢/٥-٢٨٣.

(٣١١٠) التفسير الميسر:٣١٣.

(٣١١١) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٥٨/١.

قوله تعالى:{اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي} [طه : ٣١] } [طه : ٣٥]، أي:" قَوِّني به وشدَّ به ظهري"[٣١١٢].
قال السدي:" يعني: عوني"[٣١١٣].
وقال الحسن: "قوتي"[٣١١٤].
قوله تعالى:{وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [طه : ٣٢] } [طه : ٣٥]، أي:" وأشركه معي في النبوة وتبليغ الرسالة"[٣١١٥].
وقرأ الحسن:«وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» بضم الألف من: أشركه، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء[٣١١٦].
قوله تعالى:{كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} [طه : ٣٣] } [طه : ٣٥]، أي:" كي ننزهك بالتسبيح كثيرًا"[٣١١٧].
قال الحسن:" يعني: الصلاة، أي: نصلي لك كثيرا"[٣١١٨].

القرآن
{إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩)} [طه : ٣٨ - ٣٩]
التفسير:
وذلك حين ألهمْنا أمَّك: أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطرحيه في النيل، فسوف يلقيه النيل على الساحل، فيأخذه فرعون عدوي وعدوه. وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد، ولِتربى على عيني وفي حفظي.
قوله تعالى:{إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ} [طه : ٣٩]، أي:" وذلك حين ألهمنا أمَّك ما يُلهم ممّا كان سببا في نجاتك، أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطرحيه في النيل"[٣١١٩].
عن السدي: قوله:"{فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ}، وهو البحر، وهو النيل"[٣١٢٠].
قوله تعالى:{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} [طه : ٣٩]، أي:" وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد"[٣١٢١].
وفي قوله تعالى:{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} [طه : ٣٩]، وجهان من التفسير:
أحدها : حببتك إلى عبادي، قاله سلمى بن كميل[٣١٢٢].
وقال الحسين بن عليّ الصدائي:" حببتك إلى خلقي"[٣١٢٣].
الثاني : يعني: حسناً وملاحة، قاله عكرمة[٣١٢٤].
والصواب: "أن الله ألقى محبته على موسى، فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته وغذّته وربَّته، وإلى فرعون، حتى كفّ عنه عاديته وشرّه[٣١٢٥].
قال ابن إسحاق:" لما ولدت موسى أمه أرضعته، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت إليه، فصنعت به ما أمرها الله تعالى، جعلته في تابوت صغير، ومهدت له فيه، ثم عمدت إلى النيل

(٣١١٢) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣١١٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٥٨/١.
(٣١١٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٥٨/١.
(٣١١٥) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣١١٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٥٨/١، وتفسير الطبري:٣٠١/١٨.
(٣١١٧) التفسير الميسر:٣١٣.
(٣١١٨) حكاه يحيى بن سلام:٢٥٨/١.
(٣١١٩) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٢٠) أخرجه الطبري:٣٠٣/١٨.
(٣١٢١) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٢٢) انظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.
(٣١٢٣) اخرجه الطبري:٣٠٣/١٨.
(٣١٢٤) انظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.
(٣١٢٥) تفسير الطبري:٣٠٣/١٨.[بتصرف]

فقذفته فيه، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة، فبينا هو جالس، إذ مرّ النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مُزَاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقال: إن هذا لشيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبيّ في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه"[٣١٢٦].

قوله تعالى:{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه : ٣٩]، أي:" ولِتربى على عيني وفي حفظي"[٣١٢٧].

قال أبو عبيدة:" ولتغذى ولتربّى على ما أريد وأحب، يقال: اتخذه لى على عينى، أي: على ما أردت وهويت"[٣١٢٨].

عن أبي نهيك قوله: "{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، قال: ولتعمل علي عيني"[٣١٢٩]. وقرئ «وَلِتَصْنَعَ»، بفتح التاء"[٣١٣٠].

قال أبو عمران الجوني:" تربى بعين الله"[٣١٣١].

قال قتادة: "يقول: ولتغذى على عيني"[٣١٣٢].

قال ابن جريج:" أنت بعيني إذ جعلتك أمك في التابوت، ثم في البحر، و{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ}"[٣١٣٣].

القرآن

{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠)} [طه : ٤٠]

التفسير:

ومننَّا عليك حين تمشي أختك تتبعك ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفُله، ويرضعه لكم؟ فرددناك إلى أمِّك بعد ما صرتَ في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل، ولا تحزن على فَقْدك، وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غَمِّ فِعْلك وخوف القتل، وابتليناك ابتلاء، فخرجت خائفًا إلى أهل «مدين» ، فمكثت سنين فيهم، ثم جئت من «مدين» في الموعد الذي قدَّرناه لإرسالك مجيئًا موافقًا لقدر الله وإرادته، والأمر كله لله تبارك وتعالى.

قوله تعالى:{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ} [طه : ٤٠]، أي:" ومننَّا عليك حين تمشي أختك تتبعك ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفُله، ويرضعه لكم؟"[٣١٣٤].

قال السدي:" لما ألقته أمه في اليم {قَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ}، فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}؟ فأخذوها وقالوا: بل قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون"[٣١٣٥].

قوله تعالى:{فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} [طه : ٤٠]، أي:" فرددناك إلى أمِّك بعد ما صرتَ في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل، ولا تحزن على فَقْدك"[٣١٣٦].

قال ابن إسحاق:" لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأتت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه، فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها، وسرّوا بذلك منه، وردّه الله إلى أمه كي تقرّ عينها، ولا تحزن، فبلغ لطف الله لها وله، أن ردّ عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمنة

(٣١٢٦) اخرجه الطبري:٣٠٢/١٨.
(٣١٢٧) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٢٨) مجاز القرآن:١٩/٢.
(٣١٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٣٠):ص٢٤٢٢/٧.
(٣١٣٠) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨.
(٣١٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٣١):ص٢٤٢٢/٧.
(٣١٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٣٢):ص٢٤٢٢/٧.
(٣١٣٣) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨.
(٣١٣٤) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٣٥) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٨-٣٠٥.
(٣١٣٦) التفسير الميسر:٣١٤.

من القتل الذي يتخوف على غيره، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون وسرره"[٣١٣٧].

قوله تعالى:{وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ} [طه : ٤٠]، أي:" وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غَمِّ فِعْلك وخوف القتل"[٣١٣٨].

عن مجاهد :"{فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ}، قال: من قتل النفس"[٣١٣٩].

عن قتادة :"{فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ}، النفس التي قتل"[٣١٤٠].

قوله تعالى:{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} [طه : ٤٠]، أي:" وابتليناك ابتلاء عظيماً بأنواعٍ من المِحن"[٣١٤١].

عن سعيد بن جبير، ومجاهد : قوله: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}، قالا: "أخلصناك إخلاصا"[٣١٤٢].

قال قتادة:" ابتليناك بلاء"[٣١٤٣].

قال الضحاك:" هو البلاء على إثر البلاء"[٣١٤٤].

عن مجاهد، قوله: "{فُتُونًا} قال: بلاء، إلقاؤه في التابوت، ثم في البحر، ثم التقاط آل فرعون إياه، ثم خروجه خائفا"[٣١٤٥].

عن سعيد بن جبير، قال: "سألت عبد الله بن عباس، عن قول الله لموسى {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا بن جبير، فإن لها حديثا طويلا قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني، قال: فقال ابن عباس:" تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذرّيته أنبياء وملوكا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب; فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتمروا بينهم، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه; فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، وأن الصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كلّ مولود ذكر، فيقل أبناؤهم، ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا، فتشبّ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم، فتخافون مكاثرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أمّ موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهمّ والحزن، وذلك من الفتون يا ابن جبير، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به، فأوحى الله إليها {وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم، فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي، فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري آل فرعون، فرأينه فأخذنه، فهممن أن يفتحن الباب، فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدّقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يحرّكن منه شيئا، حتى دفعنه إليها; فلما فتحته رأت فيه الغلام، فألقي عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} من كلّ شيء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم، يريدون أن يذبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جُبير، فقالت للذباحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فأستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فلما أتت به فرعون قالت: {قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ}، قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه، فقال: والذي يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له

(٣١٣٧) أخرجه الطبري:١٨/٣٠٥.
(٣١٣٨) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٣٩) أخرجه الطبري:١٨/٣٠٦.
(٣١٤٠) أخرجه الطبري:١٨/٣٠٦.
(٣١٤١) صفوة التفاسير:٢/٢١٤.
(٣١٤٢) أخرجه الطبري:١٨/٣١٠.
(٣١٤٣) اخرجه الطبري:١٨/٣١٠.
(٣١٤٤) اخرجه الطبري:١٨/٣١٠.
(٣١٤٥) اخرجه الطبري:١٨/٣١٠.

قرة عين كما أقرت به، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك، فأرسلت إلى من حولها من كلّ أنثى لها لبن، لتختار له ظئرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها، فلم يقبل من أحد، وأصبحت أمّ موسى، فقالت لأخته: قصيه واطلبيه، هل تسمعين له ذكرا، أحي ابني، أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له، هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك، وذلك من الفتون يا ابن جُبير، فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه، رغبتهم في ظؤورة الملك، ورجاء منفعته، فتركوها، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر، فجاءت، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، فانطلق البُشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا، فأرسلت إليها، فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحبّ حبه شيئا قطّ، قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي، وذكرت أمّ موسى ما كان الله وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنبته الله نباتا حسنا، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم.

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأمّ موسى: أزيريني ابني فوعدتها يوما تزيرها إياه فيه، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كل ما يصنع كلّ إنسان منكم، فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته، وفرحت به، وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون، فلينحله، وليكرمه، فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها، فقال عدوّ من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا بن جُبَير، بعد كلّ بلاء ابتلي به وأريد به، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الصبيّ الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق، ائت بجمرتين ولؤلؤتين، فقرّبهنّ إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرّب ذلك إليه، فتناول الجمرتين، فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همّ به، وكان الله بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشدّه، وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى امتنعوا كلّ امتناع، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة، إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتدّ غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قِبَل الرضاعة غير أمّ موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره; فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: لآهَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} ثُمَّ قَالَ {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} الأخبار، فأتى فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون، فخُذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بيِّنة ولا ثبت، فطلبوا له ذلك; فبينما هم يطوفون لا يجدون ثَبَتا، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} أن يكون إياه أراد، ولم يكن أراده، وإنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي، فحاجز الفرعوني فقال: {يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ} وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتتاركا; فانطلق الفرعوني إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين، فسلك موسى الطريق

الأعظم، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم. وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقًا قريبًا حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر، وذلك من الفتون يا بن جُبير"[٣١٤٦].

قوله تعالى:{فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} [طه : ٤٠]، أي:" فمكثت سنين عديدة عند شعيب في أرض «مدين»ثم جئت على موعدٍ ووقت مقدر للرسالة والنبوة"[٣١٤٧].

عن مجاهد: {عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى}، قال: علي ذي موعد"[٣١٤٨].

قال قتادة:" قدر الرسالة والنبوّة"[٣١٤٩].

القرآن

{اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)} [طه : ٤٢ - ٤٤]

التفسير:

اذهب - يا موسى - أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكمال قدرتي وصدق رسالتك، ولا تَضْعُفا عن مداومة ذكري. اذهبا معًا إلى فرعون; إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم، فقولا له قولا لطيفًا; لعله يتذكر أو يخاف ربه.

قوله تعالى:{اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي} [طه : ٤٢]، أي:" اذهب - يا موسى - أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكمال قدرتي وصدق رسالتك"[٣١٥٠].

قال الطبري:" اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرّد في ضلاله وغيه، فأبلغاه رسالاتي"[٣١٥١].

قوله تعالى:{وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه : ٤٢]، أي:" ولا تَضْعُفا عن مداومة ذكري"[٣١٥٢].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} [طه : ٤٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : لا تضعفا، قاله مجاهد[٣١٥٣]، والضحاك[٣١٥٤]، وقتادة[٣١٥٥].

الثاني : لا تضعفا في الدعاء إلي والتبليغ عني رسالتي. حكاه يحيى بن سلام عن الحسن[٣١٥٦].

الثالث: لا تزالا ، حكاه أبان[٣١٥٧]، واستشهد بقول طرفة[٣١٥٨]:

كأن القدور الراسيات أمامهم ... قباب بنوها لا تني أبداً تغلي

قوله تعالى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه : ٤٤]، أي:" اذهبا معًا إلى فرعون; إنه قد جاوز الحد في الكفر والظلم، فقولا له قولا لطيفًا; لعله يتذكر أو يخاف ربه"[٣١٥٩].

قال الحسن:" أعذرا إليه وقولا له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنه وناراً"[٣١٦٠].

عن السدي:" {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا}، قال: كنّياه "[٣١٦١].

(٣١٤٦) أخرجه الطبري:٣١٠/١٨.
(٣١٤٧) صفوة التفاسير:٢١٤/٢.
(٣١٤٨) أخرجه الطبري:٣١١/١٨.
(٣١٤٩) أخرجه الطبري:٣١١/١٨.
(٣١٥٠) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٥١) تفسير الطبري:٣١٢/١٨.
(٣١٥٢) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٥٣)انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨، وتفسير مجاهد: ٤٦٢.
(٣١٥٤)انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨.
(٣١٥٥)انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨.
(٣١٥٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٦٠/١.
(٣١٥٧) انظر: النكت والعيون:٤٠٤/٣.
(٣١٥٨) انظر: النكت والعيون:٤٠٤/٣، وتفسير القرطبي:١٩٩/١١
(٣١٥٩) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٦٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٤٤):ص٢٤٢٤/٧.
(٣١٦١) انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٨.

روي عن الفضل بن عيس الرقاشي: "أنه تلا هذه الآية: {فقولا له قولا لينا}، فقال: يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولى ويناديه"[٣١٦٢].

قال محمد بن إبراهيم: "حضرت مجلس يحيى بن معاذ، وقرأ رجل هذه الآية: {فقولا له قولا لينا} [طه: ٤٤] فبكى يحيى، ثم قال: إلهي، هذا رفقك بمن يقول: «أنا إله»، فكيف رفقك بمن يقول: «أنت إلهي»، إن قول «لا إله إلا الله»[٣١٦٣] يهدم كفر خمسين سنة، فما تصنع بذنوب خمسين سنة"[٣١٦٤].

القرآن

{قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥)} [طه : ٤٥]

التفسير:

قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة، أو أن يتمرد على الحق فلا يقبله.

قوله تعالى:{قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا} [طه : ٤٥]، أي:" قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة"[٣١٦٥].

عن مجاهد :"{أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا}، قال: عقوبة منه"[٣١٦٦].

القرآن

{قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨)} [طه : ٤٦ - ٤٨]

التفسير:

قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون; فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما، فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلّفهم ما لا يطيقون من الأعمال، قد أتيناك بدلالة معجزة من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا، والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هداه. إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على مَن كذَّب وأعرض عن دعوته وشريعته.

قوله تعالى:{قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه : ٤٦]، أي:" قال الله لموسى وهارون: لا تخافا من فرعون; فإنني معكما أسمع كلامكما وأرى أفعالكما"[٣١٦٧].

عن حجاج :"{قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}، ما يحاوركما، فأوحي إليكما فتجاوبانه"[٣١٦٨].

قوله تعالى:{فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ} [طه : ٤٧]، أي:" فاذهبا إليه وقولا له: إننا رسولان إليك من ربك أن أطلق بني إسرائيل، ولا تكلّفهم ما لا يطيقون من الأعمال"[٣١٦٩].

ذكر محمد بن إسحاق بن يسار :" أن موسى وأخاه هارون خرجا ، فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان : إنا رسل رب العالمين ، فآذنوا بنا هذا الرجل ، فمكثا فيما بلغني سنتين يَغْدوان ويروحان ، لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بَطَّال له يلاعبه ويُضْحكه ، فقال له : أيها الملك ، إن على بابك رجلا يقول قولا عجيبًا ، يزعم أن له إلهًا غيرك أرسله إليك. قال : ببابي ؟ قال : نعم. قال : أدخلوه ، فدخل ومعه أخوه هارون وفي يده عصاه ، فلما وقف على فرعون قال : إني رسول رب العالمين. فعرفه فرعون"[٣١٧٠].

(٣١٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٤٥):ص٢٤٢٤/٧.

(٣١٦٣) في المطبوع«إلا إله إلا الله»!

(٣١٦٤) اخرجه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٠٨/٣.

(٣١٦٥) التفسير الميسر:٣١٤.

(٣١٦٦) أخرجه الطبري:٣١٤/١٨.

(٣١٦٧) التفسير الميسر:٣١٤.

(٣١٦٨) أخرجه الطبري:٣١٥/١٨.

(٣١٦٩) التفسير الميسر:٣١٤.

(٣١٧٠) حكاه ابن كثير في التفسير: ٢٩٦/٥-٢٩٧.

وذكر السّدّي:" أنه لما قدم بلاد مصر ، ضاف أمّه وأخاه وهما لا يعرفانه ، وكان طعامهما ليلتئذ الطعثلل وهو اللفت ، ثم عرفاه وسلما عليه ، فقال له موسى : يا هارون ، إن ربي قد أمرني أن آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله ، وأمر أن تعاونني. قال : افعل ما أمرك ربك. فذهبا ، وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه ، فسمع فرعون فغضب وقال: من يجترئ على هذا الصنيع ؟ فأخبره السدنة والبوابون بأن هاهنا رجلا مجنونًا يقول : إنه رسول الله. فقال : عليّ به. فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه"[٣١٧١].

قوله تعالى:{قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ} [طه : ٤٧]، أي:" قد أتيناك بدلالة معجزة من ربك تدل على صدقنا في دعوتنا"[٣١٧٢].

قال الحسن: "العصا واليد"[٣١٧٣].

قوله تعالى:{وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه : ٤٧]، أي:" والسلامة من عذاب الله تعالى لمن اتبع هداه"[٣١٧٤].

عن مسلم بن أبي مريم :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كتب إلى المشركين كتب: «السلام على من اتبع الهدى»[٣١٧٥].

قوله تعالى:{إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [طه : ٤٨]، أي:" إن ربك قد أوحى إلينا أن عذابه على مَن كذَّب وأعرض عن دعوته وشريعته"[٣١٧٦].

عن قتادة، قوله :"{أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، كذب بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله"[٣١٧٧].

القرآن

{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)} [طه : ٤٩ - ٥٠]

التفسير:

قال فرعون لهما -على وجه الإنكار-: فمَن ربكما يا موسى؟ قال له موسى: ربنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَه اللائق به على حسن صنعه، ثم هدى كل مخلوق الهداية الكاملة إلى الانتفاع بما خلقه الله له.

وفي قوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أعطى كل شيء زوجه من جنسه، ثم هداه لنكاحه، قاله السدي[٣١٧٨].

قال السدي:" يقول: أعطى كلّ دابة خلقها زوجا، ثم هدى للنكاح"[٣١٧٩].

عن عكرمة قوله: "{أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}، قال: ألم تر إلى البعير كيف يقوم لصاحبه ينتظره حتي يحيي هذا منه"[٣١٨٠].

قال سعيد بن جبير:" أعطي كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل الإنسان في خلق الدابة ولا الدابة في خلق الكلب ولا الكلب في خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهيأ كل شيء على ذلك، ليس منها شيء يملك شيئا في فعاله في الخلق والرزق والنكاح ثم هدى قال: هدى كل شيء إلى رزقه وإلى زوجته"[٣١٨١].

الثاني : أعطى كل شيء صورته، ثم هداه إلى معيشته ومطعمه ومشربه، قاله مجاهد[٣١٨٢]، قال الشاعر[٣١٨٣]:

(٣١٧١) حكاه ابن كثير في التفسير: ٢٩٦/٥-٢٩٧.
(٣١٧٢) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٧٣) حكاه عنه يحيى في التفسير:٣٦١/١.
(٣١٧٤) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٧٥) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦١/١.
(٣١٧٦) التفسير الميسر:٣١٤.
(٣١٧٧) أخرجه الطبري:٣١٦/١٨.
(٣١٧٨) انظر: تفسير الطبري:٣١٦/١٨-٣١٧.
(٣١٧٩) أخرجه الطبري:٣١٦/١٨-٣١٧.
(٣١٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٥):ص٢٤٢٥/٧.
(٣١٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٣):ص٢٤٢٥/٧.
(٣١٨٢) انظر: تفسير الطبري:٣١٧/١٨.

وَلَهُ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ خِلْقَةٌ ... وَكَذَلِكَ اللهُ مَا شَاءَ فَعَلْ
يعني: بالـ«خلقة» الصورة[٣١٨٤].
الثالث : أعطى كلاً ما يصلحه، ثم هداه له، قاله الحسن[٣١٨٥]، وقتادة[٣١٨٦].
والأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كلّ شيء أعطاه ربه مثل خلقه، فزوجه به، ثم هداه[٣١٨٧].
قال ابن سابط: "ما أبهمت عليه البهائم فلم تبهم، عن أربع: تعلم إن الله ربها، ويأتي الذكر الأنثى، وتهتدي لمعايشها وتخاف الموت"[٣١٨٨].

القرآن
{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١)} [طه: ٥١]
التفسير:
قال فرعون لموسى -على وجه المغالطة والمشاغبة-: فما شأن الأمم السابقة؟ وما خبر القرون الماضية، فقد سبقونا إلى الإنكار والكفر؟
قال قتادة:" فما حال القرون"[٣١٨٩]. وفي رواية:"أين أعمال القرون الأولى"[٣١٩٠].

القرآن
{قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)} [طه: ٥٢]
التفسير:
قال موسى لفرعون: ما سألت عنه مما نحن بصدده، بل عِلْمُ تلك القرون فيما فَعَلَت من ذلك عند ربي في اللوح المحفوظ، ولا عِلْمَ لي به، لا يضل ربي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئًا ممَّا علمه منها.
قوله تعالى:{قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ} [طه: ٥٢]، أي:" قال موسى لفرعون: ما سألت عنه مما نحن بصدده، بل عِلْمُ تلك القرون فيما فَعَلَت من ذلك عند ربي في اللوح المحفوظ، ولا عِلْمَ لي به"[٣١٩١].
قال قتادة:" فوكلها نبي الله موكلا فقال :{عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} .... الآية، يقول: أي: أعمارها وآجالها"[٣١٩٢].
قال أبو المليح : "الناس يعيبون علينا الكتاب، وقال الله تعالى: {علمها عند ربي في كتاب}"[٣١٩٣].
قال أبو هلال:" كنا عند قتادة، فذكروا الكتاب وسألوه عن ذلك، فقال: وما بأس بذلك أليس الله الخبير يخبر قال: {فما بال القرون الأولى} {قال علمها عند ربي في كتاب}"[٣١٩٤].
قوله تعالى:{لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} [طه: ٥٢]، أي:" لا يضل ربي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئًا ممَّا علمه منها "[٣١٩٥].
قال الحسن:" لا يضله فيذهب ولا ينسى ما فيه"[٣١٩٦].

(٣١٨٣) انظر: النكت والعيون:٤٠٦/٣، والبحر المحيط:٣٤٠/٧.
(٣١٨٤) انظر: النكت والعيون:٤٠٦/٣.
(٣١٨٥) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٨١٥):ص٣٧٢/٢.
(٣١٨٦) انظر: تفسير الطبري:٣١٧/١٨-٣١٨.
(٣١٨٧) تفسير الطبري:٣١٨/١٨.
(٣١٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٧):ص٢٤٢٥/٧.
(٣١٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٨):ص٢٤٢٥/٧.
(٣١٩٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٢/١، وأخرجه الطبري:٣١٩/١٨. وفيه" فما أعمى" مكان "أين أعمال". فأثبت ما حكاه يحيى بن سلام لوضوح المعنى.
(٣١٩١) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣١٩٢) أخرجه الطبري:٣١٩/١٨.
(٣١٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦٢):ص٢٤٢٦/٧.
(٣١٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦٣):ص٢٤٢٦/٧.
(٣١٩٥) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣١٩٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٢/١.

قال قتادة:" لا يضل ربي الكتاب ولا ينسى ما فيه"[٣١٩٧].
وقال مجاهد:" {لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}: هما شيء واحد"[٣١٩٨].
وقرأ الحسن: «لا يضل ربي»، برفع الياء، من :«الإضلال»[٣١٩٩].

القرآن
{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) } [طه: ٥٣]
التفسير:
هو الذي جعل لكم الأرض ميسَّرة للانتفاع بها، وجعل لكم فيها طرقًا كثيرة، وأنزل من السماء مطرًا، فأخرج به أنواعًا مختلفة من النبات.
قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا} [طه: ٥٣]، أي:" هو الذي جعل لكم الأرض ميسَّرة للانتفاع بها"[٣٢٠٠].
قال السدي:" بساطا"[٣٢٠١].
قوله تعالى:{وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا } [طه: ٥٣]، أي:" وجعل لكم فيها طرقًا كثيرة"[٣٢٠٢].
عن قتادة، والسدي :"{وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا}، أي: طرقا"[٣٢٠٣].

القرآن
{كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤)} [طه: ٥٤]
التفسير:
كلوا - أيها الناس - من طيبات ما أنبتنا لكم، وارعوا حيواناتكم وبهائمكم. إن في كل ما ذُكر لعلامات على قدرة الله، ودعوة لوحدانيته وإفراده بالعبادة، لذوي العقول السليمة.
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: ٥٤]، أي:" إن في كل ما ذُكر لعلامات على قدرة الله، ودعوة لوحدانيته وإفراده بالعبادة، لذوي العقول السليمة"[٣٢٠٤].
عن قتادة:{ لِأُولِي النُّهَى}، قال :"لأولي الورع"[٣٢٠٥].
وقال الحسن: "لأولي العقول"[٣٢٠٦].

القرآن
{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)} [طه: ٥٥]
التفسير:
من الأرض خَلَقْناكم - أيها الناس -، وفيها نعيدكم بعد الموت، ومنها نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء.
قوله تعالى:{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} [طه: ٥٥]، أي:" من الأرض خَلَقْناكم - أيها الناس -"[٣٢٠٧].
قال الحسن: "يعني: خلق آدم"[٣٢٠٨].

(٣١٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦١):ص٢٤٢٦/٧.
(٣١٩٨) أخرجه الطبري:٣١٩/١٨.
(٣١٩٩) انظر تفسير السمعاني:٣٣٤/٣.
(٣٢٠٠) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢٠١) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٢٠٢) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢٠٣) أخرجه الطبر]:٣٢٠/١٨.
(٣٢٠٤) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢٠٥) حكأخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٦٥):ص٢٤٢٦/٧، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٣/١. من طريق سعيد.
(٣٢٠٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٣/١.
(٣٢٠٧) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢٠٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٣/١.

قوله تعالى:{وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه: ٥٥]، أي:" وفي الأرض نعيدكم بعد الموت ومن الأرض نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء"(٣٢٠٩).

عن قتادة:"{ تَارَةً أُخْرَى}، قال: مرة أخرى"(٣٢١٠).

القرآن

{فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨)} [طه : ٥٨]

التفسير:

فسوف نأتيك بسحر مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعدًا محددًا، لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت، في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك.

قوله تعالى:{فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى} [طه : ٥٨]، أي:" فاجعل بيننا وبينك موعدًا محددًا، لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك "(٣٢١١).

عن مجاهد: قوله: "{مَكَانًا سُوًى}، قال: منصفا بينهم"(٣٢١٢).

قال قتادة:" أي: عادلا بيننا وبينك"(٣٢١٣).

وقال قتادة:" نصفا بيننا وبينك"(٣٢١٤).

قال السدي:" يقول: عدلا"(٣٢١٥).

القرآن

{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)} [طه : ٥٩]

التفسير:

قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد، حين يتزيَّن الناس، ويجتمعون من كل فج وناحية وقت الضحى.

قوله تعالى:{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ} [طه : ٥٩]، أي:" قال موسى لفرعون: موعدكم للاجتماع يوم العيد"(٣٢١٦).

عن سعيد بن جبير :"{يَوْمُ الزِّينَةِ}، قال: يوم السوق"(٣٢١٧).

عن مجاهد :"{يَوْمُ الزِّينَةِ}، موعدهم"(٣٢١٨).

قال السدي:" قال موسى :{مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، وذلك يوم عيد لهم"(٣٢١٩).

عن قتادة: "{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ}، يوم عيد كان لهم"(٣٢٢٠).

قال ابن إسحاق:" يوم عيد كان فرعون يخرج له"(٣٢٢١).

قوله تعالى:{وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى} [طه : ٥٩]، أي:" حين يتزيَّن الناس، ويجتمعون من كل فج وناحية وقت الضحى"(٣٢٢٢).

عن قتادة: "قوله: {وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه"(٣٢٢٣).

(٣٢٠٩) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢١٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٦٣/١.
(٣٢١١) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢١٢) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(٣٢١٣) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(٣٢١٤) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(٣٢١٥) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٨.
(٣٢١٦) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢١٧) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٣٢١٨) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٣٢١٩) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٣٢٢٠) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٣٢٢١) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٣٢٢٢) التفسير الميسر:٣١٥.

عن ابن إسحاق: "{وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، حتى يحضروا أمري وأمرك"[٣٢٢٤].
وروي عن أبي نهيك، قوله: {وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، قال: " يعني: فرعون يحشر قومه"[٣٢٢٥].

القرآن
{قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١)} [طه : ٦١]
التفسير:
قال موسى لسحرة فرعون يعظهم: احذروا، لا تختلقوا على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب مِن عنده ويُبيدكم، وقد خسر من اختلق على الله كذبًا.
قوله تعالى:{قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ} [طه : ٦١]، أي:" قال موسى لسحرة فرعون يعظهم: احذروا، لا تختلقوا على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب مِن عنده ويُبيدكم"[٣٢٢٦].
عن الحسن:" {فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ}: فيستأصلكم بعذاب"[٣٢٢٧].
قال قتادة:" فيستأصلكم بعذاب فيهلككم"[٣٢٢٨].
قال السدي:" يقول: يهلككم بعذاب"[٣٢٢٩].

القرآن
{فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤)} [طه : ٦٢ - ٦٤]
التفسير:
فتجاذب السحرة أمرهم بينهم وتحادثوا سرًا، قالوا: إن موسى وهارون ساحران يريدان أن يخرجاكم من بلادكم بسحرهما، ويذهبا بطريقة السحر العظيمة التي أنتم عليها، فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه من غير اختلاف بينكم، ثم ائتوا صفًا واحدًا، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة; لتَبْهَروا الأبصار، وتغلبوا سحر موسى وأخيه، وقد ظفر بحاجته اليوم مَن علا على صاحبه، فغلبه وقهره.
قوله تعالى: {فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى} [طه : ٦٢]، أي:" فتجاذب السحرة أمرهم بينهم، وتحادثوا سرًا"[٣٢٣٠].
وفي قوله تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّجْوَى} [طه : ٦٢]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن النجوى التي أسروها أن قالوا : إن كان هذا سحراً فسنغلبه ، وإن كان السماء كما زعم فله أمره ، قاله قتادة[٣٢٣١].
الثاني : أنه لما قال لهم {وَيْلَكُمْ} الآية . قالوا : ما هذا بقول ساحر ، قاله ابن منبه[٣٢٣٢].
قال وهب:" جمع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى المجمع، وفرعون في مجلسه، معه أشراف أهل مملكته، قد استكف له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: {وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى}، فترادّ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر"[٣٢٣٣].

(٣٢٢٣) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٣٢٢٤) أخرجه الطبري:٣٢٤/١٨.
(٣٢٢٥) أخرجه الطبري:٣٢٥/١٨.
(٣٢٢٦) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢٢٧) أخرجه يحى بن سلام في التفسير:٢٦٥/١.
(٣٢٢٨) أخرجه الطبري:٣٢٦/١٩٨.
(٣٢٢٩) أخرجه الطبري:٣٢٦/١٩٨.
(٣٢٣٠) التفسير الميسر:٣١٥.
(٣٢٣١) أخرجه يحى بن سلام في التفسير:٢٦٥/١.
(٣٢٣٢) انظر: تفسير الطبري:٣٢٧/١٨.
(٣٢٣٣) أخرجه الطبري:٣٢٧/١٨.

الثالث : أنه أسروا النجوى دون موسى وهارون بقولهم :{إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ . . . }الآيات، قاله السدي[٣٢٣٤].

قوله تعالى: {قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى} [طه : ٦٣]، أي:" قالوا: إن موسى وهارون ساحران يريدان أن يخرجاكم من بلادكم بسحرهما، ويذهبا بطريقة السحر العظيمة التي أنتم عليها"[٣٢٣٥].

عن مجاهد قوله: {ويذهبا بطريقتكم المثلى}، قالوا: أولو العقل والشرف [والأنساب][٣٢٣٦]"[٣٢٣٧].

عن أبي صالح:"{ويذهبا بطريقتكم المثلى}، قال: بأشرافكم"[٣٢٣٨].

قال السدي:" يقول: يذهبا بأشراف قومكم"[٣٢٣٩].

قال قتادة:" وطريقتهم المُثلى يومئذ كانت بنو إسرائيل، وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا، قال عدوّ الله: إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما"[٣٢٤٠].

قوله تعالى:{فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى} [طه : ٦٤]، أي:" فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه من غير اختلاف بينكم، ثم ائتوا صفًّا واحدًا، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة؛ لتَبْهَروا الأبصار، وتغلبوا سحر موسى وأخيه، وقد ظفر بحاجته اليوم مَن علا على صاحبه، فغلبه وقهره"[٣٢٤١].

عن قتادة، قوله: "{وقد أفلح اليوم من استعلى}، قال: من غلب"[٣٢٤٢].

قال وهب بن منبه:" جمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال :{ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى}، أي: قد أفلح من أفلج اليوم على صاحبه"[٣٢٤٣].

القرآن

{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥)} [طه : ٦٥]

التفسير:

قال السحرة: يا موسى إما أن تلقي عصاك أولا وإما أن نبدأ نحن فنلقي ما معنا.

قال وهب:" صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه"[٣٢٤٤].

القرآن

{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦)} [طه : ٦٦]

التفسير:

قال لهم موسى: بل ألقُوا أنتم ما معكم أولا، فألقَوا حبالهم وعصيَّهم، فتخيل موسى مِن قوة سحرهم أنها حيات تسعى.

قوله تعالى:{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه : ٦٦]، أي:" قال لهم موسى: بل ألقُوا أنتم ما معكم أولا، فألقَوا حبالهم وعصيَّهم، فتخيل موسى مِن قوة سحرهم أنها حيات تسعى"[٣٢٤٥].

قال السدي:" فألقوا حبالهم وعصيهم! وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا"[٣٢٤٦].

(٣٢٣٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٢٧.

(٣٢٣٥) التفسير الميسر:٣١٥.

(٣٢٣٦) زيادة في الطبري:١٨/٣٣١.

(٣٢٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٧٣):ص٢٤٢٧.

(٣٢٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٧٤):ص٢٤٢٧.

(٣٢٣٩) أخرجه الطبري:١٨/٣٣٢.

(٣٢٤٠) اخرجه الطبري:١٨/٣٣١-٣٣٢.

(٣٢٤١) التفسير الميسر:٣١٥.

(٣٢٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٧٧):ص٧/٢٤٢٧.

(٣٢٤٣) أخرجه الطبري:١٨/٣٣٤.

(٣٢٤٤) أخرجه الطبري:١٨/٣٣٥.

(٣٢٤٥) التفسير الميسر:٣١٦.

(٣٢٤٦) أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص١٢/٢٧-٢٨.

قال وهب:" فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كلّ رجل منهم ما في يده من العصي والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الحبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا"[٣٢٤٧].

قال ابن جريج:" كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكون في ثلاث مئة من الإسكندرية، فقالوا لموسى: إما أن تلقي ما معك قبلنا، وإما أن نلقي ما معنا قبلك"[٣٢٤٨].

قال القاسم بن أبي بزة: " القاسم بن أبي بزّة، قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف حبل، وسبعين ألف عصا، فألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان مبين فاغر به فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} عند ذلك، فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما، فعند ذلك: {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ}"[٣٢٤٩].

قال ابن إسحاق:" صفّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه. وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمعَ، وفرعونُ في مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة: {يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٥-٦٦] ، فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصارَ الناس بعدُ. ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصىّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركبُ بعضها بعضًا {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}، [طه: ٦٧] ، وقال: والله إن كانت لعصيًّا في أيديهم، ولقد عادت حيات! وما تعدو عصايَ هذه! أو كما حدّث نفسه"[٣٢٥٠].

وقرأ الحسن :«تُخَيَّلُ» بالتاء، بمعنى: تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى[٣٢٥١].

القرآن

{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨)} [طه : ٦٧ - ٦٨]

التفسير:

فشعر موسى في نفسه بالخوف، قال الله لموسى حينئذ: لا تَخَفْ من شيء، فإنك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنوده، وستغلبهم.

عن السدي:"{فأوجس في نفسه خيفة موسى}، فأوحى الله إليه: {لا تخف}"[٣٢٥٢].

قال وهب:" لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصيّ وخيل إليه أنها تسعى، وقال: والله إن كانت لعصيا في أيديهم، ولقد عادت حيات، وما تعدو عصاي هذه، أو كما حدّث نفسه"[٣٢٥٣].

القرآن:

{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩)} [طه : ٦٩]

التفسير:

وألق عصاك التي في يمينك تبتلع حبالهم وعصيهم، فما عملوه أمامك ما هو إلا مكر ساحرٍ وتخييل سِحْرٍ، ولا يظفر الساحر بسحره أين كان.

قوله تعالى:{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا} [طه : ٦٩]، أي:" وألق عصاك التي في يمينك تبتلع حبالهم وعصيهم"[٣٢٥٤].

عن الحسن: {تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا}، قال:" تلقفه بفيها"[٣٢٥٥].

(٣٢٤٧) أخرجه الطبري:٣٣٦/١٨.

(٣٢٤٨) أخرجه الطبري:٣٣٥/١٨.

(٣٢٤٩) أخرجه الطبري:٣٣٥/١٨، وانظر: المصدر نفسه(١٤٩٤١):ص٢٨/١٣.

(٣٢٥٠) أخرجه الطبري(١٤٩٤٠):ص٢٨/١٣.

(٣٢٥١) انظر: تفسير الطبري:٣٣٦/١٨.

(٣٢٥٢) أخرجه الطبري: ٣٣٨/١٨.

(٣٢٥٣) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨-٣٣٩.

(٣٢٥٤) التفسير الميسر:٣١٦.

(٣٢٥٥) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٦/١.

قال قتادة:" فألقى موسى عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله"[٣٢٥٦].
قال السدي:" أوحى الله إلى موسى: لا تخف، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون. فألقى عصاه، فأكلت كل حية لهم. فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون"[٣٢٥٧].
قال وهب:" فأوحى الله إليه أن: {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}، وفرح موسى فألقى عصاه من يده، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت"[٣٢٥٨].
قال ابن إسحاق:" أوحى الله إليه: أن ألق ما في يمينك! فألقى عصاه من يده، فاستعرضَت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها، حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى، فإذا هى عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدًا قالوا: "آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. لو كان هذا سحرا ما غلبنا"!"[٣٢٥٩].
قوله تعالى:{إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه : ٦٩]، أي:" فما عملوه أمامك ما هو إلا مكر ساحرٍ وتخييل سِحْرٍ، ولا يظفر الساحر بسحره أين كان"[٣٢٦٠].
عن الحسن:" {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}: حيث كان"[٣٢٦١].
قال السدي:" فأوحى الله إليه :{لا تَخَفْ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}، فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا و{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}"[٣٢٦٢].

القرآن
{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠)} [طه : ٧٠]
التفسير:
فألقى موسى عصاه، فبلعت ما صنعوا، فظهر الحق وقامت الحجة عليهم. فألقى السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين وقالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحرًا ما غُلِبْنا.
قوله تعالى:{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} [طه : ٧٠]، أي" فألقى موسى عصاه، فبلعت ما صنعوا، فظهر الحق وقامت الحجة عليهم. فألقى السحرة أنفسهم على الأرض ساجدين"[٣٢٦٣].
قال سعيد بن جبير:" رأوا منازلهم تبنى لهم وهم في سجودهم"[٣٢٦٤].
قوله تعالى:{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} [طه : ٧٠]، أي" قالوا صدّقنا برب هارون وموسى"[٣٢٦٥].
قال وهب:" ووقع السحرة سجدا، قالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحر ما غلبنا "[٣٢٦٦].
قال سعيد:" فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، قال: فتحت فما لها مثل الدحل، ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر، ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر، ثم جاء إليها فقبض عليها، فإذا هي عصا، فخرّ السحرة سجدا {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ}، قال: فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}، قال: فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون"[٣٢٦٧].

(٣٢٥٦) أخرجه الطبري(١٤٩٤٢):ص٢٩/١٣.
(٣٢٥٧) أخرجه الطبري(١٤٩٤٤):ص٣٠/١٣.
(٣٢٥٨) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨-٣٣٩.
(٣٢٥٩) أخرجه الطبري(١٤٩٤٥):ص٣٠/١٣.
(٣٢٦٠) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٦١) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٦/١.
(٣٢٦٢) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨.
(٣٢٦٣) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨١٠):ص١٥٣٦/٥.
(٣٢٦٥) انظر:تفسير مقاتل بن سليمان:٣٢/٣، و بحر العلوم:٤٠٥/٢.
(٣٢٦٦) أخرجه الطبري:٣٣٩/١٨.
(٣٢٦٧) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٨.

عن القاسم بن أبي بزة قال: "أوحى الله إليه: أن ألق عصاك! فألقى عصاه، فاذا هي ثعبان فاغرٌ فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم. فألقي السحرة عند ذلك سجّدًا، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنارَ وثوابَ هلهما"[٣٢٦٨].

قال محمد بن إسحاق:" وكان من رؤوس السحرة الذي جمع فرعون لموسى فيما بلغني سابور، وعاذور، وحصحط، ومصفى أربعة هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله فآمنت معهم السحرة جميعا"[٣٢٦٩].

قتادة: "كانوا أول النهار كفارا سحرة، وفي آخره شهداء بررة"[٣٢٧٠].

وعن الحسن، قال: "تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا، وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله"[٣٢٧١].

القرآن

{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)} [طه : ٧١]

التفسير:

قال فرعون للسحرة: أصدَّقتم بموسى، واتبعتموه، وأقررتم له قبل أن آذن لكم بذلك؟ إن موسى لعظيمكم الذي عَلَّمكم السحر; فلذلك تابعتموه، فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم مخالفًا بينها، يدًا من جهة ورِجْلا من الجهة الأخرى، ولأصلبنَّكم - بربط أجسادكم - على جذوع النخل، ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا: أنا أو رب موسى أشد عذابًا من الآخر، وأدوم له؟

قوله تعالى:{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} [طه : ٧١]، أي:" قال فرعون للسحرة: أصدَّقتم بموسى، واتبعتموه، وأقررتم له قبل أن آذن لكم بذلك؟ إن موسى لعظيمكم الذي عَلَّمكم السحر; فلذلك تابعتموه"[٣٢٧٢].

قال السدي:" يعني لعالمكم في علم السحر، ولم يكن أكبرهم في السن"[٣٢٧٣].

قال وهب:" لما قالت السحرة {آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} قال لهم فرعون، وأسف ورأى الغلبة والبينة: {آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ}: أي لعظيم السحار الذي علمكم"[٣٢٧٤].

قوله تعالى:{فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه : ٧١]، أي:" فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم مخالفًا بينها، يدًا من جهة ورِجْلا من الجهة الأخرى، ولأصلبنَّكم - بربط أجسادكم - على جذوع النخل"[٣٢٧٥].

قال قتادة:" لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا، وآمنوا عند ذلك، قال عدو الله: {فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ} ... الآية"[٣٢٧٦].

قوله تعالى:{وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه : ٧١]، أي:" ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا: أنا أو رب موسى أشد عذابًا من الآخر، وأدوم له؟"[٣٢٧٧].

قال السدي:" فقتلهم وقطعهم"[٣٢٧٨].

القرآن

(٣٢٦٨) أخرجه الطبري(١٤٩٤٦):ص٣٠/١٣.
(٣٢٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤٢):ص٢٧٦٦.
(٣٢٧٠) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(٣٢٧١) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(٣٢٧٢) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٧٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٦/١.
(٣٢٧٤) أخرجه الطبري:٣٣٩/١٨.
(٣٢٧٥) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٧٦) أخرجه الطبري:٣٤٠/١٨.
(٣٢٧٧) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٧٨) أخرجه الطبري:٣٤٠/١٨.

{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)} [طه : ٧٢]

التفسير:

قال السحرة لفرعون: لن نفضلك، فنطيعك، ونتبع دينك، على ما جاءنا به موسى من البينات الدالة على صدقه ووجوب متابعته وطاعة ربه، ولن نُفَضِّل ربوبيتك المزعومة على ربوبية اللهِ الذي خلقنا، فافعل ما أنت فاعل بنا، إنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا، وما تفعله بنا، ما هو إلا عذاب منتهٍ بانتهائها.

قوله تعالى:{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا} [طه : ٧٢]، أي:" قال السحرة: لن نختارك ونفضّلك على الهدى والإيمان الذي جاءنا من الله على يد موسى ولو كان في ذلك هلاكنا"[٣٢٧٩].

قال وهب:" أي: على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة، ولن نُفَضِّل ربوبيتك المزعومة على ربوبية اللهِ الذي خلقنا"[٣٢٨٠].

قوله تعالى:{فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} [طه : ٧٢]، أي:" فافعل ما أنت فاعل بنا"[٣٢٨١].

قال وهب:" أي: اصنع ما بدا لك"[٣٢٨٢].

قوله تعالى:{إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه : ٧٢]، أي:" إنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا، وما تفعله بنا، ما هو إلا عذاب منتهٍ بانتهائها"[٣٢٨٣].

قال وهب:" أي: ليس لك سلطان إلا فيها، ثم لا سلطان لك بعده"[٣٢٨٤].

القرآن

{إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)} [طه : ٧٣]

التفسير:

إنَّا آمنا بربنا وصدَّقْنا رسوله وعملنا بما جاء به; ليعفو ربُّنا عن ذنوبنا، وما أكرهتنا عليه مِن عمل السحر في معارضة موسى. والله خير لنا منك - يا فرعون - جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذابًا لمن عصاه وخالف أمره.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه : ٧٣]، أي:" والله خير لنا منك - يا فرعون - جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذابًا لمن عصاه وخالف أمره"[٣٢٨٥].

قال ابن إسحاق:" : خير منك ثوابا، وأبقى عذابا"[٣٢٨٦].

عن عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس في قول الله:"{وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، قالا: خيرا منك إن أطيع، وأبقى منك عذابا إن عُصي"[٣٢٨٧].

القرآن

{وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)} [طه : ٧٥ - ٧٦]

التفسير:

ومن يأت ربه مؤمنًا به قد عمل الأعمال الصالحة فله المنازل العالية في جنات الإقامة الدائمة، تجري من تحت أشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، وذلك النعيم المقيم ثواب من الله لمن طهَّر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده فأطاعه واجتنب معاصيه، ولقي ربه لا يشرك بعبادته أحدًا من خلقه.

(٣٢٧٩) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٨٠) أخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٣٢٨١) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٨٢) أخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٣٢٨٣) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٨٤) أخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٣٢٨٥) التفسير الميسر:٣١٦.
(٣٢٨٦) اخرجه الطبري:٣٤١/١٨.
(٣٢٨٧) اخرجه الطبري:٣٤٢/١٨.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ} [طه : ٧٥]، أي:" ومن يأت ربه مؤمنًا به قد عمل الأعمال الصالحة"[٣٢٨٨].

قال الحسن: "من أدى الفراض فقد استكمل الإيمان، ومن لم يؤد الفرائض فلم يستكمل الإيمان"[٣٢٨٩].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [طه : ٧٥]، أي:" فله المنازل العالية في جنات الإقامة الدائمة، تجري من تحت أشجارها الأنهار"[٣٢٩٠].

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، وجوه:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن[٣٢٩١].

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك[٣٢٩٢].

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء[٣٢٩٣].

الرابع: أن جنة «عدن» في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين[٣٢٩٤]. ذكره الماوردي وقال:"رواه معاذ بن جبل مرفوعاً"[٣٢٩٥].

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"[٣٢٩٦].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [طه : ٧٥]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[٣٢٩٧].

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٣٢٩٨].

قوله تعالى:{وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه : ٧٦]، أي:" أي وذلك ثواب من تطهَّر من دنسْ الكفر والمعاصي"[٣٢٩٩].

قال قتادة:" من عمل صالحا"[٣٣٠٠].

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما"[٣٣٠١].

عن أبي المتوكل الناجي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد أن يختطف بصره، فيفزع لذلك فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان، فيقول: أخي فلان، كنا في الدنيا نعمل جميعا، وقد فضل علي هكذا، فيقال له: إنه كان أحسن منك عملا، قال: ثم يجعل في قلبه الرضى حتى يرضى "[٣٣٠٢].

عن ابن عمر قال: "إن أسفل أهل الجنة درجة، للذي ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة وإن أرفع أهل الجنة درجة للذي ينظر إلى الله غدوة وعشيا"[٣٣٠٣].

(٣٢٨٨) التفسير الميسر:٣١٦.

(٣٢٨٩) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٣٤٤/٣.

(٣٢٩٠) التفسير الميسر:٣١٦.

(٣٢٩١) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(٣٢٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.

(٣٢٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.

(٣٢٩٤)قال ابن القيم:" والصحيح أنه[أي: جنة المأوى] اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال في النار {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} وقال: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}". حادي الأرواح:٩٧.

(٣٢٩٥) انظر: النكت والعيون:٣٨٢/٢. ولم أهتد إلي الحديث.

(٣٢٩٦) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(٣٢٩٧) التفسير الميسر:٣١٦.

(٣٢٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٣٢٩٩) صفوة التفاسير:٢٢٠/٢.

(٣٣٠٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٨/١.

(٣٣٠١)أخرجه أبو داود في الحروف: ٦ / ٨، والترمذي في المناقب، مناقب أبي بكر رضي الله عنه: ١٠ / ١٤١، ١٤٢، وقال: "هذا حديث حسن"، ابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم (٩٦) ١ / ٣٧، والإمام أحمد في المسند: ٣ / ٢٧، وأشار إليه الدارمي في الرقاق، باب في غرف الجنة: ٢ / ٣٣٦. والبغوي في تفسيره:٢٨٦/٥، وفي شرح السنة: ١٤ / ٩٩[واللفظ له]، وفيه عطية العوفي، وقد تابعه أبو الوداك عند الإمام أحمد: ٣ / ٢٦.

(٣٣٠٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٧/١-٢٦٨.

(٣٣٠٣) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦٧/١-٢٦٨.

القرآن

{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (٧٧)} [طه : ٧٧]

التفسير:

ولقد أوحينا إلى موسى: أن اخرُج ليلا بعبادي من بني إسرائيل من «مصر» ، فاتَّخِذْ لهم في البحر طريقًا يابسًا، لا تخاف من فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم، ولا تخشى في البحر غرقًا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا} [طه : ٧٧]، أي:" ولقد أوحينا إلى موسى: أن اخرُج ليلا بعبادي من بني إسرائيل من «مصر»، فاتَّخِذْ لهم في البحر طريقًا يابسًا"(٣٣٠٤).

عن مجاهد، قوله :"{يبسا}، قال: يابسا"(٣٣٠٥).

قوله تعالى:{لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} [طه : ٧٧]، أي:" لا تخاف من فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم، ولا تخشى في البحر غرقًا"(٣٣٠٦).

قال قتادة:" لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك"(٣٣٠٧).

قال ابن جريج: "قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركنا، وهذا البحر قد غشينا، فأنزل الله: {لا تخاف دركا} أصحاب فرعون، {ولا تخشى} من البحر وحلا"(٣٣٠٨).

عن هشيم:" عن بعض أصحابه، في قوله {لا تخاف دركا ولا تخشى}، قال: الوحل"(٣٣٠٩).

القرآن

{فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨)} [طه : ٧٨]

التفسير:

فأسرى موسى ببني إسرائيل، وعبر بهم طريقًا في البحر، فأتبعهم فرعون بجنوده، فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله، فغرقوا جميعًا ونجا موسى وقومه.

قوله تعالى:{فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} [طه : ٧٨]، أي:" فغمرهم من الماء ما لا يعلم كنهه إلا الله"(٣٣١٠).

قال السدي:" اليم: البحر"(٣٣١١).

القرآن

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (٨٠)} [طه : ٨٠]

التفسير:

يا بني إسرائيل اذكروا حين أنجيناكم مِن عدوكم فرعون، وجَعَلنا موعدكم الجانب الأيمن من جبل الطور لإنزال التوراة عليكم، ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل، والطير الذي يشبه السُّمَانَى.

قوله تعالى:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [طه : ٨٠]، أي:" ونزلنا عليكم في التيه ما تأكلونه، مما يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل، والطير الذي يشبه السُّمَانَى"(٣٣١٢).

(٣٣٠٤) التفسير الميسر:٣١٧.
(٣٣٠٥) أخرجه الطبري: ٣٤٣/١٨.
(٣٣٠٦) التفسير الميسر:٣١٧.
(٣٣٠٧) أخرجه الطبري: ٣٤٣/١٨.
(٣٣٠٨) أخرجه الطبري: ٣٤٣/١٨.
(٣٣٠٩) أخرجه الطبري: ٣٤٣/١٨.
(٣٣١٠) التفسير الميسر:٣١٧.
(٣٣١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٨٩):ص٢٤٢٩/٧.

واختلف أهل التفسير في معنى «المن» وتعيينه، على أقوال:
أحدها: أنه الترنجبين[٣٣١٣]، قاله الضحاك[٣٣١٤]، وعلى هذا أكثر المفسرين[٣٣١٥].
الثاني: أنه صمغة حلوة. قاله مجاهد[٣٣١٦].
الثالث: أنه العسل. قاله عامر[٣٣١٧]، ومنه قول أمية بن الصلت في وصف تيه بني اسرائيل وما رزقوا فيه[٣٣١٨]:

فرأى الله أنهم بمَضِيعٍ ... لا بذي مَزْرَعٍ ولا معمورا
فَنَساها عليهم غاديات ... ومرى مزنهم خلايا وخورا
عسلا ناطِفا وماء فراتا ... وحليبا ذا بهجة مثمورا

المثمور : الصافي من اللبن، فجعل المن الذي كان ينزل عليهم عسلا ناطفا، والناطف : هو القاطر[٣٣١٩].
الرابع: أنه خبز الرقاق. قاله وهب[٣٣٢٠].
الخامس: أنه الزنجبيل. قاله السدي[٣٣٢١].

والصواب- والله أعلم- أن «المن» هو: "كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب، وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد، فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاما وحلاوة، وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا، وإن ركب مع غيره صار نوعا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده"[٣٣٢٢]؛ وهذا الرأي يعضده الحديث السابق[٣٣٢٣].

كما يمكن إرجاع المن بأنه مادة صمغية جوية تنزل على شجر البادية تشبه الدقيق المبلول فيه حلاوة إلى حموضة، فإن أُكِل وحده كان طعاماً وحلاوة، وإن مزج معه الماء صار شراباً طيباً، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر[٣٣٢٤]، وعلى هذا القول يمكن حمل أكثر أقوال المفسرين أعلاه عليه، باعتبار كل قول منها ذكر وصفاً للمن سواء في كيفية النزول أم مكان وجوده أم طعمه أم طريقة تناوله. والله أعلم.

واختلف في معني: «السلوى»، على أقوال:
أحدها: أنه طائر ناعم يسمى (السُّمَانَى)، قاله عامر[٣٣٢٥]، والضحاك[٣٣٢٦].
الثاني: أنه طائر شبيه بالسّماني. قاله السدي[٣٣٢٧]، والربيع[٣٣٢٨].

(٣٣١٢) التفسير الميسر:٣١٧.
(٣٣١٣)ويصح بالتاء (الترنجبين) راجع لسان العرب: ١٠/ ٩٦، وهو طل ينزل من الهواء ويجتمع على أطراف الشجر في بعض البلدان، وقيل: هو ندى شبيه العسل جامد متحبب ينزل من السماء، وقيل: يشبه الكمأة.
(٣٣١٤) نقله الثعلبي عنه، انظر: تفسيره: ٢٠٠/١، ونسبه في زاد المسير (١/ ٧١) : الى ابن عباس ومقاتل، وذكر بقية الأقوال.
(٣٣١٥)كما أفاده البغوي في معالم التنزيل: ٩٧/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٦/١، وأبو حيان في البحر المحيط: ٢١٤/١، والخازن في لباب التأويل: ٤٧١، والشوكاني في فتح القدير: ١٢٩/١. وقال به ابن عباس في رواية عنه ومقاتل كما في زاد المسير لابن الجوزي: ٨٤/١، وقال به أيضاً: ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ٤٩، والسمرقندي في بحر العلوم: ١٢١/١، والزمخشري في الكشاف: ٢٨٢/١، والواحدي في كتابيه الوسيط: ١٤٢/١، والوجيز: ١٤٢/١، والرازي في مفاتيح الغيب: ٩٣/١، والبيضاوي في أنوار التنزيل: ٥٧/١، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: ١٠٤/١.
(٣٣١٦)أنظر: تفسير الطبري(٩٧١):ص:٩٢/٢.
(٣٣١٧)أنظر: تفسير الطبري(٩٦٦)، و(٩٦٧):ص:٩١/٢-٩٢.
(٣٣١٨)ديوانه : ٣٤ - ٣٥ .
(٣٣١٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢-٩٥.
(٣٣٢٠) أنظر: تفسير الطبري(٩٧٢):ص٩٢/٢.
(٣٣٢١) أنظر: تفسير الطبري(٩٧٣):ص٩٣/٢.
(٣٣٢٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/١.
(٣٣٢٣) وهو قوله صلى الله عليه وسلم: " الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ"(رواه مسلم :٢٠٤٩)، وفي رواية أخرى: في رواية "الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى مُوسَى، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ(السنن الكبرى للنسائي: ٦٦٣٢).
(٣٣٢٤)انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٢٢/١، ومحاسن التأويل للقاسمي: ١٣٢/٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ٥٠٩/١.
(٣٣٢٥) انظر: تفسير الطبري(٩٨٧)، و(٩٨٩):ص٩٦/٢.
(٣٣٢٦) انظر: تفسير الطبري(٩٩٠):ص٩٧/٢.
(٣٣٢٧)انظر: تفسير الطبري(٩٨٠):ص٩٦/٢.

الثالث: أنه طائر سمين، يشبه الحمام. قاله وهب[٣٣٢٩].

القرآن

{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١)} [طه : ٨١]

التفسير:

كلوا من رزقنا الطيب، ولا تعتدوا فيه بأن يظلم بعضكم بعضًا، فينزل بكم غضبي، ومَن ينزل به غضبي فقد هلك وخسر.

قوله تعالى:{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [طه : ٨١]، أي:" وقلنا لكم كلوا من الحلال اللذيذ الذي أنعمتُ به عليكم"[٣٣٣٠].

قال السدي:" يعني : من الحلال، المن والسلوى"[٣٣٣١].

قوله تعالى:{وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} [طه : ٨١]، أي:" لا تحملنكم السعة والعافية على العصيان لأمري فينزل بكم عذابي"[٣٣٣٢].

قال السدي:" يعني: لا تعصوا الله في رفع المن والسلوى"[٣٣٣٣].

قال قتادة:" كانوا لا يأخذون منه لغد، لأنه كان يفسد عندهم ولا يبقى إلا يوم الجمعة فإنهم كانوا يأخذون ليوم الجمعة والسبت، لأنهم كانوا يتفرغون في السبت للعبادة ولا يعلمون شيئا"[٣٣٣٤].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} [طه : ٨١]، أي:" ومن ينزل عليه غضبي وعقابي فقد هلك وشقي"[٣٣٣٥].

قال شُفَيّ بن ماتع : "إن في جهنم قصرًا يُرمى الكافر من أعلاه ، فيهوي في جهنم أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال، وذلك قوله : {وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى }"[٣٣٣٦].

القرآن

{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢)} [طه : ٨٢]

التفسير:

وإني لَغفار لمن تاب من ذنبه وكفره، وآمن بي وعمل الأعمال الصالحة، ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه.

قوله تعالى:{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ} [طه : ٨٢]، أي:" وإني لَغفار لمن تاب من ذنبه وكفره"[٣٣٣٧].

عن الربيع :"{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ}، من الشرك"[٣٣٣٨].

عن قتادة، قوله :"{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ}، من ذنبه"[٣٣٣٩].

قوله تعالى:{وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [طه : ٨٢]، أي:" وآمن بي وعمل الأعمال الصالحة"[٣٣٤٠].

عن قتادة، قوله :"{وآمَنَ}، به {وَعَمِلَ صَالِحًا}، فيما بينه وبين الله"[٣٣٤١].

عن الربيع :"{وآمَنَ} يقول: وأخلص لله، وعمل في إخلاصه"[٣٣٤٢].

(٣٣٢٨)انظر: تفسير الطبري(٩٨٦):ص٩٧/٢.

(٣٣٢٩)انظر: تفسير الطبري(٩٨٤):ص٩٦/٢.

(٣٣٣٠) صفوة التفاسير:٢٢٢/٢.

(٣٣٣١) ذكره يحيى بن سلام في"التفسير": ٢٦٩/١.

(٣٣٣٢) صفوة التفاسير:٢٢٢/٢.

(٣٣٣٣) ذكره يحيى بن سلام في"التفسير": ٢٦٩/١.

(٣٣٣٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٧٠/١.

(٣٣٣٥) صفوة التفاسير:٢٢٢/٢.

(٣٣٣٦) رواه ابن ابي حاتم(١٣٤٩٤):ص٢٤٣٠/٧، وكما في تفسير ابن كثير:٣٠٨/٥.

(٣٣٣٧) التفسير الميسر:٣١٧.

(٣٣٣٨)اخرجه الطبري:٣٤٧/١٨ .

(٣٣٣٩)اخرجه الطبري:٣٤٧/١٨ .

(٣٣٤٠) التفسير الميسر:٣١٧.

(٣٣٤١)اخرجه الطبري:٣٤٧/١٨ .

قوله تعالى:{ثُمَّ اهْتَدَى} [طه : ٨٢]، أي:" ثم اهتدى إلى الحق واستقام عليه"[٣٣٤٣].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{ثُمَّ اهْتَدَى} [طه : ٨٢]، على وجوه:

أحدها: أخذ بسنة النبي-صلى الله عليه وسلم-، قاله الربيع بن أنس[٣٣٤٤].

الثاني: ثم مضى على العمل الصالح حتى يموت. قاله الحسن[٣٣٤٥].

وحكي عن الضحاك، قال: "استقام"[٣٣٤٦].

الثالث: ثم استقام لفرقة السنة والجماعة. قاله سعيد بن جبير[٣٣٤٧].

الرابع: لزم الإسلام حتى يموت عليه، قاله قتادة[٣٣٤٨].

الخامس: أصاب العمل، أي: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم[٣٣٤٩].

السادس: اهتدى إلى ولاية بيت النبي صلى الله عليه وسلم، قاله ثابت البناني[٣٣٥٠].

و الاهتداء: هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شكّ في اهتدائه[٣٣٥١].

القرآن

{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤)} [طه : ٨٣ - ٨٤]

التفسير:

وأيُّ شيء أعجلك عن قومك - يا موسى - فسبقتَهم إلى جانب الطور الأيمن، وخلَّفتَهم وراءك؟ قال: إنهم خلفي سوف يلحقون بي، وسبقتُهم إليك - يا ربي - لتزداد عني رضا.

عن ابن إسحاق، قال: "وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه، ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة، تلقاه فيها بما شاء، فاستخلف موسى هارون في بني إسرائيل، ومعه السامريّ، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به، فلما كلم الله موسى، قال له :{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}"[٣٣٥٢].

القرآن

{قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥)} [طه : ٨٥]

التفسير:

قال الله لموسى: فإنا قد ابتلينا قومك بعد فراقك إياهم بعبادة العجل، وإن السامري قد أضلهم.

عن السدي: "لما أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل - يعني من أرض مصر - أمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا، وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط. فلما نجى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل من البحر، وغرق آل فرعون، أتى جبريل إلى موسى يذهب به إلى الله. فأقبل على فرس، فرآه السامري فأنكره وقال: إنه فرس الحياة! فقال حين رآه: إن لهذا لشأنا. فأخذ من تربة الحافر -حافر الفرس- فانطلق موسى، واستخلف هارون على بني إسرائيل، وواعدهم ثلاثين ليلة، وأتمها الله بعشر. فقال لهم هارون: يا بني إسرائيل، إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، واحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه. فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة، وجاء

(٣٣٤٢)اخرجه الطبري:٣٤٧/١٨ .

(٣٣٤٣) التفسير الميسر:٣١٧.

(٣٣٤٤) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.

(٣٣٤٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٧١/١.

(٣٣٤٦) انظر: زاد المسير:١٧٠/٣.

(٣٣٤٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٤٩٦):ص٢٤٣٠/٧.

(٣٣٤٨) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.

(٣٣٤٩) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.

(٣٣٥٠) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٨، والنكت والعيون:٤١٧/٣، وزاد المسير:١٧٠/٣.

(٣٣٥١) تفسير الطبري:٣٤٨/١٨.

(٣٣٥٢) أخرجه الطبري: ٣٤٩/١٨.

السامري بتلك القبضة فقذفها، فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار. وعدت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما واليوم يوما، فلما كان تمام العشرين، خرج لهم العجل. فلما رأوه قال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فنسي - يقول: ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه. فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي. فقال لهم هارون: يا بني إسرائيل إنما فتنتم به -يقول: إنما ابتليتم به، يقول: بالعجل- وإن ربكم الرحمن. فأقام هارون ومن معه من بني إسرائيل لا يقاتلونهم، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه، فلما كلمه قال له: ما أعجلك عن قومك يا موسى؟ قال: هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى. قال: فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري، فأخبره خبرهم. قال موسى؛ يا رب هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل، أرأيت الروح من نفخها فيه؟ قال الرب: أنا. قال: رب أنت إذا أضللتهم"[٣٣٥٣].

القرآن

{فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦)} [طه : ٨٦]

التفسير:

فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينًا، وقال لهم: يا قوم ألم يَعِدْكم ربكم وعدًا حسنًا بإنزال التوراة؟ أفطال عليكم العهد واستبطأتم الوعد، أم أردتم أن تفعلوا فعلا يحل عليكم بسببه غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي وعبدتم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟

قوله تعالى:{فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} [طه : ٨٦]، أي:" فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينًا"[٣٣٥٤].

عن مجاهد، والسدي :"{أسِفًا}، يقول: حزينا"[٣٣٥٥].

وعن مجاهد :"{غضبان أسفا}، قال: جزعا"[٣٣٥٦].

قال قتادة:" أي: حزينا على ما صنع قومه من بعده"[٣٣٥٧].

وعن الحسن:"{غضبان أسفًا}، قال: غضبان حزينًا"[٣٣٥٨].

قوله تعالى:{أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ} [طه : ٨٦]، أي:" هل طال عليكم الزمن حتى نسيتم العهد"[٣٣٥٩].

عن مجاهد قوله: "{أفطال عليكم العهد}، يقول: الوعد"[٣٣٦٠].

قوله تعالى:{أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي} [طه : ٨٦]، أي:" أم أردتم بصنيعكم هذا أن ينزل عليكم سخط الله وغضبه فأخلفتم موعدي وعبدتم العجل، وتركتم الالتزام بأوامري؟؟"[٣٣٦١].

عن مجاهد قوله: "{ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي}، يقول: عهدي"[٣٣٦٢].

القرآن

{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧)} [طه : ٨٧]

التفسير:

(٣٣٥٣) أخرجه الطبري: ٦٥/٢.

(٣٣٥٤) التفسير الميسر:٣١٧.

(٣٣٥٥) أخرجه الطبري:٣٥٠/١٨.

(٣٣٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٩٧):ص١٥٦٩/٥.

(٣٣٥٧) أخرجه الطبري:٣٥٠/١٨.

(٣٣٥٨) أخرجه الطبري(١٥١٢٧):ص١٢١/١٣.

(٣٣٥٩) صفوة التفاسير:٢٢٣/٢.

(٣٣٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.

(٣٣٦١) انظر: التفسير الميسر: ٣١٧، وصفوة التفاسير:٢٢٣/٢.

(٣٣٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.

قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعدك باختيارنا، ولكنَّا حُمِّلنا أثقالا مِن حليِّ قوم فرعون، فألقيناها في حفرة فيها نار بأمر السامري، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام.

قوله تعالى:{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا} [طه : ٨٧]، أي:" قالوا: يا موسى ما أخلفنا موعدك باختيارنا"(٣٣٦٣).

وفي قوله تعالى:{ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا} [طه : ٨٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: ما أخلفنا موعدك بأمرنا. قاله مجاهد(٣٣٦٤).

قال مجاهد قوله: "بأمر ملكنا"(٣٣٦٥).

الثاني: معناه: بطاقتنا. وهذا قول قتادة(٣٣٦٦)، والسدي(٣٣٦٧).

والقولان متقاربان المعنى، لأن من لم يملك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه، فإذا كان ذلك كذلك، فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ، وذلك أن من كسر الميم من الملك، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه، وجعله من قول القائل: هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات، وأن من فتحها، فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك، غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل: ملكت الشيء أملكه ملكا وملكة، كما يقال: غلبت فلانا أغلبه غَلبا وغَلَبة، وأن من ضمها فإنه وجَّه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا، أي ونحن نقدر أن نمتنع منه، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه، وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضمّ، فقال: أيّ ملك كان يومئذ لبني إسرائيل، وإنما كانوا بمصر مستضعفين، فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا، وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك، وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد"(٣٣٦٨).

القول الرابع: معناه: بسلطاننا. وهذا قول الحسن(٣٣٦٩).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا} [طه : ٨٧]، أي:" ولكنَّا حُمِّلنا أثقالا مِن حليِّ قوم فرعون، فألقيناها في حفرة فيها نار بأمر السامري"(٣٣٧٠).

عن مجاهد : "{وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا}، قال أثقالا، {مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ}: وهي الحلي الذي استعاروه من ال فرعون، {فَقَذَفْنَاهَا}: فألقيناها"(٣٣٧١).

عن قتادة :{فَقَذَفْناها}، أي: فنبذناها"(٣٣٧٢).

عن السديّ :"{وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ}، يقول: من حليّ القبط"(٣٣٧٣).

قوله تعالى:{فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} [طه : ٨٧]، أي:" فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام"(٣٣٧٤).

عن مجاهد: "{فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}: قال: فكذلك صنع"(٣٣٧٥).

القرآن

{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨)} [طه : ٨٨]

(٣٣٦٣) التفسير الميسر:٣١٧.

(٣٣٦٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧، وتفسيرالطبري:٣٥٢/١٨.

(٣٣٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.

(٣٣٦٦)انظر: تفسير الطبري:٣٥٢/١٨ .

(٣٣٦٧)انظر: تفسير الطبري:٣٥٢/١٨ .

(٣٣٦٨) تفسير الطبري:٣٥٢/١٨-٣٥٣.

(٣٣٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٥٠٣):ص٢٤٣٢/٧.

(٣٣٧٠) التفسير الميسر:٣١٧.

(٣٣٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧-٢٤٣٢

(٣٣٧٢) أخرجه الطبري:٣٥٤/١٨.

(٣٣٧٣) أخرجه الطبري:٣٥٣/١٨.

(٣٣٧٤) التفسير الميسر:٣١٧.

(٣٣٧٥) أخرجه الطبري:٣٥٤/١٨، وابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧. وفيه«كذلك». بدون «فاء».

التفسير:
فصنع السامري لبني إسرائيل من الذهب عجلا جسدًا يخور خوار البقر، فقال المفتونون به منهم للآخرين: هذا هو إلهكم وإله موسى، نسيه وغَفَل عنه.

قوله تعالى:{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [طه : ٨٨]، أي:" فصنع السامري لبني إسرائيل من الذهب عجلا جسدًا يخور خوار البقر"(٣٣٧٦).

عن مجاهد: "{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ}: قال: حفيف الريح فيه فهو خواره، والعجل ولد البقره"(٣٣٧٧).

والخوار :«صوت الثور»(٣٣٧٨)، وفيه قولان :

أحدهما : أنه صوت حياة خلقه، لأن العجل المُصَاغُ انقلب بالقبضة التي من أثر الرسول فصار حيواناً حياً ، قاله الحسن(٣٣٧٩)، وقتادة(٣٣٨٠)، والسدي(٣٣٨١).

قال قتادة:" استعاروا حليا من آل فرعون فجمعه السامري فصاغ منه عجلا فجعله الله جسدا لحما ودما له خوار"(٣٣٨٢).

قال السدي:" كان يخور ويمشي"(٣٣٨٣).

وقال الضحاك:" العجل: خار خورة لم يثن، ألم تر أن الله قال: {ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يرجع إليهم قولا}"(٣٣٨٤).

الثاني : أن خواره وصوته كان بالريح، لأنه عمل فيه خروقاً فإذا دخلت الريح فيه خار ولم يكن فيه حياة ، قاله سعيد بن جبير(٣٣٨٥)، ومجاهد(٣٣٨٦).

قال مجاهد:" فانسكبت عجلا له خوار خفيف، وهو الريح"(٣٣٨٧).

قال سعيد بن جبير:" والله ما كان له صوت قط ولكن الريح كانت تدخل في دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك"(٣٣٨٨).

وروي عن الحسن، قال:" كان أسم عجل بني إسرائيل الذي عبدوه بهموت"(٣٣٨٩).

وأخرجه ابن أبي حاتم، ولفظه:"يهبوث"(٣٣٩٠).

قال السدي:" قال: موسى: يا رب هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل أرأيت الروح من نفخها فيه قال الرب: أنا، قال رب: فأنت إذا أضللتهم"(٣٣٩١).

واختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامريّ العجل، على قولين:

أحدهما: أن السامري صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرائيل في فمه فخار. وهذا قول قتادة(٣٣٩٢).

(٣٣٧٦) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٣٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠١):ص٢٤٣١/٧.
(٣٣٧٨) انظر: النكت والعيون:٤١٩/٣.
(٣٣٧٩) انظر: النكت والعيون:٤١٩/٣.
(٣٣٨٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٩٨٨):ص١٥٦٨/٥.
(٣٣٨١) انظر: تفسير الطبري:٣٥٥/١٨-٣٥٦، وتفسير ابن ابي حاتم(٨٩٨٩):ص١٥٦٨/٥.
(٣٣٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٨٨):ص١٥٦٨/٥.
(٣٣٨٣) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٨-٣٥٦.
(٣٣٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩٢):ص١٥٦٩/٥.
(٣٣٨٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٩٩٠):ص١٥٦٨/٥.
(٣٣٨٦) انظر: تفسير مجاهد:٤٦٥.
(٣٣٨٧) تفسير مجاهد:٤٦٥.
(٣٣٨٨) اخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩٠):ص١٥٦٨/٥.
(٣٣٨٩) أخرجه ابن عساكر في في تاريخه، ترجمة "همام بن الوليد الدمشقي"، وانظر: تفسير ابن كثير:٣١١/٥، ١٤٤.
(٣٣٩٠) تفسير ابن ابي حاتم(٩٠٠٣):ص١٥٧١/٥
بالمثلثة آخره في «الدرّ المنثور» : «يهبوب» بالموحدة آخره.
(٣٣٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٨٩):ص١٥٦٨/٥.
(٣٣٩٢) أخرجه الطبري:٣٥٥/١٨.

قال قتادة:" كان الله وقّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحليّ والصورة {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} فجعل يخور خوار البقر، فقال: {هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى}"[٣٣٩٣].

الثاني: أن السامري جاء بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلا جدسا له خوار. وهذا قول السدي[٣٣٩٤].

قال السدي:" أخذ السامريّ من تربة الحافر، حافر فرس جبرائيل، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم، وإن حليّ القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة، فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلا جسدا له خوار، وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل، فلما رأوه قال لهم السامريّ {هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي.."[٣٣٩٥].

قوله تعالى:{فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} [طه : ٨٨]، أي:" فقال المفتونون به منهم للآخرين: هذا هو إلهكم وإله موسى، نسيه وغَفَل عنه"[٣٣٩٦].

قال قتادة: "لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامريّ: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحليّ، وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامريّ فصاغ منه عجلا ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس، فرس الملك، فنبذها في جوفه، فإذا هو عجل جسد له خوار، قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، ولكن موسى نسي ربه عندكم"[٣٣٩٧].

عن مجاهد :"{فنسي}، قال: هم يقولونه قومه أخطأ الرب العجل"[٣٣٩٨].

وفي قوله تعالى:{فَنَسِيَ}[طه :٨٨]، أقوال:

أحدها : فنسي السامري إسلامه وإيمانه ، وهو معنى قول مكحول[٣٣٩٩].

قال مكحول: "فنسي، أي: فترك السامري ما كان عليه من الدين"[٣٤٠٠].

الثاني : فنسي موسى إلهه عندكم ، قاله قتادة[٣٤٠١]، والضحاك[٣٤٠٢]، والسدي[٣٤٠٣].

قال قتادة:" يقول: قال السامريّ: موسى نسي ربه عندكم"[٣٤٠٤].

وقال قتادة:"يقول: طلب هذا موسى فخالفه الطريق"[٣٤٠٥].

قال الضحاك:" يقول: نسي موسى ربه فأخطأه، وهذا العجل إله موسى"[٣٤٠٦].

قال السدي:" يقول: ترك موسى إلهه هاهنا وذهب يطلبه"[٣٤٠٧].

وقال مجاهد:" هم يقولونه: أخطأ الربّ العجل"[٣٤٠٨].

(٣٣٩٣) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٥.

(٣٣٩٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٥٥-٣٥٦.

(٣٣٩٥) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٥-٣٥٦.

(٣٣٩٦) التفسير الميسر:٣١٨.

(٣٣٩٧) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٥.

(٣٣٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٦):ص٧/٢٤٣٢.

(٣٣٩٩) انظر: زاد المسير:٣/١٧٢.

(٣٤٠٠) انظر: زاد المسير:٣/١٧٢.

(٣٤٠١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٥٥-٣٥٦.

(٣٤٠٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٥٧.

(٣٤٠٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٥٧.

(٣٤٠٤) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٦.

(٣٤٠٥) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٦.

(٣٤٠٦) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٧.

(٣٤٠٧) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٧.

الثالث : أن موسى نسي أن قومه قد عبدوا العجل بعده، قاله مجاهد[٣٤٠٩].

والصواب" أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبرا من السامري عنه بذلك أشبه من غيره"[٣٤١٠].

القرآن

{أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)} [طه : ٨٩]

التفسير:

أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يكلمهم ابتداء، ولا يردُّ عليهم جوابًا، ولا يقدر على دفع ضرٍّ عنهم، ولا جلب نفع لهم؟

قوله تعالى:{أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا} [طه : ٨٩]، أي:" أفلا يرى الذين عبدوا العجل أنه لا يكلمهم ابتداء، ولا يردُّ عليهم جوابًا"[٣٤١١].

عن مجاهد :" {أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا}، قال: العجل"[٣٤١٢].

قوله تعالى:{وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [طه : ٨٩]، أي:" ولا يقدر على دفع ضرٍّ عنهم، ولا جلب نفع لهم؟"[٣٤١٣].

عن مجاهد :" {ولا يملك لهم ضرا}، قال: ضلالة"[٣٤١٤].

القرآن

{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠)} [طه : ٩٠]

التفسير:

ولقد قال هارون لبني إسرائيل من قبل رجوع موسى إليهم: يا قوم إنما اختُبرتم بهذا العجل؛ ليظهر المؤمن منكم من الكافر، وإن ربكم الرحمن لا غيره فاتبعوني فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، وأطيعوا أمري في اتباع شرعه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ} [طه : ٩٠]، أي:" ولقد قال هارون لبني إسرائيل من قبل رجوع موسى إليهم: يا قوم إنما اختُبرتم بهذا العجل؛ ليظهر المؤمن منكم من الكافر"[٣٤١٥].

قال السدي:" إنما ابتليتم به، يقول: بالعجل"[٣٤١٦].

القرآن

{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣)} [طه : ٩٢ - ٩٣]

التفسير:

قال موسى لأخيه هارون: أيُّ شيء منعك حين رأيتهم ضلُّوا عن دينهم أن لا تتبعني، فتلحق بي وتتركهم؟ أفعصيت أمري فيما أمرتك به من خلافتي والإصلاح بعدي؟

قوله تعالى:{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ}[طه : ٩٢ - ٩٣]، أي:" قال موسى لأخيه هارون: أيُّ شيء منعك حين رأيتهم ضلُّوا عن دينهم أن لا تتبعني، فتلحق بي وتتركهم؟"[٣٤١٧].

(٣٤٠٨) أخرجه الطبري:١٨/٣٥٦-٣٥٧.

(٣٤٠٩) انظر: زاد المسير:٣/١٧٢.

(٣٤١٠) تفسير الطبري:١٨/٣٥٧.

(٣٤١١) التفسير الميسر:٣١٨.

(٣٤١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٦):ص٧/٢٤٣٢.

(٣٤١٣) التفسير الميسر:٣١٨.

(٣٤١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٠٦):ص٧/٢٤٣٢.

(٣٤١٥) التفسير الميسر:٣١٨.

(٣٤١٦) أخرجه الطبري: ١٨/٣٥٨.

قال ابن جريج:" أمر موسى هارون أن يصلح، ولا يتبع سبيل المفسدين، فذلك قوله: {ألا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} بذلك"[٣٤١٨].

قوله تعالى:{أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} [طه : ٩٣]، أي:" أفعصيت أمري فيما أمرتك به من خلافتي والإصلاح بعدي؟"[٣٤١٩].

قال محمد بن إسحاق:" لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، ألقى الألواح من يده، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته، ويقول: {مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ألا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} [سورة طه: ٩٢، ٩٣] "[٣٤٢٠].

القرآن

{قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)} [طه : ٩٤]

التفسير:

ثم أخذ موسى بلحية هارون ورأسه يجرُّه إليه، فقال له هارون: يا ابن أمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خفتُ - إن تركتهم ولحقت بك - أن تقول: فرَّقت بين بني إسرائيل، ولم تحفظ وصيتي بحسن رعايتهم.

قوله تعالى:{قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي} [طه : ٩٤]، أي:" ثم أخذ موسى بلحية هارون ورأسه يجرُّه إليه، فقال له هارون: يا ابن أمي لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي"[٣٤٢١].

عن الحسن، قوله: {بْنَؤُمَّ} [طه : ٩٤]، أنه قال ذلك لأنه كان أخاه لأمه"[٣٤٢٢].

قوله تعالى:{إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} [طه : ٩٤]، أي:" إني خفتُ - إن تركتهم ولحقت بك - أن تقول: فرَّقت بين بني إسرائيل، ولم تحفظ وصيتي بحسن رعايتهم"[٣٤٢٣].

قال ابن جريج:" كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى"[٣٤٢٤].

وعن الحسن: "كلهم قد عبدوا العجل إلا هارون"[٣٤٢٥].

القرآن

{قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥)} [طه : ٩٥]

التفسير:

قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري؟ وما الذي دعاك إلى ما فعلته؟

قال السدي:" ما لك يا سامريّ؟"[٣٤٢٦].

القرآن

{قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦)} [طه : ٩٦]

التفسير:

(٣٤١٧) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤١٨) أخرجه الطبري:٣٥٩/١٨.
(٣٤١٩) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٢٠) أخرجه الطبري(١٥١٣١):ص١٢٣/١٣.
(٣٤٢١) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٢٢) انظر: النكت والعيون:٢٦٤/٢.
(٣٤٢٣) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٢٤) أخرجه الطبري:٣٦٠/١٨.
(٣٤٢٥) انظر: تأويلات اهل السنة:٣٠٣/٧.
(٣٤٢٦) أخرجه الطبري:٣٦١/١٨.

قال السامري: رأيت ما لم يروه - وهو جبريل عليه السلام - على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده، فأخذتُ بكفي ترابا من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحليِّ الذي صنعت منه العجل، فكان عجلا جسدًا له خوار؛ بلاء وفتنة، وكذلك زيَّنت لي نفسي الأمَّارة بالسوء هذا الصنيع.

قوله تعالى:{قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ} [طه : ٩٦]، أي:" قال السامري: رأيت ما لم يروه - وهو جبريل عليه السلام - على فرس، وقت خروجهم من البحر وغرق فرعون وجنوده"(٣٤٢٧).

عن قتادة :"{قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ}، يعني: فرس جبرائيل عليه السلام"(٣٤٢٨).

وقال ابن جريج:" لما قتل فرعون الولدان قالت أمّ السامريّ: لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أدري قتله، فجعلته في غار، فأتى جبرائيل، فجعل كفّ نفسه في فيه، فجعل يُرضعه العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ}"(٣٤٢٩).

قوله تعالى:{فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا} [طه : ٩٦]، أي:" فأخذتُ بكفي ترابا من أثر حافر فرس جبريل، فألقيته على الحليِّ الذي صنعت منه العجل"(٣٤٣٠).

عن مجاهد، قوله :" {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا}، قال: من تحت حافر فرس جبرائيل، نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل، فانسبك عجلا جسدا له خوار، حفيف الريح فيه فهو خواره، والعجل: ولد البقرة"(٣٤٣١).

روي عن الحسن :"أنه قرأها" «فَقَبَصْتُ قَبْصَةً»، بالصاد"(٣٤٣٢).

القرآن

{قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧)} [طه : ٩٧]

التفسير:

قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش منبوذًا تقول لكل أحد: لا أمَسُّ ولا أُمَسُّ، وإن لك موعدا لعذابك وعقابك، لن يُخْلفك الله إياه، وسوف تلقاه، وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته لنُحرقنَّه بالنار، ثم لنُذرونَّه في البحر ذروا لتذهب به الريح؛ حتى لا يبقى منه أثر.

قوله تعالى:{قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ} [طه : ٩٧]، أي:" قال موسى للسامري: فاذهب فإن عقوبتك في الحياة الدنيا أن تعيش منبوذًا تقول لكل أحد: لا أمَسُّ ولا أُمَسُّ"(٣٤٣٣).

قال قتادة:" كان والله السامريّ عظيما من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدوّ الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل، قوله: {فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ}، فبقاياهم اليوم يقولون لا مساس"(٣٤٣٤).

قوله تعالى:{وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ} [طه : ٩٧]، أي:" وإن لك موعدا لعذابك وعقابك، لن يُخْلفك الله إياه، وسوف تلقاه"(٣٤٣٥).

عن قتادة:" {وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ}، يقول: لن تغيب عنه"(٣٤٣٦).

قال عبدالرحمن :" سمعت أبا نهيك يقرأ :«لَن تُخْلِفَهُ أنْتَ»، يقول: لن تغيب عنه"(٣٤٣٧).

(٣٤٢٧) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٢٨) أخرجه الطبري:٣٦١/١٨.
(٣٤٢٩) أخرجه الطبري:٣٦١/١٨.
(٣٤٣٠) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٣١) اخرجه الطبري:٣٦١/١٨-٣٦٢.
(٣٤٣٢) أخرجه الطبري:٢٦٣/١٨.
(٣٤٣٣) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٣٤) اخرجه الطبري:٣٦٣/١٨-٣٦٥.
(٣٤٣٥) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٣٦) أخرجه الطبري:١٨،٣٦٤.
(٣٤٣٧) أخرجه الطبري:١٨،٣٦٤.

قوله تعالى:{وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} [طه : ٩٧]، أي:" وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته، لنُحرقنَّه بالنار، ثم لنُذروَنَّه في البحر ذروا لتذهب به الريح؛ حتى لا يبقى منه أثر"(٣٤٣٨).

قال السدي:" ثم أخذه فذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم، فلم يبق بحر يومئذ إلا وقع فيه شيء منه"(٣٤٣٩).

قال السدي:" اليم: البحر"(٣٤٤٠).

قال قتادة:" وفي بعض القراءة: «لنذبحنه ثم لنحرقنه، ثم لننسفنه في اليمّ نسفا»"(٣٤٤١).

القرآن

{إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)} [طه : ٩٨]

التفسير:

إنما إلهكم - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو، وسع علمه كل شيء.

قوله تعالى:{وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} [طه : ٩٨]، أي:" وسع علمه كل شيء"(٣٤٤٢).

عن قتادة:" {وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا}، يقول: ملأ كلّ شيء علما تبارك وتعالى"(٣٤٤٣).

القرآن

{كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩)} [طه : ٩٩]

التفسير:

كما قصصنا عليك - أيها الرسول - أنباء موسى وفرعون وقومهما، نخبرك بأنباء السابقين لك. وقد آتيناك مِن عندنا هذا القرآن ذكرى لمن يتذكر.

قوله تعالى:{وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا} [طه : ٩٩]، أي:" وقد آتيناك مِن عندنا هذا القرآن ذكرى لمن يتذكر"(٣٤٤٤).

عن أبي زيد: "{وقد آتيناك من لدنا ذكرا}، قال: القرآن"(٣٤٤٥).

القرآن

{مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)} [طه : ١٠٠]

التفسير:

من أعرض عن هذا القرآن، ولم يصدق به، ولم يعمل بما فيه، فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل إثمًا عظيمًا.

قوله تعالى:{فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا} [طه : ١٠٠]، أي:" فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل إثمًا عظيمًا"(٣٤٤٦).

قال الطبري: " يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الإثم العظيم"(٣٤٤٧).

عن مجاهد، قوله :"{يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا}، قال: إثما"(٣٤٤٨).

القرآن

(٣٤٣٨) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٣٩) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٨.
(٣٤٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٤٨٩):ص٢٤٢٩/٧.
(٣٤٤١) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٨.
(٣٤٤٢) التفسير الميسر:٣١٨.
(٣٤٤٣) أخرجه الطبري:٣٦٧/١٨.
(٣٤٤٤) التفسير الميسر:٣١٩.
(٣٤٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥١٨):ص٢٤٣٤/٧.
(٣٤٤٦) التفسير الميسر:٣١٩.
(٣٤٤٧) تفسير الطبري:٣٦٧/١٨-٣٦٨.
(٣٤٤٨) أخرجه الطبري:٣٦٨/١٨.

{خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)} [طه : ١٠١]

التفسير:

خالدين في العذاب، وساءهم ذلك الحمل الثقيل من الآثام حيث أوردهم النار.

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهِ} [طه : ١٠١]، أي:" خالدين في العذاب"[٣٤٤٩].

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٣٤٥٠].

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" [٣٤٥١].

القرآن

{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)} [طه : ١٠٢]

التفسير:

يوم يَنفُخ الملَكُ في «القرن» لصيحة البعث، ونسوق الكافرين ذلكم اليوم وهم زرق، تغيَّرت ألوانهم وعيونهم; من شدة الأحداث والأهوال.

قوله تعالى:{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [طه : ١٠٢]، أي:" يوم يَنفُخ الملَكُ في «القرن» لصيحة البعث"[٣٤٥٢].

عن قتادة: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"[٣٤٥٣].

عن مجاهد :"{ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق"[٣٤٥٤].

عن مجاهد: "{الصور}: البوق"[٣٤٥٥].

قال مجاهد:" هو القرن، صاحبه آخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب"[٣٤٥٦].

قال عكرمة:" الصور مع إسرافيل فيه أرواح كل شيء تكون فيه، ثم ينفخ فيه الصاعقة فإذا نفخ نفخة البعث قال: الله: بعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده وداره ... أعظم من سبع سموات ومن الأرض قال: فخلق الصور على في إسرافيل وهو شاخص بصره متى يؤمر بالنفخ في الصور"[٣٤٥٧].

قوله تعالى:{وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه : ١٠٢]، أي:" ونسوق الكافرين ذلكم اليوم وهم زرق، تغيَّرت ألوانهم وعيونهم; من شدة الأحداث والأهوال"[٣٤٥٨].

قال السدي: {ونحشر المجرمين}، يعني: بعد الحساب، نسوق المشركين إلى النار زرقا. قال: مسودة وجوههم، كالحة"[٣٤٥٩].

القرآن

{يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣)} [طه : ١٠٣]

التفسير:

يتهامسون بينهم، يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الحياة الدنيا إلا عشرة أيام.

قال قتادة: "أي: يتسارون بينهم: {إن لبثتم إلا عشرا}"[٣٤٦٠].

(٣٤٤٩) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٣٤٥١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣٤٥٢) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.

(٣٤٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٣):ص٢٩٢٩/٩.

(٣٤٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.

(٣٤٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.

(٣٤٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٢):ص٢٩٢٨/٩.

(٣٤٥٨) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٥٩) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٧٨/١.

القرآن

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)} [طه : ١٠٤]

التفسير:

نحن أعلم بما يقولون ويُسِرُّون حين يقول أعلمهم وأوفاهم عقلا ما لبثتم إلا يومًا واحدًا; لقِصَر مدة الدنيا في أنفسهم يوم القيامة.

قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} [طه : ١٠٤]، أي:" حين يقول أعلمهم وأوفاهم عقلا ما لبثتم إلا يومًا واحدًا"(٣٤٦١).

قال قتادة:" أي: في الدنيا إلا يوما، لما تقاصرت في أنفسهم"(٣٤٦٢).

وفي قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً} [طه : ١٠٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أعدلهم من الكفار. قاله قتادة(٣٤٦٣).

الثاني: أعلمهم في نفسه. قاله سعيد بن جبير(٣٤٦٤).

القرآن

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥)} [طه : ١٠٥]

التفسير:

ويسألك - أيها الرسول - قومك عن مصير الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يزيلها ربِّي عن أماكنها فيجعلها هباء منبثًّا.

سبب النزول:

قال ابن عباس: "سأل رجال من ثقيف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية"(٣٤٦٥).

قال يحيى:" سأل المشركون النبي فقالوا: يا محمد كيف هذه الجبال في ذلك اليوم الذي تذكر؟ فقال الله: {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا} من أصولها.."(٣٤٦٦).

عن عروة، قال: "كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب: إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة، فقال: كذب كعب، إنما الصخرة جبل من الجبال، إن الله يقول: {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا}، فسكت عبد الملك"(٣٤٦٧).

القرآن

{فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)} [طه : ١٠٦ - ١٠٧]

التفسير:

فيترك الأرض حينئذ منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها، لا يرى الناظر إليها مِن استوائها مَيْلا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا.

قوله تعالى: {فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا} [طه : ١٠٦]، أي:" فيترك الأرض حينئذ منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها"(٣٤٦٨).

(٣٤٦٠) أخرجه الطبري: ١٨/٣٧٠، و "ك؟؟ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ١/٢٧٨.

(٣٤٦١) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٦٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٢٥):ص٧/٢٤٣٤.

(٣٤٦٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٢٥):ص٧/٢٤٣٤.

(٣٤٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٢٤):ص٧/٢٤٣٤.

(٣٤٦٥) ذكره الواحدي في "التفسير": ١٤/٥٢١، وانظر: " بحر العلوم" ٢/ ٣٥٤، "معالم التنزيل" ٥/ ٢٦٤، "المحرر الوجيز" ١٠/ ٩٢، "زاد المسير" ٥/ ٣٢٢، وذكر نحوه الهواري في "تفسيره" ٣/ ٥٢، "لباب النقول في أسباب النزول" ص ١٤٦، "جامع النقول في أسباب النزول" ص ٢١٦.

(٣٤٦٦) تفسير يحيى بن سلام:١/٢٧٩.

(٣٤٦٧) أخرجه الطبري: ١٨/٣٧١.

عن مجاهد، قوله: "{ قَاعًا صَفْصَفًا}، قال: مستويا"[٣٤٦٩].

قوله تعالى:{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه : ١٠٧]، أي:" لا يرى الناظر إليها مِن استوائها مَيْلا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا"[٣٤٧٠].

وفي قوله تعالى:{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه : ١٠٧]، وجوه:

أحدها : «عوجاً»، يعني: ارتفاعا، «ولا أمتاً»، يعني : ولا انخفاضا. قاله مجاهد [٣٤٧١].

الثاني : «عوجاً» يعني: صدعاً ، «ولا أمتاً»، يعني: أكمة ، قاله الحسن[٣٤٧٢]، وقتادة[٣٤٧٣].

الثالث : أن «العوج»: الارتفاع ، و«الأمت»: المبسوط. قاله الضحاك[٣٤٧٤].

الرابع: الأمت: الحدب، قاله قتادة[٣٤٧٥].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب[٣٤٧٦].

القرآن

{يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨)} [طه : ١٠٨]

التفسير:

في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى موقف القيامة، لا محيد عن دعوة الداعي; لأنها حق وصدق لجميع الخلق، وسكنت الأصوات خضوعًا للرحمن، فلا تسمع منها إلا صوتًا خفيًا.

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ} [طه : ١٠٨]، أي:" في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى موقف القيامة، لا محيد عن دعوة الداعي"[٣٤٧٧].

عن قتادة: "{يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ }، قال: من الصخرة من بيت المقدس"[٣٤٧٨].

عن مجاهد: "{لَا عِوَجَ لَهُ}، لا معدل عنه"[٣٤٧٩].

قوله تعالى:{وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه : ١٠٨]، أي:" وسكنت الأصوات خضوعًا للرحمن، فلا تسمع منها إلا صوتًا خفيًا "[٣٤٨٠].

عن عكرمة:{فَلَا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا}، قالا: "وطء الأقدام"[٣٤٨١].

عن الحسن: "همس الأقدام"[٣٤٨٢].

قال الحسن:" وقع أقدام القوم"[٣٤٨٣].

قال مجاهد:" تهافتا، وقال: تخافت الكلام"[٣٤٨٤].

قال مجاهد:" خفض الصوت"[٣٤٨٥].

قال مجاهد:" كلام الإنسان لا تسمع تحرّك شفتيه ولسانه"[٣٤٨٦].

(٣٤٦٨) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٦٩) تفسير مجاهد: ٤٦٦، وتفسير الطبري:٣٧١/١٨.

(٣٤٧٠) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٧١) اخرجه الطبري:٣٧٢/١٨.

(٣٤٧٢) انظر: النكت والعيون:٤٢٦/٣.

(٣٤٧٣) انظر: تفسير الطبري:٣٧٢/١٨.

(٣٤٧٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٢٩):ص٢٤٣٥/٧.

(٣٤٧٥) انظر: تفسير الطبري:٣٧٢/١٨.

(٣٤٧٦) تفسير الطبري:٣٧٣/١٨.

(٣٤٧٧) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٧٨) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٨٠/١.

(٣٤٧٩) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٨٠/١.

(٣٤٨٠) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٨١) اخرجه الطبري:٣٧٤/١٨-٣٧٥.

(٣٤٨٢) أخرجه الطبري:٣٧٥/١٨.

(٣٤٨٣) أخرجه الطبري:٣٧٥/١٨.

(٣٤٨٤) أخرجه الطبري:٣٧٥/١٨.

(٣٤٨٥) أخرجه الطبري:٣٧٥/١٨.

عن محمد بن كعب القرظي، أنه قال: "يحشر الناس يوم القيامة في ظلمة وتطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر، وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه، قال: فذلك قول الله: {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}"[٣٤٨٧].

القرآن

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)} [طه : ١١٠]

التفسير:

يعلم الله ما بين أيدي الناس مِن أمر القيامة وما خلفهم من أمر الدنيا، ولا يحيط خلقه به علمًا سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [طه : ١١٠]، أي:" يعلم الله ما بين أيدي الناس مِن أمر القيامة وما خلفهم من أمر الدنيا"[٣٤٨٨].

عن قتادة :"{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}، من أمر الساعة، {وما خلفهم}، من أمر الدنيا"[٣٤٨٩].

القرآن

{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)} [طه : ١١١]

التفسير:

وخضعت وجوه الخلائق، وذلَّت لخالقها، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القائم على تدبير كلِّ شيء، المستغني عمَّن سواه. وقد خسر يوم القيامة مَن أشرك مع الله أحدًا من خلقه.

قوله تعالى:{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه : ١١١]، أي:" وخضعت وجوه الخلائق، وذلَّت لخالقها، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القائم على تدبير كلِّ شيء، المستغني عمَّن سواه"[٣٤٩٠].

وفي قوله تعالى:{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه : ١١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: ذلت الوجوه للحيّ القيّوم، قاله قتادة[٣٤٩١].

الثاني : خشعت ، قاله مجاهد[٣٤٩٢].

الثاني: استسلمت، قاله عطية العوفي[٣٤٩٣].

الرابع : أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود ، قاله طلق بن حبيب[٣٤٩٤].

قال طلق:" هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود"[٣٤٩٥].

عن الربيع قوله : " {الحي}، حي لا يموت"[٣٤٩٦]. وروي عن قتادة نحو ذلك[٣٤٩٧].

وفي معنى«الْقَيُّوم»، وجوه:

أحدها : أنه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجزيها بعملها، قاله الحسن[٣٤٩٨].

قال قتادة:"القائم على كل شيء"[٣٤٩٩].

(٣٤٨٦) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٥.

(٣٤٨٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٢٠):ص٢/١١٢.

(٣٤٨٨) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٨٩) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٦.

(٣٤٩٠) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٤٩١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٧٧-٣٧٨.

(٣٤٩٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٧٧.

(٣٤٩٣) انظر: النكت والعيون:٣/٤٢٧.

(٣٤٩٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٧٨.

(٣٤٩٥) أخرجه الطبري:١٨/٣٧٨.

(٣٤٩٦) أخرجه الطبري(٥٧٦٣):ص٥/٣٨٧.

(٣٤٩٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٢٥٧١):ص٢/٤٨٦.

(٣٤٩٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٢٨١، والنكت والعيون:٣/٤٢٨.

(٣٤٩٩) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٢٨١.

الثاني : القائم بتدبير الخلق. قاله الربيع[٣٥٠٠]، وروي عن مجاهد[٣٥٠١] وقتادة[٣٥٠٢] والسدي[٣٥٠٣] والضحاك[٣٥٠٤] نحو ذلك.
الثالث : الذي لا يحول ولا يزول. قاله الحسن –أيضا-[٣٥٠٥].
قوله تعالى:{وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه : ١١١]، أي:" وقد خسر يوم القيامة مَن أشرك مع الله أحدًا من خلقه"[٣٥٠٦].
عن قتادة: قوله:"{وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}، قال: من حمل شركا"[٣٥٠٧].
وفي الحديث : "إن الله يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة بهما، ينادي بصوت رفيع غير فظيع ، يسمع من بعد كمن قرب، فيقول: «أنا الديان لا تظالم اليوم وعزتي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة كف بكف أو يد على يد»"[٣٥٠٨].
وفي الصحيح : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة "[٣٥٠٩].

القرآن
{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)} [طه : ١١٢]
التفسير:
ومن يعمل صالحات الأعمال وهو مؤمن بربه، فلا يخاف ظلمًا بزيادة سيئاته، ولا هضمًا بنقص حسناته.
قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [طه : ١١٢]، أي:" ومن يعمل صالحات الأعمال وهو مؤمن بربه"[٣٥١٠].
قال قتادة:" وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان"[٣٥١١].
عن ابن جريج: قوله:" {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، قال: زعموا أنها الفرائض"[٣٥١٢].
قوله تعالى:{فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه : ١١٢]، أي:" فلا يخاف ظلمًا بزيادة سيئاته، ولا هضمًا بنقص حسناته"[٣٥١٣].
عن حبيب بن أبي ثابت، قوله:"{وَلَا هَضْمًا}، قال: الهضم: الانتقاص"[٣٥١٤].
عن مجاهد، قوله: {هَضْما}، قال: انتقاص شيء من حقّ عمله"[٣٥١٥].
قال الضحاك:" أما {هضما}، فهو لا يقهر الرجل الرجل بقوّته، يقول الله يوم القيامة: لا آخذكم بقوّتي وشدتي، ولكن العدل بيني وبينكم، ولا ظلم عليكم"[٣٥١٦].

(٣٥٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٧٢):ص٤٨٦/٢. واخرجه الطبري(٥٧٦٦):ص٣٨٨/٥.
(٣٥٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٥٧٣):ص٤٨٦/٢. وأخرجه الطبري(٥٧٦٥):ص٣٨٨/٥.
(٣٥٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٧٤):ص٤٨٦/٢.
(٣٥٠٣) أخرجه الطبري(٥٧٦٧):ص٣٨٨/٥. قال:" وهو القائم". ونقل عنه القرطبي: أن معنى{القيوم}، أي "الحي الباقي"، ثم استشهد له بقول لبيد[ديوانه:٤٤]:
فإما تريني اليوم أصبحت سالما فلست بأحيا من كلاب وجعفر
أي : "فلست بأبقى".[أنظر: تفسير القرطبي: ٢٧١/٣، وتفسير البحر المحيط:٢٠٦/٢، ورواية الديوان: فإمّا تَرَيْني اليَوْمَ عِندَكِ سالِماً].
(٣٥٠٤) أخرجه الطبري(٥٧٦٨):ص٣٨٩/٥. قال: "القائم الدائم".
(٣٥٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٥٧٥):ص٤٨٧/٢.
(٣٥٠٦) التفسير الميسر:٣١٩.
(٣٥٠٧) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٨.
(٣٥٠٨) مسند الشاميين للطبراني(١٥٦):ص١٠٤/١. من حديث جابر بن عبدالله-رضي الله عنه-
(٣٥٠٩)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٩٠) من حديث جابر-رضي الله عنه-.
(٣٥١٠) التفسير الميسر:٣١٩.
(٣٥١١) أخرجه الطبري:٣٧٩/١٨.
(٣٥١٢) أخرجه الطبري:٣٧٩/١٨.
(٣٥١٣) التفسير الميسر:٣١٩.
(٣٥١٤) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.
(٣٥١٥) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.
(٣٥١٦) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.

عن قتادة، قوله:"{فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا}، قال: ظلما أن يزاد في سيئاته، ولا يهضم من حسناته"[٣٥١٧].

قال قتادة:" لا يخاف أن يظلم فلا يجزى بعمله، ولا يخاف أن ينتقص من حقه فلا يوفى عمله"[٣٥١٨].

قال الحسن:" لا ينتقص الله من حسناته شيئا، ولا يحمل عليه ذنب مسيء"[٣٥١٩].

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣)} [طه : ١١٣]

التفسير:

وكما رغَّبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، وحذَّرنا أهل الكفر من المقام على معاصيهم وكفرهم بآياتنا، أنزلنا هذا القرآن باللسان العربي; ليفهموه، وفصَّلنا فيه أنواعًا من الوعيد; رجاء أن يتقوا ربهم، أو يُحدِث لهم هذا القرآن تذكرة، فيتعظوا، ويعتبروا.

قوله تعالى:{وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [طه : ١١٣]، أي:" وفصَّلنا فيه أنواعًا من الوعيد، رجاء أن يتقوا ربهم"[٣٥٢٠].

قال قتادة:" ما حذروا به من أمر الله وعقابه، ووقائعه بالأمم قبلهم"[٣٥٢١].

قوله تعالى:{أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه : ١١٣]، أي:" أو يُحدِث لهم هذا القرآن تذكرة، فيتعظوا، ويعتبروا"[٣٥٢٢].

عن قتادة:" {أو يحدث لهم}: القرآن {ذِكْرًا}، أي: جدّا وورعا"[٣٥٢٣].

وحكي الطبري عن قتادة أيضا:" معناه: أو يحدثُ لهم شرفا، بإيمانهم به"[٣٥٢٤].

القرآن

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)} [طه : ١١٤]

التفسير:

فتنزَّه الله - سبحانه - وارتفع، وتقدَّس عن كل نقص، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، المتصرف بكل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق. ولا تعجل - أيها الرسول - بمسابقة جبريل في تَلَقِّي القرآن قبل أن يَفْرَغ منه، وقل: ربِّ زدني علمًا إلى ما علمتني.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدها: عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه - فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه - فأنزل الله تعالى: {لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه} [القيامة: ١٧] قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} [القيامة: ١٨] قال: فاستمع له وأنصت: {ثم إن علينا بيانه} [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه"[٣٥٢٥].

(٣٥١٧) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.

(٣٥١٨) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.

(٣٥١٩) أخرجه الطبري:٣٨٠/١٨.

(٣٥٢٠) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٥٢١) أخرجه الطبري:٣٨١/١٨.

(٣٥٢٢) التفسير الميسر:٣١٩.

(٣٥٢٣) أخرجه الطبري:٣٨١/١٨.

(٣٥٢٤) تفسير الطبري:٣٨١/١٨.

(٣٥٢٥) صحيح البخاري(٥):ص٨/١.

قال السدي: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتي يشق على نفسه يتخوف إن يصعد جبريل ولم يحفظه فينسي ما علمه فقال الله: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، قال: لا تحرك به لسانك لتعجل به"[٣٥٢٦].

الثاني: عن الحسن قال: "لطم رجل امرأته: فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب قصاصا، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص، فأنزل الله :{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} فوقف النبي صلى الله عليه وسلم حتي نزلت : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء : ٣٤]"[٣٥٢٧].

قوله تعالى:{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه : ١١٤]، أي:" ولا تعجل - أيها الرسول - بمسابقة جبريل في تَلَقِّي القرآن قبل أن يَفْرَغ منه"[٣٥٢٨].

عن مجاهد، قوله "{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، قال: لا تتله على أحد حتى نبينه لك"[٣٥٢٩].

قال ابن جريج:" يقول: لا تتله على أحد حتى نتمه لك"[٣٥٣٠].

عن قتادة:"{مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، أي: من قبل أن يبين لك بيانه"[٣٥٣١].وفي رواية:" تبيانه"[٣٥٣٢].

وقال السدي:" يعني: لا تعجل بالقرآن من قبل أن ينزل إليك جبريل بالوحي"[٣٥٣٣].

القرآن

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)} [طه : ١١٥]

التفسير:

ولقد وصينا آدم مِن قَبلِ أن يأكل من الشجرة، ألا يأكل منها، وقلنا له: إن إبليس عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنكما من الجنة، فتشقى أنت وزوجك في الدنيا، فوسوس إليه الشيطان فأطاعه، ونسي آدم الوصية، ولم نجد له قوة في العزم يحفظ بها ما أُمر به.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ} [طه : ١١٥]، أي:" ولقد وصينا آدم مِن قَبلِ أن يأكل من الشجرة، ألا يأكل منها، وقلنا له: إن إبليس عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنكما من الجنة، فتشقى أنت وزوجك في الدنيا، فوسوس إليه الشيطان فأطاعه، ونسي آدم الوصية"[٣٥٣٤].

عن مجاهد:" {فَنَسِيَ}: ترك أمر ربه"[٣٥٣٥].

قال الحسن:" ترك ما قدم إليه ولو كان منه نسيان ما كان عليه شيء، لأن الله قد وضع، عن المؤمنين النسيان والأخطاء ولكن آدم ترك ما قدم إليه من أكل الشجرة"[٣٥٣٦].

قوله تعالى:{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه : ١١٥]، أي:" ولم نجد له قوة في العزم يحفظ بها ما أُمر به"[٣٥٣٧].

قال عبيد بن عمير: "لم يكن آدم من أولي العزم"[٣٥٣٨].

وفي قوله تعالى:{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه : ١١٥]، وجوه من التفسير:

(٣٥٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٣):ص٢٤٣٦/٧-٢٤٣٧.
(٣٥٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٤):ص٢٤٣٧/٧.
(٣٥٢٨) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٥٢٩) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٣٥٣٠) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٣٥٣١) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٣٥٣٢) اخرجه الطبري:٣٨٢/١٨.
(٣٥٣٣) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٨٣/١.
(٣٥٣٤) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٥٣٥) أخرجه الطبري:٣٨٣/١٨.
(٣٥٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٩):ص٢٤٣٧/٧.
(٣٥٣٧) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٥٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٨):ص٢٤٣٧/٧.

أحدها : ولم نجد له صبراً، قاله قتادة[٣٥٣٩].
الثاني : ولم نجد له حفظا لما عهدنا إليه. قاله عطية[٣٥٤٠].
وقال عطية:" حفظا لما أمرته به"[٣٥٤١].
قال ابن أمامة :" لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة، ووضعت في كفة ميزان. ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى، لرجح حلمه بأحلامهم، وقد قال الله تعالى :{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}"[٣٥٤٢].

القرآن
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦)} [طه : ١١٦]
التفسير:
واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام، فأطاعوا، وسجدوا، لكن إبليس امتنع من السجود.
قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [طه : ١١٦]، أي:" واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام"[٣٥٤٣].
قال الحسن:" ثم أمرهم أن يسجدوا لآدم فسجدوا له كرامة من الله أكرم بها آدم، وليعلموا أن الله لا يخفى عليه شيء وأنه يصنع ما أراد"[٣٥٤٤].
عن أبي العالية في قول الله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}، قال: "لملائكة الذين كانوا في الأرض"[٣٥٤٥].
عن قتادة ، قوله : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}، فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[٣٥٤٦].
قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} [طه : ١١٦]، أي:" فأطاعوا، وسجدوا، لكن إبليس امتنع من السجود"[٣٥٤٧].
قال قتادة :" حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناري وهذا طيني. فكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم"[٣٥٤٨].
قال السدي:"كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"[٣٥٤٩].
وقد اختلفوا هل إبليس من الجن أم من الملائكة، على ثلاثة أقوال:
القول الأول: أنه كان من الملائكة، فلما عصى الله تعالى أخرجه من صف الملائكة، قاله قتادة[٣٥٥٠]، ومحمد بن إسحاق[٣٥٥١]، وسعيد بن جبير[٣٥٥٢]، وسعيد بن المسيب[٣٥٥٣] ونسبه ابن عطية والقرطبي والشوكاني إلى الجمهور[٣٥٥٤].

(٣٥٣٩) انظر: تفسير الطبري:٣٨٤/١٨.
(٣٥٤٠) انظر: تفسير الطبري:٣٨٤/١٨.
(٣٥٤١) أخرجه الطبري:٣٨٤/١٨.
(٣٥٤٢) اخرجه الطبري:٣٨٤/١٨-٣٨٥.
(٣٥٤٣) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٥٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٣٥٩):ص٨٣/١.
(٣٥٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٣٥٨):ص٨٣/١.
(٣٥٤٦) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.
(٣٥٤٧) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٥٤٨.٨٤/١٣٥٤) تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٤):ص١
(٣٥٤٩)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١
(٣٥٥٠) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٣):ص٥٠٤/١.
(٣٥٥١) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٥):ص٥٠٥/١.
(٣٥٥٢) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٢):ص٥٠٤/١.
(٣٥٥٣) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٢):ص٥٠٤/١.
(٣٥٥٤)راجع في ذلك تفاسيرهم عند آية البقرة والكهف .مع كتاب الدر المنثور للسيوطي : ٩/ ٥٦٥.

القول الثاني: أنه من الجن. قاله الحسن البصري[٣٥٥٥]، وسعد بن مسعود[٣٥٥٦]، وشَهر بن حَوْشب[٣٥٥٧]، ورجحه ابن تيمية والسيوطي والزمخشري وابن كثير والشنقيطي[٣٥٥٨].

القول الثالث: أن إبليس كان أصله من الملائكة فمسخه الله من الجن لما عصاه. وهذا قول قتادة[٣٥٥٩]، ومحمد بن إسحاق[٣٥٦٠].

والراجح : أن إبليس لم يكن من الملائكة، وهو الصحيح، لقوة أدلته. وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم. –والله أعلم-.

القرآن

{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)} [طه : ١١٧]

التفسير:

فقلنا: يا آدم إن إبليس هذا عدو لك ولزوجتك، فاحذرا منه، ولا تطيعاه بمعصيتي، فيخرجكما من الجنة، فتشقى إذا أُخرجت منها.

قوله تعالى:{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ} [طه : ١١٧]، أي:" قلنا: يا آدم إن إبليس هذا عدو لك ولزوجتك، فاحذرا منه"[٣٥٦١].

عن أشعث الحداني: "كانت حواء من نساء الجنة، وكان الولد يرى في بطنها إذا حملت أذكر أم أنثى من صفائها"[٣٥٦٢].

قوله تعالى:{فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} [طه : ١١٧]، أي:" ولا تطيعاه فيكون سبباً لإخراجكما من الجنة فتشقيان"[٣٥٦٣].

قال الحسن:" عني به شقاء الدنيا فلا تلقي ابن آدم إلا شقيا ناصبا"[٣٥٦٤].

قال سعيد بن جبير:" أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق من جبينه، فهو الذي قال الله تعالى ذكره :{فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}، فكان ذلك شقاؤه"[٣٥٦٥].

القرآن

{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩)} [طه : ١١٨ - ١١٩]

التفسير:

إن لك - يا آدم - في هذه الجنة أن تأكل فلا تجوع، وأن تَلْبَس فلا تَعْرى، وأن لك ألا تعطش في هذه الجنة ولا يصيبك حر الشمس.

عن سعيد بن جبير، وقتادة: {ولا تضحى}، قالا: "لا تصيبك الشمس"[٣٥٦٦].

عن عمرة:" {ولا تضحى}، قال: لا يصيبك حر الشمس"[٣٥٦٧].

(٣٥٥٥)أنظر: تفسير الطبري(٦٩٦)، و(٦٩٧):ص٥٠٦/١.

(٣٥٥٦) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٩):ص٥٠٧/١.

(٣٥٥٧) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٨):ص٥٠٦/١-٥٠٧.

(٣٥٥٨)راجع في ذلك تفاسيرهم عند آية البقرة والكهف كما سبق ويضاف إلى هذه المصادر كتاب السيوطي الدر المنثور ، أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ذكر رأيه في مجموع الفتاوى ٤/ ٣٤٦ وابن عثيمين في كتابه الذي أفرده وتفسير ابن جرير لسورة الكهف عند آيتها التي تحدثت عن قصة آدم وإبليس وكذا في فتاويه ورقم الفتوى ١٠٨،أما السيوطي فذكر رأيه في ( ). تفسير الجلالين

(٣٥٥٩) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٣):ص٥٠٤/١.

(٣٥٦٠) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٥):ص٥٠٥/١.

(٣٥٦١) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٣٥٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٧٧):ص١٤٤٨/٥.

(٣٥٦٣) صفوة التفاسير:٢٢٨/٢.

(٣٥٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٥٢):ص٢٤٣٨/٧.

(٣٥٦٥) اخرجه الطبري:٣٨٥/١٨.

(٣٥٦٦) أخرجه الطبري: ٣٨٧/١٨.

(٣٥٦٧)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٥٩):ص٢٤٣٨/٧ .

القرآن

{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)} [طه : ١٢٠]

التفسير:

فوسوس الشيطان لآدم وقال له: هل أدلك على شجرة، إن أكلت منها خُلِّدتَ فلم تمت، وملكت مُلكًا لا ينقضي ولا ينقطع؟

قوله تعالى:{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} [طه : ١٢٠]، أي:" فوسوس الشيطان لآدم وقال له: هل أدلك على شجرة، إن أكلت منها خُلِّدتَ فلم تمت، وملكت مُلكًا لا ينقضي ولا ينقطع؟"(٣٥٦٨).

عن عكرمة قال: "إنما سمي الشيطان، لأنه تشيطن"(٣٥٦٩).

عن السدي:"{يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ} يقول: ألا أدلك"(٣٥٧٠)، "{على شجرة الخلد وملك لا يبلى} إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله، {أو تكونا من الخالدين} فلا تموتان أبدا"(٣٥٧١).

عن ابن إسحاق، قال: حدثت: أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما، أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة. فوقع ذلك في أنفسهما. ثم أتاهما فوسوس إليهما، فقال: {يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى}؟ وقال:{ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين}، أي: تكونا ملكين، أو تخلدا، إن لم تكونا ملكين - في نعمة الجنة فلا تموتان. يقول الله جل ثناؤه: {فدلاهما بغرور}"(٣٥٧٢).

روي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، ما يقطعها وهي شجرة الخلد"(٣٥٧٣).

القرآن

{فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)} [طه : ١٢١]

التفسير:

فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورةً عن أعينهما، فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما; ليسترا ما انكشف من عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه، فغوى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها.

قوله تعالى:{فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} [طه : ١٢١]، أي:" فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورةً عن أعينهما"(٣٥٧٤).

قال الحسن: "لو أن حواء بدأت قبل آدم فبدت سوأتها عند ذلك لكانت له عظة ولكن لما أكل آدم بدت لهما سوآتهما"(٣٥٧٥).

عن السدي، قال: "إنما أراد، يعني إبليس بقوله: {هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى} ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما، بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم

(٣٥٦٨) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٣٥٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٧): ٨٧/١.

(٣٥٧٠) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٨٤/١.

(٣٥٧١) أخرجه الطبري: ٣٨٧/١٨.

(٣٥٧٢) أخرجه الطبري(٧٤٧):ص٥٢٩/١.

(٣٥٧٣)مسند الطيالسي برقم (٢٥٤٧) والمسند للإمام أحمد (٤٥٥/٢).

(٣٥٧٤) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٣٥٧٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٨٤/١.

يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء، فأكلت ثم قالت: يا آدم كل، فإني قد أكلت، فلم يضرني، فلما أكل آدم بدت سوآتهما"[٣٥٧٦].

قوله تعالى:{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} [طه : ١٢١]، أي:" فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما; ليسترا ما انكشف من عوراتهما"[٣٥٧٧].

قال السدي:" أقبلا يغطيان عليهما من ورق الجنة، التين"[٣٥٧٨].

قال قتادة:" يوصلان عليهما من ورق الجنة"[٣٥٧٩].

قال محمد بن كعب:" يأخذان ما يواريان به عورتهما"[٣٥٨٠].

قال مجاهد:" يرقعان، كهيئة الثوب"[٣٥٨١].

عن السدي:"{مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ }، قال:" ورق التين"[٣٥٨٢].

قال وهب بن منبه:" كان لباس آدم وحواء -عليهما السلام- نورًا على فروجهما، لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا. فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوءاتهما"[٣٥٨٣].

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فأخذت شعره شجرة فنازعها، فناداه الرحمن يا آدم مني تفر؟ فلما سمع كلام الرحمن، قال: يا رب لا ولكن استحياء"[٣٥٨٤].

عن أبي بن كعب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما ذاق آدم من الشجرة فر هاربا فتعلقت شجرة بشعره فنودي: يا آدم، أفرارا مني؟ قال: بل حياء منك قال يا آدم اخرج من جواري، فبعزتي لا أساكن فيها من عصاني، ولو خلقت ملء الأرض مثلك خلقا ثم عصوني لأسكنتهم دار العاصين"[٣٥٨٥].

قوله تعالى:{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه : ١٢١]، أي:" وخالف آدم أمر ربه، فغوى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها"[٣٥٨٦].

قال الربيع بن أنس: "فأخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة، فأخرج آدم معه غصنا من شجر الجنة، على رأسه تاج من شجر الجنة، وهو الإكليل من ورق الجنة"[٣٥٨٧].

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «"حاجّ موسى آدم ، فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم : يا موسى ، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمر قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني - أو : قدره الله عليّ قبل أن يخلقني - " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فحج آدم موسى"»[٣٥٨٨].

القرآن

{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢)} [طه : ١٢٢]

التفسير:

ثم اصطفى الله آدم، وقرَّبه، وقَبِل توبته، وهداه رشده.

(٣٥٧٦) أخرجه الطبري: ٣٨٨/١٨.

(٣٥٧٧) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٣٥٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠١):ص١٤٥٢/٥.

(٣٥٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٥):ص١٤٥٣/٥.

(٣٥٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٦):ص١٤٥٣/٥.

(٣٥٨١) أخرجه الطبري(١٤٤٠٠):ص٣٥٣/١٢.

(٣٥٨٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٠١):ص١٤٥٢/٥.

(٣٥٨٣) أخرجه الطبري(١٤٤٠٨):ص٣٥٥/١٢.

(٣٥٨٤) اخرجه ابن ابي حاتم(٣٨٨):ص٨٧/١-٨٨.

(٣٥٨٥) اخرجه ابن ابي حاتم(٣٨٩):ص٨٨/١.

(٣٥٨٦) التفسير الميسر:٣٢٠.

(٣٥٨٧) اخرجه ابن ابي حاتم(٣٩٠):ص٨٨/١.

(٣٥٨٨)صحيح البخاري برقم (٤٧٣٨).

عن السدي:" {فتلقى آدم من ربه كلمات}، قال: رب، ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى. قال: ونفخت في من روحك؟ قيل له: بلى. قال وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى. قال: رب هل كنت كتبت هذا علي؟ قيل له: نعم. قال: رب، إن تبت وأصلحت، هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قيل له: نعم. قال الله تعالى: {ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}"[٣٥٨٩].

القرآن

{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣)} [طه : ١٢٣]

التفسير:

قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة إلى الأرض جميعًا مع إبليس، فأنتما وهو أعداء، فإن يأتكم مني هدى وبيان فمن اتبع هداي وبياني وعمل بهما فإنه يرشد في الدنيا، ويهتدي، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله.

قوله تعالى:{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [طه : ١٢٣]، أي:" قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة إلى الأرض جميعًا مع إبليس، متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله"[٣٥٩٠].

عن أبي صالح مولى أم هانئ، قال: "يعني: آدم وحواء والحية"[٣٥٩١]. روي عن السدي نحو ذلك- وزاد فيه إبليس[٣٥٩٢].

قال السدي:" فهبطوا فنزل آدم بالهند. وأنزل معه بالحجر الأسود، وأنزل بقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند فنبت شجر الطيب. فإنما أصل ما يجاء به من الهند من الطيب- من قبضة الورق التي هبط بها آدم، وإنما قبضها آدم حين أخرج من الجنة أسفا على الجنة حين أخرج منها"[٣٥٩٣].

قوله تعالى:{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى} [طه : ١٢٣]، أي:" فإن يأتكم مني شريعة ورسول وبيان ودعوة"[٣٥٩٤].

قال أبو العالية:" الهدى: الأنبياء والرسل، والبيان"[٣٥٩٥].

قال الحسن: "الهدى: القرآن"[٣٥٩٦].

قوله تعالى:{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه : ١٢٣]، أي:" فمن اتبع هداي وبياني وعمل بهما فإنه يرشد في الدنيا، ويهتدي، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله"[٣٥٩٧].

قال أبو خالد:" {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ}، يعني: كتابي"[٣٥٩٨].

القرآن

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)} [طه : ١٢٤]

التفسير:

ومن تولَّى عن ذكري الذي أذكِّره به فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيِّقة شاقة -وإن ظهر أنه من أهل الفضل واليسار-، ويُضيَّق قبره عليه ويعذَّب فيه، ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة.

قوله تعالى:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه : ١٢٤]، أي:" ومن تولَّى عن ذكري الذي أذكِّره به، فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيِّقة شاقة، ويُضيَّق قبره عليه ويعذَّب فيه"[٣٥٩٩].

وفي قوله تعالى:{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه : ١٢٤]، وجهان من التفسير:

(٣٥٨٩) أخرجه الطبري(٧٨٠):ص١/٥٤٣-٥٤٤.
(٣٥٩٠) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٥٩١) اخرجه ابن ابي حاتم(٤١٦):ص١/٩١.
(٣٥٩٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ١/٩٢.
(٣٥٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٤١٨):١/٩٢.
(٣٥٩٤) التفسير البسيط: ٢/٤١٦.
(٣٥٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤١٩):ص١/٩٣.
(٣٥٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٢١):ص١/٩٣.
(٣٥٩٧) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٥٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٢٤):ص١/٩٣.
(٣٥٩٩) التفسير الميسر:٣٢٠.

أحدهما : كسباً حراماً، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك، قاله عكرمة[٣٦٠٠]، والضحاك[٣٦٠١]، وقيس بن أبي حازم[٣٦٠٢]، ومالك بن دينار[٣٦٠٣].

قال عكرمة:" هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام"[٣٦٠٤].

وروي عن قيس بن أبي حازم ، قوله:{مَعِيشَةً ضَنْكًا}، قال: رزقا في معصيته"[٣٦٠٥].

وقال الضحاك:" الكسب الخبيث"[٣٦٠٦].

وقال الضحاك:" العمل الخبيث، والرزق السيئ"[٣٦٠٧].

قال مالك بن دينار:" يحول الله رزقه في الحرام فلا يطعمه إلا حراما حتي يموت فيعذبه عليه"[٣٦٠٨].

الثاني : أنه عذاب القبر، قاله مجاهد[٣٦٠٩]، وأبو صالح[٣٦١٠]، والسدي[٣٦١١]، وأبو سعيد الخدري، ورفعه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[٣٦١٢].

قال مجاهد:"ضيقة يضيق عليه قبره"[٣٦١٣].

عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "المؤمن في قبره في روضة خضراء ، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ، وينور له قبره كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية : { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده ، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تِنِّينًا ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية ، لكل حية سبعة رؤوس ، ينفخون في جسمه ، ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون"[٣٦١٤].

قوله تعالى:{وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه : ١٢٤]، أي:" ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة"[٣٦١٥].

عن مجاهد، قوله:{ونحشره يوم القيامة أعمى}، قال: عن الحجة"[٣٦١٦].

روي عن عكرمة، قال:" عمي عليه كل شيء إلا جهنم، وفي لفظ قال: "لا يبصر إلا النار"[٣٦١٧].

القرآن

{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)} [طه : ١٢٥]

التفسير:

قال المعرض عن ذكر الله: ربِّ لِمَ حَشَرْتني أعمى، وقد كنت بصيرًا في الدنيا؟

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى} [طه : ١٢٥]، أي:" قال المعرض عن ذكر الله: ربِّ لِمَ حَشَرْتني أعمى"[٣٦١٨].

(٣٦٠٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٩١-٣٩٢.
(٣٦٠١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٩٢.
(٣٦٠٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٩٢.
(٣٦٠٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٥٧٢):ص٧/٢٤٤٠.
(٣٦٠٤) أخرجه الطبري:١٨/٣٩١-٣٩٢.
(٣٦٠٥) أخرجه الطبري:١٨/٣٩٢.
(٣٦٠٦) أخرجه الطبري:١٨/٣٩٢.
(٣٦٠٧) أخرجه الطبري:١٨/٣٩٢.
(٣٦٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٢):ص٧/٢٤٤٠.
(٣٦٠٩) انظر: فسير مجاهد:٤٦٧.
(٣٦١٠)انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٩٣ .
(٣٦١١)انظر: تفسير الطبري:١٨/٣٩٣ .
(٣٦١٢) انظر: تفسيرالطبري:١٨/٣٩٤.
(٣٦١٣) تفسير مجاهد:٤٦٧.
(٣٦١٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥/٣٢٣، ورواه أبو يعلى في مسنده (١١/٥٢١) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.
(٣٦١٥) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٦١٦) أهخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٥):ص٧/٢٤٤٠.
(٣٦١٧) أهخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٦):ص٧/٢٤٤٠.
(٣٦١٨) التفسير الميسر:٣٢٠.

عن مجاهد :"{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى}، لا حجة لي"[٣٦١٩].
قوله تعالى:{وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} [طه : ١٢٥]، أي:" وقد كنت بصيرًا في الدنيا؟"[٣٦٢٠].
عن مجاهد :{وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا}، في الدنيا"[٣٦٢١].
عن مجاهد :"{ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا}، قال: عالما بحجتي"[٣٦٢٢].
قال قتادة:" كان بعيد البصر، قصير النظر، أعمى عن الحق"[٣٦٢٣].

القرآن

{قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦)} [طه : ١٢٦]

التفسير:

قال الله تعالى له: حشرتك أعمى; لأنك أتتك آياتي البينات، فأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، وكما تركتَها في الدنيا فكذلك اليوم تُترك في النار.

قوله تعالى:{قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا} [طه : ١٢٦]، أي:" قال الله تعالى له: حشرتك أعمى; لأنك أتتك آياتي البينات، فأعرضت عنها، ولم تؤمن بها"[٣٦٢٤].

عن مجاهد، { فنسيتها}، قال فتركتها"[٣٦٢٥].

عن السدي:"{ فنسيتها}، يقول: تركتها إن تعمل بها"[٣٦٢٦].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه : ١٢٦]، أي:" وكما تركتَ آياتي في الدنيا فكذلك اليوم تُترك في النار"[٣٦٢٧].

عن مجاهد، قوله :"{وكذلك اليوم تنسى}، قال: [وكذلك اليوم][٣٦٢٨] تترك في النار"[٣٦٢٩].

عن أبي صالح والسدي: "{ وكذلك اليوم تنسى}، قالا: "في النار"[٣٦٣٠].

وعن قتادة: "{وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}، قال: نسي من الخير، ولم ينس من الشرّ"[٣٦٣١].

عن سعد بن عبادة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من رجل قرأ القرآن فنسيه ، إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجذم"[٣٦٣٢].

القرآن

{وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)} [طه : ١٢٧]

التفسير:

وهكذا نعاقب مَن أسرف على نفسه فعصى ربه، ولم يؤمن بآياته بعقوبات في الدنيا، ولعذاب الآخرة المعدُّ لهم أشد ألمًا وأدوم وأثبت; لأنه لا ينقطع ولا ينقضي.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ} [طه : ١٢٧]، أي:" وهكذا نعاقب مَن أسرف على نفسه فعصى ربه، ولم يؤمن بآياته بعقوبات في الدنيا"[٣٦٣٣].

(٣٦١٩) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(٣٦٢٠) التفسير الميسر:٣٢٠.
(٣٦٢١) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(٣٦٢٢) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(٣٦٢٣) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٨.
(٣٦٢٤) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٢٥) أخرجه الطبري:٣٩٦/١٨.
(٣٦٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٧):ص٢٤٤١/٧.
(٣٦٢٧) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٢٨) زيادة في تفسير الطبري:٣٩٦/١٨.
(٣٦٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٧٥):ص٢٤٤٠/٧.
(٣٦٣٠) أخرج الطبري:٣٩٦/١٨ قول أبي صالح، وأخرج ابن ابي حاتم(١٣٥٧٧):ص٢٤٤١/٧. قول السدي.
(٣٦٣١) أخرجه الطبري:٣٩٦/١٨.
(٣٦٣٢)المسند (٢٨٥/٥).
(٣٦٣٣) التفسير الميسر:٣٢١.

وفي معنى"الآيات"، قولان:
أحدهما: أن" آيات الله فمحمد صلى الله عليه وسلم". قاله السدي[٣٦٣٤].
الثاني: أنها القرآن. قاله سعيد بن جبير[٣٦٣٥].

القرآن
{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (١٢٨)} [طه : ١٢٨]
التفسير:
أفلم يدل قومك - أيها الرسول - على طريق الرشاد كثرة مَن أهلكنا من الأمم المكذبة قبلهم وهم يمشون في ديارهم، ويرون آثار هلاكهم؟ إن في كثرة تلك الأمم وآثار عذابهم لعبرًا وعظاتٍ لأهل العقول الواعية.
قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} [طه : ١٢٨]، أي:" أفلم يدل قومك - أيها الرسول - على طريق الرشاد كثرة مَن أهلكنا من الأمم المكذبة قبلهم وهم يمشون في ديارهم، ويرون آثار هلاكهم؟"[٣٦٣٦].
قال قتادة:" لأن قريشا كانت تتجر إلى الشأم، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذّرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله لهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون"[٣٦٣٧].
قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه : ١٢٨]، أي:" إن في كثرة تلك الأمم وآثار عذابهم لعبرًا وعظاتٍ لأهل العقول الواعية"[٣٦٣٨].
قال قتادة:" أهل الورع"[٣٦٣٩].

القرآن
{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩)} [طه : ١٢٩]
التفسير:
ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى عنده للازمهم الهلاك عاجلا، لأنهم يستحقونه؛ بسبب كفرهم.
قال الحسن:" ألا تعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال، إلا بالساعة"[٣٦٤٠].
قال مجاهد:" الأجل المسمى: الدنيا"[٣٦٤١].
قال مجاهد:" الأجل المسمى: الموت، وفيه تقديم وتأخير، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما "[٣٦٤٢].
قال قتادة:" وهذه من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى ، أجل مسمى كان لزاما، و«الأجل المسمى»: الساعة، لأن الله تعالى يقول (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ"[٣٦٤٣].
عن السدي: "{ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما}، قال: لكان أخذ أو لكنا أخرناهم إلى يوم بدر وهو اللزوم وتفسيرها :ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى لكان لزاما، ولكنه تقديم وتأخير في الكلام"[٣٦٤٤].
عن أبي صالح:" :{لَكَانَ لِزَامًا}، قال:" لكان أخذا" [٣٦٤٥].

(٣٦٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٢٨):ص٩٤/١.
(٣٦٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٢٩):ص٩٤/١.

(٣٦٣٦) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٣٧) أخرجه الطبري:٣٩٧/١٨.
(٣٦٣٨) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٣٩) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٨.
(٣٦٤٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٩١/١.
(٣٦٤١) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٨.
(٣٦٤٢) تفسير مجاهد:٤٦٨.
(٣٦٤٣) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٨.
(٣٦٤٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٥٨١):ص٢٤٤١/٧.

القرآن
{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)} [طه : ١٣٠]
التفسير:
فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف وأباطيل، وسبِّح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة العشاء في ساعات الليل، وسبح بحمد ربك أطراف النهار في صلاة الظهر -إذ وقتها طرف النصف الأول والنصف الثاني من النهار- وفي صلاة المغرب ; كي تثاب على هذه الأعمال بما تَرْضى به.
قوله تعالى:{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [طه : ١٣٠]، أي:" فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف وأباطيل"(٣٦٤٦).
قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} [طه : ١٣٠]، أي:" وسبِّح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها"(٣٦٤٧).
عن قتادة قوله: "{وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس}، قال: هي صلاة الفجر، {وقبل غروبها}، قال: صلاة العصر"(٣٦٤٨).
عن السدي قوله: "{وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها}، قال: كان هذا قبل إن تفرض الصلاة"(٣٦٤٩).
قوله تعالى:{وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ} [طه : ١٣٠]، أي:" وسبح بحمد ربك في صلاة العشاء في ساعات الليل"(٣٦٥٠).
عن قتادة:"{ومن آناء الليل}، قال: صلاة المغرب والعشاء"(٣٦٥١).
عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن قرأ :{ومن آناء الليل}، قال: من أوله، وأوسطه، وآخره"(٣٦٥٢).
قوله تعالى:{وَأَطْرَافَ النَّهَارِ} [طه : ١٣٠]، أي:" وسبح بحمد ربك أطراف النهار في صلاة الظهر - إذ وقتها طرف النصف الأول والنصف الثاني من النهار- وفي صلاة المغرب"(٣٦٥٣).
عن قتادة:"{وأطراف النهار}، قال: صلاة الظهر"(٣٦٥٤).
وعن الحسن :يعني: التطوع"(٣٦٥٥).
قوله تعالى:{لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه : ١٣٠]، أي:" كي تثاب على هذه الأعمال بما تَرْضى به كي تثاب على هذه الأعمال بما تَرْضى به"(٣٦٥٦).
قال الحسن: "{لعلك}، أي: فإنك سترضى ثواب عملك في الآخرة"(٣٦٥٧).

القرآن
{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)} [طه : ١٣١]

(٣٦٤٥)انظر: الدر المنثور ٣١٢/٤ .
(٣٦٤٦) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٤٧) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٤):ص٢٤٤١/٧.
(٣٦٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٥):ص٢٤٤١/٧.
(٣٦٥٠) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٥١) اخرجه الطبري:٤٠١/١٨.
(٣٦٥٢) اخرجه الطبري:٤٠٢/١٨.
(٣٦٥٣) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٥٤) اخرجه الطبري:٤٠١/١٨.
(٣٦٥٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٩٣/١.
(٣٦٥٦) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٥٧) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير" ٢٩٤/١.

التفسير:
ولا تنظر إلى ما مَتَّعْنا به هؤلاء المشركين وأمثالهم من أنواع المتع، فإنها زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعناهم بها; لنبتليهم بها، ورزق ربك وثوابه خير لك مما متعناهم به وأدوم; حيث لا انقطاع له ولا نفاد.
سبب النزول:
عن أبي رافع قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من اليهود إن بعنا أو أسلفنا دقيقا إلى هلال رجب، فقال لا إلا برهن فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه أذهب بدرعي الحديد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية:{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ}، كأنه يعزيه، عن الدنيا"[٣٦٥٨].
قوله تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [طه : ١٣١]، أي:" ولا تنظر إلى ما مَتَّعْنا به هؤلاء المشركين وأمثالهم من أنواع المتع، فإنها زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا"[٣٦٥٩].
عن قتادة قوله: "{زهرة الحياة الدنيا}، قال: زينة الحياة الدنيا"[٣٦٦٠].
عن أبي سعيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال: بركات الأرض"[٣٦٦١].
قوله تعالى:{لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [طه : ١٣١]، أي:" متعناهم بها; لنبتليهم بها"[٣٦٦٢].
قال قتادة:" لنبتليهم"[٣٦٦٣].
قوله تعالى:{وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه : ١٣١]، أي:" ورزق ربك وثوابه خير لك مما متعناهم به وأدوم; حيث لا انقطاع له ولا نفاد"[٣٦٦٤]
قال السدي:" رزق الجنة"[٣٦٦٥].
قال قتادة:" مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا"[٣٦٦٦].
وفي الصحيح : أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه ، حين آلى منهم فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير وليس في البيت إلا صُبْرَة من قَرَظ ، وأهَب معلقة ، فابتدرت عينا عمر بالبكاء ، فقال رسول الله : " ما يبكيك ؟ ".
فقال : يا رسول الله ، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه ؟ فقال : "أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا "[٣٦٦٧].
عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : "أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ويرفأ ، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها ، فربما لم يقم فنقول : لا يقوم الليلة كما كان يقوم ، وكان إذا استيقظ أقام - يعني أهله - وقال : { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا }"[٣٦٦٨].

القرآن
{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)} [طه : ١٣٢]
التفسير:
وَأْمُرْ - أيها النبي - أهلك بالصلاة، واصطبر على أدائها، لا نسألك مالا، نحن نرزقك ونعطيك. والعاقبة الصالحة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.

(٣٦٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٧):ص٧/٢٤٤١-٢٤٤٢، والطبري:١٨/٤٠٣.
(٣٦٥٩) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٠):ص٧/٢٤٤٢.
(٣٦٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٨٩):ص٧/٢٤٤٢.
(٣٦٦٢) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٠):ص٧/٢٤٤٢.
(٣٦٦٤) التفسير الميسر:٣٢١.
(٣٦٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩١):ص٧/٢٤٤٢.
(٣٦٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٠):ص٧/٢٤٤٢.
(٣٦٦٧)صحيح البخاري برقم (٤٩١٣).
(٣٦٦٨) اخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥/٣٢٧.

قوله تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه : ١٣٢]، أي:" وَأْمُرْ - أيها النبي - أهلك بالصلاة، واصطبر على أدائها"[٣٦٦٩].

عن سعيد بن جبير قوله: "{وأمر أهلك بالصلاة}، قال: قومك"[٣٦٧٠].

عن ثابت قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أصابه خصاصة نادي أهله يا أهلاه صلوا، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة"[٣٦٧١].

روي عن عروة :"أنه كان دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا[٣٦٧٢]، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ :{ولا تمدن عينيك} إلى قوله: {نحن نرزقك}، ثم يقول: الصلاة الصلاة رحمكم الله"[٣٦٧٣].

قوله تعالى:{لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ} [طه : ١٣٢]، أي:" لا نسألك مالا، نحن نرزقك ونعطيك"[٣٦٧٤].

عن الحسن:" {لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا}: أن ترزق نفسك"[٣٦٧٥].

قوله تعالى:{وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه : ١٣٢]، أي:" والعاقبة الصالحة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى"[٣٦٧٦].

قال السدي:" يريد: بالعاقبة الجنة"[٣٦٧٧].

وفي الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب "[٣٦٧٨].

القرآن

{وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٣)} [طه : ١٣٣]

التفسير:

وقال مكذبوك - أيها الرسول -: هلا تأتينا بعلامة من ربك تدلُّ على صدقك، أو لم يأتهم هذا القرآن المصدق لما في الكتب السابقة من الحق؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [طه : ١٣٣]، أي:" أو لم يأتهم هذا القرآن المصدق لما في الكتب السابقة من الحق؟"[٣٦٧٩].

عن مجاهد، قوله :"{أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأولى}، قال: التوراة والإنجيل"[٣٦٨٠].

قال قتادة:" الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم"[٣٦٨١].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (١٣٤)} [طه : ١٣٤]

التفسير:

(٣٦٦٩) التفسير الميسر:٣٢١.

(٣٦٧٠)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٤):ص٢٤٤٢/٧ .

(٣٦٧١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٣):ص٢٤٤٢/٧ .

(٣٦٧٢) وفي رواية الطبري:٤٠٥/١٨:" إذا رأى ما عند السلاطين".

(٣٦٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٦):ص٢٤٤٣/٧.

(٣٦٧٤) التفسير الميسر:٣٢١.

(٣٦٧٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٩٥/١. واستنبطها من تفسير الحسن في التي في الذاريات: "{ما أريد منهم من رزق} [الذاريات: ٥٧]: أن يرزقوا أنفسهم".

(٣٦٧٦) التفسير الميسر:٣٢١.

(٣٦٧٧) ذكره الواحدي في "البسيط": ٥٦٣/١٤، وانظر: الدر المنثور" ٤/ ٥٦١، "التفسير الكبير" ٢٢/ ١٣٧.

(٣٦٧٨)صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣٦٧٩) التفسير الميسر:٣٢١.

(٣٦٨٠) أخرجه الطبري:٤٠٦/١٨.

(٣٦٨١) أخرجه الطبري:٤٠٧/١٨.

ولو أنَّا أهلكنا هؤلاء المكذبين بعذاب من قبل أن نرسل إليهم رسولا وننزل عليهم كتابًا لقالوا: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من عندك، فنصدقه، ونتبع آياتك وشرعك، مِن قبل أن نَذلَّ ونَخزى بعذابك.

قوله تعالى:{فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} [طه : ١٣٤]، أي:" فنصدقه، ونتبع آياتك وشرعك، مِن قبل أن نَذلَّ ونَخزى بعذابك"[٣٦٨٢].

عن السدي: أما آيات الله: فمحمد صلى الله عليه وسلم"[٣٦٨٣].

القرآن

{قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٥)} [طه : ١٣٥]

التفسير:

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: كل منا ومنكم منتظر دوائر الزمان، ولمن يكون النصر والفلاح، فانتظروا، فستعلمون: مَن أهل الطريق المستقيم، ومَن المهتدي للحق منا ومنكم؟

قوله تعالى:{فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى} [طه : ١٣٥]، أي:" فستعلمون: مَن أهل الطريق المستقيم، ومَن المهتدي للحق منا ومنكم؟"[٣٦٨٤].

قال السدي: "{الصراط السوي}، يعني: الدين العدل، وهو الإسلام"[٣٦٨٥].

(٣٦٨٢) التفسير الميسر:٣٢١.

(٣٦٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٥١):ص٢٩٨٤/٩.

(٣٦٨٤) التفسير الميسر:٣٢١.

(٣٦٨٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٩٦/١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « الانبياء»

سورة «الأنبياء»: هي السورة «الحادية والعشرون» في ترتيب المصحف، وهي السورة الثانية من المجموعة الثالثة من قسم المئين، نزلت بعد سورة: «إبراهيم»[٣٦٨٦]، وعدد آياتها: (١١٢) مائة واثنتا عشرة عند الكوفيين، (١١١) ومائة وإحدى عشرة عند الباقين، وكلماتها: (١١٦٨) ألف ومائة وثمانية وستون، وحروفها: (٤٨٧٠) أربعة آلاف وثمانمائة وسبعون حرفا[٣٦٨٧].

والمختلف فيها آية واحدة: {وَلَا يَضُرُّكُم} [الأنبياء : ٦٦][٣٦٨٨].

مجموع فواصل آياتها «م ن»[٣٦٨٩].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٣٦٩٠]، وابن الزبير[٣٦٩١]، ومقاتل[٣٦٩٢]، ويحيى بن سلام[٣٦٩٣]، وابن قتيبة[٣٦٩٤]، والماتريدي[٣٦٩٥]، والسمرقندي[٣٦٩٦]، وابن ابي زمنين[٣٦٩٧]، ومكي بن أبي طالب[٣٦٩٨]، والواحدي[٣٦٩٩]، والسمعاني[٣٧٠٠]، والبغوي[٣٧٠١]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية باجماعهم من غير خلاف نعلمه"[٣٧٠٢].

قال القرطبي:" مكية في قول الجميع"[٣٧٠٣].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة بالاتفاق"[٣٧٠٤].

الثاني: أنها مكية إلا آية: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الأنبياء : ٤٤]، فإنها نزلت بالمدينة. نقله السيوطي في "الإتقان" دون عزوه إلى قائل[٣٧٠٥].

قال ابن عاشور:" ولعله أخذه من رواية عن مقاتل والكلبي وابن عباس، أن المعنى: "«نَنْقُصُهَا» بفتح البلدان"[٣٧٠٦]، أي: بناء على أن المراد من الرؤية في الآية الرؤية البصرية، وأن المراد من الأرض أرض

(٣٦٨٦) انظر: اسرار ترتيب القرآن للسيوطي:١٠٨، والكشاف:١٠٠/٣. وقال ابن عاشور٦/١٧:" نزلت بعد حم السجدة وقبل سورة النحل، فتكون من أواخر السور النازلة قبل الهجرة، ولعلها نزلت بعد إسلام من أسلم من أهل المدينة كما يقتضيه قوله تعالى: {وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون} [الأنبياء: ٣]".

(٣٦٨٧)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٧.

(٣٦٨٨) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٣٦٨٩) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٣٦٩٠) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(٣٦٩١) اورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥، وعزاه إلى البخاري وابن مردويه.

(٣٦٩٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٧٠/٣.

(٣٦٩٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢٩٧/١.

(٣٦٩٤) انظر: غريب القرآن:٣٢٤.

(٣٦٩٥) انظر: تأويلات أهل السنة:٣٢٥/٧.

(٣٦٩٦) انظر: بحر العلوم:٤١٩/٢.

(٣٦٩٧) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١٣٩/٣.

(٣٦٩٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٧٢٥/٧.

(٣٦٩٩) انظر: التفسير الوسيط:٢٢٩/٣.

(٣٧٠٠) انظر: تفسير السمعاني:٣٦٧/٣.

(٣٧٠١) انظر: تفسير البغوي:٢٨٢/٣.

(٣٧٠٢) زاد المسير:١٨٤/٣.

(٣٧٠٣)تفسير القرطبي:٢٦٦/١١ .

(٣٧٠٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣١٧.

(٣٧٠٥) انظر: الإتقان:٦١/١.

(٣٧٠٦) حكاه عنهم الرازي في مفاتيح الغيب:١٤٧/٢٢، والسيوطي في اللباب في علوم الكتاب:٥٠٧/١٣.

الحجاز، وأن المراد من النقص نقص سلطان الشرك منها. وكل ذلك ليس بالمتعين ولا بالراجح.. فالأرجح أن سورة الأنبياء مكية كلها"[٣٧٠٧].

(٣٧٠٧) التحرير والتنوير:٦/١٧.[بتصرف في تصحيح الخبر عن مقاتل والكلبي وابن عباس]

القرآن

{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١)} [الأنبياء : ١]

التفسير:

دنا وقت حساب الناس على ما قدَّموا من عمل، ومع ذلك فالكفار يعيشون لاهين عن هذه الحقيقة، معرضين عن هذا الإنذار.

قوله تعالى:{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} [الأنبياء : ١]، أي:" قرب ودنا وقت حساب الناس على أعمالهم"(٣٧٠٨).

عن ابن جريج قوله: "{اقترب للناس حسابهم}، قال: ما يوعدون"(٣٧٠٩).

وفي قوله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} [الأنبياء : ١]، وجهان من التفسير(٣٧١٠):

القرآن

{مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)} [الأنبياء : ٢]

التفسير:

ما من شيء ينزل من القرآن يتلى عليهم مجدِّدًا لهم التذكير، إلا كان سماعهم له سماع لعب واستهزاء.

قال الطبري:" ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم"(٣٧١١).

قال السدي:" يعني القرآن"(٣٧١٢).

قال قتادة:" يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون"(٣٧١٣).

القرآن

{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)} [الأنبياء : ٣]

التفسير:

قلوبهم غافلة عن القرآن الكريم، مشغولة بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا يعقلون ما فيه. بل إن الظالمين من قريش اجتمعوا على أمر خَفِيٍّ: وهو إشاعة ما يصدُّون به الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من أنه بشر مثلهم، لا يختلف عنهم في شيء، وأن ما جاء به من القرآن سحر، فكيف تجيئون إليه وتتبعونه، وأنتم تبصرون أنه بشر مثلكم؟

قوله تعالى:{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} [الأنبياء : ٣]، أي:" ساهية قلوبهم عن كلام الله، غافلة عن تدبر معناه"(٣٧١٤).

عن قتادة، قوله :"{لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}، يقول: غافلة قلوبهم"(٣٧١٥).

قوله تعالى:{وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} [الأنبياء : ٣]، أي:" تناجى المشركون فيما بينهم سرا"(٣٧١٦).

قال قتادة:"يقول: أسروا الذين ظلموا النجوى"(٣٧١٧).

(٣٧٠٨) صفوة التفاسير:٢/٢٣٣.

(٣٧٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٥٩٨):ص٨/٢٤٤٤.

(٣٧١٠) انظر: تفسير السعدي:٥١٨.

(٣٧١١) تفسير الطبري:١٨/٤٠٩.

(٣٧١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١/١٩٨.

(٣٧١٣) أخرجه الطبري:١٨/٤١٠.

(٣٧١٤) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.

(٣٧١٥) اخرجه الطبري:١٨/٤١٠.

(٣٧١٦) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.

(٣٧١٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٩٩):ص٨/٢٤٤٤.

قوله تعالى:{هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [الأنبياء : ٣]، أي:" قالوا فيما بينهم خفيةً هل محمد الذي يدّعى الرسالة إلا شخص مثلكم"[٣٧١٨].

قال السدي:" اسروا نجواهم بينهم هل هذا إلا بشر مثلكم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم "[٣٧١٩].

قوله تعالى:{أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} [الأنبياء : ٣]، أي:" أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر؟"[٣٧٢٠].

عن السدي:" {أفتأتون السحر}، يقولون: إن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم متابعة السحر"[٣٧٢١].

القرآن

{قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)} [الأنبياء : ٤]

التفسير:

رد النبي صلى الله عليه وسلم الأمرَ إلى ربه سبحانه وتعالى فقال: ربي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أسررتموه من حديثكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأنبياء : ٤]، أي:" قال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّ ربي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض"[٣٧٢٢].

عن السدي:" قوله: {قال ربي يعلم القول}، قال: الغيب"[٣٧٢٣].

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنبياء : ٤]، أي:" السميع بأقوالكم، العليم بأحوالكم"[٣٧٢٤].

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[٣٧٢٥].

القرآن

{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)} [الأنبياء : ٥]

التفسير:

بل جحد الكفار القرآن فمِن قائل: إنه أخلاط أحلام لا حقيقة لها، ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس وحيًا، ومن قائل: إن محمدًا شاعر، وهذا الذي جاء به شعر، وإن أراد منا أن نصدِّقه فليجئنا بمعجزة محسوسة كناقة صالح، وآيات موسى وعيسى، وما جاء به الرسل من قبله.

قوله تعالى:{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ} [الأنبياء : ٥]، أي:" بل جحد الكفار القرآن فمِن قائل: إنه أخلاط أحلام لا حقيقة لها، ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس وحيًا، ومن قائل: إن محمدًا شاعر، وهذا الذي جاء به شعر"[٣٧٢٦].

عن مجاهد، قوله :"{أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ}، قال: أهاويلها"[٣٧٢٧].

قال قتادة:" أي: فعل حالم[٣٧٢٨]، إنما هي رؤيا رآها"[٣٧٢٩].

عن السدي:" قوله:{بل قالوا أضغاث أحلام}، قال: أباطيل أحلام"[٣٧٣٠].

قوله تعالى:{فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ} [الأنبياء : ٥]، أي:" وإن أراد منا أن نصدِّقه فليأتنا محمدٌ بمعجزةٍ خارقة تدل على صدقه كما أُرسل موسى بالعصا وصالح بالناقة"[٣٧٣١].

(٣٧١٨) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(٣٧١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٨/٢٤٤٤.
(٣٧٢٠) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(٣٧٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٨/٢٤٤٤.
(٣٧٢٢) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(٣٧٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٨/٢٤٤٤.
(٣٧٢٤) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(٣٧٢٥) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص٧/١٦٥، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص٦/١٨٦٧.
(٣٧٢٦) صفوة التفاسير:٢/٢٣٤.
(٣٧٢٧) أخرجه الطبري:١٨/٤١٢.
(٣٧٢٨) وفي رواية ابن أبي حاتم(١٣٦٠١):ص٨/٢٤٤٤« فعل الأحلام».
(٣٧٢٩) أخرجه الطبري:١٨/٤١٢.
(٣٧٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٠):ص٨/٢٤٤٤.

قال قتادة:" يقول: كما جاء عيسى بالبيِّنات وموسى بالبينات، والرسل"[٣٧٣٢].

القرآن

{مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)} [الأنبياء : ٦]

التفسير:

ما آمنت قبل كفار «مكة» من قرية طلب أهلها المعجزات مِن رسولهم وتحققت، بل كذَّبوا، فأهلكناهم، أفيؤمن كفار «مكة» إذا تحققت المعجزات التي طلبوها؟ كلا إنهم لا يؤمنون.

عن مجاهد :"{أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ}، يصدّقون بذلك"[٣٧٣٣].

قال قتادة:" أي: الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا"[٣٧٣٤].

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)} [الأنبياء : ٧]

التفسير:

وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالا من البشر نوحي إليهم، ولم نرسل ملائكة، فاسألوا - يا كفار «مكة» - أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون ذلك.

سبب النزول:

قال مقاتل:" قالوا في الفرقان: {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان : ٤١]، يأكل ويشرب وترك الملائكة فلم يرسلهم، فأنزل الله- عز وجل- في قولهم: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ}..."[٣٧٣٥].

قوله تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء : ٧]، أي:" فاسألوا - يا كفار «مكة» - أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون ذلك"[٣٧٣٦].

وفي قوله تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء : ٧]، أقوال:

أحدها : أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله مجاهد[٣٧٣٧]، وقتادة[٣٧٣٨].

الثاني : أنهم أهل التوراة خاصة، قاله مجاهد –أيضا-[٣٧٣٩].

الثالث: أنهم أهل القرآن، قاله أبو جعفرالباقر[٣٧٤٠]، والأعمش[٣٧٤١].

قال الأعمش:" سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل"[٣٧٤٢].

عن أبي جعفر، قوله:"{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ"، قال: نحن أهل الذكر"[٣٧٤٣].

القرآن

{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)} [الأنبياء : ٨]

التفسير:

وما جعلنا أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون.

(٣٧٣١) صفوة التفاسير:٢٣٤/٢.[بتصرف]

(٣٧٣٢) أخرجه الطبري:٤١٢/١٨.

(٣٧٣٣) أخرجه الطبري:٤١٣/١٨.

(٣٧٣٤) أخرجه الطبري:٤١٣/١٨.

(٣٧٣٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٧١/٣.

(٣٧٣٦) التفسير الميسر:٣٢٢.

(٣٧٣٧) انظر: تفسير الطبري:٢٩٨/١٧.

(٣٧٣٨) انظر: تفسير الطبري:٤١٣/١٨-٤١٤.

(٣٧٣٩) انظر: تفسير الطبري:٢٠٨/١٧.

(٣٧٤٠) انظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١٧.

(٣٧٤١) انظر: الطبري:٢٠٨/١٧.

(٣٧٤٢) أخرجه الطبري:٢٠٨/١٧.

(٣٧٤٣) أخرجه الطبري:٢٠٩/١٨. وروي عن عليّ، قال:" نحن أهل الذّكر". [أخرجه الطبري:٤١٤/١٨].

سبب النزول:
قال مقاتل:" ونزل في قولهم: {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان : ٤١] يأكل ويشرب ويترك[٣٧٤٤] الملائكة فلا يرسلهم، فقال- سبحانه-: {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا}، يعنى الأنبياء- عليهم السلام، و«الجسد»: الذي ليس فيه روح "[٣٧٤٥].
قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} [الأنبياء : ٨]، أي:" وما جعلنا أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب"[٣٧٤٦].
قال قتادة:" يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام"[٣٧٤٧].
قال الضحاك:" يقول: لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام"[٣٧٤٨].
قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ} [الأنبياء : ٨]، أي:" وما كانوا خالدين لا يموتون"[٣٧٤٩].
قال قتادة:" وما كانوا يخلدون في الدنيا، لا يموتون"[٣٧٥٠].

القرآن
{ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)} [الأنبياء : ٩]
التفسير:
ثم أنجزنا للأنبياء وأتباعم ما وعدناهم به من النصر والنجاة، وأهلكنا المسرفين على أنفسهم بكفرهم بربهم.
عن قتادة، قوله: "{ثم صدقناهم الوعد}، إلى قوله: {وأهلكنا المسرفين}، قال: هم المشركون"[٣٧٥١].

القرآن
{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)} [الأنبياء : ١٠]
التفسير:
لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن، فيه عزُّكم وشرفكم في الدنيا والآخرة إن تذكرتم به، أفلا تعقلون ما فَضَّلْتكم به على غيركم؟
قوله تعالى:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ} [الأنبياء : ١٠]، أي:" لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن، فيه عزُّكم وشرفكم في الدنيا والآخرة إن تذكرتم به"[٣٧٥٢].
وفي قوله تعالى:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ} [الأنبياء : ١٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه حديثكم ، قاله مجاهد[٣٧٥٣].
الثاني : فيه دينكم. قاله الحسن[٣٧٥٤].
قال الحسن:" فيه دينكم، أمسك عليكم دينكم كتابكم"[٣٧٥٥].
الثالث: فيه ذكر ما تعنون به وأمر آخرتكم ودينكم. قاله السدي[٣٧٥٦].

القرآن

(٣٧٤٤) كذا في المطبوع! والاولى: وترك الملائكة فلم يرسلهم.
(٣٧٤٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٧١-٧٢.
(٣٧٤٦) التفسير الميسر:٣٢٢.
(٣٧٤٧) أخرجه الطبري:١٨/٤١٤.
(٣٧٤٨) أخرجه الطبري:١٨/٤١٤.
(٣٧٤٩) التفسير الميسر:٣٢٢.
(٣٧٥٠) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٠٠.
(٣٧٥١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٠٥):ص٨/٢٤٤٥ .
(٣٧٥٢) التفسير الميسر:٣٢٢.
(٣٧٥٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤١٦.
(٣٧٥٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٠٧):ص٨/٢٤٤٦.
(٣٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٠٧):ص٨/٢٤٤٦.
(٣٧٥٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٠٨):ص٨/٢٤٤٦.

{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١)} [الأنبياء : ١١]

التفسير:

وكثير من القرى كان أهلها ظالمين بكفرهم بما جاءتهم به رسلهم، فأهلكناهم بعذاب أبادهم جميعًا، وأوجدنا بعدهم قومًا آخرين سواهم.

قوله تعالى:{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً} [الأنبياء : ١١]، أي:" وكثير من القرى كان أهلها ظالمين بكفرهم بما جاءتهم به رسلهم، فأهلكناهم بعذاب أبادهم جميعًا"[٣٧٥٧].

عن مجاهد، قوله :"{وَكَمْ قَصَمْنَا}، قال: أهلكنا"[٣٧٥٨].

القرآن

{فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢)} [الأنبياء : ١٢]

التفسير:

فلما رأى هؤلاء الظالمون عذابنا الشديد نازلا بهم، وشاهدوا بوادره، إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين.

قوله تعالى:{إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ} [الأنبياء : ١٢]، أي:" إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين"[٣٧٥٩].

عن السدى قوله: {إذا هم منها يركضون}، قال: يفرون"[٣٧٦٠].

القرآن

{لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣)} [الأنبياء : ١٣]

التفسير:

فنودوا في هذه الحال: لا تهربوا وارجعوا إلى لذاتكم وتنعُّمكم في دنياكم الملهية ومساكنكم المشيَّدة، لعلكم تُسألون من دنياكم شيئًا، وذلك على وجه السخرية والاستهزاء بهم.

قوله تعالى:{لَا تَرْكُضُوا} [الأنبياء : ١٣]، أي:" فنودوا في هذه الحال: لا تهربوا"[٣٧٦١].

قال مجاهد:"لا تفرّوا"[٣٧٦٢].

قوله تعالى:{وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ} [الأنبياء : ١٣]، أي:" وارجعوا إلى لذاتكم وتنعُّمكم في دنياكم الملهية ومساكنكم المشيَّدة"[٣٧٦٣].

قال قتادة: "يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها"[٣٧٦٤]. وفي لفظ:" ما أترفتم فيه من دنياكم"[٣٧٦٥].

قال الربيع:" كانوا إذا أحسوا بالعذاب وذهبت عنهم الرسل من بعد ما أنذروهم فكذبوهم، فلما فقدوا الرسل وأحسوا بالعذاب أرادوا الرجعة إلى الإيمان وركضوا هاربين من العذاب، فقيل لهم: {لا تركضوا}، فعرفوا أنه لا محيص لهم"[٣٧٦٦].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الأنبياء : ١٣]، أي:" لعلكم تُسألون من دنياكم شيئًا"[٣٧٦٧].

وفي قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الأنبياء : ١٣]، وجهان من التفسير:

أحدها : معناه: لعلكم تسألون من دنياكم شيئا، على وجه السخرية والاستهزاء، قاله قتادة[٣٧٦٨].

الثاني : لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة، قاله مجاهد[٣٧٦٩].

(٣٧٥٧) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٥٨) أخرجه الطبري:٤١٦/١٨-٤١٧.

(٣٧٥٩) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١١):ص٢٤٤٦/٨.

(٣٧٦١) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٦٢) اخرجه الطبري:٤١٧/١٨-٤١٨.

(٣٧٦٣) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٦٤) اخرجه الطبري:٤١٨/١٨.

(٣٧٦٥) تفسير عبدالرزاق(١٨٥١):ص٣٨٢/٢.

(٣٧٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٠):ص٢٤٤٦/٨.

(٣٧٦٧) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٦٨) انظر: تفسير الطبري:٤١٨/١٨.

القرآن

{قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤)} [الأنبياء : ١٤]

التفسير:

فلم يكن لهم من جواب إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا.

قال قتادة: " فما كان هجيراهم إلا الويل"[٣٧٧٠].

القرآن

{فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)} [الأنبياء : ١٥]

التفسير:

فما زالت تلك المقالة - وهي الدعاء على أنفسهم بالهلاك، والاعتراف بالظلم - دَعْوَتَهم يرددونها حتى جعلناهم كالزرع المحصود، خامدين لا حياة فيهم.

قال قتادة:" يقول: حتى أهلكوا"[٣٧٧١]. وفي لفظ:" هلكوا، ضربا بالسيف"[٣٧٧٢].

قال قتادة:" فلما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لهم هِجِّيرَى إلا قولهم (يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) حتى دمَّر الله عليهم وأهلكهم"[٣٧٧٣].

قال مجاهد:" إنهم كانوا أهل حصون، وإن الله بعث عليهم بختنصر، فبعث إليهم جيشا فقتلهم بالسيف، وقتلوا نبيا لهم فحُصِدوا بالسيف، وذلك قوله :{فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ} بالسيف"[٣٧٧٤].

قال ابن وهب:" حدثني رجل عن المحرر بن حريث قال: كان باليمن قريتان يقال لإحداهما :«حضوراء» والأخرى «قلاثة»، قال: فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون أبوابهم، قال: فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيا فدعاهم فقتلوه؛ فألقى الله في نفس «بخت نصر» أن يغزوهم فجهز إليهم جيشا فقاتلوهم فهزموا جيشه، فرجعوا إليه منهزمين؛ فجهز إليهم جيشا آخر أكثف من الأول فهزموهم؛ فلما رأي ذلك بخت بن نصر غزاهم هو نفسه فقاتلوهم فهزمهم حتى خرجوا منها يركضون؛ فسمعوا مناديا يقول: {لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم}، فرجعوا، فسمعوا صوتا يقول: يا آل ثأرات النبي، فقتلوا بالسيوف؛ فهي التي قال الله: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)} [الأنبياء : ١١ - ١٥]"[٣٧٧٥].

القرآن

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)} [الأنبياء : ١٦]

التفسير:

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثًا وباطلا بل لإقامة الحجة عليكم - أيها الناس - ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي خلق ذلك لا يشبهه شيء، ولا تصلح العبادة إلا له.

قال قتادة:" يقول: ما خلقناهما عَبَثا ولا باطلا"[٣٧٧٦].

قال مجاهد:" ما خلقنا من جنة، ولا نار، ولا موت، ولا بعث، ولا حساب لاعبين"[٣٧٧٧].

(٣٧٦٩) انظر: تفسير الطبري:٤١٨/١٨.

(٣٧٧٠) تفسير عبدالرزاق(١٨٥١):ص٣٨٢/٢.

(٣٧٧١) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.

(٣٧٧٢) تفسير عبدالرزاق(١٨٥١):ص٣٨٢/٢.

(٣٧٧٣) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.

(٣٧٧٤) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.

(٣٧٧٥)تفسير القرآن من الجاع لابن وهب(١٥٦):ص٦٩/١، وأخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٤):ص٢٤٤٧/٨

(٣٧٧٦) أخرجه الطبري:٤١٩/١٨.

(٣٧٧٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٣/١.

وقال السدي: أي: إنا لم نخلقهما وما بينهما باطلا"[٣٧٧٨].

القرآن

{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧)} [الأنبياء : ١٧]

التفسير:

لو أردنا أن نتخذ لهوًا من الولد أو الصاحبة لاتخذناه من عندنا لا من عندكم، ما كنا فاعلين ذلك; لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة.

قوله تعالى:{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا} [الأنبياء : ١٧]، أي:" لو أردنا أن نتخذ لهوًا من الولد أو الصاحبة"[٣٧٧٩].

قال قتادة:" اللهو في بعض لغة أهل اليمن: المرأة"[٣٧٨٠].

قال الحسن " اللهو: المرأة بلسان اليمن"[٣٧٨١].

قال عقبة بن أبي حمزة: "شهدت الحسن بمكة، قال: وجاءه طاووس وعطاء ومجاهد، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى :{لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذنا}، قال الحسن: «اللهو»: المرأة"[٣٧٨٢].

عن مجاهد في قوله: "{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا}، قال: زوجة"[٣٧٨٣].

قال السدي:" يقول: لو أردت إن أتخذ ولدا لاتخذت من الملائكة"[٣٧٨٤].

قال عكرمة:" اللهو: الولد"[٣٧٨٥].

قال ابن جريج:" قالوا مريم صاحبته، وعيسى ولده، فقال تبارك وتعالى: {لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا} نساء وولدا"[٣٧٨٦].

قوله تعالى:{لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا} [الأنبياء : ١٧]، أي:" لاتخذناه من عندنا لا من عندكم"[٣٧٨٧].

عن ابن جريج:" {لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ}، قال: من عندنا، ولا خلقنا جنة ولا نارا، ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا"[٣٧٨٨].

عن مجاهد:قوله: {لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا}، من عندنا"[٣٧٨٩].

قوله تعالى:{إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء : ١٧]، أي:" ما كنا فاعلين ذلك; لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة"[٣٧٩٠].

قال مجاهد[٣٧٩١] وقتادة[٣٧٩٢]:" يقول: ما كنا فاعلين".

قال قتادة:" أي، إن ذلك لا يكون ولا ينبغي"[٣٧٩٣].

قال مجاهد:" يقول: وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا، وكل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار"[٣٧٩٤].

(٣٧٧٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٣/١.

(٣٧٧٩) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٨٠) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.

(٣٧٨١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٢/١.

(٣٧٨٢) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.

(٣٧٨٣) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.

(٣٧٨٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٧):ص٢٤٤٧/٨.

(٣٧٨٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٦):ص٢٤٤٧/٨.

(٣٧٨٦) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨-٤٢١.

(٣٧٨٧) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٨٨) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨-٤٢١.

(٣٧٨٩) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.

(٣٧٩٠) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٩١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٢):ص٢٤٤٨/٨.

(٣٧٩٢) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٨.

(٣٧٩٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦١٩):ص٢٤٤٨/٨.

(٣٧٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٢):ص٢٤٤٨/٨.

القرآن

{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)} [الأنبياء : ١٨]

التفسير:

بل نقذف بالحق ونبيِّنه، فيدحض الباطل، فإذا هو ذاهب مضمحل. ولكم العذاب في الآخرة - أيها المشركون - مِن وَصْفكم ربكم بغير صفته اللائقة به.

قوله تعالى:{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ} [الأنبياء : ١٨]، أي:" بل نقذف بالحق ونبيِّنه، فيدحض الباطل"(٣٧٩٥).

قال قتادة:" والحقّ كتاب الله القرآن، والباطل: إبليس، فيدمغه"(٣٧٩٦).

قوله تعالى:{فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء : ١٨]، أي:" ، فإذا هو ذاهب مضمحل"(٣٧٩٧).

عن قَتادة :"{فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}، قال: هالك"(٣٧٩٨). وفي رواية:" ذاهب"(٣٧٩٩).

قوله تعالى:{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء : ١٨]، أي:" ولكم العذاب في الآخرة - أيها المشركون - مِن وَصْفكم ربكم بغير صفته اللائقة به"(٣٨٠٠).

عن قتادة، قوله: "{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}، أي: تكذبون"(٣٨٠١).

عن ابن جريج :"{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}، قال: تشركون"(٣٨٠٢).

عن مجاهد : {سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ }(٣٨٠٣)، قال: قولهَم الكذب في ذلك"(٣٨٠٤).

قال الحسن:" هي والله واصف كذب إلى يوم القيامة"(٣٨٠٥).

القرآن

{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)} [الأنبياء : ١٩]

التفسير:

ولله سبحانه كل مَن في السموات والأرض، والذين عنده من الملائكة لا يأنَفُون عن عبادته ولا يملُّونها. فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخلقه؟

قوله تعالى:{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنبياء : ١٩]، أي:" ولله سبحانه كل مَن في السموات والأرض"(٣٨٠٦).

قوله تعالى:{وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} [الأنبياء : ١٩]، أي:" والذين عنده من الملائكة لا يأنَفُون عن عبادته ولا يملُّونها. فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخلقه؟"(٣٨٠٧).

عن قتادة قوله: "{ومن عنده}، قال: الملائكة"(٣٨٠٨).

عن قتادة:" { وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}: لا يُعيون"(٣٨٠٩).

(٣٧٩٥) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٩٦) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.

(٣٧٩٧) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٧٩٨) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.

(٣٧٩٩) أخرجه الطبري:٤٢١/١٨.

(٣٨٠٠) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٨٠١) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.

(٣٨٠٢) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.

(٣٨٠٣)[الأنعام : ١٣٩]. لبيان معنى« تَصِفُونَ».

(٣٨٠٤) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.

(٣٨٠٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٤):ص٢٤٤٨/٨.

(٣٨٠٦) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٨٠٧) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٨٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٥):٢٤٤٨/٨.

(٣٨٠٩) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٨.

قال مجاهد: "لا يحسرون"[٣٨١٠].
قال السدي:" لا ينقطعون من العبادة"[٣٨١١].

القرآن
{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)} [الأنبياء : ٢٠]
التفسير:
يذكرون الله وينزِّهونه دائمًا، لا يضْعُفون ولا يسأمون.
قال قتادة:" يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته، ولا يسأمون فيها"[٣٨١٢].
عن عبد الله بن الحارث: "أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} و {يسبحون الليل والنهار لا يسأمون}، فقال: هل يئودك طرفك؟ هل يَئُودك نَفَسُك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس"[٣٨١٣].
عن حكيم بن حِزَام قال : بينا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بين أصحابه إذ قال لهم: هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إني لأسمع أطيط السماء. وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم"[٣٨١٤].
قال كعب: "ما من موضع خرمة إبرة من الأرض إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مخه مسيرة مائة عام"[٣٨١٥].

القرآن
{أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١)} [الأنبياء : ٢١]
التفسير:
كيف يصح للمشركين أن يتخذوا آلهة عاجزة من الأرض لا تقدر على إحياء الموتى؟
عن قتادة، قوله: "{أم اتخذوا آلهة من الأرض}، يعني: مما اتخذوا من الحجارة والخشب"[٣٨١٦].
قال ابن زيد:" يقول: أفي آلهتهم أحد يحيي ذلك ينشرون"[٣٨١٧].
قال السدي:" يقول: ينشرون الموتى من الأرض، يقول: يحيونهم من قبورهم"[٣٨١٨].
عن مجاهد، قوله :"{يُنْشِرُونَ}، يقول: يُحيون"[٣٨١٩].

القرآن
{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)} [الأنبياء : ٢٢]
التفسير:
لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما، فتنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص.
قوله تعالى:{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]، أي:" لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما"[٣٨٢٠].
قال قتادة :" لو كان معهما آلهة إلا الله لفسدتا"[٣٨٢١].

(٣٨١٠) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٨.
(٣٨١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٢٩):ص٢٤٤٨/٨.
(٣٨١٢) اخرجه الطبري:٤٢٤/١٨.
(٣٨١٣) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٨.
(٣٨١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢):ص٢٠٢/١.
(٣٨١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٣):ص٢٠٢/١.
(٣٨١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٣):ص٢٤٤٩/٨.
(٣٨١٧) أخرجه الطبري:٤٢٥/١٨.
(٣٨١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٢):ص٢٤٤٩/٨.
(٣٨١٩) أخرجه الطبري:٤٢٤/١٨.
(٣٨٢٠) التفسير الميسر:٣٢٣.

قوله تعالى:{فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء : ٢٢]، أي:" فتنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص"[٣٨٢٢].

قال قتادة :" يسبح نفسه تبارك وتعالى إذا قيل عليه البهتان"[٣٨٢٣].

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٣٨٢٤].

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[٣٨٢٥].

القرآن

{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)} [الأنبياء : ٢٣]

التفسير:

إن من دلائل تفرُّده سبحانه بالخلق والعبادة أنه لا يُسأل عن قضائه في خلقه، وجميع خلقه يُسألون عن أفعالهم.

قال قتادة: "لا يسأل عما يفعل بعباده، وهم يسألون عن أعمالهم"[٣٨٢٦].

قال الضحاك:" لا يسأل الخالق عما يقضي في خلقه، والخلق مسئولون عن أعمالهم"[٣٨٢٧].

قال ابن جريج:" لا يسأل الخالق عن قضائه في خلقه، وهو يسأل الخلق عن عملهم"[٣٨٢٨].

روى أبو الأسود الدؤلي أن عمران بن حصين قال له: "أرأيت ما يسعى فيه الناس ويكدحون، أهو أمر قضي عليهم أو شيء يستأنفونه؟ فقلت: لا، بل أمر قضي عليهم، قال: أفلا يكون ظلما؟ قلت: سبحان الله {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فقال لي: أصبت يا أبا الأسود، وقد أجزت عقلك، ثم روى عمران أن رجلا من جهينة - أو مزينة - أتى النبي قال له: عما يفعل الناس أو يكدحون فيه، أهو شيء قضي عليهم؟ أم شيء يستأنفونه؟ فقال النبي: " هو شيء قضي عليهم، فقال ذلك الرجل: يا رسول الله، أفلا يكون ظلما؟ قال: لا، ثم تلا قوله تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} "[٣٨٢٩].

القرآن

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)} [الأنبياء : ٢٤]

التفسير:

هل اتخذ هؤلاء المشركون مِن غير الله آلهة تنفع وتضر وتحيي وتميت؟ قل - أيها الرسول - لهم: هاتوا ما لديكم من البرهان على ما اتخذتموه آلهة، فليس في القرآن الذي جئتُ به ولا في الكتب السابقة دليل على ما ذهبتم إليه، وما أشركوا إلا جهلا وتقليدًا، فهم معرضون عن الحق منكرون له.

قوله تعالى:{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" هل اتخذ هؤلاء المشركون مِن غير الله آلهة تنفع وتضر وتحيي وتميت؟ قل - أيها الرسول - لهم: هاتوا ما لديكم من البرهان على ما اتخذتموه آلهة"[٣٨٣٠].

قال قتادة:" يقول: هاتوا بينتكم على ما تقولون"[٣٨٣١].

قوله تعالى:{هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي كالتوراة والإنجيل ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله، ففي أي كتابٍ نزل هذا؟"[٣٨٣٢].

(٣٨٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٣):ص٢٤٤٩/٨.

(٣٨٢٢) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٨٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٣):ص٢٤٤٩/٨.

(٣٨٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٣٨٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(٣٨٢٦) اخرجه الطبري:٤٢٦/١٨.

(٣٨٢٧) اخرجه الطبري:٤٢٦/١٨.

(٣٨٢٨) اخرجه الطبري:٤٢٦/١٨.

(٣٨٢٩) حكاه السمعاني في التفسير:٣٧٤/٣-٣٧٥.

(٣٨٣٠) التفسير الميسر:٣٢٣.

(٣٨٣١) أخرجه الطبري:٤٢٦/١٨.

(٣٨٣٢) صفوة التفاسير:٢٣٦/٢.

قال السدي:" يقول: خبر من معي وخبر من كان قبلي"[٣٨٣٣].
قال قتادة:" يقول: هذا القرآن فيه ذكر الجلال والحرام {وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي}، يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم إلى ما صاروا"[٣٨٣٤].
عن ابن جُرَيج :"{هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ}، قال: حديث من معي، وحديث من قبلي"[٣٨٣٥].
قوله تعالى:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ٢٤]، أي:" بل أكثر المشركين لا يعلمون التوحيد، فهم معرضون عن النظر والتأمل في دلائل الإيمان"[٣٨٣٦].
عن قتادة:" {فَهُمْ مُعْرِضُونَ}، قال: عن كتاب الله"[٣٨٣٧].

القرآن
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)} [الأنبياء : ٢٥]
التفسير:
وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول إلا نوحي إليه أنه لا معبود بحق إلا الله، فأخْلصوا العبادة له وحده.
قال قتادة:" أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم "قال أبو جعفر: أظنه أنا قال": عمل حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له"[٣٨٣٨].
قال عبد الله بن عمرو: "إن إدريس كان قبل نوح، بعثه الله إلى قومه، يأمرهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، ويعملوا ما شاءوا، فأبوا، فأهلكهم الله"[٣٨٣٩].

القرآن
{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)} [الأنبياء : ٢٦ - ٢٧]
التفسير:
وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولدًا بزعمهم أن الملائكة بنات الله. تنزَّه الله عن ذلك; فالملائكة عباد الله مقربون مخصصون بالفضائل، وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملا حتى يأذن لهم.
قوله تعالى:{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} [الانبياء : ٢٦]، أي: "وقال المشركون: اتخذ الرحمن ولدًا بزعمهم أن الملائكة بنات الله، تنزَّه الله عن ذلك، فالملائكة عباد الله مقربون مخصصون بالفضائل"[٣٨٤٠].
قال قتادة:" قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجنّ، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردّا عليهم، {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}، وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته"[٣٨٤١].
وفي رواية، قال قتادة:" قالت اليهود وطوائف من الناس: إن الله خاتن إلى الجن , فالملائكة من الجن, قال الله سبحانه وتعالى: {بل عباد مكرمون}"[٣٨٤٢].

(٣٨٣٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٦/١.
(٣٨٣٤) أخرجه الطبري:٤٢٦/١٨-٤٢٧.
(٣٨٣٥) أخرجه الطبري:٤٢٧/١٨.
(٣٨٣٦) صفوة التفاسير:٢٣٦/٢.
(٣٨٣٧) أخرجه الطبري:٤٢٧/١٨.
(٣٨٣٨) أخرجه الطبري:٤٢٧/١٨.
(٣٨٣٩) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٠٧/١.
(٣٨٤٠) التفسير الميسر:٣٢٤.
(٣٨٤١) اخرجه الطبري:٤٢٨/١٨.
(٣٨٤٢) تفسير عبدالرزاق(١٨٥٦):ص٣٨٣/٢.

قوله تعالى:{لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ} [الانبياء : ٢٧]، أي:" وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم"(٣٨٤٣).

قال قتادة:" يثني عليهم"(٣٨٤٤).

القرآن

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)} [الأنبياء : ٢٨]

التفسير:

وما من أعمال الملائكة عمل سابق أو لاحق إلا يعلمه الله سبحانه وتعالى، ويحصيه عليهم، ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له، وهم من خوف الله حذرون من مخالفة أمره ونهيه.

قوله تعالى:{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء : ٢٨]، أي:" ولا يتقدمون بالشفاعة إلا لمن ارتضى الله شفاعتهم له"(٣٨٤٥).

قال قتادة: لأهل التوحيد"(٣٨٤٦).

عن مجاهد، قوله :"{إِلا لِمَنِ ارْتَضَى}، قال: لمن رضي عنه"(٣٨٤٧).

القرآن

{وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)} [الأنبياء : ٢٩]

التفسير:

ومن يدَّع من الملائكة أنه إله مع الله - على سبيل الفرض - فجزاؤه جهنم، مثل ذلك الجزاء نجزي كل ظالم مشرك.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ} [الأنبياء : ٢٩]، أي:" ومن يدَّع من الملائكة أنه إله مع الله - على سبيل الفرض -"(٣٨٤٨).

قال الضحاك:" ولم يقل ذلك أحد من الملائكة إلا إبليس، دعا إلى عبادة نفسه وشرع الكفر"(٣٨٤٩).

قال قتادة:" إنما كانت هذه خاصة لإبليس"(٣٨٥٠).

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)} [الأنبياء : ٣٠]

التفسير:

أو لم يعلم هؤلاء الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين لا فاصل بينهما، فلا مطر من السماء ولا نبات من الأرض، ففصلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض، وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون فيصدقوا بما يشاهدونه، ويخصُّوا الله بالعبادة؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء : ٣٠]، أي:" أولم يعلم هؤلاء الجاحدون أن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقرَّ الأرض كما هي؟"(٣٨٥١).

(٣٨٤٣) التفسير الميسر:٣٢٤.

(٣٨٤٤) أخرجه الطبري:٤٢٨/١٨.

(٣٨٤٥) التفسير الميسر:٣٢٤.

(٣٨٤٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٤):ص٢٤٤٩/٨.

(٣٨٤٧) أخرجه الطبري:٤٢٩/١٨.

(٣٨٤٨) التفسير الميسر:٣٢٤.

(٣٨٤٩)اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٦):ص٢٤٥٠/٨ .

(٣٨٥٠)اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٧):ص٢٤٥٠/٨ .

(٣٨٥١) صفوة التفاسير:٢٣٨/٢-٢٣٩.

وفي قوله تعالى:{أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء : ٣٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء ، قاله الحسن[٣٨٥٢]، وقتادة[٣٨٥٣].
الثاني : أن السموات كانت مرتتقة مطبقة ففتقها الله سبع سموات وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين ، قاله مجاهد[٣٨٥٤]، وأبو صالح[٣٨٥٥]، والسدي[٣٨٥٦].

قال مجاهد:" فتقهنّ سبع سماوات، بعضهنّ فوق بعض، وسبع أرضين بعضهنّ تحت بعض"[٣٨٥٧].

قال السدي:" كانت سماء واحدة ثم فتقها، فجعلها سبع سماوات في يومين، في الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض، فذلك حين يقول: {خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ يَقُولُ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}"[٣٨٥٨].

الثالث : أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، قاله عكرمة[٣٨٥٩]، وعطية[٣٨٦٠].

قال عكرمة:" كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات"[٣٨٦١].

قال عطية العوفي: "كانت هذه رتقا لا تمطر، فأمطرت وكانت هذه رتقا لا تنبت، فأنبتت"[٣٨٦٢].

عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: "إن رجلا أتاه يسأله عن «السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما»؟ قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعالى فأخبرني ما قال لك. قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كانت السماوات رتقا لا تمطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق الأرض أهلا فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت إن ابن عباس قد أوتى في القرآن علما صدق- هكذا كانت: قال ابن عمر قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتى في القرآن علما"[٣٨٦٣].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}، على ذلك، وأنه جلّ ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه[٣٨٦٤].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء : ٣٠]، أي:" وجعلنا الماء أصل كل الأحياء وسبباً للحياة فلا يعيش بدونه إنسان ولا حيوان ولا نبات، أفلا يؤمن هؤلاء الجاحدون فيصدقوا بما يشاهدونه، ويخصُّوا الله بالعبادة؟"[٣٨٦٥].

قال قتادة:" كلّ شيء حيّ خُلق من الماء"[٣٨٦٦].

قال الحسن:" خلق كل شيء من الماء، وهو حياة كل شيء"[٣٨٦٧].

عن أبى هريرة، قال: "يا نبي الله، إذا زرتك قرت عيني، وطابت نفسي فأخبرني عن كل شيء، قال: كل شيء خلق من ماء"[٣٨٦٨].

(٣٨٥٢) انظر: تفسير الطبري:٤٣١/١٨.
(٣٨٥٣) انظر: تفسير الطبري:٤٣١/١٨.
(٣٨٥٤) انظر: تفسير الطبري:٤٣١/١٨.
(٣٨٥٥) انظر: تفسير الطبري:٤٣٢/١٨.
(٣٨٥٦) انظر: تفسير الطبري:٤٣٢/١٨.
(٣٨٥٧) أخرجه الطبري:٤٣١/١٨.
(٣٨٥٨) أخرجه الطبري:٤٣١/١٨.
(٣٨٥٩) انظر: تفسير الطبري:٤٣٢/١٨.
(٣٨٦٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٣٩):ص٢٤٥٠/٨.
(٣٨٦١) أخرجه الطبري:٤٣١/١٨.
(٣٨٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٩):ص٢٤٥٠/٨.
(٣٨٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٣٩):ص٢٤٥٠/٨.
(٣٨٦٤) تفسير الطبري:٤٣٣/١٨.
(٣٨٦٥) صفوة التفاسير:٢٣٩/٢.
(٣٨٦٦) اخرجه الطبري:٤٣٤/١٨.
(٣٨٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٤):ص٢٤٥١/٨.

وروي عن ابي العالية، قوله:"{وجعلنا من الماء كل شيء حي}، قال: نطفة الرجل"[٣٨٦٩].

القرآن

{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١)} [الأنبياء : ٣١]

التفسير:

وخلقنا في الأرض جبالا تثبتها حتى لا تضطرب، وجعلنا فيها طرقًا واسعة; رجاء اهتداء الخلق إلى معايشهم، وتوحيد خالقهم.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ} [الأنبياء : ٣١]، أي:" وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت لئلا تتحرك وتضطرب فلا يستقر لهم عليها قرار"[٣٨٧٠].

عن قتادة، قوله :"{وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ}، أي: جبالا"[٣٨٧١].

قال قتادة:" كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض"[٣٨٧٢].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [الأنبياء : ٣١]، أي:" وجعلنا في هذه الجبال مسالك وطرقاً واسعة كي يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار"[٣٨٧٣].

عن قتادة قوله: "{فجاجا}، أي: أعلاما، {سبلا}، أي: طرقا"[٣٨٧٤].

القرآن

{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢)} [الأنبياء : ٣٢]

التفسير:

وجعلنا السماء سقفًا للأرض لا يرفعها عماد، وهي محفوظة لا تسقط، ولا تخترقها الشياطين، والكفار عن الاعتبار بآيات السماء (الشمس والقمر والنجوم) ، غافلون لاهون عن التفكير فيها.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} [الأنبياء : ٣٢]، أي:" جعلنا السماء كالسقف للأرض محفوظة من الوقوع والسقوط"[٣٨٧٥].

قال مجاهد: يعني: «مرفوعا»[٣٨٧٦].

قوله تعالى:{وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء : ٣٢]، أي:" والكفار عن الاعتبار بآيات السماء «من الشمس والقمر والنجوم وسائر الأدلة والعبر»، غافلون لاهون عن التفكير فيها"[٣٨٧٧].

عن مجاهد، قوله :"{وهم عن اياتها معرضون}، قال: الشمس والقمر والنجوم من آيات السماء"[٣٨٧٨].

ذكر ابن أبي الدنيا ، رحمه الله ، في كتابه "التفكر والاعتبار": "أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة ، وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة ، فلم ير ذلك الرجل شيئًا مما كان يرى لغيره ، فشكى ذلك إلى أمه ، فقالت له : يا بني ، فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه ، فقال : لا والله ما أعلم ، قالت : فلعلك هممت ؟ قال : لا ولا هممت. قالت : فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر ؟ فقال : نعم ، كثيرًا. قالت : فمن هاهنا أتيت"[٣٨٧٩].

(٣٨٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٢):ص٢٤٥١/٨.
(٣٨٦٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٣):ص٢٤٥١/٨.
(٣٨٧٠) صفوة التفاسير:٢٣٩/٢.
(٣٨٧١) اخرجه الطبري:٤٣٤/١٨.
(٣٨٧٢) اخرجه الطبري:٤٣٥/١٨.
(٣٨٧٣) صفوة التفاسير:٢٣٩/٢.
(٣٨٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٤٥):ص٢٤٥١/٨.
(٣٨٧٥) صفوة التفاسير:٢٣٩/٢.
(٣٨٧٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٤٦):ص٢٤٥١/٨.
(٣٨٧٧) التفسير الميسر:٣٢٤، وصفوة التفاسير:٢٣٩/٢.
(٣٨٧٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٤٦):ص٢٤٥١/٨.
(٣٨٧٩) نقلا عن تفسير ابن كثير:٣٤١/٥.

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)} [الأنبياء : ٣٣]

التفسير:

والله تعالى هو الذي خلق الليل; ليسكن الناس فيه، والنهار; ليطلبوا فيه المعايش، وخلق الشمس آية للنهار، والقمر آية لليل، ولكل منهما مدار يجري فيه ويَسْبَح لا يحيد عنه.

قوله تعالى:{كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء : ٣٣]، أي:" كلٌّ من الشمس والقمر مدار يجري فيه ويَسْبَح لا يحيد عنه"(٣٨٨٠).

قال الحسن:" يعني: في استدارتهم، وقال بيده"(٣٨٨١).

وفي معنى«الفلك» في قوله تعالى: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء : ٣٣]، وجوه (٣٨٨٢):

أحدها: أنه كهيئة حديدة الرحى. قاله مجاهد(٣٨٨٣)، وابن جريج(٣٨٨٤).

وقال مجاهد:" يدورون كما يدور فلك المغزل"(٣٨٨٥).

الثاني: أن الفلك: سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها. وهذا قول الضحاك(٣٨٨٦).

قال الضحاك:" الفلك: الجري والسرعة"(٣٨٨٧).

الثالث: معناه: فلك السماء. وهذا قول قتادة(٣٨٨٨).

قال معمر: "ثم سألت قتادة عنها، فقال: فلك السماء كما رأيت"(٣٨٨٩).

قال حسان بن عطية: "الشمس والقمر والنجوم مسخرة في فلك بين السماء والأرض"(٣٨٩٠).

الرابع: أن الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل. قاله الحسن(٣٨٩١).

عن الحسن:" إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فلك المغزل يدورون فيها، ولو كانت ملتصقة في السماء لم تجر"(٣٨٩٢).

عن السري بن يحيى قال: "سأل رجل الحسن عن قول الله: {كل في فلك يسبحون}، قال: يعني: في استدارتهم، وقال بيده"(٣٨٩٣).

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عزّ وجل: {كُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى، وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز(٣٨٩٤):

باتَتْ تُناجِي الفُلْكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أيّ ذلك هو من أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا

(٣٨٨٠) التفسير الميسر:٢٣٤.[بتصرف]

(٣٨٨١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٩٥):ص٨٧/١.

(٣٨٨٢) انظر: تأويلات أهل السنة:٣٤٢/٧، والنكت والعيون:٤٤٥/٣-٤٤٦

(٣٨٨٣) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨.

(٣٨٨٤) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨.

(٣٨٨٥) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣١١/١.

(٣٨٨٦) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨.

(٣٨٨٧) اخرجه الطبري:٤٣٧/١٨.

(٣٨٨٨) انظر: تفسير الطبري:٤٣٧/١٨-٤٣٨.

(٣٨٨٩) تفسير عبدالرزاق(٢٤٨٤):ص٨٣/٣.

(٣٨٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥١):ص٢٤٥٢/٨.

(٣٨٩١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣١١/١، والطبري:٤٣٨/١٨.

(٣٨٩٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣١١/١.

(٣٨٩٣) تفسير القرآن منالجامع لابن وهب(١٩٥):ص٨٧/١.

(٣٨٩٤) سبق تخريجه، من شواهد ابي عبيدة مجاز القرآن:٣٨/٢ .

علم لنا به. فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كلّ ذلك في دائر يسبحون"[٣٨٩٥].

القرآن
{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)} [الأنبياء : ٣٥]
التفسير:
كل نفس ذائقة الموت لا محالة مهما عُمِّرت في الدنيا. وما وجودها في الحياة إلا ابتلاء بالتكاليف أمرًا ونهيًا، وبتقلب الأحوال خيرًا وشرًا، ثم المآل والمرجع بعد ذلك إلى الله - وحده - للحساب والجزاء.
قوله تعالى:{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء : ٣٥]، أي:" ونختبركم بالمصائب والنِّعم لنرى الشاكرين من الكافر، والصابر من القانط"[٣٨٩٦].
قال قتادة:" يقول: نبلوكم بالشر بلاء، والخير فتنة"[٣٨٩٧].

القرآن
{وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)} [الأنبياء : ٣٦]
التفسير:
وإذا رآك الكفار - أيها الرسول - أشاروا إليك ساخرين منك بقول بعضهم لبعض: أهذا الرجل الذي يسبُّ آلهتكم؟ وجحدوا بالرحمن ونعمه، وبما أنزله من القرآن والهدى.
سبب النزول:
أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا}} [الأنبياء : ٣٦]:
قال السدي:" مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبى سفيان وأبي جهل وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف. فغضب أبو سفيان فقال: ما تنكرون إن يكون لبني عبد مناف نبي. فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه وقال: ما أراك منتهيا حتى يصيبك ما أصاب عمك، وقال لأبى سفيان: أما إنك لم تقل ما قلت إلا حمية، فنزلت هذه الآية : {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا}، الآية"[٣٨٩٨].
ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء : ٣٦]:
قال الكلبي: "وذلك حين نزل {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} [الإسراء : ١١٠]، فقال أهل مكة: ما يعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، فنزل: {وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء : ٣٦]"[٣٨٩٩].

القرآن
{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧)} [الأنبياء : ٣٧]
التفسير:
خُلق الإنسان عجولا يبادر الأشياء ويستعجل وقوعها. وقد استعجلت قريش العذاب واستبطأته، فأنذرهم الله بأنه سيريهم ما يستعجلونه من العذاب، فلا يسألوا الله تعجيله وسرعته.
سبب النزول:
قال ابن الجوزي:" هذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب"[٣٩٠٠].
قوله تعالى:{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء : ٣٧]، أي:" خُلق الإنسان عجولا يبادر الأشياء ويستعجل وقوعها"[٣٩٠١].

(٣٨٩٥) تفسير الطبري:٤٣٨/١٨.
(٣٨٩٦) صفوة التفاسير:٢٣٩/٢.
(٣٨٩٧) أخرجه الطبري:٤٤٠/١٨.
(٣٨٩٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٥):ص٢٤٥٢/٨-٢٤٥٣.
(٣٨٩٩) حكاه عنه ابو الليث السمرقندي في بحر العلوم في التفسير:٤٢٦/٢.
(٣٩٠٠) زاد المسير:١٩٠/٣.

وفي المراد بـ«الإنسان» ها هنا، ثلاثة أقوال:
أحدهما: أنه آدم-عليه السلام- فعلى هذا في قوله :{مِنْ عَجَلٍ}، وجهان من التفسير:
أحدهما : معناه: من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل. وهذا قول مجاهد[٣٩٠٢].
قال مجاهد:" آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق، فلما أجرى الروح في عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس"[٣٩٠٣].
الثاني: معناه: من عجل في بنيته وخلقته، كان من العجلة، وعلى العجلة. وهذا قول سعيد بن جبير[٣٩٠٤]، والسدي[٣٩٠٥].
قال سعيد بن جبير:" لما نفخ فيه الروح في ركبتيه ذهب لينهض، فقال الله: {خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}"[٣٩٠٦].
قال السدي:" لما نفخ فيه، يعني: في آدم الروح، فدخل في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله له: رحمك ربك، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة؛ فذلك حين يقول :{خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}، يقول: خلق الإنسان عجولا"[٣٩٠٧].
القول الثاني: أنه اسم جنس، والمعنى بـ«الإنسان»: الناس كلهم، وعلى هذا في قوله: {مِنْ عَجَلٍ}، يعني: خلق الإنسان عجولاً ، قاله قتادة[٣٩٠٨].
والصواب من القول: خُلق الإنسان من عجل في خلقه: أيْ على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح، وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى :{سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ} علي ذلك... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ فِي الجُمُعَةِ لَساعَةٌ يَقَلُّلُها[٣٩٠٩] ، قال لا يُوَافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسألُ اللهَ فِيها خَيْرًا إلا أتاهُ اللهُ إيَّاهُ فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أيّ ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله :{خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ}»"[٣٩١٠].
قوله تعالى:{سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ} [الأنبياء : ٣٧]، أي:" سأوريكم انتقامي واقتداري على من عصاني فلا تتعجلوا الأمر قبل أوانه"[٣٩١١].
قال الحسن: "يعني: الموعد الذي وعده الله في الدنيا: القتل لهم، والنصر عليهم، والعذاب لهم في الآخرة"[٣٩١٢].

القرآن
{قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢)} [الأنبياء : ٤٢]
التفسير:
قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لا أحد يحفظكم ويحرسكم في ليلكم أو نهاركم، في نومكم أو يقظتكم، مِن بأس الرحمن إذا نزل بكم. بل هم عن القرآن ومواعظ ربهم لاهون غافلون.

(٣٩٠١) التفسير الميسر:٣٢٥.
(٣٩٠٢) انظر: تفسير الطبري:٤٤٢/١٨، تفسيرابن ابي حاتم(١٣٦٥٦):ص٢٤٥٣/٨.
(٣٩٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٦):ص٢٤٥٣/٨.
(٣٩٠٤) انظر: تفسير الطبري:٤٤١/١٨.
(٣٩٠٥) انظر: تفسير الطبري:٤٤١/١٨.
(٣٩٠٦) اخرجه الطبري:٤٤١/١٨.
(٣٩٠٧) اخرجه الطبري:٤٤١/١٨.
(٣٩٠٨) انظر: تفسير الطبري:٤٤١/١٨.
(٣٩٠٩)في ابن كثير، رواية ابن أبي حاتم: " وقبض أصابعه يقللها ".
(٣٩١٠) تفسير الطبري:٤٤٣/١٨.
(٣٩١١) صفوة التفاسير:٢٤٠/٢.
(٣٩١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣١٣/١.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ} [الأنبياء : ٤٢]، أي:" قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين من يحفظكم ويحرسكم في ليلكم أو نهاركم، في نومكم أو يقظتكم، مِن بأس الرحمن إذا نزل بكم"[٣٩١٣].

قال مجاهد:" من يحفظكم بالليل والنهار"[٣٩١٤].

قال قتادة:" قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن"[٣٩١٥].

القرآن

{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣)} [الأنبياء : ٤٣]

التفسير:

أَلَهُمْ آلهة تمنعهم من عذابنا؟ إنَّ آلهتهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم؟ وهم منا لا يُجارون.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا} [الأنبياء : ٤٣]، أي:" ألهم آلهة تمنعهم من العذاب غيرنا؟"[٣٩١٦].

عن الحسن، قال: "لا تمنعهم من دون الله إن أراد عذابهم"[٣٩١٧].

قوله تعالى:{لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء : ٤٣]، أي:" إنَّ آلهتهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم؟ وهم منا لا يُجارون"[٣٩١٨].

وفي قوله تعالى:{وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء : ٤٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : يُجَارُون. قاله الحسن[٣٩١٩].

عن الحسن، قال: "لا تمنعهم من دون الله إن أراد عذابهم {ولا هم منا يصحبون}، ولا من يعبدها منا يجارون، أي ليس لهم من يجيرهم، أي يمنعهم منا إن أراد الله عذابهم"[٣٩٢٠].

وقال الحسن:" إنما تعذب الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأصنام، ولا تعذب الأصنام""[٣٩٢١].

الثاني : يحفظون، قاله مجاهد[٣٩٢٢].

الثالث : ينصرون. قاله مجاهد ايضا[٣٩٢٣].

الرابع : يمنعون. وهذا مروي عن مجاهد كذلك[٣٩٢٤].

الخامس: ولا يصحبون من الله بخير ، قاله قتادة[٣٩٢٥].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أن {هُمْ} من قوله {ولا هُمْ} من ذكر الكفار، وأن قوله {يُصْحَبُونَ}، بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا[٣٩٢٦].

القرآن

(٣٩١٣) التفسير الميسر:٣٢٥، وصفوة التفاسير:٢٤٠/٢.

(٣٩١٤) تفسير سفيان الثوري(٦٣٦: ١١: ١٧):ص٢٠١.

(٣٩١٥) أخرجه الطبري:٤٤٦/١٨.

(٣٩١٦) صفوة التفاسير:٢٤٠/٢.

(٣٩١٧) تفسير يحيى بن سلام:٣١٥/١.

(٣٩١٨)التفسير الميسر:٣٢٥.

(٣٩١٩) تفسير يحيى بن سلام:٣١٥/١.

(٣٩٢٠) تفسير يحيى بن سلام:٣١٥/١.

(٣٩٢١) تفسير يحيى بن سلام:٣١٥/١.

(٣٩٢٢) انظر: تفسير الطبري:٤٤٨/١٨.

(٣٩٢٣) انظر: النكت والعيون:٤٤٩/٣.

(٣٩٢٤) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦٢٧: ٢: ٣٧):ص١٩٩.

(٣٩٢٥) انظر: تفسير الطبري:٤٤٧/١٨.

(٣٩٢٦) تفسير الطبري:٤٤٨/١٨.

{بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤)} [الأنبياء : ٤٤]

التفسير:

لقد اغترَّ الكفار وآباؤهم بالإمهال لِمَا رأوه من الأموال والبنين وطول الأعمار، فأقاموا على كفرهم لا يَبْرحونه، وظنوا أنهم لا يُعذَّبون وقد غَفَلوا عن سُنَّة ماضية، فالله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين مِن بأس في كل ناحية ومِن هزيمة، أيكون بوسع كفار «مكة» الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟

قوله تعالى:{أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الأنبياء : ٤٤]، أي:" أفلا ينظرون فيعْتبرون بأننا نأتي أرضهم فننقصها من أطرافها بالفتح على النبي وتسليط المسلمين عليها؟"[٣٩٢٧].

وفي قوله تعالى:{أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الأنبياء : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدها: بالفتوح على المسلمين من بلاد المشركين، قاله الحسن[٣٩٢٨]، والضحاك[٣٩٢٩]، وقتادة[٣٩٣٠].

الثاني: بموت فقهائها وعلمائها ، قاله مجاهد[٣٩٣١].

الثالث: بخرابها بعد العمارة. قاله مجاهد-أيضا-[٣٩٣٢]، وعكرمة[٣٩٣٣].

الرابع: بنقصان أهلها وقلة بركتها. قاله مجاهد[٣٩٣٤]، والشعبي[٣٩٣٥]، وابن أبي طلحة[٣٩٣٦].

قوله تعالى:{أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الأنبياء : ٤٤]، أي:" أفهم الغالبون والحالة هذه أم المغلوبون؟"[٣٩٣٧].

قال الحسن:" أي: ليسوا بغالبين، ولكن الرسول هو الغالب"[٣٩٣٨].

قال قتادة:" يقول: ليسوا بغالبين، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب"[٣٩٣٩].

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (٤٥)} [الأنبياء : ٤٥]

التفسير:

قل - أيها الرسول - لمن أُرسلتَ إليهم: ما أُخوِّفكم من العذاب إلا بوحي من الله، وهو القرآن، ولكن الكفار لا يسمعون ما يُلقى إليهم سماع تدبر إذا أُنذِورا، فلا ينتفعون به.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ} [الأنبياء : ٤٥]، أي:" قل - أيها الرسول - لمن أُرسلتَ إليهم: ما أُخوِّفكم من العذاب إلا بوحي من الله، وهو القرآن"[٣٩٤٠].

قال قتادة:" أي: بهذا القرآن"[٣٩٤١].

قوله تعالى:{وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ} [الأنبياء : ٤٥]، أي:" ولكن الكفار لا يسمعون ما يُلقى إليهم سماع تدبر إذا أُنذِورا، فلا ينتفعون به"[٣٩٤٢].

(٣٩٢٧) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.

(٣٩٢٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٧):ص٤٩٤/١٦.

(٣٩٢٩) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥١٦):ص٤٩٤/١٦.

(٣٩٣٠) انظر: النكت والعيون:١١٩/٣.

(٣٩٣١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٣٤):ص٤٩٧/١٦.

(٣٩٣٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٠)، (٢٠٥٢١):ص٤٩٥/١٦.

(٣٩٣٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٢):ص٤٩٥/١٦.

(٣٩٣٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٤):ص٤٩٥/١٦.

(٣٩٣٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٥٢٥):ص٤٩٦/١٦.

(٣٩٣٦) انظر: النكت والعيون:٤٤٩/٣.

(٣٩٣٧) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.

(٣٩٣٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٢٤٥٣/٨.

(٣٩٣٩) اخرجه الطبري:٤٤٩/١٨.

(٣٩٤٠) التفسير الميسر:٣٢٦.

(٣٩٤١) أخرجه الطبري:٤٤٩/١٨، وابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٢٤٥٣/٨

(٣٩٤٢) التفسير الميسر:٣٢٦.

قال قتادة:" يقول: إن الكافر أصم عن كتاب الله، لا يسمعه ولا ينتفع به، ولا يعقله كما يسمعه أهل الإيمان"[٣٩٤٣].

القرآن

{وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦)} [الأنبياء : ٤٦]

التفسير:

لو أصاب الكفارَ نصيب من عذاب الله لعلموا عاقبة تكذيبهم، وقابلوا ذلك بالدعاء على أنفسهم بالهلاك; بسبب ظلمهم لأنفسهم بعبادتهم غير الله.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ} [الأنبياء : ٤٦]، أي:" لو أصاب الكفارَ نصيب من عذاب الله"[٣٩٤٤].

قال قتادة:" يقول: لئن أصابتهم عقوبة"[٣٩٤٥].

القرآن

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)} [الأنبياء : ٤٧]

التفسير:

ويضع الله تعالى الميزان العادل للحساب في يوم القيامة، ولا يظلم هؤلاء ولا غيرهم شيئًا، وإن كان هذا العمل قدْرَ ذرة مِن خير أو شر اعتبرت في حساب صاحبها. وكفى بالله محصيًا أعمال عباده، ومجازيًا لهم عليها.

قوله تعالى:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء : ٤٧]، أي:" ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها الأعمال في يوم القيامة"[٣٩٤٦].

عن مجاهد:" {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ}، قال: العدل"[٣٩٤٧].

قال مجاهد:"إنما هو مثل، كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحقّ"[٣٩٤٨].

قال عمرو بن دينار:" إنا نرى ميزانًا وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يُجْعَل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب"[٣٩٤٩].

عن عبيد بن عمير، قوله :"{والوزن يومئذ الحق}، قال: يقول يؤتى بالرجل الطويل العظيم الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة"[٣٩٥٠].

قوله تعالى:{وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا} [الأنبياء : ٤٧]، أي:" وإن كان العمل الذي عملته زنة حبةٍ من خردل جئا بها وأحضرناها"[٣٩٥١].

عن السدى قوله: "{وإن كان مثقال حبة}، قال: وزن حبة"[٣٩٥٢].

عن مجاهد: قوله: {وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا}، قال: جازينا بها"[٣٩٥٣].

عن مجاهد أنه كان يقرأ: "«وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها» بمد الألف. قال: جازينا بها"[٣٩٥٤].

(٣٩٤٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٥٠، وابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٨/٢٤٥٣

(٣٩٤٤) التفسير الميسر:٣٢٦.

(٣٩٤٥) اخرجه الطبري:١٨/٤٥٠، وابن ابي حاتم(١٣٦٦٠):ص٨/٢٤٥٣.

(٣٩٤٦) صفوة التفاسير:٢/٢٤١.

(٣٩٤٧) اخرجه الطبري:١٨/٤٥١.

(٣٩٤٨) اخرجه الطبري:١٨/٤٥١.

(٣٩٤٩) أخرجه الطبري:١٢/٣١١.

(٣٩٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٢٢):٥/١٤٤٠.

(٣٩٥١) صفوة التفاسير:٢/٢٤١.

(٣٩٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٦٤):ص٨/٢٤٥٤.

(٣٩٥٣) اخرجه الطبري:١٨/٤٥٢.

(٣٩٥٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٢):ص٨/٢٤٥٤.

قوله تعالى:{وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء : ٤٧]، أي:" كفى بربك أن يكون محصياً لأعمال العباد مجازياً عليها"[٣٩٥٥].

عن السدى قوله: "{وكفى بنا حاسبين}، قال: محصين"[٣٩٥٦].

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩)} [الأنبياء : ٤٨ - ٤٩]

التفسير:

ولقد آتينا موسى وهارون حجة ونصرًا على عدوهما، وكتابًا - وهو التوراة - فَرَقْنا به بين الحق والباطل، ونورًا يهتدي به المتقون الذين يخافون عقاب ربهم، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة خائفون وجلون.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً} [الأنبياء : ٤٨]، أي:" ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة الفارقة بين الحق والباطل والهدى والضلال نوراً وضياءً"[٣٩٥٧].

قال مجاهد:" الفرقان: الكتاب"[٣٩٥٨].

قال مجاهد:" فرق بين الحق والضلالة"[٣٩٥٩].

قال قتادة:" الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق والباطل"[٣٩٦٠].

قوله تعالى:{وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} [الأنبياء : ٤٨]، أي:" وتذكيراً للمؤمنين المتقين"[٣٩٦١].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٣٩٦٢].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٣٩٦٣].

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} [الأنبياء : ٤٩] أي:" الذين يخافون عذاب ربهم وهو غائب عنهم غير مرئى لهم"[٣٩٦٤].

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٣٩٦٥].

القرآن

{وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٠)} [الأنبياء : ٥٠]

التفسير:

وهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ذِكْرٌ لمن تذكَّر به، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه، كثير الخير، عظيم النفع، أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟

قوله تعالى:{وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} [الأنبياء : ٥٠]، أي:" وهذا القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ذِكْرٌ لمن تذكَّر به، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه، كثير الخير، عظيم النفع"[٣٩٦٦].

قال قتادة:" أي: هذا القرآن"[٣٩٦٧].

عن ميمون بن مهران قال: "خصلتان فيهما البركة: القرآن والمطر، وتلا: {وأنزلنا من السماء ماء} ، {وهذا ذكر مبارك}"[٣٩٦٨].

(٣٩٥٥) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.

(٣٩٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٦٤):ص٢٤٥٤/٨.

(٣٩٥٧) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.

(٣٩٥٨) تفسير مجاهد: ٤٧٢/١.

(٣٩٥٩) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦٣٩: ١٤: ٣٨):ص١٠١.

(٣٩٦٠) اخرجه الطبري:٤٥٣/١٨.

(٣٩٦١) صفوة التفاسير:٢٤١/٢.

(٣٩٦٢) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٣٩٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٣٩٦٤) تفسير المراغي:٤١/١٧.

(٣٩٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(٣٩٦٦) التفسير الميسر:٣٢٦.

(٣٩٦٧) اخرجه الطبري:٤٥٤/١٨.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)} [الأنبياء : ٥١]

التفسير:

ولقد آتينا إبراهيم هداه، الذي دعا الناس إليه من قبل موسى وهارون، وكنَّا عالمين أنه أهل لذلك.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ} [الأنبياء : ٥١]، أي:" ولقد آتينا إبراهيم هداه، الذي دعا الناس إليه من قبل موسى وهارون"(٣٩٦٩).

عن مجاهد: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ}، قال:" هديناه صغيرا"(٣٩٧٠).

قال قتادة:" يقول: آتينا هداه"(٣٩٧١).

القرآن

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)} [الأنبياء : ٥٢]

التفسير:

حين قال لأبيه وقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم أقمتم على عبادتها ملازمين لها؟

عن مجاهد، قوله :"{مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ}، قال: الأصنام"(٣٩٧٢).

عن قتادة، قوله: "{التي أنتم لها عاكفون}، قال: عابدون"(٣٩٧٣).

عن الأصبغ بن نباته ، قال : "مر عليّ ، على قوم يلعبون بالشطرنج ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها"(٣٩٧٤).

القرآن

{قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣)} [الأنبياء : ٥٣]

التفسير:

قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها، ونحن نعبدها اقتداء بهم.

عن قتادة، قوله: "{ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدي}، أي: على دين، وإنا متبعوهم على ذلك"(٣٩٧٥).

القرآن

{قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)} [الأنبياء : ٥٦]

التفسير:

قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السموات والأرض الذي خلقهنَّ، وأنا من الشاهدين على ذلك.

قوله تعالى:{قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ} [الأنبياء : ٥٦]، أي:" قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السموات والأرض الذي خلقهنَّ"(٣٩٧٦).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٣٩٧٧).

(٣٩٦٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٧):ص٢٤٥٤/٨.

(٣٩٦٩) التفسير الميسر:٣٢٦.

(٣٩٧٠) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٨.

(٣٩٧١) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٨.

(٣٩٧٢) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٨.

(٣٩٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٩):ص٢٤٥٥/٨.

(٣٩٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٤٨/٥.

(٣٩٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٦٩):ص٢٤٥٥/٨.

(٣٩٧٦) التفسير الميسر:٣٢٦.

القرآن

{وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧)} [الأنبياء : ٥٧]

التفسير:

وتالله لأمكرنَّ بأصنامكم وأكسِّرها بعد أن تتولَّوا عنها ذاهبين.

عن مجاهد، قوله :"{وَتَاللَّهِ لأكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ}، قال: [هذا][٣٩٧٨] قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم فأبى وقال: إني سقيم، فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر، وهو الذي يقول {سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}"[٣٩٧٩].

عن قتادة، قوله: "{وَتَاللَّهِ لأكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ}، قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولَّوا مدبرين"[٣٩٨٠].

القرآن

{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)} [الأنبياء : ٥٨]

التفسير:

فحطم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة، وترك كبيرها; كي يرجع القوم إليه ويسألوه، فيتبين عجزهم وضلالهم، وتقوم الحجة عليهم.

قوله تعالى:{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا} [الأنبياء : ٥٨]، أي:" فحطم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة"[٣٩٨١].

عن مجاهد: "{جُذَاذًا}، كالصَّريم"[٣٩٨٢]

عن قَتادة، قوله :"{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا}، أي: قطعا"[٣٩٨٣].

قوله تعالى:{إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ} [الأنبياء : ٥٨]، أي:" إلا الصنم الكبير فإنه لم يكسره"[٣٩٨٤].

قال مجاهد:" جعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مُسْندة إلى صدر كبيرهم الذي تَرَك"[٣٩٨٥].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} [الأنبياء : ٥٨]، أي:" لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه عمن كسَّر الأصنام فيتبين لهم عجزه وتقون الحجة عليهم"[٣٩٨٦].

عن قتادة:" {لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ}، قال: كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون"[٣٩٨٧].

عن السديّ :"أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيدا لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعْفَى الناس {وَتَاللَّهِ لأكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ}، فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاما، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام {قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} فلما لم تجبه، قال {مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}، فأخذ فأس حديد، فنقر كلّ صنم في حافتيه، ثم

(٣٩٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٣٩٧٨) زيادة في تفسير مجاهد:٤٧٢.

(٣٩٧٩) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٨.

(٣٩٨٠) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٨.

(٣٩٨١) التفسير الميسر:٣٢٧.

(٣٩٨٢) أخرجه الطبري:٤٥٨/١٨.

(٣٩٨٣) أخرجه الطبري:٤٥٨/١٨.

(٣٩٨٤) صفوة التفاسير:٢٤٤/٢.

(٣٩٨٥) أخرجه الطبري:٤٥٩/١٨.

(٣٩٨٦) صفوة التفاسير:٢٤٤/٢.

(٣٩٨٧) أخرجه الطبري:٤٥٩/١٨.

علَّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}"[٣٩٨٨].

القرآن

{قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)} [الأنبياء : ٥٩ - ٦٠]

التفسير:

ورجع القوم، ورأوا أصنامهم محطمة مهانة، فسأل بعضهم بعضًا: مَن فعل هذا بآلهتنا؟ إنه لظالم في اجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير، قال مَن سمع إبراهيم يحلف بأنه سيكيد أصنامهم: سمعنا فتى يذكر الأصنام بسوء يقال له إبراهيم.

قوله تعالى:{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء : ٦٠]، أي:" قال مَن سمع إبراهيم يحلف بأنه سيكيد أصنامهم: سمعنا فتى يذكر الأصنام بسوء يقال له إبراهيم"[٣٩٨٩].

قال ابن جريج:" {يَذْكُرُهُمْ}: يعيبهم"[٣٩٩٠].

قال ابن إسحاق:" سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها، لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره، وهو الذي نظن صنع هذا بها"[٣٩٩١].

القرآن

{قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١)} [الأنبياء : ٦١]

التفسير:

قال رؤساؤهم: فَأْتوا بإبراهيم على مرأى من الناس; كي يشهدوا على اعترافه بما قال; ليكون ذلك حجة عليه.

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} [الأنبياء : ٦١]، أي:" كي يشهدوا على اعترافه بما قال; ليكون ذلك حجة عليه"[٣٩٩٢].

وفي قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} [الأنبياء : ٦١]، وجهان:

أحدها: معناه: يشهدون عليه بما فعل , لأنهم كرهوا أن يعاقبوه بغير بينة. وهذا قول الحسن[٣٩٩٣]، وقتادة[٣٩٩٤]، والسدي[٣٩٩٥].

قال قتادة:" كرهوا أن يأخذوه بغير بيِّنة"[٣٩٩٦].

الثاني: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمد بن إسحاق[٣٩٩٧].

القرآن

{قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣)} [الأنبياء : ٦٢ - ٦٣]

التفسير:

(٣٩٨٨) أخرجه الطبري:١٨/٤٥٨.
(٣٩٨٩) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٣٩٩٠) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٠.
(٣٩٩١) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٠.
(٣٩٩٢) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٣٩٩٣) انظر: النكت والعيون:٣/٤٥١.
(٣٩٩٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٦٠.
(٣٩٩٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٦٠.
(٣٩٩٦) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٠.
(٣٩٩٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٦٠-٤٦١.

وجيء بإبراهيم وسألوه منكرين: أأنت الذي كسَّرْتَ آلهتنا؟ يعنون أصنامهم. وتمَّ لإبراهيم ما أراد من إظهار سفههم على مرأى منهم. فقال محتجًا عليهم معرِّضًا بغباوتهم: بل الذي كسَّرها هذا الصنم الكبير، فاسألوا آلهتكم المزعومة عن ذلك، إن كانت تتكلم أو ترد جوابًا.

قوله تعالى:{قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} [الأنبياء : ٦٣]، أي:" قال إبراهيم بل حطَّمها الصنم الكبير "[٣٩٩٨].

قال ابن إسحاق:" أُتِي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ}، غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها، فكسرهن "[٣٩٩٩].

عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن إبراهيم ، عليه السلام ، لم يكذب غير ثلاث : ثنتين في ذات الله، قوله : { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا } وقوله { إِنِّي سَقِيمٌ } قال : "وبينا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة ، إذ نزل منزلا فأتى الجبار رجل ، فقال : إنه قد نزل بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس ، فأرسل إليه فجاء ، فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هي أختي. قال : فاذهب فأرسل بها إليّ ، فانطلق إلى سارة فقال : إن هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده ، فإنك أختي في كتاب الله ، وأنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي. فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها ، فتناولها ، فأخذ أخذًا شديدًا ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ، فأهوى إليها ، فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد. ففعل ذلك الثالثة فأخذ ، فذكر مثل المرتين الأوليين، فقال ادعي الله فلا أضرك. فدعت ، له فأرسل ، ثم دعا أدنى حجابه ، فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، وإنما أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، قال: مَهْيَم ؟ قالت : كفى الله كيد الكافر الفاجر ، وأخدمني هاجر". قال محمد بن سيرين وكان: أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : فتلك أمكم يا بني ماء السماء"[٤٠٠٠].

القرآن

{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤)} [الأنبياء : ٦٤]

التفسير:

فأُسقِط في أيديهم، وبدا لهم ضلالهم; كيف يعبدونها، وهي عاجزة عن أن تدفع عن نفسها شيئًا أو أن تجيب سائلها؟ وأقرُّوا على أنفسهم بالظلم والشرك.

قوله تعالى:{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ} [الأنبياء : ٦٤]، أي:" رجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم "[٤٠٠١].

عن ابن جُرَيج :"{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ}، قال: نظر بعضهم إلى بعض "[٤٠٠٢].

قال ابن إسحاق:" أرعوَوْا ورجعوا عنه- يعني: عن إبراهيم-، فيما ادّعوا عليه من كسرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم "[٤٠٠٣].

قوله تعالى:{فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ} [الأنبياء : ٦٤]، أي:"فقالوا:" أنتم الظالمون في عبادة ما لا ينطق "[٤٠٠٤].

قال ابن إسحاق:" فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال "[٤٠٠٥].

(٣٩٩٨) صفوة التفاسير:٢٤٤/٢.

(٣٩٩٩) أخرجه الطبري:٤٦١/١٨.

(٤٠٠٠)رواه أبو داود في السنن برقم (٢٢١٢) من طريق عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان. ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٨٣٧٤) من طريق أبي أسامة عن هشام بن حسان. وهو في الصحيحين من طريق أيوب عن محمد بن سيرين ؛ صحيح البخاري برقم (٥٠٨٤) ، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧١)، وأخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٧٥):ص٢٤٥٦/٨. ملخصا.

(٤٠٠١) صفوة التفاسير:٢٤٥/٢.

(٤٠٠٢) أخرجه الطبري:٤٦٢/١٨.

(٤٠٠٣) أخرجه الطبري:٤٦٢/١٨.

(٤٠٠٤) صفوة التفاسير:٢٤٥/٢.

(٤٠٠٥) أخرجه الطبري:٤٦٢/١٨.

القرآن

{ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥)} [الأنبياء : ٦٥]

التفسير:

وسُرعان ما عاد إليهم عنادهم بعد إفحامهم، فانقلبوا إلى الباطل، واحتجُّوا على إبراهيم بما هو حجة له عليهم، فقالوا: كيف نسألها، وقد علمتَ أنها لا تنطق؟

قوله تعالى:{ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ} [الأنبياء : ٦٥]، أي:"ثم أنقلبوا من الإذعان إلى المكابرة والطغيان"(٤٠٠٦).

عن قتادة، قوله: {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ}، قال:" أدركت الناس حَيرة سَوْء"(٤٠٠٧).

قال السدي:"نكسوا في الفتنة على رءوسهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون"(٤٠٠٨).

قوله تعالى:{لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ} [الأنبياء : ٦٥]، أي:" قالوا في لجاجهم وعنادهم: لقد علمتَ يا إبراهيم أن هذه الأصنام لا تتكلم ولا تجيب فكيف تأمرنا بسؤالها؟"(٤٠٠٩).

قال ابن إسحاق:" ثم قالوا: -يعني قوم إبراهيم- وعرفوا أنها، -يعني: آلهتهم- لا تضرّ ولا تنفع ولا تبطش: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ}، أي: لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها، وما تبطش بالأيدي فنصدّقك، يقول الله {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ}، في الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ}"(٤٠١٠).

القرآن

{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)} [الأنبياء : ٦٦ - ٦٧]

التفسير:

قال إبراهيم محقِّرًا لشأن الأصنام: كيف تعبدون أصنامًا لا تنفع إذا عُبدت، ولا تضرُّ إذا تُركت؟ قبحًا لكم ولآلهتكم التي تعبدونها من دون الله تعالى، أفلا تعقلون فتدركون سوء ما أنتم عليه؟

قوله تعالى:{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ} [الأنبياء : ٦٦]، أي:" قال إبراهيم محقِّرًا لشأن الأصنام: كيف تعبدون أصنامًا لا تنفع إذا عُبدت، ولا تضرُّ إذا تُركت؟"(٤٠١١).

قال ابن إسحاق:" يقول يرحمه الله: ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضرّ الذي أصابهم، وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم، فكيف ينفعونكم أو يضرّون"(٤٠١٢).

القرآن

{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)} [الأنبياء : ٦٨ - ٦٩]

التفسير:

لما بطلت حجتهم وظهر الحق عدلوا إلى استعمال سلطانهم، وقالوا: حَرِّقوا إبراهيم بالنار; غضبًا لآلهتكم إن كنتم ناصرين لها. فأشْعَلوا نارًا عظيمة وألقوه فيها، فانتصر الله لرسوله وقال للنار: كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، فلم يَنَلْه فيها أذى، ولم يصبه مكروه.

قوله تعالى:{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [الأنبياء : ٦٨]، أي:" فقالوا: احرقوا إبراهيم بالنار انتقاماً لآلهتكم ونصرةً لها، إن كنتم ناصري آلهتكم حقاً"(٤٠١٣).

(٤٠٠٦) صفوة التفاسير:٢/٢٤٥.

(٤٠٠٧) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٣.

(٤٠٠٨) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٣.

(٤٠٠٩) صفوة التفاسير:٢/٢٤٥.

(٤٠١٠) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٢.

(٤٠١١) التفسير الميسر:٣٢٧.

(٤٠١٢) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٤.

(٤٠١٣) صفوة التفاسير:٢/٢٤٥.

عن مجاهد، قوله: "{حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آ}، قال: قالها رجل من أعراب فارس، يعني: الأكراد"[٤٠١٤].

قال مجاهد:" تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر، فقال: أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت لا قال: رجل من أعراب فارس. قلت: يا أبا عبد الرحمن، أو هل للفرس أعراب؟ قال: نعم الكرد هم أعراب فارس، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار"[٤٠١٥].

قال شعيب الجبئي: "إن الذي قال حرّقوه "هيزن" فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة"[٤٠١٦].

قال ابن إسحاق:" أجمع نمرود وقومه في إبراهيم فقالوا :{حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}، أي: لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصريها"[٤٠١٧].

قوله تعالى:{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء : ٦٩]، أي:" وقال للنار: كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم"[٤٠١٨].

قال السدي:" فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطبا، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنّ حطبا لإبراهيم، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فقذفوه في النار، فناداها فقال: {يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، فكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها"[٤٠١٩].

عن أبي العالية، في قوله :"{قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، قال: السلام لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال: وسلاما لكان البرد أشدّ عليه من الحرّ"[٤٠٢٠].

عن ابن جُرَيج، قوله :"{بَرْدًا}، قال: بردت عليه، {وَسَلَاما}، لا تؤذيه"[٤٠٢١].

عن قتادة، قوله :"{قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، قال: ذُكر لنا أن كعبا كان يقول: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وكان كعب يقول: ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه"[٤٠٢٢].

قال قتادة: "لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ"[٤٠٢٣].

قال الزهري: "أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، وسماه فُوَيسقا"[٤٠٢٤].

عن الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت : دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحا. فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت : نقتل به هذه الأوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن إبراهيم حين ألقي في النار ، لم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار ، غير الوَزَغ ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم" ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله"[٤٠٢٥].

قال سعيد: لمَّا ألقي إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم في النار، قال الملك خازن المطر: رب خليلك إبراهيم، رجا أن يؤذن له فيرسل المطر، قال: فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال: {قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، فلم يبق في الأرض نار إلا طُفئت"[٤٠٢٦].

(٤٠١٤) اخرجه الطبري:٤٦٤/١٨.
(٤٠١٥) اخرجه الطبري:٤٦٥/١٨.
(٤٠١٦) اخرجه الطبري:٤٦٥/١٨.
(٤٠١٧) اخرجه الطبري:٤٦٥/١٨.
(٤٠١٨) التفسير الميسر:٣٢٧.
(٤٠١٩) أخرجه الطبري:٤٦٥/١٨.
(٤٠٢٠) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.
(٤٠٢١) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.
(٤٠٢٢)أخرجه الطبري:٤٦٦/١٨ .
(٤٠٢٣) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.
(٤٠٢٤) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.
(٤٠٢٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٥٢/٥، ورواه أحمد في المسند (٨٣/٦ ، ١٠٩) وابن ماجه في السنن برقم (٣٢٣١) من طريق نافع عن سائبة مولاة الفاكه به.
(٤٠٢٦)أخرجه الطبري:٤٦٦/١٨ .

قال أبو هريرة-رضي الله عنه-:" إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجده يرشح جبينه، فقال عند ذلك: نعم الربّ ربك يا إبراهيم"[٤٠٢٧].

قال المنهال بن عمرو: "قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قطّ أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار"[٤٠٢٨].

قال شعيب الجَبَسِي: "ألقي إبراهيم في النار وهو ابن ستّ عشرة سنة، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين، وولدته سارة وهي ابنة تسعين سنة، وكان مذبحه من بيت إيلياء على ميلين، ولما علمت سارة بما أراد بإسحاق بُطِنت يومين، وماتت اليوم الثالث، قال ابن جُرَيج: قال كعب الأحبار: ما أحرقت النار من إبراهيم شيئا غير وثاقه الذي أوثقوه به"[٤٠٢٩].

عن معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض أصحابه قال: "جاء جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمَّط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا"[٤٠٣٠].

عن أرقم: "أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك ربّ العالمين، لك الحمد، ولك الملك لا شريك لك"[٤٠٣١].

القرآن

{وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)} [الأنبياء : ٧٠]

التفسير:

وأراد القوم بإبراهيم الهلاك فأبطل الله كيدهم، وجعلهم المغلوبين الأسفلين.

قال عطية العوفي : "لما أُلقِيَ إبراهيم في النار، جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه ، فأحرقته مثل الصوفة"[٤٠٣٢].

قال ابن جريج:" ألقوا شيخا منهم في النار لأن يصيبوا نجاته، كما نجي إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فاحترق"[٤٠٣٣].

القرآن

{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)} [الأنبياء : ٧١]

التفسير:

ونجينا إبراهيم ولوطًا الذي آمن به من «العراق» ، وأخرجناهما إلى أرض «الشام» التي باركنا فيها بكثرة الخيرات، وفيها أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

عن الحسن، في قوله: {إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، قال: الشام"[٤٠٣٤].

قال ابن جريج:" نجاه من أرض العراق إلى أرض الشام"[٤٠٣٥].

قال قتادة:" كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشأم، وكان يقال للشأم عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشأم، وما نقص من الشأم زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال"[٤٠٣٦].

(٤٠٢٧) أخرجه الطبري:٤٦٦/١٨-٤٦٧.

(٤٠٢٨)أخرجه الطبري:٤٦٦/١٨ . وفي رواية ابن أبي حاتم:" عن المِنْهَال بن عمرو قال : أخبرت أن إبراهيم ألقي في النار ، فقال : كان فيها إما خمسين وإما أربعين ، قال : ما كنت أيامًا ولياليَ قط أطيب عيشًا إذ كنت فيها ، وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها". [انظر: تفسير ابن كثير:٣٥٢/٥].

(٤٠٢٩) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.

(٤٠٣٠) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.

(٤٠٣١) أخرجه الطبري:٤٦٧/١٨.

(٤٠٣٢) تفسير ابن كثير:٣٥٣/٥.

(٤٠٣٣) اخرجه الطبري:٤٦٨/١٨.

(٤٠٣٤) انظر: تفسير الطبري:٤٦٨/١٨.

(٤٠٣٥) انظر: تفسير الطبري:٤٧٠/١٨.

(٤٠٣٦) انظر: تفسير الطبري:٤٦٩/١٨.

قال السدي:" انطلق إبراهيم ولوط قبل الشأم، فلقي إبراهيم سارة، وهي بنت ملك حران، وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها على أن لا يغيرها"[٤٠٣٧].

قال أبو العالية :" ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرّق في الأرض"[٤٠٣٨].

قال كعب الأحبار :"والذي نفسي بيده إن العين التي بدارين لتخرج من تحت هذه الصخرة ، يعني: عيناً في البحر"[٤٠٣٩].

قال ابن إسحاق: "خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجرا، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حرّان، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برّية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب من ذلك، فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم"[٤٠٤٠].

عن قتادة وغيره: "أن عمر بن الخطاب قال لكعب ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقبره فقال كعب يا أمير المؤمنين إنى وجدت فى كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه فيها كنز من عباده"[٤٠٤١].

القرآن

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)} [الأنبياء : ٧٢]

التفسير:

وأنعم الله على إبراهيم، فوهب له ابنه إسحاق حين دعاه، ووهب له من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك، وكلٌّ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحًا مطيعًا له.

قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً} [الأنبياء : ٧٢]، أي:" أعطينا إبراهيم - بعدما سأل ربه الولد - إسحاق وأعطيناه كذلك يعقوب نافلةً أي زيادة وفضلاً من غير سؤال"[٤٠٤٢].

وفي معنى «النافلة»، قولان:

أحدهما: أنها بمعنى: الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكأنه سأل واحدا، فأعطي اثنين، وهذا مذهب قتادة[٤٠٤٣].

الثاني: أن «النافلة» بمعنى: العطية، والمراد بها: إسحاق ويعقوب، وهذا مذهب مجاهد[٤٠٤٤]، وعطاء[٤٠٤٥].

و«النافلة»: الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم، وهبة منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله له لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة[٤٠٤٦].

القرآن

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)} [الأنبياء : ٧٣]

(٤٠٣٧) أخرجه الطبري:١٨/٤٦٩.

(٤٠٣٨) أخرجه الطبري:١٨/٤٧٠.

(٤٠٣٩) انظر: النكت والعيون:٣/٤٥٤.

(٤٠٤٠) اخرجه الطبري:١٨/٤٦٩-٤٧٠.

(٤٠٤١)أخرجه ابن عساكر :١/١٢١.

(٤٠٤٢) صفوة التفاسير:٢/٢٤٥.

(٤٠٤٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.

(٤٠٤٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.

(٤٠٤٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٤٥٧.

(٤٠٤٦) تفسير الطبري:١٨/٤٧٢.

التفسير:
وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة للناس يدعونهم إلى عبادة الله وطاعته بإذنه تعالى، وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات من العمل بشرائع الأنبياء، وإقام الصلاة على وجهها، وإيتاء الزكاة، فامتثلوا لذلك، وكانوا منقادين مطيعين لله وحده دون سواه.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [الأنبياء : ٧٣]، أي:" وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب قدوة للناس يدعونهم إلى عبادة الله وطاعته بإذنه تعالى"(٤٠٤٧).

قال السدي:" يعني: يدعون بأمرنا"(٤٠٤٨).

وقال قتادة: "جعلهم الله أئمة يقتدى بهم في أمر الله"(٤٠٤٩).

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ} [الأنبياء : ٧٣]، أي:" وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات من العمل بشرائع الأنبياء، وإقام الصلاة على وجهها، وإيتاء الزكاة"(٤٠٥٠).

عن الحسن في قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، قال: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"(٤٠٥١).

وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك(٤٠٥٢).

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"(٤٠٥٣).

القرآن

{وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤)} [الأنبياء : ٧٤]

التفسير:
وآتينا لوطًا النبوة وفصل القضاء بين الخصوم وعلمًا بأمر الله ودينه، ونجيناه من قريته «سدوم» التي كان يعمل أهلها الخبائث. إنهم كانوا بسبب الخبائث والمنكرات التي يأتونها أهل سوء وقُبْح، خارجين عن طاعة الله.

قوله تعالى:{وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ} [الأنبياء : ٧٤]، أي:" ونجيناه من قريته «سدوم» التي كان يعمل أهلها الخبائث"(٤٠٥٤).

قال السدي:" أخرجهم الله، يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه"(٤٠٥٥).

القرآن

{وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)} [الأنبياء : ٧٦]

التفسير:
واذكر - أيها الرسول - نوحا حين نادى ربه مِن قبلك ومِن قبل إبراهيم ولوط، فاستجبنا له دعاءه، فنجيناه وأهله المؤمنين به من الغم الشديد.

قوله تعالى:{وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ} [الأنبياء : ٧٦]، أي:" واذكر - أيها الرسول - نوحا حين نادى ربه مِن قبلك ومِن قبل إبراهيم ولوط"(٤٠٥٦).

عن قتادة: "أن نوحا بعث من الجزيرة"(٤٠٥٧).

عن يزيد الرقاشي قال: "إنما سمي نوح، لطول ما ناح على نفسه"(٤٠٥٨).

(٤٠٤٧) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤٠٤٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٢٦/١.
(٤٠٤٩) أخرجه الطبري: ٤٧٢/١٨، وانظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٢٦/١.
(٤٠٥٠) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤٠٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.
(٤٠٥٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.
(٤٠٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(٤٠٥٤) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤٠٥٥) أخرجه الطبري:٤٧٣/١٨.
(٤٠٥٦) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤٠٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٣):ص١٥٠٤/٥.

قال محمد بن إسحاق: "كان من حديث نوح وحديث قومه فيما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وما يذكر أهل الكتاب من أهل التوراة، وما حفظ من الأحاديث عن عبد الله بن عباس، وعن عبيد بن عمير أن الله بعث نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعاصي، وكثرت فيها الجبابرة، وعتوا على الله عتوا كبيرا، وكان نوح فيما يذكر أهل العلم حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما لقي إلا نبي قتل"(٤٠٥٩).

عن عبيد بن عمير الليثي:" أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعني نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت فيهم في الأرض الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله حتى كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا، هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا حتى شكا ذلك من أمرهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل وقال: كما قص الله علينا في كتابه"(٤٠٦٠).

قوله تعالى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء : ٧٦]، أي:" فاستجبنا له دعاءه فنجيناه وأهله المؤمنين به من الغم الشديد"(٤٠٦١).

قال قتادة: "نجا مع نوح في السفينة امرأته، وثلاثة بنين له، ونساؤهم سام، وحام، ويافث، ونساؤهم فجميعهم ثمانية"(٤٠٦٢).

القرآن

{وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)} [الأنبياء : ٧٧]

التفسير:

ونصرناه مِن كيد القوم الذين كذَّبوا بآياتنا الدالة على صدقه، إنهم كانوا أهل قُبْح، فأغرقناهم بالطوفان أجمعين.

قال محمد بن إسحاق:" فلقد غرقت الأرض وما فيها وانتهى الماء إلى ما انتهى إليه، وما جاوز الماء ركبته، ودأب الماء حين أرسله خمسين ومائة كما يزعم أهل التوراة فكان بين أن أرسل الله الطوفان، وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال، ولما أراد الله أن يكف ذلك أرسل الله ريحا على وجه الماء فسكن الماء، واشتدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء، فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر فكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤوس الجبال، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح عليه الصلاة والسلام كوة الفلك التي صنع فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه، فأرسل الحمامة فرجعت إليه، فلم يجد لرجلها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها، فمكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت إليه حين أمست وفي فمها ورقة زيتونة، فعلم نوح أن الماء قد قل، عن وجه الأرض، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت"(٤٠٦٣).

القرآن

{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨)} [الأنبياء : ٧٨]

التفسير:

(٤٠٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٦):ص١٥٠٥/٥.

(٤٠٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٤):ص١٥٠٤/٥-١٥٠٥.

(٤٠٦٠) تفسير ابن ابي حاتم(٨٦٣٠):ص١٥٠٦/٥.

(٤٠٦١) التفسير الميسر:٣٢٨.

(٤٠٦٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٢٧/١.

(٤٠٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٠):ص١٥٠٧/٥-١٥٠٨.

واذكر - أيها الرسول - نبي الله داود وابنه سليمان، إذ يحكمان في قضية عرَضَها خصمان، عَدَت غنم أحدهما على زرع الآخر، وانتشرت فيه ليلا فأتلفت الزرع، فحكم داود بأن تكون الغنم لصاحب الزرع ملكًا بما أتلفته، فقيمتهما سواء، وكنَّا لحكمهم شاهدين لم يَغِبْ عنا.

قوله تعالى:{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ} [الأنبياء : ٧٨]، أي:" واذكر قصة داود وسليمان حين يحكمان في شأن الزرع"(٤٠٦٤).

وفي نوع الحرث، قولان:

أحدهما: أنه كان عنبا، قاله مسروق(٤٠٦٥)، وشريح(٤٠٦٦).

الثاني: كان زرعا، قاله قتادة(٤٠٦٧).

قال قتادة:" ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا"(٤٠٦٨).

قال مرة:" كان الحرث نبتا"(٤٠٦٩).

و"الحرث": إنما هو حرث الأرض، وجائز أن يكون ذلك كان زرعا، وجائز أن يكون غرسا، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان(٤٠٧٠).

قوله تعالى:{إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ} [الأنبياء : ٧٨]، أي:" وقت رعت فيه غنم القوم ليلاً فأفسدته"(٤٠٧١).

قال ابن إسحاق:" النفش: الرعية تحت الليل"(٤٠٧٢).

قال قتادة:" النفش بالليل، والهمل بالنهار"(٤٠٧٣).

القرآن

{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)} [الأنبياء : ٧٩]

التفسير:

فَفَهَّمنا سليمان مراعاة مصلحة الطرفين مع العدل، فحكم على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف في فترة يستفيد فيها صاحب الزرع بمنافع الغنم من لبن وصوف ونحوهما، ثم تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه; لمساواة قيمة ما تلف من الزرع لمنفعة الغنم، وكلا من داود وسليمان أعطيناه حكمًا وعلمًا، ومنَنَّا على داود بتطويع الجبال تسبِّح معه إذا سبَّح، وكذلك الطير تسبِّح، وكنا فاعلين ذلك.

قوله تعالى:{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} [الأنبياء : ٧٩]، أي:" علمنا وألهمنا سليمان الحكم في القضية"(٤٠٧٤).

قال مجاهد:" أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث، وحكم سليمان بجزة الغنم وألبانها لأهل الحرث، وعليهم رعايتها على أهل الحرث، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل، ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم"(٤٠٧٥).

قال شريح:" كان النفش ليلا وكان الحرث كرما، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم، قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه، فاجعل له أصوافها وألبانها! قال: فهو قول الله :{ففهمناها سليمان}"(٤٠٧٦).

(٤٠٦٤) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.

(٤٠٦٥) انظر: تفسير الطبري:٤٧٥/١٨.

(٤٠٦٦) انظر: الطبري:٤٧٧/١٨.

(٤٠٦٧) انظر: تفسير الطبري:٤٧٤/١٨.

(٤٠٦٨) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٨.

(٤٠٦٩) أخرجه الطبري:٤٧٤/١٨.

(٤٠٧٠) تفسير الطبري:٤٧٥/١٨.

(٤٠٧١) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.

(٤٠٧٢) أخرجه الطبري:٤٧٨/١٨.

(٤٠٧٣)أخرجه الطبري:٤٧٧/١٨ .

(٤٠٧٤) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.

(٤٠٧٥) أخرجه الطبري:٤٧٦/١٨.

(٤٠٧٦) أخرجه الطبري:٤٧٧/١٨.

عن عامر، قال: "جاء رجلان إلى شريح، فقال أحدهما: إن شياه هذا قطعت غزلا لي، فقال شريح: نهارا أم ليلا؟ قال: إن كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه، وإن كان ليلا فقد ضمن، ثم قرأ :{وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم}، قال: كان النفش ليلا"[٤٠٧٧].

قوله تعالى:{وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} [الأنبياء : ٧٩]، أي:" وكلاً من داود وسليمان أعطيناه الحكمة والعلم الواسع مع النبوة"[٤٠٧٨].

قال الحسن:" كان الحكم بما قضى به سليمان، ولم يعنف الله داود في حكمه"[٤٠٧٩].

عن حميد :" أن إياس بن معاوية لما استقضى أتاه الحسن فبكى ، قال ما يبكيك ؟ قال يا أبا سعيد ، بلغني أن القضاة : رجل اجتهد فأخطأ ، فهو في النار ، ورجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة. فقال الحسن البصري : إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان ، عليهما السلام ، والأنبياء حكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم ، قال الله تعالى : { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود. ثم قال - يعني : الحسن - : إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثًا : لا يشترون به ثمنًا قليلا ولا يتبعون فيه الهوى ، ولا يخشون فيه أحدًا ، ثم تلا { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٥) } [ص : ٢٦] وقال : { فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } [المائدة : ٤٤] ، وقال { وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا } [المائدة : ٤٤].

وأما الأنبياء ، عليهم السلام ، فكلهم معصومون مُؤيَّدون من الله عز وجل. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف ، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري ، عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[٤٠٨٠]، فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه "إياس" من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار ، والله أعلم.

وفي السنن : «القضاة ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار : رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه ، فهو في النار»[٤٠٨١].

وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ما رواه الإمام أحمد في مسنده ... عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بينما امرأتان معهما ابنان لهما ، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين ، فتحاكمتا إلى داود ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا. فدعاهما سليمان فقال : هاتوا السكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها ، لا تَشُقه ، فقضى به للصغرى»[٤٠٨٢]"[٤٠٨٣].

قوله تعالى:{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} [الأنبياء : ٧٩]، أي:" ومننَّا على داود بتطويع الجبال تسبِّح معه إذا سبَّح، وكذلك الطير تسبِّح"[٤٠٨٤].

قال قتادة:" أي: يصلين مع داود إذا صلى"[٤٠٨٥].

وقال أبو عثمان النهدي : "ما سمعت صوت صَنْج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ، ومع هذا قال :«لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود»[٤٠٨٦]".

وفي رواية:« يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»[٤٠٨٧].

(٤٠٧٧) أخرجه الطبري:٤٧٧/١٨.
(٤٠٧٨) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢.
(٤٠٧٩) أخرجه الطبري:٤٧٩/١٨.
(٤٠٨٠)صحيح البخاري برقم (٧٣٥٢).
(٤٠٨١)سنن أبي داود برقم (٣٥٧٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (٥٩٢٢) وسنن ابن ماجه برقم (٢٣١٥).
(٤٠٨٢)المسند (٣٢٢/٢).
(٤٠٨٣) تفسير ابن كثير:٣٥٦/٥-٣٥٧.
(٤٠٨٤) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤٠٨٥) أخرجه الطبري:٤٧٩/١٨.
(٤٠٨٦) الحديث:« لقد أوتى أبو موسى مزمارا من مزامير آل داود».
حديث أنس: ذكره الحكيم (٣٢/٣) ، وأبو نعيم فى الحلية (٢٥٨/١) .
حديث أبى هريرة: أخرجه ابن أبى شيبة (١١٨/٦، رقم ٢٩٩٣٧) .

القرآن

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠)} [الأنبياء : ٨٠]

التفسير:

واختصَّ الله داود عليه السلام بأن علَّمه صناعة الدروع يعملها حِلَقًا متشابكة، تسهِّل حركة الجسم; لتحمي المحاربين مِن وَقْع السلاح فيهم، فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجراها على يد عبده داود؟

قوله تعالى:{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ} [الأنبياء : ٨٠]، أي:" وعلمنا داود صنع الدروع بإلانةِ الحديد له"(٤٠٨٨).

قال قتادة:" كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود"(٤٠٨٩).

القرآن

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١)} [الأنبياء : ٨١]

التفسير:

وسخَّرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومَن معه، تجري بأمره إلى أرض «بيت المقدس» بـ «الشام» التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء.

قوله تعالى:{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً} [الأنبياء : ٨١]، أي:" وسخَّرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومَن معه"(٤٠٩٠).

قال سعيد بن جبير:"كان يُوضَع لسليمان ستمائة ألف كرسي ، فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس ، ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ، ثم يأمر الطير فتظلهم ، ثم يأمر الريح فتحمله صلى الله عليه وسلم"(٤٠٩١).

قال عبد الله بن عُبَيْد بن عمير : "كان سليمان يأمر الريح ، فتجتَمع كالطَّود العظيم ، كالجبل ، ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ، ثم يدعو بفَرَس من ذوات الأجنحة ، فترتفع حتى تصعد على فراشه ، ثم يأمر الريح فترتفع به كُل شَرَف دون السماء ، وهو مطأطئ رأسه ، ما يلتفت يمينا ولا شمالا تعظيمًا لله عز وجل ، وشكرًا لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله تعالى حتى تضعه الريح حيث شاء أن تضعه"(٤٠٩٢).

قوله تعالى:{تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأنبياء : ٨١]، أي:" تجري بأمره إلى أرض «بيت المقدس» بـ «الشام» التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة"(٤٠٩٣).

قال قتادة:" ورث الله سليمان داود، فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين"(٤٠٩٤).

قال وهب:" كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس إلى سريره، وكان امرءا غزاء، قلما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو، أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلت أمر الرخاء، فمدته شهرا في روحته، وشهرا في غدوته إلى حيث أراد، يقول الله عز وجل {فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال ولسليمان الريح غدوها شهر

(٤٠٨٧)أخرجه البخارى (١٩٢٥/٤، رقم ٤٧٦١) ، والترمذى (٦٩٣/٥، رقم ٣٨٥٥) وقال: غريب.
وللحديث أطراف أخرى منها: "إن عبد الله بن قيس"، "لقد أوتى هذا من مزامير آل داود".
(٤٠٨٨) صفوة التفاسير:٢٤٦/٢-٢٤٧.
(٤٠٨٩) أخرجه الطبري:٤٨٠/١٨.
(٤٠٩٠) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤٠٩١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٥٨/٥.
(٤٠٩٢) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٥-٣٥٩.
(٤٠٩٣) التفسير الميسر:٣٢٨.
(٤٠٩٤) أخرجه الطبري:٤٨٢:١٨.

ورواحها شهر}، قال: فذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان، إما من الجن وإما من الإنس، نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيا وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن راحلون منه إن شاء الله قائلون الشام"[٤٠٩٥].

القرآن

{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)} [الأنبياء : ٨٢]

التفسير:

وسخَّرنا لسليمان من الشياطين شياطين يستخدمهم فيما يَعْجِز عنه غيرهم، فكانوا يغوصون في البحر يستخرجون له اللآلئ والجواهر، وكانوا يعملون كذلك في صناعة ما يريده منهم، لا يقدرون على الامتناع مما يريده منهم، حفظهم الله له بقوته وعزه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} [الأنبياء : ٨٢]، أي:" وكنا نحفظهم عن الزيغ عن أمره أو الخروج عن طاعته"[٤٠٩٦].

قال الحسن: "لم يسخر له في هذه الأعمال وفيما يصفد، يجعلهم في السلاسل من الجن، إلا الكفار منهم"[٤٠٩٧].

عن عطية العوفي، قال: "أمر سليمان ببناء بيت المقدس، فقالوا له: زوبعة الشيطان له عين في جزيرة في البحر، يردها كل سبعة أيام يوما. فأتوها، فنزحوها ثم صبوا فيها خمرا. فجاء لورده، فلما أبصر الخمر قال في كلام له: ما علمت أنك إذا شربك صاحبك لمما يظهر عليه عدوه، في أساجع. لا أذوقك اليوم. فذهب ثم رجع لظمأ آخر.فلما رآها قال كما قال أول مرة. ثم ذهب فلم يشرب. ثم جاء لظمأ آخر لإحدى وعشرين ليلة، قال: ما علمت أنك لتذهبين الهم، في سجع له. فشرب منها، فسكر. فجاءوا إليه، فأروه خاتم السخرة فانطلق معهم إلى سليمان. فأمرهم بالبناء، فقال زوبعة: دلوني على بيض الهدهد. فدل على عشه. فأكب عليه جمجمة، يعني زجاجة. فجاء الهدهد فجعل لا يصل إليه، فانطلق، فجاء بالماس الذي يثقب به الياقوت، فوضعه عليها، فقط الزجاجة نصفين، ثم ذهب ليأخذه فأعجزه، فجاءوا بالماس إلى سليمان، فجعلوا يستعرضون الجبال كأنما يخطون في نواحيها في طين"[٤٠٩٨].

القرآن

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)} [الأنبياء : ٨٣]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب، إذ ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده، وفقد أهله وماله وولده، فصبر واحتسب، ونادى ربه عز وجل أني قد أصابني الضر، وأنت أرحم الراحمين، فاكشفه عني.

قوله تعالى:{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ} [الأنبياء : ٨٣]، أي:" واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب حين دعا ربَّه بتضرع وخشوع"[٤٠٩٩].

قال السدي:" وقال أيوب عليه السلام: يا رب، إنك أعطيتني المال والولد، فلم يقم على بابي أحد يشكوني لظلم ظلمته، وأنت تعلم ذلك. وإنه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسي: يا نفس، إنك لم تخلقي لوطئ الفرش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك"[٤١٠٠].

قوله تعالى:{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ} [الأنبياء : ٨٣]، أي:" أني قد أصابني الضر"[٤١٠١].

و«الضر»: المرض ، قاله قتادة[٤١٠٢]، والضحاك[٤١٠٣]، والربيع[٤١٠٤]، وابن جريج[٤١٠٥].

(٤٠٩٥) أخرجه الطبري:١٨/٤٨١-٤٨٢.

(٤٠٩٦) صفوة التفاسير:٢/٢٤٧.

(٤٠٩٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١/٣٣٢.

(٤٠٩٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١/٣٣٢-٣٣٣.

(٤٠٩٩) انظر: صفوة التفاسير:٢/٢٤٩.

(٤١٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٩٤):ص٨/٢٤٥٩.

(٤١٠١) التفسير الميسر:٣٢٨.

(٤١٠٢) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٤):ص٣/٣٥٠.

قال الربيع:" الضراء: في النفس، من وجع أو مرض يصيبه في جسده"[٤١٠٦].

وفي سبب سؤاله العافية، أقوال:

أحدها: أن نفرا من بني إسرائيل مروا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك قال: «مسني الضر» ، قاله نوف البكالي[٤١٠٧].

وقال عبد الله بن عبيد الله بن عمير:" كان لأيوب -عليه السلام- أخوان، فجاءا يوما فلم يستطيعا إن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا؟ فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يخرج من شيء قط، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع، فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار، فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان. الله بعزتك ثم خر ساجدا، ثم قال: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدا حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف عنه"[٤١٠٨].

قلت: وأهل السنة نصوا على أن الأنبياء لا يمرضون أمراضا منفرة تحط من قدرهم وهذا الخبر وأمثاله لو لم يذكرها المفسرون لكان أولى. وإنما اشرت إليه للتنبه. والله أعلم.

الثاني: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله؟! ثم طردها عنه، فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق، خر ساجدا وقال: «مسني الضر» ، قاله الحسن[٤١٠٩].

الثالث: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في عنفوان شبابه: إني مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصب عليه من البلاء ما سمعتم، حتى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أني معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: «مسني الضر». قاله إبراهيم بن شيبان القرميسي[٤١١٠].

الرابع: أن الوحي انقطع عنه أربعين يوما، فخاف هجران ربه، فقال: «مسني الضر» ، حكاه الماوردي عن جعفر الصادق -رحمه الله-[٤١١١].

القرآن

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤)} [الأنبياء : ٨٤]

التفسير:

فاستجبنا له دعاءه، ورفعنا عنه البلاء، ورددنا عليه ما فقده من أهل وولد ومال مضاعفًا، فَعَلْنا به ذلك رحمة منَّا، وليكون قدوة لكل صابر على البلاء، راجٍ رحمة ربه، عابد له.

قوله تعالى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" فاستجبنا دعاءه وتضرعه، وأزلنا ما أصابه من ضر وبلاء"[٤١١٢].

قال وهب بن منبه: "كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه، أنه كان صابرا نعم العبد، قال وهب: إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة من الله والفضيلة عنده، وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه، ثم تلقاه ميكائيل، وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش، وشاع ذلك في الملائكة المقربين، صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السماوات، فإذا صلت عليه ملائكة السماوات، هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض، وكان إبليس لا يحجب بشيء من

(٤١٠٣) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٧):ص٣٥٠/٣.
(٤١٠٤) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٣):ص٣٥٠/٣.
(٤١٠٥) انظر: تفسير الطبري(٢٥٤٦):ص٣٥٠/٣.
(٤١٠٦) اخرجه الطبري(٢٥٤٣):ص٣٥٠/٣.
(٤١٠٧) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.
(٤١٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٩٥):ص٢٤٥٩/٨.
(٤١٠٩) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.
(٤١١٠) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣.
(٤١١١) انظر: النكت والعيون:٤٦٣/٣.
(٤١١٢) صفوة التفاسير:٢٤٩/٢.

السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أرادوا. ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السماوات، حتى رفع الله عيسى ابن مريم، فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السماوات إلى يوم القيامة {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت: {وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا}... إلى قوله (شهابا رصدا}.

قال وهب: فلم يرع إبليس إلا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة، أدركه البغي والحسد، وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه، فقال: يا إلهي، نظرت في أمر عبدك أيوب، فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثم لم تجربه بشدة ولم تجربه ببلاء، وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك وليعبدن غيرك، قال الله تبارك وتعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ماله، فإنه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني، ليس لك سلطان على جسده، ولا على عقله، فانقض عدو الله، حتى وقع على الأرض، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم، وكان لأيوب البشنية من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها، وكان له بها ألف شاة برعاتها وخمس مئة فدان يتبعها خمس مئة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وحمل آلة كل فدان أتان، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، فلما جمع إبليس الشياطين، قال لهم: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإني قد سلطت على مال أيوب، فهي المصيبة الفادحة، والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، قال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار فأحرقت كل شيء آتي عليه، فقال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها، فانطلق يؤم الإبل، وذلك حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفخ منها أرواح السموم، لا يدنو منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها، فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها براعيها، ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي، فقال: يا أيوب، قال: لبيك، قال: هل تدري ما الذي صنع ربك؟ الذي اخترت وعبدت ووحدت بإبلك ورعاتها، قال أيوب: إنها ماله أعارنيه، وهو أولى به إذا شاء نزعه، وقديما ما وطنت نفسي ومالي على الفناء، قال إبليس: وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها، حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها، فتركت الناس مبهوتين، وهم وقوف عليها يتعجبون، منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو فعل الذي فعل ليشمت به عدوه، وليفجع به صديقه، قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني، وحين نزع مني، عريانا خرجت من بطن أمي، وعريانا أعود في التراب، وعريانا أحشر إلى الله، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته، الله أولى بك، وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع ملك الأرواح، فآجرني فيك وصرت شهيدا، ولكنه علم منك شرا فأخرك من أجله، فعراك الله من المصيبة، وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخلاص.

ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم: ماذا عندكم من القوة، فإني لم أكلم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما إذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق يؤم الغنم ورعاتها، حتى إذا وسطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ورعاءها، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الرعاء ، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي، فقال له القول الأول، ورد عليه أيوب الرد الأول، ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه، فقال لهم: ماذا عندكم من القوة، فإني لم أكلم قلب أيوب؟ فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوة إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه، حتى لا أبقي شيئا، قال له إبليس: فأت الفدادين والحرث، فانطلق يؤمهم، وذلك حين قربوا الفدادين وأنشئوا في الحرث، والأتن وأولادها رتوع، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء من ذلك، حتى كأنه لم يكن، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الحرث، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأول، ورد عليه أيوب مثل رده الأول.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله، ولم ينجح منه، صعد سريعا، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه، فقال: يا إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده، فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده؟ فإنها الفتنة المضلة، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، ولا يقوى عليها صبرهم، فقال الله تعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ولده، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده، ولا على عقله، فانقض عدو الله جوادا، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح الجدر

بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجندل، حتى إذا مثل بهم كل مثلة، رفع بهم القصر، حتى إذا أقله بهم فصاروا فيه منكسين، انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه، متغيرا لا يكاد يعرف من شدة التغير، والمثلة التي جاء متمثلا فيها، فلما نظر إليه أيوب هاله، وحزن ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أفلت من حيث أفلت، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عذبوا، وكيف مثل بهم، وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رءوسهم، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم، وتقطر من أشفارهم، ولو رأيت كيف شقت بطونهم، فتناثرت أمعاؤهم، ولو رأيت كيف قذفوا بالخشب والجندل يشدخ دماغهم، وكيف دق الخشب عظامهم، وخرق جلودهم، وقطع عصبهم، ولو رأيت العصب عريانا، ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة، ولو رأيت الجدر تناطح عليهم، ولو رأيت ما رأيت، قطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرققه حتى رق أيوب فبكى، وقبض قبضة من تراب، فوضعها على رأسه، فاغتنم إبليس الفرصة منه عند ذلك، فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رفع إليه من توبة أيوب، فوقف إبليس خازيا ذليلا فقال: يا إلهي، إنما هون على أيوب خطر المال والولد، أنه يرى أنك ما متعته بنفسه، فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليجحدنك نعمتك، قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، ولا على عقله.

فانقض عدو الله جوادا، فوجد أيوب ساجدا، فعجل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قبل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخه اشتعل منها جسده، فترهل، ونبتت به: ثآليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حك بالعظام، وحك بالحجارة الخشنة، وبقطع المسوح الخشنة، فلم يزل يحكه حتى نفد لحمه وتقطع، ولما نغل جلد أيوب وتغير وأنتن، أخرجه أهل القرية، فجعلوه على تل وجعلوا له عريشا، ورفضه خلق الله غير امرأته، فكانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه، فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه، يقال لأحدهم بلدد، وأليفز، وصافر، قال: فانطلق إليه الثلاثة، وهو في بلائه، فبكتوه: فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب صلى الله عليه وسلم: رب لأي شيء خلقتني؟ لو كنت إذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ألقتني أمي، ويا ليتني مت في بطنها، فلم أعرف شيئا ولم تعرفني، ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري، وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي، فالموت كان أجمل بي، فأسوة لي بالسلاطين الذي صفت من دونهم الجيوش، يضربون عنهم بالسيوف بخلا بهم عن الموت، وحرصا على بقائهم، أصبحوا في القبور جاثمين، حتى ظنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز، وطمروا المطامير، وجمعوا الجموع، وظنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون، وعاشوا فيها المئين من السنين، ثم أصبحت خرابا، مأوى للوحوش، ومثنى للشياطين.

قال أليفز التيماني: قد أعيانا أمرك يا أيوب، إن كلمناك فما نرج للحديث منك موضعا، وإن نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء، فذلك علينا، قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا، فإنما يحصد امرؤ ما زرع، ويجزى بما عمل، أشهد على الله الذي لا يقدر قدر عظمته، ولا يحصى عدد نعمه، الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت، ويرفع به الخافض، ويقوي به الضعيف: الذي تضل حكمة الحكماء عند حكمته، وعلم العلماء عند علمه، حتى تراهم من العي في ظلمة يموجون، أن من رجا معونة الله هو القوي، وإن من توكل عليه هو المكفي، هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويداوي.

قال أيوب: لذلك سكت فعضضت على لساني، ووضعت لسوء الخدمة رأسي، لأني علمت أن عقوبته غيرت نور وجهي، وأن قوته نزعت قوة جسدي، فأنا عبده، ما قضى علي أصابني، ولا قوة لي إلا ما حمل علي، لو كانت عظامي من حديد، وجسدي من نحاس، وقلبي من حجارة، لم أطق هذا الأمر، ولكن هو ابتلاني، وهو يحمله عني، أتيتموني غضابا، رهبتم قبل أن تسترهبوا، وبكيتم من قبل أن تضربوا، كيف بي لو قلت لكم: تصدقوا عني بأموالكم، لعل الله أن يخلصني، أو قربوا عني قربانا لعل الله أن يتقبله مني ويرضى عني، إذا استيقظت تمنيت النوم رجاء أن أستريح، فإذا نمت كادت تجود نفسي، تقطعت أصابعي، فإني لأرفع اللقمة من الطعام بيدي جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني، تساقطت لهواتي ونخر رأسي، فما بين أذني

من سداد، حتى إن إحداهما لترى من الأخرى، وإن دماغي ليسيل من فمي، تساقط شعري عني، فكأنما حرق بالنار وجهي، وحدقتاي هما متدليتان على خدي، ورم لساني حتى ملأ فمي، فما أدخل فيه طعاما إلا غصني، وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي، والسفلى ذقني، تقطعت أمعائي في بطني، فإني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل، ما أحسه ولا ينفعني، ذهبت قوة رجلي، فكأنهما قربتا ماء ملئتا، لا أطيق حملهما، أحمل لحافي بيدي وأسناني، فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري، ذهب المال فصرت أسأل بكفي، فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمنها علي ويعيرني، هلك بني وبناتي، ولو بقي منهم أحد أعانني على بلائي ونفعني، وليس العذاب بعذاب الدنيا، إنه يزول عن أهلها، ويموتون عنه، ولكن طوبى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها، ولا يتحولون عن منازلهم، السعيد من سعد هنالك والشقي من شقي فيها.

قال بلدد: كيف يقوم لسانك بهذا القول، وكيف تفصح به، أتقول إن العدل يجور، أم تقول إن القوي يضعف؟ ابك على خطيئتك وتضرع إلى ربك عسى أن يرحمك، ويتجاوز عن ذنبك، وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك، وإن كان قلبك قد قسا فإن قولنا لن ينفعك، ولن يأخذ فيك، هيهات أن تنبت الآجام في المفاوز، وهيهات أن ينبت البردي في الفلاة، من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه، ومن جحد الحق كيف يرجو أن يوفي حقه؟.

قال أيوب: إني لأعلم أن هذا هو الحق، لن يفلج العبد على ربه، ولا يطيق أن يخاصمه، فأي كلام لي معه، وإن كان إلي القوة هو الذي سمك السماء فأقامها وحده، وهو الذي يكشطها إذا شاء فتنطوي له، وهو الذي سطح الأرض فدحاها وحده، ونصب فيها الجبال الراسيات، ثم هو الذي يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها، وإن كان في الكلام، فأي كلام لي معه، من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة، فحشاه السماوات والأرض وما فيهما من الخلق، فوسعه وهو في سعة واسعة، وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله، وأمرها، فلم تعد أمره، وهو الذي يفقه الحيتان والطير وكل دابة، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ويأمرها فتطيعه.

قال أليفز: عظيم ما تقول يا أيوب، إن الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول، إنما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته، مثل هذه الحدة، وهذا القول أنزلك هذه المنزلة، عظمت خطيئتك، وكثر طلابك، وغصبت أهل الأموال على أموالهم، فلبست وهم عراة، وأكلت وهم جياع، وحبست عن الضعيف بابك، وعن الجائع طعامك، وعن المحتاج معروفك، وأسررت ذلك وأخفيته في بيتك، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها، فظننت أن الله لا يجزيك إلا على ما ظهر منك، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء؟.

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن تكلمت لم ينفعني الكلام، وإن سكت لم تعذروني، قد وقع علي كيدي، وأسخطت ربي بخطيئتي، وأشمت أعدائي، وأمكنتهم من عنقي، وجعلتني للبلاء غرضا، وجعلتني للفتنة نصبا، لم تنفسني مع ذلك، ولكن أتبعني ببلاء على إثر بلاء، ألم أكن للغريب دارا، وللمسكين قرارا، ولليتيم وليا، وللأرملة قيما؟ ما رأيت غريبا إلا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره، ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالا مكان ماله وأهلا مكان أهله، وما رأيت يتيما إلا كنت له أبا مكان أبيه، وما رأيت أيما إلا كنت لها قيما ترضى قيامه، وأنا عبد ذليل، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان، لأن المن لربي وليس لي، وإن أسأت فبيده عقوبتي، وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟.

قال أليفز: أتحاج الله يا أيوب في أمره، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ، أو تبرئها وأنت غير بريء؟ خلق السماوات والأرض بالحق، وأحصى ما فيهما من الخلق، فكيف لا يعلم ما أسررت، وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيك به؟ وضع الله ملائكة صفوفا حول عرشه وعلى أرجاء سماواته، ثم احتجب بالنور، فأبصارهم عنه كليلة، وقوتهم عنه ضعيفة، وعزيزهم عنه ذليل، وأنت تزعم أن لو خاصمك، وأدلى إلى الحكم معك، وهل تراه فتناصفه، أم هل تسمعه فتحاوره؟ قد عرفنا فيك قضاءه، إنه من أراد أن يرتفع وضعه، ومن اتضع له رفعه.

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره، لا يرد غضبه شيء إلا رحمته، ولا ينفع عبده إلا التضرع له، قال: رب أقبل علي برحمتك، وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت؟ أو لأي شيء صرفت وجهك الكريم عني، وجعلتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني، ليس يغيب عنك شيء تحصي قطر الأمطار، وورق الأشجار، وذر التراب، أصبح جلدي كالثوب العفن، بأيه أمسكت سقط في يدي، فهب لي قربانا من عندك، وفرجا من بلائي، بالقدرة التي تبعث موتى العباد، وتنشر بها ميت البلاد، ولا

تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي، ولا تفسد عمل يديك، وإن كنت غنيا عني، ليس ينبغي في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجل، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وإنما يعجل من يخاف الفوت، ولا تذكرني خطئي وذنوبي، اذكر كيف خلقتني من طين، فجعلت مضغة، ثم خلقت المضغة عظاما، وكسوت العظام لحما وجلدا، وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة، وربيتني صغيرا، ورزقتني كبيرا، ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك، فإن أخطأت فبين لي، ولا تهلكني غما، وأعلمني ذنبي، فإن لم أرضك فأنا أهل أن تعذبني، وإن كنت من بين خلقك تحصي علي عملي، وأستغفرك فلا تغفر لي، إن أحسنت لم أرفع رأسي، وإن أسأت لم تبلعني ريقي، ولم تقلني عثرتي، وقد ترى ضعفي تحتك، وتضرعي لك، فلم خلقتني، أو لم أخرجتني من بطن أمي، لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك، وليس جسدي يقوم بعذابك، فارحمني وأذقني طعم العافية من قبل أن أصير إلى ضيق القبر وظلمة الأرض، وغم الموت.

قال صافر: قد تكلمت يا أيوب، وما يطيق أحد أن يحبس فمك، تزعم أنك بريء، فهل ينفعك إن كنت بريئا وعليك من يحصي عملك، وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك، هل تعلم سمك السماء كم بعده؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده؟ أم هل تعلم أي الأرض أعرضها؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به؟ أم هل تعلم أي البحر أعمقه؟ أم هل تعلم بأي شيء تحبسه؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه، فإن الله خلقه وهو يحصيه، لو تركت كثرة الحديث، وطلبت إلى ربك رجوت أن يرحمك، فبذلك تستخرج رحمته، وإن كنت تقيم على خطيئتك وترفع إلى الله يديك عند الحاجة وأنت مصر على ذنبك إصرار الماء الجاري في صبب لا يستطاع إحباسه، فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوه الأشرار، وتظلم عيونهم، وعند ذلك يسر بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم، وتقدموا في التضرع، ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها، وهم الذين كابدوا الليل، واعتزلوا الفرش، وانتظروا الأسحار.

قال أيوب: أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم، وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني، وأنا معروف حقي منتصف من خصمي، قاهر لمن هو اليوم يقهرني، يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه ويسألني، فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك، ولكنه يبكي معه، وإن كنت جادا فإن عقلي يقصر عن الذي تسألني عنه، فسل طير السماء هل تخبرك، وسل وحوش الأرض هل ترجع إليك؟ وسل سباع البرية هل تجيبك؟ وسل حيتان البحر هل تصف لك كل ما عددت؟ تعلم أن صنع هذا بحكمته، وهيأه بلطفه. أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه، وما طعم بفيه، وما شم بأنفه، وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه، له الحكمة والجبروت، وله العظمة واللطف، وله الجلال والقدرة، إن أفسد فمن ذا الذي يصلح؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يفصح؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه، وإن أذن لها ابتلعت الأرض، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه، وتطيش العلماء عند علمه، وتعيا الحكماء عند حكمته، ويخسأ المبطلون عند سلطانه، هو الذي يذكر المنسي، وينسى المذكور، ويجري الظلمات والنور، هذا علمي، وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي، وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي.

قال بلدد: إن المنافق يجزى بما أسر من نفاقه، وتضل عنه العلانية التي خادع بها، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها، ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة، ويوحش سبيله، وتوقعه في الأحبولة سريرته، وينقطع اسمه من الأرض، فلا ذكر فيها ولا عمران، لا يرثه ولد مصلحون من بعده، ولا يبقى له أصل يعرف به، ويبهت من يراه، وتقف الأشعار عند ذكره.

قال أيوب: إن أكن غويا فعلي غواي، وإن أكن بريا فأي منعة عندي، إن صرخت فمن ذا الذي يصرخني، وإن سكت فمن ذا الذي يعذرني، ذهب رجائي وانقضت أحلامي، وتنكرت لي معارفي؛ دعوت غلامي، فلم يجبني، وتضرعت لأمتي فلم ترحمني، وقع علي البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي، انظروا وابهتوا من العجائب التي في جسدي، أما سمعتم بما أصابني، وما شغلكم عني ما رأيتم بي، لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سماواته، وألقاني هاهنا، وهنت عليه، لا هو عذرني بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمعه، ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلى لي لذابت كليتاي، وصعق روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي، ونزع الهيبة مني، علمت بأي ذنب عذبني، نودي فقيل: يا أيوب، قال: لبيك، قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار في فم الأسد، والسخال في فم العنقاء، واللحم في فم التنين، ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرة من الشمس، ويرد أمس لغد، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك

ودعتك إليه تذكرت أي مرام رام بك، أردت أن تخاصمني بغيك؟ أم أردت أن تحاجيني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمر بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل ماء الأرض؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال، هل لك من ذراع تطيق حملها، أم هل تدري كم مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب، وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أي شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل؟ وأين طريق النور؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزانة الريح، كيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار، ومن ذلت الملائكة لملكه، وقهر الجبارين بجبروته، وقسم أرزاق الدواب بحكمته، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معايشها، وعطفها على أفراخها، من أعتق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلطين، أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير، وأولاد الدواب لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت مكانه في منقطع التراب، والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤوسهما، كأنها آكام الحبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكأن جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أأنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السحاب، عيناه توقدان نارا، ومنخراه يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخله الهموم، تمر به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل [زبر] الحديد عنده مثل التين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من النشاب، ولا يحس وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كل شيء يمر به ملك الوحوش، وإياه آثرت بالقوة على خلقي، هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه، أو واضع اللجام في شدقه، أتظنه يوفي بعهدك، أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره، أم هل تدري أجله، أو تفوت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى؟

قال أيوب -صلى الله عليه وسلم-: قصرت عن هذا الأمر الذي تعرض لي، ليت الأرض انشقت بي، فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع علي البلاء، إلهي حملتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية، ولا تغيب عنك غائبة، من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا، فأما الآن فهو بصر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي، وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، ودست وجهي لصغاري، وسكت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك غضبي، إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صحابتك قربانا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك"[٤١١٣].

وأعلم أيها القاريء بأن هذا الخبر بطوله، من أساطير الإسرائيليين وافتراءاتهم، فإن علماء العقيدة قد نصوا على أن الأنبياء لا يمرضون أمراضا منفرة تحط من قدرهم، فتنبه والله أعلم.

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" ورددنا عليه ما فقده من أهل وولد ومال مضاعفًا"[٤١١٤].

واختلف في الأهل الذي ذكر الله في قوله: {وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [الأنبياء : ٨٤]، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة. قاله عكرمة[٤١١٥]، ومجاهد-في رواية[٤١١٦].

قال ليث: "أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب {وآتيناه أهله ومثلهم معهم}، فقال: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب"[٤١١٧].

قال مجاهد:" قيل له: إن شئت أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا"[٤١١٨].

الثاني: أنهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا، إذ ردهم إليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم. وهذا قول الحسن-في رواية-[٤١١٩]، وقتادة[٤١٢٠]، ومجاهد –في رواية أخرى[٤١٢١].

قال مجاهد:" أحياهم بأعيانهم، ورد إليه مثلهم"[٤١٢٢].

قال الحسن وقتادة: "أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم"[٤١٢٣].

الثالث: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه. وهذا قول الحسن-في رواية أخرى-[٤١٢٤].

قوله تعالى:{رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء : ٨٤]، أي:" فَعَلْنا به ذلك رحمة منَّا وتذكرة لغيره من العابدين ليصبوا كما صبر"[٤١٢٥].

قال كعب القرظي:" أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء"[٤١٢٦].

واختلف في مدة إقامة النبي أيوب-عليه السلام- في البلاء، على أربعة أقوال:

أحدها: كانت مدة البلاء ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم[٤١٢٧].

(٤١١٣) أخرجه الطبري:١٨/٤٨٣-٤٩٣. وهذه القصة من الإسرائيليات المروية عن وهب بن منبه أوردها المفسرون.
وانظر سفر أيوب الأصحاح الأول والثاني والثالث.

(٤١١٤) التفسير الميسر:٣٢٩.

(٤١١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٠٦.

(٤١١٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٠٦.

(٤١١٧) أخرجه الطبري:١٨/٥٠٦.

(٤١١٨) أخرجه الطبري:١٨/٥٠٦-٥٠٧.

(٤١١٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٠٧.

(٤١٢٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٠٧.

(٤١٢١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٠٦.

(٤١٢٢) أخرجه الطبري:١٨/٥٠٦.

(٤١٢٣) أخرجه الطبري:١٨/٥٠٧.

(٤١٢٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٠٧.

(٤١٢٥) صفوة التفاسير:٢/٢٤٩.

(٤١٢٦) أخرجه الطبري:١٨/٥٠٧.

(٤١٢٧)غريب. أخرجه البزار ٢٣٥٧ «كشف» وأبو يعلى ٣٦١٧ وابن حبان ٢٨٩٨ والحاكم ٢/ ٥٨١ والطبراني «الطوال» ٤٠ وأبو نعيم ٣/ ٣٧٤- ٣٧٥ من حديث أنس، ورجاله رجال البخاري ومسلم، وقال الحاكم على شرطهما!، ووافقه الذهبي.

الثاني ثلاثين سنة. قاله وهب[٤١٢٨].
الثالث: سبع سنين وستة أشهر. قاله الحسن[٤١٢٩].

القرآن
{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)} [الأنبياء : ٨٥]
التفسير:
واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل.
قوله تعالى:{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ} [الأنبياء : ٨٥]، أي:" واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل"[٤١٣٠].
وفي قوله تعالى: {وَذَا الْكِفْلِ}[الأنبياء : ٨٥]، قولان:
أحدهما: أنه لم يكن نبيا، ولكنه كان عبدا صالحا، قاله مجاهد[٤١٣١].
قال مجاهد:" لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس، فقال: من يتقبل لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، قال: فقام رجل تزدريه العين، فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم، قال: فردهم ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل، فقال: أنا، فاستخلفه، قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان، فأعياهم، فقال: دعوني وإياه، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة، فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقص عليه، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا، فجعل يطول عليه، حتى حضر الرواح، وذهبت القائلة، وقال: إذا رحت فأتني آخذ لك بحقك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرى الشيخ، فلم يره، فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة، فأخذ مضجعه، أتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم، ففتح له، فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأتني، فقال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد، قالوا نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلق فإذا رحت فأتني، قال: ففاتته القائلة، فراح فجعل ينظر فلا يراه، فشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام، فإني قد شق علي النوم، فلما كان تلك الساعة جاء، فقال له الرجل وراءك، فقال: إني قد أتيته أمس فذكرت له أمري، قال: والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت، فتسور منها، فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب، قال: واستيقظ الرجل فقال: يا فلان، ألم آمرك؟ قال: أما من قبلي والله فلم تؤت، فانظر من أين أتيت، قال: فقام إلى الباب، فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا هو معه في البيت، فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال: نعم أعييتني في كل شيء، ففعلت ما ترى لأغضبك، فسماه: ذا الكفل، لأنه تكفل بأمر فوفى به"[٤١٣٢].
وعن عبد الله بن الحارث: "أن نبيا من الأنبياء، قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس: ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: تقوم الليل، وتصوم النهار، ولا تغضب فمات ذلك النبي، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس، فكان لا يغضب، فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل، فضرب الباب ضربا شديدا، فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة، فأرسل معه رجلا فقال: لا أرضى

وقال الهيثمي ١٣٨٠٠: رجال البزار رجال الصحيح اه. وقال أبو نعيم: غريب من حديث الزهري لم يروه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم. ومع ذلك استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٣٩، وانظر: «البداية والنهاية» ١/ ٢٢٢- ٢٢٣.
(٤١٢٨) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٢٧/١١.
(٤١٢٩) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٢٧/١١.
(٤١٣٠) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٤١٣١) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١٨.
(٤١٣٢) أخرجه الطبري:٥٠٨/١٨-٥٠٩.

بهذا الرجل، فأرسل معه آخر، فقال: لا أرضى بهذا، فخرج إليه فأخذ بيده، فانطلق معه، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب، فسمي ذا الكفل"[٤١٣٣].

القول الثاني: أنه كان نبيا، قاله الحسن[٤١٣٤]، وعطاء[٤١٣٥].

قال عطاء: "أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسمي: ذا الكفل"[٤١٣٦].

وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفل: «أنه كان رجلا لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائبا، ومات من ليلته، فأصبح مكتوبا على بابه: قد غفر الله للكفل»[٤١٣٧].

قال ابن الجوزي:" فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا، وإذا قلنا: إنه نبي، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر، فوافقني، وقال: ليس هذا بذاك"[٤١٣٨].

القرآن

{وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)} [الأنبياء : ٨٦]

التفسير:

وأدخلناهم في رحمتنا، إنهم ممن صلح باطنه وظاهره، فأطاع الله وعمل بما أمره به.

قوله تعالى:{وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا} [الأنبياء : ٨٦]، أي:" أدخلناهم بصبرهم وصلاحهم الجنة دار الرحمة والنعيم"[٤١٣٩].

قال الحسن: "أدخلناهم في رحمتنا وهي الجنة"[٤١٤٠].

القرآن

(٤١٣٣) أخرجه الطبري:٥٠٨/١٨.

(٤١٣٤) انظر: النكت والعيون:٤٦٤/٣، وزاد المسير:٢٠٧/٣.

(٤١٣٥) انظر: زاد المسير:٢٠/٣-٢٠٨.

(٤١٣٦)زاد المسير:٢٠/٣-٢٠٨.

(٤١٣٧) تفسير الثعلبي:٢٩٩/٦، والحديث ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٤٩٦ وأحمد ٢/ ٢٣ والحاكم ٤/ ٢٥٤ ح ٧٦٥١ من حديث ابن عمر. صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وكذا صححه أحمد شاكر في «المسند» ! مع أن مداره على سعد مولى طلحة، وهو مجهول كما في «التقريب» .

وأخرجه ابن حبان ٣٨٧ عن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهذا إسناد ظاهره الحسن، لكنه معلول. وقال الترمذي عقب روايته: حديث حسن، ورواه غير واحد عن الأعمش فرفعوه.

ورواه بعضهم فلم يرفعه، ورواه أبو بكر بن عياش فأخطأ فيه، فقال: عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو غير محفوظ اه. وهو كما قال الترمذي رحمه الله. وهذا الحديث إنما يعرف بسعد مولى طلحة، وهو مجهول. وهناك علة أخرى، وهي الاضطراب في المتن. ففي «مسند أحمد» و «سنن الترمذي» و «المستدرك» ، «كان الكفل» ، وعند ابن حبان «كان ذو الكفل» وعند ابن حبان «سمعته أكثر من عشرين مرة» وعند غيره «سبع مرات» وهذه الرواية تدل على وهنه. فلو كرره النبي صلى الله عليه وسلم عشرين مرة أو سبع مرات لرواه عدد من الصحابة. ولحمله جماعة من التابعين. كيف ولم يروه سوى رجل مجهول. فالخبر واه، وقد استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٤١ لكنه ذكر أنه لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة، والصواب أن الترمذي قد رواه كما تقدم. وقال الحافظ ابن كثير في «تاريخه» ١/ ٢٢٦: غريب جدا. وفي إسناده نظر، فإن سعدا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد. ووثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله الرازي اه. وقد ورد نحو هذه القصة في خبر الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار. ومما يدل على وهن هذا الحديث أن الكفل هذا أو «ذا الكفل» مات في الليلة التي تاب فيها، فكيف ذلك والآية وصفت إياه بالصبر؟! فتنبه والله أعلم.

(٤١٣٨) زاد المسير:٢٩٨/٣.

(٤١٣٩) صفوة التفاسير:٢٥٠/٢.

(٤١٤٠) حكاه عنه الماتريدي في تأويلات أهل السنة:٣٦٨/٧.

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)} [الأنبياء : ٨٩ - ٩٠]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كَبرت سنُّه قائلا رب لا تتركني وحيدًا لا عقب لي، هب لي وارثًا يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي، وأنت خير الباقين وخير مَن خلفني بخير، فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقرًا، إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير، ويدعوننا راغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا، وكانوا لنا خاضعين متواضعين.

قوله تعالى:{وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقرًا"[٤١٤١].

قال سعيد بن جبير:" كانت لا تلد"[٤١٤٢].

قال قتادة:" كانت عاقرا فجعلها الله ولودا ووهب له منها يحيي"[٤١٤٣].

وقال محمد بن كعب القرظي:" كان في خلقها شيء"[٤١٤٤].

قال عطاء:" كان في خلقها سوء وفي لسانها طول وهو البذاء، فأصلح الله ذلك منها"[٤١٤٥].

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير، ويدعوننا راغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا"[٤١٤٦].

عن ابن جريج قوله: "{ويدعوننا رغبا ورهبا}، قال: رغبا: طمعا وخوفا، وليس ينبغي لأحدهما إن يفارق الآخر"[٤١٤٧].

قوله تعالى:{وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء : ٩٠]، أي:" وكانوا لنا خاضعين متواضعين"[٤١٤٨].

عن قتادة: قوله: "{وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}، قال: أذلاء"[٤١٤٩].

قال الحسن:" الخشوع الخوف الدايم في القلب"[٤١٥٠].

عن عبد الله بن حكيم، قال: "خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: {إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين}"[٤١٥١].

القرآن

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١)} [الأنبياء : ٩١]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحرام، ولم تأتِ فاحشة في حياتها، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فخلق الله بذلك النفخ المسيح عيسى عليه السلام، فحملت به من غير زوج، فكانت هي وابنها بذلك علامة على قدرة الله، وعبرة للخلق إلى قيام الساعة.

(٤١٤١) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٤١٤٢) أخرجه الطبري:٥٢٠/١٨.
(٤١٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٧):ص٢٤٦٥/٨.
(٤١٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٦):ص٢٤٦٥/٨.
(٤١٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٥):ص٢٤٦٥/٨.
(٤١٤٦) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٤١٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧١٨):ص٢٤٦٦/٨.
(٤١٤٨) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٤١٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧١٧):ص٢٤٦٥/٨.
(٤١٥٠)تفسير سفيان الثوري(٦٥١: ٢٦: ١٤):ص٢٠٥ .
(٤١٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧١٩):ص٢٤٦٦/٨.

قوله تعالى:{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} [الأنبياء : ٩١]، أي:" واذكر - أيها الرسول - قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحرام فأمرنا جبريل فنفخ في فتحة درعها - قميصها - فدخلت النفخة إلى جوفها فحملت بعيسى"(٤١٥٢).

قال قتادة:" نفخ في جيبها"(٤١٥٣).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء : ٩١]، أي:" وجعلنا مريم مع ولدها عيسى علامةً وأعجوبة للخلق تدل عدرتنا الباهرة ليعتبر بها الناس"(٤١٥٤).

قال قتادة: "يقول: خلق لا والد له، آية، ووالدته ولدته من غير رجل، آية"(٤١٥٥).

القرآن

{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)} [الأنبياء : ٨٧]

التفسير:

واذكر قصة صاحب الحوت، وهو يونس بن مَتَّى عليه السلام، أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعَّدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج مِن بينهم غاضبًا عليهم، ضائقًا صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر، فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه; لتركه الصبر على قومه، قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين.

قوله تعالى:{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا} [الأنبياء : ٨٧]، أي:" واذكر قصة صاحب الحوت، حين خرج من بلده مغاضباً لقومه إذ كان يدعوهم إلى الإيمان فيكفرون حتى أصابه ضجر منهم فخرج عنهم"(٤١٥٦).

وفي قوله تعالى:{إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا} [الأنبياء : ٨٧]، وجوه:

أحدها : مغاضباً عن قومه ، قاله الحسن(٤١٥٧)، والضحاك(٤١٥٨).

الثاني : مغاضباً لربه ، إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه. قاله الشعبي(٤١٥٩).

الثالث: إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه، ويدعوهم إليه، فسأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له: الأمر أسرع من ذلك، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها، فقيل له نحو القول الأول، وكان رجلا في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا. وهذا قول الحسن(٤١٦٠).

قوله تعالى:{فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} [الأنبياء : ٨٧]، أي:" فظنَّ يونس أنْ لن نضيّق عليه بالعقوبة"(٤١٦١).

وفي قوله تعالى:{فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} [الأنبياء : ٨٧]، أربعة وجوه من التفسير:

أحدها : ظن أن لن نقضي عليه العقوبة. قاله قتادة(٤١٦٢).

الثاني: فظن أن لن نعاقبه بما صنع، قاله قتادة-أيضا- (٤١٦٣)، ومجاهد(٤١٦٤)، والضحاك(٤١٦٥).

(٤١٥٢) صفوة التفاسير:٢/٢٥١.

(٤١٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢١):ص٨/٢٤٦٦.

(٤١٥٤) صفوة التفاسير:٢/٢٥١.

(٤١٥٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١/٣٤٠.

(٤١٥٦) انظر: صفوة التفاسير:٢/٢٥٠.

(٤١٥٧) انظر: النكت والعيون:٣/٤٦٥.

(٤١٥٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٠٤):ص٨/٢٤٦٣.

(٤١٥٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥١٢.

(٤١٦٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥١٣.

(٤١٦١) صفوة التفاسير:٢/٢٥٠.

(٤١٦٢) تفسير عبدالرزاق(١٨٨٣):ص٢/٣٩٠.

(٤١٦٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥١٤.

(٤١٦٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥١٤.

قال مجاهد:" فظن أن لن نعاقبه بذنب"[٤١٦٦].

وقال قتادة:" فظن أن لن نعاقبه بما صنع، وبلغنا أن يونس دعا قومه زمانا إلى الله عز وجل، فلما طال ذلك وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا. فلما دنا الوقت تنحى عنهم، فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول: غدا يأتيكم العذاب. فسمعه رجل منهم، فانطلق إلى الملك فأخبره أنه سمع يونس يبكي ويقول: غدا يأتيكم العذاب. فلما سمع ذلك الملك دعا قومه، فأخبرهم بذلك وقال: إن كان هذا حقا فسيأتيكم العذاب غدا، فاجتمعوا حتى ننظر في أمرنا. فاجتمعوا، فخرجوا من المدينة من الغد، فنظروا فإذا بظلمة وريح شديدة قد أقبلت نحوهم. فعلموا أنه الحق، ففرقوا بين الصبيان وبين أمهاتهم، وبين البهائم وبين أمهاتها، ولبسوا الشعر، وجعلوا الرماد والتراب على رءوسهم تواضعا لله وتضرعوا إليه، وبكوا، وآمنوا. فصرف الله عنهم العذاب. واشترط بعضهم على بعض ألا يكذب منهم أحد كذبة إلا قطعوا لسانه. فجاء يونس من الغد، فنظر فإذا المدينة على حالها، وإذا الناس داخلون وخارجون. فقال: أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم فلم يأتهم، فكيف ألقاهم؟ فانطلق حتى انتهى إلى ساحل البحر، فإذا سفينة في البحر، فأشار إليهم، فأتوه، فحملوه ولا يعرفونه. فانطلق إلى ناحية من السفينة، فتقنع ورقد. فما مضى إلا قليلا حتى جاءتهم ريح كادت تغرق السفينة. فاجتمع أهل السفينة، فدعوا الله ثم قالوا: أيقظوا الرجل يدعو الله معنا ففعلوا. فدعا الله معهم، فرفع الله تبارك وتعالى عنهم تلك الريح. ثم انطلق إلى مكانه فرقد. فجاءت ريح كادت السفينة تغرق. فأيقظوه ودعوا الله، فارتفعت الريح. ثم انطلق إلى مكانه فرقد. فجاءت ريح كادت السفينة تغرق، فأيقظوه ودعوا الله، فارتفعت. فتفكر العبد الصالح يونس فقال: هذا من خطيئتي أو قال: من ذنبي أو كما قال. فقال لأهل السفينة: شدوني وثاقا وألقوني في البحر. فقالوا: ما كنا لنفعل وحالك حالك، ولكنا نقترع، فمن أصابته القرعة ألقيناه في البحر. فاقترعوا، فأصابته القرعة، فقال: قد أخبرتكم، فقالوا: ما كنا لنفعل ولكن اقترعوا الثانية، فاقترعوا، فأصابته القرعة. ثم اقترعوا الثالثة فأصابته القرعة وهو قوله عز وجل: {فساهم فكان من المدحضين} [الصافات: ١٤١] أي: من المقروعين. ويقال: من المسهومين، يعني أنه وقع السهم عليه. فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي نفسه في البحر، فإذا هو بحوت فاتح فاه، ثم انطلق إلى ذنب السفينة، فإذا هو بالحوت فاتح فاه، ثم جاء إلى جانب السفينة، فإذا هو بالحوت فاتح فاه، ثم جاء إلى الجانب الآخر، فإذا هو بالحوت فاتح فاه، فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر، فالتقمه الحوت. فأوحى الله تبارك وتعالى إلى الحوت: إني لم أجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له سجنا. فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة"[٤١٦٧].

والصواب، أن المعنى: فظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه، لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك[٤١٦٨].

وروي عن عوف سعيد بن أبي الحسن، قال: "بلغني أن يونس لما أصاب الذنب، انطلق مغاضبا لربه، واستزله الشيطان، حتى ظن أن لن نقدر عليه، قال: وكان له سلف وعبادة وتسبيح، فأبى الله أن يدعه للشيطان، فأخذه فقذفه في بطن الحوت، فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم، فأمسك الله نفسه فلم يقتله هناك، فتاب إلى ربه في بطن الحوت، وراجع نفسه، قال: فقال: {سبحانك إني كنت من الظالمين}، قال: فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته، بما كان سلف من العبادة والتسبيح، فجعله من الصالحين، قال عوف: وبلغني أنه قال في دعائه: وبنيت لك مسجدا في مكان لم يبنه أحد قبلي"[٤١٦٩].

وعن إياس بن معاوية المدني :"أنه كان إذا ذكر عنده يونس، وقوله {فظن أن لن نقدر عليه}، يقول إياس: فلم فر؟"[٤١٧٠].

قوله تعالى:{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء : ٨٧]، أي:" فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه; لتركه الصبر على قومه، قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين"[٤١٧١].

(٤١٦٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٨.
(٤١٦٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٢٤):ص١٣٩/١.
(٤١٦٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٣٥/١-٣٣٧.
(٤١٦٨) تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٤١٦٩) أخرجه الطبري:٥١٥/١٨.
(٤١٧٠) أخرجه الطبري:٥١٥/١٨.

محمد بن قيس: قوله :"{لا إله إلا أنت سبحانك}، ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك، {إني كنت من الظالمين}، حين عصيتك"[٤١٧٢].

قال عوف الأعرابي: "لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات، ثم حرك رجله، فلما تحركت سجد مكانه، ثم نادى: يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع ما اتخذه أحد"[٤١٧٣].

وفي قوله تعالى:{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ} [الأنبياء : ٨٧]، قولان:

أحدهما : أنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، قاله قتادة[٤١٧٤]، وعمرو بن ميمون[٤١٧٥]، وابن جريج[٤١٧٦]، ومحمد بن كعب[٤١٧٧].

الثاني : أنها ظلمة الحوت في بطن الحوت ، قاله سالم بن أبي الجعد[٤١٧٨].

قال سالم بن أبي الجعد:" أوحى الله إلى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما، ثم ابتلع الحوت حوت آخر، قال: {فنادى في الظلمات}، قال: ظلمة الحوت، ثم حوت، ثم ظلمة البحر"[٤١٧٩].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات :{أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين}، ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات: بطن الحوت، وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، وجائز أن تكون تلك الثالثة: ظلمة الليل، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل[٤١٨٠].

القرآن

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)} [الأنبياء : ٨٨]

التفسير:

فاستجبنا له دعاءه، وخلَّصناه مِن غَم هذه الشدة، وكذلك ننجي المصدِّقين العاملين بشرعنا.

قوله تعالى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ} [الأنبياء : ٨٨]، أي:" فاستجبنا له دعاءه وخلَّصناه مِن غَم هذه الشدة"[٤١٨١].

قال الحسن:" وكان له سلف من عبادة وتسبيح، فتداركه الله بها فلم يدعه للشيطان"[٤١٨٢].

قال سعيد بن أبي الحسن:" فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم"[٤١٨٣].

وقال الشعبي : "[لبث في بطن الحوت] أربع ساعات ، ثم فتح الحوت فاه فرأى يونس ضوء الشمس ، فقال : سبحانك إني كنت من الظالمين ، فلفظه الحوت"[٤١٨٤].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء : ٨٨]، أي:" وكذلك ننجي المصدِّقين العاملين بشرعنا"[٤١٨٥].

(٤١٧١) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٤١٧٢) أخرجه الطبري:٥١٧/١٨-٥١٨.
(٤١٧٣) أخرجه الطبري:٥١٨/١٨.
(٤١٧٤) انظر: تفسير الطبري:٥١٧/١٨.
(٤١٧٥) انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٤١٧٦) انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٤١٧٧) انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٨.
(٤١٧٨) انظر: تفسير الطبري:٥١٧/١٨.
(٤١٧٩) أخرجه الطبري:٥١٧/١٨.
(٤١٨٠) تفسير الطبري:٥١٧/١٨.
(٤١٨١) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٤١٨٢) أخرجه الطبري: ٥١٥/١٨.
(٤١٨٣) أخرجه الطبري: ٥١٥/١٨.
(٤١٨٤) انظر: النكت والعيون:٤٦٨/٣.
(٤١٨٥) التفسير الميسر:٣٢٩.

عن كثير بن معبد، قال: "سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد، اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى؟ قال: ابن أخي أما تقرأ القرآن؟ قول الله: {وذا النون إذ ذهب مغاضبا}، إلى قوله: {المؤمنين}، ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى"(٤١٨٦).

عن سعد بن مالك، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، دعوة يونس بن متى، قال: فقلت: يا رسول الله، هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هي ليونس بن متى خاصة، وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى :{فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين}،فهو شرط الله لمن دعاه بها"(٤١٨٧).

عن سعد ابن أبي وقاص - قال : "مررت بعثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، في المسجد ، فسلمت عليه ، فملأ عينيه مني ثم لم يَرُدُدْ عليّ السلام ، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت : يا أمير المؤمنين ، هل حدث في الإسلام شيء ؟ مرتين ، قال : لا وما ذاك ؟ قلت : لا إلا أني مررتُ بعثمان آنفا في المسجد ، فسلمت عليه ، فملأ عينيه مني ، ثم لم يَرْدُد علي السلام. قال : فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه ، فقال : ما منعك ألا تكون رَدَدت على أخيك السلام ؟ قال : ما فعلتُ. قال سعد : قلتُ : بلى حتى حلفَ وحلفت ، قال : ثم إن عثمان ذكرَ فقال : بلى ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، إنك مررت بي آنفا وأنا أحدّث نفسي بكلمة سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ما ذكرتها قط إلا تَغْشَى بصري وقلبي غشَاوة. قال سعد : فأنا أنبئك بها ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله ، حتى قَام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته ، فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض ، فالتفت إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : "من هذا ؟ أبو إسحاق ؟" قال : قلت : نعم ، يا رسول الله. قال : "فمه ؟" قلت : لا والله ، إلا أنك ذكرتَ لنا أول دعوة ، ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك. قال : "نعم ، دعوةُ ذي النون ، إذ هو في بطن الحوت : { لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ، فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له"(٤١٨٨).

القرآن

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)} [الأنبياء : ٩٢]

التفسير:

هؤلاء الأنبياء جميعًا دينهم واحد، الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة وإفراده بالعبادة، والله سبحانه وتعالى رب الخلق فاعبدوه - أيها الناس - وحده لا شريك له.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [الأنبياء : ٩٢]، أي:" هؤلاء الأنبياء جميعًا دينهم واحد، الإسلام، وهو الاستسلام لله بالطاعة وإفراده بالعبادة"(٤١٨٩).

قال قتادة:" أي: دينكم دين واحد، وربكم واحد والشريعة مختلفة"(٤١٩٠).

قال السدي: "{إن هذه أمتكم}:يعني ملتكم، {أمة واحدة} : يعني ملة واحدة: الإسلام"(٤١٩١).

القرآن

{وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣)} [الأنبياء : ٩٣]

التفسير:

لكن الناس اختلفوا على رسلهم، وتفرَّق كثير من أتباعهم في الدين شيعًا وأحزابًا، فعبدوا المخلوقين والأهواء، وكلهم راجعون إلينا ومحاسبون على ما فعلوا.

(٤١٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧١٤):ص٢٤٦٥/٨.

(٤١٨٧) أخرجه الطبري:٥١٩/١٨.

(٤١٨٨)المسند (١٧٠/١) وسنن الترمذي برقم (٣٥٠٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٤٩٢).

(٤١٨٩) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٤١٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٣):ص٢٤٦٦/٨.

(٤١٩١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٠/١.

قوله تعالى:{وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} [الأنبياء : ٩٣]، أي:" لكن الناس اختلفوا على رسلهم، وتفرَّق كثير من أتباعهم في الدين شيعًا وأحزابًا"[٤١٩٢].

قال السدي: " تفرقوا دينهم الإسلام الذي أمروا به فدخلوا في غيره"[٤١٩٣].

القرآن

{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)} [الأنبياء : ٩٥]

التفسير:

وممتنع على أهل القرى التي أهلكناها بسبب كفرهم وظلمهم، رجوعهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة; ليستدركوا ما فرطوا فيه.

وفي تفسير هذه الآية، وجهان:

أحدهما : معناه: حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة، وهو قول عكرمة[٤١٩٤].

عن عكرمة: "«وحرم»، قال: وجب {على قرية أهلكناها} قال: كتبنا عليها الهلاك في دينها {أنهم لا يرجعون} عما هم عليه"[٤١٩٥].

عن عكرمة: "{وحرم}، قال: وجب بالحبشية"[٤١٩٦].

الثاني : وحرام على قرية أهلكناها بالعذاب أنهم لا يرجعون إلى الدنيا ، وهذا قول الحسن[٤١٩٧]، وقتادة[٤١٩٨].

قال قتادة:" أي" وجب عليها أنها إذا هلكت لا ترجع إلى دنياها"[٤١٩٩].

والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى بالصواب، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بعث به إليهم الرسل، ثم أخبر عن صنيعه بمن عم بما دعته إليه رسله من الإيمان به والعمل بطاعته، ثم أتبع ذلك قوله: {وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون}، فلأن يكون ذلك خبرا عن صنيعه بمن أبى إجابة رسله وعمل بمعصيته، وكفر به، أحرى، ليكون بيانا عن حال القرية الأخرى التي لم تعمل الصالحات وكفرت به [٤٢٠٠].

القرآن

{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)} [الأنبياء : ٩٦ - ٩٧]

التفسير:

فإذا فُتِح سد يأجوج ومأجوج، وانطلقوا من مرتفعات الأرض وانتشروا في جنباتها مسرعين، دنا يوم القيامة وبدَتْ أهواله فإذا أبصار الكفار مِن شدة الفزع مفتوحة لا تكاد تَطْرف، يدعون على أنفسهم بالويل في حسرة: يا ويلنا قد كنا لاهين غافلين عن هذا اليوم وعن الإعداد له، وكنا بذلك ظالمين.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ} [الأنبياء : ٩٦]، أي:" حتى إذا فتح سدُّ يأجوج ومأجوج"[٤٢٠١].

قال ابن جريج:" أمتان من وراء ردم ذي القرنين"[٤٢٠٢].

قال ألو العالية:" إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضعف، وإن الجن يزيدون على الإنس الضعف، وإن يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج"[٤٢٠٣].

(٤١٩٢) التفسير الميسر:٣٩٠.

(٤١٩٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٠/١.

(٤١٩٤) انظر: تفسير الطبري:٥٢٥/١٨.

(٤١٩٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦٧٢/٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤١٩٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٦):ص٢٤٦٧/٨.

(٤١٩٧) انظر: النكت والعيون:٤٧٠/٣.

(٤١٩٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٢٧):ص٢٤٦٧/٨.

(٤١٩٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٢٧):ص٢٤٦٧/٨.

(٤٢٠٠) تفسير الطبري:٥٢٥/١٨-٥٢٦.

(٤٢٠١) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.

(٤٢٠٢) أخرجه الطبري:٥٢٩/١٨.

قال عمرو البكالي: "إن الله جزأ الملائكة والإنس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون وهم الملائكة الذي يحملون العرش، ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، قال: ومن بقي من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته، ثم جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء، فتسعة منهم الجن، لا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة، ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج، وسائر الإنس جزء"(٤٢٠٤).

عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: "رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج"(٤٢٠٥).

قال كعب:"إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل قالوا: نجيء غدا فنخرج، فيعيدها الله كما كانت، فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان، فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول: نجيء غدا فنخرج إن شاء الله، فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه، فيحفرون ثم يخرجون، فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها، ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان ههنا مرة ماء - وتفر الناس منهم، فلا يقوم لهم شيء، يرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: غلبنا أهل الأرض وأهل السماء، فيدعو عليهم عيسى ابن مريم، فيقول: اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم، فاكفناهم بما شئت، فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف، فتفرس رقابهم، ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الأرض منهم وتنبتها، حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن، قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت، قال: فبينا الناس كذلك، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده، فيبعث عيسى طليعة سبع مائة، أو بين السبع مائة والثمان مائة، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن، ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم، فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع، فمن تكلف بعد قولي هذا شيئا أو على هذا شيئا فهو المتلكف"(٤٢٠٦).

قوله تعالى:{وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [الأنبياء : ٩٦]، أي:" وهم لكثرتهم من كل مرتفع من الأرض ومن كل أكمة وناحية يسرعون للنزول"(٤٢٠٧).

قال قتادة:" من كل أكمة"(٤٢٠٨).

قال مجاهد:" جمع الناس من كل مكان جاءوا منه يوم القيامة، فهو حدب"(٤٢٠٩).

القرآن

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)} [الأنبياء : ٩٨]

التفسير:

إنكم - أيها الكفار - وما كنتم تعبدون من دون الله من الأصنام ومَن رضي بعبادتكم إياه من الجن والإنس، وقود جهنم وحطبها، أنتم وهم فيها داخلون.

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء : ٩٨]، أي:" إنكم أيها المشركون وما تعبدونه من الأوثان والأصنام، حطب جهنم ووقودها"(٤٢١٠).

وفي قوله تعالى:{حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء : ٩٨]، وجهان:

أحدهما : معناه: حطب جهنم، قاله مجاهد(٤٢١١)، وقتادة(٤٢١٢)، وعكرمة(٤٢١٣).

(٤٢٠٣) أخرجه الطبري:٥٢٧/١٨.

(٤٢٠٤) أخرجه الطبري:٥٢٨/١٨-٥٢٩.

(٤٢٠٥) أخرجه الطبري:٥٢٨/١٨.

(٤٢٠٦) أخرجه الطبري:٥٢٩/١٨.

(٤٢٠٧) صفوة التفاسير:٢٥١/٢.

(٤٢٠٨) أخرجه الطبري:٥٣٢/١٨.

(٤٢٠٩) أخرجه الطبري:٥٣٠/١٨.

(٤٢١٠) صفوة التفاسير:٢٥٢/٢.

(٤٢١١) انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٨.

قال قتادة:" حطب جهنم يقذفون فيها"[٤٢١٤].
الثاني : أنهم يُرمَون فيها كما يُرْمَى بالحصباء، حتى كأن جهنم تحصب بهم ، وهذا قول الضحاك[٤٢١٥]، ومنه قول الفرزدق[٤٢١٦]:
مستقبلين شمال الشام يضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثور
يعني: الثلج.
أراد أنهم الذين تسجر بهم جهنم، ويوقد بهم فيها النار، وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به، فهو عند العرب حضب لها"[٤٢١٧].

القرآن
{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)} [الأنبياء : ١٠٠]
التفسير:
لهؤلاء المعذبين في النار آلام ينبئ عنها زفيرهم الذي تندفع فيه أنفاسهم من صدورهم بشدة، وهم في النار لا يسمعون; من هول عذابهم.
قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ} [الأنبياء : ١٠٠]، أي:" لهؤلاء المعذبين في النار آلام ينبئ عنها زفيرهم الذي تندفع فيه أنفاسهم من صدورهم بشدة"[٤٢١٨].
قال الحسن: "الزفير" اللهب، ترفعهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع الحديد فهووا إلى أسفلها سبعين خريفا"[٤٢١٩].
وقال قتادة: "إن أهل النار يدعون مالكا فيذرهم مقدار أربعين عاما لا يجيبهم ثم يقول: {إنكم ماكثون} [الزخرف: ٧٧]، ثم يدعون ربهم فيذرهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يجيبهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون} [المؤمنون: ١٠٨] قال: فما نبسوا بعدها بكلمة، ولا كان إلا الزفير والشهيق في نار جهنم"[٤٢٢٠].
قوله تعالى:{وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} [الأنبياء : ١٠٠]، أي:" وهم في النار لا يسمعون; من هول عذابهم"[٤٢٢١].
قال الحسن: "ذهب الزفير بسمعهم، فلا يسمعون معه شيئا"[٤٢٢٢].
قال ابن مسعود:"إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره، ثم قرأ :{لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون}"[٤٢٢٣].

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)} [الأنبياء : ١٠١]
التفسير:
إن الذين سبقت لهم منا سابقة السعادة الحسنة في علمنا بكونهم من أهل الجنة، أولئك عن النار مبعدون، فلا يدخلونها ولا يكونون قريبًا منها.
سبب النزول:

(٤٢١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٨.
(٤٢١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٨.
(٤٢١٤) أخرجه الطبري:٥٣٥/١٨.
(٤٢١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٨.
(٤٢١٦) .
(٤٢١٧)تفسير الطبري:٥٣٦/١٨ .
(٤٢١٨) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٤٢١٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٧/١.
(٤٢٢٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٧/١.
(٤٢٢١) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٤٢٢٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٧/١.
(٤٢٢٣) أخرجه الطبري:٥٣٧/١٨-٥٣٨.

عن أبي يحيى، عن ابن عباس قال: "آية لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها؟ قال: وما هي؟ قال: لما نزلت: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون} شق على قريش، فقالوا: أيشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبعرى فقال: ما لكم؟ قالوا يشتم آلهتنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دَونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} قال: ادعوه لي، فلما دعي النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: "لا، بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبعرى: خصمت ورب هذه البنية – يعني الكعبة - ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيرا عبد صالح، قال: "بلى"، قال: فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى عليه السلام، وهذه اليهود يعبدون عزيرا، قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى} الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام {أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}"[٤٢٢٤].

وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس، قال:"لما نزلت {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون}، قال المشركون: فإن عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون، فأنزل الله: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، لعيسى وغيره"[٤٢٢٥].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} [الأنبياء : ١٠١]، أي:" إن الذين سبقت لهم منا سابقة السعادة الحسنة في علمنا بكونهم من أهل الجنة"[٤٢٢٦].

قال الحسن:" الحسنى: الجنة، سبقت من الله عز وجل لكل مؤمن"[٤٢٢٧]. وروي عن السدي[٤٢٢٨] نحوه.

قال ابن جريج: "قوله: {إنكم وما تعبدون من دون الله}، ثم استثنى فقال :{إن الذين سبقت لهم منا الحسنى}"[٤٢٢٩].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء : ١٠١]، أي:" أولئك عن النار مبعدون، فلا يدخلونها ولا يكونون قريبًا منها"[٤٢٣٠].

عن مجاهد:"{أولئك عنها مبعدون، قال: عيسى، وعزير، والملائكة"[٤٢٣١].

وقال ابو صالح[٤٢٣٢]، والضحاك[٤٢٣٣] :" عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة".

وقال ابن إسحاق: أي:" عيسى ابن مريم، وعزير، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله"[٤٢٣٤].

وقال سعيد بن جبير أنه :"عيسى-عليه السلام-"[٤٢٣٥].

عن عكرمة، والحسن البصري:" قالا قال في سورة الأنبياء: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون}، ثم استثنى فقال: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، فقد عبدت الملائكة من دون الله، وعزير وعيسى من دون الله"[٤٢٣٦].

(٤٢٢٤)أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٠٥-٣٠٦، والطبراني (المعجم الكبير: ١٥٣/١٢ - ح: ١٢٧٣٩).
وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٦٩) وقال: "فيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة".
(٤٢٢٥) تفسير الطبري:٥٤٠/١٨. من طريق عطاء بن السائب، وعطاء اختلط.
(٤٢٢٦) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٤٢٢٧) انظر: تفسير مجاهد:٤٧٥.
(٤٢٢٨) انظر: النكت والعيون:٤٧٣/٣.
(٤٢٢٩) أخرجه الطبري: ٥٣٨/١٨.
(٤٢٣٠) التفسير الميسر:٣٣٠.
(٤٢٣١) انظر: تفسير الطبري:٥٣٨/١٨.
(٤٢٣٢) انظر: تفسير الطبري:٥٣٩/١٨.
(٤٢٣٣) انظر: تفسير الطبري:٥٣٩/١٨-٥٤٠.
(٤٢٣٤) انظر: تفسير الطبري:٥٣٩/١٨.
(٤٢٣٥) انظر: تفسير الطبري:٥٣٨/١٨-٥٣٩.
(٤٢٣٦) أخرجه الطبري: ٥٣٨/١٨.

وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "{إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، قال: «عيسى وعزير، والملائكة»"[٤٢٣٧].

القرآن

{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)} [الأنبياء : ١٠٢]

التفسير:

لا يسمعون صوت لهيبها واحتراق الأجساد فيها فقد سكنوا منازلهم في الجنة، وأصبحوا فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها مقيمين إقامةً دائمة.

قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا} [الأنبياء : ١٠٢]، أي:" لا يسمعون حسَّ النار ولا حركة لهبها وصوتها"[٤٢٣٨].

قال الحسن:" يعني: صوتها"[٤٢٣٩].

عن أبي عثمان النهدي، قوله: "{لا يسمعون حسيسها}، قال: حيات على الصراط تلسعهم، فإذا لسعتهم قالوا: حس.. حس"[٤٢٤٠].

عن ابن عم النعمان بن بشير، قال: "وسمر مع علي ذات ليلة، فقرأ: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، قال: أنا منهم، وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم، وطلحة منهم، وعبد الرحمن منهم أو قال: سعد منهم، قال: وأقيمت الصلاة فقام، وأظنه يجر ثوبه، وهو يقول: {لا يسمعون حسيسها}"[٤٢٤١].

القرآن

{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)} [الأنبياء : ١٠٣ - ١٠٤]

التفسير:

لا يخيفهم الهول العظيم يوم القيامة، بل تبشرهم الملائكة: هذا يومكم الذي وُعِدتُم فيه الكرامة من الله وجزيل الثواب. يوم نطوي السماء كما تُطْوى الصحيفة على ما كُتب فيها، ونبعث فيه الخلق على هيئة خَلْقنا لهم أول مرة كما ولدتهم أمهاتهم، ذلك وعد الله الذي لا يتخلَّف، وَعَدْنا بذلك وعدًا حقًا علينا، إنا كنا فاعلين دائمًا ما نَعِدُ به.

قوله تعالى:{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} [الأنبياء : ١٠٣]، أي:" لا يخيفهم الهول العظيم يوم القيامة"[٤٢٤٢].

وفي قوله تعالى:{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} [الأنبياء : ١٠٣]، اقوال:

أحدها : أن «الفزع الأكبر»: النفخة الأخيرة ، وهذا قول الحسن[٤٢٤٣].

الثاني : أنه ذبْحُ الموتِ بين الجنة والنار، قاله ابن جريج[٤٢٤٤]، وأبو بكر الهذلي[٤٢٤٥].

الثالث : أنه الموت. قاله عطاء[٤٢٤٦].

الرابع: أنه انصراف العبد حين يؤمر به إلى النار. قاله الحسن-أيضا-[٤٢٤٧].

الخامس: حين تطبق جهنم على أهلها ، وهذا قول سعيد بن جبير[٤٢٤٨].

(٤٢٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٣٤):ص٢٤٦٨/٨.

(٤٢٣٨) صفوة التفاسير:٢٥٢/٢.

(٤٢٣٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٨/١.

(٤٢٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٣٧):ص٢٤٦٩/٨.

(٤٢٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٤٨):ص٢٤٦٩/٨.

(٤٢٤٢) التفسير الميسر:٣٣١.

(٤٢٤٣) انظر: النكت والعيون:٤٧٣/٣.

(٤٢٤٤) انظر: تفسير الطبري:٥٤٢/١٨.

(٤٢٤٥) رواه ابن ابي حاتم، انظر: تفسير ابن كثير:٣٨١/٥.

(٤٢٤٦) انظر: تفسير ابن كثير:٣٨١/٥.

(٤٢٤٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٤٩):ص٢٤٦٩/٨.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده[٤٢٤٩].

قوله تعالى:{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} [الأنبياء : ١٠٤]، أي:" يوم نطوي السماء كما تُطْوى الصحيفة على ما كُتب فيها"[٤٢٥٠].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} [الأنبياء : ١٠٤]، وجهان:

أحدهما : أن السجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة ، وهذا قول مجاهد[٤٢٥١].

الثاني : أنه الملك. قاله لسدي[٤٢٥٢].

قال السدي:" السجل ملك موكل بالصحف، فإذا مات دفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعه إلى يوم القيامة"[٤٢٥٣].

والصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه[٤٢٥٤].

قوله تعالى:{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء : ١٠٤]، أي:" ونبعث فيه الخلق على هيئة خَلْقنا لهم أول مرة كما ولدتهم أمهاتهم"[٤٢٥٥].

وفي قوله تعالى:{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء : ١٠٤]، وجهان:

أحدهما: معناه: نعيد الخلق عراة حفاة غرلا يوم القيامة، كما بدأناهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم. وهذا قول مجاهد[٤٢٥٦].

عن مجاهد، "{أول خلق نعيده}، قال: حفاة عراة غرلا"[٤٢٥٧]. وفي لفظ:" حفاة عراة غلفا"[٤٢٥٨]. وفي لفظ آخر:" حفاة، عراة، غرلا، غلفا"[٤٢٥٩].

عن عقبة بن عامر الجهني، قال: "يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة، كما خلقوا أول يوم"[٤٢٦٠].

عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا قلت: يا أبا عبد الله ما الغرل؟ قال: الغلف، فقال بعض أزواجه: يا رسول الله، أينظر بعضنا إلى بعض إلى عورته؟ فقال لكل امرئ يومئذ ما يشغله عن النظر إلى عورة أخيه"، قال هلال: قال سعيد بن جبير {ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة}، قال: كيوم ولدته أمه، يرد عليه كل شيء انتقص منه مثل يوم ولد"[٤٢٦١].

قالت عائشة-رضي الله عنها-: "دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي عجوز من بني عامر، فقال: من هذه العجوز يا عائشة؟ فقلت: إحدى خالاتي، فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها العجزة، قالت: فأخذ العجوز ما أخذها، فقال: إن الله ينشئهن خلقا غير خلقهن، ثم قال:

(٤٢٤٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤١-٥٤٢.
(٤٢٤٩) تفسير الطبري:١٨/٥٤٢.
(٤٢٥٠) التفسير الميسر:٣٣١.
(٤٢٥١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٣.
(٤٢٥٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٧٥١):ص٨/٢٤٦٩.
(٤٢٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٥١):ص٨/٢٤٦٩.
(٤٢٥٤) تفسير الطبري:١٨/٥٤٤.
(٤٢٥٥) التفسير الميسر:٣٣١.
(٤٢٥٦)انظر: تفسيرالطبري:١٨/٥٤٥.
(٤٢٥٧) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٥.
(٤٢٥٨) تفسير مجاهد: ٤٧٥.
(٤٢٥٩) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١/٣٤٩.
(٤٢٦٠) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٦.
(٤٢٦١) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٦.

يحشرون حفاة عراة غلفا، فقالت: حاش لله من ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى إن الله قال: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا} ... إلى آخر الآية، فأول من يكسى إبراهيم خليل الله"[٤٢٦٢].
الثاني: -وهو قول السدي-:" يبعثهم الله يوم القيامة على قامة آدم وجسمه ولسانه السريانية، عراة حفاة غرلا كما ولدوا"[٤٢٦٣].

القرآن
{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)} [الأنبياء : ١٠٥]
التفسير:
ولقد كتبنا في الكتب المنزلة من بعد ما كُتِب في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون الذين قاموا بما أُمروا به، واجتنبوا ما نُهوا عنه، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} [الأنبياء : ١٠٥]، أي:" ولقد كتبنا في الكتب المنزلة من بعد ما كُتِب في اللوح المحفوظ"[٤٢٦٤].
وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} [الأنبياء : ١٠٥]، أربعة أقوال:
أحدها : أن الزبور الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه، و«الذكر» أُمّ الكتاب الذي عنده في السماء ، وهذا قول مجاهد[٤٢٦٥].
وقال سعيد بن جبير:" {الذكر}: الذي في السماء"[٤٢٦٦].
الثاني : أن «الذكر»: التوراة، و«الزبور»: الكتب. قاله الضحاك[٤٢٦٧].
قال الضحاك:" «الذكر»: التوراة، ويعني بـ«الزبور من بعد التوراة»: الكتب"[٤٢٦٨].
الثالث: أن «الزبور»: القرآن، و«الذكر»: التوراة، والمعنى: كتبنا في القرآن بعد التوراة. وهذا قول سعيد بن جبير[٤٢٦٩].
الرابع: أن «الزبور»: زبور داود، و«الذكر»: توراة موسى صلى الله عليهما. وهذا قول عامر الشعبي[٤٢٧٠].
وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال منه: زبرت الكتاب وذبرته: إذا كتبته، وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه، فهو ذكر. فإذ كان ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر، الدلالة البينة أنه معني به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم، فقد كان قبل زبور داود[٤٢٧١].
قوله تعالى:{أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء : ١٠٥]، أي:" أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون الذين قاموا بما أُمروا به، واجتنبوا ما نُهوا عنه"[٤٢٧٢].
وفي قوله تعالى:{أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء : ١٠٥]، وجهان:
أحدهما : أنها أرض الجنة يرثها أهل الطاعة، وهذا قول سعيد بن جبير[٤٢٧٣]، وابي العالية[٤٢٧٤]، ومجاهد[٤٢٧٥].

(٤٢٦٢) أخرجه الطبري:١٨/٥٤٦.
(٤٢٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٥٦):ص٨/٢٤٧٠.
(٤٢٦٤) التفسير الميسر:٣٣١.
(٤٢٦٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٧.
(٤٢٦٦) اخرجه الطبري:١٨/٥٤٧.
(٤٢٦٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٨.
(٤٢٦٨) اخرجه الطبري:١٨/٥٤٧.
(٤٢٦٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.
(٤٢٧٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٨.
(٤٢٧١) تفسير الطبري:١٨/٥٤٨-٥٤٩.
(٤٢٧٢) التفسير الميسر:٣٣١.
(٤٢٧٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.
(٤٢٧٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٥٤٩.

الثاني: أنها الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث. وهذا قول عامر بن عبدالله[٤٢٧٦].
قال صفوان:" سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ قال: فقال: إن الأرض التي يقول الله :{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون}، قال: هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث"[٤٢٧٧].
وأحسن ما قيل فيه أنه يراد بها أرض الجنة كما قال سعيد بن جبير، لأن الأرض في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم"[٤٢٧٨].

القرآن
{إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦)} [الأنبياء : ١٠٦]
التفسير:
إن في هذا المتلوِّ من الموعظة لعبرة كافية لقوم عابدين الله بما شرعه لهم ورضيه منهم.
عن كعب، قوله :"{إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين}ـ قال: صوم شهر رمضان، وصلاة الخمس، قال: هي ملء اليدين والبحر عبادة"[٤٢٧٩].
قال كعب:" والذي نفس كعب بيده، إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين، إنهم لأهل، أو أصحاب الصلوات الخمس، سماهم الله عابدين"[٤٢٨٠].
عن الجريري، قال: "قال كعب الأحبار {إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين}: لأمة محمد"[٤٢٨١].
قال ابن جريج:" يقولون في هذه السورة لبلاغا"[٤٢٨٢].
عن الحسن : "{لقوم عابدين}، قال: الذين يحافظون على الصلوات الخمس في الجماعة"[٤٢٨٣].

القرآن
{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)} [الأنبياء : ١٠٧]
التفسير:
وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا رحمة لجميع الناس، فمن آمن بك سَعِد ونجا، ومن لم يؤمن خاب وخسر.
قال السدي:" يعني: لمن آمن من الإنس والجن"[٤٢٨٤].
عن سعيد بن جبير قال: "من آمن بالله ورسوله تمت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله ورسوله عوفي مما عذبت به الأمم، وله في الآخرة النار"[٤٢٨٥].
وفي الحديث:« إنما بعثت رحمة مهداة»[٤٢٨٦]. قال السمعاني:" أي: هدية من الله"[٤٢٨٧].
وقال-صلى الله عليه وسلم-:« إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة»[٤٢٨٨].

(٤٢٧٥) انظر: تفسير الطبري:٥٤٩/١٨.
(٤٢٧٦) انظر: تفسير الطبري:٥٥٠/١٨.
(٤٢٧٧) أخرجه الطبري:٥٥٠/١٨.
(٤٢٧٨) تفسير القرطبي:٣٤٩/١١.
(٤٢٧٩) أخرجه الطبري:٥٥١/١٨.
(٤٢٨٠) أخرجه الطبري:٥٥١/١٨.
(٤٢٨١) أخرجه الطبري:٥٥١/١٨.
(٤٢٨٢) أخرجه الطبري:٥٥١/١٨.
(٤٢٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٦٣):ص٢٤٧١/٨.
(٤٢٨٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥٠/١.
(٤٢٨٥) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٥٠/١.
(٤٢٨٦)أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢٥٧/٨) ، قال الهيثمى (٢٥٧/٨) : رجاله رجال الصحيح. والطبرانى فى الصغير (١٦٨/١، رقم ٢٦٤) . وأخرجه أيضا: الحاكم (٩١/١، رقم ١٠٠) ، والطبرانى فى الأوسط (٢٢٣/٣، رقم ٢٩٨١). من حديث ابي هريرة-رضي الله عنه-.
(٤٢٨٧) تفسير السمعاني:٤١٣/٣.
(٤٢٨٨)أخرجه مسلم (٢٠٠٦/٤، رقم ٢٥٩٩).

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩)} [الأنبياء : ١٠٨ - ١٠٩]

التفسير:

قل: إن الذي أُوحي إليَّ وبُعِثت به: أن إلهكم الذي يستحق العبادة وحده هو الله، فأسلموا له، وانقادوا لعبادته، فإن أعرض هؤلاء عن الإسلام فقل لهم: أبلغكم جميعًا ما أوحاه الله تعالى إليَّ، فأنا وأنتم مستوون في العلم لمَّا أنذرتكم وحذرتكم، ولستُ أعلم - بعد ذلك - متى يحل بكم ما وُعِدْتُم به من العذاب؟

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا} [الأنبياء : ١٠٩]، أي:" فإن أعرض هؤلاء عن الإسلام"(٤٢٨٩).

قال ابن جريج:" {فإن تولوا}، يعنى: قريشا"(٤٢٩٠).

قوله تعالى:{فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ} [الأنبياء : ١٠٩]، أي:" فقل لهم أعلمتكم بالحق على استواءٍ في الإعلام لم أخصَّ أحداً دون أحد"(٤٢٩١).

قال السدي:" يعني: على أمر بين"(٤٢٩٢).

وقال قتادة: "على مهل"(٤٢٩٣).

وحكي يحيى بن سلام عن قال الحسن، قال: "من كذب بي فهو عندي سواء"، أي: جهادهم كلهم سواء عندي، وهو كقوله: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء} [الأنفال: ٥٨]، أي ليكون حكمك فيهم سواء: الجهاد والقتل لهم أو يؤمنوا"(٤٢٩٤).

القرآن

{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠)} [الأنبياء : ١١٠]

التفسير:

إن الله يعلم ما تجهرون به من أقوالكم، وما تكتمونه في سرائركم، وسيحاسبكم عليه.

قال السدي:" إنه يعلم ما كان قبل الخلق وما يكون بعده"(٤٢٩٥).

القرآن

{وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (١١١)} [الأنبياء : ١١١]

التفسير:

ولست أدري لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم وابتلاء، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين; لتزدادوا كفرًا، ثم يكون أعظم لعقوبتكم.

قوله تعالى:{وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ} [الأنبياء : ١١١]، أي:" ولست أدري لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه استدراج لكم وابتلاء م"(٤٢٩٦).

قال الحسن:" لعل ما أنتم فيه من الدنيا من السعة والرخاء، وهو منقطع زائل"(٤٢٩٧).

قوله تعالى:{وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [الأنبياء : ١١١]، أي:" ولعلَّ هذا التأخير لتستمتعوا في الدنيا إلى حين; فتزدادوا كفرًا، ثم يكون أعظم لعقوبتكم"(٤٢٩٨).

قال الحسن:" إلى يوم القيامة"(٤٢٩٩).

(٤٢٨٩) التفسير الميسر:٣٣١.

(٤٢٩٠) اخرجه الطبري:٥٥٣/١٨.

(٤٢٩١) صفوة التفاسير:٢٥٣/٢.

(٤٢٩٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥١/١.

(٤٢٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٦٤):ص٢٤٧١/٨، وانظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥١/١.

(٤٢٩٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥١/١.

(٤٢٩٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥١/١.

(٤٢٩٦) التفسير الميسر:٣٣١.

(٤٢٩٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥١/١.

(٤٢٩٨) التفسير الميسر:٣٣١.[بتصرف]

(٤٢٩٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥١/١.

وقال قتادة: "إلى الموت"[٤٣٠٠].

القرآن

{قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١١٢)} [الأنبياء : ١١٢]

التفسير:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ربِّ افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالقضاء الحق. ونسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تَصِفونه - أيها الكفار - من الشرك والتكذيب والافتراء عليه، وما تتوعدوننا به من الظهور والغلبة.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ} [الأنبياء : ١١٢]، أي:" قال النبي صلى الله عليه وسلم: ربِّ افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالقضاء الحق"[٤٣٠١].

قال قتادة:" كانت الأنبياء تقول: {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين}، فأمر الله نبيه إن يقول: رب احكم بالحق أي اقض بالحق. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه على الحق، وأن عدوه على الباطل وكان إذا لقي العدو قال: {رب احكم بالحق}"[٤٣٠٢].

عن قتادة: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا شهد قتالا قال: {رب احكم بالحق}"[٤٣٠٣].

وقال الحسن: "أمره الله أن يدعو أن ينصر أولياءه على أعدائه، فنصره الله عليهم"[٤٣٠٤].

قوله تعالى:{وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [الأنبياء : ١١٢]، أي:" ونسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تَصِفونه - أيها الكفار - من الشرك والتكذيب والافتراء عليه"[٤٣٠٥].

قال قتادة: "على ما تكذبون، يعني به المشركين"[٤٣٠٦].

«آخر تفسير سورة (الأنبياء)، والحمد لله وحده»

(٤٣٠٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥١/١.

(٤٣٠١) التفسير الميسر:٣٣١.

(٤٣٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٦٦):ص٢٤٧١/٨، ورواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٥٢/١.

(٤٣٠٣) أخرجه الطبري:٥٥٤/١٨.

(٤٣٠٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥٢/١.

(٤٣٠٥) التفسير الميسر:٣٣١.

(٤٣٠٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٥٢/١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة « الحج»

سورة «الحج»: هي السورة «الثانية والعشرون» في ترتيب المصحف، وقد عُدَّت السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة«النور»[٤٣٠٧]، وعدد آياتها: وعدد آياتها ثمان وسبعون فى عد الكوفيين، وسبع للمدنيين، وخمس للبصريين، وأربع للشاميين. وكلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة. وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون[٤٣٠٨].

والآيات المختلف فيها خمس: {الْحَمِيمُ} [الحج : ١٩]، {الْجُلُود} [الحج : ٢٠] ، {وَعَادٌ وَثَمُودُ} [الحج : ٤٢]، {وَقَوْمُ لُوطٍ} [الحج : ٤٣]، {سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِين} [الحج : ٧٨]، مجموع فواصل آياتها :«انتظم زبرجد قط» على الهمزة منها : {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج : ١٨][٤٣٠٩].

▪مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية. قاله النسفي[٤٣١٠]، وعبدالقاهر الجرجاني[٤٣١١]، وابن كثير[٤٣١٢].

الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس[٤٣١٣]، وابن الزبير[٤٣١٤]، والضحاك[٤٣١٥].

قال ابن عاشور:"عدت سورة الحج :"السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن في رواية جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: «نزلت بعد سورة النور وقبل سورة المنافقين». وهذا يقتضي أنها عنده مدنية كلها لأن سورة النور وسورة المنافقين مدنيتان فينبغي أن يتوقف في اعتماد هذا فيها"[٤٣١٦].

الثالث: أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، والتي تليها. رواه أبو صالح عن ابن عباس[٤٣١٧].

الرابع: أنها نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)} [الحج : ٢١]. قاله ابن عباس[٤٣١٨]، ومجاهد[٤٣١٩]، وعطاء بن السائب[٤٣٢٠]، وبه قال القرطبي[٤٣٢١].

الخامس: أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهنّ الآيات: [٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥][٤٣٢٢]. قاله ابن عباس[٤٣٢٣]، وقتادة[٤٣٢٤].

(٤٣٠٧) قاله الكلبي، انظر: التسهيل:٣٢/٢. والمخللاني، انظر: القول الوجيز:٢٤٠، وحكاه ابن عاشور ان ابن عباس، انظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/١٧.

(٤٣٠٨)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٣.

(٤٣٠٩) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤٣١٠) تفسير النسفي:٩٤/٣.

(٤٣١١) انظر: درج الدرر:١٢٤٥/٣.

(٤٣١٢) تفسير ابن كثير:٣٨٩/٥.

(٤٣١٣) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٣١٤) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٣١٥) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤.

(٤٣١٦)التحرير والتنوير:١٨٣/١٧ .

(٤٣١٧) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(٤٣١٨)حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٤١٦/٣، وقال أنه أظهر روايتي ابن عباس، وحكاه عنه أيضا ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير:١/١٢.

(٤٣١٩) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:١٠٥/٤، والقرطبي في التفسير:١/١٢.

(٤٣٢٠) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

(٤٣٢١)انظر: تفسير القرطبي:١/١٢ .

(٤٣٢٢) وهن الآيات: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)} [الحج : ٥٢ - ٥٥].

(٤٣٢٣) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.

السادس: أنها مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، من قوله: {هَذَانِ خَصْمَانِ} [الحج : ١٩] إلى قوله: {صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج : ٢٤]. قاله الثعلبي[٤٣٢٥]، والفيروزآبادي[٤٣٢٦]، والبغوي[٤٣٢٧]، والزمخشري[٤٣٢٨]، والبيضاوي[٤٣٢٩].
السابع: أنها مكية، إلا الآيات:[١، ٢،١١،٢٥، ٣٩، ٤٠، ٥٤، ٥٨، ٥٩]. قاله مقاتل[٤٣٣٠].

الثامن: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} [الحج : ٣٧]، وسائرها مكي. قاله أبو سليمان الدمشقي[٤٣٣١].
قال ابن عطية:" قال الجمهور مختلطة فيها مكي ومدني، وهذا هو الأصح والله أعلم لأن الآيات تقتضي ذلك"[٤٣٣٢].
عن أنس، قال: "نزلت {يا أيها الناس اتقوا ربكم} [الحج: ١] إلى قوله {ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ٢] على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له، فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه، فقال: " أتدرون أي يوم؟ هذا يوم يقول الله لآدم: قم فابعث بعثا إلى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة " فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سددوا، وقاربوا، وأبشروا، فوالذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس»"[٤٣٣٣].
ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج: "هي من أعاجيب السور، نزلت ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، مكيا ومدنيا، سلميا وحربيا، ناسخا ومنسوخا، محكما ومتشابها، مختلف العدد"[٤٣٣٤].
وقال هبة الله بن سلامة :سورة الحج: " نزلت في مواطن مختلفة وهي من أعاجيب سور القرآن لأنها نزلت ليلا ونهارا، وفيها مكي ومدني وسفري وحضري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه... فأما المكي منها فمن رأس الثلاثين منها الى آخرها، وأما المدني منها فمن رأس خمسة عشر الى رأس ثلاثين، وأما الليلي منها فمن أولها الى رأس خمس آيات، وأما النهاري فمن راس خمس الى رأس تسع، وأما السفري فمن رأس تسع الى رأس تسع إلى اثنتي عشرة، وأما الحضري منها فألى رأس العشرين، نسبت الى المدينة لقرب مدته"[٤٣٣٥].

(٤٣٢٤) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٤٣٢٥) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.
(٤٣٢٦) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٣.
(٤٣٢٧) انظر: تفسير البغوي:٣٦١/٥.
(٤٣٢٨) انظر: الكشاف:١٤١/٣.
(٤٣٢٩) انظر: تفسير البيضاوي:٦٤/٤.
(٤٣٣٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١١١/٣-١١٢.
(٤٣٣١) انظر: زاد المسير:٢٢٠/٣.
(٤٣٣٢) المحرر الوجيز:١٠٥/٤.
(٤٣٣٣)حديث أنس: أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٥٨، رقم ١١٨٧) ، وأبو يعلى (٤٣٠/٥، رقم ٣١٢٢) ، قال الهيثمى (٣٩٤/١٠) : رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن مهدى، وهو ثقة. والحاكم (٦١٠/٤، رقم ٨٦٩٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: ابن حبان (٣٥٢/١٦، رقم ٧٣٥٤) ، والضياء (٧٣/٧، رقم ٢٤٨٣)
حديث عمران بن حصين: أخرجه أحمد (٤٣٥/٤، رقم ١٩٩١٥) ، والترمذى (٣٢٣/٥، رقم ٣١٦٩) ، وقال: حسن صحيح، والطبرانى (١٤٤/١٨، رقم ٣٠٦) ، والحاكم (٦١١/٤، رقم ٨٦٩٥) . ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١١٢ رقم ٨٣٥) ، والنسائى فى الكبرى (٤١٠/٦، رقم ١١٣٤٠) .
حديث ابن عباس: أخرجه الحاكم (٦١٢/٤، رقم ٨٦٩٧) ، وقال: صحيح. ووافقه الذهبى. وأخرجه أيضا: البزار كما فى كشف الأستار (٥٩/٣ رقم ٢٢٣٥) . قال الهيثمى (٧٠/٧) : رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب، وهو ثقة.
(٤٣٣٤) تفسير القرطبي:١/١٢.
(٤٣٣٥) الناسخ والمنسوخ:١٢٦.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)} [الحج : ١]

التفسير:

يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تتصدع منها كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقْدر قدره ولا يُبْلغ كنهه، ولا يعلم كيفيَّته إلا رب العالمين.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ} [الحج : ١]، أي:" يا أيها الناس احذروا عقاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه"(٤٣٣٦).

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"(٤٣٣٧).

قوله تعالى:{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج : ١]، أي:" إن ما يحدث عند قيام الساعة من أهوال وحركة شديدة للأرض، تتصدع منها كل جوانبها، شيء عظيم، لا يُقْدر قدره ولا يُبْلغ كنهه، ولا يعلم كيفيَّته إلا رب العالمين"(٤٣٣٨).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج : ١]، قولان:

أحدهما : أنها في الدنيا، وهي أشراط ظهورها ، وآيات مجيئها. قاله علقمة(٤٣٣٩)، وعامر(٤٣٤٠)، وابن جريج(٤٣٤١).

عن علقمة، قوله :"{إن زلزلة الساعة شيء عظيم}، قال: الزلزلة قبل الساعة"(٤٣٤٢). وفي لفظ:" هذا شئ يكون دون الساعة"(٤٣٤٣).

قال عامر:" هذا في الدنيا من آيات الساعة"(٤٣٤٤).

قال جرير: "هذا بين يدي الساعة"(٤٣٤٥).

الثاني : أنها في القيامة. وهذا مروي عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

عن الحسن قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير له لا يقصر، إذا رفع صوته فقال: {يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم} [الحج: ١] حتى انتهى إلى قوله: {ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ٢] فلما سمعوا صوت نبيهم اعصوصبوا به فتلاهما عليهم ثم قال لهم: " هل تدرون أي يوم ذاكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: " ذاكم يوم يقول الله تبارك وتعالى لآدم: يا آدم قم ابعث بعث النار. قال: فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إنسانا إلى النار وواحدا إلى الجنة ". فلما سمعوا ما قال نبيهم أبلسوا حتى ما يجلى أحدهم عن واضحة. فلما رأى ما بهم قال: «أبشروا فما أنتم في الناس إلا كالرقمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير، وإنكم مع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج ومن هلك، يعني ومن كفر من بني إبليس، وتكمل العدة من المنافقين»(٤٣٤٦).

عن أنس بن مالك قال: «نزلت: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم}، على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه ثم قال: "أتدرون أي يوم هذا؟ يوم يقول الله جلا وعلا لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين"، فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سددوا وقاربوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس

(٤٣٣٦) التفسير الميسر:٣٣٢.

(٤٣٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

(٤٣٣٨) التفسير الميسر:٣٣٢.

(٤٣٣٩) انظر: تفسير الطبري:٥٥٧/١٨.

(٤٣٤٠) انظر: تفسير الطبري:٥٥٧/١٨.

(٤٣٤١) انظر: تفسير الطبري:٥٥٧/١٨.

(٤٣٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧١):ص٢٤٧٣/٨، والطبري:٥٥٧/١٨. ملخصا.

(٤٣٤٣) تفسير سفيان الثوري(٦٦١: ١: ١٦):ص٢٠٨.

(٤٣٤٤) اخرجه الطبري:٥٥٨/١٨.

(٤٣٤٥) مصنف ابن ابي شيبة(٣٤٨٩٤):ص١٥١/٧.

(٤٣٤٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٥٣/١-٣٥٤.

إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وإن معكم لخليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفر الجن والإنس"»[٤٣٤٧].

والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإنه -صلى الله عليه وسلم-أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله[٤٣٤٨].

القرآن

{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)} [الحج : ٢]

التفسير:

يوم ترون قيام الساعة تنسى الوالدةُ رضيعَها الذي ألقمته ثديها؛ لِمَا نزل بها من الكرب، وتُسْقط الحامل حملها من الرعب، وتغيب عقول الناس، فهم كالسكارى من شدة الهول والفزع، وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم.

قوله تعالى:{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} [الحج : ٢]، أي:" يوم ترون قيام الساعة تنسى الوالدةُ رضيعَها الذي ألقمته ثديها؛ لِمَا نزل بها من الكرب"[٤٣٤٩].

قال الحسن:" تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام"[٤٣٥٠].

قوله تعالى:{وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا} [الحج : ٢]، أي:" وتُسْقط الحامل حملها من الرعب"[٤٣٥١].

قال الحسن:" وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام"[٤٣٥٢].

قوله تعالى:{وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى} [الحج : ٢]، أي:" وتغيب عقول الناس، فهم كالسكارى من شدة الهول والفزع"[٤٣٥٣].

عن الربيع :"{وترى الناس سكارى}، قال: ذلك عند الساعة، يسكر الكبير ويشيب الصغير وتضع الحوامل ما في بطونها"[٤٣٥٤].

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣)} [الحج : ٣]

التفسير:

(٤٣٤٧) صحيح ابن حبان(٧٣٥٤):ص٣٥٢/١٦، إسناده صحيح على شرط الشيخين.
وأخرجه أبو يعلى"٣١٢٢"، والحاكم ٢٩/١ و ٥٦٦/٤-٥٦٧ من طرق عن عبد الرزاق، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
وذكره الهيثمي في "المجمع" ٣٩٤/١٠ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة.
وأخرجه الطبري في "جامع البيان"٥٦١/١٨، وابن أبي حاتم في "تفسيره" فيما ذكره الحافظ ابن كثير في"تفسيره" ٣٩٠/٥-٣٩١-من طريقين عن معمر، به.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٥/٦، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.
وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند البخاري "٦٥٣٠"، ومسلم "٢٢٢"، وأحمد ٣٢/٣-٣٣، وابن جرير الطبري١١٢/١٧، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٢١٩ من طرق عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد.
وعن عمران بن حصين عند أحمد ٤٣٢/٤، والترمذي "٣١٦٨" و"٣١٦٩"، والطبري في "جامع البيان" ١١١/١٧، والحاكم ٥٦٧/٤ من طريق الحسن وغيره عن عمران بن حصين.
وقوله: "سددوا وقاربوا" أي: اطلبوا القصد والصواب، واتركوا الغلو والإفراط.
و"الرقمة": الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها.
(٤٣٤٨) تفسير الطبري:٥٥٩/١٨.[بتصرف]
(٤٣٤٩) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٤٣٥٠) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:١٤٢/٣.
(٤٣٥١) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٤٣٥٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:١٤٢/٣.
(٤٣٥٣) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٤٣٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٥):ص٢٤٧٤/٨.

وبعض رؤوس الكفر من الناس يخاصمون ويشككون في قدرة الله على البعث; جهلا منهم بحقيقة هذه القدرة، واتباعًا لأئمة الضلال من كل شيطان متمرد على الله ورسله.

سبب النزول:

عن أبي مالك في قوله: "{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم}، قال: نزلت في النضر بن الحارث"(٤٣٥٥).

قال مقاتل:" نزلت في النضر بن الحارث القرشي وأمه اسمها صفية بنت الحارث بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، قال: ويتبع النضر {كل شيطان مريد}، يعني: مارد.."(٤٣٥٦).

قال السمعاني:" الأكثرون على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، وكان ينكر البعث ويجادل فيه"(٤٣٥٧).

قال الزمخشري:" قيل: نزلت في النضر بن الحرث، وكان جدلا يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلى وصار ترابا. وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله"(٤٣٥٨).

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الحج : ٣]، أي:" وبعضٌ من الناس من يخاصم وينازع في قدرة الله وصفاته بغير دليل ولا برهان"(٤٣٥٩).

عن ابن جريج :"{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم}، قال: النضر بن الحارث"(٤٣٦٠).

قوله تعالى:{وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} [الحج : ٣]، أي:" يطيع ويقتدي بكل عات متمرد كرؤساء الكفر الصادّين عن الحق"(٤٣٦١).

عن قتادة قوله: "{ويتبع كل شيطان مريد}، قال: تمرد على معاصي الله"(٤٣٦٢).

القرآن

{كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)} [الحج : ٤]

التفسير:

قضى الله وقدَّر على هذا الشيطان أنه يُضِل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق، بل يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه.

قوله تعالى:{كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ} [الحج : ٤]، أي:" قضى الله وقدَّر على هذا الشيطان أنه يُضِل كل من اتبعه، ولا يهديه إلى الحق"(٤٣٦٣).

قال قتادة: "كتب على الشيطان، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله"(٤٣٦٤).

عن مجاهد قوله: "{كتب عليه}، قال: على الشيطان، {أنه من تولاه}، قال: اتبعه"(٤٣٦٥).

قوله تعالى:{وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [الحج : ٤]، أي:" يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة جزاء اتباعه إياه"(٤٣٦٦).

قال أبو كعب المكي: "قال خبيث من خُبثاء قريش : أخبرنا عن ربكم ، من ذهب هو ، أو من فضة هو ، أو من نحاس هو ؟ فقعقعت السماء قعقعة - والقعقعة في كلام العرب : الرعد - فإذا قِحْف رأسه ساقط بين يديه"(٤٣٦٧).

(٤٣٥٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٦):ص٢٤٧٤/٨.

(٤٣٥٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١١٥/٣.

(٤٣٥٧) تفسير السمعاني:٤١٨/٣.

(٤٣٥٨) الكشاف:١٤٣/٣.

(٤٣٥٩) صفوة التفاسير:٢٥٧/٢.

(٤٣٦٠) اخرجه الطبري:٥٦٦/١٨.

(٤٣٦١) صفوة التفاسير:٢٥٧/٢.

(٤٣٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٧):ص٢٤٧٤/٨.

(٤٣٦٣) التفسير الميسر:٣٣٢.

(٤٣٦٤) أخرجه الطبري:٥٦٦/١٨، وابن ابي حاتم(١٣٧٧٨):ص٢٤٧٤/٨. ملخصا.

(٤٣٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٧٩):ص٢٤٧٤/٨.

(٤٣٦٦) التفسير الميسر:٣٣٢.

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : "جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرنا عن ربك : من أي شيء هو ؟ من در أم من ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته"(٤٣٦٨).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)} [الحج : ٥]

التفسير:

يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نطفة، هي المنيُّ يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقة، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمْضَغ، فتكون تارة مخلَّقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حيًا، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فتسقط لغير تمام؛ لنبيِّن لكم تمام قدرتنا بتصريف أطوار الخلق، ونبقي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلَّق إلى وقت ولادته، وتكتمل الأطوار بولادة الأجنَّة أطفالا صغارًا تكبَرُ حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبَرُ حتى يبلغ سن الهرم وضَعْف العقل; فلا يعلم هذا المعمَّر شيئًا مما كان يعلمه قبل ذلك. وترى الأرض يابسةً ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها، وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يَسُرُّ الناظرين.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [الحج : ٥]، أي:" يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم آدم من تراب"(٤٣٦٩).

قال القرطبي:" هذا احتجاج على العالم بالبداءة الأولى، والمعنى: يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة، [فإنا] خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر، يعني آدم عليه السلام {من تراب}"(٤٣٧٠).

قرأ الحسن: «من البعث»، بالتحريك(٤٣٧١).

قوله تعالى:{ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} [الحج : ٥]، أي:" ثم جعلنا نسله من المني الذي ينطف من صلب الرجل"(٤٣٧٢).

قوله تعالى:{ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ} [الحج : ٥]، أي:" ثم من دم جامد غليظ"(٤٣٧٣).

قال عكرمة:" العلقة: الدم"(٤٣٧٤).

قوله تعالى:{ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} [الحج : ٥]، أي:" ثم من قطعة من اللحم مسواة، لا نقص فيها ولا عيب فى ابتداء خلقها، ومضغة غير مسواة، فيها عيب"(٤٣٧٥).

قال عكرمة:" «المضغة»: اللحم، و«المخلقة»: التي تم خلقها، و«غير مخلقة»: السقط"(٤٣٧٦).

عن مجاهد: "{مخلقة وغير مخلقة}، قال: السقط مخلوق وغير مخلوق"(٤٣٧٧).

قال أبو العالية:" ينفخ فيه الروح في العشر"(٤٣٧٨). يعني: في العشر بعد الأشهر الأربعة.

(٤٣٦٧) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٩٤/٥، وانظر: الدر المنثور:٣٤٦/٥.
(٤٣٦٨) تفسير ابن كثير:٣٩٤/٥، والدر المنثور:٣٤٦/٥.
(٤٣٦٩) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٤٣٧٠) تفسير القرطبي:٦/١٢.
(٤٣٧١) انظر: الكشاف:١٤٤/٣.
(٤٣٧٢) صفوة التفاسير:٢٥٧/٢.
(٤٣٧٣) تفسير المراغي:٨٨/١٧.
(٤٣٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٣):ص٢٤٧٥/٨.
(٤٣٧٥) تفسير المراغي:٨٩/١٧.
(٤٣٧٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٣):ص٢٤٧٥/٨.
(٤٣٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٤):ص٢٤٧٥/٨.
(٤٣٧٨) اخرجه الطبري(٥٠٩١):ص٩٢/٥.

وفي الحديث الشريف:" إن الله قد وكل بالرحم ملكا يقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال أى رب شقى أو سعيد ذكر أو أنثى فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه"[٤٣٧٩].

قوله تعالى:{لِنُبَيِّنَ لَكُمْ} [الحج : ٥]، أي:" خلقناكم على هذا النمط البديع، لنبين لكم جميل نظامنا، وعظيم حكمتنا، التي من جملتها أمر البعث"[٤٣٨٠].

عن قتادة قوله: "{لنبين لكم}، قال: إنكم كنتم في بطون أمهاتكم كذلك"[٤٣٨١].

قوله تعالى:{وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الحج : ٥]، أي:" ونبقي ما نشاء من الأجنة إلى الوقت الذي قدر أن تلد فيه المرأة"[٤٣٨٢].

عن مجاهد: "{ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى}، قال: التمام"[٤٣٨٣].

قوله تعالى:{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج : ٥]، أي:" ومنكم من يعمر حتى يصل إلى الشيخوخة والهرم وضعف القوة والخرف، فلا يعلم هذا المعمَّر شيئًا مما كان يعلمه قبل ذلك"[٤٣٨٤].

قال السدي:" {أرذل العمر}: هو الخوف"[٤٣٨٥].

عن عكرمة قال: "من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ: {لكي لا يعلم بعد علم شيئا}"[٤٣٨٦].

عن أنس بن مالك - رفع الحديث - قال : "المولود حتى يبلغ الحنث ، ما عمل من حسنة ، كتبت لوالده أو لوالدته وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه ، فإذا بلغ الحنث جرى الله عليه القلم أمر الملكان اللذان معه أن يحفظا وأن يشددا ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص. فإذا بلغ الخمسين ، خفف الله حسابه. فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه في أهل بيته ، وكان أسير الله في أرضه ، فإذا بلغ أرذل العمر { لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، فإذا عمل سيئة لم تكتب عليه"[٤٣٨٧].

قوله تعالى:{وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً} [الحج : ٥]، أي:" وترى الأرض يابسةً ميتة لا نبات فيها"[٤٣٨٨].

قال قتادة:" أي: غبراء متهشمة"[٤٣٨٩].

(٤٣٧٩)حديث أنس: أخرجه الطيالسى (ص ٢٧٦، رقم ٢٠٧٣) ، وأحمد (١٤٨/٣، رقم ١٢٥٢١) ، والبخارى (١٢١/١، رقم ٣١٢) ، ومسلم (٢٠٣٨/٤، رقم ٢٦٤٦) ، وأبو عوانة كما فى إتحاف المهرة للحافظ (١٣٣/٢، رقم ١٣٨٦) .
حديث حذيفة بن أسيد: أخرجه مسلم (٢٠٣٨/٤، رقم ٢٦٤٥) .
ومن غريب الحديث: "نطفة": منى. "علقة": قطعة من دم جامدة. "مضغة": قطعة لحم قدر ما يمضغ. "يقضى خلقه": يأذن فى إتمام خلقه.

(٤٣٨٠) تفسير المراغي:٨٩/١٧.

(٤٣٨١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٦):ص٢٤٧٥/٨.

(٤٣٨٢) تفسير المراغي:٨٩/١٧.

(٤٣٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٤):ص٢٤٧٥/٨.

(٤٣٨٤) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.

(٤٣٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٧٧):ص٢٢٩٠/٧.

(٤٣٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٧٨):ص٢٢٩٠/٧.

(٤٣٨٧)مسند أبي يعلى (٣٥٢/٦).
قال ابن كثير:" هذا حديث غريب جدا ، وفيه نكارة شديدة. ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده:[٨٩/٢] مرفوعا وموقوفا فقال : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج ، حدثنا محمد بن عامر ، عن محمد بن عبد الله العامري، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس قال : إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة ، أمنه الله من أنواع البلايا ، من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ الخمسين لَيَّن الله حسابه ، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها ، وإذا بلغ السبعين أحبه الله ، وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ، ومحا عنه سيئاته ، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمي أسير الله في الأرض ، وشفع في أهله".[تفسير ابن كثير:٣٩٧/٥].

(٤٣٨٨) التفسير الميسر:٣٣٢.

(٤٣٨٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٧):ص٢٤٧٥/٨.

قوله تعالى:{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [الحج : ٥]، أي:" فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه، وارتفعت وزادت لارتوائها"(٤٣٩٠).

قال قتادة:" يقول: نفرق الغيث في سبختها وربوها"(٤٣٩١).

قوله تعالى:{وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج : ٥]، أي:" وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يَسُرُّ الناظرين"(٤٣٩٢).

عن قتادة: قوله: { زوج بهيج}،: "أي: حسن"(٤٣٩٣).

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)} [الحج : ٦ - ٧]

التفسير:

ذلك المذكور مما تقدَّم من آيات قدرة الله تعالى، فيه دلالة قاطعة على أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهو يُحيي الموتى، وهو قادر على كل شيء، وأن ساعة البعث آتية، لا شك في ذلك، وأن الله يبعث الموتى مِن قبورهم لحسابهم وجزائهم.

عن عون، قال: "قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور"(٤٣٩٤).

عن معاذ بن جبل قال : "من علم أن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور - دخل الجنة"(٤٣٩٥).

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحج : ٦]، أي:" وبأنه قادر على ما أراد"(٤٣٩٦).

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"(٤٣٩٧).

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩)} [الحج : ٨ - ٩]

التفسير:

ومن الكفار مَن يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله صلى الله عليه وسلم وإنزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم، ولا بيان، ولا كتاب من الله فيه برهان وحجة واضحة، لاويًا عنقه في تكبر، معرضًا عن الحق؛ ليصد غيره عن الدخول في دين الله، فسوف يلقى خزيًا في الدنيا باندحاره وافتضاح أمره، ونحرقه يوم القيامة بالنار.

سبب نزول الآيتين: [٨-٩]:

عن مجاهد، قوله: {ثاني عطفه}، قال :" أنزلت في النضر بن الحارث"(٤٣٩٨).

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [الحج : ٨]، أي:" ومن الكفار مَن يجادل بالباطل في الله وتوحيده واختياره رسوله صلى الله عليه وسلم وإنزاله القرآن، وذلك الجدال بغير علم، ولا بيان، ولا كتابٍ نير بيّن الحجة"(٤٣٩٩).

(٤٣٩٠) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٤٣٩١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٧):ص٢٤٧٥/٨.
(٤٣٩٢) التفسير الميسر:٣٣٢.
(٤٣٩٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٨٧):ص٢٤٧٥/٨.
(٤٣٩٤) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٨.
(٤٣٩٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٩٩/٥.
(٤٣٩٦) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤٣٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.
(٤٣٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٣):ص٢٤٧٦/٨.
(٤٣٩٩) انظر:التفسير الميسر:٣٣٣

قال قتادة:" ليس معه من الله برهان ولا كتاب"[٤٤٠٠].
قوله تعالى:{ثَانِيَ عِطْفِهِ} [الحج : ٩]، أي:" معرضاً عن الحق لاوياً عنقه كفرا"[٤٤٠١].
قال مجاهد:" يعرض عن الحق"[٤٤٠٢].
قال قتادة:" لاوي عنقه"[٤٤٠٣].
قال قتادة:" هو المعرض من العظمة، إنما ينظر في جانب واحد"[٤٤٠٤].
قوله تعالى:{لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج : ٩]، أي:" ليصُدَّ الناس عن دين الله وشرعه"[٤٤٠٥].
قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"[٤٤٠٦].
عن سعيد بن جبير:" {في سبيل الله}، قال: في طاعة الله"[٤٤٠٧].
قوله تعالى:{لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ} [الحج : ٩]، أي:" له هوان وذل في الحياة الدنيا"[٤٤٠٨].
عن ابن جريج، قوله :"{في الدنيا خزي}، قال: قتل يوم بدر"[٤٤٠٩].
قوله تعالى:{وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج : ٩]، أي:" ونذيقه في الآخرة النار المحرقة"[٤٤١٠].
قال الحسن:" بلغني إن أحدهم حرق في اليوم سبعين ألف مرة"[٤٤١١].
قوله تعالى:{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [الحج : ١٠]، أي:" ذلك الخزي والعذاب بسبب ما اقترفته من الكفر والضلال، وأن الله عادل لا يظلم أحداً من خلقه"[٤٤١٢].
عن أبي مالك، قوله: "{ذلك}، يعني: هذا"[٤٤١٣].
عن سعيد بن جبير:" {ذلك}، يعني: الذي نزل بهم[٤٤١٤].

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣)} [الحج : ١١ - ١٣]

التفسير:

ومن الناس مَن يدخل في الإسلام على ضعف وشكٍّ، فيعبد الله على تردد، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتماسك في وقفته، ويربط إيمانه بدنياه، فإن عاش في صحة وسَعَة استمر على عبادته، وإن حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن ينقلب على وجهه بعد استقامة، فهو بذلك قد خسر الدنيا؛ إذ لا يغيِّر كفرُه ما قُدِّر له في دنياه، وخسر الآخرة بدخوله النار، وذلك خسران بيِّن واضح. يعبد ذلك الخاسر من دون الله ما لا يضره إن تركه، ولا ينفعه إذا عبده، ذلك هو الضلال البعيد عن الحق. يدعو مَن ضررُه المحقق أقرب من نفعه، قبح ذلك المعبود نصيرًا، وقبح عشيرًا.

سبب النزول:

(٤٤٠٠) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٠.
(٤٤٠١) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤٤٠٢)أخرجه الطبري:٥٧٤/١٨ .
(٤٤٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٢):ص٢٤٧٦/٨.
(٤٤٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٠):ص٢٤٧٦/٨.
(٤٤٠٥) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤٤٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.
(٤٤٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٥٤/٦.
(٤٤٠٨) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤٤٠٩) أخرجه الطبري:٥٧٤/١٨.
(٤٤١٠) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤٤١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٦)..ص٢٤٧٦/٨
(٤٤١٢) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤٤١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٥٩٣):ص٨٣٠/٣.
(٤٤١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٥٩٤):ص٨٣٠/٣.

قال ابن عباس:"كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا صالح فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير. فأنزل الله {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ}"[٤٤١٥].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، أي:" ومن الناس من يعبد الله على جانب وطرفٍ من الدين"[٤٤١٦].

وفي قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج : ١١]، وجوه من التفسير:

عن مجاهد[٤٤١٧]، وقتادة[٤٤١٨]، والسدي[٤٤١٩]، في قوله: " {عَلَى حَرْفٍ}، قالوا:" على شكّ"[٤٤٢٠].

قوله تعالى:{فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ} [الحج : ١١]، أي:" فإن ناله خير في حياته من صحةٍ ورخاء أقام على دينه"[٤٤٢١].

قال قتادة: " يقول: إن أصاب خصبا وسلوة من عش وما يشتهي، اطمأن إليه وقال: أنا على حق وأنا أعرف الذي أنا عليه"[٤٤٢٢].

وعن قتادة: "{فإن أصابه خير}، يقول: أكثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن وقال: لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير"[٤٤٢٣].

عن مجاهد، قوله :{فإن أصابه خير}، قال :"رخاء وعافية، {اطمأن به}، استقر"[٤٤٢٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} [الحج : ١١]، أي:" وإن ناله شيء يفتتن به من مكروه وبلاء ارتد فرجع إلى ما كان عليه من الكفر"[٤٤٢٥].

عن قتادة: "{وإن أصابته فتنة}، أي: بلاء {انقلب على وجهه}، يقول: ترك ما كان عليه من الحق فأنكر معرفته"[٤٤٢٦].

وعن قتادة: " {وإن إصابته فتنة}، يقول: وإن ذهب ماله، وذهبت ماشيته"[٤٤٢٧].

عن مجاهد، قوله : "{وأن أصابته فتنة}، عذاب ومصيبة {انقلب} ارتد {على وجهه} كافرا"[٤٤٢٨].

قال ابن جريج:" كان ناس من قبائل العرب ومن حولهم من أهل القرى يقولون: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه، وإلا لحقنا بأهلنا"[٤٤٢٩].

قال الضحاك:" كان ناس من قبائل العرب ومن حول المدينة من القرى كانوا يقولون: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه، فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه، وإلا لحقنا بمنازلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه فيقولون: نحن على دينك! فإن أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان، اطمأنوا وقالوا: هذا دين صدق، وإن تأخر عنهم الرزق، وأزلقت خيولهم، وولدت نساؤهم البنات، قالوا: هذا دين سوء، فانقلبوا على وجوههم"[٤٤٣٠].

(٤٤١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٧٩٨):ص٢٤٧٦/٨.
(٤٤١٦) صفوة التفاسير:٢٥٨/٢.
(٤٤١٧) انظر: تفسير الطبري:٥٧٦/١٨.
(٤٤١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٢٤٧٧/٨.
(٤٤١٩) انظر: التفسير البسيط: ٢٨٣/١٥.
(٤٤٢٠) انظر: تفسير الطبري:٥٧٦/١٨.
(٤٤٢١) صفوة التفاسير:٢٥٩/٢.
(٤٤٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٢٤٧٧/٨.
(٤٤٢٣) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٨.
(٤٤٢٤) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٨.
(٤٤٢٥) صفوة التفاسير:٢٥٩/٢.
(٤٤٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٢٤٧٧/٨.
(٤٤٢٧) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٨.
(٤٤٢٨) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٨.
(٤٤٢٩) تفسير الطبري:٥٧٦/١٨.
(٤٤٣٠) أخرجه الطبري:٥٧٦/١٨-٥٧٧.

قوله تعالى:{خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} [الحج : ١١]، أي:" أضاع دنياه وآخرته فشقي الشقاوة الأبدية"(٤٤٣١).

قال قتادة: "يقول: خسر دنياه التي كان لها يحزن وبها يفرح ولها يسخط ولها يرضى، وهي همه وسدمه وطلبته ونيته، ثم أفضى إلى الآخرة وليس له حسنة يعطي بها خيرا فـ {ذلك هو الخسران المبين}"(٤٤٣٢).

قوله تعالى:{يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ} [الحج : ١٢]، أي:" يعبد ذلك الخاسر من دون الله ما لا يضره إن تركه، ولا ينفعه إذا عبده"(٤٤٣٣).

عن السدى قوله: "{يدعوا من دون الله ما لا يضره}، إن عصاه في الدنيا، {وما لا ينفعه}، إن أطاعه وهو الصنم"(٤٤٣٤).

قوله تعالى:{يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} [الحج : ١٣]، أي:" يعبد وثناً أو صنماً ضره في الدنيا بالخزي والذل أسرع من نفعه الذي يتوقعه بعبادته وهو الشفاعة له يوم القيامة"(٤٤٣٥).

قال السدي:" يقول: ضره في الآخرة من أجل عبادته إياه في الدنيا"(٤٤٣٦).

قوله تعالى:{لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} [الحج : ١٣]، أي:" قبح ذلك المعبود نصيرًا، وقبح عشيرًا"(٤٤٣٧).

قال السدي:" {لبئس المولى}، يقول: الصنم"(٤٤٣٨).

عن مجاهد: "{لبئس المولى ولبئس العشير}، قال: الصاحب"(٤٤٣٩).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤)} [الحج : ١٤]

التفسير:

إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلا وعقاب أهل معصيته عدلا.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الحج : ١٤]، أي:" إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(٤٤٤٠).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٤٤٤١).

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"(٤٤٤٢).

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"(٤٤٤٣).

القرآن

(٤٤٣١) صفوة التفاسير:٢/٢٥٩.
(٤٤٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٠):ص٨/٢٤٧٧.
(٤٤٣٣) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠١):ص٨/٢٤٧٧.
(٤٤٣٥) صفوة التفاسير:٢/٢٥٩.
(٤٤٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠١):ص٨/٢٤٧٧.
(٤٤٣٧) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠١):ص٨/٢٤٧٧. وفي رواية الطبري:١٨/٥٧٩: قال«الوثن».
(٤٤٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٢):ص٨/٢٤٧٧.
(٤٤٤٠) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٤١) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٤٤٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص٦/١٩٢٩.
(٤٤٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٣/٨٤٥.

{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥)} [الحج : ١٥]

التفسير:

من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمدًا بالنصر في الدنيا بإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، وعذابِ مَن كذَّبه، فلْيَمدُدْ حبلا إلى سقف بيته وليخنق به نفسه، ثم ليقطع ذلك الحبل، ثم لينظر: هل يُذْهِبنَّ ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصرٌ نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم لا محالة.

عن مجاهد: "{أن لن ينصره الله}، قال: يرزقه الله. }فليمدد بسبب} قال: بحبل {إلى السماء} سماء ما فوقك، {ثم ليقطع} ليختنق، {هل يذهبن كيده} ذلك خنقه أن لا يرزق"(٤٤٤٤). وفي لفظ:" {ثم ليقطع}، قال: ليختنق، وذلك كيده {ما يغيظ}، قال: ذلك خنقه أن لا يرزقه الله"(٤٤٤٥).

عن الضحاك: "{فليمدد بسبب}، يعني: بحبل، {إلى السماء}، يعني: سماء البيت"(٤٤٤٦).

عن عكرمة: "فليمدد بسبب إلى السماء}، قال: سماء البيت، {ثم ليقطع}، قال: يختنق"(٤٤٤٧).

وقال قتادة:" {من كان يظن} أن الله غير ناصر دينه، {فليمدد بحبل إلى السماء}، سماء البيت، فليختنق فلينظر ما يرد ذلك في يده"(٤٤٤٨).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)} [الحج : ١٧]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم واليهود والصابئين وهم: (قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه) والنصارى والمجوس (وهم عبدة النار) والذين أشركوا وهم: عبدة الأوثان، إنَّ الله يفصل بينهم جميعًا يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار، إن الله على كل شيء شهيد، شهد أعمال العباد كلَّها، وأحصاها وحفظها، وسيجازي كلا بما يستحق جزاء وفاقًا للأعمال التي عملوها.

سبب النزول:

قال عكرمة:" قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئة: نحن نعبد الملائكة من دون الله. وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والعمر من دون الله. وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان من دون الله. فأوحى الله إلى نبيه ليكذب قولهم: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}(٤٤٤٩)، إلى آخرها، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}(٤٤٥٠)، وأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ}"(٤٤٥١).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج : ١٧]، أي:" إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم"(٤٤٥٢).

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(٤٤٥٣).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَادُوا} [الحج : ١٧]، أي: "والذين انتسبوا إلى دين اليهود. وهي شريعة موسى"(٤٤٥٤).

وفي أصل كلمة«اليهود»، أقوال:

(٤٤٤٤) أخرجه الطبري: ٥٨٢/١٨.
(٤٤٤٥) أخرجه الطبري: ٥٨٢/١٨.
(٤٤٤٦) أخرجه الطبري: ٥٨٣/١٨.
(٤٤٤٧) أخرجه الطبري: ٥٨٣/١٨.
(٤٤٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٦):ص٢٤٧٨/٨.
(٤٤٤٩)[الإخلاص : ١].
(٤٤٥٠)[الإسراء : ١١١].
(٤٤٥١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٩):ص٢٤٧٨/٨.
(٤٤٥٢) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.
(٤٤٥٤) تفسير ابن عثيمين:٢٢١/١.

أحدهما: أنهم سمّوا بذلك، لقولهم:{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[سورة الأعراف : ١٥٦]، أي: تبنا، قاله ابن جريج[٤٤٥٥].
الثاني: أن أصلها من :«هاد، يهيد» ، أي: تحرك، ومنه سمي اليهود؛ لتحركهم في دراستهم، قاله أبو عمرو بن العلاء [٤٤٥٦].

قوله تعالى:{وَالصَّابِئِينَ} [الحج : ١٧]، أي:" والصابئين- وهم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه-"[٤٤٥٧].

وقد اختلفت أهل العلم في المعنيين بالـ«الصابئة»، على أقوال:
أحدها: أنهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى، وليس لهم دين. قاله مجاهد[٤٤٥٨]، وعطاء[٤٤٥٩].
الثاني: أنهم منزلة بين اليهود والنصارى. قاله سعيد بن جبير[٤٤٦٠].
الثالث: قبيلة بين المجوس واليهود، ولاتؤكل ذبائحهم ولاتنكح نساؤهم. قاله الحسن[٤٤٦١]، ومجاهد[٤٤٦٢]، وابن أبي نجيح[٤٤٦٣].
الرابع: هم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. قاله أبو العالية[٤٤٦٤]والسدي[٤٤٦٥]، والربيع بن أنس[٤٤٦٦]، وأبو الشعشاء جابر بن زيد[٤٤٦٧]، والضحاك[٤٤٦٨]، وإسحاق بن راهويه[٤٤٦٩].
الخامس: هم قوم يعيدون الملائكة ويصلون إلى القبلة. قاله قتادة[٤٤٧٠]، وزياد بن أبيه[٤٤٧١]، وأبو جعفر الرازي[٤٤٧٢].

وفي رواية عن قتادة، قال:" قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرءون الزبور"[٤٤٧٣].
الثامن: أنهم طائفة من أهل الكتاب. قاله السدي[٤٤٧٤].

وأظهر الأقوال – والله أعلم – قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم باقون على فطرتهم، ولادين مقرر يتبعونه ويقتضونه[٤٤٧٥].

قوله تعالى:{وَالنَّصَارَى} [الحج : ١٧]، أي:" الذين انتسبوا إلى دين عيسى"[٤٤٧٦].

قال قتادة:" إنما سموا نصارى، لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة ينزلها عيسى ابن مريم، فهو اسم تسموا به، ولم يؤمروا به"[٤٤٧٧].

قال ابن جريج:" إنما سموا نصارى من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها"ناصرة"[٤٤٧٨].

(٤٤٥٥) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٤):ص١٤٣/٢.
(٤٤٥٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢.
(٤٤٥٧) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٥٨) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨):ص١٢٧/١.
(٤٤٥٩) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٦):ص١٤٦/٢.
(٤٤٦٠) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٧):ص١٢٧/١.
(٤٤٦١) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٣):ص١٤٦/٢.
(٤٤٦٢)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٢):ص١٤٦/٢.
(٤٤٦٣)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٤):ص١٤٦/٢.
(٤٤٦٤) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٩):ص١٢٧/١، وتفسير الطبري(١١١٠):ص١٤٧/٢.
(٤٤٦٥) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٤٤٦٦) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٤٤٦٧) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٤٤٦٨) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٤٤٦٩) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٤٤٧٠) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٩):ص١٤٧/٢.
(٤٤٧١) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٨):ص١٤٧/٢. زياد بن أبيه: هو والى العراق في زمن معاوية رضي الله عنه .
(٤٤٧٢) أنظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢، وزاد:"أنهم ويقرءون الزبور".
(٤٤٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٧):ص٢٤٧٨/٨.
(٤٤٧٤) أنظر: تفسير الطبري(١١١١):ص١٤٧/٢.
(٤٤٧٥) تفسير ابن كثير، ١٠٤/١.
(٤٤٧٦) انظر: تفسير ابن عثيمين:٢٢١/١.
(٤٤٧٧) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٧)، و(١٠٩٨):ص١٤٥/٢.
(٤٤٧٨) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٥):ص١٤٥/٢.

قوله تعالى:{وَالْمَجُوسَ} [الحج : ١٧]، أي:" والمجوس –وهم: عبدة النار-"[٤٤٧٩].
قال قتادة:" المجوس: عبدة الشمس والقمر والنيران"[٤٤٨٠].
قوله تعالى:{وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [الحج : ١٧]، أي:" والذين أشركوا -وهم: عبدة الأوثان"[٤٤٨١].
قال قتادة:" وأما {الذين أشركوا}: فهم عبدة الأوثان"[٤٤٨٢].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الحج : ١٧]، أي:" إنَّ الله يفصل بينهم جميعًا يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار"[٤٤٨٣].
قال قتادة:" الأديان ستة: فخمسة للشيطان، ودين الله عز وجل"[٤٤٨٤].
قال عكرمة:" فصل قضاءه بينهم، فجعل الجنة مشتركة وجعل هذه الأمة واحدة"[٤٤٨٥].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)} [الحج : ١٨]

التفسير:

ألم تعلم- أيها الرسول- أن الله سبحانه يسجد له خاضعًا منقادًا مَن في السموات من الملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؟ ولله يسجد طاعة واختيارًا كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأيُّ إنسان يهنه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ} [الحج : ١٨]، أي:" ألم تعلم- أيها الرسول- أن الله سبحانه يسجد له خاضعًا منقادًا مَن في السموات من الملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات، وهذه الأجرام العظمى مع سائر الجبال والأشجار والحيوانات تسجد لعظمته سجود انقياد وخضوع"[٤٤٨٦].

عن مجاهد، قوله: "{ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب}، قال: ظلال هذا كله"[٤٤٨٧].

وقال أبو العالية : "ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد[٤٤٨٨]: حتى يرجع إلى مطلعه"[٤٤٨٩].

وروي عن مجاهد، قال :"سجود كل شيء فيئه، وسجود الجبال فيئها"[٤٤٩٠].

وقال مجاهد:" الثوب يسجد"[٤٤٩١].

قال الضحاك:" إذا فاء الفيئ لم يبق شيء من دابة ولا طائر إلا خر لله ساجدا"[٤٤٩٢].

(٤٤٧٩) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨٠٧):ص٢٤٧٨/٨.
(٤٤٨١) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨٠٧):ص٢٤٧٨/٨.
(٤٤٨٣) التفسير الميسر:٣٣٣.
(٤٤٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨٠٧):ص٢٤٧٨/٨.
(٤٤٨٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٠٨):ص٢٤٧٨/٨.
(٤٤٨٦) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٤٤٨٧) اخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.
(٤٤٨٨)محمد بن جعفر.
(٤٤٨٩) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.
(٤٤٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٠):ص٢٤٧٩/٨.
(٤٤٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١١):ص٢٤٧٩/٨.
(٤٤٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٢):ص٢٤٧٩/٨.

عن عمرو بن دينار -رضي الله عنه- قال: "سمعت رجلا يطوف بالبيت ويبكي، فإذا هو طاووس! فقال: عجبت من بكائي؟ قلت: نعم، قال: ورب هذه البنية، إن هذا القمر ليبكي من خشية الله ولا ذنب له"[٤٤٩٣].

وفي الصحيحين عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟". قلت : الله ورسوله أعلم. قال : "فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت"»[٤٤٩٤].

وفي حديث الكسوف : "إن الشمس والقمر خَلْقان من خَلْق الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله عز وجل إذا تَجَلى لشيء من خلقه خشع له"[٤٤٩٥].

قوله تعالى:{وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاس} [الحج : ١٨]، أي:" ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة"[٤٤٩٦].

عن مجاهد: "{وكثير من الناس}، قال: المؤمنون"[٤٤٩٧].

عن طاووس، في الآية، قال: "لم يستثن من هؤلاء أحدا حتى إذا جاء ابن آدم استثناه، فقال: {وكثير من الناس}، قال: والذي أحق بالشكر هو أكثرهم"[٤٤٩٨].

قوله تعالى:{وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} [الحج : ١٨]، أي:" وكثير من الناس وجب له العذاب بكفره واستعصائه"[٤٤٩٩].

عن مجاهد :"{وكثير حق عليه العذاب}، وهو يسجد مع ظله"[٤٥٠٠].

القرآن

{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)} [الحج : ١٩ - ٢٢]

التفسير:

هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر، كل يدَّعي أنه محقٌّ، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جُعلت لهم من نار يَلْبَسونها، فتشوي أجسادهم، ويُصبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره، ويَنزِل إلى أجوافهم فيذيب ما فيها، حتى ينفُذ إلى جلودهم فيشويها فتسقط، وتضربهم الملائكة على رؤوسهم بمطارق من حديد. كلما حاولوا الخروج من النار -لشدة غمِّهم وكربهم- أعيدوا للعذاب فيها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

سبب النزول:

في سبب نزول الآيات:[١٩-٢٤]، قولان:

أحدهما: قال عطاء بن يسار: "نزلت هؤلاء الآيات: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. إلى قوله {وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}"[٤٥٠١].

قال أبو العالية:" لما التقوا يوم بدر قال لهم عتبة بن ربيعة: لا تقتلوا هذا الرجل، فإنه إن يكن صادقا فأنتم أسعد الناس بصدقه، وإن يكن كاذبا فأنتم أحق من حقن دمه، فقال أبو جهل بن هشام: لقد امتلأت رعبا، فقال عتبة: ستعلم أينا الجبان المفسد لقومه قال: فبرز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فنادوا

(٤٤٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٣):ص٢٤٧٩/٨.

(٤٤٩٤)) صحيح البخاري برقم (٤٨٠٣) وصحيح مسلم برقم (١٥٩).

(٤٤٩٥)المسند (٢٦٧/٤) وسنن أبي داود برقم (١١٧٧) وسنن النسائي (١٤١١٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٢٦٢).

(٤٤٩٦) صفوة التفاسير:٢٦٠/٢.

(٤٤٩٧) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.

(٤٤٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٤):ص٢٤٧٩/٨.

(٤٤٩٩) صفوة التفاسير:٢٦٠/٢.

(٤٥٠٠) أخرجه الطبري:٥٨٦/١٨.

(٤٥٠١)[الحج : ٢٤].

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا: «ابعث إلينا أكفاءنا نقاتلهم، فوثب غلمة من الأنصار من بني الخزرج، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلسوا ... قوموا يا بني هاشم. فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث فبرزوا لهم، فقال عتبة: تكلموا نعرفكم إن تكونوا أكفاءنا قاتلناكم. قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب. أنا أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفء كريم! فقال علي: أنا علي بن أبي طالب، فقال: كفء كريم! فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث. فقال عتبة: كفء كريم! فأخذ حمزة شيبة بن ربيعة وأخذ علي بن أبي طالب عتبة بن ربيعة، وأخذ عبيدة الوليد. فأما حمزة فأجاز على شيبة، وأما علي فاختلفا ضربتين فأقام فأجاز على عتبة، وأما عبيدة فأصيبت رجله، قال: فرجع هؤلاء وقتل هؤلاء، فنادى أبو جهل وأصحابه: لنا العزى ولا عزى لكم، فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم: قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فأنزل الله : {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}"[٤٥٠٢].

وعن قيس بن عباد قال: "سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}[٤٥٠٣]، نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابني أبي ربيعة، والوليد بن عتبة"[٤٥٠٤].

عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب، قال: "أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة"[٤٥٠٥].

الثاني: وقال قتادة:" اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: إن كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبينا خاتم الأنبياء فنحن أولى منكم، فأفلج الله أهل الإسلام على من ناواهم، فأنزل الله: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، إلى قوله: {عَذَابَ الْحَرِيقِ}[٤٥٠٦]"[٤٥٠٧]. وروي عن ابن عباس[٤٥٠٨]، نحو ذلك.

قوله تعالى:{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج : ١٩]، أي:" هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر، كل يدَّعي أنه محقٌ"[٤٥٠٩].

قال السمعاني:" أي: جادلوا في دينه وأمره"[٤٥١٠].

و«الخصمان» ها هنا: فريقان ، وفيهما أربعة أقوال:

أحدها : أنهما المسلمون والمشركون حين اقتتلوا في بدر ، وهذا قول أبي ذر[٤٥١١]، وهلال بن يساف[٤٥١٢]، وعطاء بن يسار[٤٥١٣].

الثاني : أنهم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وآمنا بنبيكم، وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسدا. وكان ذلك خصومتهم في ربهم. وهذا قول ابن عباس[٤٥١٤]، وقتادة[٤٥١٥].

(٤٥٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٧):ص٢٤٨٠/٨.

(٤٥٠٣)[الحج : ١٩].

(٤٥٠٤)أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧ / ٢٩٧، ومسلم في التفسير، باب: في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) برقم: (٣٠٣٣) ٤ / ٢٣٢٣. وأخرجه السمعاني في التفسير:٣٧٢/٥، واللفظ له.

(٤٥٠٥)أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧ / ٢٩٦، وابن ابي حاتم(١٣٨١٦):ص٢٤٧٩/٨-٢٤٨٠، والسمعاني في التفسير:٣٧٣/٥، واللفظ له.

(٤٥٠٦)[الحج : ٢٢].

(٤٥٠٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٩):ص٢٤٨٠/٨-٢٤٨١.

(٤٥٠٨) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(٤٥٠٩) التفسير الميسر:٣٣٤.

(٤٥١٠) تفسير السمعاني:٣٧٢/٥.

(٤٥١١) انظر: تفسير الطبري:٥٨٧/١٨-٥٨٨.

(٤٥١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٨٨/١٨.

(٤٥١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٨٨/١٨.

(٤٥١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.

(٤٥١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٩):ص٢٤٨٠/٨-٢٤٨١.

الثالث : أنهم أهل الإيمان والشرك في اختلافهم في البعث والجزاء ، وهذا قول مجاهد[٤٥١٦]، والحسن[٤٥١٧]، وعطاء بن ابي رباح[٤٥١٨]، وعاصم[٤٥١٩]، والكلبي[٤٥٢٠].

قال مجاهد:" مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث"[٤٥٢١].

قال ابن جريج:" خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين، يرون أنهم أولى بالله من غيرهم"[٤٥٢٢].

الرابع : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار : خلقني الله لنقمته ، وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته ، وهذا قول عكرمة[٤٥٢٣].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حق عليه العذاب، فقال: {ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر} ثم قال: {وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب} ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) وقال الله :{إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار} ; فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر إن ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم"[٤٥٢٤].

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} [الحج : ١٩]، أي:" فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جُعلت لهم من نار يَلْبَسونها، فتشوي أجسادهم"[٤٥٢٥].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{قطعت لهم ثياب من نار} من نحاس، وليس من الآنية شيء إذا حمي اشتد بأحر منه"[٤٥٢٦].

عن إبراهيم التيمي، أنه قرأ قوله: {قطعت لهم ثياب من نار}، قال: "سبحان من قطع من النار ثيابا"[٤٥٢٧].

قوله تعالى:{يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} [الحج : ١٩]، أي:" ويُصبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره"[٤٥٢٨].

قال يحيى:{ الْحَمِيمُ}: " هو الحار الشديد الحر"[٤٥٢٩].

قال ابن قتيبة: {الْحَمِيمُ}" أي: الماء الحار، {يصهر به ما في بطونهم} أي يذاب. يقال: صهرت النار الشحمة. والصهارة: ما أذيب من الألية"[٤٥٣٠].

(٤٥١٦) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.
(٤٥١٧) انظر: النكت العيون:١٣/٤.
(٤٥١٨) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.
(٤٥١٩) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.
(٤٥٢٠) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.
(٤٥٢١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨١٨):ص٢٤٨٠/٨.
(٤٥٢٢) أخرجه الطبري:٥٨٩/١٨.
(٤٥٢٣) انظر: تفسير الطبري:٥٨٩/١٨.
(٤٥٢٤) تفسير الطبري:٥٩٠/١٨.
(٤٥٢٥) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٤٥٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٠):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢١):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٢٨) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٤٥٢٩) تفسير يحيى بن سلام:٣٦٠/١.
(٤٥٣٠) غريب القرىن:٢٩١.

عن سعيد بن جبير، قوله: "{يصب من فوق رؤسهم الحميم}، قال: النحاس يذاب على رؤوسهم"[٤٥٣١].

عن أبي هريرة أنه تلا هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة، حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدمه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»[٤٥٣٢].

قوله تعالى:{يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} [الحج : ٢٠]، أي:" يذاب به ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود"[٤٥٣٣].

قال الزجاج:" يغلى به ما في بطونهم حتى يخرج من أدبارهم، فهذا لأحد الخصمين"[٤٥٣٤].

قال يحيى: "{يصهر به}: يحرق به"[٤٥٣٥].

وقال الحسن: "يقطع به"[٤٥٣٦].

وقال مجاهد:" يذاب إذابة"[٤٥٣٧].

وقال الكلبي: "ينضح به"[٤٥٣٨].

قال ابن عباس:" يمشون وأمعاؤهم تساقط وجلودهم"[٤٥٣٩].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{يصهر به ما في بطونهم}، قال: تسيل أمعاؤهم والجلود، قال: تتناثر جلودهم حتى يقوم كل عضو بحياله"[٤٥٤٠].

قال السدي:" يأتيه الملك يحمل الإناء بكليتين من حرارته، فإذا أدناه من وجهه يكرهه فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه، ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه. فذلك قوله: {يصهر به ما في بطونهم والجلود}"[٤٥٤١].

عن عطاء الخراساني قوله: "{يصهر به}، قال: يذاب كما يذاب الشحم"[٤٥٤٢].

قال سعيد بن جبير:" إذا جاء أهل النار في النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختنست جلود وجوههم، فلو إن مارا يمر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم بها، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد سقطت عنه الجلود ويصهر به ما في بطونهم يمشون وأمعاؤهم تساقط وجلودهم"[٤٥٤٣].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} [الحج : ٢١]، أي:" ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها ويدفعون"[٤٥٤٤].

قال يحيى: " يعني: من نار، يقمع رأسه بالمقمعة، فيحترق رأسه، فيصب في الحميم حتى يبلغ جوفه"[٤٥٤٥].

عن الضحاك قوله: "{ولهم مقامع}، قال: مطارق"[٤٥٤٦].

قال ابن عباس:" يضربون بها فيقع كل عضو على حياله"[٤٥٤٧].

(٤٥٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٠):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٢):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٣٣) صفوة التفاسير:٢٦٢/٢.
(٤٥٣٤) معاني القرآن:٤١٩/٣.
(٤٥٣٥) تفسير يحيى بن سلام:٣٦٠/١.
(٤٥٣٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٠/١.
(٤٥٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٦):ص٢٤٨٢/٨.
(٤٥٣٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٠/١.
(٤٥٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٥):ص٢٤٨١/٨-٢٤٨٢.
(٤٥٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٠):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٣):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٧):ص٢٤٨٢/٨.
(٤٥٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٤):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٤٤) صفوة التفاسير:٢٦٢/٢.
(٤٥٤٥) تفسير يحيى بن سلام:٣٦٠/١.
(٤٥٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٨):ص٢٤٨٢/٨.

قال سعيد بن جبير:" ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو علي حياله يدعون بالويل والثبور"[٤٥٤٨].

عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو إن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان، ما ألقوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان»[٤٥٤٩].

روي أن أبا العوام، سادن بيت المقدس :" قرأ هذه الآية: {عليها تسعة عشر} [المدثر: ٣٠] فقال للقوم: ما تقولون تسعة عشر ملكا أو تسعة عشر ألف ملك؟ فقالوا: الله أعلم، فقال: هم تسعة عشر ملكا، بيد كل ملك مرزبة من حديد لها شعبتان، فيضرب بها الضربة فتهوي بها سبعون ألفا، أي من أهل النار"[٤٥٥٠].

قوله تعالى:{كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [الحج : ٢٢]، أي:" كلما أراد اهل النار الخروج من النار من شدة غمها ردوا إلى أماكنهم فيها"[٤٥٥١].

قال: الحسن: "ترفعهم بلهبها، فإذا كانوا في أعلاها قمعتهم الملائكة بمقامع من حديد من نار، فيهوون فيها سبعين خريفا"[٤٥٥٢].

عن الفضيل بن عياش في الآية، قال: "والله ما طمعوا في الخروج، لأن الأرجل مقيدة والأيدي موثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها"[٤٥٥٣].

عن سلمان، قال: "النار سوداء مظلمة لا يضيئ لهبها ولا جمرها، ثم قرأ :{كلما أرادوا إن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها}"[٤٥٥٤].

عن أبي جعفر القارئ، أنه قرأ هذه الآية: {كلما أرادوا إن يخرجوا منها من غم}، فبكى وقال: أخبرني زيد بن أسلم في هذه الآية إن أهل النار في النار لا يتنفسون"[٤٥٥٥].

قوله تعالى:{وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج : ٢٢]، أي:" وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق"[٤٥٥٦].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)} [الحج : ٢٣]

التفسير:

إن الله تعالى يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم، تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير رجالا ونساءً.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الحج : ٢٣]، أي:" إن الله تعالى يدخل أهل الإيمان والعمل الصالح جنات نعيمها دائم، تجري مِن تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[٤٥٥٧].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٤٥٥٨].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٤٥٥٩].

(٤٥٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٥):ص٢٤٨١/٨-٢٤٨٢.
(٤٥٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٤):ص٢٤٨١/٨.
(٤٥٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٢٩):ص٢٤٨٢/٨.
(٤٥٥٠)أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٠/١ .
(٤٥٥١) صفوة التفاسير:٢٦٢/٢.
(٤٥٥٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٠/١.
(٤٥٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٣٢):ص٢٤٨٢/٨.
(٤٥٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٣٠):ص٢٤٨٢/٨.
(٤٥٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٣١):ص٢٤٨٢/٨.
(٤٥٥٦) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٤٥٥٧) التفسير الميسر:٣٣٤.
(٤٥٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(٤٥٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

قوله تعالى:{يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا} [الحج : ٢٣]، أي:" يُزَيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ"(٤٥٦٠).

قال سعيد بن المسيب:" ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ"(٤٥٦١).

عن ابن لهيعة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن رجلا من أهل الجنة بدا إسواره لغلب على ضوء الشمس» (٤٥٦٢).

القرآن

{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)} [الحج : ٢٤]

التفسير:

لقد هداهم الله في الدنيا إلى طيب القول: من كلمة التوحيد وحَمْد الله والثناء عليه، وفي الآخرة إلى حمده على حسن العاقبة، كما هداهم من قبل إلى طريق الإسلام المحمود الموصل إلى الجنة.

قوله تعالى:{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} [الحج : ٢٤]، أي:" أرشدوا إلى الكلام الطيب والقول النافع"(٤٥٦٣).

وفي قوله تعالى:{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} [الحج : ٢٤]، وجوه:

أحدها : أنهم {هدوا إلى الطيب من القول} في الخصومة، إذ قالوا: الله مولانا ولا مولى لكم. وهذا قول أبي العالية(٤٥٦٤).

الثاني: معناه: هدوا إلى الإخلاص. قاله إسماعيل بن ابي خالد(٤٥٦٥).

الثالث: أنه الإيمان ، وهو قول الحسن(٤٥٦٦).

والظاهر أن المعنى: " فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب، { وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا } [الفرقان : ٧٥]، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يُرَوّعون به ويقرعون به ، يقال لهم : { وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }"(٤٥٦٧).

قوله تعالى:{وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج : ٢٤]، أي:" وأرشدوا إلى الطريق الحميد"(٤٥٦٨).

عن إسماعيل بن أبي خالد:"{وهدوا إلى صراط الحميد}، قال: الإسلام"(٤٥٦٩).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)} [الحج : ٢٥]

التفسير:

إن الذين كفروا بالله، وكذبوا بما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم، ويمنعون غيرهم من الدخول في دين الله، ويصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في عام «الحديبية» عن المسجد الحرام، الذي جعلناه لجميع المؤمنين، سواء المقيم فيه والقادم إليه، لهم عذاب أليم موجع، ومن يرد في المسجد الحرام الميْلَ عن الحق ظلمًا فيَعْصِ الله فيه، نُذِقْه مِن عذاب أليم موجع.

(٤٥٦٠) التفسير الميسر:٣٣٤.

(٤٥٦١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٠/١.

(٤٥٦٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦١/١.

(٤٥٦٣) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.

(٤٥٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٣٥):ص٢٤٨٣/٨.

(٤٥٦٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٥٦):ص٢٤٨٣/٨.

(٤٥٦٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٦١/١، والنكت والعيون:١٥/٤.

(٤٥٦٧) تفسير ابن كثير:٤٠٨/٥.

(٤٥٦٨) تفسير المراغي:١٠٤/١٧.

(٤٥٦٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٨٥٦):ص٢٤٨٣/٨.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ} [الحج : ٢٥]، أي:" إن الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم، ويمنعون الناس أن يدخلوا فى دين الله، ويصدون عن الدخول فى المسجد الحرام الذي جعلناه لجميع المؤمنين"(٤٥٧٠).

قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"(٤٥٧١).

عن سعيد بن جبير:" {في سبيل الله}، قال: في طاعة الله"(٤٥٧٢).

قوله تعالى:{سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} [الحج : ٢٥]، أي:" سواء المقيم فيه والقادم إليه"(٤٥٧٣).

وفي قوله تعالى:{سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} [الحج : ٢٥]، وجهان:

أحدهما : أنهم سواء في دوره ومنازله، وليس العاكف المقيم أولى بها من البادي المسافر، وهذا قول مجاهد(٤٥٧٤)، وقتادة(٤٥٧٥)، وأبي صالح(٤٥٧٦)، وابن سابط(٤٥٧٧)، وهو قول مَنْ منع بيع دور مكة كأبي حنيفة(٤٥٧٨).

قال قتادة:" سواء فيه أهله وغير أهله"(٤٥٧٩).

قال مجاهد:" أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء"(٤٥٨٠).

قال أبو صالح:" العاكف: أهله، والباد: المنتاب في المنزل سواء"(٤٥٨١).

قال ابن سابط:" كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل. ففشا فيهم السرق، وكل إنسان يسرق من ناحيته، فاصطنع رجل بابا، فأرسل إليه عمر: أتخذت بابا من حجاج بيت الله؟ فقال: لا إنما جعلته ليحرز متاعهم، وهو قوله: {سواء العاكف فيه والباد}، قال: الباد فيه كالمقيم، ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل"(٤٥٨٢).

عن أبي حصين، قال: "قلت لسعيد بن جبير: أعتكف بمكة، قال: أنت عاكف. وقرأ: {سواء العاكف فيه والباد}"(٤٥٨٣).

وكان عمر - رضي الله عنه - ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في زمان الموسم، وفي رواية: منعهم أن يتخذوا الأبواب فاتخذ رجل بابا فضربه بالدرة، وفي الخبر: أن دور مكة كانت تدعى السوائب، من شاء سكن، ومن استغنى أسكن، وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها"(٤٥٨٤).

الثاني : أنهما سواء في أن من دخله كان آمناً، وأنه لا يقتل بها صيداً ولا يعضد بها شجراً. وهذا قول مجاهد ايضا(٤٥٨٥)، والحسن(٤٥٨٦)، وعطاء(٤٥٨٧).

عن مجاهد، قوله :"{سواء العاكف فيه}، قال: الساكن، {والباد}، الجانب سواء حق الله عليهما فيه"(٤٥٨٨).

(٤٥٧٠) تفسير المراغي:١٠٥/١٧.
(٤٥٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.
(٤٥٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٥٤/٦.
(٤٥٧٣) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٤٥٧٤) انظر: تفسير الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤٥٧٥) انظر: الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤٥٧٦)انظر:الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤٥٧٧)انظر:الطبري:٥٩٥/١٨-٥٩٦.
(٤٥٧٨) انظر: النكت والعيون:١٦/٤.
(٤٥٧٩) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤٥٨٠) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤٥٨١) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤٥٨٢) أخرجه الطبري:٥٩٥/١٨-٥٩٦.
(٤٥٨٣) أخرجه الطبري:٥٩٦/١٨.
(٤٥٨٤) تفسير السمعاني:٤٣٢/٣.
(٤٥٨٥) انظر: تفسير الطبري:٥٩٦/١٨-٥٩٧.
(٤٥٨٦) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٦٥/٣.
(٤٥٨٧) انظر: تفسير الطبري:٥٩٧/١٨.
(٤٥٨٨) اخرجه الطبري:٥٩٧/١٨.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج : ٢٥]، أي:" ومن يرد في المسجد الحرام الميْلَ عن الحق ظلمًا فيَعْصِ الله فيه، نُذِقْه مِن عذاب أليم موجع"(٤٥٨٩).

واختلفوا في معنى «الإلحاد»، هاهنا، على وجهين:

احدهما: أنه الشرك وعبادة غير الله. هذا قول مجاهد(٤٥٩٠)، وقتادة(٤٥٩١)، وعطاء(٤٥٩٢).

قال قتادة:" هو الشرك من أشرك في بيت الله عذبه الله"(٤٥٩٣).

الثاني: انه العمل السيء. قاله مجاهد –ايضا-(٤٥٩٤).

القرآن

{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)} [الحج : ٢٦]

التفسير:

واذكر -أيها النبي- إذ بَيَّنا لإبراهيم -عليه السلام- مكان البيت، وهيَّأناه له وقد كان غير معروف، وأمرناه ببنائه على تقوى من الله وتوحيده وتطهيره من الكفر والبدع والنجاسات؛ ليكون رحابًا للطائفين به، والقائمين المصلين عنده.

قوله تعالى:{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} [الحج : ٢٦]، أي:" واذكر -أيها النبي- حين أرشدنا إبراهيم وألهمناه مكان البيت"(٤٥٩٥).

عن قتادة في قوله تعالى: {وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت}، قال: " وضع الله البيت مع آدم ، أهبط الله آدم إلى الأرض ، فكان مهبطه بأرض الهند ، وكان رأسه في السماء ، ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنقص إلى ستين ذراعا فحزن آدم ، إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال: يا آدم إني قد أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي ، فانطلق إليه ، فخرج إليه آدم ومد له في خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة ، فلم تزل تلك المفازة على ذلك فأتى آدم البيت فطاف به ، ومن بعده من الأنبياء "(٤٥٩٦).

عن أبان: أن "البيت أهبط ياقوتة واحدة أو درة واحدة "(٤٥٩٧).

عن كعب الأحبار قال: "كان البيت غثاة وهي الماء قبل أن يخلق الله الأرض بأربعين عاما، ومنه دحيت الأرض"(٤٥٩٨).

قوله تعالى:{أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا} [الحج : ٢٦]، أي:" أمرناه ببناء البيت العتيق خالصاً لله"(٤٥٩٩).

قال ابن كثير:" أي : ابْنه على اسمي وحدي"(٤٦٠٠).

قوله تعالى:{وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج : ٢٦]، أي:" طهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يعبد الله فيه بالطواف والصلاة"(٤٦٠١).

القرآن

(٤٥٨٩) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٤٥٩٠) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٦٥/٣.

(٤٥٩١) انظر: تفسير عبدالرزاق (١٩٠٩):ص٤٠٠/٢.

(٤٥٩٢) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٢/١.

(٤٥٩٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٠٩):ص٤٠٠/٢.

(٤٥٩٤) انظر: تفسير مجاهد:٤٧٩.

(٤٥٩٥) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.[بتصرف]

(٤٥٩٦) تفسير عبدالرزاق(١٩١١):ص٤٠١/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣٨٧٢):ص٢٤٨٥/٨.

(٤٥٩٧) تفسير عبدالرزاق(١٩١٢):ص٤٠٢/٢.

(٤٥٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨٧٣):ص٢٤٨٦/٨.

(٤٥٩٩) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.

(٤٦٠٠) تفسير ابن كثير:٤١٣/٥.

(٤٦٠١) صفوة التفاسير:٢٦٣/٢.

{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)} [الحج : ٢٧ - ٢٨]

التفسير:

وأعلِمْ -يا إبراهيم- الناس بوجوب الحج عليهم يأتوك على مختلف أحوالهم مشاةً وركبانًا على كل ضامر من الإبل، وهو: (الخفيف اللحم من السَّيْر والأعمال لا من الهُزال) ، يأتين من كل طريق بعيد; ليحضروا منافع لهم من: مغفرة ذنوبهم، وثواب أداء نسكهم وطاعتهم، وتكَسُّبِهم في تجاراتهم، وغير ذلك؛ وليذكروا اسم الله على ذَبْح ما يتقربون به من الإبل والبقر والغنم في أيام معيَّنة هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده; شكرًا لله على نعمه، وهم مأمورون أن يأكلوا مِن هذه الذبائح استحبابًا، ويُطعموا منها الفقير الذي اشتد فقره.

سبب النزول:

أولا:- سبب نزول قوله تعالى: {يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} [الحج : ٢٧]:

قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: {يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ}(٤٦٠٢)، قال: فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر"(٤٦٠٣).

ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨]:

قال إبراهيم:" كان المشركون لا يأكلون من ذبائح نسائكهم، فأنزل الله: فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فرخص للمسلمين، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل"(٤٦٠٤).

قوله تعالى:{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} [الحج : ٢٧]، أي:" ونادِ في الناس داعياً لهم لحج بيت الله العتيق"(٤٦٠٥).

عن السدي، قال: "إن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يبني البيت هو وإسماعيل، فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة فقام هو وإسماعيل وأخذ المعاول لا يدريان أين البيت، فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخجوج، لها جناحان ورأس في صورة حية، فكنست لهما ما حول الكعبة من البيت الأول، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس. فذلك حين يقول الله: وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فلما بنيا القواعد فبلغ مكان الركن، قال إبراهيم لإسماعيل: اطلب لي حجرا حسنا أضعه هاهنا قال: يا أبت، إني كسلان لغب قال: علي ذلك. فانطلق يطلب له حجرا فأتاه بحجر فلم يرضه فقال: ائتني بحجر أحسن من هذا فانطلق يطلب حجرا فجاءه جبريل بالحجر الأسود من الجنة، وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الغثامة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس، فجاءه إسماعيل بحجر فوجد عنه الركن فقال: يا أبت من جاءك بهذا؟ قال: جاءني به من هو أنشط منك، فبينما هما يدعوان بالكلمات التي ابتلى بها إبراهيم ربه، فلما فرغا من البنيان أمره الله أن ينادي فقال: {أذن في الناس بالحج}"(٤٦٠٦).

قوله تعالى:{يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} [الحج : ٢٧]، أي:" يأتوك مشاة على أقدامهم أو ركبانا على جمل هزيل قد أعبه وأنهكه بعد المسافة"(٤٦٠٧).

قال مجاهد:" حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين"(٤٦٠٨).

قوله تعالى:{يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج : ٢٧]، أي:" تأتي الإبل الضامرة من كل طريق بعيد"(٤٦٠٩).

قال قتادة:" يعني: من مكان بعيد"(٤٦١٠).

(٤٦٠٢)[الحج : ٢٧].

(٤٦٠٣) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٨.

(٤٦٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٩٥):ص٨/٢٤٨٩.

(٤٦٠٥) صفوة التفاسير:٢/٢٦٣.

(٤٦٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨٧٤):ص٨/٢٤٨٦.

(٤٦٠٧) صفوة التفاسير:٢/٢٦٣-٢٦٤.

(٤٦٠٨) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٨.

(٤٦٠٩) صفوة التفاسير:٢/٢٦٤.

(٤٦١٠) أخرجه الطبري:١٨/٦٠٨.

قال سعيد بن جبير:" لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فخرج فنادى في الناس: يا أيها الناس أن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فلم يسمعه يومئذ من إنس، ولا جن، ولا شجر، ولا أكمة، ولا تراب، ولا جبل، ولا ماء، ولا شيء إلا قال: لبيك اللهم لبيك"(٤٦١١).

قال مجاهد:" قام إبراهيم على مقامه، فقال: يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، فمن حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ"(٤٦١٢).

قال عكرمة:" لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، قام على المقام، فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه، قال داود: فأرجو من حج اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام"(٤٦١٣).

قوله تعالى:{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج : ٢٨]، أي:" ليحضروا منافع لهم كثيرة دينية ودنيوية"(٤٦١٤).

وفي قوله تعالى:{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج : ٢٨]، وجوه:

أحدها : أنها المغفرة لذنوبهم ، قاله محمد بن علي(٤٦١٥)، والضحاك(٤٦١٦).

الثاني : أنها التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة ، وهذا قول مجاهد(٤٦١٧).

قال مجاهد:" التجارة، وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة"(٤٦١٨).

الثالث: أنها التجارة ومنافع الدنيا. قاله سعيد بن جبير(٤٦١٩)، وأبي رزين(٤٦٢٠).

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت"(٤٦٢١)، وإنما نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات"(٤٦٢٢).

قوله تعالى:{وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} [الحج : ٢٨]، أي:" ويذكروا عند ذبح الهدايا والضحايا اسم الله في أيام النحر"(٤٦٢٣).

وفي «الأيام المعلومات»، قولان:

أحدهما: أنها أيام العشر، به قال الحسن(٤٦٢٤)، وسعيد بن جبير(٤٦٢٥)، وعطاء(٤٦٢٦)، وعكرمة(٤٦٢٧)، ومجاهد(٤٦٢٨)، وقتادة(٤٦٢٩).

الثاني: أنها أيام التشريق، به قال عطاء الخراساني(٤٦٣٠)، والنخعي(٤٦٣١)، والضحاك(٤٦٣٢).

(٤٦١١) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٨.
(٤٦١٢) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٨.
(٤٦١٣) أخرجه الطبري:٦٠٦/١٨-٦٠٧.
(٤٦١٤) صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.
(٤٦١٥) انظر: تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(٤٦١٦) انظر: النكت والعيون:١٩/٤.
(٤٦١٧) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٨.
(٤٦١٨) أخرجه الطبري:٦٠٩/١٨.
(٤٦١٩) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٨.
(٤٦٢٠) انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٨.
(٤٦٢١) تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(٤٦٢٢) مفاتيح الغيب:٢٢١/٢٣.
(٤٦٢٣) صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.
(٤٦٢٤)اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٤٦٢٥)اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٤٦٢٦) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٤٦٢٧) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٤٦٢٨) اورده السيوطي في الدر المنثور:٣٨/٦. وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٤٦٢٩) انظر: تفسير الطبري:٦١٠/١٨.
(٤٦٣٠) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.
(٤٦٣١) انظر: زاد المسير:٣٣٣/٣.

قوله تعالى:{عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج : ٢٨]، أي:" شكراً لله على نعمائه وعلى ما رزقهم وملكهم من الأنعام"[٤٦٣٣].

عن الضحاك:" {على ما رزقهم من بهيمة الأنعام}، يعني: البدن"[٤٦٣٤].

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِنْهَا} [الحج : ٢٨]، أي:" كلوا من لحوم الأضاحي"[٤٦٣٥].

قال عطاء:" كان لا يرى الأكل منها واجبا"[٤٦٣٦].

قال مجاهد وهشيم وعطاء:" هي رخصة: إن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل"[٤٦٣٧].

قال مجاهد:" إن ابن مسعود كان [يقول][٤٦٣٨] للذي يبعث بهديه معه: كل ثلثا وتصدق بالثلث، وأهد لآل عتبة ثلثا"[٤٦٣٩].

قال سعيد بن المسيب:" ليس لصاحب البدنة منها إلا ربعها"[٤٦٤٠].

قال الحسن:" لا يطعم من الأضحية أقل من الربع"[٤٦٤١].

قوله تعالى:{وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨]، أي:" وأطعموا منها البائس الذي أصابه بؤس وشدة، والفقير الذي أضعفه الإعسار"[٤٦٤٢].

عن الحسن قال، :"هي مقدمة مؤخرة {فكلوا منها وأطعموا} [الحج: ٢٨] وأطعموا منها وكلوا، لا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل وإن شاء لم يأكل منها"[٤٦٤٣].

عن عائشة ابنة سعد بن مالك :"أن أباها كان يأكل من بدنته قبل أن يطعم"[٤٦٤٤].

وفي معنى: {الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨]، وجوه:

أحدها : أن الفقير المحتاج الذي به زمَانةٌ ، وهو قول قتادة[٤٦٤٥] .

الثاني : أن البائس: الذي ظهر عليه أثر البؤس، والفقير: المتعفف. قاله عكرمة[٤٦٤٦].

وقال عكرمة:" البائس المضطر الذي عليه البؤس، والفقير الضعيف"[٤٦٤٧].

الثالث : أنه الذي يمد يده بالسؤال. قاله مجاهد أيضا[٤٦٤٨].

وقال مجاهد:" الذي يبسط يديه"[٤٦٤٩].

الرابع :معناه: الضعيف الفقير. رواه أبو يحيى عن مجاهد[٤٦٥٠].

واستدل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضاحي وهو قول غريب ، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب ، كما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسا من مرقها[٤٦٥١][٤٦٥٢].

(٤٦٣٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١٠.

(٤٦٣٣) صفوة التفاسير:٢/٢٦٤.

(٤٦٣٤) أخرجه الطبري:١٨/٦١٠.

(٤٦٣٥) صفوة التفاسير:٢/٢٦٤.

(٤٦٣٦) اخرجه الطبري:١٨/٦١١.

(٤٦٣٧) اخرجه الطبري:١٨/٦١١.

(٤٦٣٨) في المطبوع:[يقال].

(٤٦٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٨٩٦):ص٨/٢٤٨٩.

(٤٦٤٠) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٦.

(٤٦٤١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٦.

(٤٦٤٢) صفوة التفاسير:٢/٢٦٤.

(٤٦٤٣) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٧.

(٤٦٤٤) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٧.

(٤٦٤٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٣٥٩):ص٦/١٨١٩، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٦٦.

(٤٦٤٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١١-٦١٢.

(٤٦٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٨٩٨):ص٨/٣٨٩٢.

(٤٦٤٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦١١-٦١٢.

(٤٦٤٩) أخرجه الطبري:١٨/٦١٢.

(٤٦٥٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٣٦٦.

(٤٦٥١)رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٤٦٥٢) تفسير ابن كثير:٥/١٦.

وقال عبد الله بن وهب : "قال لي مالك : أحب أن يأكل من أضحيته ؛ لأن الله يقول:{فَكُلُوا مِنْهَا} : قال ابن وهب وسألت الليث ، فقال لي مثل ذلك"[٤٦٥٣].

وقال إبراهيم:" كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل"[٤٦٥٤].

القرآن

{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)} [الحج : ٢٩]

التفسير:

ثم ليكمل الحجاج ما بقي عليهم من النُّسُك، بإحلالهم وخروجهم من إحرامهم، وذلك بإزالة ما تراكم مِن وسخ في أبدانهم، وقص أظفارهم، وحلق شعرهم، وليوفوا بما أوجبوه على أنفسهم من الحج والعمرة والهدايا، وليطوفوا بالبيت العتيق القديم، الذي أعتقه الله مِن تسلُّط الجبارين عليه، وهو الكعبة.

قوله تعالى:{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} [الحج : ٢٩]، أي:" ثم ليكمل الحجاج ما بقي عليهم من النُّسُك، بإحلالهم وخروجهم من إحرامهم، وذلك بإزالة ما تراكم مِن وسخ في أبدانهم، وقص أظفارهم، وحلق شعرهم"[٤٦٥٥].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} [الحج : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: حلق الرأس، قاله الحسن[٤٦٥٦]، والضحاك[٤٦٥٧]، وقتادة[٤٦٥٨]، قال أمية بن أبي الصلت[٤٦٥٩]:

حفوا رؤوسهم لم يحلقوا تفثاً ... ولم يسلوا لهم قملا وصئبانا

وروي عن الحسن:" التفث ذا الشعث وذا التقشف"[٤٦٦٠].

الثاني : أن التفث: حلق الرأس، وتقليم الظفر. قاله مجاهد[٤٦٦١].

وروي عن عكرمة:" أن التفث: الشعر والظفر"[٤٦٦٢].

الثالث : إزالة قشف الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال الطيب ، وهو قول الحسن[٤٦٦٣].

الرابع: -وهو قول محمد بن كعب القرظي- أن النفث:" رمي الجمار، وذبح الذبيحة، وأخذ من الشاربين واللحية والأظفار، والطواف بالبيت وبالصفا والمروة"[٤٦٦٤].

الخامس: -وهو قول مجاهد- أن النفث:" حلق الرأس، وحلق العانة، وقصر الأظفار، وقص الشارب، ورمي الجمار، وقص اللحية"[٤٦٦٥].

السادس: -وهو قول ابن جريج-، أن النفث:" الأخذ من اللحية، ومن الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، ورمي الجمار"[٤٦٦٦].

السابع: -وهو قول عطاء بن السائب- أن "التفث: حلق الشعر، وقص الأظفار والأخذ من الشارب، وحلق العانة، وأمر الحج كله"[٤٦٦٧].

(٤٦٥٣) تفسير ابن كثير:١٦/٥.
(٤٦٥٤) تفسير ابن كثير:١٧/٥.
(٤٦٥٥) التفسير الميسر:٣٣٥.
(٤٦٥٦) انظر: تفسير الطبري:٦١٣/١٨.
(٤٦٥٧) انظر: تفسير الطبري:٦١٣/١٨.
(٤٦٥٨) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٧/١.
(٤٦٥٩) من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٢٠/٤[الصدر فقط]، وأحكام القران لابن العربي:٢٨٤/٣، والقرطبي في التفسير:٥٠/١٢، وابن عطية في التحرير والتنوير:٢٤٩/١٧.
(٤٦٦٠) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٦٧/١.
(٤٦٦١) انظر: تفسير الطبري:٦١٢/١٨.
(٤٦٦٢) أخرجه الطبري:٦١٢/١٨.
(٤٦٦٣) انظر: النكت والعيون:٢٠/٤.
(٤٦٦٤) أخرجه الطبري:٦١٢/١٨-٦١٣.
(٤٦٦٥) أخرجه الطبري:٦١٣/١٨.
(٤٦٦٦) أخرجه الطبري:٦١٣/١٨.
(٤٦٦٧) أخرجه الطبري:٦١٤/١٨.

وسئل الحسن عن التجرد في الحج فقال : "جرّد قلبك من السهو ، ونفسك من اللهو ولسانك من اللغو ، ثم يجوز كيف شئت"[٤٦٦٨] .

قوله تعالى:{وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} [الحج : ٢٩]، أي:" وليوفوا بما أوجبوه على أنفسهم من الحج والعمرة والهدايا"[٤٦٦٩].

قال مجاهد:" نذر الحج والهدي، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج"[٤٦٧٠].

قوله تعالى:{وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج : ٢٩]، أي:" وليطوفوا بالبيت العتيق القديم، الذي أعتقه الله مِن تسلُّط الجبارين عليه، وهو الكعبة"[٤٦٧١].

عن الحسن: "{وليطوفوا بالبيت العتيق}، قال: طواف الزيارة"[٤٦٧٢].

قال الحسن:" الطواف الواجب"[٤٦٧٣].

قال عطاء:" طواف يوم النحر"[٤٦٧٤].

عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سألت زهيرا عن قول الله: {وليطوفوا بالبيت العتيق}، قال: طواف الوداع"[٤٦٧٥].

عن أبى جمرة قال: "قال لي ابن عباس: أتقرأ سورة الحج؟ يقول الله: {وليطوفوا بالبيت العتيق}، قال: فإن آخر المناسك الطواف بالبيت"[٤٦٧٦].

وفي تسمية «البيت»: عتيقاً، وجوه:

أحدها :لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه، وهو قول مجاهد[٤٦٧٧]، وقتادة[٤٦٧٨].

قال مجاهد:" إنما سمي البيت العتيق، لأنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك"[٤٦٧٩].

ووفي لفظ عن مجاهد: "فليس في الأرض جبار يدعي أنه له"[٤٦٨٠].

الثاني : لأنه عتيق لم يملكه أحد من الناس ، وهو قول مجاهد[٤٦٨١].

قال مجاهد:" إنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء"[٤٦٨٢].

الثالث : لأنه أعتق من الغرق في زمن نوح-عليه السلام-، وهذا قول سعيد بن جبير[٤٦٨٣].

ودليل هذا القول: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} [الحج : ٢٦]، فهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه[٤٦٨٤].

الرابع: سمي بذلك لقدمه. قاله الحسن[٤٦٨٥].

الخامس: إنما سماه عتيقا تكرمه له، كما تقول العرب: جسد عتيق، وفرس عتيق إذا كان كريما. حكاه التستري عن الحسن[٤٦٨٦].

(٤٦٦٨) النكت والعيون:٢٠/٤.

(٤٦٦٩) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٤٦٧٠) أخرجه الطبري:٦١٤/١٨.

(٤٦٧١) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٤٦٧٢) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.

(٤٦٧٣) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.

(٤٦٧٤) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.

(٤٦٧٥) اخرجه الطبري:٦١٦/١٨.

(٤٦٧٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٠):ص٢٤٩٠/٨.

(٤٦٧٧) انظر: تفسير الطبري:٦١٤/١٨.

(٤٦٧٨) انظر: تفسير الطبري:٦١٤/١٨.

(٤٦٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٠٦):ص٢٤٩٠/٨.

(٤٦٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٠٥):ص٢٤٩٠/٨.

(٤٦٨١) انظر: تفسير الطبري:٦١٥/١٨.

(٤٦٨٢)أخرجه الطبري:٦١٥/١٨ .

(٤٦٨٣) انظر: تفسير الطبري:٢٤٩٠/١٨.

(٤٦٨٤)معاني القرآن:٤٢٤/٣ .

(٤٦٨٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٠٨):ص٢٤٩٠/٨، وحكاه عنه الزجاج في معاني القرآن:٤٢٤/٣.

(٤٦٨٦) انظر: تفسير التستري:١٠٧.

ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: {البيت العتيق} وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر، غير أن الذي روي عن ابن الزبير أولى بالصحة ، إن كان ما: حدثني به محمد بن سهل البخاري...عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط صحيحا"(٤٦٨٧).

القرآن

{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)} [الحج : ٣٠]

التفسير:

ذلك الذي أمر الله به مِن قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظِّموه، ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة. وأحلَّ الله لكم أكْلَ الأنعام إلا ما حرَّمه فيما يتلى عليكم في القرآن من الميتة وغيرها فاجتنبوه، وفي ذلك إبطال ما كانت العرب تحرِّمه من بعض الأنعام، وابتعِدوا عن القذارة التي هي الأوثان، وعن الكذب الذي هو الافتراء على الله.

قوله تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [الحج : ٣٠]، أي:" ذلك الذي أمر الله به مِن قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظِّموه ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة"(٤٦٨٨).

قال مجاهد:" الحرمة: الحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها"(٤٦٨٩).

عن أبي ربيعة المخزومي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لن تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها، يعني: مكة فإذا ضيعوا ذلك هلكوا»(٤٦٩٠).

قوله تعالى:{وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الحج : ٣٠]، أي:" وأحلَّ الله لكم أكْلَ الأنعام إلا ما حرَّمه فيما يتلى عليكم في القرآن من الميتة وغيرها فاجتنبوه"(٤٦٩١).

عن قتادة: "{إلا ما يتلى عليكم}، قال: إلا الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه"(٤٦٩٢).

قوله تعالى:{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [الحج : ٣٠]، أي:" وابتعِدوا عن القذارة التي هي الأوثان"(٤٦٩٣).

عن ابن جريج قوله: "{الرجس من الأوثان}، قال: عبادة الأوثان"(٤٦٩٤).

قوله تعالى:{وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج : ٣٠]، أي:" وابتعِدوا عن الكذب الذي هو الافتراء على الله"(٤٦٩٥).

وفي قوله تعالى:{وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج : ٣٠]، أقوال:

أحدها : يعني: الكذب، وهو قول مجاهد(٤٦٩٦).

الثاني: شهادة الزور. وهو قول وائل بن ربيعة(٤٦٩٧).

(٤٦٨٧) تفسير الطبري:٦١٥/١٨.

والحديث أخرجه الترمذى (٣٢٤/٥، رقم ٣١٧٠) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٤٢١/٢ رقم ٣٤٦٥) وقال: صحيح على شرط البخارى. والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٤٣/٣، رقم ٤٠١٠) ، وابن عساكر (٢٠٩/٥٤) .

قال المناوى: "وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قيل ثقة مأمون وضعفه الأئمة أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات".

(٤٦٨٨) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٤٦٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١١):ص٢٤٩٠/٨.

(٤٦٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٢):ص٢٤٩١/٨.

(٤٦٩١) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٤٦٩٢) اخرجه الطبري:٦١٨/١٨.

(٤٦٩٣) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٤٦٩٤) أخرجه الطبري:٦١٨/١٩٨.

(٤٦٩٥) التفسير الميسر:٣٣٥.

(٤٦٩٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩١٣):ص٢٤٩١/٨.

(٤٦٩٧) انظر: تفسير الطبري:٦١٩/١٨.

روى أيمن بن خريم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قام خطيباً فقال : « يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكا بالله» ثلاثا، ثم قرأ: {فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ}"[٤٦٩٨].

القرآن

{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)} [الحج : ٣١]

التفسير:

مستقيمين لله على إخلاص العمل له، مقبلين عليه بعبادته وحده وإفراده بالطاعة، معرضين عما سواه بنبذ الشرك، فإنَّه من يشرك بالله شيئًا، فمثله -في بُعْده عن الهدى، وفي هلاكه وسقوطه من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر، وتخطُّف الشياطين له من كل جانب- كمثل مَن سقط من السماء: فإما أن تخطفه الطير فتقطع أعضاءه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح، فتقذفه في مكان بعيد أشد البعد.

سبب النزول:

قال أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-: "كان الناس يحجون وهم مشركون فكانوا يسمونهم حنفاء الحجاج، فنزلت: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}"[٤٦٩٩].

قوله تعالى:{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ} [الحج : ٣١]، أي:" مستقيمين لله على إخلاص العمل له، مقبلين عليه بعبادته وحده وإفراده بالطاعة، معرضين عما سواه بنبذ الشرك

وفي قوله تعالى:{حُنَفَاءَ لِلَّهِ} [الحج : ٣١]، وجهان:

أحدهما : يعني: مسلمين لله، وهو قول الضحاك[٤٧٠٠]، قال ذو الرمة[٤٧٠١]:

إذا حَوَّل الظلُّ العشِيَّ رأيتَه ... حنيفًا وفي قَرن الضحَى يَتَنَصَّر

الثاني : يعني: متبعين، قاله مجاهد[٤٧٠٢].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ} [الحج : ٣١]، أي:" ومن أشرك بالله فكأنما سقط من السماء فتخطفه الطير فتقطع أعضاءه"[٤٧٠٣].

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه"[٤٧٠٤].

قوله تعالى:{أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج : ٣١]، أي:" أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة"[٤٧٠٥].

عن مجاهد قوله: "{في مكان سحيق}، قال: بعيد"[٤٧٠٦].

وجاء في حديث البراء بن عازب: "إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى غضب الله وسخطه. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، ولا يفتح له، ثم قرأ رسول الله - صلى الله

(٤٦٩٨)حديث أيمن بن خريم: أخرجه أحمد (١٧٨/٤، رقم ١٧٦٤٠) ، والترمذى (٥٤٧/٤، رقم ٢٢٩٩) وقال: غريب. وابن قانع (٥٣/١) .

حديث خريم بن فاتك: أخرجه أحمد (٣٢١/٤، رقم ١٨٩١٨) ، وأبو داود (٣٠٥/٣، رقم ٣٥٩٩) ، وابن ماجه (٧٩٤/٢، رقم ٢٣٧٢) ، والطبرانى (٢٠٩/٤، رقم ٤١٦٢) ..

(٤٦٩٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩١٦):ص٢٤٩١/٨.

(٤٧٠٠) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.

(٤٧٠١)ديوانه ٢٢٩- والاضداد للانبارى ١٣١ والاقتضاب ٣٩٣ والقرطبي ٢/ ١٤٠ واللسان (حول).

(٤٧٠٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩١٨):ص٢٤٩١/٨.

(٤٧٠٣) انظر: صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.[بتصرف]

(٤٧٠٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩١٩):ص٢٤٩١/٨.

(٤٧٠٥) صفوة التفاسير:٢٦٤/٢.

(٤٧٠٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٢٠):ص٢٤٩١/٨.

عليه وسلم -: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق}، فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه. لا أدري؟ فيقولان له: مادينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له لادريت، فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها. ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يوم الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة"[٤٧٠٧].

القرآن

{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)} [الحج : ٣٢]

التفسير:

ذلك ما أمر الله به مِن توحيده وإخلاص العبادة له. ومن يمتثل أمر الله ويُعَظِّم معالم الدين، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبائح التي تُذْبَح فيه، وذلك باستحسانها واستسمانها، فهذا التعظيم مِن أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته.

قوله تعالى:{فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج : ٣٢]، أي:" أي فإن تعظيمها من أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته"[٤٧٠٨].

قال السدي:" يعني من إخلاص القلوب"[٤٧٠٩].

وأضاف «التقوى» إلى «القلوب»، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب، كما روي في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: «التقوى هاهنا»[٤٧١٠]، وأشار إلى صدره[٤٧١١].

القرآن

{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)} [الحج : ٣٣]

التفسير:

لكم في هذه الهدايا منافع تنتفعون بها من الصوف واللبن والركوب، وغير ذلك مما لا يضرها إلى وقت ذبحها عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.

قوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الحج : ٣٣]، أي:" لكم في الهدايا منافع كثيرة من الدر والنسل والركوب إلى وقت نحرها"[٤٧١٢].

وفي قوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الحج : ٣٣]، قولان:

أحدهما: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة. {إلى أجل مسمى}، يعني: إلى أن تنحروها. وهو قول عطاء بن أبي رباح[٤٧١٣].

ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :"رأى رجلا يسوق بدنة فقال له: «اركبها، فقال يا رسول الله إنها بدنة، فقال: اركبها ويلك، في الثانية أو الثالثة»"[٤٧١٤].

(٤٧٠٧) قطعة من الحديث، انظر: المسند: ٢٨٧/٤، وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب المسألة في القبر: ٥٤٠/٢، وسنن النسائي: كتاب الجنائز: باب الوقوف للجنائز: ٧٨/٤، وسنن ابن ماجه: كتاب الجنائز: باب ماجاء في الجلوس في المقابر: ٤٩٤/١، وأخرج صدره.

(٤٧٠٨) انظر: التفسير الميسر:٣٣٦.[بتصرف]

(٤٧٠٩) تفسير يحيى بن سلام: ٣٧١/١

(٤٧١٠)هذا قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في "مسنده" ٢/ ٢٧٧، ومسلم في "صحيحه" كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم ٤/ ١٩٨٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤٧١١) التفسير البسيط:٣٩٢/١٥، وذكره القرطبي بتفسيره:٥٦/١٢. بتمامه.

(٤٧١٢) صفوة التفاسير:٢٦٥/٢.

(٤٧١٣) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٨.

(٤٧١٤)أخرجه البخاري في الحج، باب: ركوب البدن ٣ / ٥٣٦، ومسلم في الحج، باب: جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج

الثاني: المنافع التي فيها قبل أن يسمى للهدي، فإذا سميت للهدي فلا ينتفع بها. والأجل المسمى تسميتها: بدنة. وهذا قول مجاهد[٤٧١٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج : ٣٣]، أي:" ثم مكان ذبحها في الحرم بمكة أو منى"[٤٧١٦].

قال محمد بن موسى:" محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت العتيق"[٤٧١٧].

قال الضحاك وعطاء: "إلى يوم النحر تنحر بمنى"[٤٧١٨].

القرآن

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)} [الحج : ٣٤]

التفسير:

ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك مِنَ الذبح وإراقة الدماء؛ وذلك ليذكروا اسم الله تعالى عند ذبح ما رزقهم مِن هذه الأنعام ويشكروا له. فإلهكم -أيها الناس- إله واحد هو الله فانقادوا لأمره وأمر رسوله. وبشِّر -أيها النبي- المتواضعين الخاضعين لربهم بخيرَي الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} [الحج : ٣٤]، أي:" ولكل جماعة مؤمنة سلفت، جعلنا لها مناسك مِنَ الذبح وإراقة الدماء"[٤٧١٩].

وفي قوله تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} [الحج : ٣٤]، قولان:

أحدهما : يعني: حجاً، وهو قول قتادة[٤٧٢٠].

الثاني : ذبحاً، وهو قول مجاهد[٤٧٢١]، وعكرمة[٤٧٢٢].

قال مجاهد:" إهراق الدماء"[٤٧٢٣].

قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج : ٣٤]، أي:" بشر المطيعين المتواضعين الخاشعين بجنات النعيم"[٤٧٢٤].

وفي قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج : ٣٤]، وجوه:

أحدها : المطمئنين إلى الله، وهو قول مجاهد[٤٧٢٥]، ومنه قوله تعالى :{فَتُخْبِتْ لَهُ قُلُوبُهُم} [الحج : ٥٤].

الثاني : معناه: المتواضعين ، وهو قول مجاهد-في رواية-[٤٧٢٦]، و قتادة[٤٧٢٧]، والضحاك[٤٧٢٨].

الثالث : الخاشعين ، وهو قول الحسن[٤٧٢٩].

الرابع : الوجلين. قاله السدي[٤٧٣٠].

الخامس : المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي[٤٧٣١].

إليها، برقم (١٣٢٢) ٢ / ٩٦٠.

(٤٧١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٢٣-٦٢٤.

(٤٧١٦) صفوة التفاسير:٢/٢٦٥.

(٤٧١٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٢٤):ص٨/٢٤٩٢.

(٤٧١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٢٣):ص٨/٢٤٩٢.

(٤٧١٩) التفسير الميسر:٣٣٦.

(٤٧٢٠) انظر: النكت والعيون:٤/٢٥.

(٤٧٢١) انظر: تفسير مجاهد: ٤٨١، والطبري:١٨/٦٢٨.

(٤٧٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٧):ص٦/٢٤٩٢.

(٤٧٢٣) اخرجه الطبري:١٨/٦٢٨.

(٤٧٢٤) صفوة التفاسير:٢/٢٦٥.

(٤٧٢٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٢٨.

(٤٧٢٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٩٣١):ص٢/٤٠٧.

(٤٧٢٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٢٨.

(٤٧٢٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٣٣):ص٨/٢٤٩٣.

(٤٧٢٩) انظر: النكت والعيون:٤/٢٥.

(٤٧٣٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٣٤):ص٨/٢٤٩٣.

(٤٧٣١) انظر: النكت والعيون:٤/٢٥.

السادس : أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو مجاهد[٤٧٣٢].
السابع : أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً[٤٧٣٣].
الثامن : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول عمرو بن أوس[٤٧٣٤]، ومجاهد[٤٧٣٥].
وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس "الإخبات"، عند العرب: الخشوع والتواضع"[٤٧٣٦].
وأحسن ما يفسّر بما بعده وهو قوله : {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، أي : خافت منه قلوبُهم ، {وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ } أي : من المصائب[٤٧٣٧].

القرآن
{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)} [الحج : ٣٥]
التفسير:
هؤلاء المتواضعون الخاشعون مِن صفاتهم أنهم إذا ذُكِر الله وحده خافوا عقابه، وحَذِروا مخالفته، وإذا أصابهم بأس وشدة صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل، وأدَّوْا الصلاة تامة، وهم مع ذلك ينفقون مما رزقهم الله في الواجب عليهم مِن زكاة ونفقة عيال، ومَن وَجَبَتْ عليهم نفقته، وفي سبيل الله، والنفقات المستحبة.
قوله تعالى:{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الحج : ٣٥]، أي:" هؤلاء المتواضعون الخاشعون مِن صفاتهم أنهم إذا ذُكِر الله وحده خافوا عقابه، وحَذِروا مخالفته"[٤٧٣٨].
قال السدي:" إذا ذكر الله عند الشيء وجل قلبه"[٤٧٣٩].
قوله تعالى:{وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ} [الحج : ٣٥]، أي:" والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة في أوقاتها مستقيمةً كاملة مع الخشوع والخضوع"[٤٧٤٠].
قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[٤٧٤١].

القرآن
{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)} [الحج : ٣٦]
التفسير:
وجعلنا لكم نَحْرَ البُدْن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها -أيها المتقربون- خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، فقولوا عند ذبحها: بسم الله. وتُنْحَر الإبل واقفة قد صُفَّتْ ثلاث من قوائمها وقُيِّدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلَّ أكلها، فليأكل منها مقربوها تعبدًا ويُطْعِمُوا منها القانع -وهو الفقير الذي لم يسأل تعففًا- والمعترَّ الذي يسأل لحاجته، هكذا سخَّر الله البُدْن لكم، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم.

(٤٧٣٢) انظر: النكت والعيون:٤/٢٥.
(٤٧٣٣) انظر: النكت والعيون:٤/٢٥.
(٤٧٣٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٢٩.
(٤٧٣٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٣٢):ص٨/٢٤٩٣.
(٤٧٣٦) تفسير الطبري:١٥/٢٩٠.
(٤٧٣٧) تفسير ابن كثير:٥/٤٢٥.
(٤٧٣٨) التفسير الميسر:٢/٢٦٥.
(٤٧٣٩) أخرجه الطبري(١٥٦٨٦):ص١٣/٣٨٦.
(٤٧٤٠) انظر: تفسير المراغي: ١١٣/١٧، وصفوة التفاسير:٢/٢٦٥.
(٤٧٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س٣/١٠٠٤.

قوله تعالى:{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [الحج : ٣٦]، أي:" وجعلنا لكم نَحْرَ البُدْن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله"(٤٧٤٢).

قال السدي:" يعني: في البدن أجر"(٤٧٤٣).

عن عطاء: "{والبدن جعلناها لكم من شعائر الله}، قال: البقرة والبعير"(٤٧٤٤).

قوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} [الحج : ٣٦]، أي:" لكم فيها نفع فى الدنيا كالركوب واللبن، وأجر فى الآخرة بنحرها والتصدق بها"(٤٧٤٥).

قال مجاهد:" أجر ومنافع في البدن"(٤٧٤٦).

قال إبراهيم:" اللبن والركوب إذا احتاج"(٤٧٤٧). وقال:" إذا اضطررت إلى بدنتك ركبتها وشربت لبنها"(٤٧٤٨).

وقال إبراهيم:" من احتاج إلى ظهر البدنة ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب"(٤٧٤٩).

قوله تعالى:{فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ} [الحج : ٣٦]، أي:" فاذكروا اسم الله على البدن حين نحركم إياها قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقولوا: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وإليك"(٤٧٥٠).

قال مجاهد:" الصواف: إذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث"(٤٧٥١).

قال بجير بن سالم: "رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته، قال: فقال: {صواف}، كما قال الله، قال: فنحرها وهي قائمة معقولة إحدى يديها"(٤٧٥٢).

وروي عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم، أنهم قرءوا :«صوافي» بالياء منصوبة، بمعنى: خالصة لله لا شريك له فيها صافية له(٤٧٥٣).

قوله تعالى:{فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} [الحج : ٣٦]، أي:" فإذا سقطت وزهقت أرواحها ولم يبق لها حركة"(٤٧٥٤).

عن مجاهد: "{فإذا وجبت جنوبها}، سقطت إلى الأرض"(٤٧٥٥).

قال ابن إسحاق:" إذا فرغت ونحرت"(٤٧٥٦).

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِنْهَا} [الحج : ٣٦]، أي:" فقد حل لكم أكلها"(٤٧٥٧).

قال إبراهيم:" المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين، فأكلوا منها، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل"(٤٧٥٨).

قال مجاهد:" إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، فهي بمنزلة: {وإذا حللتم فاصطادوا}"(٤٧٥٩).

قوله تعالى:{وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} [الحج : ٣٦]، أي:" وأطعموا القانع المستغنى بما تعطونه وهو فى بيته بلا مسألة، والمعتر الذى يتعرض لكم، ويأتى إليكم لتطعموه من لحمها"(٤٧٦٠).

(٤٧٤٢) التفسير الميسر:١١٤/١٧.
(٤٧٤٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٧٥/١.
(٤٧٤٤) أخرجه الطبري:٦٣٠/١٨.
(٤٧٤٥) تفسير المراغي:١١٤/١٧.
(٤٧٤٦) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٤٧٤٧) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٤٧٤٨) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٤٧٤٩) أخرجه الطبري:٦٣١/١٨.
(٤٧٥٠) تفسير المراغي:١١٤/١٧.
(٤٧٥١) أخرجه الطبري:٦٣٢/١٨.
(٤٧٥٢) أخرجه الطبري:٦٣٢/١٨.
(٤٧٥٣) انظر: تفسير الطبري:٦٣٣/١٨-٦٣٤.
(٤٧٥٤) تفسير المراغي:١١٤/١٧.
(٤٧٥٥)أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨ .
(٤٧٥٦)أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨ .
(٤٧٥٧) تفسير المراغي:١١٤/١٧.
(٤٧٥٨) أخرجه الطبري:٦٣٥/١٨.
(٤٧٥٩) اخرجه الطبري:٦٣٥/١٨.
(٤٧٦٠) تفسير المراغي:١١٤/١٧.

وفي قوله تعالى:{وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} [الحج : ٣٦]، أقوال:
أحدها: أن القانع: الذي يسأل، والمعتر السائل الذي يتعرض ولا يسأل، به قال سعيد بن جبير[٤٧٦١].
الثاني: أن القانع، المتعفف، والمعتر: السائل، به قال مجاهد-في رواية[٤٧٦٢]، وقتادة[٤٧٦٣]، وإبراهيم النخعي[٤٧٦٤].
وروي عن الحسن كالقولين[٤٧٦٥].
الثالث: أن "القانع: الجالس في بيته، والمعتر: الذي يتعرض لك". روي ذلك عن إبراهيم ومجاهد [٤٧٦٦].
الرابع: أن:" القانع: الذي يقنع، والمعتر: الذي يعتريك". قاله سعيد بن جبير[٤٧٦٧].
الخامس: أن "القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته، والمعتر: الذي يتعرض لك ولا يسألك". قاله مجاهد[٤٧٦٨].
السادس: القانع: أهل مكة، والمعتر: الذي يعتر بهم من غير أهل مكة، رواه خصيف عن مجاهد[٤٧٦٩].
السابع: القانع: الجار وإن كان غنيا، والمعتر الذي يعتر بك، رواه ليث عن مجاهد[٤٧٧٠].
قال مجاهد:" القانع: جارك الغني، والمعتر: من اعتراك من الناس"[٤٧٧١].
وقال إبراهيم:" أحدهما السائل، والآخر الجار"[٤٧٧٢].
الثامن: القانع: المسكين الذي يطوف، والمعتر: الصديق والضعيف الذي يزور، قاله زيد بن أسلم[٤٧٧٣].
التاسع: القانع: الطامع، والمعتر: الذي يعتر بالبدن. وهذا مروي عن مجاهد-في رواية-[٤٧٧٤]، وعطاء[٤٧٧٥].
وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل، لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع، المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعتر. وفي إتباع ذلك قوله: والمعتر، الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل، من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعا; ومنه قول لبيد[٤٧٧٦]:
وأعطاني المولى على حين فقره ... إذا قال أبصر خلتي وقنوعي
وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعتر: فإنه الذي يأتيك معترا بك لتعطيه وتطعمه"[٤٧٧٧].
قوله تعالى:{كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الحج : ٣٦]، أي:" هكذا سخَّر الله البُدْن لكم، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم"[٤٧٧٨].
قال سعيد بن جبير:قوله:"{لعلكم}، يعني: لكي"[٤٧٧٩].
قال محمد بن إسحاق:"{لعلكم تشكرون}، أي: فاتقون فإنه شكر نعمتي"[٤٧٨٠].

(٤٧٦١) انظر: تفسير الطبري:٦٣٨/١٨.
(٤٧٦٢) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.
(٤٧٦٣) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.
(٤٧٦٤) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.
(٤٧٦٥) انظر: تفسير الطبري:٦٣٨/١٨.
(٤٧٦٦) أخرجه الطبري:٦٤٠/١٨.
(٤٧٦٧) أخرجه الطبري:٦٤٠/١٨.
(٤٧٦٨) أخرجه الطبري:٦٣٦/١٨.
(٤٧٦٩) انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٨.
(٤٧٧٠) انظر: تفسير الطبري:٦٣٩/١٨.
(٤٧٧١) أخرجه الطبري:٦٣٩/١٨.
(٤٧٧٢) اخرجه الطبري:٦٣٩/١٨.
(٤٧٧٣) انظر: تفسير الطبري:٦٣٩/١٨.
(٤٧٧٤) انظر: تفسير الطبري:٦٣٩/١٨.
(٤٧٧٥) انظر: تفسير الطبري:٦٣٩/١٨.
(٤٧٧٦)البيت للبيد كما قال المؤلف، ولم أجده في ديوانه طبعة ليدن سنة ١٨٩١. والخلة بالفتح: الحاجة والفقر. وقال اللحياني: خلة به شديدة: أي خصاصة. والقنوع: السؤال، وقد شرحناه وبيناه في الشاهد الذي قبله.
(٤٧٧٧) تفسير الطبري:٦٤٠/١٨.
(٤٧٧٨) التفسير الميسر:١١٤/١٧.
(٤٧٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص١١٩٥/٤.
(٤٧٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤١):ص١١٩٦/٤.

القرآن

{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)} [الحج : ٣٧]

التفسير:

لن ينال اللهَ مِن لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده، كذلك ذللها لكم -أيها المتقربون-؛ لتعظموا الله، وتشكروا له على ما هداكم من الحق، فإنه أهلٌ لذلك. وبشِّر -أيها النبي- المحسنين بعبادة الله وحده والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله {لن ينال الله لحومها ولا دماؤها}"(٤٧٨١).

وحكي القرطبي عن ابن عباس: "كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية"(٤٧٨٢).

عن ابن جريج قال: "كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن أحق أن ننضح، فأنزل الله {لن ينال الله لحومها}"(٤٧٨٣).

قوله تعالى:{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} [الحج : ٣٧]، أي:" لن ينال اللهَ مِن لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده"(٤٧٨٤).

عن إبراهيم:" {ولكن يناله التقوى منكم}، قال: ما أريد به وجه الله"(٤٧٨٥).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)} [الحج : ٣٨]

التفسير:

إن الله تعالى يدفع عن المؤمنين عدوان الكفار، وكيد الأشرار; لأنه عز وجل لا يحب كل خوَّان لأمانة ربه، جحود لنعمته.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج : ٣٨]، أي:" إن الله تعالى يدفع عن المؤمنين عدوان الكفار، وكيد الأشرار"(٤٧٨٦).

قال الحسن:" يدافع عنهم فيعصمهم من الشيطان في دينهم"(٤٧٨٧).

قال قتادة:" والله ما يضيع الله رجلا قط حفظ له دينه"(٤٧٨٨).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو:«إن الله يدفع»، بغير ألف(٤٧٨٩).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج : ٣٨]، أي:" إنه تعالى لا يحب كل خوَّان لأمانة ربه، جحود لنعمته"(٤٧٩٠).

قال مجاهد:" كل شيء في القرآن «كفور»، يعني به: «الكفار»"(٤٧٩١).

(٤٧٨١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٦/٦، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه، وحكاه عنه القرطبي في التفسير:٦٥/١٢. وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن:٢٩٣.

(٤٧٨٢)تفسير القرطبي:٦٥/١٢.

(٤٧٨٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٥٦/٦، وعزاه إلى ابن ابي حاتم.

(٤٧٨٤) التفسير الميسر:٣٣٦.

(٤٧٨٥) اخرجه الطبري:٦٤١/١٨.

(٤٧٨٦) التفسير الميسر:٣٣٦.

(٤٧٨٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٠/١.

(٤٧٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٥٨):ص٢٤٩٥/٨، ويحيى بن سلام في التفسير:٣٨٠/١. باختلاف يسير.

(٤٧٨٩) انظر: السبعة في القراءات:٤٣٧.

(٤٧٩٠) التفسير الميسر:٣٣٦.[بتصرف]

(٤٧٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٥٩):ص٢٤٩٦/٨

عن الحسن في قوله: "{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا {٧٢} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} [الأحزاب: ٧٢-٧٣]، قال: هما اللذان ظلماها، هما اللذان خاناها: المنافق والمشرك"(٤٧٩٢).

القرآن

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)} [الحج : ٣٩]

التفسير:

كان المسلمون في أول أمرهم ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم، فلما بلغ أذى المشركين مداه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من «مكة» مهاجرًا إلى «المدينة» ، وأصبح للإسلام قوة أذِنَ الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان، وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإذلال عدوِّهم.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن القوم! فنزلت: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، الأية. وكان ابن عباس يقرأها: «أذن»، قال أبو بكر: فعلمت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال"(٤٧٩٣).

قال مجاهد:" خرج ناس مؤمنون مهاجرين من مكة إلى المدينة، فاتبعهم كفار قريش فأذن لهم في قتالهم، فأنزل الله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، الأية. فقاتلوهم"(٤٧٩٤).

عن عروة بن الزبير:" إن أول آية أنزلت في القتال حين ابتلى المسلمون بمكة وسطت بهم عشائرهم ليفتنوهم، عن الإسلام، وأخرجوهم من ديارهم وتظاهروا عليهم فأنزل الله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، الآية. وذلك حين أذن لرسوله بالخروج، وأذن لهم بالقتال"(٤٧٩٥).

قوله تعالى:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج : ٣٩]، أي:" أذِنَ الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان"(٤٧٩٦).

عن سعيد بن جبير قوله: "{أذن للذين يقاتلون}، قال: النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأنهم ظلموا يعني ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم من ديارهم"(٤٧٩٧).

وروي عن مجاهد، قوله:"{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، قال: ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، وكانوا يمنعون، فأدركهم الكفار، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم"(٤٧٩٨).

القرآن

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)} [الحج : ٤٠]

التفسير:

الذين أُلجئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحده. ولولا ما شرعه الله من دَفْع الظلم الذي ينتفع به جميع أهل الأديان المنزلة، ورد الباطل بالقتال المأذون فيه لَهُزِم الحقُّ في كل أمة ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيرًا. ومن اجتهد في نصرة دين الله، فإن الله ناصره على عدوه. إن الله لقوي لا يغالَب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم.

(٤٧٩٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٨٠.
(٤٧٩٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦١):ص٨/٢٤٩٦.
(٤٧٩٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦٢):ص٨/٢٤٩٦.
(٤٧٩٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦٣):ص٨/٢٤٩٦.
(٤٧٩٦) التفسير الميسر:٣٣٧.
(٤٧٩٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٦٥):ص٨/٢٤٩٦.
(٤٧٩٨) أخرجه الطبري:١٨/٦٤٥.

سبب نزول الآيتين:[٤٠-٤١]:

قال عثمان بن عفان-رضي الله عنه-: "فينا نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ}، والآية بعدها، أخرجنا من ديارنا بغير حق ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا، عن المنكر، فهي لي ولأصحابي"[٤٧٩٩].

وروي عن ثابت بن عوسجة الخضيري قال:" حدثني سبعة وعشرون من أصحاب علي وعبد الله، منهم: لاحق بن الأقمر، والعيزار بن جرول، وعطية القرظي: إن عليا قال: إنما نزلت هذه الآية في أصحاب محمد : {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ}، قال: لولا دفع الله بأصحاب محمد، عن التابعين، {لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ}"[٤٨٠٠].

قوله تعالى:{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} [الحج : ٤٠]، أي:" الذين ألجئوا إلى الخروج من ديارهم، لا لشيء فعلوه إلا لأنهم أسلموا وقالوا: ربنا الله وحده"[٤٨٠١].

قال قتادة:": لما قال المسلمون: لا إله إلا الله، أنكرها المشركون وضاقها إبليس وجنوده"[٤٨٠٢].

قال الحسن: ما سفكوا لهم من دم، ولا أخذوا لهم من مال، ولا قطعوا لهم من رحم وإنما أخرجوهم لأنهم قالوا: ربنا الله كقوله: {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} [البروج: ٨] "[٤٨٠٣].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج : ٤٠]، أي:" ولولا ما شرعه الله من دَفع الظلم الذي ينتفع به جميع أهل الأديان المنزلة، ورد الباطل بالقتال المأذون فيه لَهُزِم الحقُّ في كل أمة ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيرًا"[٤٨٠٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} [الحج : ٤٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، وهذا قول ابن جريج[٤٨٠٥].

الثاني: يبتلى المؤمن بالكافر، ويعافى الكافر بالمؤمن. قاله قتادة[٤٨٠٦].

الثالث: ولولا دفع الله بشهادة الشهود على الحقوق ، وهذا قول مجاهد[٤٨٠٧].

قال مجاهد:" منع بعضهم ببعض في الشهادة وفي الحق، وفيما يكون مثل هذا يقول: لولا هذا لهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها"[٤٨٠٨].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفه المشركين بالمسلمين عن ذلك; ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم; ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سمى جل ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا[٤٨٠٩].

وفي قوله تعالى:{صَوَامِعُ} [الحج : ٤٠]، قولان:

أحدهما : أنها صوامع الرهبان، وهذا قول مجاهد[٤٨١٠]، وأبي العالية[٤٨١١].

(٤٧٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٦٧):ص٨/٢٤٩٦-٢٤٩٧.

(٤٨٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٦٨):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨٠١) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٠٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٨٠.

(٤٨٠٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٨٠-٣٨١.

(٤٨٠٤) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٠٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٦.

(٤٨٠٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٣٨١.

(٤٨٠٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٦٩):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٦٩):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨٠٩) تفسير الطبري:١٨/٦٤٧.

(٤٨١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٧.

(٤٨١١)(٤٨١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٣):ص٨/٢٤٩٧.

وروي عن الضحاك، قال:" وهي صوامع الصغار يبنونها"[٤٨١٢].

عن الضحاك قوله: "{يذكر فيها اسم الله كثيرا}، يعني: في كل مما ذكر من: الصوامع والصلوات والمساجد، يقول: في كل هذا يذكر اسم الله ولم يخص المساجد"[٤٨١٣].

الثاني : أنها مصلى الصابئين ، وهو قول قتادة[٤٨١٤].

قال أبو الدرداء:" نعم صومعة المُؤمن بَيته يكف فِيهِ بَصَره وسَمعه وَقَلبه وَلسَانه وَيَده"[٤٨١٥].

وفي قوله تعالى:{وَبِيَعٌ} [الحج : ٤٠]، قولان:

أحدهما : أنها مصلّى النصارى ، وهو قول قتادة[٤٨١٦]، وأبي العالية[٤٨١٧]، والضحاك[٤٨١٨].

الثاني : أنها كنائس اليهود، وهو قول مجاهد[٤٨١٩].

والبيعة :"اسم أعجمي مُعَرَّب"[٤٨٢٠].

وفي قوله تعالى:{وَصَلَوَاتٌ} [الحج : ٤٠]، أقوال:

أحدها : أنها كنائس اليهود. وهذا قول الضحاك[٤٨٢١]، وقتادة[٤٨٢٢].

قال الضحاك:" كنائس اليهود، ويسمون الكنيسة :«صلوتا»"[٤٨٢٣].

الثاني: أنها مسجد الصابئين، يسمونها «صلوات». قاله أبو العالية[٤٨٢٤]، ورفيع[٤٨٢٥].

الثالث: أنها مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق. قاله مجاهد[٤٨٢٦].

وفي قوله تعالى:{وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج : ٤٠]، قولان:

احدهما: أنها مساجد المسلمين. قاله قتادة[٤٨٢٧]، ورفيع[٤٨٢٨].

الثاني: أنها: الصوامع والبيع والصلوات. وهذا قول الضحاك[٤٨٢٩].

قال الضحاك:" يقول: في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا، ولم يخصّ المساجد"[٤٨٣٠].

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدِّمت صوامع الرهبان وبيَع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم، وما خالفه من القول وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه من وجهه إليه[٤٨٣١].

قوله تعالى:{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج : ٤٠]، أي:" ومن اجتهد في نصرة دين الله، فإن الله ناصره على عدوه، إن الله لقوي لا يغالب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم"[٤٨٣٢].

(٤٨١٢) اخرجه الطبري:١٨/٦٤٨.

(٤٨١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٦):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٤):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨١٥) الفردوس بمأثوور الخطاب(٦٧٩٢):ص٤/٢٦٩.

(٤٨١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٤):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٣):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨١٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٨.

(٤٨١٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩.

(٤٨٢٠) النكت والعيون:٤/٣٠.

(٤٨٢١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧١):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨٢٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٤):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨٢٣) أخرجه الطبري:١٨/٦٤٩.

(٤٨٢٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٩٧٣):ص٨/٢٤٩٧.

(٤٨٢٥) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩.

(٤٨٢٦) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٤٩-٦٥٠.

(٤٨٢٧) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٠.

(٤٨٢٨) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٠.

(٤٨٢٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٥٠.

(٤٨٣٠)أخرجه الطبري:١٨/٦٥٠ .

(٤٨٣١) تفسير الطبري:١٨/٦٥٠-٦٥١.

(٤٨٣٢) التفسير الميسر:٣٣٧.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج : ٤٠]، أي:" إن الله لقوي لا يغالب، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم"(٤٨٣٣).

عن أبي العالية: {والله عزيز}، يقول: "عزيز في نقمته إذا انتقم"(٤٨٣٤).

عن محمد بن إسحاق: "{والله عزيز}، قال: عزيز ذو بطش"(٤٨٣٥).

القرآن

{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)} [الحج : ٤١]

التفسير:

الذين وعدناهم بنصرنا هم الذين إنْ مكَّنَّاهم في الأرض، واستخلفناهم فيها بإظهارهم على عدوهم، أقاموا الصلاة بأدائها في أوقاتها بحدودها، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها، وأمروا بكل ما أمر الله به مِن حقوقه وحقوق عباده، ونَهَوْا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله. ولله وحده مصير الأمور كلها، والعاقبة للتقوى.

قوله تعالى:{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} [الحج : ٤١]، أي:" الذين وعدناهم بنصرنا هم الذين إنْ مكَّنَّاهم في الأرض، واستخلفناهم فيها بإظهارهم على عدوهم، أقاموا الصلاة بأدائها في أوقاتها بحدودها، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها"(٤٨٣٦).

عن زيد بن أسلم قوله: "{الذين إن مكناهم في الأرض}، قال: أرض المدينة، {أقاموا الصلاة}، قال: المكتوبة، {وآتوا الزكاة}، قال: المفروضة"(٤٨٣٧).

عن أبي العالية، قوله: "{الذين إن مكناهم في الأرض}، قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"(٤٨٣٨).

وقال محمد بن كعب:"هم الولاة"(٤٨٣٩).

عن قتادة قوله: "{الذين إن مكناهم في الأرض}، قال: هذا شرط الله على هذه الأمة"(٤٨٤٠).

قوله تعالى:{وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} [الحج : ٤١]، أي:" وأمروا بكل ما أمر الله به مِن حقوقه وحقوق عباده، ونَهَوْا عن كل ما نهى الله عنه ورسوله"(٤٨٤١).

عن زيد بن أسلم قوله: "{وأمروا بالمعروف}: بلا إله إلا الله، {ونهوا عن المنكر}، قال: الشرك بالله"(٤٨٤٢).

قال أبو العالية: "كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا إلى الله وحده وعبادته لا شريك له، وكان نهيهم أنهم نهوا، عن عبادة الشيطان وعبادة الأوثان"(٤٨٤٣).

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج : ٤١]، أي:" ولله وحده مصير الأمور كلها، والعاقبة للتقوى"(٤٨٤٤).

قال زيد بن أسلم :" وعند الله ثواب ما صنعوا"(٤٨٤٥).

القرآن

(٤٨٣٣) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٢٤):ص١٢١٠/٤.

(٤٨٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٢٥):ص١٢١٠/٤.

(٤٨٣٦) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٧):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٨):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨١):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٤١) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٠):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٤٤) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)} [الحج : ٤٢ - ٤٤]

التفسير:

وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد سبقهم في تكذيب رسلهم قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب «مدين» الذين كذبوا شعيبًا، وكذَّب فرعون وقومه موسى، فلم أعاجل هذه الأمم بالعقوبة، بل أمهلتها، ثم أخذتُ كلا منهم بالعذاب، فكيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم، وتبديل ما كان بهم مِن نعمة بالعذاب والهلاك؟

القرآن

{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)} [الحج : ٤٥]

التفسير:

فكثيرًا من القرى الظالمة بكفرها أهلكنا أهلها، فديارهم مهدَّمة خَلَتْ مِن سكانها، وآبارها لا يُستقى منها، وقصورها العالية المزخرفة لم تدفع عن أهلها سوء العذاب.

قوله تعالى:{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الحج : ٤٥]، أي:" فكثيرًا من القرى الظالمة بكفرها أهلكنا أهلها، فديارهم مهدَّمة خَلَتْ مِن سكانها"[٤٨٤٦].

عن قتادة: {فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}، قال:" خربة ليس فيها أحد"[٤٨٤٧].

قال الضحاك:" خواؤها: خرابها، وعروشها: سقوفها"[٤٨٤٨].

قوله تعالى:{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ} [الحج : ٤٥]، أي:" وكم من بئر عطلت فتركت لا يستقى منها لهلاك أهلها"[٤٨٤٩].

عن قتادة: "{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ}، قال: عطلها أهلها، تركوها"[٤٨٥٠].

عن الضحاك: "{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ}، قال: لا أهل لها"[٤٨٥١].

قوله تعالى:{وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} [الحج : ٤٥]، أي:" وكم من قصر مفرفوع البنيان أصبح خالياً بلا ساكن"[٤٨٥٢].

وفي قوله تعالى:{وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} [الحج : ٤٥]، وجهان:

أحدهما : أن «المشيد»: الرفيع ، وهو قول قتادة[٤٨٥٣]، ومنه قول عدي بن زيد[٤٨٥٤]:

شادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْ ... سا فللطَّيرِ فِي دُرَاهُ وُكُورُ

قال قتادة:" كان أهله شيَّدوه وحصَّنوه، فهلكوا وتركوه"[٤٨٥٥].

وعن الضحاك، قوله :" {وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}، يقول: طويل"[٤٨٥٦].

الثاني : أن «المشيد»: المجصص، و«الشيد»: الجص، وهو قول سعيد بن جبير[٤٨٥٧]، وعكرمة[٤٨٥٨]، ومجاهد[٤٨٥٩]، وعطاء[٤٨٦٠]، ومنه قول الطرماح[٤٨٦١]:

(٤٨٤٦) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٤٧) اخرجه الطبري:٦٥٢/١٨.

(٤٨٤٨) اخرجه الطبري:٦٥٢/١٨.

(٤٨٤٩) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.

(٤٨٥٠) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.

(٤٨٥١) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.

(٤٨٥٢) صفوة التفاسير:٢٦٨/٢.

(٤٨٥٣) انظر: تفسير الطبري:٦٥٦/١٨.

(٤٨٥٤)البيت له في تفسير الطبري:٦٥٧/١٨، وتفسير القرطبي: ٧٤/١٢، والدر المنثور ٣٦١/٤، وغير منسوب في اللسان: ٢٣٠/٤.

(٤٨٥٥) اخرجه الطبري:٦٥٦/١٨.

(٤٨٥٦) اخرجه الطبري:٦٥٦/١٨.

(٤٨٥٧) انظر: تفسير الطبري:٦٥٥/١٨.

(٤٨٥٨) انظر: تفسير الطبري:٦٥٤/١٨-٦٥٥.

كَحَبَّةِ المَاءِ بينَ الطَّيّ والشِّيد

قال جعفر بن برقان: "كنت أمشي مع عكرمة، فرأى حائط آجرّ مصهرج، فوضع يده عليه، وقال: هذا المشيد الذي قال الله"(٤٨٦٢).

قال عكرمة:" الجصّ بالمدينة يسمى: الشيد"(٤٨٦٣).

والقولين لا منافاة بينهما ، فإنه لم يَحْمِ أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ، ولا إحكامه ولا حصانته ، عن حلول بأس الله بهم ، كما قال تعالى : { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ } [النساء : ٧٨](٤٨٦٤).

وروى أبو روق عن الضحاك :"أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاصورا وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح، فلما حضروه مات صالح، فسمي حضرموت لأن صالحا لما حضره مات، فبنوا حاصورا وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا يقال له بلهنس بن جلاس بن سويد، وجعلوا وزيره سنحاريب بن سواده، فأقاموا دهرا وتناسلوا حتى نموا وكثروا، ثم أنهم عبدوا الأصنام فكفروا فأرسل الله إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان كان حمالا فيهم فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم"(٤٨٦٥).

القرآن

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور (٤٦)} [الحج : ٤٦]

التفسير:

أفلم يَسِر المكذبون من قريش في الأرض ليشاهدوا آثار المهلكين، فيتفكروا بعقولهم، فيعتبروا، ويسمعوا أخبارهم سماع تدبُّر فيتعظوا؟ فإن العمى ليس عمى البصر، وإنما العمى المُهْلِك هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار.

سبب النزول:

قال قتادة:" ذكر لنا أنها نزلت في عبد الله بن زائدة، يعني: ابن أم مكتوم"(٤٨٦٦).

قال ابن عباس ومقاتل: "لما نزل {وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى} [الإسراء:٧٢]، قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور} [الحج: ٤٦]"(٤٨٦٧).

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [الحج : ٤٦]، أي:" أفلم يَسِر المكذبون من قريش في الأرض ليشاهدوا آثار المهلكين"(٤٨٦٨).

عن مالك بن دينار، قال : "أوحى الله تعالى إلى موسى ، عليه السلام ، أن يا موسى ، اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سِحْ في الأرض، واطلب الآثار والعبر، حتى تتخرق النعلان وتكسر العصا"(٤٨٦٩).

قوله تعالى:{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج : ٤٦]، أي:" فإن العمى ليس عمى البصر، وإنما العمى المُهْلِك هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار"(٤٨٧٠).

(٤٨٥٩) انظر: تفسير الطبري:٦٥٥/١٨.

(٤٨٦٠) انظر: تفسير الطبري:٦٥٥/١٨.

(٤٨٦١)هذا عجز بيت من البسيط، من شواهد الطبري في التفسير:٦٥٦/١٨، وقال في اللسان: وحبب الماء بالكسر، وحببه وحبابه بالفتح: طرائقه والطي: الحجارة تبنى بها جدار البئر. والشيد، بكسر الشين: كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط، وبالفتح: المصدر تقول شاده يشيده شيدا: جصصه، وبناء مشيد: معمول بالشيد.

(٤٨٦٢)أخرجه الطبري:٦٥٥/١٨ .

(٤٨٦٣)أخرجه الطبري:٦٥٥/١٨ .

(٤٨٦٤) انظر: تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥.

(٤٨٦٥) الكشف والبيان:٢٧/٧.

(٤٨٦٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٣):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٦٧) حكاه عنهما القرطبي في التفسير:٧٧/١٢.

(٤٨٦٨) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٦٩) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكر والاعتبار"، كما في تفسير ابن كثير:٤٣٨/٥، والدر المنثور:٦١/٦.

قال مجاهد:" لكل عين، -يعني: لكل نفس- أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه وعينان في قلبه لآخرته، فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه لم يضره عماه شيئا، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه لم ينفعه شيئا"(٤٨٧١).

قال قتادة:" ما هذه الأبصار التي في الرؤوس فإنها جعلها الله منفعة وبلغة، وأما البصر النافع فهو في القلب"(٤٨٧٢).

وروي في الحديث: "ليس الأعمى من عمي بصره، الأعمى من عميت بصيرته"(٤٨٧٣).

وحكي عن ابن عباس:" أنه دخل على معاوية بعدما عمي، وكان أبوه قد عمي في آخر عمره، وكذلك جده عبد المطلب، فقال له معاوية: ما لكم يا بني هاشم، تصابون في أبصاركم؟ فقال له ابن عباس: وما لكم يا بني أمية، تصابون في بصائركم"(٤٨٧٤).

القرآن

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)} [الحج : ٤٧]

التفسير:

ويستعجلك- أيها الرسول- كفار قريش -لشدة جهلهم- بالعذاب الذي أنذرتهم به لمَّا أصروا على الكفر، ولن يخلف الله ما وعدهم به من العذاب فلا بدَّ من وقوعه، وقد عجَّل لهم في الدينا ذلك في يوم «بدر» . وإن يومًا من الأيام عند الله -وهو يوم القيامة- كألف سنة مما تَعُدُّون من سني الدنيا.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في النضر بن الحارث القرشي يقول الله- تعالى-: {وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} في العذاب بأنه كائن ببدر، يعني: القتل"(٤٨٧٥).

(٤٨٧٠) التفسير الميسر:٣٣٧.

(٤٨٧١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٢/١-٣٨٣، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٢/٤، والقرطبي في التفسير:٧٧/١٢.

(٤٨٧٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٣):ص٢٤٩٨/٨.

(٤٨٧٣)شعب الإيمان/ باب التوكل والتسليم ١٢٦/٢-١٢٧، رقم (١٣٧٢).

نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٥٢. ورواه أيضا: الديلمي في مسند الفردوس ٤٠٣/٣، رقم (٥٢٢٧) ، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ١٣٤/٣ بالضعف.

وانظر: كشف الخفاء ١٦٧/٢، تمييز الطب من الخبيث١٥٥.

ورواه ابن جراد، روى هذا الحديث عن عبد الله بن جراد، يعلى بن الأشدق، وقد قال ابن أبى حاتم: عبد الله بن جراد: لا يعرف، ولا يصح هذا الإسناد، ويعلى بن الأشدق ضعيف الحديث، وقال الذهبي: مجهول لا يصح خبره، لأنه من رواية يعلى بن الأشدق الكذاب عنه، وقال ابن عدي: يروي عن عمه عبد الله بن جراد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة منكرة، وهو وعمه غير معروفين.

وانظر: الجرح والتعديل ٢١/٥، الكامل لأبن عدي ٢٧٤٢/٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٠٠.

(٤٨٧٤) حكاه السمعاني في التفسير:٤٤٥/٣-٤٤٦.

وانظر الخبر في المعرف(ثلاثة مكتفيف في نسق):ص٥٨٩/١، وعيون الاخبار:٢٢٩/٢، والعقد الفريد:٩١/٤، والصناعتين:٣٢٣، ونكث الهميان في نكت العميان:١٦٢، وحدائق الازهار:٢، وغيرها.

وقيل :"إن عقيلا دخل على معاوية بعد كفّ بصره، فأجلسه معاوية معه على سريره ثم قال: أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم. فقال عقيل: وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصايركم. ثم دخل عتبة بن أبى سفيان عليهما، فوسّع له معاوية بينه وبين عقيل حتى جلس بينهما، فقال عقيل: من هذا الذى قرّبه أمير المؤمنين دونى؟ قال معاوية: هذا أخوك وابن عمّك عتبة. قال: أما إنّه إن كان أقرب إليك منّى فأنا أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منك ومنه، وأنتما مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرض تحت سماء. قال عتبة: يا با يزيد أنت كما وصفت، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشرف ممّا ذكرت، وأمير المؤمنين عالم بحقّك، ولك عندنا ما تحبّ أكثر مما لنا عندك مما نكره. روى هذا الحديث صاحب كتاب العقد".

وانظر: كنز الدرر وجامع الغرر:٣١/٤، ومسالك الابصار في ممالك الأمصار:٣٦٤/٢٤-٣٦٥.

(٤٨٧٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣١/٣.

قوله تعالى:{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} [الحج : ٤٧]، أي:" ويستعجلك- أيها الرسول- كفار قريش -لشدة جهلهم- بالعذاب الذي أنذرتهم به لمَّا أصروا على الكفر، ولن يخلف الله ما وعدهم به من العذاب فلا بدَّ من وقوعه"(٤٨٧٦).

عن قتادة قوله: "{ويستعجلونك بالعذاب وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ}، قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة: اللهم إن كان هذا هو الحق من، عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم"(٤٨٧٧).

قوله تعالى:{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج : ٤٧]، أي:" وإن يومًا من الأيام عند الله -وهو يوم القيامة- كألف سنة مما تَعُدُّون من سني الدنيا"(٤٨٧٨).

قال إبراهيم:" ما طول ذلك اليوم على المؤمن، إلا كما بين الأولى والعصر"(٤٨٧٩).

عن محمد بن سيرين، عن رجل من اهل الكتاب أسلم قال: "إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وجعل أجل الدنيا ستة أيام وجعل الساعة في اليوم السابع، فقد مضت الستة الأيام، وأنتم في اليوم السابع، فمثل ذلك مثل الحامل إذا دخلت في شهرها، ففي أية ساعة ولدت كان تماما"(٤٨٨٠).

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج : ٤٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة ، قاله مجاهد(٤٨٨١).

الثاني : أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة . وهذا مروي عن مجاهد – أيضا-(٤٨٨٢)، وعكرمة(٤٨٨٣).

عن سمير بن نهار ، قال أبو هريرة: "يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}"(٤٨٨٤).

وروي عن صفوان بن سليم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء من المسلمين بنصف يوم. قيل: وما نصف اليوم؟ قال: خمسمائة عام» وتلا :{وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}"(٤٨٨٥).

القرآن

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)} [الحج : ٤٩ - ٥١]

التفسير:

قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس ما أنا إلا منذر لكم مبلِّغ عن الله رسالته. فالذين آمنوا بالله ورسوله، واستقر ذلك في قلوبهم، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم عند الله عفو عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة. والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات القرآن بالتكذيب مشاقين مغالبين، أولئك هم أهل النار الموقدة، يدخلونها ويبقون فيها أبدًا.

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الحج : ٥٠]، أي:" فالذين آمنوا بالله ورسوله، واستقر ذلك في قلوبهم، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم عند الله عفو عن ذنوبهم ومغفرة يستر بها ما صدر عنهم من معصية، ورزق حسن لا ينقطع وهو الجنة"(٤٨٨٦).

(٤٨٧٦) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤٨٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٤):ص٢٤٩٩/٨.
(٤٨٧٨) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤٨٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٦):ص٢٤٩٩/٨.
(٤٨٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٨):ص٢٤٩٩/٨.
(٤٨٨١) انظر: تفسير الطبري:٦٥٨/١٨.
(٤٨٨٢) انظر: تفسير الطبري:٦٥٩/١٨.
(٤٨٨٣) انظر: تفسير الطبري:٦٥٩/١٨.
(٤٨٨٤) أخرجه الطبري:٦٥٩/١٨.
(٤٨٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٨٩):ص٢٤٩٩/٨.
(٤٨٨٦) التفسير الميسر:٣٣٨.

قال ابن جُرَيج، قوله: "{فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، قال: الجنة"(٤٨٨٧).

قال محمد بن كعب القرظي: "إذا سمعت الله يقول: {رزق كريم}، فهي الجنة"(٤٨٨٨).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [الحج : ٥١]، أي:" والذين اجتهدوا في الكيد لإبطال آيات القرآن بالتكذيب مشاقين مغالبين"(٤٨٨٩).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو :{مُعَجِزِينَ}، بغير ألف، وقرأ الباقون:«مُعَاجِزِينَ»، بالألف(٤٨٩٠).

فمن قرأ: {مُعَجِزِينَ}، ففي تفسيره وجهان:

أحدهما : مثبطين لمن أراد اتباع النبي-صلى الله عليه وسلم-، وهو قول السدي(٤٨٩١).

الثاني : معناه: مبطِّئين، يبطِّئون الناس عن اتباع النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهذا قول مجاهد(٤٨٩٢).

ومن قرأ «مُعَاجِزِينَ»، ففي تفسيره ثلاثة وجوه:

أحدها : معناه: كذبوا بآيات الله فظنوا أنهم يعجزون الله، ولن يعجزوه. قاله قتادة(٤٨٩٣).

الثاني: وقال الحسن:" يظنون أنهم يعجزونا فيسبقوننا في الأرض حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم"(٤٨٩٤).

الثالث: وقال السدي: "مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً "(٤٨٩٥).

والقراءاتان متقاربتا المعنى; وذلك أن من عجز عن آيات الله، فقد عاجز الله، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطِّئون الناس عن الإيمان بالله، واتباع رسوله، ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه، وقد ضمن الله له نصره عليهم، فكان ذلك معاجزتهم الله(٤٨٩٦).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [الحج : ٥١]، أي:" أولئك هم أهل النار الموقدة، يدخلونها ويبقون فيها أبدًا"(٤٨٩٧).

عن أبي مالك، قوله: "{أصحاب النار}: يعذبون فيها"(٤٨٩٨).

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"(٤٨٩٩).

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)} [الحج : ٥٢]

التفسير:

وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوساوس والشبهات؛ ليصدَّ الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه، لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وساوسه، ويثبت آياته الواضحات. والله عليم بما كان ويكون، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره.

سبب النزول:

عن سعيد بن جبير قال: "لما نزلت هذه الآية: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى}، قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال

(٤٨٨٧) أخرجه الطبري:٦٦١/١٨.

(٤٨٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٩٩٠):ص٢٥٠٠/٨.

(٤٨٨٩) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٤٨٩٠) انظر: السبعة في القراءات:٤٣٩.

(٤٨٩١) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.

(٤٨٩٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٩٤):ص٢٥٠٠/٨، وتفسير الطبري:٦٦٢/١٨.

(٤٨٩٣) انظر: تفسير الطبري:٦٦١/١٨.

(٤٨٩٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٣/١.

(٤٨٩٥) انظر: النكت والعيون:٣٤/٤.

(٤٨٩٦) انظر: تفسير الطبري:٦٦٢/١٨.

(٤٨٩٧) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٤٨٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٣٠):ص٩٤/١.

(٤٨٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.

المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} ... إلى قوله: {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}"[٤٩٠٠].

(٤٩٠٠)أخرجه الطبري١٨/٦٦٦، وابن أبي حاتم(١٣٩٩٨):ص٨/٢٥٠٠-٢٥٠١، وهو مرسل صحيح الإسناد, ويشهد له:
١ - ما أخرجه الطبراني (المعجم الكبيرة ١٢/٥٣ - ح: ١٢٤٥) والبزار وابن مردويه والضياء (فتح القدير: ٣/ ٤٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه, وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧/١١٥) .
٢ - ما أخرجه ابن جرير (١٨/٦٦٤-٦٦٥) عن أبي العالية مرسلا بإسناد صحيح نحوه.
٣ - ما أخرجه الطبراني (المعجم الكبير: ٩/٢١ - ح: ٨٣١٦) عن عروة بن الزبير مرسلا بمعناه, وضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧/٧٠ - ٧٢) .
٤ - ما أخرجه ابن جرير (١٨/٦٦٣-٦٦٤) عن محمد بن كعب مرسلا مطولا بمعناه, وإسناده ضعيف.
قال الحافظ ابن كثير: "ولم أرها مسندة من وجه صحيح" (تفسير ابن كثير: ٥/٤٤١،) ووافقه الشوكاني (فتح القدير: ٣/ ٤٦٢) إلا أن الحافظ ابن حجر قال: كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا (لباب النقول: ١٥٠) .
قلت: وهو كذلك, إلا أنها وإن ثبتت نقلا, فهي باطلة عقلا وشاذة متنا, لأنها قدح في الرسالة.
وقد تعرض القاضي عياض ، رحمه الله ، في كتاب "الشفاء" لهذا ، وأجاب:
"فاعلم ، أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين :
أحدهما : في توهين أصله. والثانى : على تسليمه.
أما المأخذ الأول : فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل.. وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم.
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه فى الصلاة ، وآخر يقول : قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر بقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك ، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : "والله ما هكذا أنزلت".
إلى غير ذلك من اختلاف الرواة.
ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية.
والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فيما أحسب - الشك في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بمكة وذكر القصة.
قال أبو بكر البزار : هذا لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس.
فقد بين لك أبو بكر ، رحمه الله ، أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه.
أما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار ، رحمه الله.
والذي منه في الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ "والنجم" وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من طريق النقل.
أما من جهة المعنى ، فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ، ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل - عليه السلام - ، وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم.
أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر ، أو سهوا وهو معصوم من هذا كله.
ووجه ثان : هو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا ، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام ، متناقض الأقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك.
وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه!!
ووجه ثالث : أنه قد علم من عادة المنافقين ، ومعاندي المشركين ، وضعفة القلوب ، والجهلة من المسلمين ، نفورهم لأول وهلة ، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعيرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة...ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة.
ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت :{وإن كادوا ليفتنونك.. }،الآيتين.
وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه ؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه ، حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم.
فمضمون هذا ومفهومه : أن الله تعالى عصمه من أن يفتري ، وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله عليه وسلم : افتريت على الله وقلت ما لم يقل

قال ابن الجوزي-بعد ان ذكر الخبر-:" قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى: أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله عز وجل: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت : ٢٦]"[٤٩٠١].

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج : ٥٢]، أي:" وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوساوس والشبهات؛ ليصدَّ الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلوه"[٤٩٠٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج : ٥٢]، قولان:

أحدهما: أن يكون «تمنَّى» بمعنى: «قرأ»، و «الأمنية»: بمعنى: «القراءة». قاله مجاهد[٤٩٠٣]، والضحاك[٤٩٠٤]، وهو قول الأكثرين[٤٩٠٥].

قال الضحاك:" يعني بالتمني: التلاوة والقراءة"[٤٩٠٦].

وهو معنى قد يصح، وقد ورد استعمال اللفظ فيه؛ قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنهما[٤٩٠٧].

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أوَّلَ ليلهِ ... وآخِرَه لاقى حِمامَ المقادِرِ

وقال آخر[٤٩٠٨]:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ آخرَ ليلِه... تَمَنَّى دَاوُدَ الزَّبُورَ على رِسْلِ

أي: تلا كتاب الله مترسلا فيه كما تلا داود الزبور مترسلا فيه[٤٩٠٩].

والقول الثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى يوما أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه، فألقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمناه، قاله قتادة[٤٩١٠]، ومحمد بن كعب القرظي[٤٩١١].

عن قتادة:" أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته، فقال: إن الآلهة التي تدعي أن شفاعتها لترتجى وإنها للغرانيق العلى. فنسخ الله ذلك، وأحكم الله آياته"[٤٩١٢].

وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له ، وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى : " ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء ".

وأما المأخذ الثاني : فهو مبني على تسليم الحديث لو صح. وقد أعاذنا الله من صحته ، ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين.

ثم ذكر الأجوبة على ذلك (١١١/٢ - ١١٤) وممن أنكرها الإمام ابن خزيمة وقال : "هذا من وضع الزنادقة" وهذا هو الصواب.

وللاستزادة : انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص - ٣١٤ لمحمد أبي شهبة ، ونصب المجانيق لإبطال قصة الغرانيق لمحمد ناصر الدين الألباني.

(٤٩٠١) زاد المسير:٢٤٥/٣.

(٤٩٠٢) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٤٩٠٣) انظر: تفسير الطبري:٦٦٧/١٨.

(٤٩٠٤) انظر: تفسير الطبري:٦٦٧/١٨-٦٦٨.

(٤٩٠٥) انظر: زاد المسير:٢٤٥/٣.

(٤٩٠٦) انظر: تفسير الطبري:٦٦٧/١٨-٦٦٨.

(٤٩٠٧)البيت في "ديوانه" ص ٢٩٤ قاله في رثاء عثمان بن عفان، وينظر "تفسير ابن عطية" ١/ ١٦٩، "القرطبي" ٢/ ٥، وقيل: هو لحسان بن ثابت كما في "تفسير أبي حيان" ٦/ ٣٨٦، وليس في "ديوانه"، وبلا نسبة في "لسان العرب" ٧/ ٤٢٨٤، و"مقاييس اللغة" ٥/ ٢٧٧، وكتاب "العين" ٨/ ٣٩٠. ينظر "المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية"، للدكتور/ أميل بديع يعقوب ٣/ ٣٧٠. وحمام المقادر: الموت.

(٤٩٠٨) البيت ورد في اللسان: ١٥/ ٢٩٤، مادة (منى)، وقد نسبه ابن منظور إلى حسان.

وقد ورد غير دون نسبة بلفظ: فيه:« تمنى كتاب الله آخر ليله..». انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس:١٥١/٢، وغرائب التفسير:٧٦٤/٢، والإبانة في اللغة العربية:٣٢٣/٢، والمحرر الوجيز:١٢٨/٤، وغيرها.

(٤٩٠٩) انظر: معاني القرآن للزجاج:٤٣٥/٣.

(٤٩١٠) انظر: تفسير الطبري:٦٦٩/١٨.

(٤٩١١) انظر: تفسير الطبري:٦٦٣/١٨-٦٦٤.

(٤٩١٢) أخرجه الطبري:٦٦٩/١٨.

والظاهر: أن "«التمني»، يعني: التلاوة والقراءة كما قال الضحاك. وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتفسير الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقي الشيطان يقول الله تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله"(٤٩١٣).

قوله تعالى:{فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج : ٥٢]، أي:" لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وساوسه، ويثبت آياته الواضحات"(٤٩١٤).

عن الضحاك: {فينسخ الله ما يلقي الشيطان}:، قال: " نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، وأحكم الله آياته"(٤٩١٥).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج : ٥٢]، أي:" والله عليم بما كان ويكون، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره"(٤٩١٦).

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"(٤٩١٧).

عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٤٩١٨).

القرآن

{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣)} [الحج : ٥٣]

التفسير:

وما كان هذا الفعل مِنَ الشيطان إلا ليجعله الله اختبارًا للذين في قلوبهم شك ونفاق، ولقساة القلوب من المشركين الذين لا يؤثِّرُ فيهم زجر. وإن الظالمين مِن هؤلاء وأولئك في عداوة شديدة لله ورسوله وخلافٍ للحق بعيد عن الصواب.

قوله تعالى:{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} [الحج : ٥٣]، أي:" وما كان هذا الفعل مِنَ الشيطان إلا ليجعله الله اختبارًا للذين في قلوبهم شك ونفاق، ولقساة القلوب من المشركين الذين لا يؤثِّرُ فيهم زجر"(٤٩١٩).

قال قتادة: "لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير، ففرحوا بذلك، فذكر قوله: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}"(٤٩٢٠).

عن ابن جُرَيج: "{وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ}، قال: المشركون"(٤٩٢١).

القرآن

{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤)} [الحج : ٥٤]

التفسير:

(٤٩١٣) تفسير الطبري:٦٦٨/١٨.

(٤٩١٤) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٤٩١٥) أخرجه الطبري: ٦٦٨/١٨.

(٤٩١٦) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٤٩١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.

(٤٩١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٤٩١٩) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٤٩٢٠) أخرجه الطبري:٦٦٩/١٨.

(٤٩٢١) أخرجه الطبري:٦٦٩/١٨.

وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه، فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم. وإن الله لهادي الذين آمنوا به وبرسوله إلى طريق الحق الواضح، وهو الإسلام ينقذهم به من الضلال.

قوله تعالى:{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} [الحج : ٥٤]، أي:" وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه"(٤٩٢٢).

عن ابن جريج: "{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}، قال: يعني: القرآن"(٤٩٢٣).

قوله تعالى:{فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} [الحج : ٥٤]، أي:" فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم"(٤٩٢٤).

قال الحسن: "فتخشع له قلوبهم"(٤٩٢٥).

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج : ٥٤]، أي:" وإن الله لهادي الذين آمنوا به وبرسوله إلى طريق الحق الواضح، وهو الإسلام ينقذهم به من الضلال"(٤٩٢٦).

عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: " يعني: الإسلام: الدين الحق"(٤٩٢٧).

القرآن

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)} [الحج : ٥٥]

التفسير:

ولا يزال الكافرون المكذبون في شك مما جئتهم به من القرآن إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، وهم على تكذيبهم، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} [الحج : ٥٥]، أي:" ولا يزال الكافرون المكذبون في شك مما جئتهم به من القرآن إلى أن تأتيهم الساعة فجأة، وهم على تكذيبهم"(٤٩٢٨).

وفي قوله تعالى:{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ} [الحج : ٥٥]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أي: في شك من ذكر قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. وهذا قول سعيد بن جبير(٤٩٢٩).

الثاني: أي: في شك من ذكر سجود النبيّ صلى الله عليه وسلم في النجم. وهذا قول سعيد بن جبير –أيضا-(٤٩٣٠).

الثالث: في شك من القرآن. قاله ابن جريج(٤٩٣١).

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أقرب منه من ذكر قوله: {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} والهاء من قوله «أنه» من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في قوله: {ففِي مِرْيَةٍ مِنْهُ} بالهاء من قوله: {أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أولى من إلحاقها بما التي في قوله {مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ}، مع بُعد ما بينهما(٤٩٣٢).

(٤٩٢٢) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤٩٢٣) أخرجه الطبري:١٨/٦٧٠.
(٤٩٢٤) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤٩٢٥) تفسير يحيى بن سلام: ١/٣٨٥.
(٤٩٢٦) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤٩٢٧) تفسير مجاهد: ٣٣٣.
(٤٩٢٨) التفسير الميسر:٣٣٨.
(٤٩٢٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٧٠-٦٧١.
(٤٩٣٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٧٠-٦٧١.
(٤٩٣١) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٧٠-٦٧١.
(٤٩٣٢) تفسير الطبري:١٨/٦٧١.

قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج : ٥٥]، أي:" أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه، وهو يوم القيامة"[٤٩٣٣].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج : ٥٥]، قولان:

أحدهما : يوم القيامة[٤٩٣٤]، قاله الحسن[٤٩٣٥]، وعكرمة[٤٩٣٦]، والضحاك[٤٩٣٧].

عن ساسان، قال: "سألت الضحاك، عن قوله: {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}، قال: عذاب يوم لا ليلة بعده"[٤٩٣٨].

عن عكرمة: "أن يوم القيامة لا ليلة له"[٤٩٣٩].

وقال الحسن:"يعني: الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه"[٤٩٤٠].

الثاني : يوم بدر ، قاله سعيد بن جبير[٤٩٤١]، ومجاهد[٤٩٤٢]، وقتادة[٤٩٤٣].

وهذا القول الثاني أولى بتفسير الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة; وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب، وهو ما ذكرنا. في معناه.

فتفسير الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له، فلا ينظرون فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء"[٤٩٤٤].

وفي«العقيم»، وجهان:

أحدهما : الشديد ، قاله الحسن[٤٩٤٥].

الثاني: وروي عن مجاهد، في قوله:{ يَوْمٍ عَقِيمٍ}، قال: "يوم عظيم"[٤٩٤٦].

القرآن

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨)} [الحج : ٥٨]

التفسير:

والذين خرجوا من ديارهم طلبًا لرضا الله، ونصرة لدينه، من قُتل منهم وهو يجاهد الكفار، ومن مات منهم مِن غير قتال، ليرزقَنَّهم الله الجنة ونعيمها الذي لا ينقطع ولا يزول، وإن الله سبحانه وتعالى لهو خير الرازقين.

سبب نزول الآيتين:[٥٨-٥٩]:

قال مقاتل:" وذلك أن نفرا من المسلمين قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- نحن نقاتل المشركين فنقتل منهم ولا نستشهد، فما لنا شهادة، فأشركهم الله- عز وجل- جميعا في الجنة، فنزلت فيهم آيتان، فقال: {لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} [الحج : ٥٩].. "[٤٩٤٧].

(٤٩٣٣) التفسير الميسر:٣٣٨.

(٤٩٣٤)قال ابن كثير:" وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به ، لكن هذا هو المراد".]تفسير ابن كثير:٤٤٦/٥].

(٤٩٣٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٥/١، و ابن كثير في التفسير:٤٤٦/٥.

(٤٩٣٦) أخرجه الطبري:٦٧٢/١٨.

(٤٩٣٧) أخرجه الطبري:٦٧١/١٨.

(٤٩٣٨) أخرجه الطبري:٦٧١/١٨.

(٤٩٣٩) أخرجه الطبري:٦٧٢/١٨.

(٤٩٤٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٥/١.

(٤٩٤١) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.

(٤٩٤٢) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.

(٤٩٤٣) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.

(٤٩٤٤) تفسير الطبري:٦٧٢/١٨-٦٧٣.

(٤٩٤٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٥/١، وانظر: النكت والعيون:٣٧/٤.

(٤٩٤٦) انظر: تفسير الطبري:٦٧٢/١٨.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج : ٥٨]، أي:" والذين خرجوا من ديارهم طلبًا لرضا الله، ونصرة لدينه"[٤٩٤٨].

عن سعيد بن جبير:" {في سبيل الله}، قال: في طاعة الله"[٤٩٤٩].

القرآن

{لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)} [الحج : ٥٩]

التفسير:

ليُدخلنَّهم الله المُدْخل الذي يحبونه وهو الجنة. وإن الله لعليم بمن يخرج في سبيله، ومن يخرج طلبًا للدنيا، حليم عمن عصاه، فلا يعاجلهم بالعقوبة.

قوله تعالى:{لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ} [الحج : ٥٩]، أي:" ليُدخلنَّهم الله المُدْخل الذي يحبونه وهو الجنة"[٤٩٥٠].

قال السدي:" الجنة"[٤٩٥١].

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} [الحج : ٥٩]، أي:" وإن الله لعليم بدرجات العاملين حليم عن عقابهم"[٤٩٥٢].

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٤٩٥٣].

قال الحسن:" الحليم: الرحيم"[٤٩٥٤].

عن قتادة :"{إنه كان حليما} عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض"[٤٩٥٥].

القرآن

{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠)} [الحج : ٦٠]

التفسير:

ذلك الأمر الذي قصصنا عليك من إدخال المهاجرين الجنة، ومن اعتُدِي عليه وظُلم فقد أُذِن له أن يقابل الجاني بمثل فعلته، ولا حرج عليه، فإذا عاد الجاني إلى إيذائه وبغى، فإن الله ينصر المظلوم المعتدى عليه; إذ لا يجوز أن يُعْتَدى عليه بسبب انتصافه لنفسه. إن الله لعفوٌ غفور، يعفو عن المذنبين فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال مقاتل:" وذلك أن مشركي مكة لقوا المسلمين :لليلة بقيت من المحرم، فقال بعضهم لبعض: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال. فبغوا على المسلمين فقاتلوهم وحملوا عليهم وثبت المسلمون فنصر الله- عز وجل- المسلمين عليهم، فوقع في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام، فأنزل الله- عز وجل:{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ}.."[٤٩٥٦].

الثاني: أنها نزلت في قوم من المشركين، مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله. حكاه القرطبي[٤٩٥٧].

(٤٩٤٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٤/٣.
(٤٩٤٨) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤٩٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٥٤/٦.
(٤٩٥٠) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤٩٥١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٢):ص٢٥٠٣/٨.
(٤٩٥٢) صفوة التفاسير:٢٧١/٢.
(٤٩٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.
(٤٩٥٤) أخرجه ابم ابي حاتم(١١٠٤٢):ص٢٠٥٨/٦.
(٤٩٥٥) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.
(٤٩٥٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٥/٣.
(٤٩٥٧) انظر: تفسير القرطبي:٩٠/١٢.

قوله تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ} [الحج : ٦٠]، أي:" ذلك الأمر الذي قصصنا عليك من إدخال المهاجرين الجنة، ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه، ثم اعتدى الظالم عليه ثانياً لينصرن الله ذلك المظلوم"(٤٩٥٨).

عن الحسن: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ}، " بمعنى: قاتل المشركين كما قاتلوه"(٤٩٥٩).

عن ابن جُرَيج: "{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ} قال: هم المشركون بغَوْا على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده الله أن ينصره.. "(٤٩٦٠).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج : ٦٠]، أي:" وإن الله يعفو عن المذنبين فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم"(٤٩٦١).

قال سعيد بن المسيب:" ليس شيء أحب إلي من عفو"(٤٩٦٢).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٤٩٦٣).

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"(٤٩٦٤).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الغفور}، يعني: غفور الذنوب"(٤٩٦٥).

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)} [الحج : ٦١]

التفسير:

ذلك الذي شرع لكم تلك الأحكام العادلة هو الحق، وهو القادر على ما يشاء، ومِن قدرته أنه يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، وأن الله سميع لكل صوت، بصير بكل فعل، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الحج : ٦١]، أي:" ذلك الذي شرع لكم تلك الأحكام العادلة هو الحق، وهو القادر على ما يشاء، ومِن قدرته أنه يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل"(٤٩٦٦).

عن قتادة قوله: "{يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل}، قال: نقصان الليل في زيادة النهار، ونقصان النهار في زيادة الليل"(٤٩٦٧).

قال القرظي:" يدخل من ليل الشتاء في نهار الصيف، ويدخل من نهار الصيف في ليالي الشتاء"(٤٩٦٨).

قال مجاهد:" هو أخذ أحدهما من صاحبه"(٤٩٦٩).

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج : ٦١]، أي:" وأن الله سميع لكل صوت، بصير بكل فعل، لا يخفى عليه شيء"(٤٩٧٠).

قال محمد بن إسحاق:" {سميعا}، أي: سميع ما تقولون"(٤٩٧١).

(٤٩٥٨) التفسير الميسر:٣٣٩، وصفوة التفاسير:٢٧١/٢

(٤٩٥٩) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٧٨/٣.

(٤٩٦٠) أخرجه الطبري:٦٧٤/١٨.

(٤٩٦١) التفسير الميسر:٣٣٩.

(٤٩٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٨٠):ص٩٦٣/٣.

(٤٩٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٤٩٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(٤٩٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.

(٤٩٦٦) التفسير الميسر:٣٣٩.

(٤٩٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٥٩):ص٣١٧٦/١٠، والطبري: ١٥٤/٢٠.

(٤٩٦٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٨):ص٥٥/٢.

(٤٩٦٩) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢/٢.

(٤٩٧٠) التفسير الميسر:٣٣٩.

(٤٩٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٥):ص١٠٨٦/٤.

القرآن
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)} [الحج : ٦٢]
التفسير:
ذلك بأن الله هو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأن ما يعبده المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو الباطل الذي لا ينفع ولا يضرُّ، وأن الله هو العليُّ على خلقه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، المتعالي عن الأشباه والأنداد، الكبير في ذاته وأسمائه فهو أكبر من كلِّ شيء.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج : ٦٢]، أي:" ذلك بأن الله هو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأن ما يعبده المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو الباطل الذي لا ينفع ولا يضرُّ"(٤٩٧٢).

عن مجاهد(٤٩٧٣)، وابن جريج(٤٩٧٤)، قوله: "{وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}، قال: الشيطان".

قال الحسن: "الأوثان"(٤٩٧٥).

وقال قتادة: إبليس"(٤٩٧٦).

القرآن
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)} [الحج : ٦٣]
التفسير:
ألم ترَ -أيها الرسول- أن الله أنزل من السماء مطرًا، فتصبح الأرض مخضرة بما ينبت فيها من النبات؟ إن الله لطيف بعباده باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، خبير بمصالحهم.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [الحج : ٦٣]، أي:" إن الله لطيف بعباده باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، خبير بمصالحهم"(٤٩٧٧).

عن قتادة: "{خبيرا}، قال: خبير بخلقه"(٤٩٧٨).

القرآن
{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤)} [الحج : ٦٤]
التفسير:
لله سبحانه وتعالى ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبودية، كلٌّ محتاج إلى تدبيره وإفضاله. وإن الله لهو الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، المحمود في كل حال.

قوله تعالى:{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الحج : ٦٤]، أي:" لله سبحانه وتعالى ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبودية، كلٌّ محتاج إلى تدبيره وإفضاله"(٤٩٧٩).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٤٩٨٠).

القرآن

(٤٩٧٢) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤٩٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٤):ص٢٥٠٤/٨.
(٤٩٧٤) أخرجه الطبري:٦٧٦/١٨.
(٤٩٧٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٦/١.
(٤٩٧٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٦/١.
(٤٩٧٧) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤٩٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.
(٤٩٧٩) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤٩٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥)} [الحج : ٦٥]

التفسير:

ألم تر أن الله تعالى ذلَّل لكم ما في الأرض من الدواب والبهائم والزروع والثمار والجماد لركوبكم وطعامكم وكل منافعكم، كما ذلَّل لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره فتحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن، وهو الذي يمسك السماء فيحفظها؛ حتى لا تقع على الأرض فيهلك مَن عليها إلا بإذنه سبحانه بذلك؟ إن الله ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم ومن رحمته به ما سخره لهم من هذه الأشياء وغيرها؛ تفضلا منه عليهم.

قوله تعالى:{وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ} [الحج : ٦٥]، أي:" ذلَّل لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره فتحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن"[٤٩٨١].

عن عطاء الخراساني، قال: {الفلك}: السفن"[٤٩٨٢].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحج : ٦٥]، أي:" إن الله ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم ومن رحمته به ما سخره لهم من هذه الأشياء وغيرها؛ تفضلا منه عليهم"[٤٩٨٣].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"[٤٩٨٤].

عن سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٤٩٨٥].

عن عطاء بن دينار: "{رحيم} بهم بعد التوبة"[٤٩٨٦].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦)} [الحج : ٦٦]

التفسير:

وهو الله تعالى الذي أحياكم بأن أوجدكم من العدم، ثم يميتكم عند انقضاء أعماركم، ثم يحييكم بالبعث لمحاسبتكم على أعمالكم. إن الإنسان لَجحود لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته.

قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ} [الحج : ٦٦]، أي:" إن الإنسان لَجحود لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته"[٤٩٨٧].

عن الحسن قوله: "{إن الإنسان لكفور}، قال: بعد المصيبات، وينسى النعم"[٤٩٨٨].

قال مجاهد:" كل شيء في القرآن: {إن الإنسان لكفور}، يعني: به الكفار"[٤٩٨٩].

القرآن

{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧)} [الحج : ٦٧]

التفسير:

لكل أمة من الأمم الماضية جعلنا شريعة وعبادة أمرناهم بها، فهم عاملون بها، فلا ينازعنك -أيها الرسول- مشركو قريش في شريعتك، وما أمرك الله به في المناسك وأنواع العبادات كلها، وادع إلى توحيد ربك وإخلاص العبادة له واتباع أمره، إنك لعلى دين قويم، لا اعوجاج فيه.

سبب النزول:

(٤٩٨١) التفسير الميسر:٣٣٩.

(٤٩٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٣٩):ص٢٣٣٨/٧.

(٤٩٨٣) التفسير الميسر:٣٣٩.

(٤٩٨٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٤٩٨٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(٤٩٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.

(٤٩٨٧) التفسير الميسر:٣٣٩.

(٤٩٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٥):ص٢٥٠٤/٨.

(٤٩٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٦):ص٢٥٠٤/٨.

قال مقاتل:" نزلت في بديل بن ورقاء الخزاعي وبشر بن سفيان الخزاعي ويزيد ابن الحليس من بني الحارث بن عبد مناف لقولهم للمسلمين، في الأنعام، ما قتلتم أنتم بأيديكم فهو حلال وما قتل الله فهو حرام، يعنون الميتة"(٤٩٩٠).

قوله تعالى:{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} [الحج : ٦٧]، أي:" لكل أمة من الأمم الماضية جعلنا شريعة وعبادة أمرناهم بها، فهم عاملون بها"(٤٩٩١).

عن أبي المليح قال: الأمة: ما بين الأربعين إلى المائة فصاعدا"(٤٩٩٢).

وفي قوله تعالى:{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} [الحج : ٦٧]، وجوه:

أحدها : معناه: ذبح يذبحونه، ودم يهريقونه، قاله مجاهد(٤٩٩٣)، وقتادة(٤٩٩٤)، وعكرمة(٤٩٩٥).

قال مجاهد:" إهراق دماء الهدي"(٤٩٩٦).

قال قتادة:" ذبحا وحجا"(٤٩٩٧).

الثاني : إنه مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها. قاله زيد بم أسلم(٤٩٩٨).

الثالث: المنسك المُتَعَبد والنسك العِبَادَة ومنه سمي العَابِدُ ناسكاً ، قاله الحسن(٤٩٩٩).

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمِنى، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت إراقة الدم في هذه الأيام، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا(٥٠٠٠).

قوله تعالى:{فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ} [الحج : ٦٧]، أي:" فلا ينازعنك -أيها الرسول- مشركو قريش في شريعتك، وما أمرك الله به في المناسك وأنواع العبادات كلها"(٥٠٠١).

قال قتادة:" فلا تتحام لحمك"(٥٠٠٢).

القرآن

{وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨)} [الحج : ٦٨]

التفسير:

وإن أصرُّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون.

عن مجاهد: "{وَإِنْ جَادَلُوكَ}، قال: قول أهل الشرك: أما ما ذبح الله بيمينه {فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ}، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم"(٥٠٠٣).

القرآن

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)} [الحج : ٧٠]

التفسير:

(٤٩٩٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٣٦-١٣٧.

(٤٩٩١) التفسير الميسر:٣٤٠.

(٤٩٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٧):ص٨/١٥٠٤.

(٤٩٩٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٧٩.

(٤٩٩٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/٦٧٩.

(٤٩٩٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٧):ص٨/٢٤٩٢.

(٤٩٩٦) أخرجه الطبري:١٨/٦٧٩.

(٤٩٩٧) أخرجه الطبري:١٨/٦٧٩.

(٤٩٩٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٨):ص٨/٢٤٩٢.

(٤٩٩٩) انظر: النكت والعيون:٤/٣٩.

(٥٠٠٠) تفسير الطبري:١٨/٦٧٩.

(٥٠٠١) التفسير الميسر:٣٤٠.

(٥٠٠٢) أخرجه الطبري:١٨/٦٨٠.

(٥٠٠٣) أخرجه الطبري:١٨/٦٨٠.

ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله يعلم ما في السماء والأرض علماً كاملا قد أثبته في اللوح المحفوظ؟ إن ذلك العلم أمر سهل على الله، الذي لا يعجزه شيء.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} [الحج : ٧٠]، أي:" لقد علمت يا محمد أنَّ الله أحاط علمه بما في السماء والأرض فلا تخفى عليه أعمالهم، إن ذلك كله مسطر في اللوح المحفوظ"(٥٠٠٤).

عن عبدة بن أبي لبابة، قال: "علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون، ثم كتبه، ثم قال لنبيه: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}"(٥٠٠٥).

عن أرطأة بن المنذر، قال: "سمعت ضمرة بن حبيب، يقول: إن الله كان على عرشه على الماء، وخلق السموات والأرض بالحقّ، وخلق القلم فكتب به ما هو كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام، قبل أن يبدأ شيئا من الخلق"(٥٠٠٦).

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج : ٧٠]، أي:" إن ذلك العلم أمر سهل على الله، الذي لا يعجزه شيء"(٥٠٠٧).

عن ابن جريج: "{إن ذلك على الله يسير}، قال: حكمه يوم القيامة، ثم قال بين ذلك: {ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب}"(٥٠٠٨).

القرآن

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١)} [الحج : ٧١]

التفسير:

ويصر كفار قريش على الشرك بالله مع ظهور بطلان ما هم عليه، فهم يعبدون آلهة، لم يَنْزل في كتاب مِن كتب الله برهان بأنها تصلح للعبادة، ولا علم لهم فيما اختلقوه، وافتروه على الله، وإنما هو أمر اتبعوا فيه آباءَهم بلا دليل. فإذا جاء وقت الحساب في الآخرة فليس للمشركين ناصر ينصرهم، أو يدفع عنهم العذاب.

قوله تعالى:{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ} [الحج : ٧١]، أي:" ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل بجواز عبادته حجة وبرهانا من السماء فى كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله وما ليس لهم بجواز عبادته علم من ضرورة العقل، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بغير حجة ولا برهان"(٥٠٠٩).

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"(٥٠١٠).

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢)} [الحج : ٧٢]

التفسير:

وإذا تتلى آيات القرآن الواضحة على هؤلاء المشركين ترى الكراهة ظاهرة على وجوههم، يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يدعونهم إلى الله تعالى، ويتلون عليهم آياته. قل لهم -أيها الرسول-: أفلا أخبركم بما هو أشد كراهة إليكم من سماع الحق ورؤية الداعين إليه؟ النار أعدَّها الله للكافرين في الآخرة، وبئس المكان الذي يصيرون إليه.

(٥٠٠٤) صفوة التفاسير:٢٧٣/٢.

(٥٠٠٥) أخرجه الطبري:٦٨١/١٨.

(٥٠٠٦) أخرجه الطبري:٦٨١/١٨.

(٥٠٠٧) التفسير الميسر:٣٤٠.

(٥٠٠٨) أخرجه الطبري:٦٨٢/١٨.

(٥٠٠٩) تفسير المراغي:١٤٣/١٧.

(٥٠١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.

قوله تعالى:{يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [الحج : ٧٢]، أي:" يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يدعونهم إلى الله تعالى، ويتلون عليهم آياته"(٥٠١١).

عن مجاهد، قوله: "{يَكَادُونَ يَسْطُونَ}، قال: يبطشون كفار قريش"(٥٠١٢).

قال مجاهد:" يكادون يقعون بهم"(٥٠١٣).

قال الحسن:" يكادون يقعون بهم بأنبيائهم فيقتلونهم"(٥٠١٤).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)} [الحج : ٧٣]

التفسير:

يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له وتدبروه: إن الأصنام والأنداد التي تعبدونها من دون الله لن تقدر مجتمعة على خَلْق ذبابة واحدة، فكيف بخلق ما هو أكبر؟ ولا تقدر أن تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهل بعد ذلك مِن عَجْز؟ فهما ضعيفان معًا: ضَعُفَ الطالب الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما أخذه الذباب منه، وضَعُفَ المطلوب الذي هو الذباب، فكيف تُتَّخذ هذه الأصنام والأنداد آلهة، وهي بهذا الهوان؟

قوله تعالى:{أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} [الحج : ٧٣]، أي:" يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له وتدبروه، إنَّ هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله لن تقدر على خلق ذبابة على ضعفها وإن اجتمعت على ذلك، فكيف يليق بالعاقل جعلها آلهة وعبادتها من دون الله"(٥٠١٥).

قال السدي:" يعني: الصنم لا يخلق ذبابا"(٥٠١٦).

عن أبي هريرة - رفع الحديث - قال : "ومن أظلم ممن خلق خلقا كخلقي ؟ فليخلقوا مثل خلقي ذَرّة ، أو ذبابة ، أو حَبَّة"(٥٠١٧).

قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ} [الحج : ٧٣]، أي:" لو اختطف الذباب وسلب شيئاً من الطيب الذي كانوا يضمخون به الأصنام لما استطاعت تلك الآلهة استرجاعه منه رغم ضعفه وحقارته"(٥٠١٨).

قال السدي:" يقول: يجعل للأصنام طعام، فيقع عليه الذباب، فيأكل منه فلا يستطيع إن يستنقذه منه"(٥٠١٩).

قوله تعالى:{ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج : ٧٣]، أي:" ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم، والمطلوب الذي هو الصنم، فكل منهما حقير ضعيف"(٥٠٢٠).

قال السدي:" ثم رجع إلى الناس وإلى الأصنام :{ضعف الطالب والمطلوب}، الذي يطلب إلى هذا الصنم، الذي لا يخلق ذبابا، ولا يستطيع إن يستنقذ ما سلب منه، وضعف المطلوب إليه الذي لا يخلق ذبابا ولا يستنقذ ما سلب منه"(٥٠٢١).

(٥٠١١) التفسير الميسر:١٤٣/١٧.

(٥٠١٢) أخرجه الطبري:٦٨٤/١٨.

(٥٠١٣) أخرجه الطبري:٦٨٤/١٨.

(٥٠١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٣٨٩/١.

(٥٠١٥) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.

(٥٠١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٥):ص٢٥٠٥/٨.

(٥٠١٧)المسند (٣٩١/٢).

وفي رواية :" ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة"". انظر: صحيح البخاري برقم (٥٩٥٣) وصحيح مسلم برقم (٢١١١)

(٥٠١٨) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.

(٥٠١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٥):ص٢٥٠٥/٨.

(٥٠٢٠) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.

(٥٠٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٥):ص٢٥٠٥/٨.

القرآن

{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)} [الحج : ٧٤]

التفسير:

هؤلاء المشركون لم يعظّموا الله حق تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالَب.

سبب النزول:

قال ابن عباس : "نزلت في يهود المدينة حين قالوا استراح الله في يوم السبت"(٥٠٢٢).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج : ٧٤]، أي:" وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالَب"(٥٠٢٣).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"(٥٠٢٤).

عن أبي العالية: {والله عزيز}، يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم"(٥٠٢٥).

القرآن

{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)} [الحج : ٧٥ - ٧٦]

التفسير:

الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة رسلا إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلا لتبليغ رسالاته إلى الخلق، إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة مِن خلقه. وهو سبحانه يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. وإلى الله وحده ترجع الأمور.

قوله تعالى:{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج : ٧٥]، أي:" الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة رسلا إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلا لتبليغ رسالاته إلى الخلق"(٥٠٢٦).

قال السدي:" الذي يصطفي من الناس هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"(٥٠٢٧).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج : ٧٥]، أي:" إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة مِن خلقه"(٥٠٢٨).

قال محمد بن إسحاق:{سَمِيعٌ}" أي: سميع ما تقولون"(٥٠٢٩).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)} [الحج : ٧٧ - ٧٨]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اركعوا واسجدوا في صلاتكم، واعبدوا ربكم وحده لا شريك له، وافعلوا الخير; لتفلحوا، وجاهدوا أنفسكم، وقوموا قيامًا تامًّا بأمر الله، وادعوا الخلق إلى سبيله، وجاهدوا بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، مخلصين فيه النية لله عز وجل، مسلمين له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا الدين، وقد منَّ عليكم بأن جعل شريعتكم سمحة، ليس فيها تضييق ولا تشديد في تكاليفها

(٥٠٢٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٤٠/٤، والعز بم عبدالسلام في تفسيره:٣٦٥/٢.

(٥٠٢٣) التفسير الميسر:٣٤١.

(٥٠٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٩٨٣/٣.

(٥٠٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٢٤):ص١٢١٠/٤.

(٥٠٢٦) التفسير الميسر:٣٤١.

(٥٠٢٧) اخجره ابن ابي حاتم(١٤٠٢٧):ص٢٥٠٥/٨.

(٥٠٢٨) التفسير الميسر:٣٤١.

(٥٠٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٥):ص١٠٨٦/٤.

وأحكامها، كما كان في بعض الأمم قبلكم، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سَمَّاكم الله المسلمين مِن قبلُ في الكتب المنزلة السابقة، وفي هذا القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار ; ليكون خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم شاهدًا عليكم بأنه بلَّغكم رسالة ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها، فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة، وأن تلجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى، وتتوكلوا عليه، فهو نِعْمَ المولى لمن تولاه، ونعم النصير لمن استنصره.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج : ٧٧]، أي:" يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم"(٥٠٣٠).

قال خيثمة: "ما تقرؤون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا} فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"(٥٠٣١).

قوله تعالى:{ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} [الحج : ٧٧]، أي:" اركعوا واسجدوا في صلاتكم"(٥٠٣٢).

عن مجاهد، قوله: "{يا أيها الذين آمنوا اركعوا}، قال: إنما هي أدب وموعظة"(٥٠٣٣).

قوله تعالى:{وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : ٧٧]، أي:" واعبدوا ربكم وحده لا شريك له، وافعلوا ما يقربكم من الله من أنواع الخيرات "(٥٠٣٤).

قال سعيد بن جبير:قوله:"{لعلكم}، يعني: لكي"(٥٠٣٥).

عن سعيد بن جبير:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}:"يعني: لكي تفلحون"(٥٠٣٦).

قوله تعالى:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج : ٧٨]، أي:" جاهدوا بأموالكم وأنفسكم لإعلاء كلمة الله حقَّ الجهاد باستفراغ الوسع والطاقة"(٥٠٣٧).

قال السدي: يطاع فلا يعصى"(٥٠٣٨)

قال الحسن:" إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده وما ضرب بسيف"(٥٠٣٩).

وقال الضحاك:" جاهدوا عدو الله حتى يدخلوا في الإسلام"(٥٠٤٠).

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج : ٧٨]، أي:" وما جعل عليكم في هذا الدين من ضيق ولا مشقة، ولا كلفكم مالا تطيقون بل هي الحنيفية السمحة"(٥٠٤١).

عن أبي خلدة، قال: "قال لي أبو العالية: أتدري ما الحرج؟ قلت: لا أدري، قال: الضيق، وقرأ هذه الآية: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}"(٥٠٤٢).

قال الحسن(٥٠٤٣)، وقتادة(٥٠٤٤): "من ضيق".

قال الضحاك:" جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيقا"(٥٠٤٥).

قوله تعالى:{مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} [الحج : ٧٨]، أي:" دينكم الذي لا حرج فيه هو دين ابراهيم فالزموه لأنه الدين القيم"(٥٠٤٦).

(٥٠٣٠) التفسير الميسر:٣٤١.
(٥٠٣١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٦):ص١٩٦/١.
(٥٠٣٢) التفسير الميسر:٣٤١.
(٥٠٣٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٨):ص٢٥٠٥/٨.
(٥٠٣٤) التفسير الميسر:٣٤١.
(٥٠٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص١١٩٥/٤.
(٥٠٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٤):ص١٢٠٠/٤.
(٥٠٣٧) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.
(٥٠٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٢):ص٢٥٠٦/٨.
(٥٠٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٠):ص٢٥٠٦/٨.
(٥٠٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٩):ص٢٥٠٥/٨.
(٥٠٤١) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.
(٥٠٤٢) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨.
(٥٠٤٣) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨.
(٥٠٤٤) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨.
(٥٠٤٥) أخرجه الطبري:٦٩١/١٨.
(٥٠٤٦) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.

قال السدي:" دين أبيكم"(٥٠٤٧).

قوله تعالى:{هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} [الحج : ٧٨]، أي:" الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة وفي هذا القرآن، ورضي لكم الإسلام دينا"(٥٠٤٨).

قال مجاهد:" الله سماكم"(٥٠٤٩).

قال الضحاك:" الله سماكم المسلمين"(٥٠٥٠).

قال قتادة:" الله سماكم المسلمين من قبل"(٥٠٥١).

قوله تعالى:{لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [الحج : ٧٨]، أي:" وقد اختصَّكم بهذا الاختيار; ليكون خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم شاهدًا عليكم بأنه بلَّغكم رسالة ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه"(٥٠٥٢).

عن قتادة:" {ليكون الرسول شهيدا عليكم} أنه قد بلغكم، {وتكونوا} أنتم {شهداء على الناس} أن الرسل قد بلغتهم "(٥٠٥٣).

عن قتادة أن كعبا قال: "إن الله تبارك وتعالى أعطى هذه الأمة ثلاثا لم يعطهن قبلهم إلا نبيا مرسلا: كان يبعث النبي فيقول: أنت شاهدي على أمتك، وإن الله جعلكم شهداء على الناس، ويبعث النبي فيقول: ادعني استجب لك وقال: {ادعوني أستجب لكم}، ويبعث النبي فيقول: ليس عليك في الدين من حرج، وقال: {وما جعل عليكم في الدين من حرج}"(٥٠٥٤).

قوله تعالى:{فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [الحج : ٧٨]، أي:" وإذْ قد اختاركم الله لهذه المرتبة الجليلة فاشكروا الله على نعمته بأداء الصلاة ودفع الزكاة"(٥٠٥٥).

عن الحسن في قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، قال: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"(٥٠٥٦).

وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك(٥٠٥٧).

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"(٥٠٥٨).

وعن عكرمة: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم"(٥٠٥٩).

قوله تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ} [الحج : ٧٨]، أي:" والجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى، وتوكلوا عليه"(٥٠٦٠).

قال الحسن:" بدين الله، فهو اعتصامكم بالله"(٥٠٦١).

قال الربيع بن انس:" الاعتصام: هو الثقة بالله"(٥٠٦٢).

قوله تعالى:{هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الحج : ٧٨]، أي:" فهو تعالى وليكم وناصركم وحافظكم، فهو تعالى نِعْمَ المولى لمن تولاه، ونعم النصير لمن استنصره"(٥٠٦٣).

قال الحسن: "هو مولى كل من تولاه بالطاعة"(٥٠٦٤).

(٥٠٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٧):ص٢٥٠٧/٨.

(٥٠٤٨) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.

(٥٠٤٩) أخرجه الطبري:٦٩٢/١٨ .

(٥٠٥٠) أخرجه الطبري:٦٩٢/١٨ .

(٥٠٥١)تفسير عبدالرزاق(١٩٥١) :ص٤١١/٢، وتفسيرالطبري:٦٩١/١٨-٦٩٢ .

(٥٠٥٢) التفسير الميسر:٣٤١.

(٥٠٥٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٩٥١):ص٤١١/٢.

(٥٠٥٤) اخرجه يحيى بن سلام عن قتادة في التفسير:٣٩١/١.

(٥٠٥٥) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.

(٥٠٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.

(٥٠٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.

(٥٠٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.

(٥٠٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٦):س١٠٠٤/٣.

(٥٠٦٠) التفسير الميسر:٢٧٥/٢.[بتصرف]

(٥٠٦١)حكاه عنه يحيى ين سلام في التفسير:٣٩١/١.

(٥٠٦٢) اخرجه ابن ابي حاتم(٦١٦١):ص١٠٩٩/٤.

(٥٠٦٣) بحر العلوم"تفسير السمرقندي":٤٧٢/٢.

(٥٠٦٤) حكاه عنه الماتريدي في "تأويلات أهل السنة":٤٤٩/٧.

«آخر تفسير سورة (الحج)، والحمد لله وحده»

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المؤمنون»

سورة «المؤمنون»: هي السورة «الثالثة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الأنبياء»[٥٠٦٥]، وقيل: نزلت بعد سورة: «الطور» وقبل سورة: «تبارك الذي بيده الملك»[٥٠٦٦].

وعدد وآياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدها أهل الكوفة مائة وثمان عشرة[٥٠٦٧]، وكلماتها: ألف ومائتان وأربعون. وحروفها: أربعة آلاف وثمانمائة وواحد[٥٠٦٨].

قال ابن عاشور:" فالجمهور عدوا: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)} [المؤمنون : ١٠ - ١١] آية، وأهل الكوفة عدوا : {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون : ١٠] آية، وما بعدها آية أخرى"[٥٠٦٩].

ومجموع فواصل آياتها: «من»[٥٠٧٠].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس[٥٠٧١]، ومقاتل[٥٠٧٢]، ويحيى بن سلام[٥٠٧٣]، والسمرقندي[٥٠٧٤]، وابن ابي زمنين[٥٠٧٥]، والثعلبي[٥٠٧٦]، ومكي بن أبي طالب[٥٠٧٧]، والواحدي[٥٠٧٨]، والسمعاني[٥٠٧٩]، والبغوي[٥٠٨٠]، والزمخشري[٥٠٨١]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي والقرطبي:" سورة المؤمنين مكية في قول الجميع"[٥٠٨٢].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة إجماعا"[٥٠٨٣].

الثاني: أنها مكية، إلا قوله:{حَتَّى إذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ} [المؤمنون: ٦٤] إلى قوله سبحانه: {مُبْلِسُونَ} [المؤمنون: ٧٧]. ذكره في الإتقان[٥٠٨٤].

قال الألوسي:" واستشكل الحكم على ما عداه بكونه مكيا لما فيه من ذكر الزكاة وهي إنما فرضت بالمدينة، وأجيب بأنه بعد تسليم أن ما ذكر فيه يدل على فرضيتها يقال: إن الزكاة كانت واجبة بمكة والمفروض بالمدينة ذات النصب"[٥٠٨٥].

القرآن

(٥٠٦٥) انظر: الكشاف:١٧٤/٣.

(٥٠٦٦) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨.

(٥٠٦٧) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨.

(٥٠٦٨)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.

(٥٠٦٩) التحرير والتنوير:٦/١٨.

(٥٠٧٠)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.

(٥٠٧١) اورده السيوطي في الدر المنثور:٨٢/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٠٧٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥١/٣.

(٥٠٧٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٩٢/١.

(٥٠٧٤) انظر: بحر العلوم:٤٧٣/٢.

(٥٠٧٥) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١٩٣/٣.

(٥٠٧٦) انظر: الكشف والبيان:٣٧/٧.

(٥٠٧٧) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٤١/٧.

(٥٠٧٨) انظر: التفسير الوسيط:٢٨٣/٣.

(٥٠٧٩) انظر: تفسير السمعاني:٣٦٧/٣.

(٥٠٨٠) انظر: تفسير البغوي:٤٠٥/٥.

(٥٠٨١) انظر: الكشاف:١٧٤/٣.

(٥٠٨٢) انظر: زاد المسير:٢٥٤/٣، وتفسير القرطبي:١٠٢/١٢

(٥٠٨٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.

(٥٠٨٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن:٦١/١.

(٥٠٨٥) روح المعاني:٢٠٥/٩.

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)} [المؤمنون : ١]

التفسير:

قد فاز المصدِّقون بالله وبرسوله العاملون بشرعه.

سبب النزول:

عن عبد الرحمن بن عبد القاري، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: "كان إذا أنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه قال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم قال: لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، إلى عشر آيات "(٥٠٨٦).

عن مجاهد، قال: " إن الله عز وجل غرس جنات عدن بيده، فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح في كل سحر فينظر الله عز وجل إليها فيقول: {قد أفلح المؤمنون} [المؤمنون: ١]"(٥٠٨٧).

عن قتادة، قال كعب: "لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي! فقالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، لما علمت فيها من الكرامة"(٥٠٨٨).

القرآن

{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)} [المؤمنون : ٢]

التفسير:

الذين من صفاتهم أنهم في صلاتهم خاشعون، تَفْرُغُ لها قلوبهم، وتسكن جوارحهم.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزل: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}"(٥٠٨٩).

وقال محمد بن سيرين:" كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء، حتى نزلت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} فقالوا: بعد ذلك برءوسهم هكذا"(٥٠٩٠).

وفي المراد بالخشوع في الصلاة، أقوال:

أحدها: أنه النظر إلى موضع السجود.

عن أبي هريرة، :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزل: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}"(٥٠٩١). وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار(٥٠٩٢)، وقتادة(٥٠٩٣).

(٥٠٨٦)إسناده ضعيف: يونس بن سليم: قال أبو حاتم: قال أحمد بن حنبل: سألت عبد الرزاق عنه فقال: أظنه لا شيء، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين: ما أعرفه يروي عنه غير عبد الرزاق، وقال النسائي: لا أعرفه وذكره ابن حبان في الثقات [تهذيب الكمال ج ٣/ ١٥٦٧ مخطوط] والحديث أخرجه الترمذي في التفسير (٣١٧٣) .

والنسائي في الصلاة في (الكبرى) ونقل عنه المزي في تحفة الأشراف قوله: هذا منكر (انظر تحفة الأشراف رقم ١٠٥٩٣) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٥) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه في موضع آخر (٢/ ٣٩٢) وقال الذهبي: سئل عبد الرزاق عن شيخه فقال: لا أظنه شيء، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٥٥) مختصرا.

وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند وفي تصحيحه نظر والله أعلم، وزاد السيوطي نسبته (٥/ ٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والعقيلي والضياء في المختارة.

(٥٠٨٧) تفسير مجاهد: ٤٨٤.

(٥٠٨٨) اخرجه الطبري:١٨/٦٩٤.

(٥٠٨٩)أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسلا ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: الصحيح مرسل. أ. هـ.

وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣) لابن مردويه والحاكم.

(٥٠٩٠) أخرجه الطبري:١٩/٨.

(٥٠٩١) سبق تخريجه في سبب نزول الآية

.

(٥٠٩٢) انظر: زاد المسير:٣/٢٥٦.

الثاني: أنه السكون في الصلاة، قاله مجاهد[٥٠٩٤]، وإبراهيم[٥٠٩٥]، والزهري[٥٠٩٦].
وقال مجاهد: "كان أهل العلم يكرهون إذا قام الرجل في صلاته أن يعبث بشيء من هكذا يديه، أو يلتفت، أو يهتم بشيء من أمر الدنيا"[٥٠٩٧].
الثالث: أنه الخوف، قاله الحسن[٥٠٩٨].
قال الحسن:" الخشوع: الخوف الثابت في القلب"[٥٠٩٩].
قال الحسن:" كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح"[٥١٠٠].
والخشوع: التذلل والخضوع، ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر، فكان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم، وتأويل الكلام على ذلك أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه، وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها"[٥١٠١].
عن سالم ابن أبي الجعد ، أن محمد بن الحنفية قال : "دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار ، فحَضَرت الصلاة ، فقال : يا جارية ، ائتني بوَضُوء لعلي أصلي فأستريح. فرآنا أنكرنا عليه ذلك، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قم يا بلال ، فأرحنا بالصلاة"[٥١٠٢].

القرآن
{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)} [المؤمنون : ٣]
التفسير:
والذين هم تاركون لكل ما لا خير فيه من الأقوال والأفعال.
وفي معنى «اللغو» هنا، قولان:
أحدهما : أن اللغو الباطل ، قاله السدي[٥١٠٣].
الثاني : أنه المعاصي. قاله الحسن[٥١٠٤].

القرآن
{وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)} [المؤمنون : ٤]
التفسير:
والذين هم مُطَهِّرون لنفوسهم وأموالهم بأداء زكاة أموالهم على اختلاف أجناسها.
قال الحسن: "فريضة واجبة، لا تنفع الأعمال إلا بها مع الصلاة"[٥١٠٥]. وروي عن قتادة نحو ذلك[٥١٠٦].

القرآن

(٥٠٩٣) انظر: زاد المسير:٢٥٦/٣.
(٥٠٩٤) انظر: تفسير الطبري:٨/١٩، وأخرجه عنه ايضا يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٢/١.
(٥٠٩٥) انظر: تفسير الطبري:٩/١٩.
(٥٠٩٦) انظر: تفسير الطبري:٨/١٩.
(٥٠٩٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٢/١.
(٥٠٩٨) انظر: تفسير الطبري:٩/١٩.
(٥٠٩٩) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٢/١.
(٥١٠٠) أخرجه الطبري:٨/١٩-٩.
(٥١٠١) تفسير الطبري:٩/١٩.
(٥١٠٢)المسند (٣٧١/٥).
(٥١٠٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٣/١.
(٥١٠٤) تفسير عبدالرزاق(١٩٥٦):ص٤١٢/٢، وتفسير الطبري:١٠/١٩
(٥١٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.
(٥١٠٦) نظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦)} [المؤمنون : ٥ - ٦]

التفسير:

والذين هم لفروجهم حافظون مما حرَّم الله من الزنى واللواط وكل الفواحش، إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء، فلا لوم عليهم ولا حرج في جماعهن والاستمتاع بهن; لأن الله تعالى أحلَّهن.

عن الزهري ، قال: سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر عن متعة النساء ، فقال: «إني لأرى تحريمه في القرآن» ، قال: قلت: فأين؟ ، قال: {والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون} [المؤمنون: ٦]" (٥١٠٧).

القرآن

{فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)} [المؤمنون : ٧]

التفسير:

فمن طلب التمتع بغير زوجته أو أمَتِه فهو من المجاوزين الحلال إلى الحرام، وقد عرَّض نفسه لعقاب الله وسخطه.

قال القاسم:" فمن ابتغى وراء ذلك فهو عاد"(٥١٠٨).

قال أبو عبدالرحمن:" من زنى فهو عاد"(٥١٠٩).

قال قتادة:" من تعدى الحلال أصاب الحرام"(٥١١٠).

القرآن

{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)} [المؤمنون : ٩]

التفسير:

والذين هم يداومون على أداء صلاتهم في أوقاتها على هيئتها المشروعة، الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال مسلم بن صبيح:" أقام الصلاة لوقتها"(٥١١١).

قال مسروق:" على ميقاتها"(٥١١٢).

وروي عن إبراهيم: "{عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، قال: دائمون، قال: يعني بها المكتوبة"(٥١١٣).

قال ابن مسعود :«سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، أيّ العمل أحب إلى الله ؟ قال : "الصلاة على وقتها". قلت : ثم أيّ ؟ قال : "برُّ الوالدين". قلت : ثم أي ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله»(٥١١٤).

القرآن

{أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)} [المؤمنون : ١٠ - ١١]

التفسير:

(٥١٠٧) نظر: عبدالرزاق(١٩٥٧):ص٤١٣/٢.

(٥١٠٨) المصنف لابن أبي شيبة(١٨٤١٦):ص١٢/١٠.

(٥١٠٩) أخرجه الطبري:١١/١٩.

(٥١١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(٥١١١) أخرجه الطبري:١٢/١٩.

(٥١١٢) أخرجه الطبري:١٢/١٩.

(٥١١٣) أخرجه الطبري:١٢/١٩.

(٥١١٤)صحيح البخاري برقم (٥٩٧٠) وصحيح مسلم برقم (٨٥)، ورواه الحاكم في المستدرك (١٨٨/١)، وقال: "فقد صحت هذه اللفظة باتفاق الثقتين بندار بن بشار ، والحسن بن مكرم على روايتهما عن عثمان بن عمرو ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

هؤلاء المؤمنون هم الوارثون الجنة، الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً، هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ} [المؤمنون : ١١]، أي:" الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً"[٥١١٥].

وفي تفسير:«الْفِرْدَوْس»، أقوال:

أحدها : أن «الفردوس»: أفضل الجنة وأوسطها، قاله قتادة[٥١١٦].

قال قتادة:" الفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها"[٥١١٧].

الثاني : أن «الفردوس»: ربوة الجنة العليا التي هي أوسطها وأحسنها. رواه سمرة بن جندب مرفوعا[٥١١٨].

عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة، والفردوس من فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس"[٥١١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن"[٥١٢٠].

عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنه، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس"[٥١٢١].

وقال كعب:" ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، وفيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر"[٥١٢٢].

الثالث : أنه «البستان» باللغة الرومية ، قاله مجاهد[٥١٢٣].

الرابع : أنه «البستان» الذي فيه الأعناب ، قاله كعب[٥١٢٤].

وقال بعض السلف : لا يسمى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب ، فالله أعلم[٥١٢٥].

قوله تعالى:{هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون : ١١]، أي:" هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول"[٥١٢٦].

قال سعيد بن جبير: "يعني: لا يموتون"[٥١٢٧].

قال مقاتل:" يعنى: في الجنة لا يموتون"[٥١٢٨].

القرآن

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢)} [المؤمنون : ١٢]

التفسير:

ولقد خلقنا آدم من طين مأخوذ من جميع الأرض.

في تفسير الآيةK قولان:

(٥١١٥) التفسير الميسر:٣٤٢.

(٥١١٦) انظر: تفسير الطبري:١٣٠/١٨.

(٥١١٧) أخرجه الطبري:١٣٠/١٨.

(٥١١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٦):ص٢٣٩٣/٧.

(٥١١٩) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.

(٥١٢٠)البخاري في صحيحه برقم (٢٧٩٠) ، (٧٤٢٣).

(٥١٢١) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.

(٥١٢٢) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.

(٥١٢٣) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.

(٥١٢٤) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.

(٥١٢٥) تفسير ابن كثير:٤٦٥/٥.

(٥١٢٦) التفسير الميسر:٣٤٢.

(٥١٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٥١٢٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.

أحدهما : آدم استل من طين، وهذا قول قتادة[٥١٢٩].
قال قتادة:" استلّ آدم من طين، وخُلقت ذرّيته من ماء مهين"[٥١٣٠].
الثاني : أن المعني به: كل إنسان، لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة من طين ، قاله مجاهد[٥١٣١].
عن ابن عباس: "{مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ}، قال: صفوة الماء"[٥١٣٢].
قال مجاهد:" من منيّ آدم"[٥١٣٣].
وقال عكرمة: "هو الماء يسل من الظهر سلا"[٥١٣٤].
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خُلق منه، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين؛ والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته. لأنهما مسلولان منه، ومن السُّلالة قول بعضهم[٥١٣٥]:
حَمَلَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنفرًا ... سُلالَةَ فَرجٍ كان غيرَ حَصِينِ
وقول الآخر[٥١٣٦]:
وَهَلْ كُنْتُ إلا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً ... سُلالَةَ أفْراسٍ تجَلّلها بَغْلُ
فمن قال: سلالة جمعها سلالات، وربما جمعوها سلائل، وليس بالكثير. لأن السلائل جمع للسليل، ومنه قول بعضهم[٥١٣٧]:
إذا أُنْتِجَتْ مِنْها المَهارَى تَشابَهَتْ ... عَلى القَوْد إلا بالأنُوفِ سَلائلُه
وقول الراجز[٥١٣٨]:
يَقْذِفْنَ فِي أسْلابها بالسَّلائِل"[٥١٣٩].

القرآن
{ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣)} [المؤمنون : ١٣]
التفسير:
ثم خلقنا بنيه متناسلين مِن نطفة: هي مني الرجال تخرج من أصلابهم، فتستقر متمكنة في أرحام النساء.

(٥١٢٩) انظر: تفسير الطبري:١٤/١٩.
(٥١٣٠) أخرجه الطبري:١٤/١٩.
(٥١٣١) انظر: تفسير الطبري:١٤/١٩-١٥.
(٥١٣٢) أخرجه الطبري:١٤/١٩.
(٥١٣٣) أخرجه الطبري:١٤/١٩-١٥.
(٥١٣٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٨٥/٣.
(٥١٣٥)البيت لحسان بن ثابت (اللسان: سلل).
(٥١٣٦)البيت لهند بنت النعمان (اللسان: سلل) . وروايته: "وما هند إلا مهرة"..
(٥١٣٧) البيت من شواهد الطبري في التفسير:١٥/١٩، ولم اقف عليه.
(٥١٣٨)كذا ورد هذا الشطر في الأصول محرفًا وحسبه المؤلف من الرجز، ويلوح لي أن هذا جزء من بيت للنابغة الذبياني نسخه بعض النساخ في بعض الكتب، ولم يفطن له المؤلف. وبيت النابغة من البحر الطويل، وهو من قصيدة له يصف الخيل في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغساني ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، قال فيها: وَقَدْ خِفْتُ حتى مَا تَزيدُ مَخَافَتِي ... عَلى وَعِلٍ فِي ذِي المَطَارَةِ عَاقِلِ
مَخَافَةَ عَمْرٍو أنْ تَكُونَ حِيَادُهُ ... يُقَدْنَ إلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَنَاعِلِ
إذا اسْتَعْجَلُوهَا عَنْ سَجِيَّةِ مَشْيِهَا ... تَتَلَّعُ فِي أعْنَاقِهَا بالجَحَافِلِ
وَيَقْذِفْنَ بالأوْلادِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... تَشَحَّطُ فِي أسْلابِهَا كَالْوَصَائِلِ
وهذا البيت الأخير هو محل الشاهد في بحثنا وليس فيه شاهد للمؤلف على السلائل جمع السلالة، لأنها لم تذكر في البيت ولا في القصيدة كلها. وأصل تشحط: تتشحط، أي تضطرب يريد أولاد الخيل. والسلى: الجلدة التي يكون فيها الولد من الإنسان أو الحيوان إذا ولد. الوصائل الثياب الحمر المخططة. والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم، وانظر البيت في (اللسان: شحط) وفي المخصص. لابن سيده (١: ١٧) ومختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا (طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٢١١).
(٥١٣٩) تفسير الطبري:١٥/١٩-١٦.

قال مجاهد:" "يعني: في الرحم"[٥١٤٠].

القرآن

{ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)} [المؤمنون : ١٤]

التفسير:

ثم خلقنا النطفة علقة أي: دمًا أحمر، فخلقنا العلقة بعد أربعين يومًا مضغة أي: قطعة لحم قَدْر ما يُمْضغ، فخلقنا المضغة اللينة عظامًا، فكسونا العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقًا آخر بنفخ الروح فيه، فتبارك الله، الذي أحسن كل شيء خلقه.

قوله تعالى:{ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً} [المؤمنون : ١٤]، أي:" ثم صيَّرنا هذه النطفة - وهي الماء الدافق - دماً جامداً يشبه العلقة، فجعلنا ذلك الدم الجامد قطعة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط"[٥١٤١].

قال عكرمة:" العلقة: الدم، والمضغة: اللحم"[٥١٤٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون : ١٤]، أي:" ثم بعد تلك الأطوار نفخنا فيه الروح فصيرناه خلقاً آخر في أحسن تقويم"[٥١٤٣].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون : ١٤]، وجوه:

أحدها : يعني: بنفخ الروح فيه ، وهذا قول الحسن[٥١٤٤]، والشعبي[٥١٤٥]، ومجاهد[٥١٤٦]، وعكرمة[٥١٤٧]، والضحاك[٥١٤٨]، وأبي العالية[٥١٤٩].

الثاني : بنبات الشعر، قاله قتادة[٥١٥٠].

قال قتادة:" أنبت عليه الشعر[٥١٥١].

الثالث : بسنه وشعره. ذكره الضحاك[٥١٥٢].

الرابع: أنه ذكر وأنثى ، رواه عمرو عن الحسن[٥١٥٣].

الخامس : حين استوى به شبابه ، وهذا قول مجاهد[٥١٥٤].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه[٥١٥٥].

(٥١٤٠) تفسير مجاهد: ٦٩١، وتفسير الطبري: ١٣٢/٢٤.
(٥١٤١) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٥١٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٨٣):ص٢٤٧٥/٨.
(٥١٤٣) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٥١٤٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٩٥/١.
(٥١٤٥) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(٥١٤٦) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(٥١٤٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(٥١٤٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(٥١٤٩) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(٥١٥٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩، وتفسير يحيى بن سلام:٣٩٤/١.
(٥١٥١) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩، وتفسير يحيى بن سلام:٣٩٤/١.
(٥١٥٢) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩.
(٥١٥٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٩٥/١، والنكت والعيون:٤٨/٤.
(٥١٥٤) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩.
(٥١٥٥) تفسير الطبري:١٨/١٩.

قوله تعالى:{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون : ١٤]، أي:" فتعالى الله في قدرته وحكمته أحسن الصانعين صنعاً"[٥١٥٦].

وفي قوله تعالى:{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون : ١٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين. وهذا قول مجاهد[٥١٥٧].

قال مجاهد:" يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين"[٥١٥٨].

الثاني: إنه إخبار من الله تعالى بأنه يخلق أحسن مما كان يخلق عيسى ابن مريم. وهذا قول ابن جريج[٥١٥٩].

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقا، ومنه قول زهير[٥١٦٠]:

ولأنت تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري"[٥١٦١].

عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: "وافقت ربى فى أربع: قلت: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله : {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة : ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله لو ضربت على نسائك الحجاب فإنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب : ٥٣]، ونزلت هذه الآية: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} [المؤمنون : ١٢] - إلى قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون : ١٤]، فلما نزلت قلت أنا: تبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون : ١٤]، ودخلت على أزواج النبى - صلى الله عليه وسلم - فقلت لهن: لتنتهين أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ} [التحريم : ٥]"[٥١٦٢].

عن زيد بن ثابت الأنصاري قال : "أملى عليَّ رسولُ الله هذه الآية : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ } إلى قوله : { خَلْقًا آخَرَ } ، فقال معاذ : { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له معاذ : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : "بها ختمت { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }"[٥١٦٣].

القرآن

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)} [المؤمنون : ١٧]

التفسير:

ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض، وما كنا عن الخلق غافلين، فلا نُغْفِلُ مخلوقًا، ولا ننساه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ} [المؤمنون : ١٧]، أي:" ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض"[٥١٦٤].

قال مجاهد: يعني: «سبع سموات»[٥١٦٥].

القرآن

{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨)} [المؤمنون : ١٨]

(٥١٥٦) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.

(٥١٥٧) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٩.

(٥١٥٨) أخرجه الطبري:١٩/١٩.

(٥١٥٩) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٩.

(٥١٦٠)البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح رجلا (اللسان: خلق).

(٥١٦١) .تفسيرالطبري:١٩/١٩

(٥١٦٢)أخرجه الطيالسى (ص ٩، رقم ٤١) ، وابن عساكر :١١٣/٤٤.

(٥١٦٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣٦٧) "مجمع البحرين" عن أبي زرعة عن آدم بن إياس به وجابر الجعفي ضعيف.

قال ابن كثير:" جابر بن يزيد الجُعْفِي ضعيف جدًّا ، وفي خبره هذا نَكَارة شَديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة ، وكذلك (٢) إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضًا ، فالله أعلم". تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥

(٥١٦٤) التفسير الميسر:٣٤٢.

(٥١٦٥) تفسير مجاهد: ٤٨٥.

التفسير:
وأنزلنا من السماء ماء بقدر حاجة الخلائق، وجعلنا الأرض مستقرًا لهذا الماء، وإنا على ذهاب بالماء المستقر لقادرون.

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ} [المؤمنون : ١٨]، أي:" وأنزلنا من السماء ماء بقدر حاجة الخلائق"[٥١٦٦].

قال ابن جريج:" ماء هو من السماء"[٥١٦٧].

القرآن

{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢٠)} [المؤمنون : ٢٠]

التفسير:

وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل طور «سيناء» ، يعصر منها الزيت، فيدَّهن ويؤتدم به.

قوله تعالى:{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ} [المؤمنون : ٢٠]، أي:" وممَّا أنشأنا لكم بالماء أيضاً شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل الطور"[٥١٦٨].

وفي:«طور سيناء» وجوه من التفسير:

أحدها : أنه سيناء البركة، فكأنه قال: جبل البركة ، قاله مجاهد[٥١٦٩].

الثاني : أنه الحسن المنظر ، قاله قتادة [٥١٧٠]، والضحاك[٥١٧١].

قال الضحاك:" الطور: الجبل بالنبطية، وسيناء، حسنة بالنبطية"[٥١٧٢].

الثالث : أنه الكثير الشجر ، حكاه معمر[٥١٧٣].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منونا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الحبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك[٥١٧٤].

قوله تعالى:{تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} [المؤمنون : ٢٠]، أي:" يعصر منها الزيت وإدام للآكلين"[٥١٧٥].

عن مجاهد: "{تنبت بالدهن}، قال: بثمره"[٥١٧٦]. وفي رواية:" تثمر به"[٥١٧٧].

عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله: «الزيت شجرة مباركة فائتدموا به وادهنوا»[٥١٧٨].

عن عمر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ائتدموا بالزيت وادهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة"[٥١٧٩].

(٥١٦٦) التفسيرالميسر:٣٤٣.
(٥١٦٧) أخرجه الطبري:٢٠/١٩.
(٥١٦٨) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٥١٦٩) انظر: تفسير الطبري:٢١/١٩.
(٥١٧٠) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٥١٧١) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٥١٧٢) أخرجه الطبري:٢٢/١٩.
(٥١٧٣) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٥١٧٤) تفسيرا لطبري:٢٢/١٩.
(٥١٧٥) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٥١٧٦) أخرجه الطبري:٢٤/١٩.
(٥١٧٧) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٩٧/١.
(٥١٧٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٩٧/١.
(٥١٧٩)المنتخب لعبد بن حميد برقم (١٣) وسنن الترمذي برقم (١٨٥١) وسنن ابن ماجه برقم (٣٣١٩).

عن الصَّعْب بن حكيم بن شريك بن نملة ، عن أبيه عن جده ، قال : ضِفْت عمرَ بن الخطاب ليلة عاشوراء، فأطعمني من رأس بعير بارد ، وأطعمنا زيتًا، وقال : هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم"[٥١٨٠].

القرآن

{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١)} [المؤمنون : ٢١]

التفسير:

وإن لكم -أيها الناس- في الإبل والبقر والغنم لعبرة تعتبرون بخلقها، نسقيكم مما في بطونها من اللبن، ولكم فيها منافع أخرى كثيرة كالصوف والجلود، ونحوهما، ومنها تأكلون.

عن ابن سيرين :"إن ابن عباس شرب لبنا، فقال له مطرف: هل تمضمضت؟ فقال ما أباليه بالة، اسمح يسمح لك. فقال قائل: إنه يخرج من بين فرث ودم. فقال ابن عباس: قد قال الله: {لبنا خالصا سائغا للشاربين}"[٥١٨١].

القرآن

{وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)} [المؤمنون : ٢٢]

التفسير:

وعلى الإبل والسفن في البر والبحر تُحْمَلون.

قال عطاء الخراساني:" «الفلك»: السفن"[٥١٨٢].

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)} [المؤمنون : ٢٣]

التفسير:

ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، بدعوة التوحيد فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، أفلا تخشون عذابه؟

قال ابن جريج: "كان بين آدم ونوح، عشرة أنبياء فبعث الله النبيين، ونشر من آدم الناس فبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين"[٥١٨٣].

قال قتادة:" كانوا على شريعة من الحق كلهم"[٥١٨٤].

قال قتادة:" فكان أول نبي بعث نوح صلى الله عليه وسلم"[٥١٨٥].

القرآن

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥)} [المؤمنون : ٢٤ - ٢٥]

التفسير:

فكذَّبه أشراف قومه، وقالوا لعامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميَّز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلا عليكم، ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولا لأرسله من الملائكة، ما سمعنا بمثل هذا فيمَن سبقنا من آباء

(٥١٨٠)المعجم الكبير (٧٤/١) والصعب بن حكيم لا يعرف كما قال الذهبي.

(٥١٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٥٨):ص٢٢٨٨/٧.

(٥١٨٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٣٩):ص٢٣٣٨/٧.

(٥١٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٨٦):ص٣٧٦/٢.

(٥١٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٨٧):ص٣٧٦/٢.

(٥١٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٨٥):ص٣٧٦/٢.

وأجداد. وما نوح إلا رجل به مَسٌّ من الجنون، فانتظروا حتى يُفيق، فيترك دعوته، أو يموت، فتستريحوا منه.

قوله تعالى:{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [المؤمنون : ٢٤]، أي:" فقال أشراف قومه ورؤساؤهم الممعنون في الكفر والضلال لعامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميَّز عنكم بشيء"(٥١٨٦).

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"(٥١٨٧).

القرآن

{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧)} [المؤمنون : ٢٧]

التفسير:

فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق، وبدأ الطوفان، فنبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يخبز فيه- علامة على مجيء العذاب، فأدخِلْ في السفينة من كل الأحياء ذكرًا وأنثى; ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلا مَن استحق العذاب لكفره كزوجتك وابنك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة.

قوله تعالى:{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا"(٥١٨٨).

عن قتادة:"{بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}، قال: بعين الله تعالى ووحيه"(٥١٨٩).

عن زيد بن أسلم :"أن نوحا عليه السلام مكث يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ثم مائة يعملها"(٥١٩٠).

عن كعب الأحبار :"أنه قال لما استنفذ الله من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين والكافرين أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فاصنع الفلك، قال: يا رب ما أنا بنجار، قال: بلى فإن ذلك بعيني خذ القادوم فجعلت يده لا تخطئ فجعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجارا فعملها أربعين سنة ونبع الماء بقوة من التنور "(٥١٩١).

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق"(٥١٩٢).

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير :"كانت علامة بينه وبين ربه إذا رأيت التنور يفور بالماء فـ {احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}"(٥١٩٣).

قال الضحاك:" كان آية لنوح، إذا خرج منه الماء فقد أتى الناس الهلاك والغرق"(٥١٩٤).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَفَارَ التَّنُّورُ} [المؤمنون : ٢٧]، وجوه:

أحدها : أن المراد: وجه الأرض، قاله عكرمة(٥١٩٥).

الثاني : أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة ، قاله محمد بن علي(٥١٩٦)، وحذيفة(٥١٩٧)، والشعبي(٥١٩٨)، ومجاهد(٥١٩٩).

(٥١٨٦) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٥١٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.
(٥١٨٨) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٥١٨٩) أخرجه عبدالرزاق(١١٩٩):ص١٨٦/٢.
(٥١٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٦):ص٢٠٢٦/٦.
(٥١٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٧):ص٢٠٢٦/٦.
(٥١٩٢) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٥١٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥٣):ص٢٠٢٨/٦.
(٥١٩٤) اخرجه الطبري(١٨١٦٣):ص٣٢١/١٥.
(٥١٩٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم٢٠٢٩/٦. قال ابن أبي حاتم:" وروي، عن عكرمة، أنه قال وجه الأرض".
(٥١٩٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٦):ص٢٠٢٨/٦.
(٥١٩٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٥١٩٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٥١٩٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

وعن الشعبي: "أنه كان يحلف بالله، ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة"[٥٢٠٠].
الثالث : أن «التنور» ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها ، قاله قتادة[٥٢٠١].
الرابع: أنه التنور الذي يخبز فيه، قيل له : إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك ، قاله مجاهد[٥٢٠٢].

قال الحسن:" كان تنورا من حجارة كان لحواء حتى صار إلى نوح. قال: فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك"[٥٢٠٣].

قال عطاء:" بلغني أن نوحا عليه السلام قال لجاريته: إذا فار تنورك ماء فأخبريني قال عطاء: بلغني أنها لما فرغت من آخر خبزها فار التنور فذهبت إلى سيدها فأخبرته فركب هو ومن معه في أعلى السفينة وفتح الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونا"[٥٢٠٤].

السادس : أن التنور هو تنوير الصبح، من قولهم : نور الصبح تنويراً ، وهو مروي عن علي -رضي الله عنه-[٥٢٠٥].

والراجح قول من قال: «هو التنور الذي يخبز فيه»، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به[٥٢٠٦]، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف[٥٢٠٧].

قوله تعالى:{فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" فأدخِلْ في السفينة من كل الأحياء ذكرًا وأنثى; ليبقى النسل"[٥٢٠٨].

قال مجاهد:" ذكر وأنثى من كل صنف"[٥٢٠٩].

قال الحسن: "لم يحمل نوح عليه السَّلام في السفينة إلا من يلد ويبيض، وأما ما يتولد من الطير من حشرات الأرض والبعوض والبق فلم يحمل فيها شيئًا [٥٢١٠].

قال مبارك: "سمعت بكرا يقول: لما حمل نوح الأسد في السفينة اشتهى اللحم فزاد مخافة أهل السفينة، فشكوا ذلك إلى نوح، فدعا عليه فألقيت عليه الحمى فمر به نوح"[٥٢١١].

قال مسلم بن يسار: "أمر نوح عليه السلام أن يحمل معه من كل زوجين اثنين وملك معه، فجعل يقبض زوجا زوجا وبقي العنب، فجاء إبليس فقال: هذا كله لي، فنظر نوح إلى الملك، فقال: إنه شريكك فأحسن شركته، فقال: لي النصف وله النصف، قال إبليس: هذا كله لي، فنظر إلى الملك، فقال: إنه شريكك فأحسن شركته، قال: نعم، لي الثلث وله الثلثان، قال أخفت وأنت بحساب أنك تأكله عنبا وتأكله ذبيبا وتشربه عصيرا ثلاثة أيام، قال: مسلم: فكانوا يرون أنه إذا شربه كذلك فليس للشيطان فيه نصيب"[٥٢١٢].

قوله تعالى:{وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة"[٥٢١٣].

(٥٢٠٠) اخرجه الطبري(١٨١٦١):ص٣٢١/١٥.
(٥٢٠١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٦٠):ص٢٠٢٩/٦.
(٥٢٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٨١٥٦)-(١٨١٦٠):ص٣٢٠/١٥، وحكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٣٤٨/٣.
(٥٢٠٣) أخرجه الطبري(١٨١٥٥):٣٢٠/١٥.
(٥٢٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٣):ص٢٠٢٩/٦.
(٥٢٠٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٧):ص٢٠٢٨/٦، والتفسير من سنن سعيد بن منصور(١٠٨٨):ص٣٤٥/٥.[سنده ضعيف]
(٥٢٠٦) تفسير الطبري:٣٢١/١٥.
(٥٢٠٧) تفسير ابن كثير:٢٧٨/٤.
(٥٢٠٨) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٥٢٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٧):ص٢٠٣٠/٦.
(٥٢١٠) تفسير الثعلبي: ٤٨٧/١٨-٤٨٨.
(٥٢١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٠):ص٢٠٣٠/٦.
(٥٢١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٨):ص٢٠٣٠/٦.
(٥٢١٣) التفسير الميسر:٣٤٣.

قال ابن إسحاق:" فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل واستنصر عليهم أوحى الله إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا {ولا تخاطبني في الذين ظلموا}، أي: بعد اليوم، {إنهم مغرقون}"[٥٢١٤].
قال قتادة:" نهى الله عز وجل نوحا عليه السلام أن يراجعه في أحد"[٥٢١٥].

القرآن
{فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨)} [المؤمنون : ٢٨]
التفسير:
فإذا علوت السفينة مستقرًا عليها أنت ومن معك آمنين من الغرق، فقل: الحمد لله الذي نجَّانا من القوم الكافرين.
قوله تعالى:{فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون : ٢٨]، أي:" فقل: الحمد لله الذي نجَّانا من القوم الكافرين"[٥٢١٦].
قال كعب:" «الحمد لله»: ثناء على الله"[٥٢١٧].
قال الضحاك:" «الحمد لله»: رداء الرحمن"[٥٢١٨].

القرآن
{وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩)} [المؤمنون : ٢٩]
التفسير:
وقل: رب يسِّر لي النزول المبارك الآمن، وأنت خير المنزلين.
قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا} [المؤمنون : ٢٩]، أي:" أنزلني إنزالاً مباركاً يحفظني من كل سوء"[٥٢١٩].
قال مجاهد:" يقول الرب عز وجل لنوح عليه السلام حين نزل من السفينة"[٥٢٢٠].
قوله تعالى:{وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [المؤمنون : ٢٩]، أي:" وأنت يا رب خير المنزلين لأوليائك والحافظين لعبادك"[٥٢٢١].
قال قتادة:" هبط إلى الأرض يوم عاشوراء وصام نوح ومن معه من المغرب إلى المغرب"[٥٢٢٢].
وفي بعض أخبار النبي: «من نزل منزلا فقال: رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، كان ضمانا على الله أن يحفظه من كل شيء يهوله، وإن توفي في ذلك المنزل دخل الجنة»[٥٢٢٣].

القرآن
{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)} [المؤمنون : ٣٠]
التفسير:
إن في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله، وإن كنا لمختبرين الأمم بإرسال الرسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم.

(٥٢١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٤):ص٢٠٢٦/٦.
(٥٢١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٥):ص٢٠٢٦/٦.
(٥٢١٦) التفسيرالميسر:٣٤٤.
(٥٢١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٤):ص١٤٧٩/٥.
(٥٢١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٥):ص١٤٧٩/٥.
(٥٢١٩) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(٥٢٢٠) تفسير مجاهد:٤٨٥.
(٥٢٢١) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(٥٢٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٣):ص٢٠٤٠/٦.
(٥٢٢٣) ذكره ابن فارس، نقلا عن تفسير السمعاني:٤٧٢/٣.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} [المؤمنون : ٣٠]، أي:" إن في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله"[٥٢٢٤].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"[٥٢٢٥].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"[٥٢٢٦].

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ} [المؤمنون : ٣٠]، أي:" وإن كنا لمختبرين الأمم بإرسال الرسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم"[٥٢٢٧].

ذكر يحيى عن الحسن، قوله :"{لَمُبْتَلِينَ}" بالدين، يعني: ما أرسل به الرسل من عبادته"[٥٢٢٨].

القرآن

{ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١)} [المؤمنون : ٣١]

التفسير:

ثم أنشأنا من بعد قوم نوح جيلا آخر هم قوم عاد.

قال أبو مالك:" القرن: أمد"[٥٢٢٩]

قال قتادة: "القرن سبعون سنة"[٥٢٣٠].

القرآن

{فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢)} [المؤمنون : ٣٢]

التفسير:

فأرسلنا فيهم رسولا منهم هو هود عليه السلام، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره؟

قوله تعالى:{أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٣٢]، أي:" أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره؟"[٥٢٣١].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٥٢٣٢].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٥٢٣٣].

القرآن

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)} [المؤمنون : ٣٣]

التفسير:

وقال الأشراف والوجهاء من قومه الذين كفروا بالله، وأنكروا الحياة الآخرة، وأطغاهم ما أُنعم به عليهم في الدنيا من ترف العيش: ما هذا الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر مثلكم يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [المؤمنون : ٣٣]، أي:" وقال الأشراف والوجهاء من قومه الذين كفروا بالله، وأنكروا الحياة الآخرة"[٥٢٣٤].

(٥٢٢٤) التفسير الميسر:٣٤٤.

(٥٢٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.

(٥٢٢٦) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.

(٥٢٢٧) التفسير الميسر:٣٤٤.

(٥٢٢٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٠/١.

(٥٢٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٠٩):ص١٢٦٣/٤.

(٥٢٣٠) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٤٨٢/١.

(٥٢٣١) التفسير الميسر:٣٤٤.

(٥٢٣٢) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٥٢٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٥٢٣٤) التفسير الميسر:٣٤٤.

قال أبو مالك:" الملأ يعني الأشراف من قومه وأطغاهم ما أُنعم به عليهم في الدنيا من ترف العيش"[٥٢٣٥].

القرآن

{أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦)} [المؤمنون : ٣٥ - ٣٦]

التفسير:

كيف تُصَدِّقون ما يَعِدُكم به من أنكم إذا متُّم، وصرتم ترابًا وعظامًا مفتتة، تُخْرَجون من قبوركم أحياء؟ بعيد حقًا ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخْرَجون أحياء من قبوركم.

عن قتادة: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ}"، يعني: البعث"[٥٢٣٦].

قال قتادة:" تباعد البعث في أنفس القوم، أي: لا يبعثون"[٥٢٣٧].

القرآن

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)} [المؤمنون : ٤١]

التفسير:

ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكهم الله بها، فماتوا جميعًا، وأصبحوا كغثاء السيل الذي يطفو على الماء، فهلاكًا لهؤلاء الظالمين وبُعْدًا لهم من رحمة الله، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل بهم ما حل بسابقيهم.

قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ} [المؤمنون : ٤١]، أي:" فأخذتهم صيحة العذاب المدمر عدلاً من الله لا ظلماً"[٥٢٣٨].

قال الحسن:" الصيحة: العذاب"[٥٢٣٩].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً} [المؤمنون : ٤١]، أي:" وأصبحوا كغثاء السيل الذي يطفو على الماء"[٥٢٤٠].

قال قتادة: "هو الشيء البالي"[٥٢٤١].

قال مجاهد:" كالرميم الهامد، الذي يحتمل السيل"[٥٢٤٢].

قوله تعالى:{فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون : ٤١]، أي:" فهلاكًا لهؤلاء الظالمين وبُعْدًا لهم من رحمة الله"[٥٢٤٣].

قال مجاهد:" أولئك ثمود"[٥٢٤٤].

القرآن

{ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)} [المؤمنون : ٤٢]

التفسير:

ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أممًا وخلائق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٥٢٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.

(٥٢٣٦) أخرجه الطبري:٣٠/١٩.

(٥٢٣٧) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٠/١.

(٥٢٣٨) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.

(٥٢٣٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠١/١.

(٥٢٤٠) التفسير الميسر:٣٤٤.

(٥٢٤١) أخرجه الطبري:٣٣/١٩.

(٥٢٤٢) أخرجه الطبري:٣٣/١٩.

(٥٢٤٣) التفسير الميسر:٣٤٤.

(٥٢٤٤) أخرجه الطبري:٣٣/١٩.

قال أبو مالك:" القرن: أمد"[٥٢٤٥].
قال قتادة: "القرن سبعون سنة"[٥٢٤٦].

القرآن
{مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣)} [المؤمنون : ٤٣]
التفسير:
ما تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لهلاكها، ولا تتأخر عنه.
قال مجاهد:" لا مستأجر بعده"[٥٢٤٧].

القرآن
{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤)} [المؤمنون : ٤٤]
التفسير:
ثم أرسلنا رسلنا إلى تلك الأمم يتبع بعضهم بعضًا، كلما دعا رسول أمته كذبوه، فأتبعنا بعضهم بعضًا بالهلاك والدمار، ولم يَبْقَ إلا أخبار هلاكهم، وجعلناها أحاديث لمن بعدهم، يتخذونها عبرة، فهلاكًا وسُحْقًا لقوم لا يصدقون الرسل ولا يطيعونهم.
قوله تعالى:{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى} [المؤمنون : ٤٤]، أي:" ثم أرسلنا رسلنا إلى تلك الأمم يتبع بعضهم بعضًا"[٥٢٤٨].
عن مجاهد :"{تترى}، قال: اتباع بعضها بعضا"[٥٢٤٩].

القرآن
{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)} [المؤمنون : ٤٥ - ٤٦]
التفسير:
ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع وهي: العصا واليد والجراد والقُمَّل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص من الثمرات، حجة بيِّنة تقهر القلوب فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة على المعاندين، أرسلناهما إلى فرعون حاكم «مصر» وأشراف قومه، فاستكبروا عن الإيمان بموسى وأخيه، وكانوا قومًا متطاولين على الناس قاهرين لهم بالظلم.
قوله تعالى:{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [المؤمنون : ٤٥]، أي:" ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بحججنا وحجة واضحة ملزمة للخصم"[٥٢٥٠].
عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[٥٢٥١].
قال مجاهد:" «السلطان المبين»، البرهان والبينة، وقوله: {مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا} [سورة آل عمران: ١٥١ / سورة الأعراف: ٧ / سورة الحج: ٧١] ، قال: بينَةً وبرهانًا"[٥٢٥٢].
قوله تعالى:{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [المؤمنون : ٤٦]، أي:" أرسلناهما إلى فرعون الطاغية وأشراف قومه المتكبرين"[٥٢٥٣].

(٥٢٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٠٩):ص١٢٦٣/٤.
(٥٢٤٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٤٨٢/١.
(٥٢٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٣٣):ص٢٢٥٧/٧-٢٢٥٨.
(٥٢٤٨) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٢٤٩) اخرجه الطبري:٣٤/١٩.
(٥٢٥٠) انظر: تفسير الطبري:٣٥/١٩، والتفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٢٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.
(٥٢٥٢) أخرجه الطبري(٢٠٦١٠م):ص٥٣٨/١٦.

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٥٢٥٤].

القرآن

{فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧)} [المؤمنون : ٤٧]

التفسير:

فقالوا: أنصدِّق فَرْدَيْن مثلنا، وقومهما من بني إسرائيل تحت إمرتنا مطيعون متذللون لنا؟

قال الحسن:" كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون وكان فرعون يعبد الأصنام"[٥٢٥٥].

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩)} [المؤمنون : ٤٩]

التفسير:

ولقد آتينا موسى التوراة؛ ليهتدي بها قومه إلى الحق.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} [المؤمنون : ٤٩]، أي:" ولقد آتينا موسى التوراة"[٥٢٥٦].

عن زياد بن أبي مريم، قوله:"{آتينا}، قال: أعطينا"[٥٢٥٧].

(٥٢٥٣) صفوة التفاسير:٢/٢٨٣.

(٥٢٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.

(٥٢٥٥) النكت والعيون: ٤/٥٥٥.

(٥٢٥٦) تفسير الطبري:١٩/٣٦.

(٥٢٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٩):ص١٦٨/١.

القرآن

{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)} [المؤمنون : ٥٠]

التفسير:

وجعلنا عيسى بن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا؛ إذ خلقناه من غير أب، وجعلنا لهما مأوى في مكان مرتفع من الأرض، مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جار ظاهر للعيون.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} [المؤمنون : ٥٠]، أي:" وجعلنا عيسى بن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا؛ إذ خلقناه من غير أب"(٥٢٥٨).

قال قتادة:" ولدته من غير أب هو له"(٥٢٥٩).

قوله تعالى:{وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ} [المؤمنون : ٥٠]، أي:" وجعلنا لهما مأوى في مكان مرتفع من الأرض"(٥٢٦٠).

قال مجاهد:" «الربوة»: المستوية"(٥٢٦١).

وقال مجاهد:" بقعة في مكان مرتفع يقر فيه الماء"(٥٢٦٢).

وفي مكان بـ«الربوة» هنا، أربعة أقوال:

أحدها : دمشق ، قاله الحسن(٥٢٦٣)، وسعيد بن المسيب(٥٢٦٤).

الثاني : مصر ، سعيد بن المسيب أيضا(٥٢٦٥).

الثالث : بيت المقدس . قاله قتادة(٥٢٦٦).

قال قتادة:"كان كعب يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا"(٥٢٦٧).

وأولى هذه الأقوال بتفسير ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء، وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة؛ لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين(٥٢٦٨).

قوله تعالى:{ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} [المؤمنون : ٥٠]، أي:" مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جار ظاهر للعيون"(٥٢٦٩).

وفي قوله تعالى:{ذَاتِ قَرَارٍ} [المؤمنون : ٥٠]، وجوه:

أحدها : ذات استواء ، قاله سعيد بن جبير(٥٢٧٠).

الثاني : ذات ثمار ، قاله قتادة(٥٢٧١).

الثالث : ذات معيشة تقرهم ، قاله الحسن(٥٢٧٢).

وفي قوله تعالى:{وَمَعِينٍ} [المؤمنون : ٥٠]، وجهان:

أحدهما : أنه الماء الجاري ، قاله قتادة(٥٢٧٣).

قال مجاهد:" المعين: الماء"(٥٢٧٤).

(٥٢٥٨) التفسير الميسر:٣٤٥.

(٥٢٥٩) أخرجه الطبري:٣٦/١٩.

(٥٢٦٠) التفسير الميسر:٣٤٥.

(٥٢٦١) أخرجه الطبري:٣٨/١٩.

(٥٢٦٢) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٢/١.

(٥٢٦٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٢/١.

(٥٢٦٤) انظر: تفسير الطبري:٣٧/١٩، وتفسير سفيان الثوري(٦٩٦: ٤: ٧):ص٢١٦، وتفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٠):ص٢٢/١.

(٥٢٦٥) انظر: تفسير الطبري:٣٨/١٩.

(٥٢٦٦) انظر: تفسير الطبري:٣٨/١٩.

(٥٢٦٧) أخرجه الطبري:٣٨/١٩.

(٥٢٦٨) تفسير الطبري:٣٨/١٩.

(٥٢٦٩) التفسير الميسر:٣٤٥.

(٥٢٧٠) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.

(٥٢٧١) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩. قال الطبري:" وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى: {ذات قرار} وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار لما فيها من الثمار، ومن أجل ذلك، يستقر فيها ساكنوها، فلا وجه له نعرفه".

(٥٢٧٢) انظر: النكت والعيون:٥٦/٤.

(٥٢٧٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٣/١.

الثاني : أنه الماء الطاهر ، قاله سعيد بن جبير[٥٢٧٥]، وعكرمة[٥٢٧٦]، والضحاك[٥٢٧٧].ومنه قول جرير[٥٢٧٨]:
إن الذين غروا بلبك غادروا ... وشلاً[٥٢٧٩] بعينك ما يزال معينا
أي: ظاهراً.

القرآن
{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)} [المؤمنون : ٥١]
التفسير:
يا أيها الرسل كلوا من طيب الرزق الحلال، واعملوا الأعمال الصالحة، إني بما تعملون عليم، لا يخفى عليَّ شيء من أعمالكم.
قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون : ٥١]، أي:" يا أيها الرسل كلوا من طيب الرزق الحلال، واعملوا الأعمال الصالحة"[٥٢٨٠].
عن عمرو بن شرحبيل: "{ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا}، قال: كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه"[٥٢٨١].
عن الضحاك، في قوله: {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ}، قال: "أمرهم ألا يأكلوا إلا حلالا طيبا"[٥٢٨٢].
وقال الحسن: أما والله ما عنى به أصفركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حامضكم، ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه"[٥٢٨٣].
وفي الصحيح : "ما من نبي إلا رعى الغنم". قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : "نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" [٥٢٨٤].
وفي الصحيح : "أن داود ، عليه السلام ، كان يأكل من كسب يده[٥٢٨٥].
قال اهل العلم:" الخطاب في الآية عام للرسل -عليهم السلام- وأتباعهم، وفي الآية دليل على أن أكل الحلال عون على العمل الصالح، وأن عاقبة الحرام وخيمة، ومنها رد الدعاء"[٥٢٨٦].

القرآن
{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)} [المؤمنون : ٥٢]
التفسير:
وإنَّ دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد وهو الإسلام، وأنا ربكم فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب زواجري.

(٥٢٧٤) اخرجه الطبري:٣٩/١٩.
(٥٢٧٥) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(٥٢٧٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٢/١.
(٥٢٧٧) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(٥٢٧٨)البيت في ديوانه ط بيروت ص ٤٣٨ من قصيدة يهجو الاخطل،و طبقات فحول الشعراء:٤١١/٢، والرسائل الادبية:١٧٨، وتاريخ بغداد ٧ / ٤٤٤.
ويروى هذا البيت مع بيت آخر للمعلوط السعدي:
غيّضن من عبراتهنّ وقلن لى ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا
قال في الأغاني:٦٥/١٥-٦٦:" البيتان للمعلوط وأن جريرا سرقهما منه وأدخلهما فى شعره».
قال الشريف: «وتروى هذه الأبيات للمعلوط السعدى».
والبيت الثانى فى ثلاثة أبيات للمعلوط بن بدل السعدى فى حماسة أبى تمام ٣١٨/٣- ٣١٩.
(٥٢٧٩)الوشل، يفتح الشين، من الدمع يكون القليل والكثير. والبيت فى اللسان ١٤: ٢٥١ والأغانى ٧: ٥٩ ولفظه عندهما «ما يزال» كما هنا. وفى س ف «لا يزال» وهى توافق روايات الأغانى.
(٥٢٨٠) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٢٨١) اخرجه الطبري:٤٠/١٩.
(٥٢٨٢) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٩١/٣.
(٥٢٨٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٩١/٣.
(٥٢٨٤)صحيح البخاري برقم (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥٢٨٥)صحيح البخاري برقم (٢٠٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥٢٨٦) التفسير الميسر:٣٤٥.

قوله تعالى:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [المؤمنون : ٥٢]، أي:" وإنَّ دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد وهو الإسلام"[٥٢٨٧].

عن ابن جريج، قوله: "{وإن هذه أمتكم أمة واحدة}، قال: الملة والدين"[٥٢٨٨].

قوله تعالى:{وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون : ٥٢]، أي:" وأنا ربكم فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب زواجري"[٥٢٨٩].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٥٢٩٠].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٥٢٩١].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٥٢٩٢].

القرآن

{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)} [المؤمنون : ٥٣]

التفسير:

فتفرَّق الأتباع في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أديانًا بعدما أُمروا بالاجتماع، كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل.

قوله تعالى:{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا} [المؤمنون : ٥٣]، أي:" فتفرَّق الأتباع في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أديانًا بعدما أُمروا بالاجتماع"[٥٢٩٣].

عن قتادة :"{زبرا}، قال: كتبا"[٥٢٩٤].

عن مجاهد: "{بينهم زبرا}، قال: كتب الله فرقوها قطعا"[٥٢٩٥]، وفي رواية:" كتب الله فرقوها قطعا"[٥٢٩٦].

قوله تعالى:{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون : ٥٣]، أي:" كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل"[٥٢٩٧].

عن مجاهد: "{كل حزب}، قطعة أهل الكتاب"[٥٢٩٨].

قال مجاهد:" هؤلاء هم أهل الكتاب"[٥٢٩٩].

قال أهل العلم:" وفي هذا تحذير من التحزب والتفرق في الدين"[٥٣٠٠].

القرآن

{فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤)} [المؤمنون : ٥٤]

التفسير:

فاتركهم - أيها الرسول - في ضلالتهم وجهلهم بالحق إلى أن ينزل العذاب بهم.

عن مجاهد: "{فذرهم في غمرتهم حتى حين}، قال: في ضلالهم"[٥٣٠١].

(٥٢٨٧) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٢٨٨) اخرجه الطبري:٤١/١٩.
(٥٢٨٩) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٢٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.
(٥٢٩١) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.
(٥٢٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.
(٥٢٩٣) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٢٩٤) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(٥٢٩٥) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(٥٢٩٦) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(٥٢٩٧) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٢٩٨) أخرجه الطبري:٤٣/١٩.
(٥٢٩٩) أخرجه الطبري:٤٣/١٩.
(٥٣٠٠) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٥٣٠١)أخرجه الطبري:٤٣/١٩ .

القرآن

{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)} [المؤمنون : ٥٥ ـ ٥٦]

التفسير:

أيظن هؤلاء الكفار أن ما نمدُّهم به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيلُ خيرٍ لهم يستحقونه؟ إنما نعجل لهم الخير فتنة لهم واستدراجًا، ولكنهم لا يُحِسُّون بذلك.

قوله تعالى:{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ} [المؤمنون : ٥٥-٥٦]، أي:" أيظن هؤلاء الكفار أن ما نمدُّهم به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيلُ خيرٍ لهم يستحقونه؟"(٥٣٠٢).

عن مجاهد، قوله :"{أنما نمدهم}، قال: نعطيهم، {نسارع لهم}، قال: نزيدهم في الخير، نملي لهم، قال: هذا لقريش"(٥٣٠٣).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧)} [المؤمنون : ٥٧]

التفسير:

إنَّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون وَجِلون مما خوَّفهم الله تعالى به.

قال قتادة:" ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون"(٥٣٠٤).

القرآن

{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)} [المؤمنون : ٦٠]

التفسير:

والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألا تُقبل أعمالهم، وألا تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب.

قال عكرمة:"يعطون ما أعطوا. {وقلوبهم وجلة}، يقول: خائفة"(٥٣٠٥).

عن الضحاك :"{يؤتون ما آتوا}، ينفقون ما أنفقوا"(٥٣٠٦).

قال سعيد بن جبير:" يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت، وهي من المبشرات"(٥٣٠٧).

قال قتادة:" يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير، وقلوبهم وجلة خائفة"(٥٣٠٨).

عن مجاهد: "{وقلوبهم وجلة}، قال: المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل"(٥٣٠٩).

قال مجاهد:" يعملون ما عملوا من الخير وهم يخافون ألا يقبل منهم"(٥٣١٠).

قال الحسن:" كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم"(٥٣١١).

(٥٣٠٢) التفسير الميسر:٣٤٥.

(٥٣٠٣) أخرجه الطبري:٤٤/١٩.

(٥٣٠٤) تفسير عبدالرزاق(١٩٧٨):ص٤١٨/٢.

(٥٣٠٥) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.

(٥٣٠٦) أخرجه الطبري:٤٦/١٩.

(٥٣٠٧) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.

(٥٣٠٨) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.

(٥٣٠٩) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.

(٥٣١٠) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٦/١.

(٥٣١١) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٦/١، والطبري:٤٥/١٩.

قال الحسن: "إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا، ثم تلا الحسن: {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون} وقال المنافق: إنما أوتيته على علم عندي"(٥٣١٢).

عن أبي هريرة، قال: قالت عائشة: "يا رسول الله {والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة}، هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل"(٥٣١٣).

القرآن

{أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)} [المؤمنون : ٦١]

التفسير:

أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} [المؤمنون : ٦١]، أي:" أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح"(٥٣١٤).

قال الحسن: أي: "فيما افترض الله عليهم"، يعني: {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون {٥٧} والذين هم بآيات ربهم يؤمنون {٥٨} والذين هم بربهم لا يشركون {٥٩} والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون {٦٠} } [المؤمنون: ٥٧-٦٠] قوله: {وهم لها سابقون} [المؤمنون: ٦١](٥٣١٥).

قوله تعالى:{وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون : ٦١]، أي:" وهم إلى الخيرات سابقون"(٥٣١٦).

قال الحسن:" للخيرات، مدركون"(٥٣١٧).

القرآن

{بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣)} [المؤمنون : ٦٣]

التفسير:

لكن قلوب الكفار في ضلال غامر عن هذا القرآن وما فيه، ولهم مع شركهم أعمال سيئة، يُمْهلهم الله ليعملوها، فينالوا غضب الله وعقابه.

قوله تعالى:{بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا} [المؤمنون : ٦٣]، أي:" لكن قلوب الكفار في ضلال غامر عن هذا القرآن وما فيه"(٥٣١٨).

قال مجاهد:" يعني: في عمى من هذا القرآن"(٥٣١٩).

قال قتادة: "يقول في غفلة من هذا، مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى"(٥٣٢٠).

قوله تعالى:{وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} [المؤمنون : ٦٣]، أي:" ولهم مع شركهم أعمال سيئة، يُمْهلهم الله ليعملوها، فينالوا غضب الله وعقابه"(٥٣٢١).

وفي قوله تعالى:{وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} [المؤمنون : ٦٣]، أقوال:

أحدها : خطايا يعملونها من دون الحق، وهو قول مجاهد(٥٣٢٢)، وقتادة(٥٣٢٣)، وأبي العالية(٥٣٢٤).

(٥٣١٢) أخرجه الطبري:٤٥/١٩.
(٥٣١٣) اخرجه الطبري:٤٦/١٩.
(٥٣١٤) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٥٣١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٤٠٦/١.
(٥٣١٦) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٥٣١٧) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٥٣١٨) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٥٣١٩) تفسير مجاهد: ٤٨٦، وتفسير الطبري: ٤٨/١٩.
(٥٣٢٠) تفسير يحيى بن سلام: ٤٠٧/١.
(٥٣٢١) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٥٣٢٢) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.
(٥٣٢٣) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.
(٥٣٢٤) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.

وروي عن قتادة:" عن قتادة، قال: ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، ثم قال للكفار: {بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون}، قال: من دون الأعمال التي منها قوله: {من خشية ربهم مشفقون} والذين، والذين"[٥٣٢٥].

الثاني : أعمال رديئة لم يعملوها وسيعملونها ، قاله الحسن[٥٣٢٦].

وقال مجاهد:" أعمال لا بد لهم من أن يعملوها"[٥٣٢٧].

الثالث: أن الآية تنصرف إلى أصحاب الطاعات، ومعناه: أن المؤمنين لهم أعمال سوى ما عملوا من الخير {هم لها عاملون}. وهذا قول قتادة أيضا[٥٣٢٨].

القرآن

{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤)} [المؤمنون : ٦٤]

التفسير:

حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعذابنا، إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ} [المؤمنون : ٦٤]، أي:" حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعذابنا"[٥٣٢٩].

عن ابن جُرَيج: {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ)، قال: عذاب يوم بدر"[٥٣٣٠].

قال مجاهد:" بالسيوف يوم بدر"[٥٣٣١].

قال الضحاك:" يعني أهل بدر، أخذهم الله بالعذاب يوم بدر"[٥٣٣٢].

قوله تعالى:{إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ} [المؤمنون : ٦٤]، أي:" إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين"[٥٣٣٣].

قال الربيع بن أنس:" يجزعون"[٥٣٣٤].

وقال الحسن:" يصرخون إلى الله بالتوبة فلا يقبل منهم"[٥٣٣٥].

القرآن

{لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (٦٥)} [المؤمنون : ٦٥]

التفسير:

فيقال لهم: لا تصرخوا، ولا تستغيثوا اليوم، إنكم لا تستطيعون نصر أنفسكم، ولا ينصركم أحد من عذاب الله.

قوله تعالى:{لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ} [المؤمنون : ٦٥]، أي:" فيقال لهم: لا تصرخوا، ولا تستغيثوا اليوم من العذاب"[٥٣٣٦].

قال الربيع بن أنس:" لا تجزعوا اليوم"[٥٣٣٧].

قال قتادة: "ذكر لنا أنها نزلت في الذين قتل الله يوم بدر"[٥٣٣٨].

(٥٣٢٥) تفسير الطبري:٤٩/١٩.

(٥٣٢٦) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.

(٥٣٢٧)أخرجه الطبري:٤٩/١٩ .

(٥٣٢٨) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٤٨١/٣.

(٥٣٢٩) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٣٠) أخرجه الطبري:٥١/١٩.

(٥٣٣١) أخرجه الطبري:٥٠/١٩.

(٥٣٣٢) أخرجه الطبري:٥١/١٩.

(٥٣٣٣) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٣٤) أخرجه الطبري:٥١/١٩.

(٥٣٣٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٨/١.

(٥٣٣٦) التفسير الميسر:٣٤٦، وصفوة التفاسير:٢٨٧/٢.

(٥٣٣٧) أخرجه الطبري:٥١/١٩.

(٥٣٣٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٨/١.

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ} [المؤمنون : ٦٥]، أي:" إنكم لا تستطيعون نصر أنفسكم، ولا ينصركم أحد من عذاب الله"(٥٣٣٩).

قال الربيع بن أنس:" لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب، إنه لا ينفعكم، فلو كان هذا الجزع قبلُ نفعكم"(٥٣٤٠).

القرآن

{قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦)} [المؤمنون : ٦٦]

التفسير:

قد كانت آيات القرآن تُقرأ عليكم؛ لتؤمنوا بها، فكنتم تنفرون من سماعها والتصديق بها، والعمل بها كما يفعل الناكص على عقبيه برجوعه إلى الوراء.

قوله تعالى:{فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ} [المؤمنون : ٦٦]، أي:" فكنتم تنفرون من سماعها والتصديق بها، والعمل بها كما يفعل الناكص على عقبيه برجوعه إلى الوراء"(٥٣٤١).

عن مجاهد :"{فكنتم على أعقابكم تنكصون}، قال: تستأخرون"(٥٣٤٢).

القرآن

{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)} [المؤمنون : ٦٧]

التفسير:

تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بغير الحق بسبب بيت الله الحرام، تقولون: نحن أهله لا نُغْلَب فيه، وتتسامرون حوله بالسيِّئ من القول.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في الملأ من قريش الذين مشوا إلى أبي طالب"(٥٣٤٣).

قوله تعالى:{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} [المؤمنون : ٦٧]، أي:" مستكبرين بسبب القرآن عن الإيمان"(٥٣٤٤).

عن مجاهد:" {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}، قال: بمكة البلد"(٥٣٤٥).

قال سعيد بن جبير والضحاك:" بالحرم"(٥٣٤٦).

قال الحسن:" مستكبرين بحرمي"(٥٣٤٧).

قال قتادة:" مستكبرين بالحرم"(٥٣٤٨).

قوله تعالى:{سَامِرًا تَهْجُرُونَ} [المؤمنون : ٦٧]، أي:" متحدثين ليلاً تسمرون تقولون في سمركم الهجر وهو القول الفاحش من الطعن في القرآن، وسبّ النبي عليه السلام"(٥٣٤٩).

عن مجاهد: "{سامرا}، قال: مجلسا بالليل"(٥٣٥٠)، {تَهْجُرُونَ}:" بالقول السيئ في القرآن"(٥٣٥١).

عن سعيد بن جبير:" {سَامِرًا}: تسمرون بالليل"(٥٣٥٢)، {تَهْجُرُونَ}: يهجرون في الباطل"(٥٣٥٣).

(٥٣٣٩) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٤٠) أخرجه الطبري:٥١/١٩.

(٥٣٤١) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٤٢)أخرجه الطبري:٥٢/١٩ .

(٥٣٤٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.

(٥٣٤٤) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.

(٥٣٤٥) انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٩.

(٥٣٤٦) انظر: تفسير الطبري:٥٣/١٩.

(٥٣٤٧) انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٩-٥٣.

(٥٣٤٨) انظر: تفسير الطبري:٥٣/١٩.

(٥٣٤٩) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.

(٥٣٥٠) اخرجه الطبري:٥٣/١٩.

(٥٣٥١) اخرجه الطبري:٥٥/١٩.

(٥٣٥٢) اخرجه الطبري:٥٤/١٩.

(٥٣٥٣) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٩.

عن الضحاك{{سَامِرًا}:" يعني: سمر الليل"[٥٣٥٤].
عن أبي صالح: {تَهْجُرُونَ}:"السب"[٥٣٥٥].
وقال قتادة:" سامرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف، كانوا يقولون: نحن أهل الحرم، لا يخافون"[٥٣٥٦].
قال الحسن:" يقول: قد بلغ من أمانكم أن سامركم يسمر بالبطحاء، يعني: سمر الليل، والعرب تقتل بعضها بعضا، وتسيء بعضها بعضا، وأنتم في ذلك تهجرون كتابي ورسولي"[٥٣٥٧].
وقرأ ابن عباس، ونافع :«تُهْجِرُونَ»[٥٣٥٨]،" -بضم التاء وكسر الجيم- وهذا من الهجر وهو السب والإفحاش في المنطق. يريد سبهم النبي صلى الله عليه ومن اتبعه"[٥٣٥٩].
عن قتادة: "{تُهْجِرُونَ}، يقول: يقولون سوءا"[٥٣٦٠].
قال الحسن: "{تُهْجِرُونَ} رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٥٣٦١].
قال الحسن: "{تُهْجِرُونَ} كتاب الله ورسوله"[٥٣٦٢].

القرآن
{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)} [المؤمنون : ٦٨]
التفسير:
أفلم يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه، أم منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت أباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟
قوله تعالى:{أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٦٨]، أي:" أم منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت أباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟"[٥٣٦٣].
قال السدي: "{أم جاءهم ما لم يأت}، يعني: الذي لم يأت آباءهم الأولين"[٥٣٦٤].

القرآن
{أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩)} [المؤمنون : ٦٩]
التفسير:
أم منعهم من اتباع الحق أن رسولهم محمدًا صلى الله عليه وسلم غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟
قال قتادة:" بل يعرفون وجهه ونسبه"[٥٣٦٥].

القرآن
{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)} [المؤمنون : ٧١]
التفسير:
ولو شرع الله لهم ما يوافق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومَن فيهن، بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.

(٥٣٥٤) اخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(٥٣٥٥) أخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(٥٣٥٦) اخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(٥٣٥٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٩/١.
(٥٣٥٨) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٩، وغريب القرآن لابن قتيبة:٢٩٩، والنكت والعيون:٦١/٤.
(٥٣٥٩) غريب القرآن لابن قتيبة:٢٩٩.
(٥٣٦٠) أخرجه الطبري:٥٥/١٩.
(٥٣٦١) أخرجه الطبري:٥٥/١٩.
(٥٣٦٢) أخرجه الطبري:٥٦/١٩.
(٥٣٦٣) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٥٣٦٤) تفسير يحيى بن سلام: ٤١٠/١.
(٥٣٦٥) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٠/١.

قوله تعالى:{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ} [المؤمنون : ٧١]، أي:" ولو شرع الله لهم ما يوافق أهواءهم"(٥٣٦٦).

قال أبو صالح:" الحق: هو الله"(٥٣٦٧).

قال الحسن:" لو كان الحق في أهوائهم"(٥٣٦٨).

قوله تعالى:{لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون : ٧١]، أي:" لفسدت السموات والأرض ومَن فيهن"(٥٣٦٩).

قال الحسن:" لوقعت أهواؤهم على هلاك السموات والأرض ومن فيهن"(٥٣٧٠).

قوله تعالى:{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ} [المؤمنون : ٧١]، أي:" بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم، وهو القرآن"(٥٣٧١).

وفي قوله تعالى:{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ} [المؤمنون : ٧١]، أقوال:

أحدها : عنى ببيان الحق لهم وهو القرآن. قاله قتادة(٥٣٧٢).

قال قتادة: القرآن"(٥٣٧٣).

الثاني : بشرفهم، لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- منهم . والقرآن بلسانهم، قاله السدي(٥٣٧٤).

وهذان القولان متقاربا المعنى؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم(٥٣٧٥).

القرآن

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢)} [المؤمنون : ٧٢]

التفسير:

بل أمَنعهم من الإيمان أنك - أيها الرسول - تسألهم أجرًا على دعوتك لهم فبخلوا؟ لم تفعل ذلك، فإن ما عند الله من الثواب والعطاء خير، وهو خير الرازقين، فلا يَقدر أحد أن يَرزق مثل رزقه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا} [المؤمنون : ٧٢]، أي:" أم تسألهم يا محمد أجراً على تبليغ الرسالة فلأجل ذلك لا يؤمنون"(٥٣٧٦).

قال الحسن: "أجرا"(٥٣٧٧).

قوله تعالى:{فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [المؤمنون : ٧٢]، أي:" ورزق الله وعطاؤه خيرٌ لك يا محمد وهو تعالى أفضلُ من أعطى ورزق"(٥٣٧٨).

قال السدي:" {وهو خير} أفضل {الرازقين}"(٥٣٧٩).

عن عمران القصير، قال: "لقيت مكحولا بمكة، فأعطاني شيئا فانقبضت عنه فقال: خذه فإني سأحدثك فيه بحديث. فقلت: حدثني به فإنه أحب إلي منه. فقال: أعطى رسول الله عمر شيئا، فكأنه انقبض عن أخذه،

(٥٣٦٦) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٦٧) أخرجه الطبري:٥٧/١٩، وانظر: تفسير سفيان الثوري(٧٠٢: ١٠: ٤):ص٢١٨.

(٥٣٦٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٠/١.

(٥٣٦٩) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٧٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٠/١.

(٥٣٧١) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٧٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٨٤):ص٤٢٠/٢.

(٥٣٧٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٨٤):ص٤٢٠/٢.

(٥٣٧٤) انظر: النكت والعيون:٦٣/٤.

(٥٣٧٥) تفسير الطبري:٥٨/١٩.

(٥٣٧٦) صفوة التفاسير:٢٨٨/٢.

(٥٣٧٧) أخرجه الطبري:٥٨/١٩.

(٥٣٧٨) صفوة التفاسير:٢٨٨/٢.

(٥٣٧٩) تفسير يحيى بن سلام: ٤١١/١.

فقال له رسول الله: «إذا أتاك الله بشيء لم تطلبه ولم تعرض له فخذه، فإن كنت محتاجا إليه فأنفقه، وإن لم تكن إليه محتاجا فضعه في أهل الحاجة»"[٥٣٨٠].

القرآن

{وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣)} [المؤمنون : ٧٣]

التفسير:

وإنك - أيها الرسول - لتدعو قومك وغيرهم إلى دينٍ قويم، وهو دين الإسلام.

عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: " يعني: الإسلام: الدين الحق"[٥٣٨١].

القرآن

{وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤)} [المؤمنون : ٧٤]

التفسير:

وإن الذين لا يُصَدِّقون بالبعث والحساب، ولا يعملون لهما، عن طريق الدين القويم لمائلون إلى غيره.

قوله تعالى:{وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [المؤمنون : ٧٤]، أي:" وإن الذين لا يُصَدِّقون بالبعث والحساب، ولا يعملون لهما"[٥٣٨٢].

قال السدي:" يعني: بالبعث يوم القيامة"[٥٣٨٣].

قوله تعالى:{عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ} [المؤمنون : ٧٤]، أي:" هؤلاء عن طريق الدين القويم لمائلون إلى غيره"[٥٣٨٤].

قال قتادة:" لجائرون"[٥٣٨٥].

وقال الحسن: "تاركون له"[٥٣٨٦].

عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني ممسك بحجزكم : هَلُمَّ عن النار ، هلم عن النار ، وتغلبوني وتقاحمون فيها تَقَاحُم الفراش والجنادب ، فأوشك أن أرسل حجزكم وأنا فَرَطكم على الحوض ، فتردون علي معا وأشتاتا ، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم ، كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله ، فيُذْهَب بكم ذات اليمين وذات الشمال ، فأناشد فيكم رب العالمين : أي رب ، قومي ، أي رب أمتي. فيقال : يا محمد ، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرى على أعقابهم ، فلأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ، ينادي : يا محمد ، يا محمد. فأقول : لا أملك لك شيئا. قد بلغت ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرا له رُغَاء ، ينادي : يا محمد ، يا محمد. فأقول : لا أملك شيئا ، قد بلغت ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسا لها حمحمة ، فينادي : يا محمد ، يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد بلغت ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء من أدم ، ينادي : يا محمد ، يا محمد : فأقول : لا أملك لك شيئا قد بلغت"[٥٣٨٧].

القرآن

{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥)} [المؤمنون : ٧٥]

التفسير:

(٥٣٨٠) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٤١١/١.

(٥٣٨١) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٥٣٨٢) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٨٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٢/١.

(٥٣٨٤) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٥٣٨٥) تفسير يحيى بن سلام: ٤١٢/١.

(٥٣٨٦) تفسير يحيى بن سلام: ٤١٢/١.

(٥٣٨٧) رواه أبو يعلى الموصلي كما في تفسير ابن كثير:٤٨٥/٥-٤٨٦، والبزار في مسنده برقم (٩٠٠) وابن عبد البر في التمهيد (٣٠٠/٢) من طريق مالك بن إسماعيل عن يعقوب بن عبد الله الأشعري به نحوه. وقال الهيثمي في المجمع (٨٥/٣) : "رواه أبو يعلى في الكبير والبزار إلا أنه قال : يحمل قشعا مكان سقاء. ورجال الجميع ثقات".

ولو رحمناهم وكشفنا عنهم ما بهم مِن قحط وجوع لتمادوا في الكفر والعناد، يتحيَّرون ويتخبطون.
قوله تعالى:{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ} [المؤمنون : ٧٥]، أي:" ولو رحمناهم وكشفنا عنهم ما بهم مِن قحط وجوع"(٥٣٨٨).
عن ابن جُرَيج، قوله: "{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ}، قال: الجوع"(٥٣٨٩).
قوله تعالى:{لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [المؤمنون : ٧٥]، أي:" لتمادوا في الكفر والعناد، يتحيَّرون ويتخبطون"(٥٣٩٠).
عن الربيع،"{يعمهون}، قال: يترددون"(٥٣٩١).
قال مجاهد:" يعني: في ضلالتهم، يترددون"(٥٣٩٢).

القرآن

{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)} [المؤمنون : ٧٦]

التفسير:

ولقد ابتليناهم بصنوف المصائب فما خضعوا لربهم، وما دعوه خاشعين عند نزولها.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن ابن أثال الحنفي، لما أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أسير، فخلى سبيله، فلحق بمكة، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العِلْهز، فجاء أبو سفيان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: أليس تزعم بأنك بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال: "بلى! " فقال: قد قتلتَ الآباء بالسيف والأبناء بالجوع! فأنزل الله: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ... }، الآية"(٥٣٩٣).
وأصل هذا الحديث في الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال : «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»(٥٣٩٤).
قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ} [المؤمنون : ٧٦]، أي:" ولقد ابتليناهم بصنوف المصائب"(٥٣٩٥).
عن ابن جُرَيج، قوله: "{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ}، قال: الجوع والجدب"(٥٣٩٦).
قوله تعالى:{فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} [المؤمنون : ٧٦]، أي:" فما خضعوا لربهم وما دعوه خاشعين عند نزول المصائب"(٥٣٩٧).
قال الحسن: إذا أصاب الناس من قِبَل الشيطان بلاء، فإنما هي نقمة، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية، ولكن استقبلوها بالاستغفار، وتضرعوا إلى الله، وقرأ هذه الآية: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}"(٥٣٩٨).
عن وهب بن عمر بن كيسان، قال : "حُبِس وهب بن مُنَبِّه ، فقال له رجل من الأبناء : ألا أنشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله، والله تعالى يقول :{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } قال : وصام وهب ثلاثا متواصلة، فقيل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال : أَحْدَث لنا فأحدثنا. يعني : أحدث لنا الحبس ، فأحدثنا زيادة عبادة"(٥٣٩٩).

القرآن

(٥٣٨٨) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٥٣٨٩) اخرجه الطبري:٥٩/١٩.
(٥٣٩٠) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٥٣٩١) تفسير الطبري(٣٧٩):ص٣١١/٨.
(٥٣٩٢) تفسير مجاهد: ١٩٦.
(٥٣٩٣) أخرجه الطبري:٦٠/١٩.
(٥٣٩٤)صحيح البخاري برقم (٤٦٩٣) وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٥٣٩٥) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٥٣٩٦) أخرجه الطبري:٦٠/١٩.
(٥٣٩٧) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٥٣٩٨) أخرجه الطبري:٦٠/١٩.
(٥٣٩٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٨٧/٥.

{حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)} [المؤمنون : ٧٧]

التفسير:

حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد في الآخرة، إذا هم فيه آيسون من كل خير، متحيرون لا يدرون ما يصنعون.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ} [المؤمنون : ٧٧]، أي:" حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد في الآخرة"(٥٤٠٠).

وفي قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ} [المؤمنون : ٧٧]، أقوال:

أحدها : معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد. وهذا قول مجاهد(٥٤٠١).

الثاني : أنه قتلهم بالسيف يوم بدر ، قاله ابن جريج(٥٤٠٢).

الثالث : أنه فتح مكة. قاله السدي(٥٤٠٣).

وقول الذي قاله مجاهد: أولى بالتفسير، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس، أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة المجاعة التي أصابت قريشا؛ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، وأمر ثمامة بن أثال، وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر(٥٤٠٤).

قوله تعالى:{إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [المؤمنون : ٧٧]، أي:" إذا هم فيه آيسون من كل خير، متحيرون لا يدرون ما يصنعون"(٥٤٠٥).

عن مجاهد، قال: "الإبلاس: الفضيحة"(٥٤٠٦).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٧٨)} [المؤمنون : ٧٨]

التفسير:

وهو الذي أنشأ لكم السمع لإدراك المسموعات، والأبصار لإدراك المرئيات، والأفئدة لتفقهوا بها، ومع ذلك فشكركم لهذه النعم المتوالية عليكم قليل لا يُذْكَر.

عن قتادة في قوله:"{وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}، قال: كرامة أكرمكم الله بها، فاشكروا نعمه"(٥٤٠٧).

القرآن

{بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)} [المؤمنون : ٨١ - ٨٣]

التفسير:

لكن الكفار لم يصدقوا بالبعث، بل ردَّدوا مقولة أسلافهم المنكرين، قالوا: أإذا متنا وتحللت أجسامنا وعظامنا في تراب الأرض نحيا مرة أخرى؟ هذا لا يكون ولا يُتصور، لقد قيل هذا الكلام لآبائنا من قبل، كما تقوله لنا يا محمد، فلم نره حقيقة، ما هذا إلا أباطيل الأولين.

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٨٣]، أي:" ما هذا إلا أباطيل الأولين"(٥٤٠٨).

عن السدي، قوله: {إن هذا إلا أساطير الأولين}: أساجيع الأولين"(٥٤٠٩).

(٥٤٠٠) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٥٤٠١) انظر: تفسير الطبري:٦١/١٩.

(٥٤٠٢) انظر: تفسير الطبري:٦١/١٩.

(٥٤٠٣) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٤٨٦/٣.

(٥٤٠٤) تفسير الطبري:٦١/١٩.

(٥٤٠٥) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٥٤٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٧٣):ص٣٠٨٩/٩.

(٥٤٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٠٩):ص٢٢٩٤/٧.

(٥٤٠٨) التفسير الميسر:٣٤٧.

عن قتادة، قوله: "{أساطير الأولين}، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"[٥٤١٠]. وروي عن الضحاك نحو ذلك[٥٤١١].

القرآن

{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥)} [المؤمنون : ٨٤ - ٨٥]

التفسير:

قل لهم: لمن هذه الأرض ومَن فيها إن كان لديكم علم؟ سيعترفون حتمًا بأنها لله، هو خالقها ومالكها، قل لهم: ألا يكون لكم في ذلك تذكُّر بأنه قادر على البعث والنشور؟

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٥٤١٢].

القرآن

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦)} [المؤمنون : ٨٦]

التفسير:

قل مَن رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها؟

قال كعب:" إن السموات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض"[٥٤١٣].

قال مجاهد:" السماوات والأرض عند العرش إلا كحلقة في أرض فلاة"[٥٤١٤].

قال سعد الطائي:" العرش ياقوتة حمراء"[٥٤١٥].

قال وهب بن منبه:" إن الله خلق العرش من نوره"[٥٤١٦].

القرآن

{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧)} [المؤمنون : ٨٧]

التفسير:

سيقولون حتمًا: هي ملك لله، فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟

قوله تعالى:{قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٨٧]، أي:" فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟"[٥٤١٧].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٥٤١٨].

القرآن

{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨)} [المؤمنون : ٨٨]

التفسير:

قل: مَن مالك كل شيء ومَن بيده خزائن كل شيء، ومَن يجير مَن استجار به، ولا يقدر أحد أن يُجير ويحمي مَن أراد الله إهلاكه، ولا يدفع الشر الذي قدَّره الله، إن كنتم تعلمون ذلك؟

(٥٤٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٠):ص٢٩١٦/٩.

(٥٤١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥١):ص٢٩١٦/٩.

(٥٤١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٩١٦/٩.

(٥٤١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٥٤١٣)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٢):ص١٩٢٠/٦ .

(٥٤١٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٣):ص١٩٢٠/٦ .

(٥٤١٥)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٧):ص١٩٢٠/٦ .

(٥٤١٦)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٨):ص١٩٢٠/٦ .

(٥٤١٧) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٥٤١٨) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [المؤمنون : ٨٨]، أي:" قل: مَن مالك كل شيء ومَن بيده خزائن كل شيء"(٥٤١٩).

عن مجاهد: "{مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}، قال: خزائن كل شيء"(٥٤٢٠).

قال الضحاك:" ملك كل شيء"(٥٤٢١).

قوله تعالى:{وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [المؤمنون : ٨٨]، أي:" ومَن يجير مَن استجار به، ولا يقدر أحد أن يُجير ويحمي مَن أراد الله إهلاكه، ولا يدفع الشر الذي قدَّره الله، إن كنتم تعلمون ذلك؟"(٥٤٢٢).

عن القرظي في قوله: {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]، قال: "هو المجير كما قال تعالى: {وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ}"(٥٤٢٣).

القرآن

{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)} [المؤمنون : ٨٩]

التفسير:

سيجيبون: بأن ذلك كلَّه لله، قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتُخْدَعون وتُصْرفون عن توحيد الله وطاعته، وتصديق أمر البعث والنشور؟

قوله تعالى:{قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} [المؤمنون : ٨٩]، أي:" قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتُخْدَعون وتُصْرفون عن توحيد الله وطاعته، وتصديق أمر البعث والنشور؟"(٥٤٢٤).

قال الحسن: "معناه: أين ذهبت عقولكم؟"(٥٤٢٥).

القرآن

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)} [المؤمنون : ٩١]

التفسير:

لم يجعل الله لنفسه ولدًا، ولم يكن معه من معبود آخر; لأنه لو كان ثمة أكثر مِن معبود لانفرد كل معبود بمخلوقاته، ولكان بينهم مغالبة كشأن ملوك الدنيا، فيختلُّ نظام الكون، تنزَّه الله سبحانه وتعالى وتقدَّس عن وصفهم له بأن له شريكًا أو ولدًا.

قوله تعالى:{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون : ٩١]، أي:" تنزّه الله وتقدَّس عما يصفه به الظالمون"(٥٤٢٦).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٥٤٢٧).

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"(٥٤٢٨).

القرآن

{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)} [المؤمنون : ٩٢]

التفسير:

(٥٤١٩) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٥٤٢٠) اخرجه الطبري:٦٥/١٩.

(٥٤٢١) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٤٥/١٢.

(٥٤٢٢) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٥٤٢٣) الكشف والبيان: ٢٦٧/٢٦.

(٥٤٢٤) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٥٤٢٥) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٤٨٨/٣.

(٥٤٢٦) صفوة التفاسير:٢٩٢/٢.

(٥٤٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٥٤٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

هو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه، فتنزَّه الله تعالى عن الشريك الذي يزعمون.
قوله تعالى:{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [المؤمنون : ٩٢]، أي:" هو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه"(٥٤٢٩).
قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"(٥٤٣٠).

القرآن
{قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤)} [المؤمنون : ٩٣ - ٩٤]
التفسير:
قل - أيها الرسول -: ربِّ إما تريني في هؤلاء المشركين ما تَعِدُهم مِن عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين الظالمين، ولكن اجعلني ممن رضيتَ عنهم.

القرآن
{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦)} [المؤمنون : ٩٦]
التفسير:
إذا أساء إليك أعداؤك - أيها الرسول - بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة، ولكن ادفع إساءتهم بالإحسان منك إليهم، نحن أعلم بما يصفه هؤلاء المشركون من الشرك والتكذيب، وسنجازيهم عليه أسوأ الجزاء.
قوله تعالى:{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} [المؤمنون : ٩٦]، أي:" إذا أساء إليك أعداؤك - أيها الرسول - بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة، ولكن ادفع إساءتهم بالإحسان منك إليهم"(٥٤٣١).
عن مجاهد، قوله: "{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ}، قال: أعرض عن أذاهم إياك"(٥٤٣٢).
وقال مجاهد:" هو السلام، تُسَلِّمُ عليه إذا لقيته"(٥٤٣٣).
قال الحسن:" والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا، ويصفح عما يكره"(٥٤٣٤).

القرآن
{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)} [المؤمنون : ٩٧ - ٩٨]
التفسير:
وقل - أيها النبي -: رب أستجير بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والفساد والصد عن الحق ووسوستها، وأستجير بك -يا رب- مِن حضورهم في شيء من أموري.
قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} [المؤمنون : ٩٧]، أي:" وقل - أيها النبي -: رب أستجير بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والفساد والصد عن الحق ووسوستها"(٥٤٣٥).
عن الحسن:{مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ}، قال:" وساوسهم"(٥٤٣٦).
وقال مجاهد: "نفخهم ونفثهم"(٥٤٣٧).
قوله تعالى:{وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون : ٩٨]، أي:" وأستجير بك -يا رب- مِن حضورهم في شيء من أموري"(٥٤٣٨).

(٥٤٢٩) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٥٤٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٥٤٣١) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٥٤٣٢) أخرجه الطبري:٦٨/١٩.
(٥٤٣٣) أخرجه الطبري:٦٨/١٩.
(٥٤٣٤) أخرجه الطبري:٦٨/١٩.
(٥٤٣٥) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٥٤٣٦) الكشف والبيان: ٥٥٢/١٨.
(٥٤٣٧) الكشف والبيان: ٥٥٢/١٨.
(٥٤٣٨) التفسير الميسر:٣٤٨.

قال عكرمة: "عند النزع والسياق"[٥٤٣٩].

عن أيوب، عن محمد: "أنه كان يتعوذ قبل قراءة فاتحة الكتاب، وبعدها، ويقول في تعوذه: أعوذ (باللَّه السميع) العلم من همزات الشياطين وأعوذ باللَّه أن يحضرون"[٥٤٤٠].

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم ، من الفزع : «بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»، قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها ، كتبها له، فعلقها في عنقه"[٥٤٤١].

القرآن

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩)} [المؤمنون : ٩٩]

التفسير:

يخبر الله تعالى عن حال المحتضر من الكافرين أو المفرطين في أمره تعالى، حتى إذا أشرف على الموت، وشاهد ما أُعِدَّ له من العذاب قال: رب ردُّوني إلى الدنيا.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} [المؤمنون : ٩٩]، أي:" قال: رب ردُّوني إلى الدنيا"[٥٤٤٢].

عن الضحاك: {قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}، قال:" يعني: أهل الشرك"[٥٤٤٣].

قال محمد بن كعب القرظي:" إلى أيّ شيء يريد؟ إلى أيّ شيء يرغب؟ أجمع المال، أو غَرْس الغِراس، أو بَنْي بُنيان، أو شق أنهار؟ : {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}، يقول الجبار: كلا"[٥٤٤٤].

عن ابن جريج، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: "إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول: بل قدماني إلى الله، وأما الكافر فيقال: نرجعك؟ فيقول: {لعلي أعمل صالحا فيما تركت} ... " الآية"[٥٤٤٥].

القرآن

{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)} [المؤمنون : ١٠٠]

التفسير:

لعلي أستدرك ما ضيَّعْتُ من الإيمان والطاعة. ليس له ذلك، فلا يجاب إلى ما طلب ولا يُمْهَل. فإنما هي كلمة هو قائلها قولاً لا ينفعه، وهو فيه غير صادق، فلو رُدَّ إلى الدنيا لعاد إلى ما نُهي عنه، وسيبقى المتوفَّون في الحاجز والبَرْزخ الذي بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور.

قوله تعالى:{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ} [المؤمنون : ١٠٠]، أي:" لكي أعمل صالحاً فيما ضيَّعت من عمري"[٥٤٤٦].

قال قتادة: "إما والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا عشيرة، ولكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر فاعملوا فيها"[٥٤٤٧].

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا} [المؤمنون : ١٠٠]، أي:" ليس له ذلك، فلا يجاب إلى ما طلب ولا يُمْهَل. فإنما هي كلمة هو قائلها قولاً لا ينفعه"[٥٤٤٨].

(٥٤٣٩) التفسير البسيط للواحدي:٥٨/١٦. ذكره عنه الزمخشري ٣/ ٤٢، وابن القيم في "إغاثة اللهفان" ١/ ١٥٥.

(٥٤٤٠) المصنف لابن أبي شيبة(٢٤٨١):ص٢٤/٣.

(٥٤٤١)المسند (١٨١/٢) وسنن أبي داود برقم (٣٨٩٣) وسنن الترمذي برقم (٣٥٢٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٠١).

قال الترمذي : "حسن غريب".

(٥٤٤٢) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٥٤٤٣) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.

(٥٤٤٤) أخرجه الطبري:٦٩/١٩.

(٥٤٤٥) أخرجه الطبري:٦٩/١٩.

(٥٤٤٦) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.

(٥٤٤٧)ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط:٦٣/١٦، والبغوي في التفسير: ٥/ ٤٢٨، وابن كثير: في التفسير:٤٩٤/٥.

قال عمر بن عبد الله مولى غُفْرَة : إذا سمعت الله يقول : {كَلا} فإنما يقول : كذب"[٥٤٤٩].

عن أبي هريرة قال : "إذا وضع - يعني : الكافر - في قبره ، فيرى مقعده من النار. قال : فيقول : رب ، ارجعون أتوب وأعمل صالحا. قال : فيقال : قد عُمِّرت ما كنت مُعَمَّرا. قال : فيضيق عليه قبره ، قال: فهو كالمنهوش ، ينام ويفزع ، تهوي إليه هَوَامّ الأرض وحياتها وعقاربها"[٥٤٥٠].

قوله تعالى:{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون : ١٠٠]، أي:" وأمامهم حاجزٌ يمنعهم عن الرجوع إلى الدنيا - هو عالم البرزخ - الذي يحول بينهم وبين الرجعة يلبثون فيه إلى يوم القيامة"[٥٤٥١].

وفي معنى «البرزخ»، في الآية، أقوال:

أحدها : أنه حاجز بين الموت والبعث ، قاله مجاهد[٥٤٥٢].

الثاني : حاجز بين الدنيا والآخرة . قاله قتادة[٥٤٥٣]، والضحاك[٥٤٥٤].

قال الضحاك:" البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة"[٥٤٥٥].

قال قتادة:" أهل القبور في البرزخ، وهو الحاجز بين الدنيا والآخرة"[٥٤٥٦].

قال أبو صخر : "البرزخ : المقابر ، لا هم في الدنيا، ولا هم في الآخرة، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون"[٥٤٥٧].

الثالث : حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا، قاله مجاهد أيضا[٥٤٥٨].

الرابع : أنه بقية الدنيا. قاله قتادة[٥٤٥٩].

الخامس: أنه ما بعد الموت. قاله سعيد [٥٤٦٠].

وقال أبو يوسف: "خرجت مع أبي أمامة في جنازة، فلما وضعت في لحدها، قال أبو أمامة: هذا برزخ إلى يوم يبعثون"[٥٤٦١].

السادس :أن "البرزخ: ما بين النفختين". قاله السدي[٥٤٦٢].

وهذه الأقوال متقاربة. وكل حاجز بين شيئين فهو: برزخ[٥٤٦٣].

وقال رجل بحضرة الشعبي: "رحم الله فلانا فقد صار من أهل الآخرة! فقال: لم يصر من أهل الآخرة، ولكنه صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة"[٥٤٦٤].

عن عائشة ، أنها قالت : "ويل لأهل المعاصي من أهل القبور!! تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو : دُهُم - حية عند رأسه ، وحية عند رجليه ، يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه ، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى : {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}"[٥٤٦٥].

القرآن

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)} [المؤمنون : ١٠١]

(٥٤٤٨) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٥٤٤٩) تفسير ابين كثير:٤٩٤/٥.

(٥٤٥٠) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٩٤/٥.

(٥٤٥١) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.

(٥٤٥٢) انظر: تفسير الطبري:٧١/١٩.

(٥٤٥٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام في التفسير:٤١٦/١.

(٥٤٥٤) انظر: تفسير الطبري:٧١/١٩.

(٥٤٥٥) أخرجه الطبري:٧١/١٩.

(٥٤٥٦) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٦/١.

(٥٤٥٧) تفسير ابن كثير:٤٩٤/٥-٤٩٥.

(٥٤٥٨) أخرجه الطبري:٧١/١٩.

(٥٤٥٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٨٧):ص٤٢٠/٢.

(٥٤٦٠) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.

(٥٤٦١) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.

(٥٤٦٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٦/١.

(٥٤٦٣) تفسير القرطبي:١٥٠/١٢.

(٥٤٦٤) نقلا عن تفسير القرطبي:١٥٠/١٢.

(٥٤٦٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٩٤/٥.

التفسير:
فإذا كان يوم القيامة، ونفخ المَلَك المكلَّف في «القرن» ، وبُعِثَ الناس من قبورهم، فلا تَفاخُرَ بالأنساب حينئذ كما كانوا يفتخرون بها في الدنيا، ولا يسأل أحد أحدًا.

قوله تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} [المؤمنون : ١٠١]، أي:" فإذا كان يوم القيامة، ونفخ المَلَك المكلَّف في «القرن» ، وبُعِثَ الناس من قبورهم"(٥٤٦٦).

قال السدي:" في النفخة الأولى"(٥٤٦٧).

عن قتادة: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"(٥٤٦٨).

عن مجاهد :"{ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق"(٥٤٦٩).

عن مجاهد: "{الصور}: البوق"(٥٤٧٠).

قال مجاهد:" هو القرن، صاحبه آخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب"(٥٤٧١).

قال عكرمة:" الصور مع إسرافيل فيه أرواح كل شيء تكون فيه، ثم ينفخ فيه الصاعقة فإذا نفخ نفخة البعث قال: الله: بعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده وداره ... أعظم من سبع سموات ومن الأرض قال: فخلق الصور على في إسرافيل وهو شاخص بصره متى يؤمر بالنفخ في الصور"(٥٤٧٢).

قوله تعالى:{فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون : ١٠١]، أي:" فلا تَفاخُرَ بالأنساب حينئذ كما كانوا يفتخرون بها في الدنيا، ولا يسأل أحد أحدًا"(٥٤٧٣).

قال الحسن: "{فلا أنساب بينهم}، يتعاطفون عليها كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا، {ولا يتساءلون} عليها أن يحمل بعضهم عن بعض كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهم"(٥٤٧٤).

في تفسير عمرو عن الحسن:" أن أنسابهم يومئذ قائمة معروفة، قال: {يوم يفر المرء من أخيه {٣٤} وأمه وأبيه} [عبس: ٣٤-٣٥] "(٥٤٧٥).

قال قتادة:" ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافه، مخافة أن يذوب له عليه شيء، ثم قرأ :{يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}"(٥٤٧٦).

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة مواطن لا يسأل فيها أحد أحدا: إذا وضعت الموازين حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت الكتب حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز "(٥٤٧٧).

عن المِسْوَر - هو ابن مَخْرَمَة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاطمة بَضْعَةٌ مني ، يَقْبِضُني ما يقبضها ، ويَبْسُطني ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري"(٥٤٧٨).

وهذا الحديث له أصل في الصحيحين عن المسور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها"(٥٤٧٩).

(٥٤٦٦) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٥٤٦٧) أخرجه الطبري: ٧٢/١٩.
(٥٤٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٥٤٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٣):ص٢٩٢٩/٩.
(٥٤٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٥٤٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٥٤٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٢):ص٢٩٢٨/٩.
(٥٤٧٣) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٥٤٧٤) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٤١٦/١.
(٥٤٧٥) ذكره يحيى بن سلام في "التفسير": ٤١٦/١. قال يحيى: وسمعت بعض الكوفيين يقول: {يبصرونهم} [المعارج: ١١] أي يرونهم. يقول: يعرفونهم في مواطن، ولا يعرفونهم في مواطن.
(٥٤٧٦) اخرجه الطبري:٧٣/١٩.
(٥٤٧٧) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٤١٦/١.
(٥٤٧٨)المسند (٣٢٣/٤).

عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر : "ما بال رجال يقولون : إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه ؟ بلى ، والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة ، وإني - أيها الناس - فرط لكم ، إذا جئتم" قال رجل : يا رسول الله ، أنا فلان بن فلان، وقال أخوه : أنا فلان ابن فلان، فأقول لهم : "أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري"(٥٤٨٠).

القرآن

{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢)} [المؤمنون : ١٠٢]

التفسير:

فمن كثرت حسناته وثَقُلَتْ بها موازين أعماله عند الحساب، فأولئك هم الفائزون بالجنة.

القرآن

{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)} [المؤمنون : ١٠٣]

التفسير:

ومن قَلَّتْ حسناته في الميزان، ورجحت سيئاته، وأعظمها الشرك، فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم، في نار جهنم خالدون.

قوله تعالى:{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [المؤمنون : ١٠٣]، أي:" ومن قَلَّتْ حسناته في الميزان، ورجحت سيئاته، وأعظمها الشرك، فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم"(٥٤٨١).

عن مجاهد: "{ومن خفت موازينه}، قال: حسناته"(٥٤٨٢).

عن عبيد بن عمير، في قوله تعالى: {وأما من خفت موازينه} [القارعة: ٨] قال: «يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب يوم القيامة ، فيوضع الميزان فما يزن عند الله جناح بعوضة»(٥٤٨٣).

وفي رواية عن عبيد بن عمير الليثي، في قوله عز وجل: {والوزن يومئذ الحق} [الأعراف: ٨]، قال: «يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة»(٥٤٨٤).

عن أنس بن مالك يرفعه قال : "إن لله ملكا موكلا بالميزان ، فيؤتى بابن آدم ، فيوقف بين كفتي الميزان ، فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا"(٥٤٨٥).

قوله تعالى:{فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون : ١٠٣]، أي:" في نار جهنم خالدون"(٥٤٨٦).

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" (٥٤٨٧).

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٥٤٨٨).

القرآن

{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)} [المؤمنون : ١٠٤]

التفسير:

(٥٤٧٩)صحيح البخاري برقم (٣٧١٤) وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٩).

(٥٤٨٠)المسند (١٨/٣).

(٥٤٨١) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٥٤٨٢) أخرجه الطبري(١٤٣٣٧):ص٣١٥/١٢.

(٥٤٨٣) تفسير عبدالرزاق(٣٦٨٦):٤٥٥/٣.

(٥٤٨٤) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٥٤٨٥) رواه البزاز كما في تفسير ابن كثير:٤٩٧/٥، ورواه أبو نعيم في الحلية كما في تخريج الإحياء (٤٠٩٨) وقال : "تفرد به داود بن المحبر".

قال ابن كثير:" إسناده ضعيف ، فإن داود بن المُحَبَّر متروك".

(٥٤٨٦) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٥٤٨٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٤٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

تَحْرقُ النار وجوههم، وهم فيها عابسون تَقَلَّصَتْ شفاههم، وبرزت أسنانهم.

عن مالك بن دينار: "كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن"(٥٤٨٩). قال السمعاني:" كأنه يذكر هذه الآية"(٥٤٩٠).

القرآن

{أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦)} [المؤمنون : ١٠٥ - ١٠٦]

التفسير:

يقال لهم: ألم تكن آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟ لما بلَّغتهم الرسل وأنذرتهم قالوا يوم القيامة: ربنا غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا المقدَّرة علينا في سابق علمك، وكنا في فعلنا ضالين عن الهدى.

قوله تعالى:{قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون : ١٠٦]، أي:" ربنا غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا المقدَّرة علينا في سابق علمك"(٥٤٩١).

عن مجاهد، قوله: "{غلبت علينا شقوتنا}، قال: التي كتبت علينا"(٥٤٩٢).

قوله تعالى:{وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} [المؤمنون : ١٠٦]، أي:" وكنا في فعلنا ضالين عن الهدى"(٥٤٩٣).

قال ابن جريج: "بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم: أن {ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب} فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: {فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}، قال: ثم نادوا مالكا {يامالك ليقض علينا ربك} فسكت عنهم مالك خازن جهنم، أربعين سنة ثم أجابهم فقال: {إنكم ماكثون} ثم نادى الأشقياء ربهم، فقالوا: {ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}، فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى :{اخسئوا فيها ولا تكلمون}"(٥٤٩٤).

عن أبي بكر بن عبد الله، قال: "ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقال: أجيبوهم، وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار، عليكم غضب الله، يا أهل النار، عليكم لعنة الله، يا أهل النار، لا لبيكم ولا سعديكم، ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم، فيقولون: بلى، فيقولون: {أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين}"(٥٤٩٥).

قال محمد بن كعب: بلغني، أو ذكر لي، أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، فردوا عليهم ما قال الله، فلما أيسوا نادوا: يا مالك، وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: يا مالك، ليقض علينا ربك، سألوا الموت، فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سني الآخرة، أو كما قال، ثم انحط إليهم، فقال: {إنكم ماكثون} فلما سمعوا ذلك قالوا: فاصبروا، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله، قال: فصبروا، فطال صبرهم، فنادوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص}، أي: منجى. فقام إبليس عند ذلك فخطبهم، فقال: {إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته، مقتوا أنفسهم، قال: فنودوا {لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا} الآية، قال: فيجيبهم الله {ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير}، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد؛ قال: ثم دعوا مرة أخرى، فيقولون: {ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون}، قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها}، يقول الرب: لو شئت لهديت الناس جميعا، فلم يختلف منهم أحد {ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا}، يقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا {إنا نسيناكم}، أي: تركناكم {وذوقوا عذاب

(٥٤٨٩) حكاه الزمخشري في الكشاف:٢٠٤/٣.

(٥٤٩٠) تفسير السمعاني:٤٩٢/٣.

(٥٤٩١) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٥٤٩٢) اخرجه الطبري:٧٥/١٩.

(٥٤٩٣) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٥٤٩٤) اخرجه الطبري:٧٥/١٩.

(٥٤٩٥) أخرجه الطبري:٧٥/١٩-٧٦.

الخلد بما كنتم تعملون}، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد، قال: فيدعون مرة أخرى: {ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل}، قال: فيقال لهم: {أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم} ... الآية، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى: {ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل}، قال: فيقول: {أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير} إلى: {نصير}، ثم مكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: {ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون}، فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا، فقالوا عند ذلك: {ربنا غلبت علينا شقوتنا}، أي: الكتاب الذي كتب علينا {وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها} الآية، فقال عند ذلك: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}، قال: فلا يتكلمون فيها أبدا، فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم. وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض، فأطبقت عليهم. قال عبد الله بن المبارك في حديثه: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله: {هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون}"[٥٤٩٦].

عن أبي بكر بن عبد الله، أنه قال: "فوالذي أنزل القرآن على محمد، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والزعيق في الخلد أبدا، ليس له نفاد"[٥٤٩٧].

عن أبي معشر، قال: "كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ، فجلسنا، فتنحى أبو جعفر، فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون"[٥٤٩٨].

القرآن

{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)} [المؤمنون : ١٠٨]

التفسير:

قال الله عز وجل لهم: امكثوا في النار أذلاء ولا تخاطبوني. فانقطع عند ذلك دعاؤهم ورجاؤهم.

قوله تعالى:{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا} [المؤمنون : ١٠٨]، أي:" قال الله عز وجل لهم: امكثوا في النار أذلاء"[٥٤٩٩].

قال أبو مالك:" يعني: اصغروا"[٥٥٠٠].

قوله تعالى:{وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون : ١٠٨]، أي:" ولا تخاطبوني"[٥٥٠١].

عن زياد الخراساني، عن بعض أهل العلم، قال:"فيسكتون، قال: فلا يسمع فيها حس إلا كطنين الطست"[٥٥٠٢].

أخرج يحيى بن سلام بسنده عن عبد الله بن عمرو:" أن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يرد عليهم: {إنكم ماكثون}، ثم ينادون ربهم: {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}، فيسكت عنهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}، فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق.

قال قتادة: "صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار، أوله زفير، وآخره شهيق"[٥٥٠٣].

عن سليمان التيمي:" أن أهل النار يدعون خزنة أهل النار أربعين سنة، ثم يكون جوابهم إياهم: ألم تأتكم رسلكم بالبينات؟ {قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}، ثم ينادون مالكا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: {إنكم ماكثون}، ثم يدعون ربهم: {ربنا أخرجنا منها}، فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين، ثم يكون جوابه إياهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}، ثم إنما هو الزفير والشهيق"[٥٥٠٤].

(٥٤٩٦) أخرجه الطبري:١٩/٧٦-٧٧.
(٥٤٩٧) أخرجه الطبري:١٩/٧٧.
(٥٤٩٨) أخرجه الطبري:١٩/٧٧.
(٥٤٩٩) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٥٥٠٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٤٦):ص٨/٢٥٠٨.
(٥٥٠١) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٥٥٠٢) اخرجه الطبري:١٩/٧٩.
(٥٥٠٣) تفسير الطبري:١٩/٧٩.
(٥٥٠٤) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤١٨.

القرآن

{إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩)} [المؤمنون : ١٠٩]

التفسير:

إنه كان فريق من عبادي -وهم المؤمنون- يَدْعون: ربنا آمنا فاستر ذنوبنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين.

قال سعيد بن جبير: قول:"{فريق}، يعنى: طائفة"(٥٥٠٥)، قوله: «آمن»، يعنى: صدق بتوحيد الله عز وجل"(٥٥٠٦).

قال مجاهد: "هم بلال وخباب وصهيب، وفلان وفلان من ضعفاء المسلمين، كان أبو جهل وأصحابه يهزءون بهم"(٥٥٠٧).

قال عمران الجندي: "إن الله لم ينظر إلى شيء قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكن لا ينظر إليهم"(٥٥٠٨).

القرآن

{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)} [المؤمنون : ١١٠]

التفسير:

فاشتغلتم بالاستهزاء بهم حتى نسيتم ذكر الله، فبقيتم على تكذيبكم، وقد كنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

قوله تعالى:{وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} [المؤمنون : ١١٠]، أي:" وقد كنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء"(٥٥٠٩).

قال قتادة:"في الدنيا"(٥٥١٠).

روي علي بن حسين -رحمة الله عليه-، قال: «من ضحك ضحكة مج مجة من العلم»(٥٥١١)

القرآن

{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١)} [المؤمنون : ١١١]

التفسير:

إني جزيت هذا الفريق من عبادي المؤمنين الفوز بالجنة؛ بسبب صبرهم على الأذى وطاعة الله.

قوله تعالى:{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا} [المؤمنون : ١١١]، أي:" جزيتهم بسبب صبرهم على أذاكم أحسن الجزاء"(٥٥١٢).

عن قتادة قوله: "{اليوم}، قال: يوم القيامة(٥٥١٣)، قوله: "{بما صبروا}، عن معصية الله"(٥٥١٤).

قوله تعالى:{أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [المؤمنون : ١١١]، أي:" أنهم هم الفائزون بالنعيم المقيم"(٥٥١٥).

قال قتادة:" أي: الناجون من النار إلى الجنة ومن عذاب الله إلى رحمته"(٥٥١٦)،

(٥٥٠٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٠):ص٢٥٠٩/٨.

(٥٥٠٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥١):ص٢٥٠٩/٨.

(٥٥٠٧) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٥٤/١٢.

(٥٥٠٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٢):ص٢٥٠٩/٨-٢٥١٠.

(٥٥٠٩) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٥٥١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٦):ص٢٥١٠/٨.

(٥٥١١) أخرجه أحمد في الزهد(٩٢٥):ص١٣٧/١، والدارمي في السنن(٦٠٣):ص٤٧٢/١. والبيهقي في الشعب(١٦٩٠):ص٢٩٥/٣، وزاد السمعاني في آخره:" لا يعود إليه أبدا". انظر: تفسير السمعاني:١٤٧٢.
إسناده ضعيف من أجل محمد بن حميد.

(٥٥١٢) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.

(٥٥١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٧):ص٢٥١٠/٨.

(٥٥١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٨):ص٢٥١٠/٨.

(٥٥١٥) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.

(٥٥١٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٩):ص٢٥١١/٨.

القرآن

{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣)} [المؤمنون : ١١٢ - ١١٣]

التفسير:

ويُسْألُ الأشقياء في النار: كم بقيتم في الدنيا من السنين؟ وكم ضيَّعتم فيها من طاعة الله؟ قالوا لِهول الموقف وشدة العذاب: بقينا فيها يومًا أو بعض يوم، فاسأل الحُسَّاب الذين يعدُّون الشهور والأيام.

قوله تعالى:{فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ} [المؤمنون : ١١٣]، أي:" فاسأل الحُسَّاب الذين يعدُّون الشهور والأيام"(٥٥١٧).

وفي قوله تعالى:{فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ} [المؤمنون : ١١٣]، قولان:

أحدهما : أنهم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، ويحصون عليهم ساعاتهم، قاله مجاهد(٥٥١٨)، وربيع بن أنس(٥٥١٩).

الثاني : أنهم الحُسّابُ ، قاله قتادة(٥٥٢٠)، وعكرمة(٥٥٢١).

قال قتادة: "الحساب الذين كانوا يحسبون آجالنا، مثل قوله: {إنما نعد لهم عدا} [مريم: ٨٤] الأنفاس، وهي آجالهم"(٥٥٢٢).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: {فاسأل العادين} وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادين دون بعض(٥٥٢٣).

القرآن

{قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)} [المؤمنون : ١١٤]

التفسير:

قال لهم: ما لبثتم إلا وقتًا قليلا لو صبرتم فيه على طاعة الله لفزتم بالجنة، لو كان عندكم علم بذلك؛ وذلك لأن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جدا بالنسبة إلى طول مدتهم خالدين في النار.

عن ابن إسحاق قال: "فقال: كم لبثتم، فقالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم. وكل ذلك في أنفسهم"(٥٥٢٤).

القرآن

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)} [المؤمنون : ١١٥]

التفسير:

أفحسبتم -أيها الخلق- أنما خلقناكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، وأنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء؟

قوله تعالى:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} [المؤمنون : ١١٥]، أي:" أفحسبتم -أيها الخلق- أنما خلقناكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب"(٥٥٢٥).

عن ابن جريج: "{أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا}، قال: باطلا"(٥٥٢٦).

قال الربيع:" ما خلقتكم لعبا، ولكن خلقتكم للعبادة"(٥٥٢٧).

(٥٥١٧) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٥٥١٨) انظر: تفسير الطبري:٨٣/١٩.

(٥٥١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٥١٢/٨. دون ذكر الإسناد.

(٥٥٢٠) انظر: تفسير الطبري:٨٣/١٩.

(٥٥٢١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٠٦٢):ص٢٥١١/٨.

(٥٥٢٢) تفسير يحيى بن سلام:٤١٩/١.

(٥٥٢٣) تفسير الطبري:٨٣/١٩.

(٥٥٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٥):ص٢٥١٢/٨.

(٥٥٢٥) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٥٥٢٦) أخرجه الطبري:٨٤/١٩.

(٥٥٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٧):ص٢٥١٢/٨.

قال قتادة:" لا والله ما خلق شيئا عبثا ولا ترك شيئا سدى"[٥٥٢٨].

قوله تعالى:{وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون : ١١٥]، أي:" وأنه لا رجوع لكم إلينا للجزاء؟"[٥٥٢٩].

عن صفوان، عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال: إن آخر خطبة خطب عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وإن لكم معادا ينزل الله فيه للحكم بينكم، ويفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنته عرضها السماوات والأرض ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم وخافه وباع نافذا بباق وقليلا بكثير، وخوفا بأمان إلا ترون أنكم من أصلاب الهالكين وسيكون من بعدكم الباقون حين تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في بطن صدع غير ممتد ولا موسد، قد فارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، مرتهن بعمله، غني عن ما ترك، فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم. ثم رفع جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله"[٥٥٣٠].

عن حنش بن عبيد الله، "أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود، فقرأ في أذنه:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)}[٥٥٣١]، حتى ختم السورة فبرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، بماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال"[٥٥٣٢].

القرآن

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)} [المؤمنون : ١١٦]

التفسير:

فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق، وتَقَدَّس عن أن يخلق شيئًا عبثًا أو سفهًا، لا إله غيره ربُّ العرشِ الكريمِ، الذي هو أعظم المخلوقات.

قوله تعالى:{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} [المؤمنون : ١١٦]، أي:" فتنزَّه وتقدَّس الله الكبير الجليل {الملك الحق} أي صاحب السلطان، المتصرف في ملكه بالإيجاد والإعدام، والإحياء والإفناء تنزَّه عن العبث والنقائض وعن أن يخلق شيئاً سفهاً لأنه حكيم"[٥٥٣٣].

عن مجاهد: "{فتعالى الله}، قال: هو الانكفاف أنكف نفسه أنكفته الملائكة وما سبح له"[٥٥٣٤].

قال أبو صالح:" الحق هو الله"[٥٥٣٥].

قال مجاهد:" الحق: العدل"[٥٥٣٦].

عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن : بسم الله الملك الحق، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر : ٦٧] ، {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [هود : ٤١]"[٥٥٣٧].

(٥٥٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٨):ص٢٥١٢/٨.

(٥٥٢٩) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.

(٥٥٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٩):ص٢٥١٢/٨-٢٥١٣.

(٥٥٣١)[المؤمنون : ١١٥ - ١١٦].

(٥٥٣٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٠):ص٢٥١٣/٨.

(٥٥٣٣) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.

(٥٥٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧١):ص٢٥١٣/٨.

(٥٥٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٣):ص٢٥١٤/٨.

(٥٥٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٤):ص٢٥١٤/٨.

(٥٥٣٧) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥٠١/٥، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤/١٢) وفي كتاب الدعاء برقم (٨٠٤) من طرق عن عبد الحميد الهلالي ، عن نهشل به ، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٢/١٠) : "نهشل بن سعيد متروك".

وأخرجه ابن ابي حاتم في التفسير(١٤٠٧٢):ص٢٥١٣/٨. ولفظه :" أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن، بسم الله

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [المؤمنون : ١١٦]، أي:" لا إله غيره"(٥٥٣٨).
عن كعب، قال:" لا إله إلا الله: كلمة الإخلاص"(٥٥٣٩).
قال محمد بن إسحاق :"لا إله إلا هو، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"(٥٥٤٠).
قال الربيع:" إن النصارى أتو النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له: من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان. لا إله إلا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو أباه. قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يتولاه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال فهل يملك عيسى بن مريم من ذلك شيئا؟ قالوا: لا. قال: أفلستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء. قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى. قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فعرفوا، ثم أبوا إلا جحودا، فأنزل الله عز وجل الله لا إله إلا هو"(٥٥٤١).
قوله تعالى:{رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون : ١١٦]، أي:" ربُّ العرش الكريم، الذي هو أعظم المخلوقات"(٥٥٤٢).
عن سعيد بن جبير قوله: "{الكريم}، يعني: الحسن"(٥٥٤٣).
عن أبي خالد، قال:" سمعت سعد الطائي، يقول: العرش ياقوتة حمراء"(٥٥٤٤).
قال وهب بن منبه:" إن الله خلق العرش من نوره"(٥٥٤٥).

القرآن
{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)} [المؤمنون : ١١٧]
التفسير:
ومن يعبد مع الله الواحد إلهًا آخر، لا حجة له على استحقاقه العبادة، فإنما جزاؤه على عمله السيِّئ عند ربه في الآخرة. إنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة.
قوله تعالى:{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ :{لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [المؤمنون : ١١٧]، أي:" ومن يعبد مع الله الواحد إلهًا آخر، لا حجة له على استحقاقه العبادة، فإنما جزاؤه على عمله السيِّئ عند ربه في الآخرة "(٥٥٤٦).
عن مجاهد، قوله: "{لا برهان له به}، قال: بينة"(٥٥٤٧).
عن قتادة :"في القرآن كله: {لا برهان له}: لا بينة له"(٥٥٤٨).
عن الحسن: "قوله في القرآن كله: {لا برهان له} : لا حجة له"(٥٥٤٩).

الملك".
(٥٥٣٨) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٥٥٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٥):ص٢٥١٤/٨.
(٥٥٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٧):ص٢٥١٥/٨.
(٥٥٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٦):ص٢٥١٤/٨-٢٥١٥.
(٥٥٤٢) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٥٥٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٠٧٩):ص٢٥١٥/٨.
(٥٥٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.
(٥٥٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.
(٥٥٤٦) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٥٥٤٧) اخرجه الطبري:٨٤/١٩.
(٥٥٤٨) تفسير يحيى بن سلام: ٤٢١/١.
(٥٥٤٩) تفسير يحيى بن سلام: ٤٢١/١.

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون : ١١٧]، أي:" إنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة"(٥٥٥٠).

قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : "ما تعبد ؟" قال : أعبد الله ، وكذا وكذا - حتى عدّ أصناما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فأيّهم إذا أصابك ضُرٌّ فدعوتَه ، كشفه عنك ؟". قال : الله عز وجل. قال : "فأيّهم إذا كانت لك حاجة فدعوتَه أعطاكها ؟" قال : الله عز وجل. قال: "فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه ؟" قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه أم حسبت أن يغلب عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تعلمون ولا يعلمون" قال الرجل بعد ما أسلم : لقيت رجلا خصمني"(٥٥٥١).

عن عمران بن حصين، قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة ستة في الأرض وواحدا في السماء. قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال: يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك. قال: فلما أسلم حصين، قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي"(٥٥٥٢).

القرآن

{وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)} [المؤمنون : ١١٨]

التفسير:

وقل -أيها النبي-: ربِّ تجاوَزْ عن الذنوب وارحم؛ وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه.

قوله تعالى:{وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون : ١١٨]، أي:" وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه"(٥٥٥٣).

قال السدي:" يعني: وأنت أفضل من يرحم"(٥٥٥٤).

«آخر تفسير سورة (المؤمنون)، والحمد لله وحده»

(٥٥٥٠) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٥٥٥١) ذكره ابن كثير في التفسير:٥/٥٠٢. وقال:" هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى أبو عيسى الترمذي في جامعه [برقم (٣٤٨٣)] مسندًا عن عمران بن الحُصَيْن ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك".

(٥٥٥٢) سنن الترمذي(٣٤٨٣):ص٣٩٧/٥. وقال:" هذا حديث غريب".

(٥٥٥٣) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٥٥٥٤) تفسير يحيى بن سلام: ٤٢١/١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النور»

سورة «النور»: هي السورة «الرابعة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الحشر»[٥٥٥٥]، عدد آياتها أربع وستون فى العراقى والشامى، واثنتان فى الحجازى. وكلماتها ألف وثلثمائة وستة عشر. وحروفها خمسة آلاف وستمائة وثمانون. المختلف فيها آيتان: {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور : ٣٦] و {يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} [النور : ٤٣][٥٥٥٦].

مجموع فواصل آياتها «لم نرب»، على اللام آية واحدة {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور : ٣٦]، وعلى الباء آيتان {بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور : ٣٨] و {سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩][٥٥٥٧].

- **مكان نزول السورة:**

قال ابن عباس:" أنزلت سورة النور بالمدينة"[٥٥٥٨]. وروي عن ابن الزبير مثله[٥٥٥٩].

قال الفيروزآبادي: " السورة مدنية بالاتفاق"[٥٥٦٠].

قال القرطبي:" سورة النور مدنية بالإجماع"[٥٥٦١].

قال هبة الله بن سلامة:" نزلت جميعها بالمدينة"[٥٥٦٢].

قال ابن عاشور:" وهي مدنية باتفاق أهل العلم ولا يعرف مخالف في ذلك. وقد وقع في نسخ «تفسير القرطبي» عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النور : ٥٨]، الآية في المسألة الرابعة كلمة «وهي مكية»، يعني: الآية. فنسب الخفاجي في «حاشيته» على «تفسير البيضاوي»[٥٥٦٣]، وتبعه الآلوسي[٥٥٦٤]، إلى القرطبي أن تلك الآية مكية مع أن سبب نزولها الذي ذكره القرطبي صريح في أنها نزلت بالمدينة كيف وقد قال القرطبي في أول هذه السورة «مدنية بالإجماع»[٥٥٦٥].

ولعل تحريفا طرأ على النسخ من تفسير القرطبي وأن صواب الكلمة «وهي محكمة»[٥٥٦٦]، أي: غير منسوخ حكمها، فقد وقعت هذه العبارة في تفسير ابن عطية، قال « وهذه الآية محكمة. قال ابن عباس: تركها الناس »[٥٥٦٧] "[٥٥٦٨].

(٥٥٥٥) انظر: الكشاف:٢٠٨/٣.

(٥٥٥٦) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٣٤.

(٥٥٥٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥٥٥٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٢٤/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٥٥٩) انظر: الدر المنثور:١٢٤/٦.

(٥٥٦٠) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٣٤.

(٥٥٦١) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.

(٥٥٦٢) الناسخ والمنسوخ:١٣٠.

(٥٥٦٣) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلى تفْسيرِ البَيضَاوي:٣٥٠/٦، ٣٩٨.

قال:" وهذه الآية مدنية كالسورة لأنّ الغلام أنصاري والآية مصدره بيأيها الذين آمنوا فلا وجه لقول القرطبي رحمه إنها مكية".

(٥٥٦٤) انظر: روح المعاني:٢٧٣/٩.

(٥٥٦٥) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.

(٥٥٦٦) انظر: تفسير القرطبي:٣٠٤/١٢.

(٥٥٦٧) المحرر الوجيز:١٩٣/٤.

(٥٥٦٨) التحرير والتنوير:١٣٩/١٨.

القرآن

{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)} [النور : ١]

التفسير:

هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها، وأوجبنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها دلالات واضحات؛ لتتذكروا -أيها المؤمنون- بهذه الآيات البينات، وتعملوا بها.

قوله تعالى:{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} [النور : ١]، أي:" هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها وأوجبنا العمل بأحكامها"(٥٥٦٩).

عن مجاهد: قوله :"«وَفَرَّضْنَاها»، قال: الأمر بالحلال، والنهي عن الحرام"(٥٥٧٠).

قرأ مجاهد: «وَفَرَّضْناهَا»(٥٥٧١)، بالتشديد، أي: وفصَّلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة، وقرا قرّاء المدينة والكوفة والشام: {وَفَرَضْنَاهَا} بتخفيف الراء، بمعنى: أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم، وألزمناكموه وبيَّنا ذلك لكم(٥٥٧٢).

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [النور : ١]، أي:" وأنزلنا فيها دلالات واضحات"(٥٥٧٣).

عن ابن جُرَيج: "{وَأَنزلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}، قال: الحلال والحرام والحدود"(٥٥٧٤).

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور : ١]، أي:" ؛ لتتذكروا -أيها المؤمنون- بهذه الآيات البينات، وتعملوا بها"(٥٥٧٥).

قال ابن جريج: "يقول: لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها"(٥٥٧٦).

القرآن

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)} [النور : ٢]

التفسير:

الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج، عقوبةُ كل منهما مائة جلدة بالسوط، وثبت في السنة مع هذا الجلد التغريب لمدة عام. ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها، إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر عاملين بأحكام الإسلام، وليحضر العقوبة عدد من المؤمنين; تشنيعًا وزجرًا وعظة واعتبارًا.

قوله تعالى:{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} [النور : ٢]، أي:" الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج، عقوبةُ كل منهما مائة جلدة بالسوط، ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها"(٥٥٧٧).

اختلف أهل التأويل في المنهيّ عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما، على قولين:

أحدهما : أن تدعوه الرحمة إلى إسقاط الحد حتى لا يقام ، قاله مجاهد(٥٥٧٨)، وعطاء بن أبي رباح(٥٥٧٩)، وابن جريج(٥٥٨٠)،

قال ابن جريج:يعني:" لا تضيعوا حدود الله"(٥٥٨١).

قال مجاهد:" لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها"(٥٥٨٢).

(٥٥٦٩) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٥٧٠) أخرجه الطبري:٨٦/١٩.

(٥٥٧١) أخرجه عنه الطبري:٨٦/١٩٩.

(٥٥٧٢) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١٩.

(٥٥٧٣) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٥٧٤)أخرجه الطبري:٩٠/١٩ .

(٥٥٧٥) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٥٧٦)أخرجه الطبري:٩٠/١٩ .

(٥٥٧٧) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٥٧٨) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٩.

(٥٥٧٩) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٩.

(٥٥٨٠) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٩.

(٥٥٨١)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .

قال عطاء:" يقام حد الله ولا يعطل، وليس بالقتل"[٥٥٨٣].

عن إبراهيم، قوله: "{وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، قال: الضرب"[٥٥٨٤].

وقال سعيد بن جبير: "الجلد"[٥٥٨٥].

قال سليمان بن يسار:" أي في الحدود أو في العقوبة؟ قال: ذلك فيهما جميعا"[٥٥٨٦].

قال عمران: "قلت لأبي مجلز: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا} ... إلى قوله: {وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، إنا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدًّا، أو تقطع يده، قال: إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد"[٥٥٨٧].

وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، قال: "جلد ابنُ عمر جاريةً له أحدثت، فجلد رجليها، قال نافع: وحسبت أنه قال: وظهرها، فقلت: {وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، فقال: وأخذتني بها رأفة؟ إن الله لم يأمرني أن أقتلها"[٥٥٨٨].

وفي الحديث: "تعافَوُا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حَدٍّ فقد وَجَب"[٥٥٨٩].

وفي الحديث الآخر : "لَحَدٌّ يقام في الأرض ، خير لأهلها من أن يُمطَروا أربعين صباحا"[٥٥٩٠].

الثاني : أن تدعوه الرحمة إلى تخفيف الضرب حتى لا يؤلم ، قاله الحسن[٥٥٩١]، وسعيد بن المسيب[٥٥٩٢]، وقتادة[٥٥٩٣].

عن أبي جعفر، عن قتادة، عن الحسن وسعيد بن المسيب: "{وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، قال: الجلد الشديد"[٥٥٩٤].

وقال عامر:" الضرب الشديد"[٥٥٩٥].

عن شعبة، عن حماد، قال: " يحدّ القاذف والشارب وعليهما ثيابهما. وأما الزاني فتخلع ثيابه. وتلا هذه الآية: {وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، فقلت لحماد: أهذا في الحكم؟ قال: في الحكم والجلد"[٥٥٩٦].

عن معمر، عن الزهري، قال: "يجتهد في حدّ الزاني والفرية، ويخفف في حدّ الشرب. وقال قتادة: يخفف في الشراب، ويجتهد في الزاني"[٥٥٩٧].

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لدلالة قول الله بعده: {في دين الله}، يعني: في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحد عليهما، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة، مع أن الشدّة في الضرب لا حدّ لها يوقف عليه، وكل ضرب أوجع فهو شديد، وليس للذي يوجع في الشدة حدّ لا زيادة فيه فيؤمر به. وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته، وإذا كان ذلك كذلك، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل، هو عدد الجلد على ما أمر به، وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا. وللعرب في الرأفة لغتان: الرأفة بتسكين الهمزة،

(٥٥٨٢)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .

(٥٥٨٣)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .

(٥٥٨٤)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .

(٥٥٨٥)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .

(٥٥٨٦) أخرجه الطبري:٩٢/١٩.

(٥٥٨٧) أخرجه الطبري:٩١/١٩-٩٢.

(٥٥٨٨) اخرجه الطبري:٩١/١٩.

(٥٥٨٩)رواه أبو داود في السنن برقم (٤٣٧٦) والنسائي في السنن (٧٠/٨) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده.

(٥٥٩٠)المسند (٣٦٢/٢) والنسائي في السنن (٧٥/٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(٥٥٩١) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٩.

(٥٥٩٢) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٩.

(٥٥٩٣) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٩.

(٥٥٩٤) أخرجه الطبري:٩٢/١٩.

(٥٥٩٥) أخرجه الطبري:٩٢/١٩.

(٥٥٩٦) أخرجه الطبري:٩٢/١٩.

(٥٥٩٧) أخرجه الطبري:٩٢/١٩-٩٣.

والرآفة بمدها، كالسأمة والسآمة، والكأبة والكآبة. وكأن الرأفة المرّة الواحدة، والرآفة المصدر، كما قيل: ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة، وقبح قباحة[٥٥٩٨].

قوله تعالى:{وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور : ٢]، أي:" وليحضر العقوبة عدد من المؤمنين; تشنيعًا وزجرًا وعظة واعتبارًا"[٥٥٩٩].

اختلف في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين، على أقوال:

أحدها: أقله واحد. وهذا قول مجاهد[٥٦٠٠]، وحماد[٥٦٠١]، وإبراهيم[٥٦٠٢].

قال مجاهد:" الطائفة: رجل"[٥٦٠٣].

الثاني: الطائفة: الواحد إلى الألف، ومنه قوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات : ٩]. وهذا مروي عن مجاهد أيضا[٥٦٠٤].

الثالث: أن الطائفة: رجل واحد فما فوقه. وهذا قول مجاهد أيضا[٥٦٠٥].

الرابع: أن الطائفة في هذا الموضع، أقله: رجلان. وهذا قول عكرمة[٥٦٠٦]، وعطاء[٥٦٠٧].

قال عكرمة:" ليحضر رجلان فصاعدا"[٥٦٠٨].

الخامس: أن الطائفة: الثلاثة فصاعدا. وهذا قول الزهري[٥٦٠٩].

السادس: أنه نفر من المسلمين. وهذا قول قتادة[٥٦١٠].

عن أشعث، عن أبيه، قال: "أتيت أبا برزة الأسلمي في حاجة، وقد أخرج جارية إلى باب الدار، وقد زنت، فدعا رجلا فقال: اضربها خمسين! فدعا جماعة، ثم قرأ: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}"[٥٦١١].

السابع: أن الطائفة التي يجب بها الحدّ أربعة. وهذا قول ابن زيد[٥٦١٢].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعدًا؛ وذلك أن الله عمّ بقوله: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ} والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد، كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدّ مما، أمره الله به بقوله: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، وإن كان الأمر على ما وصفنا، قد يستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا; لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدّى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك، وهم فيما دون ذلك مختلفون[٥٦١٣].

القرآن

{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)} [النور : ٣]

التفسير:

(٥٥٩٨) تفسير الطبري:١٩/٩٣.

(٥٥٩٩) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٦٠٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٣-٩٤.

(٥٦٠١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.

(٥٦٠٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.

(٥٦٠٣) أخرجه الطبري:١٩/٩٣.

(٥٦٠٤) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.

(٥٦٠٥) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.

(٥٦٠٦) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.

(٥٦٠٧) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.

(٥٦٠٨) أخرجه الطبري:١٩/٩٤.

(٥٦٠٩) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٥.

(٥٦١٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٥.

(٥٦١١) أخرجه الطبري:١٩/٩٥.

(٥٦١٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٥.

(٥٦١٣) تفسير الطبري:١٩/٩٥.

الزاني لا يرضى إلا بنكاح زانية أو مشركة لا تُقِرُّ بحرمة الزنى، والزانية لا ترضى إلا بنكاح زان أو مشرك لا يُقِرُّ بحرمة الزنى، أما العفيفون والعفيفات فإنهم لا يرضون بذلك، وحُرِّم ذلك النكاح على المؤمنين.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: : أنها نزلت مخصوصة في رجل من المسلمين استأذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في امرأة يقال لها أم مهزول كانت من بغايا الجاهلية من ذوات الرايات وشرطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية فيه وفيها. قاله عبد الله بن عمرو(٥٦١٤)، ومجاهد(٥٦١٥).

قال الزهري وقتادة: "كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهنّ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ، فأنزل الله: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلا زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ} ... الآية"(٥٦١٦).

قال سعيد بن جبير:" أن نساء في الجاهلية كنّ يؤاجرن أنفسهنّ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهنّ يريد أن يصيب منها عَرَضا، فنهوا عن ذلك، ونزل: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلا زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ}، ومنهنّ امرأة يقال لها:أمّ مهزول"(٥٦١٧).

وقال عكرمة: "إنه كان يسمِّي تسعا بعد صواحب الرايات، وكنّ أكثر من ذلك، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات: أمّ مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأم عُلِيط جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل، ومَرية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وحلالة جارية سهيل بن عمرو، وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وسريفة جارية زمعة بن الأسود، وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لُؤَيّ، وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر"(٥٦١٨).

الثاني : أنها نزلت في مرثد، إذ كان له صديقة في الجاهلية يقال لها عناق، وكان رجلا شديدا، وكان يقال له دلدل، وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقي صديقته، فدعته إلى نفسها، فقال: إن الله قد حرّم الزنا، فقالت: أنّى تبرز، فخشي أن تشيع عليه، فرجع إلى المدينة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كانت لي صديقة في الجاهلية، فهل ترى لي نكاحها؟ قال: فأنزل الله: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلا زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ}. قال: كنّ نساء معلومات يدعون: القيلقيات. وهذا قول عمرو بن سعيد(٥٦١٩).

الثالث: انه لما قدم المهاجرون المدينة، قدموها وهم بجهد، إلا قليل منهم، والمدينة غالية السعر، شديدة الجهد، الخير بها قليل. وفي السوق زوان متعالمات من أهل الكتاب، وإماء الأنصار منهن أمية وليدة عبد الله بن أبي، ومسيكية بنت أمية لرجل من الأنصار. في بغايا من ولائد الأنصار، وقد رفعت كل امرأة منهن على بابها علامة كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية مؤجرة، وكن من أخصب أهل المدينة وأكثره خيرا، فرغب أناس من المهاجرين المسلمين فيما يكتسبن، للذي هم فيه من الجهد، فأشار بعضهم على بعض، لو تزوجنا بعض هؤلاء الزواني، فنصيب من فضول أطعماتهن، فقال بعضهم: نستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوه فقالوا: يا رسول الله قد شق علينا الجهد، ولا نجد ما نأكل، وفي السوق بغايا نساء أهل الكتاب، وولائدهن وولائد الأنصار، يكتسبن لأنفسهن، فيصلح لنا أن نتزوج منهن، فنصيب من فضول ما يكتسبن، فإذا وجدنا عنه غنى تركناهن، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم بأن ذلك حرام على المؤمنين، أن يتزوجوا الزواني المسافحات المعالنات زناهن، فقال: الزاني من أهل القبلة لا ينكح إلا زانية من بغايا ولائد الأنصار، أو زانية مجلودة في الزنا من أهل القبلة، أو مشركة من أهل الكتاب يهودية أو نصرانية، من بغايا ولائد الأنصار. وهذا قول مقاتل بن حيان(٥٦٢٠).

(٥٦١٤) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٩.
(٥٦١٥) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(٥٦١٦) اخرجه الطبري:٩٩/١٩.
(٥٦١٧) أخرجه الطبري:٩٩/١٩.
(٥٦١٨) أخرجه الطبري:٩٨/١٩-٩٩.
(٥٦١٩) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(٥٦٢٠) انظر: ابن ابي حاتم(١٤١٢٨):ص٢٥٢٢/٨-٢٥٢٣.

قوله تعالى:{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور : ٣]، أي:" الزاني لا يرضى إلا بنكاح زانية أو مشركة لا تُقِرُّ بحرمة الزنى، والزانية لا ترضى إلا بنكاح زان أو مشرك لا يُقِرُّ بحرمة الزنى"(٥٦٢١).

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور : ٣]، على وجوه:

أحدها: أن يكون مقصد الآية تشنيع الزنى وتبشيع أمره، وأنه محرم على المؤمنين، ويكون «النكاح» -في الآية- بمعنى :الجماع. وهذا قول سعيد بن جبير(٥٦٢٢)، وعكرمة(٥٦٢٣).

قال سعيد بن جبير:" ليس بالنكاح الحلال ولكنه السفاح"(٥٦٢٤).

عن سعيد بن جُبير ومجاهد، وعكرمة في قوله: "{الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً}، قالوا: هو الوطء"(٥٦٢٥).

عن شعبة مولى ابن عباس، قال: "سمعت ابن عباس ورجل سأله فقال: إني كنت ألم بامرأة آتي منها ما حرم الله عز وجل علي، فرزقني الله من ذلك توبة، فأردت أن أتزوجها، فقال أناس: إن الزاني لا ينكح إلا زانية، فقال ابن عباس: ليس هذا في هذا، انكحها فما كان من إثم فعلي"(٥٦٢٦).

الثاني: أن الآية خاصة بامرأة اسمها «عناق» صديقة مرثد، إذ كانت كافرة وسبقت قصتهما في سبب نزول الآية. قاله عمرو بن سعيد(٥٦٢٧)، فأما الزانية المسلمة فإن العقد عليها لا يفسخ. وهذا قول الخطابي(٥٦٢٨).

قال مجاهد:" رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان متعالمات، كن كذلك في الجاهلية، فقيل لهم: هذا حرام، فأرادوا نكاحهن فحرم الله عليهم نكاحهن"(٥٦٢٩).

الثالث: أنها مخصوصة في رجل من المسلمين أيضا أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح امرأة يقال لها: «أم مهزول»- وكانت من بغايا الزانيات، وشرطت أن تنفق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية، قاله عبد الله بن عمرو(٥٦٣٠)، ومجاهد(٥٦٣١).

وقال القاسم بن أبي بَزّة: "كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ على تلك الجهة، فنهوا عن ذلك"(٥٦٣٢).

الرابع: أنها مخصوصة في الزاني المحدود لا ينكح إلا زانية محدودة ولا ينكح غير محدودة ولا عفيفة ، والزانية المحدودة لا ينكحها إلا زان محدود ، ولا ينكحها غير محدود ولا عفيف، قاله الحسن(٥٦٣٣)، ورواه أبو هريرة مرفوعاً(٥٦٣٤)، وروي عن إبراهيم النخعي نحو ذلك(٥٦٣٥).

عن أبي هريرة قال: قال: "رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله"(٥٦٣٦).

(٥٦٢١) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٢٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٢٥):ص٢٥٢٢/٨.
(٥٦٢٣) أخرجه الطبري:١٠٠/١٩.
(٥٦٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٢٥):ص٢٥٢٢/٨.
(٥٦٢٥) أخرجه الطبري:١٠٠/١٩.
(٥٦٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٢٠):ص٢٥٢١/٨.
(٥٦٢٧)وهذا قول عمرو بن سعيد ،انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(٥٦٢٨) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٦٨/١٢.
(٥٦٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٣١):ص٢٥٢٤/٨.
(٥٦٣٠) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٩.
(٥٦٣١) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(٥٦٣٢) أخرجه الطبري:٩٩/١٩.
(٥٦٣٣) انظر: النكت والعيون:٧٣/٤.
(٥٦٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٣٣):ص٢٥٢٤/٨.
(٥٦٣٥)انظر: معاني القرآن للنحاس:٤٩٨/٤ .
(٥٦٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٣٣):ص٢٥٢٤/٨، و أخرجه الحاكم ٢/ ١٩٣. وقال: حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

الخامس: أنه عامٌّ في تحريم نكاح الزانية على العفيف ونكاح العفيفة على الزاني ثم نسخ بقوله تعالى : {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُم} [النور : ٣٢]، فأحل نكاح كلّ مسلمة وإنكاح كل مسلم، وهن من أيامى المسلمين. قاله ابن المسيب[٥٦٣٧].

وقول سعيد أولاها، والوجه فيه أن يكون منسوخا وحرم ذلك أن ينكح الرجل زانية والمرأة زانيا[٥٦٣٨].

قوله تعالى:{وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور : ٣]، أي:" وحُرِّم ذلك النكاح على المؤمنين"[٥٦٣٩].

عن سعيد بن جبير قول الله: "{على المؤمنين}، يعني: المصدقين"[٥٦٤٠].

قال أهل العلم:" وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك تحريم إنكاح الزاني حتى يتوب"[٥٦٤١].

القرآن

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)} [النور : ٤]

التفسير:

والذين يتهمون بالفاحشة أنفسًا عفيفة من النساء والرجال مِن دون أن يشهد معهم أربعة شهود عدول، فاجلدوهم بالسوط ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا، وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} [النور : ٤]، أي:" والذين يتهمون بالفاحشة أنفسًا عفيفة من النساء والرجال من دون أن يشهد معهم أربعة شهود عدول"[٥٦٤٢].

عن خصيف، قال: "قلت لسعيد بن جُبير: الزنا أشدّ، أو قذف المحصنة؟ قال: لا بل الزنا. قلت: إن الله يقول: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ}، قال: إنما هذا في حديث عائشة خاصة"[٥٦٤٣].

وقال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} ... الآية في نساء المسلمين"[٥٦٤٤].

قوله تعالى:{فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} [النور : ٤]، أي:" فاجلدوهم بالسوط ثمانين جلدة"[٥٦٤٥].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: الحكام إذا رفع إليهم، جلدوا القاذف ثمانين جلدة"[٥٦٤٦].

قوله تعالى:{وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور : ٤]، أي:" وردوا شهادتهم، ولا تقبلوها أبدا فى أي أمر من الأمور"[٥٦٤٧].

واختلف أهل العلم في قوله تعالى:{وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور : ٤]، على أقوال:

أحدها: أنه إذا تاب القاذف قبلت شهادته، لارتفاع فسقه وعوده إلى عدالته. وهذا قول عمر بن عبد العزيز[٥٦٤٨]، وسعيد بن جبير[٥٦٤٩]، وسعيد بن المسيب[٥٦٥٠]، ومسروق[٥٦٥١]، ومجاهد[٥٦٥٢]،

(٥٦٣٧) انظر: تفسير الطبري:١٠١/١٩.
(٥٦٣٨) معاني القرآن:٥٠٠/٤، و٨٩/٣.
(٥٦٣٩) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٥٥):ص٢٥٢٧/٨.
(٥٦٤١) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٤٢) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٤٣) أخرجه الطبري:١٠٢/١٩.
(٥٦٤٤) أخرجه الطبري:١٠٢/١٩.
(٥٦٤٥) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٦٦):ص٢٥٣٠/٨.
(٥٦٤٧) تفسير المراغي:٧٢/١٨.
(٥٦٤٨) انظر: النكت والعيون:٧٥/٤.
(٥٦٤٩) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٥٦٥٠) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(٥٦٥١) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٥٦٥٢) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.

والضحاك[٥٦٥٣]، والزهري[٥٦٥٤]، والشعبي[٥٦٥٥]، وعطاء[٥٦٥٦]، وطاووس[٥٦٥٧]، وابن ابي نجيح[٥٦٥٨]، وهو مذهب مالك[٥٦٥٩]، والشافعي[٥٦٦٠]، وحكاه الماوردي عن جمهور المفسرين[٥٦٦١].

قال الزُّهريّ: "إذا حدّ القاذف، فإنه ينبغي للإمام أن يستتيبه، فإن تاب قبلت شهادته، وإلا لم تقبل، قال: كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة، فتابوا إلا أبا بكرة، فكان لا تقبل شهادته"[٥٦٦٢].

قال الشعبي:" على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجَلْد، فإن تاب وأونس منه خير جازت شهادته، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته"[٥٦٦٣].

عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي أنه كان يقول:" يقبل الله توبته، وتردّون شهادته، وكان يقبل شهادته إذا تاب"[٥٦٦٤].

الثاني: لا تقبل شهادته أبداً. وهذا مذهب شريح[٥٦٦٥]، والحسن[٥٦٦٦]، ومكحول[٥٦٦٧]، وسعيد بن المسيب-في إحدى الروايات-[٥٦٦٨]، وسعيد بن جبير-في إحدى الروايات-[٥٦٦٩]، وإبراهيم-في إحدى الروايات-[٥٦٧٠]، وعطاء-في إحدى الروايات-[٥٦٧١].

قال الحسن:" القاذف توبته فيما بينه وبين الله، وشهادته لا تُقبل"[٥٦٧٢].

قال سعيد بن المسيب:" لا تجوز شهادة القاذف، توبته فيما بينه وبين الله"[٥٦٧٣].

عن سعيد بن جبير قوله: "{شهادة أبدا}، يعنى: بعد الجلد ما دام حيا"[٥٦٧٤].

قال شريح:" يقبل الله توبته، ولا أقبل شهادته"[٥٦٧٥].

روي عن عطاء، "في المحدود في القذف والسرقة، أتجوز شهادته؟ قال: يقبلها الله ولا أقبلها أنا"[٥٦٧٦].

قال الشعبي:" كان شريح يجيز شهادة صاحب كلّ عمل إذا تاب إلا القاذف، فإن توبته فيما بينه وبين ربه، ولا نجيز شهادته"[٥٦٧٧].

(٥٦٥٣) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(٥٦٥٤) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(٥٦٥٥) انظر: تفسير الطبري:١٠٣/١٩.
(٥٦٥٦) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٥٦٥٧) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٥٦٥٨) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٥٦٥٩) نقلا عن: النكت والعيون:٧٥/٤.
(٥٦٦٠) انظر: تفسير الإمام الشافعي:١١١٩/٣.
(٥٦٦١) انظر: النكت والعيون:٧٥/٤.
(٥٦٦٢) أخرجه الطبري:١٠٥/١٩.
(٥٦٦٣) أخرجه الطبري:١٠٣/١٩.
(٥٦٦٤) أخرجه الطبري:١٠٣/١٩.
(٥٦٦٥) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(٥٦٦٦) انظر: تفسير الطبري:١٠٦/١٩-١٠٧.
(٥٦٦٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧١):ص٢٥٣٠/٨-٢٥٣١.
(٥٦٦٨) انظر: تفسير الطبري:١٠٦/١٩.
(٥٦٦٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧٠):ص٢٥٣٠/٨.
(٥٦٧٠) انظر: تفسير الطبري:١٠٦/١٩-١٠٧، وتفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧٧):ص٢٥٣٢/٨
(٥٦٧١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧٥):ص٢٥٣١/٨.
(٥٦٧٢) أخرجه الطبري:١٠٦/١٩.
(٥٦٧٣) أخرجه الطبري:١٠٦/١٩.
(٥٦٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٠):ص٢٥٣٠/٨.
(٥٦٧٥) أخرجه الطبري:١٠٥/١٩.
(٥٦٧٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٧٥):ص٢٥٣١/٨.
(٥٦٧٧) أخرجه الطبري:١٠٥/١٩.

وروي عن الشعبيّ، بأن ربابا قطع رجلا في قطع الطريق، قال: فقطع يده ورجله. قال: ثم تاب وأصلح، فشهد عند شريح، فأجاز شهادته، قال: فقال المشهود عليه: أتجيز شهادته عليّ وهو أقطع؟ قال: فقال شريح: كل صاحب حدّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح؛ فشهادته جائزة إلا القاذف"(٥٦٧٨).

وروي عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي قال: "كنت يوما جالسا قريبا من مكحول، فأتاني بعض إخواني فسألني، عن المحدود هل تقبل شهادته إذا تاب توبة يعرف المسلمون توبته؟ فقلت: لا. قال: فكأنه استخف بذلك لحداثتي، فقال لغيلان وهو إلى جانب مكحول: يا غيلان كيف تقول: وسأله، عن ذلك، فقال غيلان: تقبل شهادته. قال: عبد الرحمن؟ فقلت لمكحول: يا أبا عبد الله ألا تسمع ما يقول غيلان؟ فقال مكحول: لا تقبل شهادته، فقال غيلان: قال: الله عز وجل: إلا الذين تابوا من بعد ذلك فقال مكحول: ويلك يا غيلان ما أراك تموت إلا مفتونا، قال: الله: {ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا}. قال: ابن جابر: وغيلان هذا الذي صلبه هشام "(٥٦٧٩).

الثالث: تقبل شهادته إذا إعترف على نفسه بأنه قد قال البهتان. وهذا قول الشعبي(٥٦٨٠)، والضحاك(٥٦٨١).

قال الشعبي:" إذا تاب وعلم منه خير، إن شهادته جائزة، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته، وتوبته إكذابه نفسه"(٥٦٨٢).

وقول الجمهور هو الحق، لأن تخصيص التقييد بالجملة الأخيرة[وهو قوله: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]] دون ما قبلها مع كون الكلام واحدا في واقعة شرعية من متكلم واحد خلاف ما تقتضيه لغة العرب، وأولوية الجملة الأخيرة المتصلة بالقيد بكونه قيدا لها لا تنفي كونه قيدا لما قبلها، غاية الأمر أن تقييد الأخيرة بالقيد المتصل بها أظهر من تقييد ما قبلها به، ولهذا كان مجمعا عليه، وكونه أظهر لا ينافي قوله فيما قبلها ظاهرا(٥٦٨٣).

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور : ٤]، أي:" وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله"(٥٦٨٤).

قال سعيد بن جبير:" يعنى، أولئك هم العاصون فيما قالوا من الكذب"(٥٦٨٥).

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)} [النور : ٥]

التفسير:

لكن مَن تاب ونَدم ورجع عن اتهامه وأصلح عمله، فإن الله يغفر ذنبه ويرحمه، ويقبل توبته.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} [النور : ٥]، أي:" لكن مَن تاب ونَدم ورجع عن اتهامه"(٥٦٨٦).

قال سعيد بن جبير:" يعنى: بعد القذف"(٥٦٨٧).

وفي صفة التوبة قولان :

أحدهما : أنها بإكذابه نفسه. به قال الضحاك(٥٦٨٨)، والشعبي(٥٦٨٩)، وطاووس(٥٦٩٠).

قال الضحاك:" من اعترف وأقر على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب إلى الله توبة نصوحا، والنصوح: أن لا يعود وإقراره اعترافه عند الجلد، حيث يؤخذ بالجلد، فقد تاب والله غفور رحيم"(٥٦٩١).

(٥٦٧٨) أخرجه الطبري:١٠٦/١٩.
(٥٦٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٧١):ص٢٥٣٠/٨-٢٥٣١.
(٥٦٨٠) انظر: تفسير الطبري:١٠٣/١٩.
(٥٦٨١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤١٧٦):ص٢٥٣٢/٨.
(٥٦٨٢) أخرجه الطبري:١٠٣/١٩.
(٥٦٨٣) فتح القدير:١١/٤.
(٥٦٨٤) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٧٢):ص٢٥٣١/٨.
(٥٦٨٦) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٩):ص٢٥٣٢/٨.
(٥٦٨٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤١٧٦):ص٢٥٣٢/٨.
(٥٦٨٩) انظر: تفسير الطبري:١٠٣/١٩.
(٥٦٩٠) انظر: تفسير الطبري:١٠٨/١٩.

روي الزهري عن سعيد بن المسيب: "أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كَلَدة حَدّهم. وقال لهم: من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل، ومن لم يفعل لم أجز شهادته، فأكذب شبل نفسه ونافع، وأبَى أبو بكرة أن يفعل. قال الزهريّ: هو والله سنة، فاحفظوه"(٥٦٩٢).

وعن قَتادة :"أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف، فقال: أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك"(٥٦٩٣).

قال حصين:" رأيت رجلا ضرب حدا في قذف بالمدينة، فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه، ثم قال: أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات، قال: فلقيت أبا الزناد، فذكرت ذلك له، قال: فقال: إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه، ولم نعلم منه إلا خيرا قبلت شهادته"(٥٦٩٤).

الثاني : أن توبته منه تكون بصلاح حاله وندمه على قذفه والاستغفار منه وترك العود إلى مثله ، وهذا قول مالك بن أنس(٥٦٩٥)، جماعة من التابعين وغيرهم(٥٦٩٦).

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحد، أو عفي عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه(٥٦٩٧).

قوله تعالى:{وَأَصْلَحُوا} [النور : ٥]، أي:" وأصلح عمله"(٥٦٩٨).

قال سعيد بن جبير:" وأصلحوا العمل"(٥٦٩٩).

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٥]، أي:" فإن الله يغفر ذنبه ويرحمه، ويقبل توبته"(٥٧٠٠).

قال سعيد بن جبير:" {فإن الله غفور}، يعنى: لقذفهم، {رحيم}، يعنى: رحيما بهم بعد التوبة"(٥٧٠١).

قال قتادة:" ثم عاد الله بعد ذلك بعائدته ورحمته، فقال: إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم"(٥٧٠٢).

القرآن

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)} [النور : ٦ - ٧]

التفسير:

والذين يرمون زوجاتهم بالزنى، ولم يكن لهم شهداء على اتهامهم لهنَّ إلا أنفسهم، فعلى الواحد منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: أشهد بالله أني صادق فيما رميتها به من الزنى، ويزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسه باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبًا في قوله.

في سبب نزول الآيات:[٦-٩] قولان:

أحدهما: عن عكرمة عن ابن عباس :"أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه:

(٥٦٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٦):ص٢٥٣٢/٨.
(٥٦٩٢) أخرجه الطبري:١٠٣/١٩.
(٥٦٩٣) أخرجه الطبري:١٠٤/١٩.
(٥٦٩٤) أخرجه الطبري:١٠٨/١٩.
(٥٦٩٥) انظر: تفسير الطبري:١٠٧/١٩-١٠٨.
(٥٦٩٦) انظر: تفسير الطبري:١٠٧/١٩-١٠٨.
(٥٦٩٧) تفسير الطبري:١٠٨/١٩-١٠٩.
(٥٦٩٨) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٦٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٩):ص٢٥٣٢/٨.
(٥٧٠٠) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٧٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٩):ص٢٥٣٢/٨.
(٥٧٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٠):ص٢٥٣٢/٨.

{والذين يرمون أزواجهم} [النور: ٦]، فقرأ حتى بلغ: {إن كان من الصادقين} [النور: ٩]، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب»، ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس: فتلكأت[٥٧٠٣] ونكصت[٥٧٠٤]، حتى ظننا أنها ترجع[٥٧٠٥]، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم[٥٧٠٦]، فمضت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين[٥٧٠٧]، سابغ الأليتين[٥٧٠٨]، خدلج الساقين[٥٧٠٩]، فهو لشريك ابن سحماء[٥٧١٠]»، فجاءت به كذلك[٥٧١١]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»"[٥٧١٢].[صحيح]

الثاني: عن ابن شهاب:" أن سهل بن سعد الساعدي، أخبره: أن عويمرا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري، فقال له: يا عاصم، أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رجع عاصم إلى أهله، جاء عويمر فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عاصم: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألته عنها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس، فقال: يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك، فاذهب فأت بها» قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغا، قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثا، قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب: «فكانت تلك سنة المتلاعنين»[٥٧١٣].[صحيح]

وقال مقاتل:" قرأ النبي- صلى الله عليه وسلم- هاتين الآيتين[٥٧١٤] في خطبة يوم الجمعة، فقال عاصم بن عدى الأنصارى للنبي- صلى الله عليه وسلم-: جعلني الله فداك، لو أن رجلا منا وجد على بطن امرأته رجلا فتكلم جلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة في المسلمين أبدا ويسميه المسلمون فاسقا، فكيف لأحدنا عند ذلك بأربعة شهداء إلى أن تلتمس أحدنا أربعة شهداء فقد فرغ الرجل من حاجته، فأنزل الله- عز وجل- فى

(٥٧٠٣)" فتلكأت " أي: توقفت, يقال: تلكأ في الأمر تلكؤ, إذا تباطأ عند, وتوقف فيه.

(٥٧٠٤)ونكصت " أي: رجعت, وتأخرت, وفي القرآن: {نكص على عقبيه} [الأنفال: ٤٨].

(٥٧٠٥) أي: عن مقالها في تكذيب الزوج, ودعوى البراءة عما رماها به.

(٥٧٠٦)أي: جميع الأيام, وأبد الدهر, أو في مابقي من الأيام = بالإعراض عن اللعان, والرجوع إلى تصديق الزوج.
وأريد باليوم: الجنس, ولذلك أجراه مجرى العام, و (السائر) كما يطلق للباقي يطلق للجميع.

(٥٧٠٧) أي: الذي يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال, ويقال: عين كحيل, وامرأة كحلاء.

(٥٧٠٨) أي: كبيرهما, يقال للشيء إذا كان تاما وافيا وافرا: إنه سابغ.

(٥٧٠٩)أي: سمينهما.

(٥٧١٠)أي: في باطن الأمر لظهور الشبه.

(٥٧١١)أي: ولدت ولداً يشبه شريكاً في الصفات المذكورة.
قال الطيبي - رحمه الله -: وفي إتيان الولد على الوصف الذي ذكره - صلوات الله عليه - هنا وفي قصة عويمر بأحد الوصفين المذكورين، مع جواز أن يكون على خلاف ذلك - معجزة وإخبار بالغيب.[مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:٥/٢١٦٢]

(٥٧١٢)أخرجه البخاري (فتح الباري: ٤٤٩/٨ - ح: ٤٧٤٧) وأبو داود (٦٨٦/٢ - ح: ٢٢٥٤) والترمذي (٣٣١/٥ - ح: ٣١٧٩) وابن ماجه (٦٦٨/١ - ح: ٢٠٦٧) والدارقطني (٢٧٧/٣ - ح: ١٢٢).
وأخرجه مسلم (١١٣٤/٢ - ح: ١٤٩٦) عن أنس مختصرا بمعناه.
وأخرجه بنحوه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٥/١٧ - ح: ٥٠)، والبيهقي في السنن (٧/ ٣٩٤)، والطبري (١١٢/١٩)، وأبو داود (٦٨٨/٢ - ح: ٢٢٥٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٤)، وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه: (الدر المنثور:١٩/٥، وفتح القدير: ١١/٤) من طريق عباد بن منصور عن عكرمة به, وفيه عنعنة عباد وهو مدلس (تقريب التهذيب: ٣٩٣/١ - رقم: ١٠٧).

(٥٧١٣) أخرجه احمد(٢٢٨٥١)، والبخاري (٥٢٥٩) و (٥٣٠٨) ، ومسلم (١٤٩٢) (١) ، وأبو داود (٢٢٤٥) ، والنسائي ١٤٣/٦-١٤٤، وابن الجارود (٧٣٧) ، وابن حبان (٤٢٨٤) ، والطبراني في "الكبير" (٥٦٧٥) و (٥٦٧٦) ، والبيهقي ٣٩٨/٧-٣٩٩ و٣٩٩، والبغوي في "شرح السنة" (٢٣٦٦) ، وفي "التفسير" ٣٢٤/٣.
وهو في "الموطأ" ٥٦٦/٢-٥٦٧، ومن طريقه أخرجه الشافعي ٤٤/٢، والدارمي (٢٢٢٩).

(٥٧١٤) يقصد: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)} [النور : ٤ - ٥].

قوله: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٦]، إلى ثلاث آيات..."[٥٧١٥].

قال النووي: "اختلفوا في نزول آية اللعان هل هو بسبب عويمر أم بسبب هلال، والأكثرون على أنها نزلت في هلال، ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعا"[٥٧١٦].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ} [النور : ٦]، أي:"والذين يقذفون زوجاتهم بالزنى"[٥٧١٧].

قال سعيد بن جبير:" هو الرجل يرمي امرأته بالزنا"[٥٧١٨].

عن عكرمة، قوله: "{والذين يرمون أزواجهم}، قال: هلال بن أمية: والذي رميت به شريك بن سحماء، والذي استفتى عاصم بن عدي"[٥٧١٩].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ} [النور : ٦]، أي:" وليس لهم شهود يشهدون بما رموهنَّ به من الزنى سوى شهادة أنفسهم"[٥٧٢٠].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: ليس للرجل شهادة غيره أن امرأته قد زنت، فيرفع ذلك إلى الحكام"[٥٧٢١].

قوله تعالى:{فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٦]، أي:" فعلى الواحد منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: أشهد بالله أني صادق فيما رميتها به من الزنى"[٥٧٢٢].

قال سعيد بن جبير:" يقوم الزوج بعد الصلاة في المسجد، فيحلف أربع شهادات بالله، ويقول: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أن فلانة –يعنى: امرأته- زانية..."[٥٧٢٣].

(٥٧١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٨٤/٣-١٨٧. ثم قال :".. ، فابتلى الله- عز وجل- عاصما بذلك في يوم الجمعة الأخرى، فأتاه ابن عمه عويمر الأنصاري من بني العجلان بن عمرو بن عوف وتحته ابنة عمه أخى أبيه، فرماها بابن عمه شريك بن السحماء، والخليل والزوج والمرأة كلهم من بني عمرو بن عوف وكلهم بنو عم عاصم فقال: يا عاصم، لقد رأيت شريكا على بطن امرأتي فاسترجع عاصم فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: أرأيت سؤالي عن هذه والذين يرمون أزواجهم فقد ابتليت بها في أهل بيتي، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- وما ذاك يا عاصم، فقال: أتاني ابن عمي فأخبرني أنه وجد ابن عم لنا على بطن امرأته فأرسل النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى الزوج والخليل والمرأة فأتوه، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لزوجها عويمر: ويحك اتق الله- عز وجل- في خليلتك وابنة عمك أن تقذفها بالزنا. فقال الزوج: أقسم لك بالله- عز وجل- إني رأيته معها على بطنها وإنها لحبلى منه، وما قربتها منذ أربعة أشهر. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- للمرأة: خولة بنت قيس الأنصارية ويحك ما يقول زوجك، قالت: أحلف بالله إنه لكاذب، ولكنه غار، ولقد رءانى معه نطيل السمر بالليل والجلوس بالنهار، فما رأيت ذلك في وجهه، وما نهاني عنه قط، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- للخليل: ويحك ما يقول ابن عمك فحدثه مثل قولها، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- للزوج والمرأة: قوما فاحلفا بالله- عز وجل. فقام الزوج عند المنبر دبر صلاة العصر يوم الجمعة وهو عويمر بن أمية، فقال: أشهد بالله أن فلانة زانية يعني امرأته خولة، وإني لمن الصادقين، ثم قال الثانية: أشهد بالله أن فلانة زانية ولقد رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين، ثم قال الثالثة: أشهد بالله أن فلانة زانية وإنها لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين.ثم قال في الرابعة: أشهد بالله أن فلانة زانية وما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين. ثم قال الخامسة: لعنة الله على عويمر إن كان من الكاذبين عليها فى قوله. {وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٧]. ثم قامت خولة بنت قيس الأنصاري مقام زوجها، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين، ثم قالت الثانية: أشهد بالله ما أنا بزانية، وما رأى شريكا على بطني وإن زوجي لمن الكاذبين.ثم قالت الثالثة: أشهد بالله ما أنا بزانية وإني لحبلى منه وإنه لمن الكاذبين.ثم قالت الرابعة: أشهد بالله ما أنا بزانية وما رأى علي من ريبة ولا فاحشة وإن زوجي لمن الكاذبين. ثم قالت الخامسة: غضب الله على خولة إن كان عويمرا من الصادقين في قوله. ففرق النبي- صلى الله عليه وسلم- بينهما، فذلك قوله- عز وجل-: {ويدرؤا عنها العذاب} يقول يدفع عنها الحد: {لشهادتها} بعد {أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٨]، {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ} [النور : ٩] زوجها { مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٩]، في قوله، وكان الخليل رجلا أسود ابن حبشية، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا ولدت فلا ترضع ولدها حتى تأتوني به فأتوه بولدها فإذا هو أشبه الناس بالخليل، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- :«لولا الأيمان لكان لي فيهما أمر".

وأخرج ابن ابي حاتم(١٤١٨٥):ص٢٥٣٥/٨ -٢٥٣٦ عن مقاتل بن حيان نحوه.

(٥٧١٦)منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري:٦٣/٥.

(٥٧١٧) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.

(٥٧١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨١):ص٢٥٣٢/٨.

(٥٧١٩) أخرجه الطبري:١١٤/١٩.

(٥٧٢٠) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.

(٥٧٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨١):ص٢٥٣٢/٨.

(٥٧٢٢) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٧٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨١):ص٢٥٣٢/٨.

قوله تعالى:{وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٧]، أي:" ويزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسه باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبًا في قوله"(٥٧٢٤).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{والخامسة أن لعنت الله عليه}،" يعني: على نفسه {إن كان من الكاذبين}"(٥٧٢٥).

عن عكرمة قوله: "{والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين}، قال: وجبت"(٥٧٢٦).

القرآن

{وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)} [النور : ٨ - ٩]

التفسير:

وبشهادته تستوجب الزوجة عقوبة الزنى، وهي الرجم حتى الموت، ولا يدفع عنها هذه العقوبة إلا أن تشهد في مقابل شهادته أربع شهادات بالله إنه لكاذب في اتهامه لها بالزنى، وتزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسها باستحقاقها غضب الله، إن كان زوجها صادقًا فى اتهامه لها، وفي هذه الحال يفرق بينهما.

قوله تعالى:{وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٨]، أي:" ويدفع عن الزوجة المقذوفة حدَّ الزنى الذي ثبت بشهادة الزوج أن تحلف أربع مرات إنه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى"(٥٧٢٧).

قال سعيد بن جبير:" يعنى: فتقوم المرأة مقام زوجها فتقول أربع مرات: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو إني لست بزانية، وإن زوجي لمن الكاذبين"(٥٧٢٨).

عن سعيد بن جبير، قوله: " {ويدرؤا عنها العذاب}، يعنى: يدفع"(٥٧٢٩)، "قوله: {عنها العذاب}، يعنى: يدفع الحكام، عن المرأة. قوله: {العذاب}، يعنى: الحد، بعد {أن تشهد أربع شهادات بالله}، يعني: زوجها، {إنه لمن الكاذبين}"(٥٧٣٠).

عن قتادة: {ويدرؤا عنها العذاب}، " أي: عذاب الدنيا"(٥٧٣١).

قوله تعالى:{وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٩]، أي:" وتحلف في المرة الخامسة بأنَّ غضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقاً في اتهامه لها بالزنى"(٥٧٣٢).

قال سعيد ن جبير:" يعنى: إن كان زوجها في قوله {لمن الصادقين}"(٥٧٣٣).

عن عكرمة: "{والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين}، قال: وجبت"(٥٧٣٤).

القرآن

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)} [النور : ١٠]

التفسير:

ولولا تفضُّل الله عليكم ورحمته -أيها المؤمنون- بهذا التشريع للأزواج والزوجات، لأحلَّ بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه، وأن الله تواب لمن تاب مِن عباده، حكيم في شرعه وتدبيره.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} [النور : ١٠]، أي:" ولولا تفضُّل الله عليكم ورحمته -أيها المؤمنون- بهذا التشريع للأزواج والزوجات، لأحلَّ بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه"(٥٧٣٥).

(٥٧٢٤) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥٧٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٧):ص٢٥٣٦/٨.
(٥٧٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٦):ص٢٥٣٦/٨.
(٥٧٢٧) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.
(٥٧٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩٢):ص٢٥٣٦/٨-٢٥٣٧.
(٥٧٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٨):ص٢٥٣٦/٨.
(٥٧٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٩):ص٢٥٣٦/٨.
(٥٧٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩١):ص٢٥٣٦/٨.
(٥٧٣٢) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.
(٥٧٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩٩):ص٢٥٣٨/٨.
(٥٧٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩٨):ص٢٥٣٨/٨.

عن سعيد بن جبير قوله: "{ورحمته}، يعنى: ونعمه لأظهر على المذنب، يعنى: الكاذب منهما"[٥٧٣٦].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} [النور : ١٠]، وجهان:

احدها: فضل الله: الدين. قاله مجاهد[٥٧٣٧].

الثاني: أن فضل الله: القرآن. قاله سعيد بن جبير[٥٧٣٨].

الثالث: أن : فضل الله الإسلام. وهذا قول قتادة[٥٧٣٩].

قال أبو مالك:" كل ما في القرآن «ولولا» فهو: «فهلا»، إلا حرفين في يونس، فقوله: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَت} [يونس : ٩٨]، يقول: فما كانت قرية آمنت، وقوله: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات : ١٤٣]، يقول: فما كان من القرون من قبلكم"[٥٧٤٠].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} [النور : ١٠]، أي:" وأن الله تواب لمن تاب مِن عباده، حكيم في شرعه وتدبيره"[٥٧٤١].

عن سعيد بن جبير قوله: " {وأن الله تواب}، يعنى: على من تاب، وقوله: {حكيم}، يعني: حكم الملاعنة"[٥٧٤٢].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)} [النور : ١١]

التفسير:

إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم -معشر المسلمين- لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم، لما تضمن ذلك مِن تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب، والذي تحمَّل معظمه، وهو عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول كبير المنافقين -لعنه الله- له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار"[٥٧٤٣].

سبب نزول الآيات:[١١-٢٠]:

عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه، قال الزهري: "وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم أوعى من بعض، وأثبت له اقتصاصا، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضا زعموا أن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودج، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت، فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج، فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت

(٥٧٣٥) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٧٣٦) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٠٥):ص٢٥٣٩/٨.

(٥٧٣٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٠٢):ص٢٥٣٨/٨.

(٥٧٣٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٠٣):ص٢٥٣٨/٨.

(٥٧٣٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٥٣٩/٨. ذكره دون إسناد.

(٥٧٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٠١):ص٢٥٣٨/٨.

(٥٧٤١) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٥٧٤٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٠٥):ص٢٥٣٩/٨.

(٥٧٤٣) التفسير الميسر:٣٥١.

عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد، فأممت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدونني، فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي، فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي، أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم»، لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي، فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا، فقالت: يا هنتاه، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم فقال: «كيف تيكم»، فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا، قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: «يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟»، فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا، ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية - فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس، والخزرج حتى هموا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فنزل، فخفضهم حتى سكتوا، وسكت وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينا هما جالسان عندي، وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال: «يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه»، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا، إلا أبا يوسف إذ قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف : ١٨]، ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق

في يوم شات، فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: «يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله»، فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: لا والله، لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ}[٥٧٤٤] الآيات، فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا} إلى قوله: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٢٢] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه"[٥٧٤٥].

قال ابن كثير:" هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام فقال : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ}.."[٥٧٤٦].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ} [النور : ١١]، أي:" إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم -معشر المسلمين- لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب"[٥٧٤٧].

عن الضحاك:"{الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم}، الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان"[٥٧٤٨].

عن عروة: "أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إلي تسألني في الذين جاءوا بالإفك، وهم كما قال الله: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم}، وأنه لم يسم منهم أحد إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم; غير أنهم عصبة كما قال الله"[٥٧٤٩].

عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: تفاخرت عائشة وزينب، قال: فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء قال: وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة، فقالت لها زينب: يا عائشة، ما قلت حين ركبتيها، قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين"[٥٧٥٠].

قوله تعالى:{وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور : ١١]، أي:" والذي تولى معظمه وأشاع هذا البهتان -وهو «ابن سلول» رأس النفاق-، له في الآخرة عذاب شديد في نار جهنم"[٥٧٥١].

عن الضحاك ، قوله:"{والذي تولى كبره منهم}، يقول: الذي بدأ بذلك"[٥٧٥٢].

قال مجاهد:" بدأ به"[٥٧٥٣].

(٥٧٤٤)[النور : ١١].

(٥٧٤٥)أخرجه البخاري (فتح الباري: ٢٦٩/٥ - ح: ٢٦٦١) ومسلم (٢١٢٩/٤ - ح: ٢٧٧٠) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١١٦/٢٢ - ح: ٩٣٩) والترمذي (٣٣٢/٥ - ح: ٣١٨٠) وابن جرير (٧١/١٨) والطبراني (المعجم الكبير: ٥٠/٢٣ - ٥٥ - ح: ١٣٣) والبيهقي في الدلائل (٦٤/٤ - ٧١) كلهم من طريق الزهري به. وللمزيد من تفاصيل القصة راجع:

١ - تفسير ابن جرير (٧١/١٨ - ٧٦) .

٢ - تفسير ابن كثير (٢٧١/٣ - ٢٧٢) .

٣ - فتح الباري (٨/ ٤٥٥ - ٤٨١) .

معجم الطبراني الكبير (٥٠/٢٣ - ١٣٣).

(٥٧٤٦) تفسير ابن كثير:٢٠/٦.

(٥٧٤٧) التفسير الميسر:٣٥١.

(٥٧٤٨) أخرجه الطبري:١١٦/١٩.

(٥٧٤٩) أخرجه الطبري:١١٦/١٩.

(٥٧٥٠) أخرجه الطبري:١١٨/١٩-١١٩.

(٥٧٥١) صفوة التفاسير:٣٠٠/٢.

(٥٧٥٢) أخرجه الطبري:١١٦/١٩.

(٥٧٥٣) تفسير يحيى بن سلام: ٤٣٢/١.

عن سعيد بن جبير: "{والذي تولى كبره}، يعنى: عظمه، يعنى: الذي تولى تلك الخطيئة بنفسه، وهو أعظم إثما عند الله عز وجل هم المأخوذون به، فإذا كانت خطيئة من المسلمين فمن شهد وكره فهو الغائب، ومن غاب ورضي فهو مثل الشاهد"(٥٧٥٤).

عن سعيد بن جبير في قول الله:"{منهم}، يعنى: من العصبة، وهو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، هو الذي قال: ما برئت منه وما برىء منها"(٥٧٥٥).

وفي متولي كبره، ثلاثة أقوال:

أحدهما : أنه عبد الله بن أبيّ المنافق، والعذاب العظيم: جهنم، وهذا قول ابن المسيب(٥٧٥٦)، ومجاهد(٥٧٥٧)، والسدي(٥٧٥٨).

قالت عائشة-رضي الله عنها-:" كان الذي تولى كبره: الذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أبي ابن سلول"(٥٧٥٩).

الثاني: حسان بن ثابت. وهذا مروي عن عائشة أيضا(٥٧٦٠).

قال ابن كثير:" وقيل : بل المراد به حسان بن ثابت، وهو قول غريب ، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر ، وأحسن محاسنه أنه كان يَذُب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هاجهم وجبريل معك»(٥٧٦١)"(٥٧٦٢).

عن عامر، أن عائشة قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة، قوله لأبي سفيان(٥٧٦٣):

هَجَوتَ مُحَمَّدا فَأجبتُ عنه... وَعندَ الله في ذاك الجزاءُ

فَإنَ أبي وَوَالده وعِرْضي... لعرْضِ مُحَمَّد منكم وقاءُ

أتَشْتُمُه ، ولستَ له بكُفءٍ?... فَشَرُّكُمَا لخَيْرِكُمَا الفدَاءُ

لِسَانِي صَارِمٌ لا عَيْبَ فِيه... وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

فقيل: يا أم المؤمنين، أليس هذا لغوا؟ قالت; لا إنما اللغو ما قيل عند النساء. قيل: أليس الله يقول: {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم}، قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم، أليس قد ذهب بصره، وكنع بالسيف(٥٧٦٤)"(٥٧٦٥).

قال مسروق:" كنت عند عائشة، فدخل حسان بن ثابت، فأمرت، فألقي له وسادة; فلما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا، وقد قال الله ما قال؟ فقالت: قال الله: {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم}، وقد ذهب بصره، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم: ذهاب بصره"(٥٧٦٦).

(٥٧٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢١٦):ص٢٥٤٥/٨.

(٥٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢١٧):ص٢٥٤٥/٨.

(٥٧٥٦) انظر: النكت والعيون: ٨٠/٤.

(٥٧٥٧) انظر: تفسير الطبري:١١٩/١٩-١٢٠.

(٥٧٥٨) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٥٤/١٦، وزاد المسير: ٦/ ١٩.

(٥٧٥٩) أخرجه الطبري:١١٩/١٩.

(٥٧٦٠) انظر: تفسير الطبري:١١٧/١٩-١١٩.

(٥٧٦١) أخرجه أحمد(١٨٦٩٠):ص٦٢٣/٣٠، والبخاري(٣٢١٣):ص١١٢/٤، ومسلم(١٥٣):ص١٩٣٣/٤، وأبو داود(٧٦٦):ص٩٧/٢، وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/٤. من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه -.

(٥٧٦٢) تفسير ابن كثير:٢٥/٦-٢٦.

(٥٧٦٣)هذه الأبيات الأربعة لحسان بن ثابت الأنصاري، شاعر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، يهجو بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شاعر قريش قبل إسلامه. وهي من قصيدته التي مطلعها:: " عفت ذات الأصابع فالجواء ". والأبيات قرب نهاية القصيدة، وقبلها:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء

وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام طبعة الحلبي: ٤/ ٦٤ - ٦٦ .

(٥٧٦٤)كنع بالسيف: ضرب به حتى يبس جلده (اللسان).

تعني : الضربة التي ضربه إياها صفوان بن المعطل السلمي، حين بلغه عنه أنه يتكلم في ذلك ، فعلاه بالسيف ، وكاد أن يقتله. تفسير ابن كثير:٢٦/٦.

(٥٧٦٥) أخرجه الطبري:١١٧/١٩-١١٨.

وفي رواية عن مسروق:" دخل حسان بن ثابت على عائشة، فشبب بأبيات له، فقال[٥٧٦٧]:
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فقالت عائشة: أما إنك لست كذلك، فقلت: تدعين هذا الرجل يدخل عليك، وقد أنزل الله فيه: {والذي تولى كبره} الآية؟ فقالت: وأي عذاب أشد من العمى، وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٥٧٦٨].

والأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سَلُول - قبحه الله ولعنه -[٥٧٦٩].

القرآن

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢)} [النور : ١٢]

التفسير:

هلا ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيرًا عند سماعهم ذلك الإفك، وهو السلامة مما رموا به، وقالوا في ذلك الحين: هذا كذبٌ ظاهر مبين.

قوله تعالى:{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} [النور : ١٢]، أي:" هلا ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيرًا عند سماعهم ذلك الإفك"[٥٧٧٠].

عن سعيد بن جبير: "ثم وعظ الذين خاضوا في أمر عائشة، فقال: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ}، يعنى: هلا كذبتم به، وقوله: {سَمِعْتُمُوهُ} يعنى، قذف عائشة بصفوان، وقوله: {ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ} لأن فيهم حمنة بنت جحش"[٥٧٧١].

عن سعيد بن جبير في قول الله:"{بأنفسهم خيرا}، يقول: ألا ظن بعضهم ببعض خيرا بأنهم لم يزنوا"[٥٧٧٢]. قوله: {إفك مبين}، يقول: هذا القذف كذب {مبين}، يعنى: كذب بين"[٥٧٧٣].

عن قتادة: "{إفك مبين}، يقول: هذا القذف كذب"[٥٧٧٤].

عن السدي قوله: "{لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا}، يقول: بأهل ملتهم أنهم لا يزنون"[٥٧٧٥].

عن الحسن: "{لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا}، كما يظن الرجل إذا خلا بأمه"[٥٧٧٦].

قال ابن إسحاق: "حدثني أبي، عن أشياخ من الأنصار إن الذي نزلت فيه هذه الآية: ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أن أم أيوب قالت: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قالت: فقال: أكنت أنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة والله خير منك، إنما هذا كذب وإفك باطل"[٥٧٧٧].

(٥٧٦٦) أخرجه الطبري:١١٨/١٩.

(٥٧٦٧)هذا عجز بيت لحسان بن ثابت، من أبيات له في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه بعد أن نزلت براءتها في سورة النور، من الإفك الذي خاض فيه بعض الصحابة، وكان حسان من أشدهم خوضا فيه، حتى إذا حصحص الحق، وظهرت براءة أم المؤمنين ندم حسان واعتذر، وقال يمدحها في أبيات له. وصدر البيت * حصان رزان ما تزن بريبة *
والحصان: العفيفة والرزان: الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش. وتزن ترمي وتتهم. والريبة: التهمة والشك. وغرثى: جائعة، يريد لا تغتاب النساء، والغوافل: جمع غافلة، وهي التي غفل قلبها عن الشر (وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ٣/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٥٧٦٨) أخرجه الطبري:١١٨/١٩.

(٥٧٦٩) تفسير ابن كثير:٢٥/٦.

(٥٧٧٠) التفسير الميسر:٣٥١.

(٥٧٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٠):ص٢٥٤٥/٨-٢٥٤٦.

(٥٧٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٣):ص٢٥٤٦/٨.

(٥٧٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٧):ص٢٥٤٧/٨.

(٥٧٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٧):ص٢٥٤٧/٨.

(٥٧٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٤):ص٢٥٤٦/٨.

(٥٧٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٦):ص٢٤٥٧/٨.

(٥٧٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٥):ص٢٥٤٦/٨-٢٤٥٧.

القرآن

{لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣)} [النور : ١٣]

التفسير:

هلا أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم، فحين لم يفعلوا ذلك فأولئك هم الكاذبون عند الله.

قوله تعالى:{لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} [النور : ١٣]، أي:" هلا أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم"(٥٧٧٨).

عن سعيد بن جبير:" {لَوْلَا جَاءُوا}، يعنى: هلا جاءوا {عَلَيْهِ}، يعنى: على القذف"(٥٧٧٩).

عن قتادة قوله: {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ}، قال:" ذكر لنا أن سعد بن عبادة قال: لو وجدت مع أم أثاث رجلا ما أضربت به الأربعة. أن أضربه. فلما بلغ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: كفى بالسيف شاهدا، ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: أخشى السكران والغيران، لا إلا بأربعة، ثم قال لسعد بن عبادة: عمر أغير منك، وأنا أغير من عمر، والله أغير مني، بلغ من غيرة الله أنه حرم الفواحش، ونهى عنها، وحد الحدود"(٥٧٨٠).

قوله تعالى:{فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النور : ١٣]، أي:" فإن عجزوا ولم يأتوا على دعواهم بالشهود، فأولئك هم المفسدون الكاذبون في حكم الله وشرعه"(٥٧٨١).

عن سعيد بن جبير:" { فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ}، يعني: الذين قذفوا عائشة، يعنى: في قولهم"(٥٧٨٢).

عن عبد السلام: "سمعت الشعبي قال في رجل يقول لرجل: يا زاني وهو يعلم أنه قد زنا: الحد عليه؟ قال: نعم فإن الله عز وجل قال: {فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون}"(٥٧٨٣).

القرآن

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤)} [النور : ١٤]

التفسير:

ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمته لكم بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجِّل عقوبتكم، وتاب على مَن تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم.

عن سعيد بن جبير في قول الله: "{في الدنيا والآخرة}، يعني: من العقوبة، وقوله: {لمسكم فيما أفضتم فيه}، يعنى: فيما قلتم، وقوله: {فيه}، يعنى: في القذف، وقوله: {عذاب عظيم}، يقول: لأصابكم من العقوبة في الدنيا والآخرة، فيها تقديم"(٥٧٨٤).

القرآن

{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)} [النور : ١٥]

التفسير:

حين تتلقفون الإفك وتتناقلونه بأفواهكم، وهو قول باطل، وليس عندكم به علم، وهما محظوران: التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وتظنون ذلك شيئًا هيِّنًا، وهو عند الله عظيم. وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل.

قوله تعالى:{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ} [النور : ١٥]، أي:" وذلك حين تتلقون الإفك ويأخذه بعضكم من بعض بالسؤال"(٥٧٨٥).

(٥٧٧٨) التفسير الميسر:٣٥١.

(٥٧٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٨):ص٢٥٤٧/٨.

(٥٧٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٢٩):ص٢٥٤٧/٨.

(٥٧٨١) صفوة التفاسير:٣٠٠/٢.

(٥٧٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٣١):ص٢٥٤٧/٨-٢٥٤٨.

(٥٧٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٣٠):ص٢٥٤٧/٨.

(٥٧٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٣٣):ص٢٥٤٨/٨.

قال سعيد بن جبير:" وذلك حين خاضوا في أمر عائشة فقال بعضهم: سمعت من فلان يقول كذا وكذا، وقال بعضهم: بلى كان كذا وكذا، فقال: تلقونه بألسنتكم، يعني: يرويه بعض، عن بعض، سمعتم من فلان، وسمعتم من فلان"[٥٧٨٦].

قال مجاهد:" يرويه بعضكم، عن بعض"[٥٧٨٧]. وروي عن قتادة[٥٧٨٨] نحوه.

وحكى ابن أبي مليكة أنه سمع عائشة تقرأ :«إِذْ تَلَقُونَه بِأَلْسِنَتِكُمْ»[٥٧٨٩]، معناه إذ تسرعون بالكذب، يقال: ولق يلق إذا أسرع في الكذب وغيره[٥٧٩٠].

عن ابن أبي مليكة، عن عائشة" أنها كانت تقرأ : «إِذْ تَلَقُونَه»، وتقول : إنما هو وَلَق القول - والوَلَق: الكذب. قال ابن أبي مليكة: هي أعلم به من غيرها"[٥٧٩١].

وقالت عائشة-رضي الله عنها-:" إنما كانوا يلقون الكذب"[٥٧٩٢].

والقراءة الأولى أشهر ، وعليها الجمهور ، ولكن الثانية مَرْوِيَّة عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-[٥٧٩٣].

قوله تعالى:{وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} [النور : ١٥]، أي:" وتقولون ما ليس له حقيقة في الواقع، وإنما هو محض كذبٍ وبهتان"[٥٧٩٤].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{بأفواهكم}، يعنى: بألسنتكم، يعنى: من قذفوها، قوله :"{ما ليس لكم به علم}، يعنى: من غير أن تعلموا أن الذي قلتم من القذف حق"[٥٧٩٥].

قال الحسن:" القذف قذفان، أحدهما أن تقول: إن فلانة زانية. هذا فيه الحد. والآخر أن تقول: إن الناس يقولون إن فلانة زانية. فليس في هذا حد"[٥٧٩٦].

قوله تعالى:{وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور : ١٥]، أي:" وتظنونه ذنباً صغيراً لا يلحقكم فيه إثم والحال أنه عند الله من أعظم الموبقات والجرائم"[٥٧٩٧].

عن سعيد بن جبير، قوله: " {وتحسبونه هينا}، وتحسبون القذف هينا، {وهو عند الله عظيم}، يعنى: في الوزر"[٥٧٩٨].

وفي الحديث:«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخَط الله ، لا يدري ما تَبْلُغ ، يهوي بها في النار أبْعَد ما بين السماء والأرض». وفي رواية : «لا يلقي لها بالا"»[٥٧٩٩].

القرآن

{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)} [النور : ١٦]

التفسير:

وهلا قلتم عند سماعكم إياه: ما يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب، تنزيهًا لك - يارب - مِن قول ذلك على زوجة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كذب عظيم في الوزر واستحقاق الذنب.

سبب النزول:

(٥٧٨٥) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.

(٥٧٨٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٢٥٤٨/٨.

(٥٧٨٧)تفسير الطبري:١٣٢/١٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١٤٢٣٥):ص٢٥٤٨/٨.

(٥٧٨٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٣٣/١.

(٥٧٨٩)صحيح البخاري برقم (٤١٤٤ ، ٤٧٥٢).

(٥٧٩٠)انظر: معاني القرآن:٣٨/٤ .

(٥٧٩١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٢٨/٦.

(٥٧٩٢) أخرجه الطبري:١٣١/١٩.

(٥٧٩٣) تفسير ابن كثير:٢٨/٦.

(٥٧٩٤) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.

(٥٧٩٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٢٥٤٨/٨.

(٥٧٩٦) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٣٣/١.

(٥٧٩٧) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.

(٥٧٩٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٢٥٤٨/٨-٢٥٤٩.

(٥٧٩٩)صحيح البخاري برقم (٦٤٧٨) وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

عن عطاء الخراساني، عن الزهري، عن عروة: "أن عائشة رضي الله عنها حدثته بحديث الإفك وقالت فيه: وكان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته فقالت: يا أبا أيوب، ألم تسمع بما يتحدث الناس؟ قال: وما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم. قالت: فأنزل الله عز وجل: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}"(٥٨٠٠).

قوله تعالى:{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا} [النور : ١٦]، أي:" وهلا قلتم عند سماعكم إياه: ما يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب"(٥٨٠١).

قال الحسن:" قالوا: هذا لا ينبغي لنا أن نتكلم به، إلا من قام عليه أربعة من الشهود، أو أقيم عليه حد الزنا"(٥٨٠٢).

عن سعيد بن جبير، قوله: " قوله: {لولا إذ سمعتموه}، يعنى: القذف، {قلتم ما يكون لنا}، يعنى: ألا قلتم: ما يكون لنا، يعنى: ما ينبغي لنا، {أن نتكلم بهذا}، يعنى: القذف، ولم تره أعيننا"(٥٨٠٣).

قال أهل العلم:" هذا تأديب آخر بعد الأول : الآمر بالظن خيرا أي : إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيرا ، وألا يشعر نفسه سوى ذلك ، ثم إن عَلِق بنفسه شيء من ذلك - وسوسةً أو خيالا - فلا ينبغي أن يتكلم به ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله تجاوز لأمتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»(٥٨٠٤)(٥٨٠٥).

قوله تعالى:{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور : ١٦]، أي:" سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله الطاهرة البريئة فإن هذا الافتراء كذبٌ واضح، عظيم في الوزر واستحقاق الذنب"(٥٨٠٦).

قال سعيد بن جبير:" يعنى: ألا قلتم، سبحانك هذا بهتان عظيم، يعنى: ألا قلتم: هذا كذب بهتان عظيم، مثل ما قال سعد بن معاذ الأنصاري، وذلك أن سعدا لما سمع قول من خاض في أمر عائشة فقال: سبحانك هذا بهتان عظيم، والبهتان: الذي يبهت فيقول ما لم يكن"(٥٨٠٧).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٥٨٠٨).

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"(٥٨٠٩).

القرآن

{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧)} [النور : ١٧]

التفسير:

يذكّركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدًا لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب، إن كنتم مؤمنين به.

قوله تعالى:{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا} [النور : ١٧]، أي:" يذكّركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدًا لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب"(٥٨١٠).

قال مجاهد: "ينهاكم"(٥٨١١).

(٥٨٠٠) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٣٣. إسناده ضعيف: عطاء الخراساني: قال الحافظ في التقريب: صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس.

وأخرجه الطبري (١٩/ ١٢٩) من طريق محمد بن إسحاق. وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٣) لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٥٨٠١) التفسير الميسر:٣٥١.

(٥٨٠٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٧):ص٢٥٤٩/٨.

(٥٨٠٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٢٥٤٩/٨.

(٥٨٠٤)صحيح البخاري برقم (٥٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (١٢٧) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(٥٨٠٥) تفسير ابن كثير:٢٩/٦.

(٥٨٠٦) انظر: صفوة التفاسير:٣٠١/٢، والتفسير الميسر:٣٥١.

(٥٨٠٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٩):ص٢٥٤٩/٨.

(٥٨٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٥٨٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(٥٨١٠) التفسير الميسر:٣٥١.

(٥٨١١) أوردخ السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى الفريابي والطبراني..

قال سعيد بن جبير:" ثم وعظ الله الذين خاضوا في أمر عائشة، فقال: {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا}، يعني: القذف"[٥٨١٢].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور : ١٧]، أي:" إن كنتم حقاً مؤمنين"[٥٨١٣].

قال سعيد بن جبير:"يعني: مصدقين"[٥٨١٤].

القرآن

{وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)} [النور : ١٨]

التفسير:

ويبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية والمواعظ، والله عليم بأفعالكم، حكيم في شرعه وتدبيره.

قوله تعالى:{وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} [النور : ١٨]، أي:" ويبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية والمواعظ"[٥٨١٥].

قال سعيد بن جبير:" يعني: ما ذكر من المواعظ"[٥٨١٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور : ١٨]، أي:" والله عليم بأفعالكم، حكيم في شرعه وتدبيره"[٥٨١٧].

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٥٨١٨].

عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٥٨١٩].

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

انتهى الجزء السادس من التفسير، ويليه الجزء السابع بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١٩) من سورة «النور».

(٥٨١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤١):ص٢٥٤٩/٨.

(٥٨١٣) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.

(٥٨١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤١):ص٢٥٤٩/٨.

(٥٨١٥) التفسير الميسر:٣٥١.

(٥٨١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤١):ص٢٥٤٩/٨.

(٥٨١٧) التفسير الميسر:٣٥١.

(٥٨١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.

(٥٨١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.